مَوْسُوعَةُ
أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى
فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

لِلْفَقِيرِ إلَى مَوْلاهُ

مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللهِ التويجري

الْجُزْءُ الثَّانِي

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

موسوعة

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى ربه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م

دار أصداء المجتمع

المملكة العربية السعودية

القصيم- بريدة

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

دار أصداء المجتمع

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

القصيم – بريدة

هاتف : ٠٠96663236333

فاكس : 0096663236277

بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة

أسماء الله الحسنى

أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

الباب الرابع

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

١٥ – اسم الله الحق.

التعبد لله عز وجل باسمه الله الحق.

١٦ – اسم الله المبين.

التعبد لله عز وجل باسمه المبين.

١٧ – اسم الله الحي.

التعبد لله عز وجل باسمه الحي.

١٨ – اسم الله القيوم.

التعبد لله عز وجل باسمه القيوم.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

الحق

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله الحق

الله ﷻ هو الملك الحق ، ودينه حق ، وكتابه حق ، ورسله حق ، ووعده الحق جل جلاله ، الله ﷻ هو الملك الحق، وكل ما سواه ملكه ، الله ﷻ هو الإله الحق وكل معبود سواه باطل .

وقد ورد اسم الله الحق في القرآن (١٠) مرات .

والحق هو الشيء الثابت الذي لا يتغير ، والله ﷻ هو الملك الحق : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١١٦] .

والله ﷻ هو الملك الحق الذي خلق الملك والممالك والمماليك ، فالسماوات والأرض ظروف لمظاريف كثيرة، هذا المظروف الذي في السماوات والأرض هو جميع مخلوقاته جل جلاله ، وأعلى هذه المخلوقات وأشرفها في العالم السفلى هو هذا الإنسان الذي خلقه الله ﷻ، وميزه عن غيره بأن جعله عاملاً متكلماً مختارًا ، فهذا الإنسان الله ﷻ خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، وجعله خليفة في الأرض : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر: ٢٨ – ٢٩].

والإنسان في هذه الأرض معه أجناس أخرى ، معه عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان وغيرهم ، وهذه كلها الله ﷻ خلقها لخدمته ، وهى دالة على كمال قدرة الله ، وعلى عظمته ، وعلى جلاله ، وعلى جماله ، وكلها مسبحة بحمده ، خاضعة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته: ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: ٢٠] .

أما الإنسان فالله يريد منه أن يأتي إليه اختيارا ، فأنزل عليه الكتب ، وأرسل إليه الرسل

يبينون له الحق من الباطل ، ويرغبون في الحق : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾ [إبراهيم: ١] .

فهذا الإنسان الذي خلقه الله ﷻ يريده خليفة في الدنيا، وملكاً في الآخرة.

هو الحق الذي له الخلق والأمر كله، في العالم العلوي ، والعالم السفلى ، وفى الدنيا، وفى الآخرة : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢ ﴾ [الحج/ ٦٢] .

هو جل جلاله الملك الحق ، فتعالى الله الملك الحق لا اله إلا هو ، كما أمنا به ربا حقًا ، خلق كل شيء وبيده كل شيء فيجب أن نؤمن به إلهاً واحداً معبودًا ومحبوبًا ، ونستقبل الحق من عنده على ما جاء به رسله عليهم الصلاة والسلام .

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ ﴾ [المؤمنون/ ١١٦] .

الله ﷻ كريم ، وعرشه كريم ، وكتابه كريم ، ورسوله كريم ، ودينه كريم ، فالله هو الكريم الذي لا أول ولا نهاية لكرمه ، والكريم من الخلق هو الذي إِذَا قَدَرَ عَفَا ، وإذا عاهد وفى ، وإذا سُئل أعطى ، ولا يبالي كم أعطى ، ولمن أعطى ؟ .

والله ﷻ هو الكريم الذي لا أكرم منه ، هو الكريم الحق الذي خلق الإنسان ، وسخر له ما في السموات وما في الأرض ، وهداه إلى الدين الحق ، وحبب إليه الدين ، ومكن هذا الإنسان من معرفة الدين بما خلق فيه من السمع والبصر والعقل : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ [النحل/ ٧٨] . .

فالله ﷻ كريم : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ١٦٠ ﴾ [الأنعام/ ١٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾ [النساء/ ٤٠] .

فسبحان الملك الحق الذي أنزل الكتاب بالحق : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦ ﴾ [البقرة: ١٧٦] .

وهذا الكتاب العظيم يشتمل على أمرين عظيمين :

أخبار.. وأوامر .

- **والأخبار قسمان :**

الأول: خبر عن الخالق بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده .

الثاني: خبر عن مخلوقاته، أخبار عن خلق السماء ، والأرض والجبال ، والبحار ، والجماد ، والنبات ، والحيوان ، والإنسان ، وأخبار عن خلق العرش ، والجنة والنار .

أخبار عن الله ﷻ مثل : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤] .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١-٤] .

والأخبار عن مخلوقات الملك الحق مثل : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم: ٤٠].

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾

[البقرة: ١٦٤] .

أما الأوامر الشرعية من الله، فهي أمر بالفعل كالأمر بالصلاة والصيام والذكر والدعاء

ونحو ذلك .
وأوامر بالترك كالنهي عن الشرك والكفر، الظلم والكذب ، والربا والزنا ونحو ذلك .
وهذه ، وهذه أخبار عظيمة ، وأوامر حكيمة وبموجب هذه المعارف تتطلع النفس إلى التقرب إلى هذا الخالق العظيم ، وإذا رأت إنعامه وإحسانه أحبته وأحبت التقرب إليه ، فإذا عرف الإنسان ذلك جاء التكليف بالأوامر ، لأنه ما من ملك إلا وله أوامر في ملكه ، يأمر بكذا ، وينهى عن كذا ، لتستقيم حياة الناس على منهج واحد : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣] .
والله هو الملك الحق ، ونزل الكتاب بالحق ، وأرسل رسله بالحق ، وجميع أقداره حق ، وجميع أوامره حق ، فلله الحمد على ربوبيته وإلوهيته : « **اللَّهمَّ لَكَ الحمدُ أنتَ ربُّ السَّمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ ، ولَكَ الحمدُ أنت قيُّومُ السَّمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ ، ولَكَ الحمدُ أَنتَ نور السَّمواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ ، أنتَ الحقُّ ، وقولُكَ الحقُّ ، ووعدك حقٌّ ، والجنَّةُ حقٌّ ، والنَّارُ حقٌّ ، والنَّبيُّونَ حقٌّ ، ومحمَّدٌ حقٌّ** » متفق عليه(١).
هو جل جلاله الملك الحق ، وكل ما سوى الله من المعبودات فهو باطل ؛ لأنه مخلوق مفعول ليس بيده شيء ، وما عُبد من دون الله من الملائكة أو الرسل أو الأشياء أو غيرها فعبادته باطلة : ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧] .
فكل مخلوق كان معدومًا فأوجده الله ﷻ ، فكيف يعبد من دون خالقه ، وهذه المعبودات من دون الله لم تخلق شيئاً حتى تعبد ، وليس لها تشريع ولا منهج يُتبع : ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١﴾ [الأعراف/ ١٩١] .
فهو جل جلاله هو الحق الذي أرسل رسله بالحق ، وأنزل كتبه بالحق ، وحكم هذا الكون بالحق ، وخلق هذا الكون بالحق جل جلاله .

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٤٤٢ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ٧٦٩ .

هو جل جلاله الرب الحق الذي تفرد بالبقاء والملك الدائم ، هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، هو الذي أحيا الأموات ، هو الذي أوجد المعدومات ، هو الملك الحق جل جلاله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [غافر: ٦٢] .

هو الحق الجامع للخير والمحامد كلها ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى ، هو الملك الحق وكل ما سواه من معبود فهو باطل ، وليس الحق إلا من الحق ، لأن الحق هو العلي الأعلى ، والمخلوق الأدنى عنه لابد أن يأخذ من الحق الأعلى جل جلاله، لا يأخذ من مثله، ولا مما هو دونه ، لأن من دونه من عالم الجماد والنبات والحيوان هذه المخلوقات خلقها الله ، لتخدم هذا الإنسان ، فكيف ينحدر هو ، ويعبد خادمه الذي يخدمه ، ويترك عبادة الحق الذي خلقه : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٤ – ٦٦] .

فعبادة الحق سبحانه هي العدل ، وعبادة ما سواه ظلم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٤ – ١٩٥] .

لكن هذا الإنسان أمره الحق ﷻ أن يعبد الخالق الرازق ، الملك الحق ، ويتصل بالملك الحق ، الذي عَلمه الحق ، ووعده الحق بأحسن الثواب : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣٢] .

أما هذه المخلوقات فهي لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا ، ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٣] .

جميع المخلوقات خاضعة لربها الحق من ثلاثة أوجه:

جميع المخلوقات كانت معدومة فأوجدها الله ، ولما أوجدها الله ﷻ فهو مالكها ،

وكلها لا تنفع ولا تضر إلا بأذن الله : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] .

لا أحد يملك شيئاً مع الله ﷻ ، هو المالك وحده لكل شيء ، القادر على كل شيء ، المحيط بكل شيء لأنه هو الرب الحق ، هو الملك الحق ، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فالله وحده هو الحق الذي يستحق العبادة والطاعة ، هو الحق الحي الذي له الأسماء الحسنى ، وله الصفات العلى ، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فأنا عاقل أخذ نظام الحياة ، ومنهج الحياة ، وطريقة الحياة ، من العلي الأعلى ، لا من مخلوق دوني من صنم أو حجر، فاعبده وانزل إليه أسفل ! إذا كان الذي في الأعلى ينزل إلى الذي في الأسفل كان الجميع في المنحدر ، في الحفر .

ولا أخذ نظام حياتي من مخلوق مثلي مساو لي من البشر ، لا أخذ نظام الحياة من مخلوق مثلي ، المريض يذهب إلى الطبيب ، والفقير يذهب إلى الغني، والمملوك يذهب إلى الملك، وهكذا الإنسان لا يأخذ من فقير ، لا يذهب إلى فقير ، فالفقير ليس عنده شيء ، والغريق لا ينقذ الغريق ، فأنا أذهب إلى الملك الحق الذي بيده كل شيء: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

أخذ نظام حياتي ممن خلقني، واتصل بالملك الحق العلي الأعلى ، إذا اتصلت بالأعلى كنت عاليًا ، إذا اتصلت بالكبير كنت كبيراً ، إذا اتصلت بالمؤمن كنت آمنًا ،

وإذا اتصلت بالعزيز كنت عزيزاً ، وهكذا من كان في معية القوي فهو قوي ، ومن كان في معية العزيز فهو عزيز ، فنتصل بمن له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى والأفعال الكبرى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ -١٠٣] .

واتصالنا به من فضله ، أولًا بالإيمان الذي نتصل به بربنا ، ثم بالعمل الصالح .

● والعمل الصالح الذي يتقرب به العبد إلى الله ﷻ أربعة أنواع :

الأول: من هذه الأعمال الصالحة، ومن العبادات المشروعة ما هو مطلق الزمان والمكان : كالأدعية والأذكار وقراءة القرآن وغير ذلك من أعمال البر .

الثاني: ما يتحكم فيه الزمان ، دون المكان : كالصلوات الخمس لها زمان معين ، لكن نصليها في أي مكان ، وصوم رمضان له زمان في السنة شهرًا ، نصومه في أي مكان .

الثالث: ما يتحكم فيه المكان ، دون الزمان كالعمرة : العمرة مشروعة في كل وقت، ومشروع تكرارها في كل وقت، لكن في مكان خاص هو المسجد الحرام.

الرابع: ما يتحكم فيه الزمان والمكان : كالحج ، الحج له أشهر معلومة هي ثلاثة أشهر وهي : شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وله مكان خاص ، الكعبة ، والصفا والمروة ، ومنى ، وعرفات ، والمزدلفة .

ومن شرع الله ﷻ واجبات وسنن، وفرائض ونوافل ، فالمُتقي هو : من يفعل الأوامر ويجتنب النواهي ، لكن المُحسن أعلى منه ، لأنه يحسن عبادته ، ويستكثر منها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل/ ١٢٨] . .

فالمُحسن هو من أحسن عمله ، وجاء بزيادة الطاعات من جنس ما فرضه الله ﷻ فالمُحسن يأتي بطاعات شرعها الله زيادة على ما فرض الله ، ابتغاء مرضاة الله .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل/ ١٢٨] .

فعلوا الأوامر واجتنبوا النواهي ﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل/ ١٢٨] .

أتبعوا الفرائض بالنوافل .

قال ﷻ : « **مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ**» أخرجه البخاري (١) .

الله ﷻ شرع لعباده ما يقربهم إليه ، وما يجعل حياتهم في أعلى أنواع الحياة الموجودة ؛ أعلى من حياة الجماد ، وأعلى من حياة النبات ، وأعلى من حياة الحيوان ؛ لأن الله ﷻ يريد أن يتشبه من في الأرض بمن في السماء الملائكة الذين مزاجهم سمعنا وأطعنا : ﴿ **يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ** ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء/ ٢٠] .

ومزاج المؤمنين بالله سمعنا وأطعنا : ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ** ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة/ ٢٨٥] .

إنا لله وإن إليه راجعون ، الحياة قوس ، والموت قوس ، وما بينهما هو حياتك أيها الإنسان ، وحياتك في هذه الدنيا مقيدة بأمر الله ﷻ ، لا يعلم الإنسان متى يولد ، و لا متى يموت ؟ لكن الله ﷻ أعطانا هذه الحياة التي بين الولادة والموت ، الله ﷻ منه المبدأ، وإليه المُنتهى ، وما بينهما الآن بيدي ، الله جعلني مختارًا أن أؤمن أو أكفر ، أو أطيع أو أعصي ، فإذا أردتُ أن أطيع فأطيع الملك الحق ، الذي أنزل الكتاب بالحق ، وأمر بالحق ، أعبد الذي خلقني ورزقني ، وهو الذي يضع نظام حياتي : ﴿ **ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ** ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

ولا سعادة للإنسان في هذه الحياة أبدًا إلا من باب واحد وهو باب الإيمان والتقوى ، فمن دخل جنة المعرفة في الدنيا أدخله الله جنة الآخرة في الآخرة ، ومن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تفانا في طاعته ، ومن عرف أوامر الله ، دون أن يعرف الله ، تفنن في التفلُّت من أوامره .

فألذ شيء في هذه الحياة هو لذة القلوب بمعرفة فاطرها الملك الحق ، ربها الذي خلقها ، ألذ شيء ليس الطعام والشراب ، الإنسان يجد فيه لذةً لكنها لذة

---

(١)أخرجه البخاري برقم: ٦٥٠٢.

حيوانية منقطعة، لكن اللذة الروحية هي معرفة الرب، والأُنس به، والسكون إليه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

والله ﷻ هو الملك الحق الذي خلق السماوات والأرض بالحق ، وأنزل دينه بالحق ، ويعيد الناس يوم القيامة لحسابهم بالحق : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٥ –٨] .

هذا هو الملك الحق الذي يستحق أن يُعبد وأن يكبر ، وأن يحمد : ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٧ – ١٨] .

هذا هو الملك الحق الذي يجب علي أن أعبده وأن أتصل به لأني بحاجة إليه ، كنت ميتًا فأحياني الله ﷻ ، كنت ضالًا فهداني الله ﷻ ، كنت جائعًا فأطعمني الله ﷻ ، وهو الذي استضافني في بطن الأم ، ويستضيفني في بطن الدنيا ، ويستضيفني في القبر ، ويستضيفني يوم القيامة القيامة في دار الكرامة إن كنت مؤمناً ، ويحبسني في دار الهوان إن كنت كافراً : ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم: ١٢ – ١٦] .

- **والحكمة من وجود الإنسان في بطن الأم أمران :**

تكميل الأعضاء الداخلية.. وتكميل الأعضاء الخارجية .

كمال خلق الإنسان ظاهرًا وباطنًا : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٦] .

- **والإنسان له ظاهر وباطن :**

الباطن فيه المعدة والقلب والرئتان والكلى وغير ذلك من الأشياء الباطنة .

والخارج فيه اليدان والرجلان والوجه والعينان وغير ذلك من الأشياء الظاهرة .
فإذا كمل خلقه ظاهرًا وباطنًا، أخرجه الله ﷻ من بطن أمه، إلى بطن الدنيا .

- **والمطلوب منه في بطن الدنيا أمران:**

تكميل الإيمان.. وتكميل الأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة .
مطلوب في الدنيا لا تكميل الأموال ، ولا تكميل البيوت ، ولا تكميل الشهوات ، لأن كمال هذه في الآخرة حيث الخلود الأبدي ، والنعيم الأبدي ، أما في الدنيا فالمطلوب شيئان فيهما سعادة العبد في الدنيا والآخرة :
الأول : تكميل الإيمان : أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، أعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأعرف الملائكة الذين يدبرون هذا الكون وأحبهم ، لأنهم يستغفروا للذين آمنوا ، وينفذون أوامر الله ، ولا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون .
وأعرف الرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم: ٤١] .
﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم/ ٥٤] .
﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ ﴾ [مريم/ ٥١] .
أتعرَّف على حياة الأنبياء، لأقتدي بهم في إيمانهم ، وفي توحيدهم ، وفي أقوالهم ، وأعمالهم ، وأخلاقهم ، لا أجتهد لأعرف حياة الملوك والرؤساء حتى لا أتعلق بالجاه والمناصب ، ولا أجتهد لأعرف حياة الأغنياء، حتى لا أتعلق بالأموال والشهوات ، بل أجتهد لمعرفة حياة الأنبياء لأقتدي بهم في إيمانهم وتقواهم وأخلاقهم ، ودعوتهم : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .
وقال الحق عن رسله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .
والله ﷻ أرسل الأنبياء بثلاثة أشياء ، وأنا لابد أن تكون حياتي مطابقة لحياتهم :
الأول : تعريف الناس بالإله الحق ، تعريف الناس بالرب ، تعريفهم بالله وأسمائه

وصفاته وأفعاله، وخزائنه ووعده ووعيده ، ولابد أن أعرف انا من هو الله، ولابد أن أُعرِّف بذلك غيري :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

وقال عز وجل: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

والثاني : تعريف الناس بالطريق الموصِّل إلى الخالق العظيم جل جلاله ، الطريق الذي يصلني بربي الحق ، حتى إذا مرضت دعوته فشفاني ، وإذا افتقرت سألته فأغناني ، وإذا خفت سألته فأمنني ، وإذا ضعفت سألته فقواني ، لأنه هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي، وعنده خزائن القوة ، وقوته ذاتية لا تنقص أبداً ، أعطى القوة للسماوات والأرض ، وللشمس وللقمر ، وللجبال وللرياح، وللنار وللبحار ، هو القوي الذي أعطى القوة لكل قوي ، وعنده خزائن القوة ، فأنا اتصل به ، لأعرف الطريق الموصِل إليه ، حتى أكون في الدنيا عبداً للملك الحق ، ويوم القيامة انتقل من الحياة التي فيها العبادة والعمل ، إلى الحياة الملكية حياة التنعم بالنعيم المقيم : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٥] .

ويقال لأهل الجنة: «**يا أهل الجنة إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلاَ تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلاَ تَبْأَسُوا أَبَدًا** » أخرجه مسلم [1] .

فيوم القيامة إن عشت عبدًا في الدنيا ، عشت يوم القيامة ملكاً صغيراً عند الملك الكبير جل جلاله : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر/ ٥٤-٥٥] .

لابد أن أكون ملكاً في الدنيا، أملك شهواتي، حتى أوجهها إلى طاعة الله ، أملك

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٨٣٧.

شهواتي حتى لا تجترئ على محارم الله ، أملك وقتي حتى أصرفه وأملؤه بطاعة الله ﷻ ، أجعل حياتي كلها مصبوغة بصبغة الأنبياء والرسل ، وأوقاتي كلها معمورة بعبادة الله .

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام: ١٦١ – ١٦٣] .

فهذا الطريق الموصِّل إلى الله، هو الدين الحق الذي بينته الرسل لأممهم .

ومجموع الدين في خمسة أمور :

إيمانيات.. عبادات.. معاملات.. معاشرات.. أخلاق .

والله أكمل لنا الدين تشريفاً : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (٣) ﴾ [المائدة/ ٣] .

وبقي علينا إكمال الدين في حياتنا علماً وعملاً وأخلاقاً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) ﴾ [الحج: ٧٧] .

الدين هو النعمة الكبرى ، أما الطعام والشراب فهذه نعمة كما قال الحق عن الكفار : ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) ﴾ [الدخان: ٢٧] .

لكن الدين نعمة عظيمة من المنعم ، فأنا في الدنيا أعيش مع الملك الحق، ومع نعمه ، والله يريدني أن أنتقل من النعمة إلى المُنعم بالدين فأعبده وحده ، والكافر يبقى مع النعمة ولا يعرف المُنعم ، وإن كان الكافر جسمه وجوارحه وأعضاءه كلها عابدةٌ لله ، مسبحةٌ بحمده ، شاهدةٌ بوحدانيته ، لكن بالاختيار الذي أعطاه الله لهذا الإنسان ، وبالإرادة التي منحها الله إياها يصرّف هذا البدن إما في طاعة الله وإما في معصية الله ، لكن الجوارح خلقها الله مؤمنة وطائعة ، وكل الجوارح على الفطرة ، فالجوارح تطيع القلب ، إن كان مؤمنًا إن أمرها بطاعة الله أطاعته وحمدته وشهدت له يوم القيامة ، وإن أمرها بمعصية أطاعته ولعنته وشهدت عليه ، لأنها استعملت في غير ما خلقت له: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ

﴿ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور: ٢٤ – ٢٥] .

والثالث : تعريف الناس بما لهم بعد القدوم على الله يوم القيامة .

فمن آمن وعمل صالحاً فله الجنة ، ومن كفر وأشرك بالله فله النار : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢] .

- وهناك ثلاثة أشياء :

هناك خلق.. وهناك جعل.. وهناك ملك .

الأول: الخلق : وهو الإيجاد بعد عدم ، والله ﷻ هو خالق كل شيء ، هو الملك الحق الذي خلق كل شيء بالحق ، وأمر باستعمال هذا الشيء بالحق .

الثاني: الجعل : وهو استعمال الشيء فيما خلق له ، الله خلق الشمس والقمر ، وجعل الشمس ضياءًا ، والقمر نورًا ، وجعل الشمس سراجاً ، وخلق الأرض وجعلها محلاً للإنجاب ، الأنثى من الحيوان تنجب الذكور والإناث ، وكذا الأرض أمٌّ كبيرة أمٌّ عظيمة تنجب مواليد من أنواع النباتات من الزهور والثمار والحبوب ، فهي أمٌّ في بطنها مخلوقات كثيرة ، ينزل عليها المطر فتنبت من كل زوج بهيج في كل زمان ومكان : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الحج/ ٥] .

فآية إنزال الماء على الأرض تدل على خمسة أمور ، أن الله هو الحق ، وعلى قدرته على البعث بعد الموت: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج/ ٦-٧] .

فكما ينزل المطر على الأرض فتُنبت من كل زوجٍ بهيج ، فكذلك الملك الحق أنزل الدين الحق على القلوب فأنبتت الأقوال الحسنة ، والأخلاق العالية ، والأعمال الصالحة ، أنبتت المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصابرين والصابرات ، والصادقين والصادقات .

أنبتت : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة: ١١٢] .
فالأرض قابلة للإنبات ، كذلك البشرية هم مفطورون على التوحيد ، لكن لابد من سعى هذه الفطرة ؛ لأن الشياطين جاءت إلى بني آدم فصرفتهم عن دينهم .
فالهداية بيد الهادي وحده لا شريك له .
ونحن نسأل الهداية من الهادي، في كل يوم أكثر من أربعين مرة في صلاة الفريضة والنافلة : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة/ ٦] .
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ٧﴾ [الفاتحة/ ٧] .
النموذج الذي يحبه الله ، ويريده الله من عباده : ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ٧﴾ [الفاتحة/ ٧] .
الذين عرفوا الحق ، وتركوه ، واستكبروا عليه : ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة/ ٧] .
الذي ضلوا عن معرفة الحق، فقالوا إن الله ثالث ثلاثة، وقالوا أن الله هو المسيح بن مريم .
الثالث: المُلك ، فكل ما خلقه الله وجعله في الدنيا والآخرة ملك لله وحده ، يتصرف فيه الحق كما يشاء : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠] .
فمن تمام عبوديتك للملك أن تطيعه ولا تعصيه في ملكه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢] .
فنحمد الله عز وجل أن أجلسنا في هذه الموائد التي نسمع فيها عن ربنا عز وجل ، وعن دينه ، وعن أوامره وعن وعده ووعيده فيقوى إيماننا ، وتحسن عبادتنا ، ليس المقصود الناس ، ولكن المقصود أنا ، كيف يأتي الإيمان في قلبي ، فإذا جاء هذا الإيمان في القلب أمر الجوارح بالطاعة ، فأصبح الإنسان صالحًا مُصلحًا ، كما كان غيره من الكفار فاسدًا مُفسدًا : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

- **لابد للنجاة من العذاب من أربعة أمور :**

﴿وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ٣﴾ [العصر/ ١-٣] .

فالخالق هو الله الذي خلق كل شيء ، وهو الذي جعل كل شيء ، وهو الملك المالك لكل شيء ، مالك الإنسان ، ومالك أعضائه ، خلقها لعبادته ، فهذا الإنسان خلق لمقصد عظيم، والذي حدد مقصده هو الله ، والذي يعطي الوقت هو الله ﷻ ، والذي يعطي القدرة الله ﷻ ، فكل شيء بأمر الله ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وكل حدث لابد له من مكان ومن زمان ، ومن عاملٍ فيه هذا الحدث ، ولابد له من قدرة تظهر الحدث من صلاة أو غيرها ، ولابد له من سبب باعث ، أنا اعبد الله ، لأنه الذي يستحق العبادة وحده ، وطمعًا في ثوابه ، وخوفًا من عقابه ، وأعبده لأنه الملك الحق الذي أمرني ، وأنا من مماليكه، لابد أن أطيعه ، فأنا اتصل بالملك الحق ، لأنه هو الذي خلق هذا الكون وهو مالكه ، له ملك السماوات والأرض ، وله ملك الدنيا والآخرة ، لكن الله ﷻ جعلني مختارًا بين الخلق حتى آتي إليه بالمحبة لا بالإجبار والقهر : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٩] .

- **والإنسان يعيش بين قهرين :**

قهر في إيجاده : لا يعلم متى يوجد .

وقهر في موته : لا يدري متى يموت .

لكنه يختار بين هذين القهرين ، أن يضع بين القوسين ما وضعه الأنبياء والرسل ، الذين جاءوا بثلاثة أمور :

الأول : تعريف الناس بربهم الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له .

الثاني: تعريفهم بالطريق الموصِّل إليه وهو الدين

الثالث : تعريفهم بما لهم بعد القدوم عليه ، من الثواب لمن أطاعه ، ومن العقاب لمن عصاه ، ولذلك يكثر في القرآن ذكر الله ، وذكر أسمائه وصفاته وأفعاله ، وذكر دينه ، وذكر وعده ووعيده ، بوصف الجنة ، ووصف النار ، لأن النفوس تختلف في التأثر والتأثير ، وقوة الباعث، فمن الناس من تحركه لعبادة الله الأمور العقلية : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُل

مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩] .

ومن الناس من تحركه معرفة الله ، إلى عبادة الله، يجب أن يعرف المعبود قبل أن يعبده، فإذا عرفه وحده وعبده بالحب والتعظيم والذل له : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢٦] .

والكافر يفتخر بملكه وأمواله ، وعبد الله يفتخر بسيده ومالكه : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٨] .

ومن الناس من تحركه لعبادة الله محبة الشهوات التي وعد الله بها المؤمنين في الجنة :
﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

ومن الناس من يحركه للعبادة الخوف من الله ، والخوف من النار : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء: ٥٦] .

ومن الناس من تحركه لعبادة الحق سبحانه إدامة النظر والتفكر في عظمة الخالق والمخلوقات ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ

ﭐلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١] .

ومن الناس من تحركه لعبادة الله معرفة عظمة كلامه ، وحسن أحكامه : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٣] .

ومن اجتمعت له هذه المعارف فقد عرف الله حقاً ، وعبد الحق سبحانه بكمال الحب والتعظيم والذل له .

فالعبد يفتخر بسيده ، والله سيدنا ومولانا جل جلاله ، هو الذي تولانا خلقًا ، وإيجادًا ، وقُوتًا ، وهداية ، فلا بد أن نتولاه بالتوحيد ، والإيمان ، والطاعة ، والتسليم لأمره : ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨] .

هو الحق الذي ينصرنا ، إذا نصرنا دينه : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج: ٤٠] .

وبهذا الكمال بإتباع الدين الحق ، وطاعة الرسل ، والإيمان بالكتب ، والعمل بما فيها من أحكام ؛ تصفو الحياة ، وصفاء الحياة بأن نعبد إلها واحدًا ، ونستقبل بيتا واحدًا ، ونعمل بكتابٍ واحد ، ونطيع رسولًا واحدًا ؛ حتى تستقيم حياتنا على الحق الذي يريده الله ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف: ٩] .

فلا بد من الجهد حتى تتزين الحياة بالدين الحق ، وعبادة الحق سبحانه ، ويكون المسلم بظهور آثار هذا الدين الحق على بدنه ، وعلى قلبه ، أجمل من الأزهار والثمار على الأشجار : ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨] .

لهذا لابد من الجهد المستمر على النفس ، وعلى الغير، لتتحقق لنا ستة أمور ، السعادة في الدنيا ، ورضوان الرب ، ورؤيته في الآخرة والقرب منه ، ودخول الجنة ،

والخلود فيها .

إذا أرضيناه بالإيمان به ، وعبادته ، فنحن الذين نستفيد من ذلك : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [العنكبوت: ٦] .

فإذا أطعناه ، وعبدناه ، عشنا في الدنيا مع النعمة ، واستعنا بالنعمة على عبادة من أنعم علينا بكل نعمه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ۝١٧٢ ﴾ [البقرة/ ١٧٢] .

وفي الآخرة تعيش مع المُنعِم ، فإذا عشت في الدنيا مع النعمة ، وعبدت المنعم ، عشت يوم القيامة مع النعمة ورأيت المنعم : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣] .

ومن أرضى الله في الدنيا بعبادته أرضاه يوم القيامة ورضي عنه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٧٢ ﴾ [التوبة/ ٧٢] .

الرضوان هو نعيم القلب ، وجنات تجري من تحتها الأنهار، لنعيم الجسد ، من أكل ، وشرب ، ونكاح ، ولباس ، وسكن ، هذا نعيم الجسد ، لكن لذة الروح أكبر : ﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ﴾ [التوبة/ ٧٢] .

فإذا رضي الحق عني ؛ أعطاني ما يُرضيني ، متى ؟ إذا أرضيته ، كيف أرضيه ؟ ترضيه إذا أطعته ، ولا بد لحصول هذا من الجهد الكبير على النفس ، وعلى الغير ، ولا بد أن يكون الفكر عالمياً واسعاً ، حتى كما انتشر نور الشمس في العالم ، ينتشر الحق الذي أنزله الحق بين البشر الذين هم مخاطبون بهذا الدين ، وهم الإنس والجن: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٥٢ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

هذا الدين حق ، ولابد أن يصل الحق إلى قلوب الناس ؛ حتى يعملوا بالحق ، ويسعدوا في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا

تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

أجتهد على تجميل الحياة بالدين الحق ، فكما جمل الله الكون بالسماء والنجوم ، والجبال ، والبحار ، والأنهار ، والأزهار ، والثمار وغيرها ، أنا أجمل حياتي ، وحياة البشرية ، بالدين الحق الذي كله جمال ومحاسن .

ويتحقق ذلك بإكمال أربعة أمور :

الأمر الأول : أن تكون حياتي مطابقة لحياة النبي ﷺ في خمسة أمور ، في توحيده وإيمانه ، وفي بيته وفكره ، وفي أقواله الحسنة ، وفي أعماله الصالحة وأخلاقه الكريمة : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

الأمر الثاني : أن يكون بيتي كبيت النبي ﷺ ، بيوت الأنبياء ، بيوت الصحابة ، معمورة بالإيمان ، والأعمال ، كل يوم يزيد إيمانهم ، وتزيد أعمالهم ، وتزيد أخلاقهم ، ويزيد تقربهم إلى الله ، وبيوتهم وحياتهم قليلة الأموال والأشياء .

فإذا تُركت الدعوة ؛ انقلب الفكر ، وتغير العمل والجهد إلى الاهتمام بالأموال والأشياء ، فخلت البيوت من الإيمان ، والأعمال الصالحة .

والجهد الثالث : أن أجتهد حتى يكون مسجدي كمسجد النبي ﷺ الذي كان معموراً بالأعمال ، هو جامعة ، يُستقبل فيه الوفود ، وتُقام فيه الصلوات ، ويُكرم فيه الضيوف ، ويُسمع فيه أحوال الأمة ، مثلًا من سيذهب إلى الدعوة إلى الله ، ومن سيذهب للجهاد في سبيل الله ، وتُسمع فيه أحوال المهتدين ، وأخبار الدعاة إلى الله .

- **والبيوت العظيمة التي يعبد فيها الله ﷻ ثلاثة :**

الأول : البيت الذي جعله الله ﷻ موضعاً للعبادة لأهل الأرض وهو الكعبة .

والبيت الثاني : هو البيت المعمور الذي فوق السماء السابعة ، ويطوف به الملائكة كل يوم ، يطوف فيه سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون إليه ، لكثرة الملائكة في السماء .

والبيت الثالث : هو العرش الذي يطوف به حملة العرش، ومن حوله .

فهذه متعبدات الخلق في السماء والأرض : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ

وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٤] .

فالله الملك الحق يريد أن يجمع عباده على الحق ، ويتوجهوا إلى ذلك المكان الخاص ، فعند الصلاة تتوجه أجسادهم إلى القبلة ، وقلوبهم متوجهة إلى الله ؛ لأنهم يعبدون رب هذا البيت، لا البيت : ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش: ٣ – ٤] .

فبيت الله في مكة، الله ﷻ هو الذي اختاره ، ومساجدنا بيوت الله باختيار عباد الله ، متوجهة إلى بيت الله في مكة : ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٤] .

المسجد الكبير في الأرض كلها هي الأرض كما قال النبي ﷺ : « **وجُعِلَت ليَ الأرضُ مَسجِدًا وطَهُورا** » متفق عليه [١] .

وكما قال النبي ﷺ : « **فأينَما أدركَتْكَ الصَّلاةُ فَصلِّ** » متفق عليه [٢] .

فالمسلمون ليسوا كاليهود والنصارى لهم مكان خاص بالعبادة ، بينما نحن جعلت لنا الأرض كلها مسجدا نصلي فيه ، وطهورًا نتيمم بترابها عند فقد الماء .

هذا المسجد العام ، فالله يريد أن تكون كل الأرض كلها مسجداً ، والكعبة بيت الله باختيار الله وضعه للناس سواءً ، هو قبلة جميع الأنبياء ، وجميع أنواع القبلة التي وضعت من استقبال المشرق ، وبيت المقدس ؛ كل هذه مرجعها إلى هذا البيت الذي وضع للناس ؛ يستقبلونه ، ويتوجهون إليه في عباداتهم .

ومساجدنا بيوت لله ، لكن باختيار خلق الله ، الله ﷻ عين هذا البيت باختياره هو ، واختار للكعبة ذلك المكان ، ومن علينا بأن جعلنا كما نبني بيوتنا نبني بيوتاً لله ؛ لأن في البيوت غذاء الأجساد بالطعام والشراب ، وفي المساجد غذاء القلوب بالعلم والإيمان والتقوى والعبادة .

فالمسجد بيت الله باختيار خلق الله ، والكعبة بيت الله باختيار الله ، وجميع المساجد

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٣٣٥، واللفظ له، ومسلم برقم: ٥٢١ .
(٢)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٣٣٥، واللفظ له، ومسلم برقم: ٥٢١ .

في العالم تتوجه إلى بيت الملك الحق جل جلاله ، وجميع من فيها يتوجهون فيها إلى القبلة التي هي الكعبة التي وضعها الله ﷻ قبلة لنا نتوجه إليها بأبداننا ، ونتوجه إلى الله بقلوبنا : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥] .

والله ﷻ هو الحق يريد أن يشيع الحق في الكون كله ؛ حتى يكون الكون كله المسير والمخير كله ساجد وعابد لربه ﷻ : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾[الحج/ ١٨] .

والجهد الرابع : أن تكون مدينتي كمدينة النبي ﷺ ، وأهلها كأصحاب النبي ﷺ عبادةً، ودعوةً، وإحساناً إلى الناس.

هو سبحانه الحق الذي لا شك فيه ولا ريب . هو الحق في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، هو الحق الذي جاء بالحق ، وحكم بالحق ، ونصر الحق ، وأهل الحق ، لا إله غيره ، ولا رب سواه جل جلاله .

هو جل جلاله الملك الحق المبين الذي له الخلق والأمر ، والذي له ملك السماوات والأرض : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس: ٣١ – ٣٢] .

حقائق لا يستطيع أحد أن ينكرها ، الله خلق الأرزاق ، والمرزوقين ، سواء كان رزقًا ماديًا ، أو رزقًا معنويا بالهداية ، والعلم ، وغير ذلك .

الله خلق الإنسان وجعل فيه السمع والبصر والعقل ؛ ليتجاوز المخلوق إلى الخالق ، ويتجاوز الصور إلى المصور ، ويتجاوز الدنيا إلى الآخرة ، ويتجاوز الأحوال والأشياء إلى الإيمان والأعمال الصالحة ، ويتجاوز السنة الربانية إلى القدرة الإلهية.

فسبحان من يدبر الأمر في العالم العلوي والعلم السفلي : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا

﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾
[الأعراف: ٥٤] .

من يدبر أمر الكلام في فمي ، أمر السمع في أذني ، أمر الرؤية في بصري ، أمر العقل في رأسي ، أمر الحركة في بدني ، أمر الرياح ، أمر الأمطار ، أمر الليل ، أمر النهار ، أمر النباتات ، أمر الحيوانات ؟ .

من يدبر أمر السموات والأرض ؟ من يدبر أمر الدنيا والآخرة ؟ : ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾
[المؤمنون: ٨٦ – ٨٧] .

ما دام أقررتم أن الله ﷻ هو الذي يرزقكم من السماء والأرض ، وهو الذي يملك السمع والأبصار ، والذي يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، والذي يدبر الأمر ؛ إذا آمنتم به ربًا يفعل هذه الأمور ، لماذا لا تعبدوه إلها وتحبوه وتشكروه !، لأنه هو الذي خلقكم ، كما أطعتموه في ربوبيته ، وأقررتم بربوبيته ، أفلا تتقون هذا الرب العظيم ! أفلا يستحق أن يعبد ويحمد ويكبر : ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[النحل/ ١٧] .

هذا هو الذي يستحق العبادة ، الملك الحق الذي خلق كل شيء ، وقدر كل شيء . فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ .

لماذا تتعلقون بالمخلوق من دون الخالق ، وتعمرون الدنيا وتنسون الآخرة : ﴿ بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾[القيامة/ ٢٠-٢١] .

بسبب عدم المُذكر حصلت الغفلة ، وإذا وجد المُذكر زالت الغفلة ، وإذا زالت الغفلة رأى الإنسان الحق حقا واتبعه ، ورأى الباطل باطلًا واجتنبه : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾
[الكهف: ٢٨] .

والذين فسقوا خرجوا عن طاعة الله؛ هذا النوع تحق عليه كلمة الملك الحق جل جلاله لماذا ؟ لأنه فسق : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ

تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾
[يونس: ٣٢ – ٣٣] .

أنهم لا يؤمنون ؛ لأن الذي زاغ يُزيغ الله قلبه ، والذي يعرض عن الله يعرض عنه ، والذي ينسى الله ﷻ ينساه ، لكن من أقبل على الله هداه ، من جاء إليه تاب عليه ، **قال الله ﷻ** في الحديث القدسي: «**مَن تقرَبَ إليَ شِبرا؛ تَقَرَبتُ إِلَيهِ ذراعًا**» متفق عليه(١) .

فالذي يقبل على الله ، الله يهديه : ﴿ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى/ ١٣] .

فالإنسان إذا رجع إلى ربه، دله على الطريق الصحيح ، كما إذا كنت ضالًا في الطريق ، ووجدت إنسانًا أمامي ، فسألته عن الطريق فقال : الطريق من ها هنا فإذا شكرته ودعوت له فرح، وقال سأركب معك ؛ حتى أدلك على الطريق السليم ، لأن أمامك حفر قد تقع فيها .

كذلك الله ﷻ ولله المثل الأعلى ، من أقبل عليه هداه ، وبين له الحق ، وأعانه عليه ، وحببه له ، وأسعده في الدنيا والآخرة ، وأعطاه الأمن والهداية في الدنيا ، وجعله يوم القيامة جليسه : ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ** ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

فالذي يستحق العبادة وحده، هو الذي له الخلق والأمر والملك كله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾
[الأنعام: ١٠٢] .

وشركاؤكم الذين تعبدون من دون الله من ملائكة ، أو جن ، أو أموات ، أو أشجار ، أو أحجار ، أو شمس ، أو قمر ، هل منهم من يهدي إلى الحق ؟ ! ، لا، هو يحتاج للهداية من الهادي : ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يونس: ٣٤] .

فالله ﷻ هو الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى ، هو الهادي الذي يهدي كل مخلوق ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٧٥٣٦، ومسلم برقم: ٢٦٥٧.

هدى النبات ، هذه الحبة، جزء منها ينزل إلى أسفل، ليكون عروقاً ، وجزء منها يصعد إلى أعلى؛ ليكون أغصاناً، وأوراقاً، وأزهاراً، وثماراً ، وهدى كل مخلوق إلى ما خلقه له ؛ ليؤدي وظيفته ، ويشهد بوحدانية من خلقه : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس: ٣٥].

فضلا عن أن يخلق ويرزق ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل/ ١٧] .

والله هو الحق وحده ، وأرسل رسله بالحق ، وأنزل كتبه بالحق ، فالشركاء كلهم ليس عندهم نظام حياة ، لا أمر ، ولا نهي ، ولا ثواب ولا عقاب ، بل جميع الشركاء من دون الله يأمرون الإنسان بواسطة الشيطان بأن يتفلت على أوامر الله ، ويخالف أوامر الله ، ويعصي رسل الله ، ليس عندهم نظام حياة ، لا عند الشمس ، ولا عند القمر ، ولا عند الأصنام ، ليس عندهم نظام حياة ، افعل كذا ، ولا تفعل كذا . هذه مخلوقات ، خلقها الله لحكمة ؛ لتدل على وحدانيته ، وتشهد بجلاله وجماله وكماله : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس: ٦٠-٦٢] .

فكيف يتخذ الإنسان مخلوقا يعبده من دون الله! ، اعبد الملك الأعلى ، الملك الحق ، واتبع كتابه الحق ، وأطيع رسوله الحق : ﴿ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس/ ٣٥] .

الأمر أظهر من كل ظاهر ، أظهر من الشمس في ضحاها ، الذي يخلق ويرزق ، ويملك السمع والأبصار ، ويدبر الأمر ، ويحيي ويميت ، هو الحق الذي تجب عبادته ، الحق الذي أنزل الكتاب بالحق ، وأنزل كتابه بالأوامر الشرعية ، وأمرنا بكل خير ، ونهانا عن كل شر ، ووعدنا الوعد الحق ، الجنة لمن أطاعه ، والنار لمن عصاه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

هذا هو الإله العظيم ، وهو الملك الحق ، الذي له ملك السماوات والأرض ، وله ما في السماوات والأرض ، وله غيب السماوات والأرض ، وله الخلق والأمر ، له الخلق إيجادًا ، وله الأمر تدبيراً ، الأمر الكوني على جميع المخلوقات ، والأمر الشرعي على الجن والإنس : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢] .

هذا الإله الحق له أوامر ، كما آمنت به ربا خالقاً رازقاً ؛ لا بد أن أؤمن به إلهًا واحداً، فأحبه ، وأطيع أمره ، وأعبده بما جاء به رسوله ﷺ : ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٤ – ٦٦].

والله ﷻ لا يضل قوماً بعد إذ هداهم، حتى يبين لهم هذا الدين الحق : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة: ١١٥].

الله ﷻ أقام الحجة بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وأعطانا السمع، والبصر، والعقل؛ أدوات للتعرف على الحق، والدين الحق : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف/ ٢٩] .

فلا إله إلا الله هذا الحق ما أوضحه وأبينه : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣٢].

أن أعمل بالدين لنفسي عبادة قاصرة ، وأن أنشر الدين عبادة أعظم منها ، أن أخذ من الدين ؛ أستفيد أنا ، أن أعطي للدين ؛ الدين يكبر ، ويتسع ، وكل ما جاء بسببي، ودخل في الدين، فهو في صحيفتي ، فالدين شيء ، وتوسيع الدين شيء آخر ، الدين هو الحق الذي أتبعه أنا، وأستقيم عليه كما أمرني ربي ، وتوسيع الدين عبادة أكبر نفعاً وثواباً ، فكما ملأ الله الكون بنعمه ، أنا لابد أن أملأه بحمده ، وأنشر الحق الذي جاء به رسوله ﷺ ، حتى تسمع الآذان الحق ، وتعبد الناس الحق ، وتتوجه هذه النفوس

إلى الحق في اليابان ، وفي أمريكا، وفي العالم كله : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

فالخلق خلق الله، يسكنون في أرضه ، ويأكلون من نعمه ، هذا عطاء الربوبية لكل الخلق : ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ ﴾ [الزخرف: ٣٢] .

لكن عطاء الألوهية، الله وكلنا به ، الله وكلنا بالدين الحق ، نعمل به ، وندعو إليه ونتواصى به ، ونصبر على كل شيء في سبيله ، لأن هذه الأمة الله ﷻ اصطفاها واجتباها من بين الأمم ، وكما اجتبى الله الرسل من بين البشر ، اجتبى هذه الأمة من بين الأمم ، وتوجها بأربعة تيجان :

التاج الأول : تاج كنتم خير أمة أخرجت للناس .

والتاج الثاني : تاج هو اجتباكم .

والتاج الثالث : وكذلك جعلناكم أمة وسطًا .

والتاج الرابع : لتكونوا شهداء على الناس .

تشهدون على الناس أنكم بلغتموهم الرسالة ، وأن الأنبياء بلغوا الرسالة ، فهذا الحق ثقيل، يحتاج إلى حمله أن نعيش في الجو الإيماني، حتى نعلم من نعبد؟ ، وهذه العبادة عائد نفعها إلينا ، وإذا كنت أحب لأخي ما أحب لنفسي فلابد أن أوصل له الدين الحق ، واصبر على الأذى في سبيله .

أدعوه أولًا ليدخل كل من كان خارج الدين إلى داخل الدين ، وأعلمه ثانيًا أحكام الطهارة والصلاة والصيام والأحكام الشرعية حتى يعبد الله بصفة الإحسان بأن تكون عبادته صالحة ظاهراً وباطناً ، باطنًا بالإخلاص وهو الخشوع والخضوع لله وحده ، وظاهرًا بأن تكون موافقَة لما جاء به النبي ﷺ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾ [الكهف: ١١٠].

فالمطلوب صبغة البشرية بصبغة الله ، فكما وَكَل الله سبحانه وتعالى السحب بتوزيع المياه في العالم ، ووَكَل الشمس بالإنارة في العالم ، ووَكَل الأرض بالإنبات في

العالم ، كذلك وكلنا نحن بنشر الهداية : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

الدين أمران واجب انفرادي ، وواجب اجتماعي ، الواجب الانفرادي : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٨٢] .

والواجب الاجتماعي : ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر/ ٣] .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

فمن قام بالواجب الانفرادي ، وهو العبادة، وترك الواجب الاجتماعي ، وهو الدعوة ، فسوف يثاب على الواجب ألإنفرادي ، ويحاسب على ترك الواجب الاجتماعي ؛ لأن الله ﷻ لعن بني إسرائيل بسبب ترك العمل الاجتماعي .

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة/ ٧٨-٧٩] .

والواجب علينا أن نأخذ الدين كله ، ونعمل به كله، لننجوا من عذاب الله : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٨٥] .

فالأمر ليس سهلاً أن نحبس الماء عن العطشى هذا ظلم ، وأن نحبس الطعام عن الجائعين ، هذا ظلم ، وأن نحبس الهدى عن الجاهلين الضالين ، هذا أشد ظلماً ، لأن الدين حق لكل إنسان في العالم ، ومن منع غيره حقه فسوف يقتص منه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠] .

الذين تابوا من بعد ما ظلموا ، وبينوا ما كتموا ، وأصلحوا ما أفسدوا : ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة/ ١٦٠] .

لا إله إلا الله ، هذا ترغيب من الله، حتى نتوب إلى الله من ترك هذا الإثم العظيم ؛ لأن الدعوة إلى الله أم الأعمال ، هي الأم التي تنجب الصلاة والصيام ، والزكاة والحج ، والأذكار والأدعية ، وإقامة شرع الله ، والجهاد في سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هي الأم المُنبتة لجميع الأعمال ، كالأرض المنبتة للأشجار والأزهار والثمار .

فبالدعوة يزيد الدين ، ويدخل الناس في دين الله أفواجًا ، وبترك الدعوة ينحسر الدين، ويموت مع صاحبه حتى لا يقال في الأرض الله الله .

حين ذلك تُنقض الكعبة حجرًا حجرا ، ويرفع القرآن من الصدور ، وتستحق الأرض اللعنة، حين لا يُقال في الأرض الله الله ، علينا مسئولية عظيمة ، علينا مسئولية نشر الهداية ، ونشر الحق بأمر الحق جل جلاله : ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ [الشورى: ١٥] .

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي تجب طاعته، لأننا نحن في ملكه ، ونحن عبيده ، وكل عضو من أعضائنا مُسخر في طاعته ، يجب أن نوجهه لطاعة الله .

ومن أعظم أنواع الطاعات بعد الإيمان الدعوة إلى الله ، أن نجتهد على من هو خارج الدين ، ليدخل في الدين ، وأن نعلم من دخل في الدين ، وأن نُحسن إلى من دخل في الدين، ومن لم يدخل في الدين: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

- **والإحسان قسمان :**

الأول : إحسان واجب بأن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، استحضر عظمة الله ورحمته، هو يراك ويراقبك، هو الشهيد الرقيب ، السميع البصير ، فتعبد الله كأنك تراه رغبة ومحبة ، فإن لم تكن تراه وغفلت عنه ، فإنه يراك في خلوتك وجلوتك ، يعلم ظاهرك وباطنك، سرك وجهرك ، فاعبد الله خوفاً منه ، وخشيته له .

الثاني : إحسان مستحب، وهو أن تزيد من الخير والطاعات على ما فرض الله ، من جنس ما فرض الله ، من صلاة وصيام وصدقة وغير ذلك من الأعمال ، تزيد على ما فرض الله ، من جنس ما فرض الله ، ابتغاء وجه الله ، فالتقوى أن تفعل ما أُمرت به ، وتجتنب ما نُهيت عنه ، لكن الإحسان أن تزيد على هذا ، تتبع الفرائض بالنوافل ، وتتبع الواجبات بالسنن ، فتكون في معية الله مع هؤلاء : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾[النحل/ ١٢٨] .

ويحبك الله مع من يحب :﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦﴾ [آل عمران: ٧٦] .

أحسنوا في عبادة الله ، وأحسنوا إلى خلق الله ، هذا هو الدين الحق ، وكل ما سوى الدين الحق باطل: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾[آل عمران/ ٨٥] .

وجميع الشخصيات الموجودة في العالم ليست بشيء أمام الرسل .. الرسل هم الذين جاءوا بالحق ، فقدوتنا هم الرسل فقط ، أشهد أن لا إله إلا الله أخلاصاً ، وأشهد أن محمدًا رسول الله اتباعاً: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام/ ٩٠] .

جميع الشخصيات لا اقتدي بها، إنما اقتدي بالصف الأول وهم الأنبياء والرسل ، أعبد الحق ﷻ ، على ما جاء به رسوله ﷺ ، أتبع النبي ﷺ في نيته وفكره وأقواله وأعماله وأخلاقه ، حتى تكون حياتي مطابقة لحياته ﷺ ، هو الذي أجتهد في المدينة على الأمة، حتى صارت مجتمعًا كالجسد الواحد يحبه الله ﷻ ، وتسابقوا إلى هذا الدين ، واجتهدوا في الأعمال الاجتماعية ، والأعمال الانفرادية ، حتى رضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾[التوبة/ ١٠٠] .

هذا الفوز العظيم هو أن تنجو من النار ، وتفوز بالجنة، ورضوان الله ﷻ ، بعبادة الحق وحده لا شريك له ، فليس سوى الحق إلا الباطل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ

﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج: ٦٢] .

هو سبحانه الملك الحق الذي له ملك السماوات والأرض ، وله ملك الدنيا والآخرة ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي ولا في العالم السفلي ، هو عليم بكل شيء ، محيط بكل شيء ، لا تأخذه سنة ولا نوم .

هذا هو الإله الذي يستحق أن يُعبد ، وأن يُحمد ، وأن يُشكر ، وأن يطاع ، هو سبحان الملك الحق ، ولا معبود بحق سواه ، وكل معبود سواه باطل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾[لقمان: ٢٩ – ٣٠] .

لابد أن نتصل بالحق العلي الأعلى ، العلي في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، له علو الذات ، وله علو الأسماء والصفات ، وله علو القهر ، وله علو الكبرياء والعظمة جل جلاله : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣٢] .

هو سبحانه الملك الحق الذي أنزل الكتاب بالحق ، وأرسل الرسل بالحق ، وحكم خلقه بالحق ، وحكم بينهم بالحق : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الصف/ ٩] .

هل الله سبحانه وتعالى في كل زمان ومكان أظهر الدين كله، ولوكره المشركون ؟ نعم ، الله أظهر دينه الحق على الدين كله ، جميع الأديان الباطلة الله ﷻ أظهر عليها الدين الحق في كل زمان ، وفي كل مكان ، أظهره بالحجج والدلائل ، فكل معبود سوى الله باطل ، ليس عنده شيء ، ليس عنده نظام حياة ، وهو كان معدوماً ثم أوجده الله ، وحين أوجده مَلكه ، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا : ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الفرقان: ٣] .

فكل ما سوى الله هو مخلوق مفعول ، لا يمكن أن يكون فاعلاً : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى

﴿لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

فلابد من إتباع الحق، فمن لم يتبع الحق، فسوف يتبع الباطل ، ويجره الشيطان إلى طاعته ، ثم إلى النار ، ومن يكن الغراب له دليلاً يمر به على جيف الكلاب .

﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ١٢١﴾ [النساء: ١١٩ – ١٢١] .

فالحمد لله الذي منّ علينا بالحق ، وحبب لنا الحق ، والعمل بأحكام الحق جل جلاله ، والحق من أعظم أسماء الله الحسنى ، وإليه تنتهي جميع الأحكام والعلوم قاطبة : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه/ ١١٤] .

ربي زدني علمًا، بمعرفة جلالك وجمالك ، بمعرفة أسمائك وصفاتك ، بمعرفة أوامرك ونواهيك ، بمعرفة وعدك ووعيدك ، بمعرفة ما يجب عليّ من أحكام ، بمعرفة أحكام الله القدرية ، وأحكام الله الكونية ، وأحكام الله الشرعية ، وأحكام الله الجزائية : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه/ ١١٤] .

ربي زدني علمًا، حتى إذا زاد العلم زاد العمل ، وزادت التقوى ، وزادت الخشية لله ، وزاد الحب لله ، وزاد الخوف منه ، والذي يُقبل على الله يَزيده إيماناً وتقوى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد: ١٧] .

إن العلم من العليم ، والرزق من الرزاق ، والخلق من الخالق ، خزائن العلم عند الله ، هو علمني بعد أن كنت جاهلاً ، وهداني بعد أن كنت ضالاً .

وكل علم له بداية، ولكن ليس له نهاية ، وجميع المخلوقات، الله طبعها على العلم والطاعة ، الشمس والقمر ، والنبات ، والحيوان ، وكل مخلوق ، الله جبله على العلم الكامل من أول يوم ، السماوات والأرض ، والشمس والقمر ، والجبال والبحار ، والمياه والنباتات ، كلها سامعة مطيعة لربها وعندها علم بمار يراد منها : ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾ [الأعلى: ١ – ٣] .

الشمس تأتي من المشرق إلى المغرب بأمر الله ، والأرض تنبت، وتطيع الكافر والمؤمن بأمر الله ﷻ ، لكن هذا الإنسان خُلق من حيث خَلقه كإنسان ظلوم ، وجهول، وكفور، ويؤوس ، وقنوط ، وقتور ، ومختال ، وفخور وغيرها، خلق كذلك بشر ينقصه جهله، وحاجته إلى ربه، خُلق على صفات لابد من الجهد عليها ، اجتهدنا على الحديد حتى أخرجنا منه أنواع الصناعات ، واجتهدنا على التراب فأخرجنا منه أنواع المنافع ، ، اجتهدنا على الخشب حتى أخذنا منه أنواع المصنوعات .

وهكذا لابد من الجهد على الإنسان بالتوحيد والإيمان والدعوة ، التأني فيه الصفات التي يحبها الله، فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، فلابد أن نجتهد عليهم، حتى يخرج هذا المعدن النفيس ، حتى يعبد الرب الذي يستحق العبادة ، ويعبد الملك الحق ، ويتوجه إلى الملك الحق جل جلاله ، لابد من الجهد على الناس ، الناس ثروة ، هذه الثروة لابد من الاستفادة منها، واستخراج الطاقة المدفونة فيها ، بأن نوجه السمع والبصر والعقل، وأوقات الناس ، وأموال الناس ، ونسخرها في طاعة الله، لينتقلوا من الشرك إلى التوحيد ، ويخرجوا من الهوى إلى الهدى ، ومما يفنى إلى ما يبقى ، وينتقلوا من معرفة النعمة إلى معرفة المُنعم ، وينتقلوا من الدنيا إلى الآخرة، على أجمل صورة يحبها الله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

والله ﷻ هو الملك الحق ، والحق من أعظم أسماء الله الحسنى ، وإليه تنتهي جميع الأحكام والعلوم قاطبة : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ ﴾ [طه/ ١١٤] .

الله هو الملك الحق الذي عنده خزائن العلم والعلوم ، فكل علم في البشرية من علم إنساني ، أو علم إلهي ، فهو من خزائن الله ﷻ ، والله خلق الإنسان وعلمه : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ﴾ [الرحمن/ ١-٤] .

الرحمن جل جلاله هو خالق كل شيء ، وخزائن كل شيء عنده جل جلاله : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾ [الحجر: ٢١] .

- **وكان عند العرب في الجاهلية ثلاثة أنواع من العلوم :**

أحدهما : علم النبات : يعرفون أنواعه ومواسمه وأماكنه، ليرعوا فيه أنعامهم .
الثاني : علم الحيوان ، يعرفون أنواعه وأسنانه وأجوده، ليتاجروا فيه .
الثالث : علم الأصنام التي زين الشيطان لهم عبادتها، والتجارة فيها .

أما العلوم الإنسانية فكانت لدى الفرس والروم ، فالله ﷻ أرسل النبي ﷺ بالهدى ودين الحق ، ونقلهم من هذه العلوم إلى العلم الإلهي الأعلى ، هذا العلم الأدنى ليس بشيء ، لأنه يربط المخلوق بالمخلوق ، والعلم الإلهي هو العلم الحقيقي ، لأنه يربط المخلوق بالخالق ، فيكبره ويعظمه ، ويسبحه ويقدسه ، ويحمده على نعمه ؛ لأنه هو الذي خلقه ، وأسكنه في ملكه ، وأعطاه طريقة الحياة ، وأثابه على ذلك : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢] .

فالنبي ﷺ بعث في أمة كان عندها ثلاثة أنواع من العلوم الأرضية :
علم النبات .. وعلم الأغنام والإبل والبقر .. وعلم الأصنام من أحجار وأشجار وغيرها .

فجاء النبي ﷺ بالعلم الإلهي إليهم فنقلهم من العلم الأسفل إلى العلم الأعلى ، نقلهم إلى الحق الأعلى الذي جاء به محمد ﷺ :
نقلهم من الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الظلم إلى العدل ، ومن الفرقة إلى الاجتماع ، ومن الضلال إلى الهدى .
هذه خمس جاهليات كان الشيطان يدير بها حياتهم :
شرك.. وجهل.. وظلم.. وفرقة.. وضلالة .

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤] .

ومن جهالاتهم أنهم قد أحلوا ما حرم الله ، وحرموا ما أحل الله : ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

[المائدة/ ١٠٣] .

ومن جهالاتهم التي أضلهم بها ابليس : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦ ﴾[الأنعام: ١٣٦] .

جهالات كفرية ، ومن أحب أن يقرأ في فعل الشيطان بأهل الجاهلية فليقرأ سورة الأنعام: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠ ﴾[الأنعام: ١٤٠] .

فهذا الدين الحق لابد أن ندير به حياتنا ، ونعمل به ، ونوصله البشرية .

فحياة الناس إما نور وإما ظلام ، إما حق وإما باطل ، إما خير وإما شر .

فالإنسان إما يتبع الرحمن، وإما أن يتبع الشيطان : ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦] .

- **وفي الحياة نظامان :**

نظام التعمير .. ونظام التخريب .

نظام التعمير : جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعمرون حياة الناس بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح، وتقوى الله ﷻ ، وهذا يقوم به الأنبياء وأتباعهم .

ونظام التخريب : إفساد ما جاء به الأنبياء ، وصرف الناس عن عبادة الله إلى عبادة غيره ، وشغلهم بالدنيا عن الآخرة ، وعن إتباع الهدى إلى إتباع الهوى ، وهذا يقوم به إبليس وجنوده من شياطين الجن والأنس .

فالحق لابد له من قائم به ، ومن حارس له ، ومن ذابٍ عنه ، ولهذا لابد من الصبر على معرفة الحق ، والعمل بالحق ، والدعوة إلى الحق : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾

[العصر: ١ – ٣] .

الذي يجب علينا أن نحققه في العالم، هو عبادة الحق سبحانه ، فيجب أن نجتهد على قلوب البشرية كلها، حتى يدخل فيها لا إله إلا الله، محمد رسول الله ، عقيدة لا إله إلا الله تستقر في قلوبهم، وعقيدة محمد رسول الله تتزين بها أجسادهم : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

- **قلوب البشرية وأجسادها بحاجة إلى شيئين :**

الأول: لا إله إلا الله لقلوبهم ، حتى لا نعبد إلا الله ، ولا تتوجه إلا لله .

الثاني: أن تزين أجسادها بالسنن التي جاء بها الرسول ﷺ من واجبات وسنن ، وفرائض ونوافل ، فأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

إذا نوينا هذه النية العالمية، حقق الله بنا مراده في هداية خلقه ، ولكن لابد أن نبدأ خطوة الدعوة كما بدأ النبي ﷺ في مكة عندما أنتقل من مكة إلى المدينة ، ومن المدينة خرج أكثر من مائة وخمسين خروجاً ، لنشر دين الله ، والدفاع عن دين الله ، إبراهيم ﷺ خرج من العراق إلى الشام ، إلى مكة، من أجل ذلك ، وهكذا موسى ﷺ جاء من مصر إلى بيت المقدس في الشام، هذا عمل الأنبياء : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

فكل نبي لابد له من الهجرة ، ومن أجل نشر دين الله هاجر كل نبي.

وبسبب الهجرة تأتي الهداية ، لذلك فإن في حياة الأنبياء الهجرة من أجل الله ، والدعوة من أجل الله : ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الصافات: ٩٩] .

في حياة الأنبياء العبادة والدعوة ، ومن أجل الدعوة ، لابد من الهجرة ، حتى ننشر النور في العالم ، ونستبدل الباطل بالحق ، والظلام بالنور : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١].

والنور يحتاج إلى جهد حتى يتولد النور ، لكن الباطل بمجرد ما ينطفئ النور يأتي

الظلام ، فالباطل ينتشر إذا تركنا نشر الحق في العالم ، والحق يحتاج إلى من يحمله ، ويسير به في العالم ، ويتزين به ، ويعلنه في كل مكان : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

والله مَن علينا بأن جعلنا خير أمة أُخرجت الناس ، وأعطانا دين الحق حتى نعمل به، ونبلغه للبشرية : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

فسبحان الملك الحق المبين الذي لا تستطيع العقول الخروج عن حكمه ، العقل محدود في محدود ، أنا محدود ، وعقلي محدود ، وسمعي محدود ، وبصري محدود ، وقدرتي محدودة ، وحياتي محدودة ، محدود في محدود، لا يستطيع فعل شيء إلا بأمر الله الذي له الحكم وحده: ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٦] .

فسبحان الملك الحق الذي لا تستطيع العقول الخروج عن حكمه ، ولا تستطيع الأبدان الخروج عن ملكه ، ولا يستطيع الإنسان أن يخرج عن ملك الملك الحق ، فنحن في ملك الله ، نأكل من نعم الله ، ونسكن في أرضه ، فلابد كما أنعم علينا بهذه النعم المادية أن نشكره ، ونذكر نعمته الروحية وهي الدين، فنشكره ، ونسير على الصراط المستقيم ، لنسير على الصراط بأمان يوم القيامة ، فمن سار على الصراط المستقيم في الدنيا سار على الصراط بسرعة يوم القيامة ، فإن هذا النور يمشي مع المسلم في الدنيا، والآخرة : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦] .

فالأبدان لا تستطيع الخروج عن ملكه وأمره ، هو أرادني ذكراً أو أنثى ، أبيضاً أو أسوداً، لا أستطيع أن أغير هذا الشيء ، كذلك لا أستطيع أن أخرج عن أمره إذا أرادني أن أذهب إلى أي مكان، لا أستطيع أن أمنع نفسي : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ

وَٱلْبَحْرِ﴾[يونس : ٢٢] .
كما يسير الكواكب في السماء يُسير الخلق في الأرض، لكن حسب الشهوة الموجودة في قلبي الله يسيرني ، لا يستطيع أحد أن يعمل طاعة أو معصية إلا بإذن الله ﷻ ، أذن لي فأطعته بفضله ، أذن لي فعصيته بإذنه ، لأنه جعلني مختارًا وجعل غيري مسخرًا : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٢ – ٣] .
فهذا العقل محدود ، فلا يستطيع أن يخرج عن حكم الله ﷻ ؛ لأن قدرته محدودة كالبصر، لا يرى إلا ما أقدره الله عليه ، ولا يعرف إلا ما أذن الله ﷻ بمعرفته ، لأن الله وحده هو عالم الغيب والشهادة ، المحيط علما وقدرة ورؤية بكل شيء ، ومتى رامت العقول والأبدان ذلك سلبها التوفيق ، وعزلها عن مرادها ، وقهرها بأمره ، فأسرعت إلى مراده صاغرة ذليلة :﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .
إذا أراد أن يكون نهاراً يكون نهاراً ، وإذا أراد ليلاً يكون ليلاً ، إذا أرادك مريضاً تكون مريضاً ، وإذا أراد أن تكون متعافي كان ما أراد ، وإذا أراد الأمن جاء الأمن ، وإذا أراد الخوف جاء الخوف وهكذا ، إذا أراد هذا غنياً أو هذا فقيراً كان ما أراد ، ولا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، فهو ﷻ يدبر الأمر في العالم العلوي والعالم السفلي ، قاهر لجميع المخلوقات، كبيرها وصغيرها ، شاهدها وغائبها ، هو الذي يدبر الأمر ، لأنه حي قيوم ، قادر على كل شيء : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤] .
له الخلق والأمر ، ومادام له الخلق والأمر، لابد أن نطيعه ، له الأوامر الكونية في كونه يفعل ما يشاء ، وله الأوامر الشرعية بهذا الدين الحق ، وله الأوامر الجزائية بالوعد والوعيد ، وله الأوامر القدرية في ملكه العظيم، فلا نستطيع أن نرد أمراً قضاه الله ﷻ ، لا راد لقضائه، ولا مُعقب لحكمه : ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾

[الروم: ٤ – ٥] .

وهو سبحانه الحق الذي أظهر بصفاته وأفعاله أنه الحق ، وأودع الحق والتوحيد في قلوب العارفين ، وجعله سفيرًا بينه وبين عباده ، مؤديًا عنه شهادة الحق بأنه الحق جل جلاله : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠] .

والله ﷻ هو الحق الذي أنزل الكتاب بالحق ، ودينه الحق ، أودعه في قلوب عباده ، وجعل مخلوقاته تؤدي شهادة الحق، بأن الله ﷻ هو الملك الحق المبين : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد/ ١٩] .

أولوا الألباب والعقول ، يعلمون أن لهذا الكون رب ، حي ، قيوم ، قادر ، غني ، كريم ، رحيم ، قوي ، قهار ، هذا الملك ملكه ، وهذا الخلق خلقه ، سلطانه عظيم ، وملكه كبير ، له الأوامر فيه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

أما باقي الخلائق فهم عبيد مخاليق .

كل مخلوق منهم من العرش العظيم، حتى أصغر ذرة ، كل مخلوق موسوم بأربع صفات : ضعيف ، فقير ، عاجز ، محتاج .

العرش محتاج إلى الله ليمسكه ، السماوات والأرض محتاجة إلى الله في أمساكها وبقائها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر/ ٤١] .

فكل مخلوق طبعه الحق سبحانه على أربع صفات :

جعله برحمته ضعيفاً، ليستعين بالقوى ، وفقيراً، ليسأل الغني ، وعاجزاً، ليستعين بالقادر ، ومحتاجاً، ليقف بباب الكريم : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فكل أحد محتاج إلى قدرة الله ، ﷻ أقدره فقدر ، ولو سلب عنه القدرة لعاد عاجزاً ، النار سلب الله عنها القدرة على الإحراق، فصارت بردًا وسلامًا على إبراهيم ، والبحر

سلبه الله الإغراق، ففتح الطريق يبساً لموسى ﷺ : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

ومن هذا ملكه ، وهذه قدرته ، هو الحق الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، هو الملك الحق الذي له الخلق والأمر ، وبيده النفع والضر ، وإليه ترجع الأمور : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٣] .

هو الملك الحق المبين، القادر على كل شيء، فلا يعرض عن عبادته إلا جاهل أو مستكبر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار: ٦-٨] .

أنار سبحانه قلوب المؤمنين بالحق، فرأت الحق ، وأحبته ، وعظمته ، وأطاعته، ودعت إليه ، وخرت ساجدة بالحق للحق جل جلاله : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم: ٥٨] .

هذه القلوب لما عرفت الحق ، عرفت الملك الحق ، وعرفت دينه الحق ، وكتابه الحق ، خرت ساجدة لربها ، وأذعنت لعظمته ، وأحبته ، وخرت ساجدة له، لماذا ؟ .

لأنها عرفت من خلقها ورزقها وهداها : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩] .

ولهذا أمر الله ﷻ بتعلم وتعليم العلم الإلهي ، كل يوم نتعلم لا إله إلا الله : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

- **والعلم ثلاثة أقسام :**

علم بالله.. وعلم بأوامر الله.. وعلم بأيام الله .

وهذه لابد منها للإنسان ، لكن العلم الأول هو العلم بالله، معرفة المعبود قبل أن

نتوجه إليه بالعبادة ، والعلم بالآمر قبل أن نعرف أمره ، لابد أن نعرفه أولًا ، ثم نوجه العمل منا إليه بالعبادة ، لأننا إذا عرفناه عبدناه بالمحبة والتعظيم والذل له جل جلاله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

العلم الإلهي يولد الإيمان بالله ، وإذا جاء الإيمان جاءت قوة التقوى ، ثم تحركت هذه الجوارح لطاعة الله ، اللسان ذكرًا وحمدًا ، ودعوةً وتعليمًا ، والجوارح قائمة وراكعة وساجدة، ومتقلبة في أصناف الخير : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج/ ٧٧] .

هذا البدن لله لابد أن نستعمله بطاعة الله ، حسب أمر الله ، لننجوا من عذاب الله : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] .

- **فحركات هذا البدن ثلاثة أقسام :**

الإنسان يتحرك : إما لتحقيق شهوة ، أو طلب رئاسة وشهرة ، أو طاعة لربه جل جلاله ، فالحركات إما شهوة ، أو شهرة ، أو طاعة ، والفلاح فقط في الطاعة لله : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١] .

وقال النبي ﷺ: «**مَن قاتَل لتكونَ كلمةُ الله هي العُليا ، فهو في سبيلِ الله**» متفق عليه [(١)] .

فحركات الإنسان إما شهوة ، أو شهرة ، أو طاعة ، شهوة أو شهرة هاتان للكفار ، أما المؤمن فحركاته كلها طاعة : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥] .

فسبحان الملك الحق ، الكريم الحق ، الذي أرسل رسله بالحق ، ليعُم جميع

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٢٨١٠، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٩٠٤ .

المُكلفين بالحق ، وينير الطريق للسالكين إليه ، ويقطع جدل المتخاصمين فيه ، ويدحض جميع حجج المعتدين في أقوالهم وأعمالهم والمعاندين للحق : ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٢﴾ [الجاثية/ ٢٢] .

الله أنزل الحق، فمن أتبعه فالله ﷻ يسعده في الدنيا ، ويسعده يوم القيامة بالجنة والرضوان ، ومن خالف ذلك، فالله ﷻ يحاسبه على ما عمل جزاء وفاقًا : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمًا ١٧﴾[الفتح: ١٧].

الله أنزل الحق ، وبين الباطل ، ورغب الناس في الحق ، وحذرهم من الباطل ، وترك لهم الخيار : ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ [الكهف: ٢٩ – ٣٠] .

فالله هو الحق الذي أنزل كتابه بالحق ، وأرسل رسله بالحق ، وشرع دينه الحق ، وأمرنا بإتباع الحق ، ونهانا عن إتباع الباطل ، فربنا رحيم ورحمن يريد منا أن نكون في أعلى شيء ، أن نكون في مقام الملائكة ، ويأتي فينا مزاج سمعنا وأطعنا ، ولكن الله ابتلانا بالشهوات الحيوانية، بجانب الأوامر الإلهية ، امتحاناً وابتلاءً ، حتى نترك ما نحب لما يحب هو ، نترك ما نحب نحن من الشهوات إلى ما يحبه هو من الطاعات ، ونترك هوى النفس إلى هدى الرب .

والله سبحانه خلق الدنيا وملأها بمحبوباته هو، من أنواع الطاعات من فرائض ، وواجبات ، وسنن ، ومستحبات: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٧٣﴾ [آل عمران: ٧٣].

وخلق سبحانه الآخرة، وملأها بمحبوباتنا نحن : ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾[السجدة/ ١٧] .

أما في هذه الدنيا من أنواع المآكل والمشارب والنِعَم ، فهذه شهوات معجلة ومحدودة ، وكذا ما فيها من المكاره والمصائب ، فهذه عقوبات معجلة محدودة ،

محدود مأخوذ مما في نعيم الجنة ، ومحدود مأخوذ مما في عذاب النار ، ترغيبًا وإنذارًا لهذا الإنسان ، ليستعد لما أمامه : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف: ٧] .

والله ﷻ هو الملك الحق ، ولما كان من كمال الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، أن يكون له حب وبغض ورضا وسخط ، اقتضى ذلك أن يكون له أمر ونهي ، فما من ملك إلا وله أمر ونهي في مملكته ، ومأمور ومنهي وهو نحن ، فالله ملك يأمر وينهى كما يشاء ، متى شاء ، أينما شاء ، بما شاء .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر/ ٢٣] .

هوسبحانه الملك المالك لكل شيء ، أنا مالك أملك قميصي ، وأملك سيارتي ، وأملك بيتي ، وهوعز وجل الملك الذي يملك المالك وما مَلك ، له مُلك السماوات والأرض ، وله مُلك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب والشهادة: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر: ١٣] .

فمن أراد أن يعيش في القصور الملكية فليتبع الأوامر الملكية الشرعية، في الدنيا ، ليعيش في القصور الملكية يوم القيامة في مقعد صدق عند مليك مقتدر : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٠ – ٢٢] .

نسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، كما جمعنا في هذا المجلس المبارك أن يجمعنا وإياكم يوم القيامة في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

ولما كان لابد من إبلاغ أوامر الملك إلى خلقه من جنسهم ، أرسل الله برحمته الرسل من البشر بالحق ، ولم يرسل ملكاً من الملائكة ، لا نستطيع أن نعمل مثل عمله ، لأنهم صمد لا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا ينامون ، بل أرسل رسولاً من جنسنا، نقتدي به فيما جاء فيه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

لما كان لابد من إبلاغ أوامر الملك إلى خلقه من جنسهم أرسل الله برحمته الرسل بالحق ، وأنزل الكتب بالحق ، فمن قَبِل الحق أحبه الحق ، واستعمله فيما يحبه ويرضاه ، وأظهره على من عاداه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[التوبة/ ٣٣] .

جميع الأديان الأرضية باطلة ، والحق هو الظاهر فوق جميع الأديان ، لأن حججه البينة ، وبراهينه الساطعة ، ظاهرة ظهورًا قويًا ، ودين جميع الأنبياء واحد هو الإسلام، وكل ما سوى دين الإسلام فهو باطل : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران/ ٨٥] .

ومن رد الحق ، أبغضه الحق سبحانه وخذله ، فاستعمله الشيطان فيما يبغضه الحق ويكرهه ، فأحبط الله عمله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾[محمد/ ٢٨] .

وكان من تمام الحكمة ، والحكم بالحق ، أن يثيب الله المحسن ، ويعاقب المسيء كما قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾[النجم: ٣١] .

فانظر وتفكر في إحسان الملك الحق إلى بني آدم ، وإكرامهم بأنواع الكرامات .

فالسماوات والأرض ظروف ، وأعظم مخلوق في هذه الظروف هو الإنسان الذي خلقه الله بيده ، فالسموات محيطة بالأرض ، هذه ظروف ، والظرف أكبر من المظروف وأعظم مخلوق في هذا الظرف هو الإنسان ، هذا الظرف العظيم ، هذا الظرف الكبير ، في داخله الإنسان المكرم ، وأغلى ما في الظرف هو الإنسان : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء: ٧٠] .

فسبحان الملك الحق القادر على كل شيء .

هناك ظرف كبير ومظروف عظيم ، فالمظروف هو جميع المخلوقات مظروفة داخل هذا الظرف الكبير الواسع ، السماوات شيء ، والأرض شيء ، وما فيهما شيء آخر ، ما في باطنهما وما فوقهما وما تحتهما شيء آخر ، فأغلى مخلوق من هذه

المخلوقات هو من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسجد له ملائكته .

هذا المظروف مهم ، دائمًا نضع المظروف في باطن الظرف ، وعادة الظرف قيمته أقل من المظروف ، فهذا المظروف لأهميته نضعه في خزانة محكمة ، كذلك الإنسان خلقه الله ، وخلق السماوات والأرض وجعلهما ظرف له ، يتنعم بما فيهما ، ويتفكر في عظمة من خلقهما ، ويشكر من سخر له ما فيهما : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤] .

هذا المظروف جعله الملك الحق في الأرض ، وأنزل له الدين الحق ، وأمره أن يعمل بالحق ، وأن يدعوا إلى الحق: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦] .

الله ﷻ جعلنا في هذا الظرف ، وأعطانا فرصة الحياة إلى أجل مسمى ، بداية الحياة بيده ، والموت بيده ، وما بين القوسين هو حياتنا ، هذه الحياة المحدودة مطلوب أن نعمل بها كما عمل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، الذين جاءوا بالدين الحق ، وهذا الدين الحق جاء به محمد ﷺ في أكمل صورته : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣] .

ولهذا كانت حياة النبي ﷺ ثلاثة أقسام :

طريقة حياة.. وفرائض حياة.. ومقصد حياة

طريقة الحياة : هي أن نربط جميع الحركات بما جاء عن الله ورسوله ﷺ من أحكام : ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٨] .

وفرائض حياة : أن نلتزم بأداء الفرائض الواجبة كالصلوات الخمس ، وصيام رمضان ، والزكاة الواجبة علينا ، وبر الوالدين ، والعدل والإحسان ، وغير ذلك من

الواجبات والفرائض : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

ومقصد حياة : مقصد حياة المسلم هو الدعوة إلى الله ، بتحقيق عشرة أمور : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤٥ – ٤٨] .

وقال ﷻ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

مقصد حياة المسلم ، هو الدعوة إلى الله التي تأتي بالناس ليعبدوا الله ، فالداعي يدعو الناس ليعبدوا الله ، والعالم يُعلِم الناس كيف يعبدون الله ، ومن رزقه الله هذا وهذا فقد حاز المجد من أطرافه ، وصار نائبًا عن النبي ﷺ بكل ما جاء به : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

فكل ما أمر الله ورسوله به ، وكل ما أحبه الله ورسوله ، فهو الحق ، وثوابه الجنة ورضوان الله ﷻ .

وكل ما نهى الله ورسوله عنه ، وكل ما أبغض الله ورسوله ، فهو الباطل وجزاؤه النار .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾ [النساء/ ١٧٠] .

فالله ﷻ أرسل الرسول ﷺ بالحق ، والمطلوب أن نعرف الحق ، و أن نعمل بالحق ، وأن ندعوا إلى الحق ، حتى ننجو من غضب الله ، ونفوز برضوان الله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

فالدين حاجتنا ، والدعوة مسؤليتنا : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ

ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] .

وليعلم المسلم أن كل طاعة يعملها العبد من الرحمن وكل معصية من النفس والشيطان : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء/ ٧٩] .

لأن الله هو الذي خلقني ، وهداني ، ويسر لي أداء الطاعة ، وحببها لي ، وضاعف لي الأجر عليها ، ورغبني فيها ، ويثيبني عليها يوم القيامة الحسنة بعشر أمثالها .

﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

والله أعطاني الاختيار أن أطيع أو أعصي ، أو أؤمن أو أكفر ، والنفس تريد من الإنسان أن يحقق لها شهواتها ، والله يريد من العبد أن يكمل أوامره ، والحرب سجال ، وهذا محل الابتلاء : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣] .

فما أعظم رحمة الله بعباده أرسل الرسول الملكي الذي هو جبريل يأتي بالوحي من الله للرسول البشري الذي هو محمد عليه الصلاة والسلام ، والرسول البشري يبلغه للناس قولًا وعملًا وتخلقًا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

وإذا بلغ الرسول الدين للناس فيجب عليهم أن يعملوا به ويبلغوه للناس ، ليكون الدين كله لله : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

فالله ﷻ يعلم أهل الجنة من أهل النار ، ولكنه أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، لإقامة الحُجة ، ليعلم من يؤمن ومن يكفر ، ولإظهار ما علمه في صورة عمل من الإنسان ، والله عليم بما سيحصل من البشرية ، علم انكشاف ، لا علم إجبار : ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج: ٧٠].

فالله يعلم أن فلاناً يولد ، ويعيش مسلمًا ، وفلاناً يولد ، ويعيش كافرًا ، يُدعى إلى الإسلام ولكن لا يستجيب ، والله ﷻ علمه علم انكشاف لا علم إجبار ، لأنه لا يأمر

بشيء ويجبر عليه ، بل أعطانا الاختيار فقال : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

ما أمرنا بالطاعة إلا ونحن قادرون على المعصية ، فلا يُطاع إلا بإذنه ، ولا يُعصى إلا بعلمه ، ولكن الله لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ؛ لأنه هو الملك الحق الغني عن كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد في خلقه ، وقوته ، وبقائه، وحياته ، وموته ، ولا يترك عبادة الحق سبحانه إلى عبادة ما سواه إلا أعمى القلب ، سفيه العقل : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٠ – ١٣١].

والخالق الهادي هو الذي يستحق العبادة: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس/ ٣٥] .

الحق الذي يهدي إلى الحق هو الأحق أن يُتبع ، أما من ليس له أمر ولا نهي ، ولا عنده ثواب ولا عقاب ، كالأصنام من أحجار وأشجار ، زين الشيطان للناس عبادتها ، وهي لا تعلم بمن يعبدها ، وعبدها السفهاء ، لأنها لا تأمر ولا تنهى ، والشياطين تدعوا الناس إلى الشرك والمعاصي عندها ، وتكلم الناس ، والجاهلون يظنون أنها هي التي تكلمهم : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس: ٦٠ – ٦٢].

واعلم أن كل طاعة ومعصية ، وكل خير وشر ، وكل حق وباطل ، كل ذلك لا يقع من العباد إلا بإذن الله ، ومشيئته ، وعلمه ، فكل ما يجري في هذا الكون من الحركات والسكنات ، والأقوال والأفعال ، والخلائق كلها لا يمكن أن تكون إلا بإذن الله ﷻ ، لا يقع من العباد حركة ، ولا عمل ، ولا طاعة ، ولا معصية ، ولا خير ، ولا شر ، إلا بإذن الله ومشيئته ، لأنه لا يقع في ملكه شيء بغير إذنه وعلمه ، لكن الله أمر بالإيمان والطاعات ، ونهى عن الكفر والمعاصي .

ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبدًا ، من الكفر والكفار ، والفسوق والعصيان ، والطاعات والمعاصي ، والظلم والإحسان ، كل ما أذن الله فيه يقع لكن ليس هذا بأمره وإنما بإذنه ؛ لأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد ، لكن الله ﷻ يحب الحق والخير والطاعات ويأمر بذلك ويرضى به ، ويكره الباطل والشر والمعاصي وينهى عنه ولا يرضاه .

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٨] .

لكنه أذنَ فوقعت تلك الفواحش ، وسوف يحاسب من فعلها ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية: ٢٥ – ٢٦] .

فالله لا يأمر بالحسن والأحسن : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٩-٣٠] .

هو جل جلاله الملك الحق الذي لا يقع في ملكه إلا ما يشاؤه ويأذن به ، وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي ، خاضعة لأمره ، مسبحة بحمده ، شاهدة بوحدانيته ، مستجيبة لمشيئته ، مُسرعة إلى إرادته ، متصاغرة لكبريائه : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

الله ﷻ هو الواحد القهار ، وهذان الاسمان متلازمان ما دام قهاراً لابد أن يكون واحداً ، وما دام واحداً فلابد أن يكون قهاراً : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤].

والله غني عن العباد وأعمالهم ، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه : ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٧] .

والرسل والكتب تبين للناس هذا وهذا ، تبين طريق الخير من طريق الشر ، تبين طريق

الخير وتُرغب فيه ، وتبين الثواب عليه ، وتبين طريق الشر ، وتحذر منه ، وتبين العقاب عليه ، والناس بالخيار : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٩] .

فمشيئة العبد في داخل مشيئة الله ، الله ﷻ إذا أراد شيئاً يكون ، وإذا لم يرد شيئاً لا يكون ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً ، الله ﷻ شاء كفر أبي جهل وأبي لهب ، وشاء إيمان محمد ﷺ وإيمان المؤمنين ، كفر الكافر أذن الله به كونًا ، ولم يأمر به شرعًا ، إيمان الأنبياء والمؤمنين أراده الله كونًا ، وأراده الله شرعًا ، فكان كونًا وكان شرعًا .

أما إيمان الكافر فأذن الله به كونًا ، ولم يأمر به شرعًا ، بل الذي خرج من الفطرة و خرج من التوحيد إلى الشرك هو الإنسان وسيعاقب على اختياره ؛ لأن الله أعطاه حرية الاختيار ، فجاء الشيطان واستغل هذا الاختيار ، وزين له الحياة الدنيا ، وزين له تقديم الهوى على الهدى ، فاتبع هواه ، وترك هدي ربه : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص/ ٥٠] .

والثواب والعقاب بحسب الاختيار : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف ٢٩–٣٠] .

الإنسان هو الذي يختار ، الله بَيَن الحق ورغب فيه ، وبين الباطل وحذر منه ، والإنسان يختار ما شاء : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ١ – ٣] .

هذا الإنسان هو الذي يختار ن ويُميز بين البدائل ، ولذلك العقل وظيفته التمييز بين البدائل ، التمييز بين الحق والباطل ، التمييز بين الخير والشر ، بين ما ينفع وبين ما يضر ثم يختار الأحسن فطرة : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ

ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠] .

وكل إنسان عنده عقل يجلب به ما ينفعه ، ويدفع به ما يضره ، ولكن هناك نفع وخير يأتي من طبيعة الإنسان ، وهناك خير يأتي به الحق ﷻ ، فالإنسان بعلمه المحدود يعلم أن هذا الطريق طريق خير وأنه يجلب له خيرات ، لكن الله ﷻ أعلم منه دله على ما ينفعه في الدنيا والآخرة وهو الدين الحق ، فالإنسان بعقله لا يمكن أن يعمل إلا ما يُحب وما يجلب له الخير ، لكن هذا خير أدنى ، والخير الأعلى من العلي الأعلى ، الخير الذي يمتد معي من الدنيا إلى الآخرة هو الدين ، والخير الذي يبقى معي في الدنيا هو شهوات النفس ، أن أتحصل على المال ، وإذا جاء المال اشتريت به ما أحبه من شهوات النفس ، هذا اختيار الإنسان بعقله وفطرته ، فكل إنسان له عقل ، ولكنه عقل بعيد عن الوحي ، عقل يَستَحسِن ، والعقل محدود ، بدون الهدى ، بدون الإيمان .

هذا العقل يَستَحسِن العاجلة ، ويعمل للعاجلة ، ويقضي وقته في كسب المال الذي يحصله بالشهوات ، ويُذهب طيباته في الحياة الدنيا معرضاً عن دين الله : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٠] .

أما الله ﷻ فوجهنا للدين الحق ، وأمرنا بالدين الحق الذي يحقق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة ، هو الحق الذي بين الحق ، ورغب فيه ، ولم يجبر أحداً عليه : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾

[الإسراء: ١٨ – ٢١] .

فسبحان الملك الحق والإله الحق الذي ملأ أركان الوجود كلها بعظمته وجلاله ، ورحمته وإحسانه ، وكرمه وعطائه ، ما ترى في الكون من السماوات والأرض

والجبال والبحار والأنهار والنباتات إلا ويأتي في قلبك عظمة الله وجلاله ، وكبرياؤه وجبروته ، ويأتي في قلبك عظمة رحمته ولطفه بعباده ، وتودده إليهم ، تأتي في قلبي أينما قلبت بصري صفات الجلال ، وصفات الجمال ، لربي جل جلاله : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [ق: ٦ – ١١].

أعبده تعظيمًا له بصفات الجلال ، وأعبده محبة له بصفات الجمال ؛ لأنه يطعمني ويسقيني وهو الذي مَنّ عليّ بالنعم التي لا تُعد ولا تُحصى ، وأعطاني قوت الأبدان وقوت القلوب ، استضافني في بطن أمي ، ويستضيفني في الدنيا ، ويستضيفني يوم القيامة في جنات النعيم إن أمنت به : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

هو جل جلاله الذي ملأ أركان الوجود بعظمته وجلاله ، ورحمته وإحسانه ، ولطفه وبره ، وشمل أقطار الكون كلها بحكمته وقدرته وعلمه ، وقهر جميع المخلوقات على طاعته وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

جميع المخلوقات مُسخرة في طاعة الحق إلا الإنسان ذراته وأعضاؤه طائعة ، فالجوارح تطيع إذا أمرها المؤمن وتحمد الله ﷻ ، وتحمد هذا الإنسان الذي استعملها فيما خلقت له ، وجوارح وأعضاء وذرات الكافر طائعة ومسبحة بحمد ربها، لكنها تطيع الكافر في معصية الله وتلعنه ، تسبح بحمد ربها ، وتلعن من صرفها في غير طاعة مولاها : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة: ١].

فذرات الكافر مؤمنة ، وذرات المؤمن مؤمنة ، لكن ذرات المؤمن تطيع الله ، وتحمد صاحبها على أن استعملها في طاعة الله ، وتحمد ربها ، وتسبح بحمده .

وذرات الكافر تطيع صاحبها وتلعنه ، وتحمد ربها وتسبح بحمده جل جلاله .

فسبحان الحق الذي هذا خلقه ، وهذه عظمته ، وهذه رحمته ، وهذه حكمته : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج/ ٦٢] .

هو العلي الأعلى فوق خلقه ، العالي بذاته ، وأسمائه وصفاته وأفعاله ، هو العلي الكبير الذي لا أكبر منه جل جلاله .

هو سبحانه الملك الحق الديان الذي يجازي عباده بما عملوه من الحسنات والسيئات ، فما أحسن من مسلم أو كافر إلا وقع أجره على الله في الدنيا أو في الآخرة ، وما أساء من مسلم أو كافر إلا جزاه ربه بما أساء : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء/ ١٢٣-١٢٤] .

فالأعمال الصالحة يجب أن تنبت على أرض طيبة ، هذه المساحة هي الإيمان الموجود في القلب ، إذا غرسنا الأعمال على قلب مملوء بالإيمان صار لها قيمة ، وصارت مقبولة ، أما أعمال بدون إيمان ، أو إيمان بدون أعمال فلا يُقبل : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧] .

الأعمال بدون الإيمان كحساب بدون رصيد ، تضع البطاقة في الصرافة وليس هناك رصيد لا تأخذ شيئاً ، لكن إذا كان الرصيد موجوداً تُدخل البطاقة وتخرج ما شئت من المال ، كذلك الإنسان إذا كان مؤمناً تُقبل الأعمال منه ، وإذا فيه أعمال بدون إيمان لا تُقبل ، أو إيمان بدون أعمال لا يُقبل ، فلابد من الإيمان المقرون بالعمل الصالح : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٧٧] .

فالإيمان قول وعمل ، قول باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان ، كل هذه الأمور متلازمة ، القلب يعتقد ، واللسان ينطق ، والجوارح تعمل بما يحبه الله ،

وتجتنب ما نهى الله ﷻ عنه .

فأعمل ما شئت كما تدين تدان : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٠] .

وكل شيء له ثمن ، وكل عمل له جزاء ، وكل حسنة لها ثواب ، وكل سيئة لها عقاب : ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت/ ٤٦] .

فسبحان الملك الحق الديان الذي يجازي بكل عمل ، ولا يضيع عنده عمل ، ولا يظلم عنده أحد : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠] .

فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فالعطاء العام الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف مضاعفة هذا عطاء عام ، ولكن فوق هذا العطاء الخاص من الرب من دون عمل العبد : ﴿ وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء/ ٤٠] .

هذا من لدنه عطاء لا يدخل الحساب والموازين ، وإنما هو عطاء للخواص من خلقه كالأنبياء والمؤمنين ، عطاء من الرب الكريم جل جلاله : ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: ٤٠].

وهو سبحانه الملك الحق الكريم الذي يحب من عباده أن يطيعوه ولهذا يضاعف لهم الحسنات : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وهو سبحانه الملك الحق الديان مالك يوم الدين ، مالك يوم الحساب والجزاء على الأعمال ، وله الحمد على العدل والرحمة والإحسان ، الحمد لله رب العالمين أعطاني خيراً ، ومنع عني شرًا ، أنعم علي ، وأنعم على غيري ، خلقني في أحسن تقويم ، وهداني إلى صراطه المستقيم ، وحبب إلي الطاعات ، وأثابني عليها ، وضاعف لي الأجر ، فلله الحمد والشكر : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤] .

هو الرحمن الرحيم صفة جمال ، مالك يوم الدين صفة جلال ،فأنا أحب الله وأعبده ، لأني أعلم صفات جلاله وجماله ، وأخافه وأخشاه ، لأنه مالك يوم الدين ، الذي سيحاسب الناس ، وهو سبحانه الحق الديان الذي يجازي كلًا بعمله ، ويقتص للمظلوم من الظالم ، ومن السيد لعبده ، ومن القوي للضعيف ، متى ؟ يوم القيامة .

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾[الفرقان/ ٢٦] .

وإذا حكم الله يوم القيامة فلا ظلم ، ولا جور ، ولا تأخير : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾[غافر/ ١٧] .

كما يرزقهم في ساعة واحدة ، يحاسبهم في ساعة واحدة .

سبحان الملك الحق الذي أحصى جميع أعمال عباده ، ثم يحكم الديان بينهم يوم القيامة بالعدل بالنسبة للسيئات ، والإحسان بالنسبة للحسنات ، ويوفيهم جميعًا أجورهم ، ويزيدهم من فضله : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ٣٠] .

وهذا قريب جدًا ، فمن مات فقد قامت قيامته ، والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا واستيقضوا على الإيمان والأعمال الصالحة ، أو على الكفر والأعمال السيئة : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠] .

إذا ماتوا انتبهوا حين ذلك لا ينفع الندم ، لكن يجب أن ينتبه الإنسان اليوم وينظر إلى المطلوب منه في حياته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الحشر/ ١٨] .

في الدنيا هو الملك يُملِّك من يشاء من عباده البلاد والأموال والأشياء : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[آل عمران: ٢٦] .

هو الملك الحق الذي قسم بعض ملكه بين الملوك ، وابتلاهم بهذا الملك ، كما ابتلى الغني بالمال ، وابتلى الفقير بالفقر ، وابتلى القوي بالقوة ، وابتلى الضعيف

بالضعف ، فالناس في ابتلاءات متعددة ، الله ابتلى الأغنياء بالفقراء ، والفقراء بالأغنياء ، وابتلى الحكام بالمحكومين ، والمحكومين بالحكام ، كلها ابتلاءات من واحد لواحد ، لكن الملك لله يوم القيامة ، يوم القيامة يكون جميع الملوك والعبيد وما يملكون عبيداً للملك الحق ، ولكن في الدنيا أعطاهم العطايا ، واستعمل من شاء فيما شاء ، وهو ﷻ يراهم ويرى أعمالهم ، ثم يحاسبهم يوم القيامة .

هو سبحانه الملك الحق الذي يضع الموازين يوم القيامة إظهاراً لعدله بين خلقه.

سبحان الله ، الله يُحكم يوم القيامة حجراً ، لأن الحجر ليس له هوى ، والملائكة مخلوقات ، والإنس والجن من المخاليق ، فهؤلاء لكل واحد هواه مثلًا ، لكن الله يجعل للحكم بين جميع الناس ميزاناً رحمة منه لخلقه ، ترى فيه الناس الحسنات والسيئات : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/٦-٨] .

وقال ﷻ في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ الله ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ**» أخرجه مسلم(١) .

فالناس ستوضع لهم الموازين ، فتوزن الحسنات والسيئات ، ويوزن العامل وعمله ، إظهاراً لكمال عدل الله بين خلقه : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٤٧] .

فمن رجحت حسناته بسيئاته نجا ، ومن رجحت سيئاته بحسناته خسر ، ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو محل مغفرة الله : ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨ – ٩].

واعلم رحمك الله أن الديان الحق سوف يحاسبك على جميع أعمالك ، فحاسب

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

نفسك في الدنيا ما دمت تستطيع ، فأنت في دار المهلة والعمل ، قبل أن تموت ، وترى العمل ولا تستطيع التوبة والندم والرجعة : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون: ١٠-١١] .

فالدنيا دار الإيمان والعمل، والآخرة دار الثواب والعقاب : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[آل عمران/ ١٠٦-١٠٧] .

والله ﷻ هو الملك الحق ، الذي يحق الحق ، ويبطل الباطل ، ويحكم بين عباده بالعدل والإحسان ، ويأمرهم بالعدل والإحسان والفضائل ، وينهاهم عن الظلم والبغي والرذائل : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل/ ٩٠] .

هو سبحانه الحق الذي لا أعدل منه ، ولا أقسط منه ، هو الذي عدل في حكمه وأمره وأحسن في ثوابه وعقابه ، الذي يأمر بالقسط ويحب أهله كما قال سبحانه : ﴿ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجرات/ ٩] .

فتبارك الله رب العالمين الذي ما من شيء خلقه إلا وهو موزون بميزان العدل والقسط ، وتعالى الله عن الإهمال والمجازفة ، وتنزه عن الحيف والجور : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء/ ٤٠] .

واعلم أن كل شيء في خزائن الحق سبحانه وتعالى موزون بقدر في نوعيته وكميته ، ومكانه وزمانه ، وصورته .

كل شيء في خزائن الله موزونٌ بخمسة أمور : نوعيته ، وكميته ، ومكانه ، وزمانه ، وصورته : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١] .

الله ﷻ هو الحق الذي عدل في جميع أفعاله ، وعدل في جميع أحكامه ، فهو الحق ، وقوله الحق ، وفعله الحق ، ودينه الحق ، يبسط ويقبض ، ويُعطي ويمنع ، ويرفع

ويخفض ، ويعز ويذل ، ويقدم ويؤخر ، ويُكرم ويهُين ، ويحيي ويميت ، ويهدي ويضل ، ويعافي ويبتلي : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

هو الحق الذي لو عذب أهل السماوات والأرضين كان ذلك بحكم العدل ، لأنهم عبيده يفعل بهم ما يشاء ، ولو أنه نَعّم أهل السماوات والأرض كان ذلك من حكم الإحسان والفضل : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٦] .

فسبحان الملك الحق المبين الذي كل ما نراه وما لا نراه من مخلوقاته فهو الحق ، وكيفما كان فعله فهو الحكمة ، وكيفما صرف حكمه وتدبيره فهو العدل والإحسان ، والحكمة والرحمة : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ٧٣] .

فافهم الحق ، فإن لم تفهم فابكى على الجهل ، واستغفر لذنبك حتى يفهمك من منعك أن تفهم فأفهم وقل ربي زدني علمًا .

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٥ – ٤٦] .

فأقبل على الله يُقبل الله عليك ، وتقرب إليه يتقرب الله إليك أكثر ، وأذكر الله ﷻ يذكرك ، وقل ربي زدني علمًا ، فالعلم بالله وأسماءه وصفاته وأفعاله من أعظم العلوم وأشرفها : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

الله ﷻ هو الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨] .

وربنا ﷻ أمرنا أن نعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، كي نعبده بموجب هذه الأسماء .

فالله ﷻ خلق جميع المخلوقات بأمره الكوني ، وخلق هذا الإنسان بيده ، لأنه يريد

من هذا الإنسان أن يكون في الدنيا خليفة في الأرض ، يستقبل الوحي الإلهي ، ويمتثل أمر الله ، ويحقق أعلى أنواع الطاعة لربه ﷻ ، ويتحلى بأحسن الصفات اختياريًا لا إجباريًا : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٩] .

والله ﷻ هو الملك الحق الذي له ملك السماوات والأرض ، هو الملك الذي له ما في السماوات وما في الأرض ، هو الملك الذي له غيب السموات والأرض .

فأعظم المخلوقات وأوسعها بعد العرش والكرسي ، هذه السموات العظيمة ، وتلك الأرض العظيمة : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: ٥٧] .

السموات والأرض ظروف كبيرة في داخلها مظروف ، هذا المظروف هو الإنسان ، هذا الإنسان من حيث خلقه ظلومٌ ، جهولٌ ، يئوسٌ ، قنوط ، مطبوع على الصفات الجمادية والحيوانية ، لكن بالجهد عليه تتغير هذه الصفات إلى الصفات الحسنى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٣٥] .

وأهل هذه الصفات هم الذين اشتراهم الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١١١ – ١١٢] .

ومن رزقه الله هذه الصفات عبد الله كما أمره ، ورضي الله عنه كما وعده ، فالله ﷻ هو الملك الحق ، وهو مالك هذا الكون العظيم ، فيجب أولًا أن نعرف الملك الحق ، ثم نعرف أمره الحق وكتابه الحق ، ونعرف رسله الحق الذين أرسلهم الله ﷻ بالحق .

فالله ﷻ يريد أن يحق الحق ، ويبطل الباطل ، فالله ﷻ خلق هذا الكون وأصلحه ،

والفساد الذي ينشأ فيه بسبب الإنسان ، الذي أعطاه الله فرصة الاختيار ، يختار أن يؤمن أو يكفر ، أو يطيع أو يعصي ، أو يصلح أو يفسد : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] .

أما المخلوقات الأخرى فكلها صالحة ، الفساد إنما يأتي في هذا الكون من حيث اختيار الإنسان ، وتقديمه الهوى على الهدى ، فالله خلق السموات والأرض ، وخلق الجمادات والنباتات والحيوانات ، وخلق كل شيء ، وأتقن صنعه جل جلاله: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل: ٨٨] .

هذا الإنسان إن سار على طريقة الأنبياء والرسل صلح وأصلح ، وان خالف هديهم فسد وأفسد ، فالكون يعمر بالهدى ، ويفسد بالهوى .

فالهدى يقوم به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، يجتهدون على قلوب الناس لتؤمن بالله ، وتشهد أنه لا إله إلا الله ، ويجتهدون على أبدانهم لتتزين جوارحهم بالأقوال والأعمال الصالحة التي يحبها الله ، والأخلاق العالية التي تميزهم عما سواهم من الشياطين والسباع والحيوانات وغيرها : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف: ٩].

فإتباع الهوى ضد إتباع الهدى ، فنجد مقابل الليل النهار ، ومقابل الحق الباطل ، ومقابل الخير الشر ، ومقابل الهدى الهوى فالأنبياء الله ﷻ أرسلهم ليدلوا الناس على الحق ، ويرغبونهم في الخير ، ويأمرونهم بإتباع الهدى وترك الهوى ، ويدعونهم إلى عبادة الله وحده : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦] .

وهذه الأمة ربها نور ، وكتابها نور ، ورسولها نور ، ودينها نور : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦] .

فالله نور السموات والأرض ، أكرم خلقه بنورين :

الأول: نور حسي ، هذا النور العظيم منة من الله علينا ، أن نرى بأبصارنا ما في طريقنا وما حولنا حتى لا نقع في الحفر ، ونقضي مصالحنا ، ونجتنب ما يضرنا عن طريق هذا النور الحسي .

الثاني : نور إيماني ، وهو نور القلب ، هو الذي ينقلنا من عالم المخلوق إلى عالم الخالق ، وينقلنا من عالم الصور إلى المصور جل جلاله ، ومن عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، ومن عالم الدنيا إلى عالم الآخرة ، ومن عالم السنن الكونية إلى رؤية القدرة الإلهية : ﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) ﴾ [الأنعام/ ١٠٤] .

فإذا عمى البصر، وعميت البصيرة ، صار الإنسان أضل من الأنعام : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

والعاقل من أعطى كل وقته لمعرفة من يعبد ، وعبده بموجب هذه المعرفة : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) ﴾ [الحج: ٤٦] .

البصر الحسي أرى به المخلوقات الحسية ، والبصر القلبي الذي هو البصيرة تعرفني بالخالق والمخلوق ، وبالصور والمصور ، وبالدنيا والآخرة ، ويأتي العقل ويميز بين البدائل ، يرى أن الدنيا فانية ، والآخرة باقية ، فيقبل على عمارة الآخرة ، ويأخذ من الدنيا بقدر الحاجة ، ويعطي للدين بقدر الطاقة : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾ [القصص: ٧٧] .

الحق جل جلاله يريد منا أن نعرف الحق حتى نترك كل ما سواه ، وكل ما سوى الله من المعبودات باطل ، الله هو المعبود بحق ، هو الحق ، المعبود بالحق ، الذي رسله حق ، وكتبه حق ، ووعده حق ، هو المعبود بحق ، وما سواه معبود بباطل : ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢) ﴾ [يونس: ٣٢] .

الله ﷻ خلق الإنسان محتاجاً إلى غيره ، فهو أما عابد لهواه ، أو عابد لمولاه ، الإنسان

إما عابد لله ، أو عابد لعبد الله ، وكل ما سوى الله عبد لله بقهر الربوبية .
والله هو الواحد القهار الذي خلق السموات والأرض، وخلق ما فيهن من مخلوقات .
الواحد القهار قهرها على ما يريد ، الله يريد سماءً تكون سماء ، يريد أرضاً تكون أرضاً ، يريد ليلاً يكون ليلاً ، يريد هذا ذكراً ، وهذا أنثى ، هذا أبيضاً ، وهذا أسوداً فيكون ما أراد ، هذا قهر الربوبية ، وقهر الربوبية ملازم له عطاء الربوبية ، فالله خلق الخلق جميعًا المؤمن ، والكافر ، والإنسان ، والحيوان ، وتكفل بأرزاقهم ، هيأ السكن قبل أن يأتي الساكن إلى هذه الأرض .
ملأ ها الحق بالأرزاق والهواء العام الذي يستنشق منه كل إنسان ، والماء الذي يشرب منه كل إنسان وحيوان ونبات ، وبلاد مستقرة ، وما على الأرض من المائدة المستديرة التي يجلس عليها جميع الخلائق من الحيوانات ومن البشر : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾ [هود: ٦] .
هذا عطاء الربوبية ، لأن الله خلق الخلق ، واستدعاهم للحياة ، فلابد أن يؤمن لهم أرزاقهم ، هذا عطاء عظيم لجميع الخلائق ؛ لأن الملك ملكه ، والخلق خلقه ، فلابد أن يرزقهم من الطعام والشراب ما يكفل الحياة .
وهناك نعمة أخرى أعظم هي عطاء الألوهية ، وهي الدين الكامل : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ۝٣﴾[المائدة/ ٣] .
فلله الحمد على عطاء الربوبية ، وعطاء الألوهية : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل: ٥٣].
عطاء الألوهية لكل الخلق ، وعطاء الربوبية لكل الخلق ، لكن أكثر الخلق قبل عطاء الربوبية ، وتنعم به ، وترك أو أعرض عن عطاء الألوهية ، فكفر بالله ، واتبع هواه : ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٠﴾ [القصص: ٥٠] .
ومن عرف عطاء الربوبية العظيم ، وعرف عطاء الألوهية الكبير ، آمن بالله رباً ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ رسولا : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ

﴿ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .
عطاء الألوهية هو الذي يربط المخلوق بخالقه فيؤمن به ويعبده ، ويربط المخلوق بأعلى المخلوقات وأعظمها طاعة لله وهم الملائكة ، ويربط المخلوق بالمخلوق دعوة وتعاملًا وسلوكًا ، ويربط المخلوق بكتاب ربه ، وبالرسل والأنبياء : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٢] .
هذا هو الملك الحق الذي شرعه كله حق ، وكتبه كلها حق ، فيجب علينا الإيمان به وطاعته .
ربنا جل جلاله يريد منا أن نكون في أعلى درجات الكمال الإنساني في الدنيا ، وذلك يتم بالإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .
والقرآن العظيم الذي أنزله الحق جل جلاله على خلقه رحمة ونوراً ، وهدى وشفاء : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩] .
والله ﷻ يهدي بهذا القرآن الكريم من اتبع رضوانه سبل السلام .
يهدي إلى سُبل السلام مع الله ، بالإيمان بالله ﷻ ، وتوحيده ، وعبادته وحده لا شريك له ، هذه سُبل السلام ، أن يسلم الإنسان في الحياة لربه ، ويسلم وجهه إلى الله الذي يجيب دعاءه ويرزقه ، ويرحمه ويثبته : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان: ٢٢] .
ويهديه إلى سُبل السلام مع النفس بحملها على طاعة الله ، وحفظها مما يغضب الله ، لتفلح في الدنيا والآخرة : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧ – ١٠] .
فعلى كل مسلم واجبان :

الأول : واجب علمي : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩].

الثاني : واجب عملي : ويتحقق بخمسة أمور :

طاعات يؤديها ، ومعاصي يجتنبها ، ونعم يشكر الله عليها ، وذنوب يستغفر الله منها ، ومصائب يصبر عليها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ ﴾ [الحج: ٧٧] .

هذا القرآن يهدي إلى هذه السُبل العلمية والعملية والأخلاقية ، يهدي إلى سُبل السلام مع النفس بحملها على الإيمان بالله وطاعته ، وحفظها مما يغضب الله ، من فعل المحرمات والكبائر لتسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾ [الرعد: ٢٩] .

ويهدي هذا القرآن إلى سُبل السلام مع الناس ، بحب الخير للناس ، والاحسان إليهم بدعوتهم إلى الله وعيادة مريضهم ، والصدقة على فقيرهم ، وتعليم جاهلهم ، ومحبة المؤمنين ، والتعاون معهم على البر والتقوى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾

[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

ويهدي هذا القرآن إلى سُبل السلام مع الأعداء ، بالعدل معهم ودعوتهم إلى الله ، وإخراجهم من سُبل الضلال والظلام إلى سُبل النور والهداية ، ويهدي إلى سُبل السلام مع كل ما في الكون : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾[المائدة/ ١٥-١٦] .

هذا القرآن العظيم الذي أنزله الحق يريد منا أن نسير على هذا المنهج العظيم في حياتنا ، ولن نعمل به حقاً حتى نعرف من أنزله حقاً بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونعرف ملكه وسلطانه ، ونعرف عظمة نعمه وإحسانه ، فإن معرفتنا قاصرة جدًا عن معرفة الله، ومعرفة أوامره ، ومعرفة ما يجب له من التعظيم والحب والذل له ، لأن الله ﷻ

عظيم ، والكلام عن العظيم عظيم ، والكلام عن الكبير كبير : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

إذا أخذنا درسًا في الأوامر والأحكام فيجب أن نأخذ عشرة دروس في معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فمعرفة الله لا تتناهى ؛ لأن الله له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، وله الأفعال الجميلة ، وله المثلى الأعلى في السموات والأرض : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

نحن نمدح المصنوعات ، ونمدح الإنسان عمل كذا وعمل كذا ، وصنع واخترع وابتكر ، ونُثني على المخلوق ، فكيف لا نُثني على الخالق : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فعبودية اللسان يجب أن تكون مقصورة في طاعة الله ﷻ فقط .

- **وطاعة الله باللسان محصورة في أمرين :**

إما أن تتكلم عن الله.. أو تتكلم معه .

فالكلام عن الله هو الدعوة ، والكلام معه هو العبادة ذكراً ودعاءً وتسبيحاً واستغفاراً .

هذا اللسان إما أن يتكلم عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونعمه وإحسانه ، ليعلم القلب أن الله هو الواحد القهار ، وأن له ملك السماوات والأرض ، وأنه لا إله إلا هو الحي القيوم ، ويدعو الناس إلى معرفته وعبادته ، فيقول : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

أو يتكلم مع الله بالعبادة فيقول : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣] .

أو يقول : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل/ ١٩] .

أو يقول : ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون/ ١١٨] .

أو يقول : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨] .

أو يقول : ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣] .

فهذه عبودية اللسان الكلام عن الحق سبحانه بالدعوة، والكلام معه في العبادة.

فكل مسلم يقف بين يدي ربه في الصلاة ويقول الله أكبر ، فمن أحب أن يكلم الله فليدخل في الصلاة يتكلم مع ربه يكبره ، ويحمده ، ويسأله ، ويستغفره ، ثم يقدم التحية له في آخر الصلاة ، ثم يصلي ويسلم على من كان سببًا في وصول الحق إليه.

ومن أحب أن يكلمه ربه الحق فليقرأ كتابه الذي كله أخبار وأوامر منه .

الله أكبر مفتاح الصلاة ، فكبره لأنه هو الملك الحق الذي يستحق التكبير ، هو الملك الحق ، فالذي يريد الدخول على السلطان العظيم ليسأله ، يتحلى بأحسن الأخلاق والأدب ، ويطهر نفسه من الأنجاس والأدناس ، وهكذا حال المصلي بين يدي ربه ، يقف بين يدي ربه العظيم بالتوحيد والإيمان ، والخضوع والخشوع ، ويطهر نفسه مما سوى الله ، ويطهر نفسه من دنس الذنوب بالتوبة ، ويطهرها من دنس الحرام والمشتبه بتركه ، ويطهرها من الالتفات لأعماله لا يدلي بها على ربه ، ويطهرها من الالتفات إلى حسناته ، ويطهرها من الالتفات إلى حوله وقوته ، ويقف بين يدي الله العظيم الكبير بالذل والافتقار للملك الحق العزيز الجبار : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١ – ٢] .

وحتى تأتي في قلوبنا عظمة الكبير جل جلاله ، عظمة الملك الحق جل جلاله ، الله ﷻ شرع لنا هذه الصلوات الخمس ، حتى نعرف ربنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ونؤدي الواجب له من تكبير وتسبيح ، وحمد وشكر ، وسؤال واستغفار ، وتحيات

وصلوات ،فالمسلم إذا وقف بين يدي ربه في الصلاة يقول الله أكبر ، وإذا أراد أن يعرف معنى هذه الكلمة العظيمة فليذكر بقلبه أن الله أكبر من كل شيء ، أكبر مما عرفت ومما لم تعرف .

وإذا أردت أن تعرف عظمة الله وكبرياءه فقبل أن تقول الله أكبر استحضر في نفسك جميع مخلوقات الله من عالم الأجسام .

استحضر عظمة العرش والكرسي ، وعظمة السماوات السبع ، وما فيهن من المخلوقات ، واستحضر الفضاء العظيم ، وما فيه من مخلوقات ، واستحضر الأرض وما عليها من الجبال والبحار والأنهار ، والنباتات ، والمخلوقات العجيبة من الدواب التي تدب على ظهرها .

واستحضر البحار ، وما فيها من مخلوقات عظيمة ، حتى تعلم أن الله أكبر ، حتى يخشع القلب ، وتخضع الجوارح ، ويستسلم الإنسان لربه الحق استسلام محبة وخضوع وتذلل ، ويجد اللذة في هذه المناجاة .

تستحضر عالم الأجسام ، وتستحضر عالم الأرواح ، تستحضر عالم الملائكة ، تستحضر جميع الأرواح في جميع الكائنات ، ما من حي إلا وفيه روح الحياة ، استحضر الأرواح في جميع المخلوقات ، واستحضر في عقلك جميع ما في هذا الفضاء وفي هذا العالم من الجماد ، عالم الجماد عالم عظيم ، عالم يسبح بحمد ربه ، ويشهد له بالوحدانية ، والكل خاضع لعظمة الحق ، ومسرع إلى إرادته ، ومستجيب لمشيئته : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء/ ٤٤] .

حليمًا عليكم ، الله ﷻ أنزل عليكم الحق فقبله بعضكم ، وبعضكم لم يقبله ، ومن قبله لم يقم به كما يجب أو كما يليق بجلال الله ، إنه كان حليمًا على من عصاه ، غفورًا لمن أذنب .

وجميع المخلوقات تسبح بحمد ربها ؛ لأن جميع المخلوقات اختارت أن تكون مجبرة مسخرة مطيعة لله ، مسخرة على التسبيح ، وعلى التحميد ، وعلى أداء وظيفتها، أما هذا الإنسان فهو الذي اختار أن يكون مخيراً لا مسيراً : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ

يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾ [الحج: ١٨] .

فتتذكر عالم الجماد ، وأن الله رب الجماد ، ورب السماوات والأرض وما فيهن ، ورب الدنيا والآخرة ، ورب العرش العظيم ، وتذكر أن هذه المخلوقات كلها تكبر الله ، وهي دالة على كبريائه ، وعظمة ملكه ، وكمال قدرته .

وتتذكر عالم النبات ، وما فيه من المخلوقات المختلفة التي تدل على صفة الجلال والجمال للملك الحق جل جلاله .

وتتذكر الحيوانات التي تدل كذلك على صفة الجلال والجمال للملك الحق ، والله أكرمنا بهذه الأطعمة ، النباتات على موائدنا ، والحيوانات على موائدنا .

وتتذكر المعادن المختلفة التي في بطون الجبال ، هذه الجبال أرحام للمعادن النفيسة ، في الجبال أكثر من مئة معدن من المعادن من الذهب ، والفضة ، والحديد ، والرصاص ، والنحاس وغيرها من المعادن : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ [فاطر: ٢٧ – ٢٨] .

فالأرض رحم كبير للنباتات ، والأنثى رحم للمواليد ، واللسان رحم للكلام ، يخرج منه الكلام ، ولكن كلام اللسان إما داء وإما دواء ، فإن صدر من القلب حقًا فهو دواء وشفاء ، وإن صدر من اللسان دون القلب فهو داء وبلاء .

وتنظر إلى عالم الذرات والهباءات في الكون ، كل هباءة في الكون ، كل ذرة في الكون ، من أصغر ذرة إلى العرش العظيم ، لها ثلاثة أوامر من ربها :

أمر بالإيجاد . . وأمر بالبقاء . . وأمر بالنفع والضر .

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٥٤)﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

خلق الله الكبير والصغير ، وخلق العالي وخلق السافل ، وخلق الرطب ، وخلق اليابس ، وخلق الجماد ، وخلق النبات ، وخلق البر وخلق البحر ، هو خالق كل شيء

جل جلاله ، له الخلق ، وله التصريف والتدبير ، والتحريك والتسكين ، في ملكه العظيم : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢] .

لله وحده الأمر الكوني ، والأمر الشرعي ، والأمر الجزائي ، له الأوامر كلها ، وبيده الخلائق كلها ، فالله ﷻ يريد منا إذا أردنا أن نقف بين يديه في الصلاة أن نتذكر عظمة الله ﷻ بذكر عظمة مخلوقاته ، فننتقل من المخلوق إلى الخالق ، ومن الصور إلى المصور ، ومن المرزوق إلى الرازق ، ومن العادات إلى السنن ، ومن الدنيا إلى الآخرة : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج: ٥ – ٧] .

ننظر إلى ذرات الهباء ، وذرات الرمال والجبال ، وقطرات المياه والبحار ، ثم نرقى منها إلى السماء الدنيا ونتفكر في عظمتها وارتفاعها ، ثم نرقى من سماء إلى سماء ، وما فيها من مخلوقات تسبح الله ، حتى ننتهي إلى سدرة المنتهى ، والكرسي الكريم، والعرش العظيم : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾

[ق: ٦ – ١١] .

ثم ننتقل من عالم الأجساد الظاهرة إلى عالم الأرواح العلوية والسفلية الخفية كالملائكة والجن ، ثم نقول في كل ركوع وسجود ، وفي كل خفض ورفع (الله أكبر) ثم نقول بعد السلام لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

فالله أكبر من أن يشبهه أحد من خلقه ، والله أكبر من كل ما سواه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى/ ١١] .

هو الكبير الواحد الأحد : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[الإخلاص/ ١-٤] .

ولهذا استحق الحمد كله : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

هذا هو الملك الحق الذي إذا عرفناه وجب علينا أن نطيعه ، ونتبع أمره الحق ، وكتابه الحق ، لنصل إلى وعده الحق جل جلاله ، فالله أكبر من أن يشبهه أحد من خلقه ، والله أكبر من أن تصل إليه عقول الخلق وأفهامهم ، لا يمكن لإنسان أن يتصور نعيم الجنة ، بل العقل لا يدرك الروح التي في بدنه ، فكيف يدرك نعيم الجنة ؟ ! .

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾[السجدة/ ١٧] .

فكيف يدرك أو يحيط بعظمة الله ﷻ ، الله أكبر من أن تصل إليه عقول الخلق وأفهامهم ، لو جمعنا جميع ذرات الدنيا والآخرة ، ووهبناها أكبر العقول ، ثم شكلناها على عدد الهباءات والذرات في الكون ، ثم أمرناها أن تخطب في عظمة الله، وتتكلم عن عظمة الله ما قدرت الله حق قدره، فلا يعرف الله على الحقيقة إلا الله:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر: ٦٧] .

والله أعطانا من معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله ما يدعونا إلى محبته وتعظيمه وعبادته، فالله عظيم ، والكلام عنه عظيم ، ودينه عظيم ، وملكه عظيم ، وثوابه عظيم، فلا بد لنا أن نعرف الحق سبحانه ، وأن نتبع الحق ، ونمتثل أمر الحق :

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد: ١٩] .

ولكي نعرف هذا لا بد أن نجلس في المجالس الإيمانية ، نجلس في موائد الإيمان بعيدًا عن كل جدل وخلاف ، نعرض الحق صافيًا ، الماء الصافي يشربه الإنسان بدون تفكر ، لكن الماء الملوث ينظر ويتفكر ماذا فيه ؟ كذلك الوحي الإلهي الله ﷻ عرفنا بأسمائه وصفاته وأفعاله في كتابه المقروء وهو القرآن ، وفي كتابه المنظور وهو هذا الكون ، فلا بد أن نعرف الله ﷻ حتى نتأدب عند مناجاته وعبادته كأننا نراه .

فنقول الله أكبر أن يشبهه أحد من خلقه ، الله أكبر من أن تصل إليه عقول الخلق وأفهامهم وأوهامهم ، الله أكبر من أن يقدر الخلق على أداء حق عبوديته ، سبحانك ما عبدناك حق عبادتك : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فطاعات الخلق قاصرة عن القيام بحقه العظيم ، لأن نعم الحق على الخلق لا تعد ولا تحصى .

يتنفس الإنسان يوميًا بالمعدل العادي أربعة وعشرين ألف نفس ، كل نفس نعمة من الله ، وكل نعمة يجب أن نشكر الله عليها ، هذا النفس يجب أن يكون في الحق لا في الباطل ، في الخير لا في الشر ، في طاعة الله لا في معصية الله ، كم نفس تتنفس في طاعة الله ، وكم نفس تتنفس في معصية الله .

فليستحِ العبد من ربه أن يسكن في ملكه ، ويأكل من رزقه ويعصيه بنعمه ، فلولا رحمة الله بمن عصاه لعاجلهم بالعقوبة : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل/ ١٨] .

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

ظلوم كفار ، لأنه لم يجلس على موائد الأنبياء ، لم يسمع الكلام عن الله ، وعن رسوله ، وعن دينه الحق ، فإذا جلسنا في مجالس العلم تعلمنا كيف نعبد الله ، وإذا جلسنا في مجالس الإيمان نتعلم معرفة الله ، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ، لأن أعلى درجات الإيمان هي معرفة الله ، ثم نكلمها ببقية المعارف ، فكمال الإيمان يحصل بمعرفة أركان الإيمان الستة وهي الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

فإذا جاء الإيمان الكامل جاءت العبادات كاملة ، وأكرمنا الله بالثواب الكامل : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

فالله أكبر من أن يقدر الخلق على قضاء حق عبوديته ، وطاعات جميع الخلق قاصرة عن القيام بحقه ، وأسماعهم وأبصارهم وعقولهم قاصرة عن معرفة كمال كبريائه :

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ - ٣٧] .

كبرياؤه لا بداية له ولا نهاية له ، عظمته لا بداية لها ولا نهاية لها ، قوته لا بداية لها ولا نهاية لها ، ذاته لا بداية لها ولا نهاية لها ، كرمه لا بداية له ولا نهاية ، ولا أول له ولا آخر .. وهكذا في بقية الأسماء والصفات .

الله أكبر عن معرفة كنه سرمدية الله ﷻ .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨] .

الله أكبر عند الدخول في الصلاة ، إقرار من العبد لربه بالكبرياء ، إقرار من القلب ، يظهره اللسان ، وتحققه الجوارح ، الله أكبر في الصلاة إذا رأيت الملك والملكوت ، إذا رأيت أنك تقف أمام ربك الحق حتى تؤدي الصلاة كما يجب ، وكما يليق بجلال الله ﷻ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

فالله بين لنا أسماءه وصفاته وأفعاله ، وجلاله وكبرياءه ، لنعلم أن الله هو الكبير ، وإذا عرفت الكبير فليس لي حاجة بالصغير ، الكبير هو الملك الحق فاعبد الكبير وحده ، وإذا عرفت الكبير فليس لي حاجة إلى الصغير ، وإذا عرفت الغني لم أقف بباب الفقير ، وإذا عرفت الكريم سألته ، لأنه يعطيني من غير منة ، أن يمتن علي ربي الغني الكريم أحسن من أن يمتن على ويذلني من هو مثلي من البشر ، فإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، لأنه صمد ، ملك حق ، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، خزائنه ملأى ، ويده سحاء بالعطاء ، الليل والنهار ، يعطي جميع الخلائق جميعًا في وقت واحد ، ولا ينقص ما ينفق على خلقه مثقال ذرة من خزائنه ، لماذا ؟ لأن خزائنه كن فيكون .

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢ - ٨٣] .

والمحدود إذا أُخذ من المحدود نقص ، مائة ريال أخذنا منها عشرة صارت تسعين ، لكن المحدود إذا أُخذ من غير المحدود لا ينقص أبدًا : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٥٤] .

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي : «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، ثم سَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ واحد مَسْأَلَتَهُ ، لا نَقصَ ذَلِكَ مِما عندي إِلا كَمَا ينقص المِخْيَطُ إذا أُدخل البحر**» أخرجه مسلم(١) .

الملك الغني الحق هو الذي لا تنقص خزائنه أبداً ، فلو نقصت لعاد محتاجاً إلى ما نقص ، والله منزه عن ذلك ، ومن نَقَصت خزائنه فليس بملك ، إنما هو مالك ، واللهُ مالك الملك ، ومالك المماليك ، ومالك ما يملكون : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[آل عمران/ ٢٦] .

أنا مالك لثوبي ، مالك لسيارتي ، مالك لبيتي ، لكن الله مالكني ، ومالك ما أملك ، فهو ﷻ مالك يوم الدين يوم القيامة : ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر/ ١٦] .

فتسكت الخلائق فيجيب نفسه : ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[غافر/ ١٦] .

هذا هو الملك الحق الذي يجب أن نعبده وحده لا شريك له ، ونقضي أوقاتنا كلها إما في الكلام عنهُ بالدعوة ، أو في الكلامِ معه في العبادة .

الكلام عنهُ : بالثناء عليه بأسمائه وصفاته ، وأفعاله ، والدعوة إليه بين الناس .

والكلام معه : أن أعبده ، وأتلو كتابه ، وأذكره وأدعوه ، وأسأله وأستغفره ، وأحمده وأشكره .

ومَن أحب أن يُكلم الله ، فليدخل في الصلاة ، ومَن أحب أن يُكلِمَه الله فليقرأ القرآن والله يُكلِمك في القرآن في أمرين : إما بإخبار ، وإما بأوامر .

الأخبار : أخبارٌ عن نفسِه ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾[آل عمران/ ٢] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

أو أخبارٌ عن خلقهِ عن السماوات ، والأرض ، والجنة ، والنار ، والمخلوقات الأخرى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾[الزمر/ ٦٢] .

والأوامر : يطلب منك أن تفعل كذا ، وتترك كذا : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١١٠] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

الملكُ الحق جل جلاله هذا مُلكُه ، وهذا سُلطانه ، وهؤلاء خلقه ، والله جعل من خَلقِه في هذا الظرف الكبير هذا الإنسان ، ويُريد من هذا الإنسان أن يَتبع الرُسل ويتصف بصفات الرسل ، لأن أفضل البشرية هم الرُسل .

فأصحُ المخلوقات مِزاجًا هم البشر ، وأصح البشرمزاجاً هم المؤمنون ، وأصحُ المؤمنين مزاجًا هم الأنبياءُ والرُسل ، وأصحُ الأنبياءُ والرُسل مِزاجًا هم أولو العزم (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) عليهم الصلاة والسلام ، وأصح أُولي العزم مِزاجًا هم الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وأصح الخليلين مِزاجًا هو محمد ﷺ ، الذي كان أحسن الناسِ خَلقًا وخُلقا وكان خلقه القرآن ، وجمع الله فيه صفاتِ الأنبياء والرسل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

والله سبحانه وتعالى ربى أنبياءه ورسله على أحسن الصفات ، وفضل بعضهم على بعض : فمنهم مَن أعطاه المُلك والسلطان كداود وسُليمان ، ومنهم مَن تحلى بالزُهد كزكريا ويحَيى ، وغيره من الأنبياء ، ومنهم مَن أعطاهُ الله القوة في الحجة كموسى ، ومنهم من كلمه الله كموسى ، ومنهم من اتخذه الله خليلاً كإبراهيم .

ثم جَمع الله جميع صِفات الأنبياء والرسل في سيد الأنبياء ﷺ ، ثم فرقها في أُمة سيد الأنبياء .

فالأخلاق الحسنة حلية يتحلى بها النموذج الذي يُريد الله أن يكونَ الناس مثله ، وهم الأنبياء فالله ﷻ مثلًا في الصلوات الخمس أعطانا وقتاً خاصاً للصلاة ، فالله يُريد منا أن نُصلي لله في كُل وقت ، ونتعبد لله بكُل جارحة من جوارِحنا ، حتى تكون حياتُنا

خارج الصلاة كما هي داخِل الصلاة : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] .

كذلك الله ﷻ أرسل الرُسل ، واصطفاهُم ، واجتباهُم ، واختارَهُم ، وعَلَمَهُم ، ثم أرسَلَهم إلى البشر بالأقوال التي يحُبُها ، والأفعال التي يحُبُها ، والأخلاق التي يحُبُها، ليكونوا قدوة للناس .

فالله فرق الصِفات العالية في الأنبياء ، ثم جَمعها في سيد الأنبياء ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فكونوا خير أمة ، ولا تكونوا شر أمة ، وكونوا أحسن أمة ، ولا تكونوا أسوأ أمة .

كُنتم خير أمة : بالإيمان ، بالتوحيد ، باليقين ، بالإعمال الصالحة ، بالبِر، بالإحسان ، بالدعوة ، بالعلم ، بالأخلاق الحسنة .

فاجتهدوا لتُخرِجوا الناس من الظُلمات إلى النور بإذن ربهم ، كما اجتهد الأنبياء لإخراج الناس من الظُلمات إلى النور ، فلا نكون شر أمة ، ولا نكون أسوء أمة .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران/ ١١٠] .

فقد اجتباكم من بين الأمم : ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج/ ٧٨] .

فالله اختارَكم من بين الأمم كما اختار الأنبياء من بين البشر ، وشرفكم بأعمال الأنبياء والرسل ، وهي الدعوة والعبادة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧].

والتكاليف الشرعية دون الطاقة البشرية ، جميع التكاليف الشرعية ميسرة :

الصوم شهر في السنة ، والصلوات خمس ساعة في اليوم ، والزكاة اثنان ونصف

بالمائة لمن عنده مال ، الحج في العُمرِ مرة .
وقت قليل ، الله يُكلف بالعمل القليل ، ويُعطي العطاء الجزيل لماذا ؟ لأن عطاء المخلوق على قدر المخلوق لكن عطاءُ الله على قدر شأنِه .
ولهذا أول عطاء الله أن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعافٍ كثيرة ، إلى عطاء بغير حساب ، فهذا كله يدخل في الموازين ، لكن هناك عطاء خاص للخواص ، هذا أمر مخفي عنده ، يعطيه تكرماً منه بلا عمل من العبد بحسب ما يعلم من العبد من الخضوع ، والخشوع ، والذل ، والانكسار ، وكمال الإيمان والتقوى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾ [النساء/ ٤٠] .
فطاعاتنا ، وعِبادتُنا ، قاصرةٌ عن حقهِ جل جلاله ، فقولنا الله أكبر عند الدخول في الصلاة إقرار للملك الحق جل جلاله بالكبرياء ، وإقرارٌ من أنفُسِنا بالذِلة للملك الحق جل جلاله ، ثم ينزل الإنسان من صِفة الكبرياء إلى صِفة العظمة ، فتقول في الركوع سبحان ربيَّ العظيم ، الكبرياء أعظم شيء ، قال الله ﷻ في الحديث القدسي قال رسول الله ﷺ : «**الكبرياءُ ردائي ، والعز إزاري** » أخرجه مسلم[1]. .
والرداء أكبر من الإزار ، لأنه يغطي الإزار .
فاعلي أحوال الإنسان أن يكون قائماً ، فكذلك يقوم في الصلاة ، ثم يقول قائماً الله أكبر ، ثم ينزل درجة ، ويقول سبحان ربيَّ العظيم ، ينتقل من صِفة الكبرياء إلى صفة العظمة ، فيقول في الركوع سُبحان ربيَّ العظيم .
هو العظيم بذاته وأسمائه وصِفاته ، العظيم بأفعاله ، العظيم بملكه وسلطانه ، العظيم بآياته ومخلوقاته ، أقول ذلك لتأتي في قلبي عظمة ربي جل جلاله ، فهو ملكٌ عظيم، وملكه عظيم ، وكتابه عظيم ، وأمره عظيم ، وثوابه عظيم : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٦٢٠.

﴿ ... كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فتأتي في القلب عظمة الرب بعد أن عرفتَ كبرياءه ، ثم تنزل من صِفة العظمة إلى صفة العُلو ، فتقول سُبحان ربيَّ الأعلى في السجود ، فأنت في أدنى درجات السُفلْ ، والله ﷻ في أعلى درجات العُلوْ ، تقول سُبحان ربيَّ الأعلى ، وربيَّ الكبير ، وربيَّ العظيم ، هو العَليُ الأعلى ، عليٌ بذاته ، وأسمائه وصفاته ، وأفعاله .

فتقول سبحانَ ربيَّ الأعلى ؛ لأن السجود أكثرُ تواضُعًا من الركوع ، وأنت في أدنى درجاتِ الذُلِ والصغار ، واللهُ في أعلى درجات الكبرياء ، والعظمة ، والعلوْ ، فهذه الحال أعظم شيء في الصلاة .

ولهذا الله ﷻ يُريد أن نقف بين يَديه عبيد ؛ لأن هو الملك نقف بين يديه عبيد متذللين لله ، نحن حقًا عبيد ونتشرف أن نكون عبيد للملك الحق .

ولهذا العبد يفتخر بسيده ، إبراهيم ﷺ افتخر بربه ، والكافر يفتخر بملكه أو ماله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٨] .

ولهذا الله ﷻ سن لنا في الصلاة قراءة الفاتِحة ، وسورة الفاتحة هي موجز القرآن ، وباقي القرآن تفصيل للفاتحة .

سورة الفاتحة في كل يوم نقرؤها أكثر من أربعين مرة في كل ركعة من الفرائض أو النوافل .

في سورة الفاتحة خمسة من أسماء الحق جل جلاله ، وهي : الله ، والرب ، والرحمن ، والرحيم ، والمالك .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة/ ٢ -٤] .

في الفاتحة خمسة من أسماء الرب ، وخمس من صِفات العبد .

أسماء الرب : الله ، الرب ، الرحمن ، الرحيم ، المالك ، أو الملك .

وأما صفات العبد فهي خمس : صفة العبودية ، وصفة الاستعانة ، وطلب الهداية ، وطلب الاستقامة ، وطلب أحسن النعمة .

فالعبودية : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾[الفاتحة/ ٥] .
وطلب العون : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[الفاتحة/ ٥] .
وطلب الهداية : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾[الفاتحة/ ٦] .
وطلب الاستقامة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾[الفاتحة/ ٦] .
وطلب النعمة التي هي الدين : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[الفاتحة/ ٧] .
وهم الذين عرفوا الحق ، واتبعوه .
﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾[الفاتحة/ ٧] .
وهم الذين عرفوا الحق وتركوه ، واستكبروا عنه .
﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾[الفاتحة/ ٧] .
وهم الذين ضلوا عنه .
فانطبقت تلك الأسماء الخمسة للرب جل جلاله على أحوال العبد الخمسة ، كأنه قيل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة/ ٥] .
لأنك أنت الله المحبوب المألوه ، نعبدك ، لأنك أنت الإله الذي لك الكبرياء في السماوات والأرض ، ومنك كل نعمة ، فنعبدك لأنك أنت العظيم الكبير ، أنت الذي لك الأسماء الحسنى والصفات العلا ، و أنت المنعم بكل نعمة ، والمتفضل بكل فضل ، فنحن نعظم الله ونحب الله لماذا ؟ لأنه هو الذي خلق كل شيء ، وهو رب كل شيء ، وهو الذي منّ علينا بالنعم المادية والنعم الروحية : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .
﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[الفاتحة/ ٥] .
لأنك أنت الرب الذي يربي العباد ، أنت رب العالمين ، أنت رب السماوات ، ورب الأرض ، ورب العرش الكريم ، ورب الإنس ، ورب الجن ، ورب الرياح ، ورب النباتات ، ورب الحيوانات ، ورب البحار ، ورب الجبال ، فأنت القادر على كل شيء : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .
نستعين بك ، لأنك أنت الذي تملك القوة ، والقوة صفة ذاتية للملك الحق ، كل قوة

في كل مخلوق من قوته ، الله هو القوى الذي عنده خزائن القوة ، والذي أعطى القوة كل قوى فصار قويًا بتقوية الله ، ولو رفع عنه القوة لعاد ضعيفًا .

الشمس فيها قوة الإنارة ، والقادر ﷻ يخرق ناموس الشمس بالكسوف ، والنار فيها قوة الإحراق فسلب الله قوة الإحراق لإبراهيم فكانت برداً وسلامًا عليه .

والبحر فيه قوة الإغراق ، والله ﷻ نزع عنه هذه القوة فصار طريقاً يبساً لموسي ﷺ ، وهكذا الله ﷻ كل صفة من صفاته الذاتية لا بداية لها ولا نهاية ، ولا أول لها ولا آخر : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨].

لكن الصفات الفعلية كالخلق والرحمة ، فالله يخلق ما يشاء ، متى شاء ، ويرحم من يشاء ، ويغفر لمن يشاء ، أما الصفات الذاتية كالقوة والعلم والقدرة هذه صفات ذاتية لله ، لا تنفك عنه أبداً .

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[الفاتحة/ ٥] .

لأنك أنت الملك ، الحق ، القوى ، القادر ، القاهر ، الوكيل على كل شيء ، الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ؛ أنت الرب ، لأنك أنت ، رب العالمين ، رب السماوات والأرض ، رب الدنيا والآخرة ، رب جبريل وميكائيل وإسرافيل .

أنت القوي القادر الذي خلق كل قوي وقادر .

جبريل له ستمائة جناح لو مد منها جناحاً لسد الأفق ، فسبحان من أقدره .

وإسرافيل ينفخ في الصور نفخة واحدة فتموت جميع الخلائق ، ثم ينفخ فيه أخرى فتحيا جميع الخلائق ، هذه قوة نفخته فكيف بقوة بدنه ! ، فكم تكون قوة من خلقه ؟ جبريل بطرف جناحه اقتلع خمس قرى من قرى قوم لوط الذين كانوا يفعلون الفاحشة فقلبها عليهم .

كيف لو استعمل جميع جناحه ! كيف لو استعمل عشرة أجنحة ! كيف لو استعمل الستمائة جناح ! هذه قوة أجنحته فكم تكون قوة رجليه ، وكم تكون قوة جميع بدنه، وإذا كانت هذه قوته ، فكم تكون قوة وعظمة من خلقه ! : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١١] .

الجبال فيها قوة ، والنار فيها قوة ، والماء فيه قوة ، والحديد فيه قوة ، والرياح فيها

قوة وأشد جنود الله عشرة كما مر معنا .
هذه المخلوقات العظيمة الحق خلق فيها القوة ، فكيف بقوة القوي الذي خلقها !.
القوي جل جلاله هو الذي خلقني وصورني في بطن الأم ، وكمل أعضائي وجوارحي الظاهرة والباطنة ، ثم أخرجني إلى هذه الدنيا ، وأمرني بأمرين :
تكميل الإيمان ، وتكميل الأعمال الصالحة .
تكميل محبوباته هو ليكمل محبوباتي يوم القيامة ، و في القبر يستضيفني حسب عملي ، إما في روضة من رياض الجنة ، أو في حفرة من حفر النار ، وفي يوم القيامة الله يستضيفني في دار الكرامة أو دار الإهانة ، في الجنة أو النار : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) ﴾ [آل عمران: ١٠٦ – ١٠٧] .
هذه الحياة يجب علينا أن نفهم من الحق ؟، وماذا يريد الحق منى ؟، وماذا أريد أنا من الحق ؟، وكيف أعرف صفات الحق ؟ وكيف أعمل بأمر الحق ؟ وكيف أنال ثواب الحق جل جلاله ؟ : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴾ [الطلاق: ١٢].
الله ﷻ يريد منا أن نجلس في موائد الإيمان ؛ حتى نتعلم هذه الأمور ، فيزداد الإيمان، ثم تزيد الأعمال ، كالتجار يعملون في الأسواق لتزيد أموالهم ، ثم تزيد أشياءهم ، كذلك نحن نجتهد على الإيمان حتى يزيد ، وإذا زاد الإيمان جاءت الطاعة ، ثم تنوعت الطاعات ، ثم صلحت الحياة ، ثم جاء رضوان الله ﷻ ، ثم ازداد هذا الرضا عند الموت ، ثم ازداد في القبر ، ثم أزداد في الجنة حيث يكمل النعيم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨) ﴾ [البينة: ٧ – ٨].
في مجالس الإيمان يزيد الإيمان ، وفي مجالس الغفلة ينقص مؤشر الإيمان ، فتأتي المعاصي ، ثم تتنوع المعاصي ، ثم تفسد الأحوال ، ثم يأتي سخط الله ، ثم يزداد الإنسان شقاءً في حياته ، ثم يزداد شقاؤه عند موته ، ثم يزداد شقاؤه في قبره ، ثم

يبلغ كمال الشقاء في نار جهنم حيث الخلود الأبدي ، والشقاء الأبدي ، والعذاب الأبدي ، والعذاب الأليم ، والعذاب المقيم ، والعذاب المهين ، والعذاب الكبير ، والعذاب العظيم ، هذه صفات العذاب في جهنم .

والعذاب على قدر قوة المُعذِب ، إذا عذب الله فكيف يكون عذابه ! .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾[النساء/ ٥٦] .

فلابد أن نعرف هذا المسائل ، حتى نقف بين يدي الله في الصلاة بكمال الحب لله ، وكمال التعظيم له ، وكمال الذل له : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٩٠] .

لأنه الهادي ، لأنه الرحمن ، أنا طلبت منه أن يهديني الصراط المستقيم، لأنه الرحمن الذي أرحم بي من نفسي ، وأرحم بالإنسان من الأم الشفيقة بولدها :﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾[الفاتحة/ ١-٣] .

يبين أنه الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، حتى نرغب في الاستقامة ، نرغب في الطاعة ، ونحذر من المعصية:﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[الفاتحة/ ٥] .

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾[الفاتحة/ ٦] .

أطلب هذا الطلب الذي هو أعظم سؤال في القرآن سؤال الهداية : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾[الفاتحة/ ٦] .

لأنك أنت الرحمن الذي رحمتنا بالعطاء المادي بالهواء بالماء بالطعام بالشراب ، بالبلاد المستقرة ، باللباس ، بالسكن ، أنت الرحمن الرحيم ، فارزقنا لاستقامة على الدين لأنك أنت الرحيم:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة/ ١٤٣] .

فتح الله لنا أبواب الخير ، وأبواب الرحمة ، وأبواب العطاء ، لأنه يريد منا أن نخطوا إليه خطوة «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي**» متفق عليه(١) .

وأفضت علينا نعمك وكرمك لأنك مالك يوم الدين ، استضفتنا في هذه الدنيا ،

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٤٠٥ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٦٧٥.

وأعطيتنا النعم المادية التي ننعم بها ، وأعطيتنا هذا الدين حتى نسعد ونكسب الأجور ؛ حتى نلقاك يوم القيامة بالأخلاق العالية، بالأعمال الصالحة .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر/ ٥٤] .

فالله ﷻ يريد منا هذه المسائل يريد أن نستشعر هذه الأمور ، ولا نعتدي على حق لله ﷻ ، فهو الملك الحق الذي له ملك السماوات والأرض جل جلاله ، و أعظم الاعتداء على حقوق الحق جل جلاله الاعتداء على سلطانه في التشريع ، أن نشرع غير شرع الله ، ونتبع غير شرع الله ، ونقرأ غير كتاب الله ، ونقضى أوقات في غير ما يرضي الله ﷻ .

هذا من أعظم الظلم والاعتداء أن نتبع غير منهج الله ، ونتبع هوانا ، نُعرض عن الهدى ، ونتبع الهوى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠] .

فلابد أولًا من معرفة الحق جل جلاله ؛ لأن معرفته من أعظم العلوم وأول أركان الإسلام والإيمان ، ومن عرف الله عرف كل شيء ، ومن لم يعرف الله فاته كل شيء وبإيثارة الحق في الاعتقاد والقول والعمل ينال الإنسان شرف الدنيا والآخرة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ٨٢] .

أمن جسدي ، وأمن روحي ، وأمن سياسي ، وأمن اقتصادي : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾[قريش/ ١-٤] .

فالله يريد لهذا الإنسان أن يكون آمنا سعيداً في الدنيا والآخرة ، وأن يكون خليفة في الأرض ، خليفة يمتثل أوامر ربه ، فجميع المخلوقات جُبلت على عبادة الله ، فهو عليه أن يطيع الله فيما أعطاه من نعم ، في بدنه أو فيما حوله ؛ لأنه خليفة في الأرض ، يطيع أوامر من استخلفه : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ

ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص/٢٦] .

فالله يقول للملائكة إن جاعل في الأرض خليفة ، هو أنت الخليفة الذي ينفذ أوامر من استخلفه ، استخلفه لمدة معينة في هذا الكون : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠] .

فالله خلق هذا الإنسان وعرض عليه الحق .

فمن قبل هذا الحق قبل الخلافة في الأرض ، وصار من المصلحين ، والذي رفضها رفض هذه الخلافة ، وصار من المفسدين الذين يركعون لشهواتهم ، ويكونون كالحيوانات والسباع لا أمر ولا ناهي ، ولا طاعة ولا معصية ، ويتشبهون بالشياطين في الفساد والإفساد : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

والله يريد إعمار هذا الكون لا الإفساد في الكون ، واستعمر الإنسان في هذا الكون ، ليعمره بطاعته ، بالأعمال الصالحة التي تنفع العبد في دنياه وأخراه .

ويوم القيامة ينال المسلم ثمرات هذا العمل بدخول الجنة ، ورضوان الرحمن ، والنجاة من النار ، ولن يعبد الله حقاً إلا من عرفه حقاً ، ولكي نعرف الحق سبحانه ننظر في الآيات الكونية ، وننظر في الآيات الشرعية ، حتى تأتي في قلوبنا معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فإذا عرفناه عبدناه إلهًا وربًا ومالكًا : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وحتى تمتلئ قلوبنا بالإيمان والتقوى لابد أن نجلس على موائد الإيمان ، وحتى أجسادنا تصح ، لا بد أن نجلس على موائد الطعام والشراب الطيب .

- **وحتى تمتلئ قلوبنا بالإيمان لابد من معرفة سبعة أمور :**

أن نعرف الله.. ونعرف وأسماءه.. وصفاته.. وأفعاله.. وخزائنه.. ووعده.. ووعيده.

هذه مغذيات القلوب ، فالقلوب تتغذى بالإيمان بأركانه الستة ، ومغذيات العقول العلوم الإلهية جميع العلوم التي ترفع مقام الإنسان في الدنيا من صناعة وتجارة

وزراعة وطب وهندسة وغيرها ، ومغذيات الأجساد الطعام والشراب الحلال .
والقلوب أحوج إلى الإيمانيات من حاجة الأجساد للطعام والشراب الحلال .
والقلوب أحوج إلى الإيمانيات من حاجة الأجساد للطعام والشراب فلا بد كل يوم أن يأخذ المؤمن هذه الوجبة الإيمانية حتى يترقى من مزاج سمعنا وعصينا إلى مزاج سمعنا وأطعنا ، ويترقى من الشهوات الحيوانية إلى تنفيذ الأوامر الملكية ، ويتجاوز الدنيا إلى الآخرة ، ويخترق المخلوقات إلى الخالق ، ويخترق الصور إلى المصور ، وينمي الإيمان والأعمال الصالحة ويترك تنمية الأموال والأشياء ، ويأخذ من الدنيا بقدر حاجته ، ويعطي للدين بقدر طاقته : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة: ٤] .
ولكن لا مانع من الكسب ، لابد للإنسان أن يكسب ، ليمتثل أمر الله في طلب الرزق الحلال ، ونعبد الله بكسب معاشنا ، ورزق كل مخلوق مقدر سيأخذه ، فقد فرغ الله إلى كل إنسان من خمسة أشياء : من رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد ، لكن نحن في دار الأسباب لابد أن نفعل بالأسباب ، ولكن نفعلها بجوارحنا ، ونتوكل على الله بقلوبنا : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣] .
فالله قد قسم وقدر الأرزاق كما قدر الآجال ، والأعمار لجميع الخلائق ، فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها .
فالله خلق القلم ثم قال له : اكتب فكتب كل ما يكون إلى أن تقوم الساعة .
فسبحان الملك الحق ، وهذه قدرته ، وهذا أمره ، وهذا ملكه ، وهذا خلقه ، والإنسان ظلوم كفار إذا عصاه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار: ٦ – ٨] .
فتبارك الله رب العالمين الذي ما من شيء خلقه إلا وهو موزون بميزان العدل والقسط ، قدر في الكمية ، وقدر في النوعية ، وقدر في الشكل ، وقدر في اللون والطعم وقدر في المكان والزمان : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر/ ٤٩-٥٠] .

فكل مخلوق ، وكل أمر موزون بميزان العدل والقسط ، وتعالى الله عن الإهمال والعبث ، وتنزه الله عن الحيف والجور : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾[النساء/ ٤٠] .

فكل أفعال الحق حق : ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[الدخان: ٣٨– ٣٩] .

واعلم أن كل شيء في خزائن الحق سبحانه موزون بقدر في نوعيته وكميته ، ومكانه وزمانه ، فسبحان رب المكان ، ورب الزمان ، كل حدث في الكون لابد له من مكان، ومن زمان ؛ كل حدث من صلاة أو حياة أو موت ، أو إنعام أو عقوبة ، وكل شيء لابد له من مكان يحصل فيه ، ولابد له من زمان يقع فيه .

هذه الساعة التي نحن فيها الآن الله ﷻ يرانا ، وهو أول السامعين لنا ، يرانا كل في مكانه ، وكل في زمانه يتكلم أحدنا ، ويسمع غيره ، والله يحب السامع ، ويحب المتكلم ، ويحفظ بهذا المجلس من حضر ، يحفظه لأنه يعلم بالمكان ، ويعلم بالزمان ، ويعلم من بالمكان ، ومن بالزمان جل جلاله ، فهو خالق الظرف ، وخالق المظروف ، ويعلم ما في الظرف من الكلام والأقوال والأعمال .

كل شيء له وقت الرزق له وقت ، والنهار له وقت ، والليل له وقت ، وكل شيء عند الله خزائنه ، عند الله خزائن الحبوب والثمار ، خزائن المعادن ، خزائن الليل والنهار ، وخزائن العلم والعمل ، وخزائن العطاء والكرم ، وخزائن الثواب والعقاب ، وخزائن الكلام ، وخزائن الأقوال ، وخزائن المياه والرياح .

﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر/ ٢١] .

هو الحق جل جلاله ، وقوله الحق ، وفعله الحق ، وأمره الحق ، ودينه الحق ، وكتبه حق ، ورسله حق ، ووعده حق ، ووعيده حق : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[يونس: ٣١ – ٣٢] .

التعبد لله عز وجل باسمه الحق

بعد أن عرفنا اسم الله الحق يجب علينا بعد هذه المعرفة أن نعبد الله بموجب هذه المعرفة ، إذا عرفت أن الله هو الكريم لابد أن أكون في الصف الأول في الكرم ، إذا عرفت أن الله هو العفو لابد أن تكون في الصف الأول في العفو ، وهكذا في جميع الأسماء والصفات .

وفي هذه الاسم العظيم يجب علينا أن نعرف الحق سبحانه ، ونعرف دين الحق ، ونعمل بالحق ، وندعو إلى الحق ، ونترقى في الحق .

فهذه خمسة أمور نتعبد لله بها : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

فأولاً : نعرف الحق بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

ثم نتعلم ونعلم دين الحق : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

ونعمل بالحق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧] .

نتعلم الحق ، ونُعَلِّمَ الحق ، ونَثْبُت على الحق ، فإذا جاءت عواصف الباطل لا نَلتفتُ إليها ، فإن الحق كالشمس إذا جاء بدَدَ الظُّلمات : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء/ ٨١] .

ونترقى في معرفة الحق : نترقى في معرفة الله بأسمائه وصفاته ، نترقى في معرفة أركان الإيمان الستة وهي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، ونترقى في معرفة الحلال والحرام ، ونترقى في معرفة الأوامر والنواهي، ومن صدق أعطاه الحق ما طلب : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

فكلما ازددنا معرفةً بالله ازددنا إيمانًا ، وكلما ازددنا إيماناً ازددنا طاعة ، وأكثرنا من

أنواع القربات والطاعات .
ثم ننشر الحق ، كما أن الله نشر النور في العالم بواسطة الشمس كذلك نحن ننشر الحق في العالم ؛ ونَصبغ البشرية بصبغة الله : ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[البقرة/ ١٣٨] .
﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾
[إبراهيم: ٥٢].
هذه كلها مطالب موجودة في القرآن ، وإذا عرفنا الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله فما هو واجبنا ؟ .
فلابد لكل مسلم أن يتفكر ، ويكون له عبودية مع كل اسم من أسماء الله ﷻ ، فالله ﷻ أمرنا أن نعرف الحق العظيم الذي خلق به كل شيء ، وأقام به كل شيء ، ونَفَذَ به حكمه وتدبيره ، وعدله وإحسانه ، وفضله ورحمته : ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾[العنكبوت/ ٤٤] .
خلق الله السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما ، هذا الخلق المُحكَم المُتقَن ليل ونهار ، سماء وأرض ، شمس وقمر ، ونجوم وجبال ، وبحار وأنهار ، ونبات وحيوان ، فهذه الخلائق وغيرها تُسبح بحمد ربها ، وتخضع لوحدانيته ، وتعطي عطاء ، ويصدر منها منافع .
بالحق أمر الله وهدى ، وبه أمر ونهى ، وبه أعطى ومنع ، وبه أبعد وقرب ، وبه ابتلى وعافى ، وبه أمات وأحيا ، وبه خذل ونصر ، وبه حَمِد نفسه ؛ لأنه هو الحق المعبودُ بحق ، الربُ بحق ، الملك بحق ، وبه أظهر كمال قدرته وعلمه في ملكه وملكوته ، الملك هو المشاهد ، والملكوت هو عالم الغيب : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق/ ١٢] .
فالله يخبرنا أنه خالق كل شيء ، وكل إنسان يفتخر أنه اخترع كذا وكذا ، وتنشر الجرائد والمجلات وأجهزة الإعلام أن فلاناً اخترع كذا ، ويكتب له براَه اختراع ، فكذلك ولله المثل الأعلى الحق يخبرنا أنه هو الذي خلق هذا الكون ، وبين لنا انه

خالق كل شيء ، وبيده كل شيء ، هو الذي له أوامر الخلق والإيجاد ، وأوامر التحريك والتدبير والتصريف ، وأوامر العطاء والمنع ، وكل شيء بيده : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

الحق سبحانه بين لنا أسماءه وصفاته وأفعاله في كتابه ، حتى نعبده بمقتضاها : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٤] .

فالله خالق كل شيء ، فيجب علينا عبادته وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فعلينا أن نعبد الحق الذي أنزل الحق ، وأمر بالحق : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس/ ٣٢] .

فعلي أن اشتغل بالحق عن طريق دينه الحق ، وإتباع رسوله الحق : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وإذا عرفت الملك الحق بأسمائه وصفاته وأفعاله فاعلم أنك عبده ، وللملك على عبيدهِ حقوقٌ كثيرة تُقابل إنعامهُ عليهم ، وإحسانه إليهم ، وتليق بجلاله وعظمته ، والله لا يحتاج إلى عبادة أحد ، بل أنا الذي احتاج إلى عبادة الله ؛ لأنه الرازق وأنا احتاج إلى الرزق ، وهو العفو وأنا احتاج إلى العفو ، وهو المؤمن وأنا احتاج إلى الأمن ، له حقوقٌ كثيرة تقابل إنعامه على خلقه ، وإحسانه إليهم ، وتليق بجلاله وعظمه ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل/ ١٨ -١٧] .

فكن رحمك الله عبداً للحق ، ولا تكن عبداً للباطل ، وانشر الحق ، ولا تنشر الباطل ، وادع إلى ربك بالحق ، ولا تدعو إلى الباطل : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى

ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٦٤] .

وإذا عرفت ربك الحق فاعبد الحق ، وبين الحق ، وأظهر الحق ، وعلم الحق ، وأسمع الناس الحق : ﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

ويا عبد الحق كن أول العبيد في عبادة الحق ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر: ١١ – ١٢] .

يا عبد الحق ، ويا أمة الحق ، كونوا أول المسلمين في عبادة الله ، والدعوة إليه ، وتعلم وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه .

كونوا أول المسلمين في أحسن الأخلاق ، في الرحمة ، والصبر ، والصدق : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

واعلم أن حق الله سبحانه لازمٌ لك أيها العبد في ظاهرك وباطنك ، وفي أولك وآخرك ، فهو الذي خلقك وصورك ، وأحسن تصويرك ، وأنشأكَ ورباكَ بنعمَه المادية والروحية ، وهداكَ إلى الصراط المستقيم ، وحَفِظَكَ من الأذى ، نِعَمه عليك سابغة ظاهرةً وباطنه ، وفي جميع أمورك وأحوالك شائعة : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٠] .

فما الواجب على العبد ؟ الواجب على العبد أن يُخلِصَ العبادة للحق جل جلاله ، فالعبادة أعظم حقوق الله على العباد ، والتوحيد أعظم حقوق الله على العباد ، فاعبده وحده لا شريك له ، واجتنب عبادة ما سواه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[البقرة: ٢١ – ٢٢] .

• **فالناس اثنان :**

إما عابدٌ لله.. أو عابدٌ لعبدِ الله من الأشجار أو الأحجار أو الأشخاص وغيره : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

فالذي يعبد غير الله هو من اتبع هواه ، وهذا أضل خلق الله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠].

أما من يعبد الله ﷻ فهذا هو الذي عرفه ، وهو الذي نجا بنفسه ، وحفظ عمله ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٦].

وحق الله علينا في كل نِعمة جاد بها علينا أن نطيعه ونعبدهُ ، ولا تشغلنا نِعمه علينا عن عبادته وطاعته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون: ٩] .

فما أعظم غرور من كفر بالله وعصاه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾[الانفطار/ ٦] .

ما غرك بربك الكريم ؟ أغرك حلمه عليك ! وصبره على معاصيك ! لا حد أصبر على الأذى من الله ، يرمونه بالصاحبة والولد ، وهو يعافيهم ويرزقهم ، الله ﷻ حليم ، وحلمه لانهاية له ، هو الذي خلق الحلم في كل حليم ، فصار حليمًا ، ولو رفع عنه الحلم لعاد سفيهًا : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة: ٧٤] .

واعلم أن لله الحق الحمد وحده لا شريكَ له لماذا ؟ لأنه هو الذي خلقك في أحسن تقويم ، وأمدك بالأقوات ، وهداك للإسلام ، وأَذِنَ لك بذِكرِهِ ، وسمح لك بعبادتِه ، وأقامَكَ في طاعتِهِ ، وأعانك على ذكره وشكره وحسن عبادتِهِ وأثابك على عملك الصالح : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

هو الملك الحق ، الرحمن الرحيم الذي أَذِنَ لك بذكره ، هو الذي فتح لك باب الإيمان فآمنت ، هو الذي سمح لك بعبادته ومناجاته ، هو الذي أقامك في طاعته ،

هو الذي أعانك على ذكره وشكره وحُسن عبادته ، هو الذي بغض إليك المعاصي ، هو الذي حبب إليك الدين ، هو الذي أعانك على الطاعة ، هو الذي ضاعف لك الأجر ، هو الذي أعطاك الوقت الذي تعبد الله فيه ، والمكان الذي تعبد الله فيه ، واللسان الذي تذكر الله به ، والجوارح التي تتعبد الله بها : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

لماذا خصك الحق بهذه الكرامات ؟ ، لتنال بذلك المزيد من فضله وإحسانه ، وتسعد بحبه ورضوانه ، والقرب منه ، فلله المِنَةُ والفَضل أولًا وأخرًا .

له المِنَةُ علينا قبل أن يخلقنا ، كنا عدمًا فأوجدنا الله ، هو الذي أمر المعدوم أن يكون موجوداً ، وهو الذي أطعمنا وسقانا ، وعافانا وهدانا : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات/ ١٧] .

فيا عبد الحق اعرف فضل الله عليك ، واتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤] .

الله من علينا بالهداية إليه ، بالهداية إلى معرفة ما يحبه ويرضاه ، بالهداية إلى معرفة الحسن والأحسن من الأقوال والأعمال والأخلاق .

هو الحق الذي أعطى العقول والأسماع والأبصار ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وعرفنا بالحق ورغبنا فيه ، وعرفنا بالباطل وحذرنا منه ، ثم ترك لنا الاختيار : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩ – ٣٠] .

فالفطرة البشرية موجودة : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠] .

هذا العهد الأول : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٢] .

هذه الفطرة البشرية ، وهذا العهد الأول، فلماذا تعبدون غير الله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [يس: ٦٠ - ٦١] .

والعهد الثاني : العهد العقلي الذي تعرف الله به من خلال الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، أن الله هو الحق الواحدُ الأحد في الخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، والملك والتدبير ، وأنه هو الإله المحبوب المعبود ، هو الذي يستحق العبادة وحده ، لا شريك له ، وأن عبادة غيره ظُلم وافتراء ، وأعظم الظلم هو الشرك ؛ لأن الشرك وضع العبادة في غير موضعها ، وصرفها لغير مستحقها ؛ فالشرك ظلمٌ عظيم ، لأنه وضع للشيء في غير موضعه ، وصرفه لغير مستحقه ، والتصرف في ملك غيره بدون إذنه ، والشياطين اجتالت بني آدم فصرفتهم عن التوحيد إلى الشرك ، وعن الطاعات إلى المعاصي ، وعن السنن إلى البدع : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦] .

ومن رحمة الله أنه يرسل رسولاً كلما أعرضت الأمة عن الدين ، وخالفت أمر الله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦] .

- **وأمور الهداية ثلاثة :**

الأمر الأول : الإنسان يتفكر بعقله ، وينظر في ملكوت السماوات والأرض ، فيهتدي إلى أن ربه ملك حق يستحق العبادة وحده لا شريك له ، ثم يُطيعه بما جاء عن الرسول ﷺ .

الأمر الثاني : إذا ضعف فيه هذا الوازع الله يقيض له من يأمره بالمعروف ، وينهاه عن المنكر : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

الأمر الثالث : إن لم يكن هذا ولا هذا فالله ﷻ يحب الخير ، ويأمر به ، ولا يرضى أن

يقوم الشر في البشرية ، فالله الذي أصلح الكون لا يرضى أن يعم الفساد في الأرض ، هو برحمته يرسل رسولاً كلما طم الشر ، وعم الفساد ، فإن لم يستجب الناس للرسل دمرهم بعذاب الاستئصال : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

وبعثة الرسل انتهت ببعثة محمد ﷺ ، فبقي الوازع الديني من النفس ، والوازع الاجتماعي من الغير : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴿٣﴾﴾[العصر: ١ – ٣] .

هذا الوازع الديني من النفس : ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر/ ٣] .

فبقى هذا الوازع الديني من الغير في هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس.

الوازع النفسي ، والوازع الاجتماعي الذي يدفعك إلى الخير ، وينقلك من الفساد إلى الصلاح ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن المعاصي إلى الطاعات ، فلا نَمنن على الله أن كنا مسلمين ، كل معبود من دون الله هو الذي يستفيد من عابديه ، الأصنام التي تعبد لها سدنة ، والسدنة يأخذون الأموال من الناس ، كل معبود من دون الله يأخذ الخير ممن يعبده ، والله ﷻ هو المعبود بحق ، وهذا العبد هو الذي يأخذ الأجر والخير من ربه ، الله لا يستفيد من عبادتنا شيئاً ، بل نحن المستفيدون: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت/ ٦] .

هو الملك الحق الغني عن السماوات ، والأرض ، والعرش ، والكرسي ، والإنس ، والجن ، والملائكة ، غني بذاته عن كل ما سواه .

هو الغني الذي لا تنقص خزائنه أبدا ، ليس بحاجة لطاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصيين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] .

فلنحمد الله ﷻ أن جعلنا مسلمين ، وجعلنا مؤمنين ، وجعلنا محسنين هذه نعمة كبيرة من الحق ﷻ .

الحق جل جلاله يريدنا أن نعرف الحق ، وأن نعمل بالحق ، وأن ندعو إلى الحق ،

والذي يثقل في الميزان يوم القيامة هو الحق ، والذي يخف به هو الباطل ، فثَقِل ميزانك بالإيمان والطاعات ، فهي أيسر عملاً ، وأكثر ثواباً .

قال النبي ﷺ : «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**» أخرجه مسلم(1).

وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، هذه غراس الجنة ، فلنُثقل موازيننا بالأعمال الصالحة ، ونتخلق بالأخلاق الحسنة ، مع ربنا بالتوحيد ، والإيمان ، والتقوى ، وحسن الطاعة والانقياد للملك الحق ، ومع الخلق بأحسن الأخلاق ، بأن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عن من ظلمك ، وتحسن إلى من أساء إليك .

فثقل ميزانك بالإيمان والتقوى وحسن العبادة والدعوة تنال ما يرضيك : ﴿ **يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾** ﴾ [القارعة: ٤ – ١١] .

- **والإيمان ثلاث درجات :**

إيمانٌ مطلوب.. إيمان موجود.. وإيمان مفقود .

الإيمان المفقود لابد أن أجتهد لتحصيله ، حتى يأتي عندي الإيمان بالله ، بالملائكة ، بالكتب ، بالرسل ، باليوم بالآخر ، وبالقدر خيره وشره .

وأكثر الخلق عنده إيمان مجمل بالله لكن بقية أركان الإيمان ليست عنده .

فالإيمان الموجود لابد من ترقيته بمعرفة المفقود ، حتى يأتي الإيمان المطلوب الذي يحرك القلب والقالب للطاعات ، ويجنب المسلم المعاصي ، ويجعل المسلم يسير على هدى ربه ، ولا يسير على هوى نفسه ، هذا هو الإيمان المطلوب الذي يحرك النفوس للطاعات ، ويبعدها عن المعاصي : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ**

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٧٣٤.

﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

فثقل ميزانك بالإيمان والطاعات، وإلا خف بضد ذلك من المعاصي والسيئات، متى ؟ ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦﴾ [الزلزلة/ ٦].

يأتي العامل يوم القيامة بما عمل، ويرى نفسه وهو يرمي الجمرات، وهو يقبل الحجر الأسود، وهو يطوف بالبيت، وهو يبحث، وهو يبكي، وهو قائم، وهو يصلي، وهو يتصدق.

وكذلك يرى نفسه وهو يأكل المحرمات، وهو يرابي، وهو يأكل الربا، وهو يعبد الصنم، وهو يغتاب الناس، وهو يظلم الناس، وهو يسفك دماء الناس، وهو يشرب الخمر: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة/ ٧].

فسبحان الملك الحق الذي يعطي على الإيمان والعمل القليل الأجر الكبير، فالذي في قلبه مثقال ذرة من إيمان له مثل هذه الدنيا عشر مرات.

هذا هو الملك الحق الذي يجب أن نعبده وحده لا شريك له، ولا نضيع ثانية واحدة إلا في طاعته، استماعًا لكلامه، وعملًا بشرعه، وحمدًا لنعمه، ودعوة إليه، وتعليما لشرعه وإحساناً إلى خلقه، وصبرًا على ما يأتينا من البلاء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

فعلى عبد الحق أن يتفقد نفسه، ويتعبد الله في كل حال، ويعطي القسط من نفسه لربه، فهو أهلٌ أن يُعبد، وأن يُطاع، وأن يكبر، وأن يشكر، يقوم بذلك حسب طاقته، وأجر ذلك كله عائد عليه: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت: ٦].

- **وبذل الجهد من أجل الدين ينقسم إلى قسمين:**

جهدٌ على النفس، وجهدٌ على الغير.

والجهد على النفس قسمان:

الأول: جهد علمي بمعرفة الله، بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ

﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

الثاني: جهد عملي وهو امتثال أوامر الله في خمسة أمور:

طاعات نؤديها، ومعاصي نجتنبها، ونعم نشكر الله عليها، وذنوب نستغفر الله منها، وابتلاءات نصبر عليها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

الله يريد أحسن شيء، أحسن شيء الدعوة، وعبادة الله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣].

وعبد الحق يسعى جاهداً في معرفة الحق، وعبادة ربه الحق، ودعوة الناس إليه: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ٧٨﴾ [الحج/ ٧٨].

منَّ عليكم بأن جعلكم مسلمين، وأخرجكم من الظلمات إلى النور بفضله، فما جاء من الطاعات فبفضله، وما جاء من المعاصي فبسبب سوء اختيار العبد: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾ [النساء/ ٧٩].

والله خلق الإنسان فاختار الإيمان أو الكفر، أو الطاعات أو المعاصي، فالله اجتبى هذه الأمة من بين الأمم كما اجتبى الرسل من البشر: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٧٨﴾ [الحج/ ٧٨].

ملة إبراهيم هي التضحية بكل شيء من أجل الدين، التضحية بالوقت، وبالمال، وبالنفس، وبالأهل، وبالولد، وبالشهوات، إبراهيم ﷺ ضحى بنفسه، فأنجاه الله من النار، وضحى ببلده، فالله أعطاه أحسن بلد مكة، وضحى بولده، فالله أحيا الولد إسماعيل، ثم وهبه إسحاق، وأخرج من نسل إسماعيل أحسن ولد، وأفضل ولد، محمد ﷺ، سيد الخلق كلهم.

وضحى بأم الولد هاجر فجعلها الله أماً للعرب، وجعل خطواتها نسكاً يتعبد المسلون به بين الصفا والمروة.

وضحى بماله حين قدمه للضيفان .. فالله ﷻ أعطاه بأن جعله أباً للبشرية كلها، فهو أبو البشرية الثالث، فأبو البشرية الأول آدم، ثم الثاني نوح، ثم الثالث إبراهيم

عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

فمن ضحى لدين الله بصدق الله لا يؤخر النتيجة ، يعطيه فورًا أحسن مما أعطى .

فإن الله كريم ، والكريم من البشر من إذا قَدِر عفا ، وإذا عهد وفى ، وإذا سؤل أعطى ، ولا يبالي كم أعطي ، ولمن أعطى .

فالله ﷻ أولى بهذه الصفات من البشر ، فهو كريم لا يرد سائلًا أبدًا ، لأن الذي يرد السائل هو العاجز والبخيل والفقير ، لكن الله غني وكريم وقادر على كل شيء ، يسمع جميع الأصوات ، يسمع جميع النداءات ، يسمع جميع الاستغاثات في البر ، والبحر ، والجو ، في السماء ، وفي الأرض ، يسمع جميع الخلائق ، ويعطيهم جميعًا ، ويجيب أسئلتهم جمعيها ، كما يرزقهم جميعاً في وقت واحد ، يسمع دعاءهم في وقتٍ واحد ، ويسمع كلامهم في وقتٍ واحد ، ويعطيهم في وقتٍ واحد ، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة : ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يونس: ٦٨] .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠١] .

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل: ١٩] .

سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

المبين

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله المبين

الله سبحانه يريد من عباده أن يعرفوه ويعبدوه بموجب هذه المعرفة: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ۝١٩﴾ [محمد/ ١٩].

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٨].

فيجب أن نعرف هذه الأسماء؛ حتى نعبد الله ﷻ بمقتضاها، ونتصف بما يليق بنا من تلك الصفات الكريمة؛ لنشكر المنعم بها، فهي لنا على شكل نعم من ربنا: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

الله علمنا ما لم نكن نعلم، وخلقنا من عدم، وأمدنا بالأقوات وهدانا إلى الصراط المستقيم، ورزقنا ما نأكل ونشرب منه، وما ننعم به، وبين لنا سبل الهدى والخير والرشاد: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٦﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

الله ﷻ هو الملك الحق المبين، الذي لا يخفى على أحد، القلوب تعرفه، والبصائر تراه، والعقول لا تحيط به؛ لأن العقول والأبصار محدودة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢- ١٠٣].

هو سبحانه المبين الذي بان لكل أحد: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه المبين الذي بين لعباده الحق بالأدلة الحسية، والأدلة السمعية، والأدلة العقلية، في أقواله الصادقة، وأفعاله الحكيمة، وآياته العظيمة، ومخلوقاته العجيبة، وكل

ذلك بينه الله ﷻ لنا في كتابه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

أحصى سبحانه كل شيء من جميع المخلوقات، والآيات، والحركات، والسكنات، والنيات، والأقوال، والأعمال: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾ [يس/ ١٢].

هو سبحانه المبين الذي أبان عن نفسه بما أظهر لعباده من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى.

فآيات الله الكونية، وآيات الله الشرعية، كلها تدل على ذات الله ﷻ، وتدل على أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [ق/ ٦-٨].

وقال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١﴾ [لقمان: ٩ - ١١].

فالله سبحانه هو المبين الذي أبان لخلقه الأدلة القاطعة الدالة على كمال ذاته وأسمائه وصفاته، والدالة على وحدانيته، وربوبيته وألوهيته، وتفرده بالخلق والأمر: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وأبان لعباده أنه لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله هو وحده المستحق للعبادة دون سواه من مخلوقاته: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ

﴿ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾
[الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

هو سبحانه الملك الحق المبين الذي نراه في الدنيا ببصائرنا من خلال آياته ومخلوقاته ، ونراه يوم القيامة بذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور: ٢٥] .

والله ﷻ أبان لنا أنه الملك الحق المبين، ولكن الأبصار لا تستطيع أن تراه ، وإنما تراه البصائر، والأبصار وسيلة لرؤية آياته الدالة على وجوده، وكمال ذاته وجلاله وجماله .

وأصل الدين معرفة الله، فمن عرف الله تعالى تفانى في طاعته، وأحبه لكمال إحسانه وإنعامه، وعظمه لجلاله وكبريائه وعظمة ملكه وسلطانه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

فمعرفة الله ﷻ هي أصل الدين ، وتحصل بأمرين : .

الأول : بمعرفة الإنسان ربه بأنه الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته، وأن كل ما سواه ناقص، والناقص لا يكمله إلا الكامل ذو الجلال والإكرام .

فهذا الأمر الأول، أن يعرف الإنسان أنه ناقص، ويعرف أن الناقص لا يكمله إلا الكامل وهو الله ﷻ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

الثاني : كل ما سوى الله ممكن الوجود؛ السموات، الأرض، الجبال، البحار، والناس، والجن، والملائكة؛ فالله ﷻ خلقهم بعد أن كانوا معدومين، فكل ما سوى الله ممكن الوجود، ومحتاج إلى من يوجده ولا يمكن أن يوجد محتاج بلا محتاج إليه، والله ﷻ هو الغني عن كل ما سواه، وكل شيء محتاج إليه في كل شيء، فكل عبد وكل مخلوق محتاج إلى ربه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وكل مخلوق ضعيف فقير عاجز محتاج، ولا يكمل المحتاج إلا من يحتاج إليه جميع الخلق وهو الله الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق، الصمد الذي تصمد إليه جميع

المخلوقات، لأنه الذي أوجدها وهو الذي يدبر أمرها: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

فالتفكر في خلق السموات والأرض هو الذي يأتي بالعبادة المطلوبة، وهو الذي يأتي بالعبودية القلبية، التي تدل الإنسان على ربه، وتعرفه بأسمائه وصفاته، فيوحده ويكبره، ويحمده ويشكره، ويسعد به ويحبه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾ [آل عمران/ ١٩٠ – ١٩١].

فالله ﷻ أبين من كل بين، ولكن الأبصار لا تراه في هذه الدنيا، لأنها محدودة، ومن رحمته سبحانه أن حجبنا عن رؤيته، وإلا لبطل التكليف، لو رأيناه لم نخالف أمره، ولكن الله أذن للعقول والبصائر، أن تعرفه عن طريق معرفة آياته ومخلوقاته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

فالتفكر هو العبادة الأولى، والعبادة الكبرى في الدين، التي تجعل الإنسان يحب ربه ويكبره ويوحده: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس: ١٠١].

وآيات الله في كتابه أخبار وأوامر، فهي إما تعريف بالخالق وأسمائه وصفاته وأفعاله ومخلوقاته، أو أوامر ونواهي.

فالأوامر: كل آية في كتاب الله فيها أمر وجب عليك أن تأتمر به، وكل آية فيها نهي يجب علينا أن ننتهي عنه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧].

وإذا قرأنا آية فيها وصف للجنة، فهي تقتضي منا أن نسعى إلى الجنة، وإذا قرأنا آية فيها

وصف للنار، فهي تقتضي منا أن نفر من النار .

وإذا قرأنا قصص الأنبياء وغيرهم مما ذكر الله في كتابه؛ فيجب أن نعتبر : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١] .

فهذه الأوامر التي أمرنا الله ﷻ بها ، فعل الأوامر ، واجتناب النواهي، نؤديها بكمال الحب والتعظيم والذل لله، إذا عرفنا الرب جل جلاله، وعرفنا من أمر بها، ومن نهانا عما يضرنا: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾[المائدة: ٩٨] .

- **والله سبحانه هو الحق المبين، وآياته التي تدل الناس عليه ثلاث :**

الأولى: آيات كونية؛ وهي مخلوقاته التي خلقها كالسماء والأرض وما فيهما.

الثانية: آيات تكوينية؛ وهي أفعاله في ملكه من خلق وتدبير وتصريف في كل وقت .

الثالثة: آيات شرعية؛ هي كلامه المشتمل على الأخبار والأوامر والنواهي .

فالله ﷻ أبين من كل بين، فهو الحق المبين جل جلاله، الذي بان للعقول والأبصار والبصائر .

وآياته التي يعرفه العباد من خلالها ثلاث :

الأولى : آيات كونية كونها، السماء الموجودة ، والأرض الموجودة ، والجبال والبحار، والجماد والنبات ، والإنسان والحيوان، وكل هذه المخلوقات آيات كوّنها سبحانه، فعن طريقها نعرف الخالق، فيقول العقل للقلب :

إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، آيات محكمات ، ومطر ونبات، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر، وليل داج وسماء ذات أبراج : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الروم: ٢٢] .

هذه آيات كونية تدل على أن لهذا الكون مكوناً ولهذا الخلق خالقاً، فهذه آيات كونية إذا نظرنا فيها عرفنا الخالق الذي خلق المخلوقات، والمصور الذي صور الكائنات : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا

﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾
[ق: ٦-٨] .

الثانية: آيات تكوينية هي أفعاله في ملكه العظيم أنه يحيي ويميت، ويخلق ويرزق ، ويعز ويذل، ويبسط ويقبض .

فالله ﷻ جعل هذه الآيات التكوينية في ملكه ، والتي نراها في كل يوم ليل ونهار، وحر وبرد ، وحياة وموت : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٩] .

فهذه أفعاله التكوينية التي يخلق بها ما يشاء ، ويدبر الأمر في هذا الملك العظيم : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿١٩﴾ ﴾[الروم/ ١٩].

في كل يوم تنزل الأمطار في العالم، وتكسو الأرض، أو تلبس الأرض كسوتها من النباتات المختلفة ، التي تحمل الأزهار والثمار المتنوعة : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج: ٥-٧] .

هذا النسل الكبير من ذرية آدم من الرجال والنساء ، أصله من رجل واحد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١] .

ومن آياته التكوينية : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الروم/ ٢١- ٢٢].

هذه آيات الله التكوينية التي تثمر للعبد معرفة الملك الحق الذي له الخلق والأمر، وهذه التدبيرات العجيبة، والآيات المتتابعة ، دلائل على وحدانيته، ودلائل على أن الله ﷻ له

الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والأفعال الكبرى ونحن محتاجون إليه في وجودنا ، وفي أقواتنا، وفي هدايتنا ومحتاجون إلى رحمته لنا بعد موتنا، وأن يدخلنا الجنة، وأن ينجينا من النار : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] .

فالله ﷻ أمرنا بالتفكر والتدبر؛ حتى نعرف الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الروم/ ٢٣].

ومن آياته التكوينية التي يراها الخلق كل يوم : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الروم/ ٢٤].

هذه آيات تكوينية تجعل الإنسان يعرف ربه ، وأنه ذو القدرة المطلقة ، والقوة المطلقة والعلم المطلق : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم: ٢٥ – ٢٦] .

ومن آياته التكوينية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٧].

والقرآن مملوء من هذه الآيات أكثر من ألف وثلاثمائة آية تتكلم عن هذه الآيات الكونية والتكوينية في ملك الله ﷻ : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩] .

فهذه آياته التكوينية ، وآياته الكونية .

الثالثة : آياته الشرعية وهي كلامه، فالكون قرآنٌ صامت، اقرأ الكون ببصرك تجد الرب جل جلاله خلق كل كبير وصغير، وكل عالٍ وسافل، وكل جامدٍ وسائل؛ فالكون قرآن صامت تقرأ فيه أسماء الله وصفاته ، وآياته ومخلوقاته : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ

ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

والقرآن كلام الله الناطق الذي بين أنه الخالق: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].

وبين أنه الملك: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك/ ١].

وبين أنه الرزاق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

والنبي ﷺ قرآن يمشي: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم/ ٤].

كان ﷺ خلقه القرآن، يتأدب بآدابه، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويتعبد لله بأحكامه.

فالكون قرآن صامت، والقرآن كلام ناطق، والنبي ﷺ قرآن يمشي، وعلينا أن نقتدي به في أقواله وأعماله وأخلاقه.

فكل عبادة ليس فيها محبة الله الملك الحق المبين، كل عبادة ليس فيها محبة الله وتعظيم الله؛ فليست عبادة مقبولة، وليست هي العبادة المطلوبة، فما عبد الله من أطاعه ولم يحبه، لابد أن أطيعه وأحبه لماذا؟ لأنه الملك الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، هو الملك الكريم الذي منه الإنعام والإحسان: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

فأنا أحبه لإنعامه، وأكبره لعظمة جلاله وكبريائه، وعظمة ملكه وسلطانه.

فما عبد الله من أطاعه ولم يحبه، وما عبد الله من أحبه ولم يطعه، ما عبد الله الذي يقول: أنا أحب الله، ولم يطعه، لابد أن تطيع الله إذا عرفت الله؛ فلابد أن تعبده، وتمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه؛ لأن المحب لمن يحب مطيع: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

فالطاعة مقرونة بالمحبة، والمحبة مقرونة بالطاعة، ولا قيمة للطاعة بدون محبة، ولا

قيمة للمحبة بدون طاعة : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٢] .

فإذا نظرت إلى الآيات الكونية، والآيات التكوينية، والآيات الشرعية؛ وجدت أن الله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، فآمنت به وأحببته لإنعامه وإحسانه ، وكبرته وعظمته؛ لعظمة جلاله وكبريائه ، وعظمة ملكه وسلطانه، فإذا عرفت ذلك وقفت بين يديه بالحب والتعظيم والذل له، هذه العبادة تفضي بالإنسان إلى السعادة الأبدية، سعادة أبدية يوم القيامة، وسعادة مؤقتة في الدنيا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف/ ١٠٧ – ١٠٨].

فهذه هي العبودية المطلوبة من المسلم، لا نقف بالقالب دون القلب، بل لابد من اجتماع القالب مع القلب معًا؛ فالقلب يخشع وينكسر بين يدي الله ، ويتوكل عليه ، ويحبه ويعظمه .

والبدن يقوم ويقعد ، ويركع ويسجد داخل الصلاة ، وخارج الصلاة ، لأوامر ربه الملك الحق المبين :

فأنا في داخل الصلاة عبد لله، وخارج الصلاة عبد لله، أنا في بيتي عبد لله، وفي السوق عبد لله، عبد لله الذي له الخلق والأمر، له الأوامر الكونية ، وله الأوامر الشرعية، وله الأوامر الجزائية يوم القيامة : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] .

فهذه العبادة ألذ شيء أن يقف العبد بين يدي ربه وهو أسعد الناس؛ لأنه متصل بالملك: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩] .

وقال النبي ﷺ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ**»أخرجه النسائي(1).

والله ﷻ هو الملك الحق المبين الظاهر للأبصار والبصائر، يقول لأنبيائه ورسله: تحملوا فراقي من أجل عبادي؛ لتأتوا بخلقي إلى بابي؛ فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وكان ﷺ يقوم الليل؛ حتى تتفطر قدماه؛ فيقال له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول «**أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**»أخرجه البخاري(2).

فالنبي ﷺ يرى الكبير العظيم، يرى الغني المحسن الكريم، يرى القوي القادر ، يرى الحليم الغفور الرحيم فيقف بين يديه، حامدًا له ، ممجدًا له، مكبراً له ، مستغفرًا من ذنبه، ذاكرًا له بلسانه وقلبه وجوارحه : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾** ﴾ [القلم: ٤] .

هذه العبادة هي المطلوبة، وهذه العبودية تستغرق عمر الإنسان كله ، في جميع أحواله، من حين يبلغ الإنسان إلى موت الإنسان: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾**﴾[الأنعام/ ١٦٢- ١٦٣].

فالله خلقنا وهدانا واشترانا، لنعبده ، لنصدق أخباره ونطبق أحكامه، ما دمنا في هذه الحياة، والله يضاعف لنا الأجر، ويسعدنا في الدنيا والآخرة : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾** ﴾ [الانفطار: ١٣ – ١٤] .

فكل أحد في نعيم أو جحيم في الدنيا ، وفي القبر ، وفي دار القرار حسب عمله : ﴿ **فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾** ﴾ [القارعة: ٦ – ١١] .

فمن أراد الله به خيرًا، وأقبل على ربه، وفعل الأسباب ، وجاهد في الله ؛ فالله ﷻ يقبل عليه ويهديه:﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾**﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فمن أحسن الأقوال والأعمال والأخلاق ، وسأل الهادي أن يهديه، والعليم أن يعلمه، والتواب أن يتوب عليه، والرحمن أن يرحمه، فهذا هو الذي دخل جنة المعرفة، التي

---

(١) صحيح/ أخرجه النسائي برقم (٣٩٣٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٧).

ثمرتها الكبرى دخول جنة الآخرة يوم القيامة ، ورضوان الله ، ورؤيته يوم القيامة :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

فالعبادات الخمس التي هي أركان الإسلام ، وهي الشهادتان، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج، هذه أركان الإسلام، والإسلام يقوم عليها.

والإسلام فوق تلك الأركان الخمسة، شامل لجميع حياة الإنسان، من حين يولد إلى أن يموت .

الإسلام ينظم حياة الإنسان في جميع أحواله، وعرف العلماء من أحوال الإنسان أكثر من خمسمائة ألف حالة، كلها بين الله ﷻ أحكامها في كتابه وسنة رسوله ﷺ؛ لأن الإنسان قد يكون حاكماً ، قد يكون عالماً، قد يكون مريضاً، قد يكون مسافراً، قد يكون طبيباً ، قد يكون عاملاً ، قد يكون غنياً، قد يكون فقيراً، قد يكون ذكراً، قد يكون أنثى، جميع أحوال الإنسان الله ﷻ بين أحكامها غاية البيان:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل/ ٨٩].

فهذه العبادة هي العبادة المطلوبة من كل إنسان، أن يكون عبدًا لله داخل الصلاة ، وخارج الصلاة، ويرى ربه المبين ويعبده كأنه يراه؛ فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

الله سبحانه من علينا بهذه العلوم النافعة العظيمة التي تجعل الإنسان يرى ربه ، ويعبده كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه .

فالأول مقام المشاهدة، ومن شاهد الله بكبريائه وعظمته ، وأسمائه وصفاته، وأفعاله؛ عبده ولم يخالف أمره : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

فإن لم تكن عنده هذه الدرجة، فليكن في الدرجة الثانية؛ وهي مقام المراقبة ليعلم أنه مراقب، وأن الله رقيب عليه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك، يراقبك ويشهد أعمالك جل جلاله، هو السميع لأقوالك، البصير بأعمالك الخبير بظاهرك وباطنك: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١].

فالله ﷻ بين لنا أن من أسمائه المبين؛ حتى نعرف ربنا ﷻ، ونعلم أنه مبين بين ظاهر لكل أحد، هو سبحانه المبين الذي بين لنا الدين، وأمرنا بعبادته وحده؛ لأن الإنسان خُلق محتاجًا؛ فإما أن يعبد الله، أو يعبد عبد الله من صنم أو حجر أو وثن أو إنسان أو غير ذلك من المعبودات.

لهذا أمرنا ﷻ بمعرفة الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له بقوله: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

فلابد للإنسان أن يعرف الرب الذي يستحق العبادة، ثم بعد ذلك يؤدي العبادة، فالذي يستحق العبادة هو الله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة؛ هذا هو الإله الذي يجب أن أعبده؛ لأني محتاج إليه، أعبده إجلالًا لعظمته وكبريائه، وأعبده شكرًا لنعمه وإحسانه، وأعبده لأني محتاج إليه، فقير إليه في خلقي، وفي صحتي، وفي طعامي وشرابي، وفي كل شيء أنا محتاج بل مضطر إلى الله في كل حال: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل/ ٥٣].

فسبحان المبين الذي أبان لكل مخلوق علة وجوده، بين أنه خلق هذا الإنسان لعبادته وحده لا شريك له: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات/ ٥٦].

يعني يوحدون، يطيعوني فيما آمر به، وفيما أنهى عنه، يصدقوني في الأخبار التي أخبر بها؛ فهو جل جلاله الصادق في أخباره، الحكيم في أوامره: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

فالله ﷻ هو المبين لعباده سبل الرشاد من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق الحسنة الموجبة لثوابه، المبين لكل ما يوجب عقابه من الأقوال، والأعمال، والأخلاق السيئة .

هو المبين للأقوال والأعمال والأخلاق التي يحبها، والمبين للثواب على هذه الأعمال .

وكذلك هو المبين لكل ما يوجب عقابه من الأخلاق والأقوال والأعمال السيئة، المبين الذي بين كل خير ، ورغب فيه ، وأثاب عليه، المبين الذي بين كل شر ، وحذر منه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة/ ٢].

هو المبين الذي بين لعباده الأحكام التي تسعدهم في الدنيا والآخرة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٦﴾ [النساء/ ٢٦].

فسبحان الملك الحق المبين، الذي بين كل شيء في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ: ﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٣٨﴾ [آل عمران/ ١٣٨].

بين في كتابه كل شيء: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ۝٨٩﴾ [النحل/ ٨٩].

وأمر رسوله ﷺ أن يبين للناس ما أنزل إليهم : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النحل/ ٤٤].

واسم الله المبين من أسماء الذات والأفعال؛ فهو سبحانه المبين بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المبين في وجوده ووحدانيته ، الظاهر للبصائر والأبصار والعقول، فهو أبين من كل بين: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣].

أما صفة الفعل؛ فهو سبحانه المبين الذي بين الدلائل الدالة على ربوبيته، وألوهيته ووحدانيته، وأبان للعباد الدين والشرع الذي يحبه ويرضاه، وأبان الثواب والعقاب لمن أطاعه أو عصاه : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه/ ١٢٣- ١٢٦].

هو سبحانه المبين الظاهر المظهر للحق من الباطل، المبين الذي أبان كل شيء تحتاجه

الأمة، المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل/ ٨٩].

هو سبحانه المبين الظاهر لكل أحد، المبين الذي بين ويبين لعباده ما يسعدهم في الدنيا والآخرة، في آياته الكونية ، وآياته التكوينية ، وآياته الشرعية:﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الروم/ ٢١].

هو سبحانه الملك الحق المبين الذي بين كل شيء في الدنيا والآخرة : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة/ ١١٥].

فسبحان المبين الذي بين كل شيء في ملكه وسلطانه ، وفي كتابه العظيم.

ومن رحمة المبين جل جلاله بعباده، أن نوع بيانه للحق في كل مكان وزمان، فالله ﷻ يبين لعباده ما يدلهم على وحدانيته، وما يدلهم على أنه الملك الحق : ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[فصلت/ ٥٣].

فالله ﷻ في وقت النبوة ينزل القرآن والصحابة يرون الآيات التي تنزل والمعجزات التي نزلت على النبي ﷺ؛ كخروج الماء من بين أصابعه، وآيات القرآن العظيمة، فهذه آيات تجعلهم يؤمنون بالله ، وتزيد إيمانهم بالله ، ونحن في زماننا هذا الله من علينا بكتابه العظيم ، وكونه الكبير، وآياته التكوينية ، وآياته الشرعية ، ويفتح لنا في كل يوم فتحاً في العلم ؛ حتى نعرف وحدانيته:﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[فصلت/ ٥٣].

فالله ﷻ هو الملك، هو الخلاق الذي خلق أعظم شيء، وهو العرش العظيم، المحيط بالكرسي، والكرسي محيط بالسموات، والسموات محيطة بالأرض، والله فوق عرشه محيط بكل محيط، ولا يحيط به محيط .

فالعرش أكبر المخلوقات، وأعظم المخلوقات ، وأوسع المخلوقات ، وأعلى المخلوقات، والله ﷻ استوى عليه؛ فهو أكمل المخلوقات؛ ولهذا استوى عليه جل جلاله برحمته :

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥].

وكذلك الله ﷻ خلق أصغر شيء، أصغر شيء مثلًا هذه البعوضة التي نراها، هذه البعوضة هي مليكة لا جيش لها سواها، تحقرها عين من تراها، لكنها مخيفة، هذا المخلوق الضعيف الله أظهر قدرته في خلق مخلوق ضعيف، وكشف لنا العلم الآن، أن هذه البعوضة التي نحتقرها كما قال النبي ﷺ: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُعدلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**» أخرجه الترمذي(١).

فالدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة.

كم نسبة الجناح من البعوضة؟ وكم وزن البعوضة؟ فهذه البعوضة الآن بين العلم كيفية خلقها، هذه البعوضة التي نراها لها مائة عين في رأسها، ولها خرطوم فيه ست سكاكين؛ لتقطع اللحم ثم ينفذ خرطومها في الجسم، ولها ثلاثة قلوب، ولها ثمانية وأربعون سنًا، فسبحان المبين الذي بين في خلقه العظيم كمال قدرته وعظمته، وعلمه وحكمته: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وبين كذلك قدرته في خلق المخلوق الضعيف كهذه البعوضة؛ فهذه البعوضة لا ترى ببصرها؛ ولهذا تمشي بسرعة في الظلام، وتصل إلى الهدف الذي تريد؛ فهي بواسطة الحرارة تصل إلى الأجسام، وعندها قدرة على تمييع الدم الغليظ الذي تأخذه من الإنسان، ليجري في عروقها، وهي تختار نوع الدم الذي يناسبها، وعندها جهاز تخدير تخدر به الإنسان، ثم تمتص دمه، ثم تطير؛ لتقول للإنسان أثناء طيرانها: قد أخذت منك أيها الإنسان الضعيف ما أريد، وها أنا فوقك لا تستطيع أن تصل إليَّ.

فسبحان الخلاق العليم، الذي أظهر قدرته في خلق الكبير والصغير، وفي خلق الجامدات والمائعات، وفي خلق الذكور والإناث، وفي خلق الجبال والبحار، وفي خلق الرطب واليابس، فأظهر قدرته؛ وبين دلائل توحيده ووحدانيته لنعلم أنه الحق المبين البين لكل أحد، الذي لا يخفى على أحد: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٢٠).

﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

هو سبحانه الملك الحق المبين الذي خلق العالم العلوي والعالم السفلي، وخلق الجامدات والمائعات، وخلق الرطب واليابس، وخلق الكبير والصغير، وخلق الدنيا وخلق الآخرة؛ فسبحان ربنا الملك الحق المبين، الذي يفعل ما يشاء، بقدرته ، وهو الخلاق العليم، وهو الحكيم العليم الذي لا يفعل إلا ما هو حكمة : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٥ ﴾ [الزمر: ٥] .

فالله ﷻ عزيز حكيم أفعاله كلها حكمة أظهر خمسة، وأخفى خمسة:

أظهر بعض المخلوقات التي تدل على وحدانيته، وحجب الخلق عن رؤيته بقوة نوره، وشدة ظهوره .

فأظهر المخلوقات وأخفى نفسه، وأظهر الدنيا وأخفى الآخرة، وأظهر قيمة الأموال والأشياء، وأخفى قيمة الإيمان والأعمال، وأظهر الأبدان وأخفى الأرواح، وأظهر سنته وأخفى قدرته : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ ﴾ [الأنعام: ٨٣] .

فأظهر سنته كالماء الذي ينزل من السماء على الأرض، فتنبت من كل زوج بهيج، هذه سنته ، لكن قدرته المخلوق لا يفعل إلا بإذن الله، الفعال هو الله: ﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ١٧ ﴾ [الأنفال/ ١٧].

فالخلق كله ، والأمر كله بيد : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فالمؤمن إذا تفكر تبين له الملك الحق المبين ، فرآه يخلق ويرزق، ويعطي، ويمنع، ويبسط ويقبض ويحيي ويميت، ويقلب الليل والنهار، ويراه يفعل في ملكه ما يشاء، حر بعد برد، وليل بعد نهار، وذكر وأنثى، وخوف وأمن ، وصحة ومرض .

ومن لم ينظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية ، ويعرف ربه في الدنيا فلن يراه يوم القيامة: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ ﴾ [المطففين: ١٥ – ١٦] .

فالله ﷻ منَّ علينا بجنة المعرفة التي نعرف بها ربنا ﷻ، ونعرف الذي بيده الهداية ، وبيده الأمن، وبيده الخير ، وهو على كل شيء قدير : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران: ٧٣].

فسبحان الهادي المبين الذي بين الحق من الباطل بيانًا شافيًا تقوم به الحجة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء/ ٢٦].

فلله الحمد والشكر على ما أنعم به علينا من نعمة الهداية والبيان: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة/ ١٨٧].

فهو سبحانه المبين البائن من خلقه، العالي فوق خلقه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨].

والإنسان كلما زاد إيمانه خاف بعقله، وكلما نقص إيمانه خاف بعينه؛ كغيره من الكفار والبهائم، فالكفار والبهائم تخاف بعيونها، إن رأت النار هربت منها، وإن رأت الحفرة أبعدت عنها، لكن المؤمن كلما زاد إيمانه بالنظر والتفكر في آيات الله خاف بعقله، يخاف من الملك الجبار يخاف من معصيته وعقوبته .

وكلما نقص إيمانه خاف بعينه كغيره من الكفار والبهائم الذين يخافون من الماء أن يغرق، أو النار أن تحرق.

وهذا الخوف طبيعي ، لكن المؤمن يترقى بفكره فيخاف بعقله؛ لأنه خائف على نفسه من معصية الرب الكبير المتعال جل جلاله؛ فيخاف بعقله ألا يمتثل أوامر ربه، ويخاف من معصية ربه، ويخاف مَن له الخلق والأمر؛ لأنه عرفه بعقله فيخاف من معصيته : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٩ – ٥٠] .

فلله الحمد والشكر لربنا الملك الحق المبين، الذي أبان دلائل قدرته وقوته، ودلائل حكمته ورحمته، ودلائل إحسانه وإنعامه .

هو المبين الذي أبان لكل إنسان حقيقة وجوده : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن

شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾[الإنسان/ ١ – ٣].

وأبان لكل إنسان حكمة خلقه فقال : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

فأبان لكل إنسان حقيقة وجوده ، وأبان له سبل هدايته، ورحمته ونجاته : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾[الأنعام/ ١٥٣].

هو الملك الحق المبين الذي أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، من أجل هداية خلقه : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦].

فلله الحمد على نعمة الأيمان، وعلى نعمة هداية القلوب، وعلى نعمة الأقوات فأبان لنا سبل الرزق، ويسر لنا سبل الرزق، بالبذر والغرس ، وأنواع التجارات المختلفة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ ﴾ [الجمعة: ٩ – ١٠] .

فالله ﷻ ما جعل رزق الإنسان في التجارة، إنما التجارة سبب، ولله أوامر تمتثل وقت التجارة، وأوامر تمتثل وقت المرض، وأوامر تمتثل وقت الصحة، وأوامر عند الأكل، وأوامر عند النوم، فالله ﷻ بيده كل شيء : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾ [هود: ٦].

والله يحب أن يمتثل أمره، ويحب أن نصدق أخباره ، ونطبق أحكامه؛ لأن كل ذلك حق.

فهو جل جلاله المبين الذي بين سبل الهداية، وسبل الرزق، وسبل الفلاح: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا

كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل/ ٩٧].
وبين سبحانه سبل النجاة، وسبل الهلاك فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣ – ١٤].
وبين لنا أن الفوز والنجاة والفلاح في طاعة الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون: ١ – ٤].
وبين جل جلاله كل شيء في آياته الكونية، وآياته التكوينية، وآياته الشرعية: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].
وبين المبين سبل معرفة خلق الخلائق، وسبل معرفة خلق الإنسان، وسبل معرفة هداية الإنسان، وسبل معرفة رزقه، وسبل صلاحه، وسبل نجاته، وسبل هلاكه، بين كل شيء: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة/ ٨٩].
في أي شيء ؟ في كتابه العظيم: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ١ – ٢].
هو المبين لكل شيء مما يحبه الله ويرضاه، ومما يسخطه ويكرهه، المبين لأنواع العبادات، وأنواع الشرائع، المبين للحق من الباطل، المبين للحلال من الحرام، المبين للوعد والوعيد، المبين للثواب والعقاب.
فسبحان ربنا العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة.
فالله ﷻ له أوصاف الكمال والجلال والجمال، وأوصاف الخلق أوصاف فقر وضعف وعجز واحتياج: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].
وأوصاف الخلق أوصاف فقر وضعف وعجز واحتياج: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].
فهذه المعارف العظيمة تجعل الإنسان يحب ربه، ويكبره، ويحمده ويقبل على عبادته

بالحب والتعظيم والذل له في كل حال من أحواله.

هو سبحانه الحق المبين الذي بين لعباده أسماءه وصفاته وأفعاله في مخلوقاته، ليعرفوه؛ فإذا عرفوه؛ عظموه وكبروه وأحبوه، ثم عبدوه وأطاعوه وحده لا شريك له في كل حال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢].

هو سبحانه الحق المبين الذي أعطى أنواع البيان للإنسان نطقًا ، وإشارةً ، وكتابةً: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾[الرحمن/ ١- ٤].

هو سبحانه الملك الحق المبين، والإله الحق العظيم ، البين أمره في الوحدانية ، والعظمة ، والجلال ، والكبرياء ، والجمال .

المبين الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والنعوت الجميلة ، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾[الحج/ ٦٢].

فسبحان الملك الحق المبين، الذي بين لخلقه سبيل الرشاد، وكشف لهم الصراط المستقيم؛ ليسلكوه إليه، ووضح لهم الأعمال الصالحة، التي ينالون بها الثواب، وكشف لهم الأعمال السيئة التي يستحقون بها العقاب؛ لأنه الكريم الرحيم الرؤوف بعباده: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾[النساء/ ٢٦].

ولنعلم أن الخلق لَمَّا قصُرت أفهامهم عن إدراك كنه بارئهم مع ما فرضه عليهم من وجوب معرفته؛ بين لهم سبحانه أسماءه وصفاته بما أظهره من المخلوقات العظيمة ، والآيات الكريمة ، الدالة على معرفة ذاته وأسمائه وصفاته جل جلاله : ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة: ١٥- ١٦].

فالله ﷻ خلق المخلوقات ، وأودع فيها أسماءه وصفاته، فإذا رأينا المخلوقات عرفنا أن لها خالقاً، وإذا عرفنا عظمتها عرفنا أن خالقها عظيم، وإذا عرفنا قوتها عرفنا أن خالقها قوي، وهكذا نعرف الله ﷻ بالنظر والتفكر ، ثم أكد الله ذلك في كتابه الكريم فقال : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

فبين سبحانه أسماءه الحسنى ، وصفاته العلى، وأفعاله الكبيرة ، في جميع مخلوقاته العلوية والسفلية، وأوامره وكلماته الكونية والشرعية التي تدل على كمال علمه وقدرته ، وتشهد بوحدانيته : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فبين سبحانه أنه الواحد الأحد حتى نوحده : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١– ٤].

وبين سبحانه أسماءه وصفاته في آياته ومخلوقاته ، حتى نعرف من نعبد، لنعرف أن الذي نعبد هو الكبير ، وهو العظيم ، وهو القوي، وهو القاهر، وهو الخلاق ، وهو العليم ، وهو السميع، وهو البصير، وهو الملك ، وهو الكريم ، وهو الرزاق، وهو اللطيف؛ فنعرف الآمر قبل معرفة أوامره، ثم نتقرب إليه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

أبان سبحانه كل شيء خلقه بما خصه به من الصفات، حتى يتميز عن غيره، فأبان سبحانه كل شيء خلقه من مخلوقاته بما خصه به من الصفات، وأنزل كتابه المبين مبيناً

لمراده من خلقه جل جلاله .

أبان كل المخلوقات ، وميز بعضها من بعض، إظهاراً لقدرته أبان البحر من الجبل، والسماء من الأرض، والذكر من الأنثى، والجماد من النبات ، والرطب من اليابس، والنار من الماء، والإنسان من الحيوان؛ أبان كل شيء خلقه بما خصه به من الصفات ليعلم عباده بكمال أسمائه وصفاته .

وأنزل كتابه المبين مبينًا لمراده من خلقه، ما مراده من خلقه؟ مراده عبادته وحده لا شريك له : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة/ ٢١ – ٢٢].

هو المبين الذي أرسل رسله لبيان ما في كتابه؛ حتى أظهر الحق من الباطن، وبين التوحيد من الشرك، وبين الخالق من المخلوق، والقادر من العاجز: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النحل/ ٤٤].

فيعرفون من يستحق أن يطاع فلا يعصى، ومن يستحق أن يذكر فلا ينسى، ومن يستحق أن يشكر فلا يكفر: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فمن نظر وتفكر في هذا الكون العظيم؛ وجده كله أعلاه وأسفله، مشيرًا بأجزائه وجملته إلى أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، فهذه الأسماء والصفات تشير إلى الملك الحق المبين جل جلاله: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق/ ٦ – ٨].

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] .

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١–٣٢].

ومن عرف ذلك قنت لربه في كل حال: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر/ ٩].

فإذا عرفنا الملك الحق المبين، وماذا يجب له من التوحيد والتعظيم والعبادة؛ فقد وجب علينا شكره وحمده: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦–٣٧].

فإذا عرفنا هذا عرفت الملك الحق المبين، وإذا تبين لك الطريق واستبان لك السبيل: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم/ ٣٠].

الحمد لله رب العالمين الذي أبان لنا الحق، وحببه إلينا، ورغبنا فيه، وأثابتنا عليه، فلله الحمد والشكر.

الله عز وجل هو الملك الحق المبين الذي خاطب عباده بكل أنواع البيان، وأقام حجته بأعظم أنواع البيان والبرهان؛ فما أرسل المبين رسولًا إلا بلسان قومه؛ ليبين لهم ما يفعلون وما يتقون: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وبين المبين في كتابه المبين الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، وأحكام الحلال والحرام، والوعد والوعيد، وحياة السعداء وحياة الأشقياء: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥–١٦].

فلله الحمد والشكر على أن بين لنا الحق، وأظهره لنا، لنتقرب إليه بما يحبه ويرضاه،

ونبتُعد عما يكرهه ويسخطه: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء/ ١٧٦].

وبين المبين جل جلاله في كتابه آياته الدالة على وحدانيته، وآياته الدالة على كمال جلاله وجماله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

وبين المبين سبحانه في كتابه العظيم أعمال أوليائه، وثواب أتقيائه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧١- ٧٢].

وبين كذلك في كتابه المبين أعمال أعدائه، وعقاب من كفر به، فقال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة/ ٦٧ - ٦٨].

فالله ﷻ بشر المؤمنين بحسن الثواب: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥].

وبشر الكافرين بسوء العقاب: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٨ - ١٣٩].

وبين المبين أعمال المؤمن من أعمال الكافر: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ۝١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾ [السجدة: ١٨ – ٢٠].

وبين المبين سبحانه في كتابه جزيل ثواب الدعاة إلى الله فقال : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣].

وقال ﷻ : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

وبين عظيم جرم من كتم العلم وترك بيان الحق للناس فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٠﴾ [البقرة/ ١٥٩- ١٦٠].

والله ﷻ بين عقوبة من كتم العلم، وترك الدعوة : ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ۝٣٨﴾ [محمد/ ٣٨].

عقوبة ترك الدعوة استبدال، أما عقوبة المعاصي من زنى ومن سرقة ، فهذا قطع لليد وهذا ضرب بالعصا .

فالله ﷻ بين في كتابه الحق ، ومن يعمل بالحق ، وثواب أهل الحق، وبين الباطل، ومن يعمل بالباطل ، وجزاء من عمل بالباطل.

فسبحان ربنا المبين الذي تكفل ببيان كل ما يحتاجه الخلق من بيان أركان التوحيد والإسلام والإيمان، وبيان العبادات والمعاملات وبيان الآداب والأخلاق وبيان الوعد والوعيد، والثواب والعقاب: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل/ ٨٩].

الله أكبر ما أعظم بيان ربنا الملك الحق المبين لعباده ما يسعدهم في الدنيا والآخرة!، وما

أرحمه لهم!: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة/ ٩٩].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد/ ٩].

والله سبحانه هو الحق المبين الذي أرسل رسله؛ لبيان ما يريده من عباده، وما يحبه من عباده، وبيان ما أعده لعباده: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد/ ٢٥].

هو سبحانه المبين الذي بين للخلق كافة ما ينفعهم ويصلحهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة، بين لهم الأرزاق، وبين سبل تحصيلها، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول؛ ليهتدوا بها إلى خالقهم فيحمدوه على نعمه ، ويسبحوا بحمده، ويمجدونه ويكبرونه :

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور/ ٤٦].

فسبحان المبين الذي أبان لعباده كل شيء، وخص رسله ببيان الحق الذي أنزله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل/ ٤٤].

هو سبحانه الذي نور قلوب من شاء من عباده بنور الإيمان والتوحيد والقرآن: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٨- ٤٩].

والحمد لله رب العالمين الذي أبان لنا الحق ورغبنا فيه، وأبان لنا الباطل وحذرنا منه :

﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

التعبد لله عز وجل باسمه المبين

الله سبحانه هو الملك الحق المبين ، الظاهر للبصائر، المبين الذي أظهر وبين وأوضح الدلائل والبينات التي تدل على أنه الرب الحق ، الإله الحق ، الملك الحق الهادي إلى الصراط المستقيم، هداية بيان وإرشاد، وهداية توفيق وإلهام : ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النور: ٤٦] .

والله سبحانه هو الحق المبين، يحب أسماءه الحسنى ، وصفاته العلى، ويحب من تخلق بها، واتصف بها من عباده ، فالله يحب المؤمنين، ويحب المحسنين ، ويحب التوابين ويحب الصابرين : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

فالله سبحانه هو الحق المبين الذي بين نفسه بما أظهره من أسمائه وصفاته بآياته ومخلوقاته، وبين ما يحبه وما يكرهه ، وما يرضيه وما يسخطه، وما يقبله وما لايقبله .

فيا عبد المبين :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩].

وعليكم أيها المؤمنون معرفة ما تتقربون به إلى مولاكم فتنجو به من عذابه من معرفة أمره ونهيه، وحلاله وحرامه، ووعده ووعيده، ومواعظه وأحكامه وأخباره .

فالتعبد لربكم بموجب هذه المعرفة، يثمر لكم حب الله وتعظيمه وخشيته وتقواه : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٧] .

ثم اعمل أيها المسلم والمسلمة بما علمت، وبينه للناس، وأحسن إليهم كما أحسن الله إليك، وعلمهم كما علمك الله تكن من الربانيين: ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران/ ٧٩].

واعلم أن الله ﷻ بين في كتابه مراده من عباده، وبين رسوله ﷺ أحسن ما يتقربون به إلى ربهم فبين أنت رحمك الله لخلقه ذلك ، وعلم عباده مما علمك الله، وثواب ذلك عائد عليك ، عسى أن تحشر في زمرة العلماء ، تلو الأنبياء، شاهدًا على الناس مع الشهداء ،

بالحق المبين: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩ – ٧٠].

يا عبد المبين إذا وهبك الله نعمة العلم بأسمائه وصفته، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بحلاله وحرامه، وثوابه وعقابه، فبينه للناس، واعبد ربك بمقتضاه تفوز برضاه: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

وإياك وكتمان العلم إن وجدت له سائلًا، أو ألفيت له طالبًا، أو تبينت له موضعًا، فكاتم البينات من العلم والهدى ملعون في كتاب الله لعنًا مضاعفًا، ويلجم بلجام من نار يوم القيامة، إن لم يتب ويصلح ويبين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة/ ١٥٩ - ١٦٠].

فالله ﷻ بين الحق، وأمرنا ببيانه للناس، فجهدنا على أنفسنا بالاستقامة على خمسة أمور: طاعات نؤديها، ومعاصي نجتنبها، ونعم نشكر الله عليها، وابتلاءات نصبر عليها، وذنوب نستغفر الله منها.

- **أما جهدنا على الغير؛ فنبين لهم ما أنزل الله في كتابه، ونجتهد عليهم بثلاثة أمور:**

الأول: جهد على الكافر لعله يهتدي، نبين له الحق لعل الله أن يهديه: ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [السجدة: ٣].

الثاني: جهد على الجاهل ليكون عالماً، وجهد على الفاسد ليكون صالحاً، وجهد على الغافل ليكون ذاكراً: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

الثالث: جهد على العالم ليكون معلمًا، وجهد على الصالح ليكون مصلحًا، وجهد على الذاكر ليكون مذكرًا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ٢١].

هذه جهود ثلاثة في مجال الدعوة، فالله فتح لنا هذه الأبواب، وبين لنا الحق، وأمرنا ببيان

الحق للناس كلهم : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم/ ٥٢].

فالحق أبين من كل بين، والحق أسهل شيء ، والعمل به أيسر وأسهل شيء: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[القمر/ ١٧].

كذلك الله ﷻ أعطانا الفقراء والضعفاء والمحتاجين، محل صدقاتنا وإعانتنا، فنبين للناس كل ما يهمهم من مصالح دنياهم ودينهم ، ونبلغ عن نبينا ﷺ أقواله الحسنة، وأعماله الصالحة، وأخلاقه العالية؛ ليكون كل مسلم مقتديًا بالرسول ﷺ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب/ ٢١].

فمن عرف ربه باسمه المبين هو سبحانه المبين البين لكل أحد، الظاهر للبصائر والعقول، بآياته الكونية، وآياته التكوينية، وآياته الشرعية، والمبين لكل شيء، مبين للحق من الباطل، ومبين للمخلوقات بصفاتها، ومبين لملكه وسلطانه العظيم، والمبين للعبد ما له في الدنيا وما له في الآخرة : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨] .

من عرف ربه باسمه المبين أحبه وحمده وشكره؛ لما يرى من عظيم إحسانه وإنعامه ، وجزيل نعمائه ، وعظيم إكرامه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام/ ١٠٢].

وإذا عرف العبد ربه المبين كبره وعظمه ومجده، لما يرى من عظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه ، وعظمة حكمه وشرعه، وعظمة ثوابه وعقابه، وعظمة وعده ووعيده : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر/ ٦٥].

والمسلم إذا عرف ربه باسمه المبين، عرف أنه الرب الحق والإله الحق، والملك الحق؛ فوحده بأسمائه وصفاته ، ووحده بعبادته؛ لما يراه من جلاله وجماله ، وإنعامه وإحسانه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

والمسلم إذا عرف ربه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة، اطمأن بذكره ،

وسارع إلى مرضاته، وسلم لأحكامه القدرية والشرعية : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

واستقام على أمره : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال/ ٢- ٤].

فاللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه .

ومن عرف ربه المبين افتقر إليه في جميع أحواله، وطلب الهداية منه، وسأل ربه الثبات على الحق: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص/ ٥٦].

وعبد المؤمن، وعبد المبين ، عليه أن يستقيم على أوامر ربه المبين، ويدعو الناس إلى عبادة ربه المبين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

وقال ﷻ : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

وعبد المبين يعلم المؤمنين دين ربهم، ويبين لهم أحكامه، وفضائله ومسائله: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران/ ٧٩].

وقال النبي ﷺ : « **خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ** » أخرجه البخاري(١).

وقال ﷺ : « **مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** » متفق عليه(٢).

فعلينا جميعًا أن نحسن الظن بربنا، ونحسن الظن بإخواننا من كانوا وحيث كانوا، ولا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣٧).

نقبل الكلام عن غيرنا حتى يتبين لنا ثبوت ذلك عنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات/ ٦].

وإذا اشتبهت عليك الأمور، وعز عليك معرفة الحق، فاسأل المبين أن يكشف لك ما استغلق عليك من المسائل: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون؛ اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

فاللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه يا أرحم الرحمين.

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم إني اعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا.

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا برحمتك يا أرحم الرحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الحي

اسم الله الحي

الله ﷻ هو الحي بجميع صفات الكمال ، فله الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

وقد ورد اسم الله الحي في القرآن (٥) مرات .

- **والله ﷻ خلق في هذا الكون نوعين من المخلوقات :**

أحدها : مخلوقات مُسخَّرة مجبولة على الطاعة ، اختارت أن تكون مُسخَّرة مطيعة لربها ، وهي كل ما سوى الإنس والجن ، جميع المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، هذه المخلوقات اختارت أن تكون مُسخَّرة مطيعة لربها ، شاهدة بوحدانيته ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

الثاني: الإنس والجن ، هؤلاء هم المخاطَبون بالأوامر الشرعية وفيهم إيمانٌ فطري فطَرَ الله القلوب عليه ، ولكن لابد من سقي هذا الإيمان الفطري بالإيمان الكسبي الذي نجتهد حتى نتحصل عليه ، كما نجتهد للحصول على الأموال حتى نشتري الأشياء ، نجتهد للحصول على الإيمان الذي يقوي هذا الإنسان قلبًا وقالبًا على عبادة الله ﷻ بالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد والدعوة وغير ذلك من الأعمال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

لابد أن يمتلئ القلب بالإيمان المولّد للطاقة العملية ، وهذه الطاقة موجهة ومقيدة بما جاء عن النبي ﷺ ، فتوجيه الطاقة بيد الإنسان ، يوجّه طاقته إلى الحق أو إلى الباطل ، أو إلى الخير أو إلى الشر : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٩ – ٣١].

بحسب البيئة الإيمانية يزداد إيمان العبد ، وإذا زاد الإيمان في القلب بمعرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله جاءت الطاعات متوالية ، وجاءت الطاعات متنوعة ، وجاءت المسارعة والمسابقة إلى الخيرات ، وإلى الأعمال الصالحة : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

جاءت هذه العبادات سهلة بالمحبة والتعظيم والذل لله ﷻ ، هذه أركان العبادة التي يجب علينا أن نعبد الله ﷻ بموجبها : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١ – ٢].

- **فكل عبادة من العبادات تقوم على أركانٍ ثلاثة :**

حب الله ﷻ.. والخوف من الله ﷻ.. ورجاء ثواب الله ﷻ .

نحن عبيد لله ، والله ﷻ أعطانا الاختيار لتوجيه الطاقة للعمل بالحق ، أو العمل بالباطل : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٩] .

هذه القلوب بأمسّ الحاجة إلى معرفة معبودها وفاطرها جل جلاله ، تعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتعرف عظمة نعمه وإحسانه ، وتعرف وعده ووعيده ، حتى تمتثل أمره ، وتجتنب نهيه ، بهذه الصفات الثلاث : حب الله ﷻ.. والخوف من عقابه.. ورجاء ثوابه.

الركن الأول : محبة الله ﷻ أهم أركان العبادة ، والإنسان إما عابد لله ، أو عابد لعبد الله، بحسب معرفته بالله ، وجهله بالله ، إما أن يكون عابداً لله أو عابداً لعبد الله ، ممن يسبح بحمده من مخلوقاته حجرٍ أو شجرٍ أو غيرهما .

ولا يعبد غير الله إلا من لم يعرف الله ، من لم يعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويعرف عظمة مُلكه وسلطانه ، ويعرف ثوابه وعقابه ، ويعرف وعده ووعيده ، ويعرف أمره ونهيه ، فلابد أن يجره الشيطان إلى عبادة غير الله من الأهواء والأصنام والأحجار ، وأعظم صنم معبود من دون الله هو صنم الهوى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾ [القصص/ ٥٠] .

الهوى الذي يهوي بالإنسان من الحق إلى الباطل ، ومن العلو إلى السُفُل ، ومن الإيمان إلى الكفر ، فالهوى مقابل الهدى ، ولا يحق للإنسان أن يعيش ثانية واحدة بغير الهدى ؛ لأنه إذا عاش بغير الهدى ضل ، وإذا ضل عمى عن الطريق الذي يسير عليه إلى ربه : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ولا تكون العبادة حقًا إلا لمن عرف الله حقًا بأسمائه وصفاته وأفعاله .

ومحبة الله ﷻ ثمرة معرفة عظمته ، وكبريائه ، وجلاله ، وجبروته ، ومُلكه ، وسلطانه ، وثمرة معرفة نعمه ، وإحسانه ، وفضله ، وإكرامه لخلقه ، فجميع النعم التي نتنعم بها كلها بفضل الله ﷻ ، ومن نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى .

فأنا أحب العظيم ، وأحب الكريم ، أحب العظيم لعظمته ؛ لأنه بهرني بعظمته وجلاله ، وأحب الكريم ، لإنعامه عليّ وعلى غيري ، ولأنه أعطاني خيرًا وصرف عني شرًا : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فمحبة الله ﷻ أهم أركان العبادة ، فيجب علينا أن نُحب الله ، وأن نُحب رسوله ﷺ ، ونحب المؤمنين، ونُحب دينه وكل ما يحبه الله ويرضاه من الطاعات ، ونحب كل ما يحبه الله ورسوله ، أكثر مما نحب أنفسنا وأولادنا وأموالنا ، ونكره كل ما يكرهه الله من المعاصي .

ومحبة الله تنشأ من معرفة أسمائه الحُسنى ، وصفاته العُلى ، ومن معرفة نعمه وإحسانه، ومعرفة صفات جلاله وجماله .

وكلما زادت معرفة العبد بربه زادت محبته لله ، وإجلاله ، وتعظيمه ، وزاد حب الله له وزادت طاعته لربه ، والمحبة الكاملة مقرونة بالطاعة الكاملة .

فمتى جاءت المحبة الكاملة ، جاءت الطاعة الكاملة ، وجاء الثواب الكامل ، والرضا الكامل من ربنا ﷻ .

وكلما نقصت معرفة العبد بربه نقص حبه لله ، ونقصت طاعته له ، وزادت معاصيه ، وكلما عصى العبد ربه نقصت محبته لله بقدر معصيته ، وكلما أطاع العبد ربه زاد حب الله له بقدر طاعته قال الله ﷻ في الحديث القدسي : «**مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**» أخرجه البخاري(١) .

وإذا ضعفت محبة الله في قلب العبد بسبب كثرة المعاصي ، فقد لذة العبادة ، واستولى عليه الشيطان ، فيؤدي العبادة وهو لاهٍ غافلٍ عن ربه ويجد قسوة في قلبه ، ويشعر بلذة المعصية ، ويحس بثقل الطاعة .

فالأوامر الشرعية في مقابلها الشهوات الحيوانية ، وهذا محل الابتلاء.

الأوامر الإلهية من ربنا جل جلاله على هذا الإنسان يقابلها الشهوات الحيوانية ، الملائكة مجبولون على الطاعات ، ليس عندهم شهوات تصرفهم عن الطاعة ، ولكننا نحن اخترنا أن نكون مختارين أن نؤمن أو نكفر ، نفعل الخير أو نفعل الشر ، أن نعمل بالحق أو نعمل بالباطل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ومما يقوي محبة الله ﷻ في قلب العبد معرفته بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة نعم الله عليه ، وأداء الواجبات ، واجتناب المحرمات والإكثار من نوافل العبادات .

الركن الثاني من أركان العبادة الخوف من الله تعالى ، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف .

والخوف من الله ﷻ إنما ينشأ من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة وعيد الله لمن عصاه بالعقوبة ومعرفة شدة عقوبة الله لمن عصاه بالعذاب الأليم ، والعذاب

(١)أخرجه البخاري برقم: ٦٥٠٢.

العظيم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾
[هود: ١٠٢] .

وكلما قويَ إيمان العبد ، وتصديقه بعذاب الله ، ومعرفة شدة عذابه لمن عصاه اشتد خوفه من الله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل: ٤٩ – ٥٠] .

فالخوف من الله ينشأ من معرفة عظمة الله ، وكبريائه ، وجلاله ، وجبروته ، وعظمة مُلكه وسلطانه ، وأنه كبير ، محيط بكل كبير ، عالمٌ بكل شيء ، قادر على كل شيء ، محيطٌ بكل شيء ، لا يخفى عليه شيء ، ولا يُعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض ، له العالم العلوي ، وله العالم السفلي ، خلق العرش والكرسي ، وخلق السماوات والأرض وخلق ما بينهن ، وخلق ما في الأرض من الجبال والبحار والأنهار ، والنبات والحيوان ، والإنس والجن ، وخلق السماوات العلا وملأها بالملائكة ، هذه عظمة ملك الحي القيوم تولد الهيبة والخشية ، والخوف والرهبة من الله الملك العزيز الجبار ، فأمتثل أوامره ، وأجتنب نواهيه ، لأني أعلم أنه إذا أمرني بأمر وخالفته فالله ﷻ يعاقبني حسب جنايتي .

فالعقوبة حقٌ لله ﷻ على من عصاه ، أما الثواب فهو حقٌ للعبد من الله ، فالله ﷻ لا يظلم مثقال ذرة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء/ ٤٠] .

فنعرف عظمة الله وكبرياءه وجلاله وجبروته حتى يتولد عندنا الخوف من الله ، الخوف من المعاصي ، الخوف من نار جهنم ، الخوف مما يجري في عرصات القيامة ، كما قال الله عن الكفار : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الزمر: ١٦].

ومتى نخاف الله ونخشاه ؟ نخافه إذا عرفناه ، عرفنا صفات جلاله من المُلك والقوة والقدرة والقهر ، وصفات الجلال لله ﷻ تولد الخوف والهيبة والخشية لله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر/٢٨] .

الذين يعلمون أن ربهم بيده ملكوت السماوات والأرض ، السماوات من جند الله ، والأرض من جند الله ، والرياح من جند الله ، والنار من جند الله ، وكل مخلوق من جند الله : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٧ ﴾[الفتح/٧] .

فالله ﷻ ملكٌ عظيم ، وسلطانه كبير ، ويفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه ، فإذا عرفته بأسمائه الحُسنى ، وبصفات جلاله ، ازداد خوفي منه فأخاف من يملك القدرة ، ومن يملك القوة ، ومن يملك القهر ، ومن خلق الجبال ، وخلق البحار ، وخلق النيران ، وخلق الإنس ، وخلق الجن ، وخلق النار ، وخلق السماوات ، وخلق الأرض ، وخلق الملائكة ، وخلق الكرسي : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فإذا عرفت الله ﷻ جاء في قلبي تعظيمه جل جلاله ، وخشيته ، والخوف منه ، فأقبلت على طاعته واجتنبت معصيته :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩].

الركن الثالث من أركان العبادة الواجبة لله ﷻ رجاء الله تعالى .

والرجاء هو الطمع في ثواب الله ومغفرته .

- **والرجاء ينقسم إلى ثلاثة أقسام :**

الرجاء الأول : رجاء المؤمن الذي أطاع الله في أن يتقبل الله عمله من الأقوال والأعمال الصالحة ، وأن يثيبه عليه بالفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، فالأعمال كلها من فضل الله ﷻ ، فالله خلقنا ، وهدانا للإسلام ، وحبب إلينا الطاعات ، وأعاننا عليها، ويسَّر لنا القيام بها ، وقبلها وأثاب عليها ، وضاعف الثواب عليها ، ثم يأتي بعد ذلك رضوانه الله جل جلاله ودخول الجنة ، فالمؤمن يرجو أن يتقبل الله ﷻ عمله : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾[الكهف/ ١١٠].

والعمل الصالح من فضل الله ﷻ على الإنسان ، فالمؤمن يرجو أن يتقبل الله عمله ، وأن يثيبه عليه بالفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، نحن لا نستحق على الله شيئًا ، لأننا عبيده ولكنه كريم ، العطاء أحب إليه من المنع جل جلاله .

فهذا الرجاء الأول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٨].

الرجاء الثاني : رجاء من أذنب ذنوبًا ، ثم تاب منها ، سرق أو قتل أو شرب الخمر أو ترك الصلاة أو فعل شيئاً من الفواحش ، رجاء من أذنب ذنوبًا ، ثم تاب منها ، أن يغفر الله له ذنوبه وأن يعفو عنها ويبدلها حسنات ، فالله ﷻكريم يقبل التوبة وغافر الذنب وقابل التوب ويعفو عن السيئات ، والعفو أحب إليه من الانتقام ، والرحمة أحب إليه من القسوة ، والعطاء أحب إليه من المنع ، فأنا أرجو الله حينما أعبده إذا أذنبت ذنبًا ثم تبت منه أن يعفو الله عني ، وأن يبدل سيئاتي حسنات : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان/ ٦٨ – ٧٠].

وهذان النوعان محمودان مأمورٌ بهما شرعًا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر/ ٢٩].

الرجاء الثالث : رجاء من هو متمادٍ في التفريط في الواجبات ، والوقوع في المحرمات ، دون توبة ، ومع ذلك يرجو رحمة الله ، فهذا هو الغرور والتمني ، والرجاء الكاذب المذموم :

فيجب علينا أن نعبد الله محبةً له ، وطمعًا في ثوابه ، وخوفًا من عقابه ، والمسلم يرجو الله ﷻ ، ويخافه ، ويحبه جل جلاله .

هذه الأمور الثلاثة لا تنفك عن أي عبادة سواءً كانت دعوة ، أو تعليمًا لشرع الله أو إحساناً إلى خلق الله ، أو صلاة أو صياماً أو ذكراً أو دعاءً ، أو أي عملٍ صالح ، نحن نتقرب إلى الله بإخلاص العبادة لله مع كمال الحب له ، وكمال التعظيم له ، وكمال الذل له ، مع رجاء ثوابه والخوف من عقابه.

ولهذا أمرنا الله ﷻ أن نذكره ذكراً كثيراً لأن من ذكر الله أحبه وخافه ورجاه :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣] .

فلابد من ذكر الله ﷻ حتى نستحضر عظمة الله ، فإذا استحضرنا عظمة الله ﷻ أقبلنا على طاعته، وابتُعدنا عن معصيته، وأدّينا العبادة بالمحبة والتعظيم والذل لله ﷻ .

- **وذكر الله ﷻ يكون بحسب معرفته :**

يكون باللسان.. ويكون بالقلب.. ويكون بالجوارح .

فالذكر باللسان : يكون بحمد الله ، وتسبيحه ، وتكبيره ، وتمجيده ، وقراءة كتابه ، والدعوة إلى دينه ، وتعليم شرعه .

- **وذكر الله بالقلب ثلاثة أنواع :**

الأول : التفكر في الدلائل الدالة على كمال ذاته وأسمائه وصفاته و أفعاله ، بالنظر في الآيات الكونية التي خلقها الله ﷻ : ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١] .

انظروا في العالم العلوي هذه السماء العظيمة ، وهذه النجوم المنثورة ، وهذه السحب المتراكمة ، وهذه الرياح التي تهب ، وهذه الطيور السابحة ، وهذه الأفلاك الواسعة ، وهذه الشمس المضيئة ، وهذا القمر المنير ، وهذه الأرض الممهودة ، وهذه الكائنات التي تدب على وجه الأرض في الجو ، وفي البر ، وفي البحر ، هذه الخلائق العظيمة لاشك أن لها خالق :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ

كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢ -١٠٣] .

ولكل مخلوق من هذه المخلوقات ، بل لكل ذرة في هذه المخلوقات ، ثلاثة أوامر من ربنا ﷻ :

أمر بالخلق والإيجاد.. وأمر بالبقاء.. وأمر بالنفع والضُر ، والتحريك والتسكين .

فالله ﷻ حيٌ قيوم ، قائم على كل شي : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

الله ﷻ هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم ، هو الحي الذي حياته كاملة ليست مسبوقة بعدم ولا يلحقها زوال ولا يعتريها نقصٌ أو عيب : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

هو الحي بجميع صفات الكمال من السمع والبصر ، والعلم والقدرة ، والكرم والرحمة ، والإرادة والمشيئة ، والتصريف والتدبير وغير ذلك من الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨] .

فالله ﷻ إذا عرفناه أحببناه وكبرناه ، وإذا أحببناه عبدناه ، وإذا عبدناه استجاب دعاءنا ، وإذا استجاب دعاءنا أعطانا ما يُسعدنا في الدنيا ، وما يُسعدنا في الآخرة ، فلابد من ذكر الله ؛ لأن ذكر الله ﷻ عبادةٌ مفتوحة في جميع الأوقات ، وفي جميع الأزمان ، وفي جميع الأماكن وفي جميع الحالات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٢] .

هو الحي الذي أحيا كل حي ، هو الحي الذي خلق الحياة في كل حي ، هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم ، حيٌ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، من يُدبّر العالم العلوي والعالم السفلي لو نام ؟ من يُدبّر النجوم ، من يُدبّر الرياح ؟ من يُدبّر

البحار ؟ من يُدبّر مليارات المخلوقات في البر والبحر والجو ؟ من يُدبّر الملائكة في السماء ؟ من يُدبّر المخلوقات على ظهر الأرض من جمادات ونباتات وحيوانات وإنس وجن ؟ : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس/ ٣١ – ٣٢] .

الله ﷻ هو الحي الذي يُدبّر الأوامر الملكية في العالم العلوي والعالم السفلي ، وفي عالم الغيب والشهادة ، وفي الدنيا و الآخرة ، من حياة وموت ، وتحريك وتسكين ، وعطاء ومنع : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

فالله ﷻ له الخلق والأمر في هذا الملكوت العظيم ، فلا شيء ألذ في هذه الحياة ، وأشهى للقلوب ، من اللذة بمعرفة الله وأسمائه وصفاته ، والتعبد له بموجب هذه المعرفة ، والوقوف بين يديه بالعبادة ، والوقوف بين يدي خلقه بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ،والنهي عن المنكر ، وتحبيب الناس إلى ربهم بتعريفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله ليعظموه ، وتعريفهم بنعمه ليشكروه ، وتعريفهم بالطاعات المقربة إليه ليُقبلوا عليها ، وتعريفهم بالمعاصي التي تُبعدهم عنه ليحذروها .

فنحن عبيد لله ﷻ ، وليس للعبد أن يقضي وقته على هواه ، بل على هدى ربه ، ليس للعبد أن يخالف أوامر سيده ، فلا تشغله شهواته عن أوامر ربه ﷻ :﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠] .

هذه حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، حياته ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ، وكان بين يدي الخلق داعيًا ، ومعلمًا ، ومحسناً ومبشرًا ونذيرًا .

وجُلّ وقته مقسوم على العبادة ، والدعوة ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله.

قائم بالعبادات الانفرادية ، والعبادات الاجتماعية ، العبادات الانفرادية كقراءة القرآن والذكر والدعاء ، وهذه تسمى الأوامر الخفيفة.

ويقوم بالعبادات الاجتماعية كالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، والنصيحة والجهاد في سبيل الله ، هذه تسمى الأوامر الثقيلة ، والإيمان يزيد بالأوامر الخفيفة ، والأوامر الثقيلة على النفس :﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[التوبة/ ٧١] .

الدعوة إلى الله أعظم أوامر الله بعد الإيمان ، لأنها أم الأعمال كلها التوحيد والأيمان والأعمال الصالحة.

لهذا الدعوة تحتاج إلى تضحيات ، تضحية بالأوقات ، بالأموال ، بالأنفس ، بالشهوات ، بالتغرب عن البلاد ، وعن الأهل ، كما فعل النبي ﷺ انتقل من مكة إلى المدينة من أجل الدين ، ومن المدينة خرج مائة وخمسين خروجاً كلها في الدعوة إلى الله ، ونشر دين الله ، وصدّ عدوان الأعداء الذين يحاربون دين الله ﷻ :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات/ ١٥] .

القسم الثاني : الفكر في الدلائل الدالة على كمال أحكام الله وتكاليفه الشرعية ، وأوامره ونواهيه ، ووعده ووعيده ، نتفكر في الأوامر الشرعية على عباده ، نتفكر في الصلاة كيف الصلاة تصل العبد بربه ؟ ، فالصلاة فيها خمس صفات :

تكبير الله ﷻ (الله أكبر).. وحمده (الحمد لله رب العالمين).. واستغفاره بين السجدتين.. وسؤاله الهداية.. وتقديم التحية له.. والصلاة والسلام على من ضحى بأوقاته ، وأمواله ، ونفسه وأهله ، وبلده ، في سبيل وصول الدين إلينا كاملًا :﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة/ ١٢٨] .

جاءت الصلاة إلينا كاملة ، والزكاة كاملة ، والتقرب إلى الله بأنواع الطاعات واجباتها ومستحباتها ، جاء بالدين الكامل كله بسبب تضحيات النبي ﷺ الذي ضحى بكل شيء من أجل أن يظهر الحق ، ويزهق الباطل ، ويكمل الدين ، ولما بلغ الرسالة ،

وأدى الأمانة ، وكمل الدين ، توفاه الله ﷻ : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة/ ٣] .

هو جل جلاله الحيُّ القيوم ، له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى ، فكتابه كامل ، ودينه كامل ، وأحكامه كاملة ، ونعيمه كامل ، لكن من أراد النعيم الكامل ، فليأتِ بالعمل الكامل ، لينال الثواب الكامل من الله ﷻ .

فالفكر في الأوامر الشرعية يثمر معرفة كمال علم الله وحكمته ورحمته ، والإنسان إنما يتلقى أوامره وطريقة حياته لا من مساوية من الناس ، ولا ممن هو دونه من المخلوقات ، لا من صنم ، ولا حجر ، ولا بهائم ، ولا غيرها ممن هو دونه ، بلى يتلقى الأوامر وطريق الحياة من ربه العلي الأعلى الذي خلقه ورزقه وهداه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢ - ١٠٣] .

والإنسان العاقل يتلقى من ربه الأوامر التكليفية عملاً ، كما تلقى من ربه الأوامر الكونية قهراً في خلقه ونوعه ولونه وطوله كأن الله يقول : أنا الرب الذي خلقتكم ورزقتكم وأحييكم وأميتكم ، و كل شيء خزائنه عندي ، فتوجهوا إليّ ، وسَلوني ما شئتم ، وأطيعوا أمري ، والله من حُبه لعباده ينزل إلى السماء الدنيا آخر كل ليلة ، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : «**هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ ؟**» متفق عليه (١) .

فالله ﷻ يحب من عباده من يتقرب إليه ، فالله ﷻ بعطاء الربوبية للمؤمن والكافر والمطيع والعاصي ، يأمر الناس أن يعبدوا ربهم الذي خلقهم ورزقهم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٤٩٤ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ٧٥٨ .

﴿ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢] .

فكما خضعت لأمره الكوني في خلقي يجب أن أخضع لأمره الشرعي في حياتي: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فالله ﷻ يريد من عباده أن يتقربوا إليه ، ولكن بأحكامه الشرعية التي جاء بها رسوله ﷺ ، فنتعرف على الأحكام الشرعية ، لنعرف عظمة الملك ، فمثلاً الصلاة أحد أركان الإسلام ، للاتصال بالخالق لابد من هيئة للصلاة ، وهيئة الصلاة من التكبير إلى التسليم فيها مئتي سُنَّة عن النبي ﷺ ، ويسبقها الوضوء لتتم طهارة الباطن بالتوحيد والإيمان ، وطهارة الخارج بغسل الأعضاء ، وطهارة البقعة ، وطهارة الثوب ، فالله ﷻ يريد من عبده أن يكون طيبًا نظيفًا يقف بين يديه مكبّرًا له ، وحامدًا له ، يسأله ما شاء ، ويستغفره من ذنوبه ، ويقدم التحية له ثم يصلّي ويسلّم على من بذل كل ما يملك من أجل إظهار دين الله ﷻ فيقول : اللهم صلِّ على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، أنك حميد مجيد .

فالنبي ﷺ مأمور بإتباع ملة أبيه إبراهيم ، ونحن مأمورون بإتباع النبي ﷺ في توحيده وإيمانه ، وفي نيته وفكره ، وفي أقواله وأعماله وأخلاقه : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

فالغاية من دعوة الخلق إلى الله لتحقيق أربعة أمور:

الأول :أن تكون شخصيتي مطابقة لشخصية النبي ﷺ : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

أقتدي بالنبي ﷺ في سنته ، وسيرته ، وأحواله ، و أقواله ، وأعماله وأخلاقه .

فإذا تمت هذه الأمور جاء الخير ، وتحولت الأمة إلى مجتمع فيه التوحيد والإيمان ، والإحسان والأمن ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة / ٧١] .

الثاني: أن يكون مسجدي كمسجد النبي ﷺ ، مسجد النبي ﷺ كان معموراً بالأعمال فيه أعمال كثيرة تزيد على مئتي عمل ، منها صلاة الجمعة والجماعة ، ومنها حلقات التعليم ، ومنها إكرام الضيوف ، ومنها الأذكار ، ومنها استقبال الجماعات والضيوف، ومنها تفقد المحتاجين ، ومنها سماع الأحوال في مسجده ﷺ .

الثالث: أن يكون بيتي مطابقاً لبيت النبي ﷺ بما فيه من الإيمان ، والمعاملة الحسنة ، والأعمال الصالحة التي كان يقوم بها النبي ﷺ في بيته مع أهله .

فالمدينة سُمّيت المدينة بعد أن جاءت في أهلها الصفات الحسنة ، وقبل ذلك كانت تسمى يثرب.

ليست المدينة مدينة الحجارة بل المدينة مدينة الصفات ، سُمّيت المدينة ، لما فيها من الصفات التي يحبها الله ، أما مدينة الحجارة فهي التي تُبنى بالطوب والطين ، فهي تشارك المدن الأخرى بالطوب والطين ، لكن حقيقة المدينة هي مدينة الصفات التي يحبها الله ، الكرم ، والإحسان ، والعفو ، والرحمة ، والأمن ، والدعوة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من الصفات التي يحبها الله ، ويحب العباد الذين يتخلّقون بها : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [التوبة / ١٢٠] .

الرابع: أن تكون مدينتي مطابقة لمدينة النبي ﷺ في الأخلاق العالية ، وفي الأعمال الصالحة ، وفي أقامة الدين ، وفي الأمر بالمعروف ، وفي النهي عن المنكر وفي المحبة ، وفي التراحم وفي المواساة .

فالله ﷻ أمرنا بالصلاة ، ويحب أن يشيع الصلاة في العالم ، وأمرنا بالذكر ، ويحب أن يشيع الذكر في العالم ، يكون الكون كله ذاكراً مسبحاً ، ينسجم مع الجماد والنبات والحيوان : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

ولكن هذا لا يكون إلا إذا قمنا بالأوامر الاجتماعية ، وهي الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة ، والجهاد في سبيل الله ، هذه الأمور الثقيلة تحتاج إلى إيمان قوي ، والإيمان القوي إنما يحصل بالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات القرآنية ، والعمل بالأحكام الشرعية من فعل الطاعات ، واجتناب المعاصي والمواظبة على الجو الإيماني الذي يزيد فيه الإيمان ، والذي يولّد الطاقة لفعل الأعمال الانفرادية ،وفعل الأعمال الاجتماعية ، والانقطاع عن جو الغفلة: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٨].

أما القسم الثالث من ذكر الله بالقلب : فهو الفكر في أسرار المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وهذا مقام عظيم لا نهاية له .

نظر إلى مليارات النجوم في السماء ، ومليارات النباتات التي يخلقها الله في كل ثانية ، ومليارات المخلوقات في البر ، ومليارات المخلوقات في البحار ، لولا أن السمك يأكل كباره صغاره لصار قطعة لحم واحدة .

فمن خلق هذه المخلوقات ؟ ومن صورها ؟ ، ومن يدبرها؟ ، ومن يطعمها : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر / ٦٢ - ٦٣].

خلق الله ﷻ جميع المخلوقات للدلالة على كمال عظمته وكبريائه ، وأنه واحدٌ أحد ، وأنه بيده ملكوت السماوات والأرض ، وأنه يخلق بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب ، ويفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد :﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣] .

مَلِك عظيم له مُلك عظيم ، وممالك عظيمة ملأها بالمخلوقات ، ملأها بالجمادات ، بالنباتات ، بالحيوانات ، وبسائر المخلوقات ، وهذه المخلوقات جميعًا الله ﷻ جعل لها ظرفاً ، الظرف هو السماوات والأرض ، في داخل الظرف مخلوقات عظيمة لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله ﷻ :﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١ ﴾ [لقمان/ ١١].

- **ومن أعظم هذه المخلوقات العظيمة في هذا الظرف العظيم ستة عوالم :**

عالم الجمادات.. والنباتات.. والحيوانات.. الإنس.. والجن.. والملائكة .

في داخل هذا الظرف العظيم الذي هو ظرف السماوات والأرض مخلوقات عظيمة من الجمادات ، وهو أوسع دائرة ، ومن النباتات ، ومن الحيوانات ، ومن الإنس ، ومن الجن ، ومن الملائكة ، هذه المخلوقات العظيمة لملكٍ عظيم خلقها جميعًا مسبحة بحمده ،وشاهدة بوحدانيته ، وخاضعة لأمره ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

فسبحان من خلق هذه الخلائق التي تسبح بحمده :﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ ﴾ [الجمعة/ ١] .

هذه البشرية الآن الأحياء منهم ما يزيد على سبعة مليارات كلهم من رجل وامرأة ، من آدم وحواء ، وهذه الحيوانات كل صنف منها يرجع إلى واحد ، حتى يرجع الجميع إلى الواحد الأحد الذي خلق جميع المخلوقات جل جلاله خلقها بقدرته ، تنبيهًا

لبريته وشاهده بوحدانيته ، مُسبّحة بحمده : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

أما ذكر الله بالجوارح : فهو أن تكون جوارح العبد مستغرقة في الأعمال التي أمر الله ورسوله بها ، خالية من الأعمال التي نهى الله عنها : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٢] .

نذكر الله ، بأسمائه وصفاته وأفعاله ، نذكر دينه وشرعه ، ونذكر أمره ونهيه ، ونذكر وعده ووعيده ، ونعمل بموجب ذلك ، هذا الذكر هو المطلوب من الإنسان ، وكان الرسول ﷺ يذكر الله على كل أحيانه ، ومن يذكر الله ﷻ دومًا يطيعه ولا يعصيه ، يسبح بحمده ، ويدعوه ، ويسأله ، ويستغفره : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: / ٢ - ٤] .

فغذاء القلوب بمعرفة أسماء الله الحُسنى ، وصفاته العُلى ، وأفعاله الكبرى .

والله ﷻ حيٌ قيوم لا تأخذه سِنَة ولا نوم ، لا ينام ، لأنه هو الذي يدبر هذا الكون ومن فيه ، وهو مَلِكٌ عظيم قائم على كل نفس ، قائم بنفسه ، مقيم لغيره ، ومُلكه له ما في السماوات وما في الأرض ، لا أحد يأمر في هذا الكون ولا ينهي ، ولا يحول ولا يغيّر ، ولا يُبدّل ولا يُصرّف إلا هو : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك / ١].

هو ﷻ ملكٌ ، قادر ، قاهر ، حي ، قيوم ، وغالبٌ لا يعجزه شيء ، ولا يخفى عليه شيء ولا يغيب عن علمه شيء ولا يهرب منه شيء : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

له الأوامر الملكية في مُلكه العظيم ،في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وله الأوامر الشرعية على المُكلَّفين من الإنس والجن ، وله الأوامر الجزائية يوم القيامة.

أحاط علمه بكل شي : ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

يعلم ما كان ،وما يكون ، وما سيكون ، هو حيٌّ قيوم ، سميعٌ بصير ، عليمٌ خبير ، يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد ورق الأشجار وعدد ذرات الرمال وما أظلم عليهم الليل وما أشرق عليهم النهار ، لا تواري منه سماءٌ سماءً ، ولا أرضٌ أرضًا ، ولا جبلٌ ما في وعره ولا بحرٌ ما في قعره ، عليمٌ بكل شيء ، محيطٌ بكل شيء ، قادرٌ على كل شيء ، حي قيوم لا تأخذه سِنَة ولا نوم ، ولهذا مدح نفسه فقال : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥] .

إذًا عرفنا أن الله حي بصفات الكمال ، حيٌّ بالسمع والبصر ، والقوة والقدرة ، والعلم والحكمة ، والملك والعزة ، حيٌّ بأسمائه الحُسنى ، وصفاته العلى .

وكل ما يجري في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، في الظلمات والنور ، وفي الليل والنهار ، وفي عالم الغيب والشهادة ، لا يغرب عنه مثقال ذرة منه علماً ، ورؤيةً وإحاطةً :﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴿٥﴾﴾ [سبأ/ ٣-٥] .

ويعلم بأعمال وحركات جميع المخلوقات قبل أن تُفعَل ؛ لأن كل شيء مكتوب عند الله ، فلا يخفى عليه شيء : ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠] .

فسبحان من هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله ، وهذا ملكه العظيم الواسع :

﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما ؛ لأن أمره ملكي كوني ينفذ فوراً : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ [يس / ٨٢ - ٨٣] .

هو سبحانه حي قوي ، قادر قاهر ، يمسك السماء أن تقع على الأرض ، ويمسك السموات والأرض : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر/ ٤١]

هذه السماوات العظيمة من يحيط بها ؟ ، هذا الكون العظيم من يحيط به ؟ ، ومن يدبر فيه ؟.

الله قدّر لي أن أسير من الرياض إلى أمريكا ، ومن الرياض إلى اليابان ، ومن الرياض إلى جنوب أفريقيا ، ومن الرياض إلى روسيا ، هذا المُلك الواسع في أرض من أرض الله ، الله ﷻ خلق سبع أرضين ، وكشف لنا واحدة ، وأعلمنا بما فيها ، وبقية الأرضين الست غيبٌ عنا لا نعلمها ، وكشف لنا سماء واحدة وأخفى عنا سبعًا ، فالله عالم الغيب والشهادة يستحق العبادة لذاته ولكمال أسمائه وصفاته : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر/ ٦٥] .

هو الحي وما دام هو الحي وحده لا شريك له ، وكل ما سواه الله أحياه ، فالله حي له حياة كاملة ، لا يلحقه فناء ولا موت ، أما غيره من الأحياء فالحي هو الذي خلقهم، وعنده خزائن الحياة والأحياء ، وكل حيٍ مخلوق سوف يموت ، وكل ميت سوف يُبعَث ، وكل مبعوث سوف يحُاسَب : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾ [الروم: ٢٧] .

فسبحان من خلقه وأمره بكلمة من كلامه : ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠﴾ [النحل / ٤٠] .

ولكي أعيش حياة كاملة ، حياة طيبة ، أتصل بالعزيز ، حتى أكون عزيزاً ، وأتصل بالقوي حتى أكون قوياً ، وأتصل بالرحمن حتى تأتي فيَ صفة الرحمة ، وأتصل

بالكريم حتى تأتي فيَ صفة الكرم: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل/ ٩٧] .

الله ﷻ هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنَة ولا نوم ، وحياته كاملة لا يلحقها زوال ، وليست مسبوقة بعدم ، ولا يعتريها نقص .

هو الحي الذي تستلزم حياته جميع صفات الكمال من السمع والبصر ، والعلم والقدرة ، والكرم والرحمة ، والإرادة والمشيئة ، وغير ذلك من الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/٨] .

- **وأسماء الله على قسمين :**

أسماء ذاتية.. وأسماء فعلية .

من الأسماء الذاتية : الواحد الأحد ، الحي القيوم ، السميع البصير ، القوي القادر.

ومن الأسماء الفعلية : الخالق ، الرازق ونحوهما .

فالأسماء والصفات الذاتية : هي التي لا تنفك عن الله أبدًا ، هو واحد أحد ، سميعٌ بصير أبدًا ، عليم قدير أبدًا .

أما الأسماء والصفات الفعلية : فهي التي تنفك عن الله ، إذا شاء فعلها وإذا شاء لم يفعلها ، فهو يخلق إذا شاء ، ويرزق إذا شاء ، ويُكرم إذا شاء ، ويُهين إذا شاء ، ويرحم إذا شاء ،ويرزق إذا شاء.

فالأسماء و الصفات الفعلية هي المتعلقة بالمشيئة والإرادة ، والحي القيوم من أسمائه الذاتية التي لا تنفكّ عنه جل جلاله أبدًا ، فهو الحي الذي لا يموت ،الحي الذي تستلزم حياته جميع صفات الكمال : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

من فطرة الإنسان أنه يحُب الاتصال بالعظيم ، والاتصال بالكريم ، يحُب الاتصال بالعظيم ، ليستفيد من حمايته وحفظه ، ويحُب الاتصال بالكريم ليستفيد من فضله و كرمه .

والله جلاله الحي القيوم بذاته ، وكل حيٍ سواه فهو حي لا بذاته بل بإمداد الله له بالحياة ، فإذا قطع الحي عنه الحياة صار جثة هامدة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [غافر/ ٦٨] .

هو سبحانه الحي القيوم الذي لا يموت أبدًا ، ولا ينام أبدًا ، هو الحي الذي ليس لحياته موت ولا فناء ولا زوال ، هو الحي الذي عنده خزائن الحياة والأحياء ، هو الحي الذي وهب الحياة لكل حي : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المؤمنون/ ٨٠] .

هو الملك الحي القيوم : ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلۡأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

هو الحي الذي يحيي ويميت في كل ثانية مليارات المخلوقات من النباتات والحيوانات والإنس والجن وغيرها : ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِى ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج/ ٥ – ٧] .

والله ﷻ هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سُنَة ولا نوم ، هو الحي العظيم المحيط بكل عظيم ، القوي المحيط بكل قوي ، القادر القاهر المحيط بكل قادرٍ وقاهر ، الأحد المحيط بكل أحد : ﴿ هُوَ ٱلۡحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

هو الحي القيوم العظيم الذي لا أعظم منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، الرحمن الذي لا أرحم منه ، الكريم الذي لا أكرم منه ، العليم الذي لا أعلم منه ، هو الحي القيوم القوي الذي لا أقوى منه ، هو العزيز الذي لا أعزّ منه ، هو العليّ الذي لا أعلى منه ، هو الحي القيوم اللطيف الذي لا ألطف منه ، هو السميع الذي لا أسمع منه ، هو

البصير الذي لا أبصر منه :﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص/ ١ - ٤] .

هو الحي العظيم الذي وهب كل عظيم ، هو الرزاق الذي وهب كل رزق ، هو العليم الذي وهب كل علم ، هو الحكيم الذي وهب كل حكمة ، هو الحي القيوم الملك المالك لكل مالك ، القاهر لكل قاهر ، هو الحي الواحد الأحد ، المحيط بكل واحد وأحد .

هو الحي القيوم القوي فلا نتوكل إلا عليه وحده ، هو القادر فلا نستعين إلا به وحده ، هو المجيب فلا ندعو إلا إياه وحده ، هو الغني فلا نسأل إلا إياه وحده :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:/ ١٨٦] .

والله ﷻ هو الحي القيوم وحده لا شريك له ، دائم الحياة ، دائم البقاء ، دائم المُلك ، دائم العز ، دائم الكرم : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

هو الحي صفة كمال ، جاء بعدها التوحيد : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[غافر/ ٦٥] .

ثم أمرنا بعبادته وحده : ﴿ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر/ ٦٥] .

ثم حمد نفسه على كماله و هدايته: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر/ ٦٥] .

أن كان ربنا جل جلاله عظيمًا ،كبيرًا ، كريمًا ، حليمًا ، غنيًا ، حميدًا ، غفوراً ، رحيماً ، لطيفاً .

هو حيٌ قيوم ، كريم العطاء ، جزيل المواهب سابغ النِعم ، دافع النِقَم ، مجيب دعوة المضطرين ، كاشف الكُربات ، ومجيب الدعوات : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر/ ٦٥] .

على نِعمه التي لا تُعد ولا تُحصى ، نِعمٌ على الظاهر ، ونِعمٌ على الباطن ، ونِعمٌ في الدنيا ، ونِعمٌ في الآخرة ، أما الإنسان وغيره من الأحياء ، فإنما كانوا أحياء بإحياء الله الحي لهم ، فلابد لهذا الإنسان أن يموت ، إظهارًا للحي القيوم الذي لا يموت ، من

الحي المخلوق الذي يموت وإعلامًا بالحي الذي يملك الحياة والموت : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢] .

فالذي يملك الحياة هو الذي يملك الموت ، والذي يملك الخلق هو الذي يملك الرزق ، والذي يملك الدنيا هو الذي يملك الآخرة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

وحياة الإنسان دائمة ، والموت معبر لانتقال هذا الحي من دارٍ إلى دار ، حياة الإنسان مؤقتة ومؤبدة ، فالله ﷻ يعطى المؤمن يوم القيامة حياةً بلا موت ، ونعيمًا بلا بؤس ، وشباباً بلا هرم ، وكذلك الكافر يوم القيامة ، له حياة بلا موت ، وشقاء بلا سعادة: ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود/ ١٠٥ - ١٠٨] .

فالإنسان خلق الله يبقى حياً ، ولكنه ينتقل من دار إلى دار : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الحج/ ٦٦] .

فالإنسان ينتقل من بطن الأم ، إلى بطن الدنيا ، إلى بطن القبر ، إلى بطن الآخرة ، ثم يعطيه الله ﷻ من صفات الآخرة ، ويحيا إما في نعيم ، وإما في جحيم ، إما في جنة عرضها السماوات والأرض إن كان مؤمناً ، وإلا في سجنٍ من سجون جهنم إن كان كافراً : ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم: ١٤ - ١٦] .

هو الحي الذي لا إله إلا هو ، له المُلك والملكوت ، وله عالم الغيب والشهادة ، وله الحمد على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى .

هو الحي الذي يفعل ما يشاء ، وهو على كل شيء قدير ، يُنجي بأسباب الهلاك كما أنجى إبراهيم ﷺ من النار ، وأنجى موسى عليه السلام في البحر ، ويُهلك بأسباب

النجاة كما أهلك قارون مع ماله ، وأهلك فرعون مع مُلكه ، ويُعزّ بأسباب الذلة كما أعزّ أنبيائه ورسله والمؤمنين ، ويُذلّ بأسباب العزة كما أذلّ قارون وفرعون وهامان : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

هو الحي القيوم الذي يهب الحياة لكل حي ، هو خالق الحياة في كل شيء من مخلوقاته ، الذي أعطى كل مخلوق حياةً تخصه : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك/ ١-٢] .

فسبحان من أجرى أمره بالحياة والموت على جميع مخلوقاته ، وتفرَّد بالحياة المطلقة التي لم يسبقها عدم ، ولا يلحقها زوال : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران/ ٢] .

وإذا عرفت الحي فاتصل بالحي لتَحيى الحياة التي يريدها الله ، والحياة التي يريدها الله هي حياة الأنبياء والرسل الذين هم أعرف الخلق بالله ﷻ : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم /٥٨] .

هو الحي القيوم الذي يُحيي الخلق من العدم ، خلق جميع المخلوقات وأبدعها على غير مثالٍ سابق : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: / ١٠١] .

خلق الخلق من العدم ، والمخلوق قد يخلُق شيئاً ، لكن يخلُق معدوماً من موجود ، الله خلق السماوات والأرض ، والإنس ، والجن ، والجبال ، والبحار من عدم ، قال لها كوني فكانت ، والإنسان يخلُق ، لكن يخلق معدوماً من موجود ، يخلق من الحديد سيارة وطيارة ، ويخلُق من القطن لباساً ، ويخلُق من البلاستيك الصناعات المختلفة .

فهو فقط يخلق معدوماً من موجود .
لهذا الله ﷻ أحسن الخالقين ؛ لأنه يخلُق من عدم ، وخلقه هذا يكبر ، ويتكاثر ، ويتحرك ، خلق النبات وهذا النبات يكبر ويزيد ويتكاثر وتدُبّ فيه الحياة ، لكن الإنسان يخلُق سيارة لا تزيد ولا تتكاثر ، لابد من تصنيع أخر : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[المؤمنون/ ١٢ - ١٤] .
هو جل جلاله الحي القيوم الذي يحُيي الخلق من العدم ، ويحُيي الخلق بعد الموت ، ويحُيي القلوب بمعرفته والاتصال به : ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾[الحديد/ ٢] .
وكل إنسان حي الذات ، ميت الصفات ، كل مخلوق من بني آدم حي الذات نُفخت فيه الروح ، لكنه ميت الصفات ، فإذا آمن بالله ، أحيا الله قلبه بالإيمان ، وأحيا روحه بالأخلاق الحسنة وأحيا جوارحه بالأعمال الصالحة : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام/١٢٢] .
فكما تحيا الأرض بالماء ، كذلك القلوب تحيا بالإيمان ، فالماء الذي ينزل من السماء على الأرض المجدبة تتفتح له وتقبله ثم تحيا فُتنبت من كل زوجٍ بهيج ، من النباتات والأشجار ، وتخُرج الأشجار والنباتات ثمار متنوعة الطعوم ، مختلفة الأشكال والألوان والأحجام: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[الحج/ ٥-٧] .
فسبحانه الملك الحي الذي أحيا القلوب بالإيمان ، أنزل الوحي علي القلوب ، فأنبتت الصفات التي يحبها الله ، أنبتت الإيمان والكرم ، والعفو ، والإحسان ،

والتقوى ، وأنبتت في الجوارح الأعمال الصالحة ، وأنبتت في الألسنة الذكر ، وتلاوة القرآن ، والدعاء ، والدعوة وأنبتت في الآذان سماع القرآن .

فالوحي إذا نزل على القلوب أنبت كل عملٍ صالح سواء كان عمل اللسان ، أو عمل القلوب ، أو عمل الجوارح .

هو الحي الذي يُحيي القلوب بالإيمان ، ويُحيي الأبدان بالأرواح ، ويُحيي الأرض بالنبات : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ ﴾ [المؤمنون/ ٨٠] .

فسبحان الحي الذي خلق الحياة في كل حي من جميع المخلوقات ، وسبحان من أجرى أمره بالحياة والموت على جميع مخلوقاته ، وتفرَّد بالحياة التي لم يسبقها عدم ولا يلحقها زوال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَىُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوۡمٌۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىۡءٍ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِىُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

فالكافر ميت القلب ، والمؤمن حي القلب ، إذا ذكر ربه وقرأ القرآن خشع قلبه و دمعت عينه ، واقشعرّ جلده ، وأحبَّ ربه ، وعظَّم مولاه ، وسبَّح بحمده ، ودعاه وذكره ، وأطاعه وعبده لأنه حي القلب بالأيمان: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٌ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡىِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧ ﴾ [الحديد/ ١٦ -١٧]

- **وكل إنسان لابد له من نفختين :**

الأولى : نفخة الرسول الملكي : ينفخ فيه الملك الروح فتَدِبّ فيه الحياة ، ويشاركه في هذه الحيوان .

الثانية : نفخة الرسول البشري: وهو هذا الدين الذي إذا نُفِخَ فيه صار مؤمنًا ، اكتسَب صفة جديدة هي صفة الإيمان : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِى بِهِۦ

فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

أحييناه بالإيمان وبالصفات التي يحبها الله .

فالإنسان بدون الإيمان أعمى ، وإن كان حيًا لكنه أعمى ،هو حي حياة يشارك فيها البهائم التي ترتع في الشهوات ، وليس لها أوامر ولا نواهي ، لكن الحياة الأخرى هي المطلوبة ، وهذه الحياة الإيمانية مبنية على الحياة الأخرى ، فالدين ليس للأموات ، بل للأحياء : ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٦٩/ ٧٠] .

فسبحان الحي القيوم الذي كل شيء ، وكل حي ، وكل ميت ، وكل ما في عالمَ الغيب والشهادة ، عبدٌ له ، يُسبّح بحمد ، ويشهد بوحدانيته : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

ولهذا لابد أن نجزم باليقين على أن كل مخلوق حي ، لكن له حياة تخصه : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور/ ٤١] .

لا يُسبّح الله ، ولا يُعظّم الله ، ولا يُكبّر الله إلا حي ، لأن الطاعة فرع الحياة ، فلا يسبح الله إلا حي .

ولهذا عالم الجماد حي ، وعالم النبات حي ، عالم الحيوان حي ، جميع العوالم التي خلقها الله حية ، حتى جميع الذرات كلها حية ، متحركة بطاعة من خلقها ، وشاهدة بوحدانية ربها ومُسبّحة بحمده : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [التغابن: ١] .

ولا يُسبّح الحي إلا حي ، ولكن له حياة تخصه نحن لا نعلمها : ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

هو المَلك الحي القيوم القادر الذي أحيا كل شيء بسِرّه ، الذي لم يُطلِع عليه أحدًا من خلقه ، أحيا عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الإنسان ، وعالم الملائكة ، وعالم الجن ، وعالم الطيور ، وعالم الأسماك ، وعالم الذرات : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦﴾ [التوبة/ ١١٦] .

فسبحان من أحيا العوالم العظيمة بسِرّه ، وغمر جميع المخلوقات بوافر بِرّه ، بِر الله الرحمن الرحيم على جميع مخلوقاته منتشر ، فالكل مخلوقٌ لله ﷻ ، وكل مخلوق من مخلوقاته يسكن في مُلكه ، ويأكل من رزقه ، ويُسبّح بحمده ، ويشهد بوحدانيته : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢] .

جميع الجمادات مخلوقات حية ، وجميع الجمادات مكونه من ذرات ، فالسماوات والأرض كلها مكونة من ذرات ، وجميع هذه الذرات حية مطيعة تُسبّح بحمد ربها : ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤﴾ [البقرة/ ٧٤] .

الله ﷻ أخبرنا عن الحجارة أن منها ما يهبط من خشية الله ، لأنها ترى عظمة الله في خلق السماوات ، وخلق الأرض ، وخلق الجبال ، وخلق البحار ،وخلق هذه السحب العظيمة السابحة في الفضاء ، هذه المياه التي تتجول في الفضاء ، وتمشي وتمطر هنا، وتمطر هنا ، وخلق هذه الشمس الساطعة ، وهذا القمر المنير ، وهذه الكواكب المنتشرة ، وخلق هذه المخلوقات العظيمة : ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُۤ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٥٠﴾ [النحل/ ٤٩ – ٥٠] .

هذه الجمادات وهذه الحجارة تهبط من خشية الله ، فلا نظن أن الحجر إذا نزل من الجبل أنه نزل بنفسه ، بل هو حي يهبط من خشية الله ، وعظمة الله ، وكبرياء الله ،

وتصريفه وتدبيره : ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الحشر/ ٢١] .

وما في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وعالم البحار ، وعالم الأنهار ، وعالم الإنس، وعالم الجن ، وعالم الملائكة ، وما في الدنيا وما في الآخرة ، كل ذلك شاهد بوحدانية الحي الذي خلقه ، وساجد لمن صنعه : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ١٨﴾ [الحج/ ١٨] .

هو حي قيوم لا تأخذه سِنَة ولا نوم يخفض القسط ويرفعه ، ويدبر الأمر : ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن/ ٢٩] .

ومن هذا شأنه ، وهذه أسماؤه ، وهذه صفاته ، وهذه أفعاله ، وهذا مُلكه ، وهذا سلطانه ، هو الذي يستحق أن يُطاع ويُعبد ، ويُركع له ، ويُسجد ويُذكر ويحُمد : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر/ ٦٥] .

جميع المخلوقات اختارت أن تكون مسُخَّرة مُسَبّحة بحمد ربها ، شاهدة بوحدانيته ، دالَّة على كمال عظمته ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته .

أما هذا الإنسان فاختار أن يكون مخيَّراً فحَمَل الأمانة : ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب/ ٧٢] .

ومن تحمل الأمانة وهي الدين فسيتعرض للثواب أو العقاب: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ٧٣﴾ [الأحزاب/ ٧٣].

فهذا الإنسان إن وُجِد له مُذكّر قَوِيَ عنده جانب الإيمان والطاعة ، وإن لم يكن عنده مُذكّر قوي عنده جانب الكُفر والمعاصي ، فلابد من التذكير : ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١﴾ [الغاشية/ ٢١] .

مهمة الداعية أن يُذكّر الغافل ، وينقله من بيئة الغفلة إلى بيئة الذكر ، فيتذكر ، ثم يعود مرة أخرى مُذكّرًا لغيره : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأعلى/ ٩ –١٣].

فالمسلم إما أن يَذكُر الله كثيرًا ، أو يُذَكّر خلقه بالله، وبأسمائه وصفاته وأفعاله، ويُذّكّرهم بنِعَمه وإحسانه ، ليكبروه ويحبوه ويحمدوه ، ويتوبوا إليه .

أما الحي الذي يموت ، أو الميت ، أو الجماد ، فكل هؤلاء وجميع المخلوقات لا يستحقون شيئًا من العبادة ؛ لأنهم من العبيد الفقراء الذين لم يكونوا شيئاً ، ثم خلقهم الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

فجميع المخلوقات كانت معدومة ثم أوجدها الله ، ثم لما أوجدها مُلكها ، ثم هو يُدبّرها ويصرفها كيف شاء ، ويُفنيها إذا شاء ، ويُبقيها إذا شاء ، لو رفع عنها البقاء لفنيت : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هذه المخلوقات كلها ما كانت شيئاً حتى تفعل شيئاً وليس بيدها شيء ، وليس عندها شيئاً ولا تملك شيئاً لكنها دالّة على عظمة الله ، ودالّة على خالقها ، وشاهدة بوحدانية الله ، ومسبحة بحمده ، وساجدة لعظمته : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧] .

ونحن نستفيد منها من جانب أخر ، نستفيد من ضوء الشمس ، ومن نبات الأرض ومن الهواء ، ومن الطعام والشراب ، لكن جميع المخلوقات دالّة على جلال الله ، وعلى جمال الله ، وعلى كبريائه ، وعظمته ، وعلى كمال قدرته ، وخبرته وحكمته ، فهي مسخرة لنا تسخير تعريف لنؤمن بالله الذي خلقها ، وتسخير تكريم لنشكر الله الذي سخرها لنا: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء/ ١٤٧]

فالله ﷻ خلق المخلوقات و أخفى فيها أسماءه صفاته ، فأسماؤه وصفاته مخفية في مخلوقاته ولهذا من ينظر إلى السماء والأرض يعلم أن لها خالقاً ، وأن هذا الخالق قادر ، وأنه غني ، وأن عنده خزائن كل شيء ، وأنه حكيم ، وأنه عليم ، وأنه عظيم وأنه رحمن ، فالنظر في الآيات الكونية يبرز لنا أسماء الله وصفاته ؛ لأن أسماء الله وصفاته مختزنة في المخلوقات ، مخفية في المخلوقات ، بالنظر نعرف أن لهذه المخلوقات خالق ، وأن هذا الخالق له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦ -٨].

علينا أن نعلم أن ربنا هو الله الذي لا إله إلا هو له الأسماء الحُسنى ، وإذا عرفنا ذلك أحببناه ، وإذا أحببناه عبدناه ، فأصل العبادة هي الحب الكامل ، والذل الكامل ، والتعظيم الكامل ، لمن هو كاملٌ في ذاته وأسمائه و صفاته وأفعاله ، الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنَة ولا نوم : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢].

فالله وحده هو الحي الغني بذاته ، وكل ماسواه فقير إليه بذاته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] .

- **وكل مخلوق مطبوع على أربع صفات :**

ضعيف.. فقير.. عاجز.. محتاج .

فالله ﷻ هو القوي الذي قوّاه ، وإذا سلب القوة عنه صار ضعيفًا ، وهو الغني الذي أغناه ، ولو سلب الغنى عنه عاد فقيرًا ، وهو القادر الذي أقدره ، ولو سلب القدرة عنه لعاد عاجزًا : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥] .

ربنا هو الحي الذي يستحق أن يذكر فلا ينسى ، وأن يطاع فلا يعصى ، وأن يعبد فلا يكفر: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

و هؤلاء العبيد المخاليق من العرش والكرسي ، والسماوات والأرض ، والإنس والجن ، والملائكة و الروح ، كلهم عبيد فقراء إلى الله ، الله خلقهم وحده وجميعهم في قبضة الله وحده ، لم يكونوا شيئًا ثم خلقهم الله ، وكلهم عبيده وتحت قهره وسلطانه .

والله ﷻ هو العظيم وحده ، هو الحي وحده ، وهو القادر القاهر وحده لا شريك له ، لا يشاركه أحد في أسمائه وصفاته وأفعاله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى/١١] .

أما هذه المخلوقات فليس بأيديها شيء ، ولا تستحق أن تُعبَد ، ولا تدري بمن يعبد: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المائدة. ٧٦].

إنما هذه المخلوقات العظيمة دالة على جلال الله وجماله ، ولنا منها منافع ، فالله سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل/١٧-١٨] .

إن تُعدوا نعمة واحدة من نِعَم الله لا تحصوها ، نِعمة واحدة ، نعمة السمع ، نعمة البصر ، نعمة العقل ، نعمة الطعام ، نعمة الشراب ، نعمة الهواء : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴾ [النحل/١٨] .

فكيف نعد النِعم ؟ ، وكيف ننعم بهذه النعم ونعصي بها من أنعم بها؟: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل/١٨] .

كيف تسكنون في أرضه ، وتأكلوا من رزقه ، وتعصونه بنعمه ؟، لكن الله غفور رحيم بعباده : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [النحل/١٩-٢١] .

الأصنام والأحجار لا يملكون شيئاً ، ليس لديهم أيدٍ يبطشون بها ، ولا أرجل يمشون بها ، ولا أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ

﴿ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥ ﴾ [الأعراف/ ١٩٥].

أما الله عز وجل فله الأسماء الحُسنى والصفات العُلى فيجب أن نعبده وحده ، وعبادة الله عز وجل نفعها عائدٌ علينا ، العبد نفعه عائدٌ على سيده ، السيد الذي له عبيد من البشر ، هؤلاء العبيد يخدمون عنده في الزراعة ، في التجارة ، في الصناعة ، ونفعهم عائد إلى سيدهم ، أما عبيد الله فنفعهم عائد إلى أنفسهم ، والمعطى لهم سيدهم : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾ [النحل/ ٩٧] .

و الله عز وجل محمودٌ قبل أن نحمده ، وكبيرٌ قبل أن نُكبّره ، وعظيم قبل أن نُعظّمه ، حمد نفسه قبل أن يخلق الحامدين له .

فهو الغني ، ونحن الفقراء ، نحن نحتاج أن نطيع الله ، ونعبد الله ، لأننا بحاجة إلى الرحمة ، إلى العفو ، إلى الرزق ، إلى الشفاء ، إلى الأمن ، إلى الطمأنينة ، نحن المحتاجون ، أما الله عز وجل فهو الغني عن جميع مخلوقاته ، وطاعتهم لا تنفعه ، ومعاصيهم لا تضره ، هو العلي الأعلى بذاته وأسمائه وصفاته ، الغني عن كل ما سواه ، وكل ما سواه محتاجٌ إليه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾ [فاطر/ ١٥].

المستحق للعبادة على الكمال والتمام هو الله وحده ، هو الحي الذي لا يموت ، العليم بكل شيء ، فلنخلص له العبادة ، ونتوكل عليه ، ونسبح بحمده ، ولا نعبد إلا إياه ، ولا نخاف إلا منه : ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ﴾ [الفرقان/ ٥٨] .

توكل على الحي الذي لا يموت ، ولا تأخذه سِنَة ولا ونوم ، وسبّح بحمده ، لأنه أنعم عليك ، وأنعم على غيرك ، وأعطاك خير ، ومنع عنك الشر ، وتكفل بك في بطن الأم، وفي بطن الدنيا ، وفي بطن القبر ، وفي يوم القيامة : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾ [هود/ ٦].

كتب رزقها ، وأجلها ، وخطواتها ،ويعلم مكانها ، ويسمع تسبيحها ويراها .

هذا هو العظيم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الحي القيوم الذي يجب أن نُسبح بحمده ، ونتوكل عليه ؛ لأنه العليم الخبير بكل شيء .

فسبحان الحي القيوم الذي خلق الحياة في كل حي فصار حيًا ، الحي الذي يملك خزائن الحياة والأحياء ، الحي الذي يملك أنواع الحياة .

الحي الذي يحُيي ما شاء بما شاء :

أحيا الأرض بالنبات ، والنبات أكثر من أربعين مليون صنف ، عرف منه الإنسان الآن هذا الرقم ، النبات أمم وقبائل وشعوب .

هو سبحانه الذي أحيا الأرض بالنبات ، وأحيا الأجساد بالأرواح ، كم أجساد البشر ؟ كم أجساد الحيوانات والطيور والحشرات ؟ وأحيا القلوب بالإيمان ، أشكال وأنواع من الحياة والأحياء ، أحصاها من خلقها : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس/ ١٢] .

قبل أن يخلق الحي ، وما يعمله الحي ، الله ﷻ أحصى ذلك ؛ لأنه العليم بما كان وما يكون وما سيكون .

وأول ما خلق الله القلم قال له : اكتب ، قال : ما أكتب ، قال : اكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة من المخلوقات ، والحركات ، والسكنات ، والأرزاق ، والآجال ، والأحوال ، وجميع ما يجري إلى يوم القيامة ؛ لأنه العليم الذي أحاط علمه بكل مخلوق .

فهو الذي أحيا الأرض بالنبات ، نبتات مختلفة ومتجددة ، مختلفة الأشكال والألوان والطعوم ، وأحيا الأجساد بالأرواح ، أجساد البشر والحيوان ، أجساد الحيوانات عُرِفَ منها الآن أكثر من مليون نوع في البر ، وأكثر من مليون نوع في البحر ، هذه المخلوقات العظيمة من خلقها ؟ من أحياها ؟ من يرزقها ؟ : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤].

هو الحي الذي أحيا القلوب بالإيمان ، جعل هذه القلوب حية بالإيمان ، تنبت الصدق ، تنبت الكرم ، تنبت الإحسان ، تنبت العفو ، تنبت الأعمال الصالحة ، تنبت الصلوات ، وهكذا الأعمال والحركات التي يحبها الله ويرضاها :﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

فالله ﷻ هو الحي الذي أحيا كل حي ، والحي القيوم من أعظم أسماء الله الحُسنى ، وعليهما مدار جميع الأسماء الحُسنى ، وجميع صفات الله ﷻ راجعة إليهما ، ويُرجَى أن يكونا هما اسم الله الأعظم الذي إذا سُئَل به أعطى ، وإذا دُعِيَ به أجاب ، قال النبيﷺ «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**» أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة [1] .

فالحيّ جامعٌ لصفات الذات التي لا تنفك عن الله أبداً كالسمع والبصر ، والعلم والقدرة وغيرها ، والقيوم جامعٌ لصفات الأفعال التي يفعلها الله إذا شاء كالخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، والتصريف والتدبير ، والتغيير والتبديل ، والعفو والرحمة :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢] .

فسبحان الحي القيوم القائم بنفسه ، الذي هو قائم على كل نفس ، المقيم لخلقه خلقًا ورزقًا وتدبيرًا .

هو حي قيوم يخَلق في كل ثانية مليارات المخلوقات من الذرات ، والنباتات ، والحيوانات ، وما نعلمه ، وما لا نعلمه ، في عالمَ الغيب ، وفي عالمَ الشهادة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر/ ٨٦] .

وكلما خلق شيئاً زاد ملكه ، وزاد من يعبده: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١١].

(١)صحيح/ أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم: ٥٧٠.

فسبحان من هذه قدرته : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢] .

فالحمد لله أن هذا هو ربنا الخلاق العليم ، الغفور الرحيم ، العزيز الكريم ، الخالق البارئ المصور : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر/ ٢٢-٢٤] .

الله ﷻ يُثني على نفسه ليُعرّفنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ لأننا إذا عرفنا الملك تشوقنا لامتثال أوامره ، والرغبة في وعده ، والحذر من وعيده جل جلاله .

إذا عرفنا الحي القيوم بأسمائه وصفاته و أفعاله تفانينا في طاعته ، وإذا عرفنا أوامره ، ولم نعرف الذي أمر بها ، تفننّا في التفلّت من أوامره ، فالمؤمن إذا عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تفاني في طاعته ، وسابق إلى مرضاته ونوَّع الطاعات واستكثر من العبادات ووصل الطاعة بالطاعة والحسنة بالحسنة : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وإذا عرف الأوامر ، وكانت معرفته بالآمر قليلة ، تفانى في التفلّت من الأوامر لأنه بجهله بالله يعتبرها تكاليفاً شاقه ، بينما أمور الشرع ليست تكاليفاً ، بل هي هدىً وشفاء ، ورحمة وإحسان من رب العالمين ؛ لأنها تقربنا إلى الله ، ونفعها عائدٌ علينا، ولا يعود على الله منها شيء ، لأن الله هو الغني الحميد ونحن الفقراء إليه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

فالله ﷻ هو الحي القيوم ، المستحق للعبادة وحده لا شريك له ؛ لأن له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى في السماوات والأرض ، فلنخلص له العبادة ، ونتوكل عليه وحده لا شريك له : ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر/ ١١-١٢].

فنحمد الحي القيوم على نعمة التي لا تعد ولا تحصى ، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ، ملء السماء ، وملء الأرض ، أن جعلنا مؤمنين ، وجعلنا من أهل السُنّة والجماعة ، وجعلنا من خير أُمّة أُخرِجَت للناس ، وجعلنا من الدعاة إليه ، وجعلنا من المعلمين و المتعلمين لشرعه ، وقبلنا لعبادته ، وفتح قلوبنا للإيمان ، وفتح ألسنتنا للذكر وفتح آذاننا لسماع القرآن ، وحرّكَ أبداننا لطاعته وعبادته ، فله الحمد أولاً وأخرًا ، وله الحمد في الأولى والآخرة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

هو الحي القيوم الذي خلق الحياة والأحياء ، الذي يحُيي ويُميت ، الذي خلق كل شيء ، وأحكم صنع كل شيء ، وأحاط علمه وقدرته بكل شيء : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾[الزمر/ ٦٢-٦٣] .

فما أعظم جناية من كفر به ، وما أخسر من أعراض عن ذكره: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر/ ١٥] .

هو سبحانه الحي القيوم الذي يحُيي كل ميت ، يحُيي الأرض بعد موتها ، ويحُيي القلوب بالإيمان ، ويُميت كل حي ، هو الذي يملك الحياة ، وهو الذي يملك الموت ، وهو الحي الذي يميت كل حي ، فليس يُميت الحي قاتله ، ولا يحُيي الحي تاركه ، بل الله وحده هو الحي الذي يحُيي ويُميت ، لأنه وحده الذي يملك الحياة والموت : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾[ق/ ٤٣] .

أما المقتول ، فهذا قد فقد حياته ، لكن القتل هو هدم البُنية التي تسكن فيها الروح ، فإذا قُتِل إنسان فإنما قُطِعَت رقبته ، والروح لا تستقر في بدن مقطوع الرأس ، فتخرج ، لكن الله ﷻ قدر موت هذا الإنسان بهذا السبب ، والله ﷻ وحده يُميت الحي بدون القتل ؛ لأنه وحده الذي يحُيي ويُميت الأشجار ، وكل المخلوقات ، لأنه هو الحي الذي يملك الحياة ، ويملك الموت : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المؤمنون/ ٨٠].

وخلق الله هذه الحياة ، وهذا الموت ، ليدل على قدرة الحي الذي لا يموت ، في الدنيا حي كبير ، وحيٌّ صغير ، الحي الصغير الذي أحياه الحي الكبير ، الحي الكبير هو الذي أحيا الحي الصغير من جماد ، ونبات ، وحيوان وإنسان وملك وغيره ، وإذا سلب عنه الحي الحياة عاد ميتًا ، هو الرزاق وإذا سلب الرزق عن المرزوق عاد فقيرًا ، وهكذا الله ﷻ هو الذي يهب الصفات وهو الذي يسلب الصفات ، بحسب الإيمان ، وبحسب الكُفر ، وبحسب رضاه ، وبحسب سخطه : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك/ ١-٢].

وهو سبحانه الحي الذي خلق الحياة في كل حي ، وخلق الموت في كل ميت ، هو الذي خلق الموت ، وخلق الحياة ، وخلق كل شي، وكل ذلك ملكه ، فالله له مُلك السماوات والأرض ، وله ما في السماوات وما في الأرض ، وله تدبير السماوات والأرض ومن فيهن : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [التوبة: ١١٦].

مالكم من ولي يتولاكم بالنعم ، وبالخلق ، وبالأمن ، وبالعافية ، و بالهداية ، إلا الله ، ولا نصير ينصركم من دون الله ، بل هو الناصر وحده ، فالنصر لا يأتي بالعُدّة والسلاح ، بل هي أسباب أُمِرنا بفعلها في دار الأسباب ، ولكن الغيث لا ينزل إلا من المُغيث ، والنصر لا ينزل إلا من الناصر ، والرزق لا يأتي إلا من الرازق جل جلاله ، والأرزاق في السماء ، والتسليم في الأرض ، فعل الأسباب في الأرض ، أما الأرزاق فهي تنزل السماء : ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الذاريات/ ٢٢] .

ولو كانت الأرزاق في الأرض لتقاتل الناس عليها ، ولكن الأرزاق في السماء ، والتسليم في الأرض ، وكُلٌّ قد علِم الله رزقه فأرسله إليه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٠] .

فسبحان الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنَة ولا نوم ، الذي يخلق ويرزق ، ويحُيي الأرض بالنبات ، ويحُيي الأجساد بالأرواح ، ويحُيي القلوب بالإيمان والتوحيد ،

ويُحيي الجوارح بالأعمال الصالحة : ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الروم/ ٥٠] .

لابد للإنسان أن يعتبر ، وينظر إلى هذا الماء المخلوق لله ، كيف فعله في الأرض؟ ، فكيف بالوحي الذي هو كلام الله ﷻ كيف يحيي القلوب بالإيمان ، ثم يُحرّكها بالطاعة ، ثم تخرج المنافع من هذا الإنسان ، ويكون هذا الإنسان على درجات ، أعلاهم الأنبياء والرسل ثم الصدّيقين والشهداء والصالحين : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء/ ٦٩ – ٧٠].

فالناس درجات في الإيمان والتقوى ، بحسب معرفتهم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وبحسب الإيمان والعلم تكون قوة العبادة ، وتكون قوة امتثال أوامر الرب ، ويكون الإخلاص ، ويكون الصدق ، ويكون العطاء، ويكون الخوف والوجل من الجبار : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢ – ٤].

هو الحي القيوم الذي قهر عباده أبرارًا أو فُجّارًا بالموت : ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ ﴾ [النساء/ ٧٨] .

- **فالله ﷻ أذل بني آدم بثلاثة أشياء رحمة بهم ، ليعودوا إلى ربهم :**

بالفقر.. والمرض.. والموت .

ولولا ذلك لقال الإنسان أنا ربكم الأعلى ، كما قال فرعون .

ضرب الله الإنسان وأذله بالفقر إلى الطعام ، وإلى الشراب ، وإلى الهواء ، وإلى الأرض التي يسكن فيها ، وأذله بالمرض ، لا يستطيع أن يدفع المرض عن نفسه ، المرض يأتي بأمر الله وحده ، ويزول بأمر الله وحده ، ويزيد بأمر الله وحده ، وينقص

بأمر الله ، هو الشافي وحده : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٧٨ - ٨٠] .

هو الفعال وحده ، وكل ما سواه مفعول ، والأسباب مأموره ، فالله فعال لما يشاء : يفعل بالأسباب ، ويفعل بدون الأسباب ، ويفعل بضد الأسباب .

يفعل بالأسباب ، يأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، ويفعل بدون الأسباب يقول للشيء كن فيكون ، ويفعل بضد الأسباب كما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ، وكما رزق مريم طعامًا بلا شجر ، وابنًا بلا ذكر ؛ لأنه هو الحي القيوم ، الحي الذي له الحياة الكاملة ، الحي الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فسبحان الملك الرحيم الذي تكرم على عباده بعطاء الربوبية ، وعطاء الألوهية : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٍ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ما دام تمتعتم بعطاء الربوبية من الخلق والرزق وغير ذلك من عطاء الربوبية للمؤمن والكافر ، فعليكم أن تستقبلوا من الله الأوامر الشريعة التي تقربكم إلى الله ، ونفعها عائدٌ عليكم ، إن صليتم فلكم ، وإن زكيتم فلكم ، وإن صمتم فلكم ، وإن أحسنتم فلكم ، وإن دعوتم فلكم ، وإن علّمتم فلكم ، وكل ذلك عائد عليكم ؛ لأن الله هو الغني ، وأنتم الفقراء : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦].

هو الحي الغني الذي عنده خزائن كل شيء : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [غافر/ ٦٨].

كأنه شيء موجود ثم قال له اظهر ، من خزائن لله ؛ لأن هذه المخلوقات كلها خرجت من خزائن الله ، وخزائن الله من غيب الله ، وغيب الله لا يعلمه الا الله: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ

ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

هذا هو الإله العظيم الذي يستحق أن يُعبَد ويُشكَر ، ويُركَع له ويُسجَد ، فالله يحُيي ويُميت ، ليُعلم الناس أن الله وحده هو القادر على التصرف في الإحياء والإماتة ، متى شاء ، على من شاء .

والله وحده هو الذي يحُيي ويُميت ، وهو الذي خلق الموت والحياة ، وقد وكَّل قبض الأرواح إلى ملك الموت كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة/ ١١] .

والله ﷻله الأسماء الحُسنى ، وله الصفات العُلى ، وله الأفعال الجميلة ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض ، فلابد للمسلم أن يعرف المعبود قبل العبادة ، ويعرف الآمر قبل أمره ، ليأتي في القلب تعظيمه وحبه والخضوع لهﷻ .

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله هو أول العلوم على الإطلاق ، وأعظم أبواب التوحيد ، وأزكى العلوم ، وأعلاها ، وأحسنها ، وأعظمها ، وأفضلها ، وأوجبها ؛ لماذا ؟ لأن شرف العلم بشرف المعلوم وهو الله ﷻ: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٨] .

وهذا العلم أشرف ما صُرفت فيه الأنفاس ، وهو عماد السير إلى الله ﷻ ، والباب الأعظم لمعرفته جل جلاله ، ونيل محابه ورضاه ، وهو الصراط المستقيم لكل من أحبه الله واجتباه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

فالإيمان بالله ﷻوالإيمان بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، أساس بنيان الدين ، وهو من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ، و أعظم أبواب التوحيد ، وهو أساس التوحيد وهو أساس بنيان الإسلام : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

- **وبنيان الإسلام مركب من أمرين :**

الأول : معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وتوحيده بذلك .

والأمر الثاني : تجريد الانقياد لله ورسوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف/ ١١٠].

والقرآن كله بيان لهذا الأساس العظيم ، والله ﷻ أمرنا أن نتعلم هذا العلم الشريف ونعتني به ، هذا العلم من أعظم العلوم ، فهو غذاءٌ للقلوب ، ومحرك للأبدان وللجوارح بالذكر ، والتعظيم ، والتسبيح ، والتقديس لرب العالمين .

فلابد من معرفة ربنا بأسمائه وصفاته حتى يمتلئ قلب المؤمن بالإيمان ، وإذا امتلأ القلب بالإيمان ، زاد تعظيمه لربه ، وزاد حبه له ، لأن تعظيمه ومحبته ثمرة معرفته بأسمائه وصفاته ، وأفعاله ، وثمرة معرفة عظمة نعمه وإحسانه وفضله الذي عم به عموم خلقه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

والله ﷻ أسماؤه وصفاته كلها حُسنى ، وهي بالغة في الحُسن والجمال كماله ومنتهاه ، فلا أحسن منها بوجه من الوجوه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/٨] .

فأسماء الله ﷻ أحسن الأسماء ، وصفاته أحسن الصفات ، وأقواله أحسن الأقوال ، وأفعاله أحسن الأفعال ، ومخلوقاته أحسن المخلوقات ، وأحكامه أحسن الأحكام ، وشرائعه أحسن الشرائع ، وكتبه أحسن الكتب ، ورسله أحسن الرسل ، وأوامره أحسن الأوامر ، وثوابه أحسن الثواب : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤].

وأسماء الله كلها حُسنى ، لماذا ؟ لأنها تدل على صفات الكمال ، والجلال ، والجمال لله ﷻ ، فهي أسماء مدحٍ ، وحمدٍ ، وثناء ، وأسماء تمجيد ، وتعظيم ، وإجلال لله ﷻ وأسماء رحمة ، ولطف ، وإحسان : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ١١٠] .

والله ﷻ لجلاله ، وجماله ، وعظمته ، وكبريائه ، وإحسانه ، وإنعامه ، لا يسمى إلا بأحسن الأسماء ، ولا يوصف إلا بأحسن الصفات ، فلابد من معرفة الأسماء ، ومعرفة الصفات ، لا بد من معرفة الكامل بذاته وأسمائه وصفاته حتى نكمل له أوامره ، ونستجيب لأمره بقلوبنا ، وبألسنتنا ، وبجميع جوارحنا : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر/ ٤٩ - ٥٠].

فالله ﷻ لا يسمى إلا بأحسن الأسماء : العزيز ، الرحمن ، الرحيم ، الكريم ، العفو ، اللطيف ، القوي ، القادر .

ولا يوصف إلا بأحسن الصفات ، ولا يحمد إلا بأحسن المحامد ، ولا يعبد إلا بأحسن العبادات : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣] .

ونحن كما لا نعرف كيفية الذات ، لا نعرف كيفية الصفات ، ولماذا لا نعرف كيفية الذات ، وكيفية الصفات ؟ لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولأن العلم بها إدراك لله ﷻ ، وإحاطة به ، والله ﷻ هو المحيط بكل محيط ، والقادر على كل قادر ونحن لا نعلم من أسمائه وصفاته إلا ما علمنا الله ورسوله به ، ولا نصفه إلا بما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ : ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٥].

وأسماء الله الحُسنى ، وصفاته العُلى ، كثيرة ، ليس لها حصر ، ولا تحدد بعدد معين ، ولا يحيط بعلمها إلا الرب الذي تَسمى بها ، واتصف بها.

وأسماء الله ﷻ ، كلها حُسنى ، ولهذا أَمر الله بمعرفتها ، والتعبد لله بها ، ودعاء الله بها ، وتوحيده بها : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

- **وأسماء الله ﷻ من حيث العلم بها ثلاثة أقسام :**

أحدها : من أسمائه ما استأثر الله بعلمه ، فلم يطلع عليه أحدًا من خلقه .

الثاني : ما علمه الله بعض خلقه ، ولم يذكره في كتابه .

الثالث : ما بينه الله في كتابه ، أو سماه به رسوله ﷺ في سنته .

والله جَلَّ جَلَالُهُ له من الأسماء الحُسنى تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها ، وحفظها ، وعمل بمقتضاها ، ودعا الله بها أدخله الجنة .

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم حُسن معرفتها ، وحفظها ، وفهمها ، والتصديق بها ، ودعاء الله ﷻ بمقتضاها ، وحُسن التعبد لله بها : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف/ ١٨٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال : «**إن لله تِسْعَةً وَتِسعِينَ اسْمًا مِئة إلا وَاحِدًا ، مَنْ، أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»متفقٌ عليه[1] .

وفي حديث الشفاعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺقال : «**ثمَّ يفتح الله عَليّ من محامده ، وَحسن الثَّنَاء عَلَيْهِ شَيْئا لم يَفْتَحهُ على أحدٍ قبلي**»متفقٌ عليه[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «**فَقَدْتُ رسولَ الله ﷺليلة من الفِرَاشِ ، فَالْتَمَسْتُهُ ، فَوَقَعَتْ يَدِي في بَطْنِ قَدَمَيْهِ ، وهو في المَسْجِدِ ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ ، وهو يقول : اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ من عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لا أُحْصِي ثَنَاء عَليك ، أَنْتَ كما أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»أخرجه مسلم[3] .

وأسماء الله ﷻ وصفاته توقيفية ، فنثبت لله ﷻ من الأسماء والصفات ما أثبته الله ﷻ لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺفي سنته ، وننفي عن الله من الأسماء والصفات ما نفاه عن نفسه في كتابه ، أو نفاه عنه رسول الله ﷺ في سنته .

فلا نتجاوز القرآن والحديث ، ولا نقول على الله بلا علم ، ولا نعمل إلا بما أنزل الله ، ولا نقول على الله غير الحق : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٣٣] .

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٢٧٣٦، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٦٧٧ .
(٢)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٤٧١٢ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٩٤ .
(٣)أخرجه مسلم برقم: ٤٨٦.

وأسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة في القرآن والسنة نؤمن بها كلها ، ونعبد الله بموجبها ، وأسماء ربنا أحسن الأسماء ، وصفات ربنا أحسن الصفات ، وصفات ربنا ﷻأوسع من أسمائه ، وأفعاله أوسع من أسمائه ، وصفاته ، وأسماؤه ، وصفاته ، وأفعاله كلها دالة على كمال ذاته وجلاله وجماله .

وكل اسم من أسماء الله الحُسنى نشتق منه صفة له كالرحمة من الرحمن ، والعزة من العزيز .. وهكذا .

- **وصفات الله ﷻ على قسمين :**

صفات ذاتية.. وصفات فعلية .

الصفات الذاتية : هي التي لا تنفك عن الله أبداً ، والصفات الفعلية هي التي يفعلها الله إذا شاء مثل الخلق ، والرزق ، والتصوير وغير ذلك .

وكل اسم من أسماء الله الحُسنى نشتق منه صفة له ، فالله سمى نفسه : الخالق ، الرازق ، المصور ووصف نفسه بأنه يخلق ويرزق ويصور .

وليست كل صفة يشتق منها اسماً لله ﷻ ، فالله وصف نفسه بأنه يرسل ، وينزل ، ويكشف ، ويقلب ، ويشاء ، ويريد ، ولا يسمى بالمرسل ، والمنزل ، والكاشف ، والمقلب ، و الشائي ، والمريد ، لأنه لم يسم بها نفسه وإنما وصف بها نفسه كما قال سبحانه : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى/ ٢٨].

فنصفه بذلك ولا نسميه به ، وليس كل فعل لله ﷻيؤخذ منه صفة له ، فالله أخبر أنه يمكر ، ويكيد ، ويخدع ، وينسى ، ونحو ذلك ، فلا يوصف الله بذلك إلا مقروناً بسببه ، ولا يسمى به كذلك فلا يقال الماكر ، والفاتن والكائد بل يقال : يمكر الله بمن مكر بأوليائه ويكيد من كاد أولياءه ويخدع من يخادعه : ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء/ ١٤٢] .

وينسى من نسيه : ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ﴾ [التوبة/ ٦٧] .

ويزيغ من زاغ عن الحق : ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ [الصف/ ٥] .

وهكذا في باقي تلك الأفعال ، لا يوصف الله بها إلا مقرونًا بسببه ، ولهذا يجب علينا

العلم بالله والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، حتى نُثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ ، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه أو ما نفاه عنه رسوله ﷺ ، فلا نتجاوز القرآن والحديث في الاعتقاد والقول والعمل والخلق : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل/ ١١٦ – ١١٧] .

- **وأركان الإيمان بأسماء الله وصفاته ثلاثة :**

الركن الأول : تنزيه ربنا خالق السموات والأرض عن مشابهة المخلوقين في الذات والأسماء والصفات والأفعال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى/ ١١] .

هو ﷻ سميع بصير ، وهو ينزل ويستوي على العرش جَلَّ جَلَالُهُ ولكن ليس كمثله شيء لا في نزوله ولا في استوائه ولا في سمعه ، ولا في بصره ، فنزه خالق السموات والأرض عن مشابهة المخلوق ، لأن المخلوق محدث ناقص ، وهو مخلوق من خالق ، والله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة فهو واحدٌ في ذاته ، واحدٌ في أسمائه ، واحدٌ في أفعاله : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة/ ١٦٣] .

الركن الثاني : الإيمان بما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله من الأسماء والصفات ، فهو خالق يخلق ، ورازق يرزق ، ورحمن يرحم ، وعفو يعفو ، نؤمن بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من الأسماء والصفات ، الواردة في القرآن والسنة .

الركن الثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية أسماء الله وصفاته وأفعاله ، فكما لا نعلم كيفية ذاته سبحانه ، لا نعلم كيفية أسمائه وصفاته وأفعاله ، لأن العلم بها إحاطة بالرب الخالق العظيم ، والله محيط بكل محيط ، ولا يحيط به أحد ، بل هو المحيط بكل أحد ، بل نقول : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى/ ١١] .

فالمخلوق سميع لكن بإذن ، بصير لكن بعين ، لكن الله ﷻ نُثبت له أنه هو السميع الأعلى ، والبصير الأعلى ، والقوي الأعلى ، لكن ليس كمثله شيء في ذاته

وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١ - ٤].

الله ﷻ له الأسماء الحُسنى وله الصفات العُلى ، وهذه الأسماء الحُسنى لا بد للعبد أن يتعرف على أسماء ربه وصفاته ؛ لأن حاجات العباد مربوطة بهذه الأسماء والله ﷻ صمد لجميع حوائج الخلق ، ويصمد إليه جميع الخلق في حوائجهم ، فهو يخلق ويرزق في كل ثانية مليارات المخلوقات ، ومليارات الأرزاق ، يرزق من في البر ، ومن في الجو ، ومن في البحر : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود/ ٦] .

فلا رزق إلا من رازق ولا خلق إلا من خالق ، ولا صور إلا من مصور .

هذا الخالق العظيم من أعظم أسمائه الحي جَلَّ جَلَالُهُ ، والحي هو الحي الذي لم يسبق حياته موت ولا عدم ، هو الحي جل جلاله ، وليس كمثله أحد في الحياة .

الله ﷻ هو الحي الذي خلق كل حي ، وأمات كل حي ، وبيده الموت ، وبيده الحياة ، ومقاليد الأمور كلها بيد الحي القيوم وحده لا شريك له : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

فهو ﷻ الحي القيوم وحياته مستلزمة لجميع صفات الكمال ، من صفات الجلال ، وصفات الجمال ، حياته مستلزمة لجميع صفات الجلال من المُلك والقوة ، والقدرة ، والإحاطة ، والعلم ، والعزة ، ومستلزمة لصفات الجمال من الرحمة ، والكرم ، والعفو ، واللطف ، والإحسان: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥] .

التعبد لله عز وجل باسمه الحي

لا بد للعبد بعد أن يعرف أن الله هو الحي القيوم ، الحي الذي له ملك السموات والأرض ، الحي الذي أحيا كل حي ، الحي الذي له الخلق والأمر ، الحي الذي له الأسماء الحُسنى والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، أن يأخذ من هذا الاسم حظه، ولكن على شاكلة العبودية .

فالله حي خالق كل حي ، وعنده خزائن الحياة ، وخزائن الموت ، وعنده خزائن القوة، وخزائن الرحمة ، وخزائن كل شيء : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١].

وهو الحي الذي وهب الحياة لكل حي من جماد ، ونبات ، وحيوان ، وإنسان ، وجن، وملك فلكل مخلوقٍ من المخلوقات حياة تخصه ، بها يعبد الله ، وبها يشهد بوحدانيته وبها يسبح بحمده ، وبها يصلي صلاته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور/ ٤١] .

فالله ﷻ علمنا أن له الحياة المطلقة ، وله الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الكمال ، فلا بد أن يكون لنا حظ من هذا الاسم ، فالله ﷻ من أعظم نعمه على عباده أنه خلقهم ، و أول نعمة أنعم بها على عباده أن جعلهم أحياء : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [غافر: ٦٧] .

والحي القيوم ﷻ أعلمنا بأنه حيٌ قيوم ، ويريد منا أن نتشبه بهذه الصفة ، نأخذ منها ما يناسب أحوالنا كعبيد ، ونحيا بالإيمان ، نحيي قلوبنا بالإيمان والتوحيد ، ونحيي جوارحنا بالطاعات ، وأعمال البر والخير ، ونحيي أرواحنا بالأخلاق الحسنة ، ونجنبها الأخلاق السيئة .

فكما ينزل المطر على الأرض فتنبت من كل زوج بهيج ، وتدب فيها الحياة ، كذلك هذه القلوب إذا نزل فيها نور الإيمان حيت وأنبتت من كل زوج بهيج من الأخلاق الكريمة التي يحبها الله من الإيمان والتوحيد ، والإحسان ، والرحمة والصدق ، والبر ، والعفو ، والكرم وغير ذلك من الصفات التي ذكرها الله في القرآن .

فالوحي ينبت : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾[التوبة/ ١١٢] .

وينبت أهل الصفات التي يحبها ، ويعطى عليها الأجر العظيم : ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب/ ٣٥] .

فهذه الصفات الله ﷻ بينها لنا ، وبين ثوابها ، وحث على التخلق بها ، ولهذا لا بد أن نتخلق بصفة الحي والتخلق بصفة الحي أن ننظر في أكمل المخلوقات حياة ، وما هي أطول حياة ؟ ، وما هي أصول الحياة النافعة التي يحبها الله ؟ ، وما هي أصول حياة المسلم ؟ ، وما هي أصول حياة الأنبياء والرسل؟.

لا بد من معرفة أفضل حياة ، أفضل حياة هي حياة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، فأصح المخلوقات مزاجًا هم بنو آدم ، وأصح بني آدم مزاجًا هم المؤمنون ، وأصح المؤمنين مزاجًا هم الأنبياء والرسل ، وأصح الأنبياء والرسل مزاجًا هم أولو العزم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وأفضل أولى العزم مزاجًا هما الخليلان : محمد وإبراهيم .

وأفضل الخليلين : محمد ﷺ الذي كان أحسن الناس خلقًا وخُلقًا ، وكان خُلقه القرآن ، يتأدب بأدبه ، ويحل حلاله ويحرم حرامه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم/ ٤] .

فكيف تأتي حياة النبي ﷺ في حياتي ، وكيف أصبغ حياتي بحياة النبي ﷺ ؟.

- **لا بد لكل إنسان من حياتين :**

حياته البدنية . . وحياته القلبية .

١- لا بد من نفخة الرسول الملكي الذي ينفخ الروح في الإنسان حينما يبلغ أربعة أشهر في بطن أمه ، فينفخ فيه الروح لتدب الحياة في هذا البدن ، ولا تكفي هذه الحياة ، فهذه حياة بدنية كالبهائم .

٢- لكن حياته القلبية لا بد لها من نفخة الرسول البشري الذي ينفخ فيه روح الإيمان وهو محمد ﷺ : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

هذا النور هو نفخة الرسول البشري ، فالله ﷻ امتن علينا بأن أحيانا حياة الأبدان ، وحياة القلوب :﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦] .

و كل إنسان فيه ذرة من الذرات الحية التي كانت موجودة حينما خلق الله آدم ، واستخرج ذريته من صلبه ، فأقروا له با التوحيد

فكل إنسان فيه ذرة حية من آدم حينما أخذ الله عليه العهد وذريته كما قال سبحانه : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف / ١٧٢ - ١٧٣] .

ثم أرجع الله ﷻ هذه الذرية في صلب آدم ، وأخرجهم جيلًا بعد جيل ، وقرنًا بعد قرون ، فلكل إنسان ذرة حية شهدت الإقرار لله بالربوبية ، وأُخذ عليها العهد بأن تمتثل أمر الله ، وتجتنب معصيته ، وتؤمن به ﷻ ، لكن من الناس من قبل حمل الأمانة، وهم المؤمنون ، ومنهم من ردها ، وهم الكفار والمشركون والمنافقون :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٢ – ٧٣] .

فالله ﷻ حيٌ بحياة كاملة مستلزمة لصفات الكمال ، وصفات الجلال ، وصفات الجمال ، فحتى تكون حياتي مطابقة لحياة النبي ﷺ لا بد للإنسان أن يزن نفسه بحياة النبي ﷺ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

- **وحياة النبي ﷺ تقوم على ثلاثة أصول :**

طريقة حياة.. فرائض حياة.. مقصد حياة .

الأول :طريقة الحياة : هي الأحكام الشرعية الواردة في القرآن والسنة ، والآداب الإسلامية التي يتخلق بها المسلم ، ويتميز بها عن الشيطان ، وعن الكفار ، وعن الحيوان .

طريقة حياة : كيف أكل على السنة ؟ وأشرب على السنة ؟ وألبس على السنة ؟ وأسافر على السنة ؟ وأجلس على السنة ؟ ، وأتكلم على السنة ؟ وأسمع على السنة ؟ ، هذه طريقة الحياة : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة/ ١٣٨] .

فهذه طريقة الحياة أن تكون حياتي أحسن حياة ، مزاجها سمعنا وأطعنا ، وأتشبه وأتخلق وأقتدي بالملائكة وبالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الملائكة في السماء مزاجهم سمعنا وأطعنا ، والأنبياء في الأرض مزاجهم سمعنا وأطعنا ، فأقتدي بهؤلاء وهؤلاء ، لتكون طريقة حياتي كلها كحياتهم : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٥].

في كل حال أمتثل أمر الله ﷻ : في الطريق ، في المسجد ، في دورة المياه ، في غرفة النوم ، في المجلس ، مع الكافر ، مع المسلم ، مع الحيوان ، هذه طريقة الحياة أن نتميز عن الشياطين ، وعن الكفار ، وعن الحيوانات بأن أصبغ حياتي بالصبغة التي أمرنا الله أن نجمل أجسادنا بها ، فظهور السنن والأحكام الشرعية على الأبدان أجمل من الأزهار والثمار على الأغصان التي فوق الأشجار ، فهذا هو المقصد الأول ، أو الركن الأول من أركان حياة الرسول ﷺ .

الأصل الثاني فرائض الحياة : المؤمن يتميز بأن له طريقة حياة خاصة ، فإذا جاء وقت الصلوات الخمس أصليها ، وإذا جاء وقت الزكاة أخرجها ، وإذا جاء وقت الصيام أصوم ، وإذا جاء وقت الحج أحج ، ولساني أُشغله بذكر الله ﷻ والدعوة إليه، وعيني أرى بها الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، وأذني واسمع بها القرآن والمواعظ وهكذا أقوم بفرائض الحياة الواجبة ، سواء كانت انفرادية ، أو كانت اجتماعية .

الفرائض الانفرادية : كذكر الله ، ودعائه ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج وغيرها من الفرائض .

وأقوم بأداء حقوق الخلق الواجبة كقضاء الديون ، وأداء الحقوق بأنواعها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

والفرائض الاجتماعية : هي الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

هذه فرائض الحياة ، المسلم عليه واجبات ، وله ثواب على أداء الواجبات ، وعليه عقاب إذا ترك الواجبات ، فلا بد من أداء الواجبات حتى يستحق الإنسان الجزاء عليها ، ويسلم من عقوبة تركها : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر/ ٧].

الأصل الثالث : مقصد الحياة ، ومقصد حياة كل مسلم من هذه الأمة أن يكون داعياً إلى الله كالأنبياء ؛ لأن الأنبياء والرسل أعطاهم الله الدعوة والعبادة ، ونحن أعطانا الله الدعوة ، وأعطانا العبادة ، وأمرنا بالدعوة ، وأمرنا بالعبادة أمرنا بالعبادة فقال: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ** ٢١ ﴾ [البقرة/ ٢١] .

وأمرنا بالدعوة فقال :﴿ **وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ** ١٠٤ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

- **أمرنا الله بهذا وهذا ، لأننا أخر أمة ، وأفضل أمة ، والله ﷻ توجنا بأربعة تيجان :**

تاج : ﴿ **كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ** ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

وتاج : ﴿ **هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ** ﴾ [الحج/ ٧٨] .

وتاج : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا** ﴾ [البقرة/ ١٤٣] .

وتاج : ﴿ **لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ** ﴾ [البقرة/ ١٤٣] .

فنحن أمة متوجة ، أمة مميزة ، فعلينا جُهد على النفس بالعبادة ، وجُهد على الغير بالدعوة إلى الله ، والله ﷻ وصفنا بأننا خير أمة ، ولذلك خير أمة تنال أفضل الجزاء ، وهم الآخرون والسابقون يوم القيامة : ﴿ **كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ** ١١٠ ﴾ [آل عمران/ ١١٠] .

ومقصد حياة النبي ﷺ ، وحياة جميع الأنبياء ، عشرة أمور ، ذكرها الله بقوله : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا** ٤٨ ﴾ [الأحزاب/ ٤٥-٤٨] .

هذه الأمور العشرة خطاب للنبي ﷺ ، و خطاب لأمته .

- **فهذه حياة النبي ﷺ قائمة على هذه الأصول الثلاثه :**

طريقة الحياة.. وفرائض الحياة.. ومقصد الحياة : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

فبعض المسلمين أخذ بعض طريقة الحياة ، وكثير منهم يؤدي فرائض الحياة ، وأكثرهم ترك مقصد الحياة وهو الدعوة إلى الله ، وكتم ما أكرمه الله به عن غيره:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٩ - ١٦٠] .

والله ﷻ كريم رحيم ، أعطانا عطاء الربوبية للمسلم والكافر ، وعطاء الألوهية للمسلم والكافر ، ولكن المؤمن قبل عطاء الألوهية ، والكافر رده ، وقامت الحجة على الجميع بوجود الأسماع ، والأبصار والعقول ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب.

المؤمن قبل هذه النعمة ، وشكر الله عليها ، فسعد في الدنيا ويسعده الله بالجنة والرضوان يوم القيامة ، والكافر رد هذه النعمة فشقي في الدنيا ، ويشقى يوم القيامة بسخط الله ﷻ ، ودخول النار : ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦].

- **وحياة البشر أربعة أقسام :**

حياة حيوانية.. وحياة إنسانيه.. وحياة إبليسيه.. وحياة إيمانية .

ولنجاة الإنسان وسعادته لا بد أن يخرج من الحياة الحيوانية ، والحياة الإنسانية ، والحياة الإبليسية ، لينتقل إلى الحياة الملائكية ، والحياة الإيمانية لينجو من الخسار ، ويسعد بالفوز والفلاح .

- **ولتحقيق هذا لا بد للإنسان أن يقيم حياته على أربعة أصول :**

آمنوا.. وعملوا الصالحات.. وتواصوا بالحق.. وتواصوا بالصبر .
كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١ -٣] .

- **وجميع البشرية أموات و في خسار إلا من اتصف بأربع صفات :**

آمنوا وعملوا الصالحات : عبادة بيني وبين ربي .
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر : دعوة بيني وبين خلقه .
أجتهد على الكافر لعله يهتدي ، وأجتهد على الجاهل لعله يتعلم ، وأجتهد على العاصي لعله يطيع ، وأجتهد على العالم ليكون معلماً ، وأجتهد على الصالح ليكون مصلحاً.
فهذه أصول الحياة النافعة الرابحة المنجية أربعة أصول لا بد أن تكون في حياتي : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر/ ١ – ٣].
ومن الناس من أخذ القسم الأول آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا شك أن هذا على خير ، ولكنه قام بالعمل الانفرادي بينه وبين ربه ، لكنه ترك الواجب الاجتماعي وهو التواصي بالحق ، فالمجتمع كله يلاحق الآخر ، ويدعوه ، وينبهه ، ويذكره ، حتى لا يقع في مصيدة من مصائد الشيطان .
هذا المجتمع وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ، لا يعطب فيه إنسان ، فهو كله ذاكر ومذكر ، وناصح ومنصوح ، وصالح ومصلح .
فأصول الحياة النافعة التي يريدها الله من كل مسلم لخصها الله لنا في سورة العصر : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر/ ١ – ٣].

فالواجب الانفرادي أكثر المسلمين يقوم به ، أما الواجب الاجتماعي فأكثر المسلمين لا يقوم به ، لأنه يحتاج من الإنسان إلى جهد وفكر ، وتضحية وصبر ، وبذل وترك ، ولا بد لكمال الإيمان في القلوب ، ولصالح أنفسنا والبشرية ، أن نأخذ حياة النبي ﷺ وحياة الأنبياء بحذافيرها ، حتى تكون حياتنا كحياة الأنبياء ومشابهة لحياة الملائكة الذين مزاجهم سمعنا وأطعنا ، لا سمعنا وعصينا : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾ [الأنعام/ ٩٠].

ما دام الإنسان حياً لا بد أن يتعرف على الحياة النافعة ، ويميز بينها وبين الحياة الضارة .

الحياة الضارة هي حياة الشياطين ، حياة الحيوانات التي ترتع فيما تشتهي لا أمر ولا نهي ، حياة السباع ، حياة الغافلين :

أما الحياة النافعة فهي حياة الأنبياء والرسل ، الذين أمرنا الله بمعرفة حياتهم ودعوتهم:

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ ﴾ [مريم/ ٤١] .

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ ﴾ [مريم/ ٥٤] .

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ ﴾ [مريم/ ٥١].

الله أمرنا بذكر حياة الأنبياء ، لا بذكر حياة الرؤساء ، ولا بذكر حياة الأغنياء ؛ لأن ذكر حياة الملوك والرؤساء تذكرنا بالجاه و ترغبنا في الجاه والمناصب ، وذكر حياة الأغنياء تذكر بالمال و ترغبنا في الشهوات ، لكن ذكر حياة الأنبياء تعلق قلوبنا بالله ﷻ ، وبتعظيمه ، وترغبنا في السير على هديهم : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

- **والله ﷻ أرسل الأنبياء والرسل بثلاثة أمور :**

الأول : التعريف بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، حتى يعبده الناس وحده .

الثاني : التعريف بالطريق الموصل إليه وهو الدين عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً .

الثالث: التعريف بما للناس بعد القدوم عليه ، من الجنة للمؤمن والنار للكافر .

فالحي القيوم أرسل الرسل رحمة بالناس : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

وإذا ذهبت إلى الناس ماذا أقول للناس ؟

قل للناس : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص/ ١-٤] .

قل للناس : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٢] .

قل للناس : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٣] .

قل للناس : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٤] .

قل للناس : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

وهكذا الله ﷻ يثني على نفسه ، ويمدح نفسه ، ويبين نفسه ، حتى نتعرف على أسمائه وصفاته ، ونتخلق بها ، ونعبده بمقتضاها ، وندعو الناس إلى رب الناس : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

فالله حي بحياة كاملة ، فيها القوة الكاملة ، والقدرة الكاملة ، والكرم الكامل ، والعفو الكامل ، والرحمة الكاملة ، والإحسان الكامل واللطف الكامل .

وهكذا نحن يجب علينا أن نحيا بحياة كاملة ، والحياة الكاملة هي حياة الأنبياء ، والحياة الكاملة ثوابها النعيم الكامل : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل/ ٩٧].

- **وحياة النبي ﷺ أحسن حياة ، وأطهر حياة ، وأجمل حياة :**

وهذه الحياة يجمعها خمسة أمور ، وعلى المسلم أن يقتدي بالنبي ﷺ فيها حسب قدرته :

يقتدي به في نيته وفكره.. وفي توحيد وإيمانه.. وفي أقواله الحسنة.. وفي أعماله الصالحة.. وفي أخلاقه العظيمة .

الأولى : نية واسعة ، اتسعت لنفسه ، ولأهله ، ولعشيرته ، ولقومه ، ولقريته التي هي أم القرى ، ولمن حولها ، وللناس كافة ، وللعالم قاطبة ، فهذه ثمان دوائر ، بدءاً بالنفس ، وانتهاء بالعالم.

فبداءً ﷺ بنفسه وأهله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم/ ٦] .

ثم : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٤] .

ثم : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القصص/ ٤٦] .

ثم : ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى/ ٧] .

ثم إنذار الناس كافة : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

ثم العالم قاطبة بإنسه وجنه : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان/ ١] .

فمن نوى هذه النية أعطاه الله أجرها ، ويبدأ بما يستطيع ، حسب قدرته ، فالأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى.

فأنوي هداية نفسي ، وأهلي ، وعشيرتي ، وقومي ، وبلدي ، وما حولها من القرى ، والناس كافة والعالم قاطبة : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

فهذه نية النبي ﷺ وفكره في هذه الدوائر الثمان ، وعلينا الاقتداء به فيها : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

الثانية : في توحيده وإيمانه ﷺ ، فأجتهد لأحصل على كمال التوحيد و الإيمان ، وابلغ ذلك للناس : ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

الثالثة : اقتدى به أقواله الحسنه ، ذكراً ودعاء ، ودعوة ، وتذكرة ، وعبودية اللسان في أمرين :

أن يتكلم مع الله ، أو يتكلم عنه ، إما أن أتكلم مع الله بالعبادة ، أذكره ، وأسبحه ، وأعظمه ، وأحمده ، وأمجده ، أو أتكلم عنه بتعريف الناس به ، ودعوتهم إليه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

فالمسلم تارة يتكلم مع ربه : فيقول ربي اغفر لي ، وارحمني ، وأهدني ، وارزقني ، ربي ظلمت نفسي ، يتكلم معه بالدعاء والذكر .

وتارة يتكلم عن ربه يبين الناس أسماءه وصفاته ، ويدعو الناس إليه ، ويعظمه بينهم .

ومن عظم الله في نفسه ، عظم الله في قلبه ، وعظم هو في عين الله .

ومن عظم الله أمام الناس : عظم الله في قلبه.. وعظم الله في قلوب الناس.. وعظم هذا الإنسان في عين الله.. وعظم الناس الذين عظموا الله في عين الله .

فلا بد من معرفة العظيم جل جلاله ، ومعرفة الحي القيوم ، وإذا عرفت العظيم ، آمنت بكتابه العظيم ، وامتثلت أمره العظيم .

الرابعة : اقتدى بالنبي ﷺ في أعماله الصالحة ، انفرادية كالعبادة ، أو إجتماعية كالدعوة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣].

الخامسة : اقتدى بالنبي ﷺ في أخلاقه العظيمة مع ربه ، ومع خلقه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

فكل حي مخاطب أن تكون حياته أعلى حياة ، وأحسن حياة ، وأعلى حياة هي حياة الأنبياء ، وحياة الأنبياء بينها الله لنا في القرآن ، فالله قص علينا حياة الأنبياء ، لنزن حياتنا بحياة الأنبياء ، ثم نجعل حياتنا كحياة الأنبياء ، دعوة ، وعبادةً ، وتعليمًا ، وإحسانًا إلى الخلق : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

- **وأصول حياة الأنبياء أربعة :**

الأصل الأول : التضحية بكل شيء من أجل الدين ، وذلك بترك الأدنى من أجل الأعلى ، وبذل المحبوب لما هو أحب إلى الله ، وترك محبوبات النفس من أجل محبوبات الرب ، والخروج من مزاج النفس إلى مزاج الدين ، وتقديم الوحي على العقل ، ومن ضحى بشيء من أجل الله وهبه الله له فورًا ، كما حصل لإبراهيم ﷺ ، وتلك حقيقة المجاهدة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

هؤلاء المجاهدون فكيف بمن دعوهم إلى الله ، كم يدخل في الدين ، ويتعلم الدين ، بسبب الداعية ، والمجاهد ، لكن الله ﷻ قال : المستفيد الأول هو الداعية ، لأن الدعوة للداعي تركيزًا ، ولغيره تذكيرًا ، فمن ضحى بأي شيء من أجل الدين ، وهبه الله له فورًا ، فإبراهيم ﷺ ضحى بالحياة ، حين ألقى في النار ، فوهب الله له الحياة فورًا : ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ ﴾ [الأنبياء/ ٦٩] .

وضحى بالولد إسماعيل ، وأراد أن يذبحه ، فلما عزم على الذبح ، أنجى الله إسماعيل ، وجعله نبياً ، ثم وهبه الله أفضل ولد وهو محمد ﷺ الذي خرج من نسل إسماعيل ، فهو أفضل الأنبياء ، وأمته أفضل الأمم ، وضحى إبراهيم بالبلد العراق ، وجاء إلى الشام ، ثم الله أعطاه أحسن بلد مكة ، وبني فيها أعظم بيت على وجه الأرض الكعبة :﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ ﴾ [البقرة/ ١٢٧].

وضحى بأم الولد ها جر ، فتركها بواد غير ذي زرع فجعلها الله أماً للعرب ، وجعل خطواتها بين لصفا والمروة نسكاً من مناسك الحج والعمرة .

وضحى بما له للضيفان فجعل الله النبوة من بعده في ذريته .

وقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ بإتباع الأنبياء عموماً ، و إتباع ملة إبراهيم خصوصاً فقال: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣ ﴾ [النحل/ ١٢٣] .

ملة إبراهيم هي التضحية بكل شيء من أجل الدين .
التضحية بالأوقات ، والأموال ، والأنفس ، والشهوات ، والأهل ، والأولاد ، والبلاد من أجل الدين .
فإذا جاءت هذه التضحيات أعطى الله هذا الداعي هداية كاملة ، وعملاً كاملاً وثواباً كاملاً : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الأصل الثاني من أصول حياة الأنبياء : الاستقامة على الدعوة ، فالدعوة أمر الله ، كالصلاة أمر الله ، كلاهما فرض عين على كل مسلم ومسلمة .
فالله يقول : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ٢٠ ﴾ [المزمل/ ٢٠] .
أقيموا الصلاة أمر الله ، وآتوا الزكاة أمر الله ، كذلك الدعوة أمر الله : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ١٢٥ ﴾ [النحل/ ١٢٥] .
فالدعوة فرض عين على كل مسلم لأنه لا نبي بعد محمد ﷺ ، فلما مات بعد البلاغ ترك لنا الدين ، وترك لنا باقي الأرض ، وباقي الناس ، فكل مسلم من هذه الأمة مطلوب منه أن يجتهد على غيره ، ويدعو الناس إلى الله ، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾ [إبراهيم/ ١] .
ولا يمكن أن يستقم المسلم على الدعوة إلا بالبيئة الإيمانية التي تزيد الإيمان بالله ﷻ ، والاستقامة على الدعوة .

فالدعوة أمر الله كالصلاة ، والذي يريد الاستقامة لا بد له من التوبة ، ولا يستقيم على جُهد الدعوة إلا من تيقن أن فلاح البشرية كلها بهذا العمل ، وبهذا الدين ، لا فلاح للبشرية أبدًا ، ولا خروج لهم من الظلمات إلى النور ، ولا من الشقاء إلى السعادة ، ولا من الذلة إلى العزة إلا بالدين فقط : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

من تيقن هذا ضحى بكل شيء من أجل إيصال هذا الدين العظيم إلى كل الناس ، فإن فلاح البشرية كلها بهذا العمل ، ويلزم بيئة الإيمان ، لأنها تعطيه طاقة إيمانية ، يقوي بها عبادته بالمذكرات الإيمانية ، بالكلام عن الله وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده ، وينقطع عن جو الغفلة : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨] .

وأعظم الأمراض التي تطرد المسلم عن عمل الدعوة هي الغيبة والنميمة ، وإتباع الهوى ، والانتقاد ، وحب الدنيا ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢] .

متى يأتي الشيطان إلى العبد؟ إذا وجده غافلًا ، فكل غافل يصطاده الشيطان عند الغفلة ، أما الذاكر فلا يستطيع أن يقترب منه الشيطان ، لأنه متصل بربه ، قائم بين يديه بالعبادة ، وقائم بين يدي خلقه بالدعوة : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦] .

الأصل الثالث من حياة الأنبياء : المسابقة والمسارعة في كل ميادين طاعة الله ورسوله حتى الممات ، يسارع ليكون في الصف الأول في الدعوة ، في الصف الأول في التعليم ، في الصف الأول في العبادة ، في الصف الأول في الإنفاق ، في الصف الأول في الأخلاق ، في الصف الأول في كل فضيلة .

والصحابة رضي الله عنهم قدم كل واحد منهم ما يملك وما يستطيع إلى أخر يوم في حياته ، ولهذا رضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٠] .

فلما جاءت الهجرة التي هي الترك ، ترك الأهل ، والبلاد ، والأموال ، والشهوات ، وجاءت النصرة التي هي بذل المحبوب إلى ما هو أحب ، التقت الهجرة والنصرة فجاء الثالث ، وهو الرضوان ، كما أن الكهرباء إذا جاء التيار الكهربائي ، مع وجود

اللمبة جاء الثالث ، وهو النور ، كذلك بالتضحية والمسابقة للخيرات ، والثبات ، ولزوم بيئة الإيمان ، تكون حياتي كحياة الأنبياء ، الحياة التي يحبها الله ، وإذا أحب الله ﷻ هذا العبد ، كان معه ونصره وحفظه من عدوه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ [النحل: ١٢٨] .

وبقدر الجهد تكون الهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

الأصل الرابع من حياة الأنبياء : هو الدعاء والاستغاثة بالله وحده ، لأنه قاضي الحاجات وحده : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ – ٨٨] .

فالمؤمن يستغيث عند حاجته بالله وحده ، ولا يلتفت لأحد سواه : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ [الأنبياء: ٨٩ – ٩٠].

فالله ﷻ فتح البحر لموسى ، وفجر الحجر بالماء لموسى ، وجعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ، وجعل بطن الحوت داراً ليونس ، وهكذا الله ﷻ من استقام على دينه ، وتوجه إليه ، وأخلص له التوحيد ، وصدق في الدعاء ، فالله يستجيب له ، وينصره فورًا .

والقرآن كله يبين دعوة الأنبياء ، ودعاء الأنبياء : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤ ﴾ [الأنبياء: ٨٣ – ٨٤].

فهذه هي أصول دعوة الأنبياء، التضحية، والاستقامة ، والسابقية ، والدعاء والاستغاثة بالله ﷻ .

فمن قام بها حصل له كمال الإيمان والتقوى ، والفلاح في الدنيا والآخرة ، وعاش أحسن حياة .

والمقصود من الدعاء إحياء أمر الله في طلب الحوائج من الله وحده ، ليس الاستجابة فقط ، فالله ﷻ كريم ، الكريم من البشر لا يرد السائل ، فكيف بالكريم الذي لا تنقص خزائنه ، وهو الكريم الذي له منتهى الكمال في الكرم .

فهذه أصول حياة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

فيجب علينا أن تكون هذه الأصول في حياتنا ، ونأخذ أصول هذه الحياة ممن أمرنا الله ﷻ بالاقتداء بهم ، فإذا جاءت فينا هذه الصفات ، زاد الإيمان ، ورغبت القلوب في العمل بالأوامر الشرعية من ربنا ﷻ ، ثم كنا في أمان ، قلوبنا مملوءة بالتوحيد والإيمان ، بعيدة عن الشُبه والشك والشرك ، وأجسادنا وقلوبنا معلقة بالله ﷻ ، تركع وتسجد له ، وتسبح بحمده : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

فإذا جاءت هذه الأمور في حياتنا ، جاءت أربعة أمور ، هي أصول حياة كل مسلم ومسلمة ، فأصول حياة المسلم من هذه الأمة هي أصول حياة النبي ﷺ ، وحياة أصحابه ، وحياة الأنبياء قبله :

الدعوة إلى الله.. وتعليم شرع الله.. والعبادات بأنواعها.. والأخلاق العالية .

فالدعوة : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف/١٠٨] .

وخطاب النبي ﷺ خطاب لأمته .

والتعليم : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة/ ٢] .

والعبادات : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة : ٢١] .

والأخلاق : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤] .

- **وأصول الأخلاق أربعة ، وكلها شديدة المرارة :**

أن تصل من قطعك.. وتعفو عن من ظلمك.. وتعطي من حرمك.. وتحسن لمن أساء إليك .

فهذه مجامع الأخلاق : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٩٩] .

وإذا جاءت هذه الأصول في حياة الناس تحولت المدينة بكاملها إلى حياة طيبة يحبها الله ﷻ ، فالمدينة هي مدينة الصفات لا مدينة الحجارة ، المدينة كانت تسمى يثرب ، فلما جاء إليها النبي ﷺ ، وقامت فيها الأعمال ، وقام فيها جُهد النبوة ، وقامت العبادات ، وانتشرت فيها الأخلاق العالية ، وقامت الدعوة ، والتعليم ، ونشر الهداية ، صارت مدينة الصفات ، وجاء الناس من كل مكان يدخلون إلى المسجد ، فيتعلمون الدين ويرجعون إلى أهليهم ويخبرونهم بهذا الدين ، فيدخلون في دين الله راغبين محبين : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

- **فمدينة الصفات تقوم على أربعة أركان :**

الأول : أن تكون حياتي مطابقة لحياة النبي ﷺ في نيته وتوحيده وأقواله وأعماله وأخلاقه .

الثاني : أن يكون بيتي كبيت النبي ﷺ ، معمورًا بالأعمال ، والأخلاق العالية .

الثالث: أن يكون مسجدي مسجد النبي ﷺ ، معمورًا بالأعمال ، والعبادات ، والأذكار ، والقرآن وتوديع الجيوش ، واستقبال الوفود والجماعات ، وحكاية الأحوال ، وإطعام الطعام وهكذا .

الرابع : أن تكون مدينتي كمدينة النبي ﷺ : عشرة آلاف من المسلمين يتفكرون لواحد ، كيف يقوم على السنة ؟ ، وكيف يرضي الله ﷻ ؟ وكيف يبتعد عن المحرمات والكبائر ، وواحد يتفكر لعشرة آلاف ، الواحد يتفكر لأمة ، والأمة تتفكر للواحد ، فلا يصيب هذه الأمة عطب ، أو فرقة : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

فهذه الأصول أصول لحياة الإنسان ، وحياة الأمة ، وتجميل المدينة بهذه الصفات ، فبلغ الإسلام كماله ، وتمامه ، وجماله في عهد النبوة ، وتجلي هذا الدين في خير القرون ، الذين هم صحابة الرسول ﷺ ، أبر هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينها ، فاعرفوا لهم فضلهم ، فإنهم على الهدي المستقيم : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

فأفضل الناس بعد الأنبياء أصحاب النبي ﷺ ، وأفضل البيوت بيوت أصحاب النبي ﷺ ، وأفضل المساجد أعمالاً مسجد النبي ﷺ ، وأفضل المدن مدينة النبي ﷺ .

فالله يريد منا إنشاء هذه المدينة في العالم ، لتكون المدائن كلها كمدينة النبي ﷺ ، تكون المدائن كلها كمكة والمدينة ، لماذا ؟ لأنها مدينة الصفات ظهر فيها الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه .

فهذا حظنا من هذا الاسم العظيم ، أن نسعى لأن نحيا بالحياة الكاملة ، والحياة الكاملة موجودة في حياة الأنبياء ، وفي حياة الملائكة ، وفي حياة أصحاب النبي ﷺ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

والله ﷻ هو الحي القيوم ، ومن فضله وكرمه أن رزقنا الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، فأعطانا الدين ، وأعطانا حب العمل بالدين ، وأعطانا الدعوة إلى الدين ، وأعطانا الثواب العظيم على هذا الدين ، فلنسأل الحي القيوم أن يرزقنا الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، وأن يحيي قلوبنا بالإيمان ، ويحيي أجسادنا بالأعمال الصالحة ، ويلبسنا لباس التقوى : ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد/ ٢١] .

فلباس التقوى ألبسه ، وأُلبسه للعالم ، مطلوب مني أن أنقل هذه السنن والأحكام إلى أجساد البشرية ، وأنقل التوحيد والإيمان والأخلاق العالية إلى قلوب البشرية ، حتى ترقى من حياة البهائم ، وحياة السباع ، وحياة الشياطين ، إلى حياة الملائكة ، وحياة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

والله ﷻ هو الحي القيوم الكريم ، إذا خصك بهذه النعم فأحياك ، ونور قلبك بالإيمان فهو يريد منك أن تكون عبدًا حيًا قائمًا بين يديه بالعبادة ، وقائمًا بين يدي خلقه بالدعوة إلى الله ، والإحسان إليهم ، وإصلاح ذات بينهم ، وهذا مقام الأنبياء فأحسن المقامات : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣] .

وأنت أيها العبد اشكر الحي القيوم على إحسانه ، أحسن خلقك ، ورزقك من فضله ، وأعطاك أحسن دين ، وأحسن أحكام ، وأحسن ثواب ، فاشكر الحي القيوم على

إحسانه ، واحمده على هدايته ، ولولا ذلك لكنت من الأموات الخاسرين : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢]

والزم باب العبودية للحي القيوم ، فأنت عبده ، وليس عند العبد عمل إلا امتثال أوامر سيده ، أوامر انفرادية بينه وبين ربه ، وأوامر اجتماعية بينه وبين خلقه .

فالأوامر الانفرادية هي العبادات بأنواعها ، والأوامر الاجتماعية هي الدعوة ، والتعليم ، والإحسان إلى الخلق .

فالزم باب العبودية للحي القيوم ، فإنه يراك ويسمعك ، ولا تمل فتقعد عن العمل ، فتُحرم مما تحب ، وتعاقب بما تكره : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤ – ١٠٥] .

فالطالب إذا عرف قدر ما يطلب هان عليه قدر ما يبذل فيه ، فالذي يطلب شيئاً ، ويعرف أنه ثمين ، يجاهد من أجل الحصول عليه ، ويبذل كل شيء من أجل الحصول عليه .

ولهذا الصحابة ضحوا بكل شيء من أجل الدين ، حتى قام الدين ، تركوا المحبوب الأدنى من أجل المحبوب الأعلى ، وبذلوا الأنفس والأموال من أجل إعلاء كلمة الله ، فالله أعطاهم الرضوان وأعطاهم الجنة يوم القيامة : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم/ ٣٠] .

- **فالدين خطوتان :**

خطوة للعبادة.. وخطوة للدعوة .

خطوة لعبادة الحق ، وخطوة للإحسان إلى الخلق : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦] .

واعلم نور الله قلبك بالإيمان أن حياة القلوب أعظم من حياة الأبدان ، فحياة الأبدان نشترك فيها مع الحيوانات ، ومع الكفار ، أما حياة القلوب فتكون بالتوحيد والإيمان بالله ، والعمل الصالح ، حياة القلوب بالتوحيد والإيمان بالله ، والعمل الصالح ، من أعظم الهبات التي يخص الله بها من يعلم أنه يزكو بها ، ويمنعها من لا يزكو بها: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٤] .

هو الحي العليم الخبير الذي يعلم حيث يجعل رسالته ، ويعلم بمن يستحق الجنة ، ومن يستحق النار ، ويعلم بمن يزكو على التوحيد والإيمان ممن لا يزكو على ذلك ، فالله ﷻ مَنَّ علينا بالحياة الإسلامية ، ومَنَّ علينا بالحياتين .

حياة من عدم ، بنفخة الرسول الملكي لروح الجنين في بطن الأم ، وحياة قلوب وهي نفخة الرسول البشري محمد ﷺ للإيمان : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء/ ١٩٣-١٩٥] .

فالله أنزل الوحي على الأنبياء بواسطة الرسول الملكي جبريل ، وجبريل نزل بالوحي الذي سماه الله روحًا على قلب النبي ﷺ ، والنبي ﷺ دعا الصحابة إليه ، وهكذا انتقل من الصحابة إلى التابعين ، وهكذا حتى وصل إلينا ، فالله وصلنا بحياتين ، كل حياةٍ تستحق الشكر لربنا ﷻ ، أن جعلنا أحياء ، لم يجعلنا ترابًا يُبال عليه ، ولا حيوانًا يُركب عليه ، بل جعلنا أحياء بحياةٍ فيها صفاتٍ عالية ، فيها صفات الإسلام والإيمان، والصدق والإخلاص ، والبر والإحسان ، وكمال الطاعة والتقوى .

وهذه الحياة أعظم نعم الله على عباده في الدنيا والآخرة ؛ لأنها تكشف عن البصر غطاءه ، وتزيل عن السمع وقره ، وترفع عن القلب أكنته ، ليعرف فاطره ومعبوده ، فيقف ببابه قانتاً له : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩] .

وبالنظر والتفكر يبصر العقل حقائق المخلوقات ، وينظر إلى آيات ربه ، ويبصر شواهد وحدانيته ، ويسمع شهادة الشاهدين بالوحدانية ، فيستجيب لربه الحي القيوم

الذي يدعوه إلى الحياة الطيبة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٤] .

وبهذه الحياة الطيبة التي هي حياة الأنبياء والملائكة ، والكلم الطيب ، والعمل الطيب ، والخُلق الطيب ، تطيب النفوس ، وتنشرح الصدور ، وتطمئن القلوب ، وتنجلي عنها ظلمات الشرك والشبهات ، وتنفتح لها طرق الخير ، وأبواب البر ، فتشرق بنور ربها ، فترى الحق حقًا وتعمل به ، وترى الباطل باطلًا وتجتنبه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩] .

فالله ﷻ مقصوده من خلقه هو الاتصاف بالصفات الحسنى على شاكلة العبودية ، وعبادته بموجب تلك الصفات ، فالله يحب عبده الحي الذي حيا قلبه بالإيمان والتوحيد ، وجوارحه بالأعمال الصالحة، ولسانه بالذكر والدعاء وتلاوة القرآن ، أن يحيي غيره بهذه الفضائل العظيمة : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

وأفضل حياة في العالم هي حياة الأنبياء والرسل ، وأفضل حياة الأنبياء والرسل حياة النبي ﷺ الذي هو سيد الأولين والآخرين: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

- **وحياة النبي ﷺ قائمةٌ على أربعة أمور هي :**

الدعوة إلى الله.. وتعليم دين الله.. وعبادة الله.. وحُسن الخُلق.

وهذه الحياة محفوظة بالكامل في القرآن والسنة ، وهي أفضل حياة أمر الله ﷻ البشرية بالاقتداء بها كما قال سبحانه : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

وهذه الحياة أسهل حياة ، وأطهر حياة ، ومراد الله ﷻ أن نمشي على هذه الحياة لنسعد في الدنيا والآخرة ، هذه الحياة فيها التوحيد والإيمان والتقوى ، فيها تقديم

الوحي على العقل ، وفيها تقديم ما يحبه الله ويرضاه على ما تحبه النفس وتشتهيه ، وفيها التضحية بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الله ، وفيها أفضل حياة على وجه الأرض ، إذ بهذه الحياة تتحقق كلمة سمعنا وأطعنا ، فمراد الله من خلقه أن يقولوا : سمعنا وأطعنا ، وكما استقبلوا نعمه المادية ، فليستقبلوا أوامره الشرعية ويعملوا بموجها فهذه نعمة ، وتلك نعمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

ولكن هذه النعمة نعمة الإيمان خاصة بالإنسان ، وتعقبها حياةً سعيدة في الدنيا ، وحياةً أسعد في الآخرة : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧] .

فعلى المؤمن الذي أحيا الله قلبه بالإيمان ، أن يشكر نعمة الله عليه بالتوحيد والإيمان والسمع والبصر والعقل ، وأن يشكر هذه النعم بالجُهد لإحياء القلوب الميتة الغافلة عن ربها ، لعل الله أن يجعله سببًا لحياتها ، وهدايتها ، وكسب أجرها : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

هذا الدين بلاغٌ للناس كلهم ، لأن فيه نظام حياتهم ، بلغه جبريل إلى النبي ﷺ ، وبلغه محمد ﷺ إلى الصحابة ، وبلغه الصحابة إلى التابعين ، والتابعون إلى تابعي التابعين وهكذا حتى وصل إلينا ، فهو الآن أمانةٌ بين أيدينا ، وبين أيدينا البشرية كلها ، بل الإنس والجن معاً ، وهؤلاء يعيش أكثرهم في ظلام دامس ، وضلال بعيد ، وكفر برب العالمين .

والمطلوب نقل الأحكام الشرعية إلى أجساد البشرية ، ونقل الإيمان والتوحيد إلى قلوب البشرية ، وهذا يتطلب التضحية بالوقت ، والمال ، والنفس ، وبكل شيء ، من أجل الدين ، ومن أجل إعلاء كلمة الله في العالم كما فعل الأنبياء والرسل والصحابة : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة: ٨٨ – ٨٩] .

والله ﷻ ملأ هذه الدنيا بمحبوباته هو ، وملأ الآخرة بمحبوباتنا نحن .
محبوبات الله ﷻ هي التوحيد والإيمان والتقوى ، وأنواع العبادات ، ومحبوباتنا يوم القيامة ، هي أن ندخل الجنة وأن يرضى الله ﷻ عنا ، فتكميل محبوباتنا في الآخرة ، وتكميل محبوبات الرب في الدنيا ، ولهذا الحي القيوم أعطانا حياة تختلف عن غيرنا ، كل مخلوق من المخلوقات سوف يفنى إلا الإنس والجن ، وما أخبر الله عنه من الجنة والنار وغيرها .
هذا الإنسان خلقه الله ﷻ ، ولكن ينقله من حال إلى حال ، ومن دار إلى دار ، ثم يوم القيامة يعطيه من صفاته سبحانه ، يكون حياً أبدًا ، نعيم بلا بؤس ، وحياةٌ بلا موت .
فمن عَمَرَ هذه الحياة بالحياة الطيبة طاب مسكنه يوم القيامة ، وطاب مقامه بين يدي ربه ، فبيان الحق ، والعمل به ، ونشره والدفاع عنه أمرٌ لازمٌ لكل حيٍ أحياه الله ﷻ بدنيًا ، وأحي قلبه بالإيمان ، لماذا : ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال/ ٤٢].
فالحي سميعٌ للأقوال ، عليمٌ بالأفعال ، هذا الإنسان عبدٌ لله ، وليس عند العبد إلا امتثال أوامر سيده في جميع أوقاته ، وفي جميع أحواله ، والإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ، ومازج نوره لحم الإنسان ودمه ، صار العبد حيًا حياةً أخرى ، فأبصر بعد العمى ، وسمع بعد الصمم ، ونطق بعد البكم ، وذكر بعد الغفلة ، وأطاع ربه بعد المعصية : ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٤] .
هذه القلوب إذا أبصرت بعد العمى ، وتذكرت بعد الغفلة ، صار الإنسان حياً حياة أخرى ، فيخترق المخلوقات إلى الخالق ، ويخترق الصور إلى المصور ، ويخترق الدنيا إلى الآخرة ، ويخترق السنن الكونية إلى القدرة الإلهية ، ويخترق عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، ويعيش مع الخالق ، ولا يلتفت إلى المخلوق ، ولا يتوكل إلا على الله ، ولا يلتفت إلى ما سواه : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ

إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣] .

فهذا الإنسان إذا خالط نور الإيمان جسده ولحمه ، وامتلأ قلبه بالإيمان ، خشع قلبه لربه ، وخضعت جوارحه لمولاه ، وأصبح بين يدي ربه عابدًا ، وبين يدي خلقه داعيًا ومعلمًا ومحُسنًا ، والله يحب جميع هذه الأعمال من عبده ، ومن عاش هذه الحياة الطيبة ، عاش يوم القيامة في أحسن حياة ، من حيي هذه الحياة الدنيا كحياة الأنبياء والرسل التي فيها الأعمال الأربعة كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ١ – ٣] .

هذا الحي التقي لا يموت أبداً ، إلا موت النقلة من دار الدنيا إلى الدار الآخرة ، ثم يصير إلى حياة النعيم أبد الآباد ، في ملكٍ لا تستطيع أن تتوهمه ، فكيف تستطيع أن تصفه ؟ ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥-١٧] .

خروا سجداً ، لأنهم يعرفون صفات جلاله من المُلك ، والقهر ، والقدرة ، ة والقوة ، والجبروت ، والعزة .

ويعرفون صفات جماله من الكرم واللطف والرحمة والإحسان والبر .

فلما عرفوه آمنوا به ، فاحيا الله قلوبهم بالإيمان والتقوى ، وعمر أوقاتهم كلها بعبادته ، خوفًا من عقابه ، وطمعًا في ثوابه : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة: ١٦] .

الأغنياء ينفقون الأموال ، والعلماء ينفقون العلم ، والدعاة يدعون إلى الله وهكذا ، كل من أعطاه الله نعمة ينفقها ، فهي أمانه عنده يعمل بها ، ويدعو الناس إليها ، فالعلم أمانة لدي أعمل بموجبه ، ولا خير في العلم إن لم نعمل به ، والمقصود من العلم

خشية الله ، فكل علم لا يورث خشية فليس بعلم : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/٢٨] .

فأتعلم العلم الإلهي لأكون عالماً ، وأعبد الله بموجب هذا العلم ، وأعلم الناس ، وأمرهم بتعليم غيرهم ، وهكذا تتسع دائرات العلم والتعليم : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة/١٦] .

والعلم من أعظم صفات الرب ، ولهذا أمرنا الله به فقال : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩] .

فالمؤمن حي ينفق مما أتاه الله ، فالذي عنده الأخلاق العالية يُنفق الحلم والعفو والرحمة والإحسان ، والذي عنده المال ينفق المال ، والذي عنده العلم ينفق العلم ، والذي عنده الجاه يقضي حاجات الناس وهكذا : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧] .

فكل مؤمن حي بصير، وكل كافر ميت أعمى : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك: ٢٢] .

والعمل فرع الحياة ، فكل حي من نبات وحيوان وإنسان لابد له من عمل ، ولكل عمل ثمرة ، وأحسن الأعمال التي تثمر أحسن الثواب ، هي امتثال أوامر الله ﷻ ، واجتناب نواهيه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢] .

- **وعمل المسلم ينقسم إلى قسمين :**

عمل بالأوامر الثقيلة.. وعمل بالأوامر الخفيفة .

الأول: الأوامر الخفيفة : كالذكر والدعاء وقراءة القرآن ، والصلاة ، والتسبيح وغيرها من العبادات التي بين العبد وربه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ٤ ﴾ [المزمل: ١ – ٤] .

الثاني : الأوامر الثقيلة : هي الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، والنصيحة ، والإنفاق في سبيل الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ٧ ﴾ [المدثر: ١ – ٧] .

والإيمان يزيد بامتثال الأوامر الخفيفة ، وامتثال الأوامر الثقيلة : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١ ﴾ [التوبة: ٧١] .

والدعوة إلى الله أم الأعمال ، وأفضل العبادات بعد الإيمان ، لأنها عمل الأنبياء .

فالداعي إلى الله ﷻ حي مليح بالإيمان والتوحيد ، والأخلاق العالية ، والأعمال الصالحة ، فهو حي مليحٌ يذهب إلى مليح في بيئة الإيمان ؛ فيزداد إيمانًا ، ويزداد علمًا ، ويزداد أخلاقًا ، ويزداد ملاحة ، يذهب إلى المؤمنين في بيئة إيمانية ، ويذهب إلى المسجد ، ويذهب إلى مكة ؛ ليؤدي العمرة والحج .

المؤمن الداعي إلى الله مليحٌ يذهب إلى مليح ؛ وهو المؤمن في أي بيئة إيمانية أيًا كانت كما كان في دار الأرقم بمكة ، وكما كان في المسجد الحرام ، والمسجد النبوي وغيرها من المساجد .

المؤمن مليح يذهب إلى مليح مثله ، مليحٌ بما في قلبه من التوحيد ، وما على جسده من الأعمال الصالحة ، وما هو عليه من الأخلاق العالية ، يذهب إلى مليح ، هذا المؤمن العابد ، لكن الداعي أفضل منه ؛ لأنه زاد درجةٌ عليه بالدعوة ، وتوسيع الدين، وكثرة العابدين .

فالمؤمن مليحٌ بما فيه من الصفات التي يحبها الله ، يذهب إلى قبيح وهو الكافر ، والمشرك ، والمنافق ، وإلى جو الكفر ؛ فيزداد هو ملاحة وحسناً : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

وينشر الملاحة بين الناس ، يمشي كما يمشي التاجر بسلعته بين الناس ، وينشر السلع والسيارات والآلات والملابس وغيرها في العالم ، كذلك المؤمن الحي ينشر سنن النبي ﷺ بين الناس ، هو مليح ينشر الملاحة في العالم ؛ حتى يجمل قلوب وأجساد البشرية بالإيمان والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

فالداعي إلى الله الأرض دكانه ، والناس زبائنه ، وأحكام الدين سلعته ؛ فهو يسوقها للناس ، ابتغاء وجه الله : ﴿ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ٤٧ ﴾ [سبأ: ٤٧] .

فالداعي مليح يذهب إلى قبيح فيزداد هو ملاحة ؛ لأنه يتقي الله فيعطيه هداية ، وينشر الملاحة بين الناس منهم من يقبل ، ومنهم من لا يقبل ؛ كالأرض مثلًا منها ما ينبت ومنها ما لا ينبت ، ويكون سبب لدخول مليح جديد في الدين .

بالحركة ينتشر الدين ؛ فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، وطاقاتٌ مدفونة ، لابد من الزيارات والتجول في أماكن الكفر ، وأماكن الشرك ، وأماكن الظلمات ؛ حتى نُخرج الناس من البيئات الغافلة إلى البيئات الذاكرة ، ثم يتذكروا فيعودوا مذكرين للبيئة الغافلة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾ [التوبة/ ١١٩] .

إذا كنت في بيئة الصدق ، صدقت وصدَّقت بما جاء عن الله ورسوله ، وعملت بموجبها ، ثم نقلت هذه الأخبار وهذه الأحكام الشرعية عن ربنا ﷻ إلى غيري ، وهكذا ينتشر الدين كما تنتشر السحب في السماء ، وتمطر في أنحاء الأرض ، وتُنبت من كل زوجٍ بهيج : ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ

وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥ – ٧] .

فالداعي يحيي القلوب بالإيمان كما يحيي الماء الأرض بالنبات .

والداعي أجرته مدفوعة بالكامل ، ولو لم يهتدي الناس ؛ والدعوة للداعي تركيزًا ، ولغيره تذكيرًا ، فلابد أن نحيا الحياة الطيبة حتى ننال الثواب والحياة الطيبة ، ونسعد بالقرآن من الملك الحق : ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

فالمؤمن حي بين يدي الحي عابداً ، ذاكراً ، حامداً ، مستغفراً .

وبين يدي خلقه داعيًا ، ومعلمًا ، ومحسنًا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧] .

فالله ﷻ حيٌ قيوم ، وأخبرنا أنه حيٌ قيوم ، فيجب على الحي الصغير أن يتوجه للحي الكبير جل جلاله فيعبده ، ويكبره ، ويعظمه ، ويشكره على نعمه ، ويدعوه لهداية الناس ، بقوله اللهم اهدنا ، واهدي بنا ، واجعلنا سببًا لمن اهتدي .

يقوم بين يدي ربه الحي القيوم إذا نام الناس ، يقوم بين يدي ربه راكعًا وساجدًا لعظمته وجلاله ، فإذا طلع الفجر قال : يا حي يا قيوم ، هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فإن قبلت مني ليلتي فأنت الكريم ، وإن رددتها علي فأنت الغفور الرحيم : ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩] .

الله أمرنا أن نتعلم ، وأن نعرف الإله المستحق للعبادة ، حتى نقدره حق قدره ، ونكبره كما يليق بجلاله : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧] .

فالزم رحمك الله باب الحي القيوم ، وقم بين يديه راكعًا وساجدًا ، وباكيًا وخاشعًا ، ولا تمل ولا تفتر ، حتى يفتح لك الفتاح العليم كل خيرٍ تصلح به حياتك في الدنيا

والآخرة : ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢]

المفتاح بيد واحد ، مفتاح الخزائن بيد واحد ، مفتاح العلوم بيد واحد ، مفتاح العقول بيد واحد ، مفتاح الأمن بيد واحد ، مفتاح الهداية بيد واحد ، وهو الله خير الفاتحين .

فلنقبل عليه ، ولنقف بين يديه ركعًا سجدًا ، حامدين ، ذاكرين ، شاكرين ، والله ﷻ هو الذي بيده المفاتيح ، وإذا فتح لا يستطيع أحد أن يُغلق ما فتح ، وإذا أغلق لا يستطيع أحد أن يفتح ما أغلق ، فالله ﷻ له الخلق والأمر ، وهو العزيز الذي لا يُغلب ، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥] .

ومن اتصل بالحي القيوم أحيا قلبه وروحه ، ولسانه وجوارحه ، بما يحبه الله ويرضاه ، وصرف عنه ما يضره وما لا ينفعه .

الذي يتصل بالحي حي ، والذي يتصل بالعزيز عزيز ، والذي يتصل بالقوي قوي ، فمن أراد الحياة الطيبة حقًا ، والسعادة حقًا ، والفوز حقًا ، فليتصل بربه عن طريق طاعته وعبادته : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١] .

وكل عبد خيره عائدٍ إلى سيده ، إلا عبد الله فخيره عائدٍ عليه ، الله يأمرني بالصلاة وأجرها لي ، يأمرني بالزكاة وأجرها عائدٌ علي ، يأمرني بالصوم ، بالذكر ، بالدعاء بأي عمل ، وأجر ذلك عائد علي فالله غنيٌ عن العالمين ، وعن أعمالهم ؛ فهو محمودٌ قبل أن نحمده ، وكبير قبل أن نكبره ، وعظيم قبل أن نعظمه ؛ لكن الله ﷻ مَن علينا بأن جعلنا من عبيده ، وأمرنا بالعمل الذي يُسعدنا في الدنيا ، ويسعدنا في الآخرة ، ونفع أعمالنا عائدٌ علينا ، لا عائدٌ إلى الله : ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦] .

وكل من لم يصل ويتصل بربه الحي القيوم فهو ميت ، وحياته حيوانية لا آدمية : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢)﴾ [فاطر/ ١٩-٢٢] .

واعلم بأن الإنسان خلقه الله ﷻ حياً ، فإما أن يحيا حياة الأنبياء والملائكة ، أو يحيا حياة الحيوانات والشياطين .

ومن عاش عبداً لهواه وشهواته غافلًا عن ربه ، فإن الله لا يعبأ به ولا بعمله : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥)﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥] .

فعلينا أن نطلب الحياة العالية ، الحياة الطيبة الطاهرة في حياة الأنبياء والرسل ، وفي حياة الملائكة ، فاجعل حياتك لربك الذي جئت منه ، وتسكن في مُلكه ، وتأكل من رزقه ، ثم تعود إليه : ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣] .

فالله ﷻ يحب أهل الصفات من عباده ، الله يحب المتقين ، ويحب المؤمنين ، ويحب الصادقين ، ويحب المحسنين ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، ويدعوهم إليها ، وجعل فضائل لهذه الأعمال ؛ لأن الله يحب لعباده كل خير : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣)﴾ [البقرة: ١٤٣] .

فالله ﷻ يريد منا أن نحيا الحياة التي يحبها ، بأن نتصف بالصفات التي يحبها ، وندعو الناس إلى الصفات التي يحبها ، ونقتدي بالأنبياء الذين أرسلهم الله ، والملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ونحبهم لتعظيمهم لربنا ﷻ ، ولقيامهم بالدعاء لنا : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧)﴾ [غافر: ٧] .

وهذا الحي المؤمن يجب أن يكثر من ذكر هادم اللذات وهو الموت ، ويبادر للتوبة في كل وقت ، توبة من المعاصي بأنواعها وأشكالها ؛ لأن من لم يتب فهو ظالمٌ : ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات/ ١١] .

نتوب من الشرك والمعاصي ، ومن كل عملٍ يُسخط الله ﷻ علينا ، فالإنسان بعد الموت سوف يرجع إلى ربه ، وسوف يجازيه بما عمل : ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٢٨١﴾[البقرة/ ٢٨١] .

ومن عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بُعث عليه ، والناس حمالة ، إما حاملين الأوزار على ظهورهم ، أو حاملين الحسنات إلى ربهم ﷻ ، وكلٌ قادمٌ على ربه ؛ إما بالأعمال الصالحة ، أو بالأعمال التي تسخط ربنا ﷻ ، ومن طاب قلبه بالتوحيد والإيمان طاب عمله ، وطاب مقامه بين يدي ربه : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٩٧﴾[النحل/ ٩٧] .

نحييه حياةً طيبة ، كحياة الأنبياء والرسل ، نجعل في حياتهم أعمالا صالحة يزدادون بها حسنات ، ونبتليهم بالمصائب ، ونبتليهم بالنعم ، لنطهر قلوبهم من التعلق بالمخلوق ، ونجعلهم يفرون إلى ربهم من كل نعمة ، ومن كل مصيبة ، فمن طاب قلبه طاب عمله ، وطاب مقامه : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٩٧﴾[النحل/٩٧] .

فالمؤمن أطيب الناس حياة في الدنيا ، ثم تزداد حياته الطيبة فرحاً عند الموت ، ثم تزداد طيباً في القبر حيث يكون روضة من رياض الجنة ، ثم تزداد طيباً في الجنة ، حيث لا أذن سمعت ، ولا عين رأت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾[السجدة: ١٧].

فالخير كله بحذافيره في الجنة ، فيها الخلود ، وفيها رؤية الرب ، وفيها رضوان الله ﷻ ، وفيها النعيم المقيم ، وفيها سماع كلام الرب ، وفيها القرب منه جل جلاله ، ثمان كرامات للإنسان في الجنة ، وإن حُرمت هذه الحياة الإيمانية في هذه الدار بقيت

فيها قليلًا بحياة تضاهي حياة البهائم والأنعام ، ثم تموت بعد موتة الكفر التي كنت فيها ، ثم يبعثك ربك ، لا لإكرامك ، بل ليجازيك بأفعالك : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ [طه: ٧٤ - ٧٥] .

ثم يوم القيامة يذبح الموت بين الجنة والنار : «**يَا أهل الجنَّة ، خلودٌ فَلَا موت ، وَيَا أهل النَّار ، خلودٌ فَلَا موت**» متفق عليه(١).

والكفار والمشركون يحشرون مع الشيطان إلى النار ، أما المؤمنون فهم يساقون إلى ربهم : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم: ٨٥ – ٨٦] .

والمؤمنين إذا قدموا على الكريم سبحانه أسكنهم فيما يحبون ويحب هو ، في جنةٍ عرضها السماوات والأرض ، وبحسب تنوع الأعمال الصالحة في الدنيا يتنوع النعيم في الجنة وترتفع المنازل والدرجات : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

والجنة درجات ، وفي أعلاها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، ثم من سار على هديهم في أصول الدين الأربعة ، في الدعوة ، وفي تعلم الدين وتعليمه ، وفي العبادة ، وفي حُسن الخُلق .

- **وحُسن الخُلق ينقسم إلى قسمين :**

حُسن الخُلق مع الخالق.. وحُسن الخُلق مع المخلوق .

وحُسن الخُلق مع الخالق : بأن أعبد الله وحده ، وأشكر من أنعم علي ، وأسكنني في أرضه ، وأطعمني من رزقه ، وكساني من فضله ، وهداني بعد الضلالة ، فأشكره

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٤٧٣٠ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٨٤٩ .

وأوحده ، وأمتثل أمره وأجتنب نهيه : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر: ١١ – ١٢] .

وحُسن الخُلق مع المخلوق : درجات ؛ حُسن الخُلق مع النبيﷺ بإتباعه في كل ما جاء به من أمور الدين .

وكذلك حُسن الخُلق مع المؤمن ، ومع الكافر ، ومع الجيران ، مع الوالدين ، مع جميع الخلق ، أتصف بالأخلاق العالية التي يحبها الله عز وجل : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

وخشية الله عز وجل تحصل للعبد بالعلم النافع : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر/٢٨] .

هؤلاء هم الأحياء الذين يعرفون قدرة الله ، وجلاله ، وملكوته ، وجماله ، وكرمه ، وإنعامه ، وإحسانه ، ثم يعملون بموجب تلك المعرفة : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

هذا الرب العظيم الذي خلق هذا الكون ، وملأه لنا بالنعم الظاهرة والباطنة ، فيجب علينا أن نملأه بالحمد والشكر له ، كما ملأ الله كونه بالنعم ، نملؤه بالحمد والذكر والشكر والعبادة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

واعلم أن خشية الله إنما تحصل للعبد بالعلم النافع ، وأعلى العلم النافع هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ، ووعده ووعيده ، والعلم بدينه وشرعه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

والدين كله مجموع في أمرين : قوة اليقين على الله ، وقوة الرحمة لخلق الله وقوة الإيمان واليقين تحصل بالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، فالصدق لابد له من تكميل ، والإيمان لابد له من تكميل ، كما أن البناء لابد له من تكميل ، وهكذا كل شيء له أولٌ ووسطٌ ونهاية ، فعلينا أن نجتهد حتى تأتي فينا قوة اليقين على الله وقوة الرحمة لخلق الله .

فقوة اليقين تمنع عني أذى المخلوقات كلها ، وقوة الرحمة في قلب المؤمن تمنعه من الإساءة إلى الناس كما جاء الأعرابي للنبي ﷺ يريد أن يقتل النبي ﷺ ، «**فَقَالَ : يامحمد من يمنعك مني ؟ قَالَ : الله ، فَسقط السَّيْف من يَده**» متفق عليه[1] .

فقوة اليقين على الله تمنع أذى المخلوقات عني ، وقوة الرحمة في قلبي تمنعني أن أضر المخلوقات .

فقوة يقين النبي ﷺ على ربه منعت الأعرابي أن يضره .

وقوة الرحمة في قلب النبي ﷺ جعلته لا ينتقم منه مع أنه مستحقٌ للعقوبة فدعا قومه فآمنوا .

الخشية لله تقوم على أصول من قوة اليقين ، وكمال الإيمان ، وحقيقة التوحيد ، وكل ذلك لا يحصل إلا بالعلم بالله وأسمائه وصفاته ، والنظر في الآيات الكونية ، وتدبر الآيات الشرعية .

وذلك يُثمر كل عمل صالح ، وثواب من الرب جزيل ، ونعيمٌ من الكريم مستديم : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فصلت/ ٣٠] .

فالله ﷻ خلق الجنة ، وأعد فيها ما لا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، هذا لعموم المؤمنين ، أما خواص المؤمنين ، وهم السابقون ؛ فهؤلاء لهم : ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة/ ١٧] .

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٣٩٠٥ ، ومسلم برقم: ٨٤٣.

فالله كشف لنا الجنة ، وأنهارها ، ولباسها ، وحليها ، وما فيها من ألوان النعيم ، هذا لعموم المؤمنين ، أما الجنة المخفية فهي خاصةٌ بمن قام مقام الأنبياء ، وهم السابقون المقربون : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة : ١٧]

قال الله ﷻ لموسي ﷺ : «**أولئك الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**» أخرجه مسلم(١) .

وصلاح القلب هو المراد من هذا الإنسان ، وعليه مدار أمله ، فعلينا أن نملأ هذه القلوب بمعرفة الله ، والتعبد لله ، والخوف من الله ، وحب الله ، وخشية الله ، وتعظيم الله ، والتوكل على الله ، ونطلب صلاح القلب بكمال الإيمان والتقوى ، لنسعد بأفضل حياة : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣] .

فجميع طرقك إلى ربك مفتقرة إليه ، ولا يتم شيءٌ بينك وبين ربك إلا به ، فأملأه بالإيمان ، تجني منه أحسن الثمار : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧] .

- **والإيمان قسمان :**

الأول : إيمانٌ فطري فطر الله الناس عليه ، بأنه ربهم ، وأخذ عليهم جميعاً العهد بذلك : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] .

الثاني : إيمانٌ كسبي : نتحصل عليه بالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، لنعرف من القرآن ربنا بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله العظيمة ، ونعرف من خلق السماوات والأرض ، وخلق العرش والكرسي ، وخلق الإنس

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ١٨٩.

والجن : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

فالله خالق كل شيء ، الأرض شيء والنباتات شيء ، والحيوانات شيء ، والهواء شيء ، والطيور شيء ، والأسماك شيء ، والله خالق كل شيء ، والسماوات شيء ، والملائكة شيء ، والعرش شيء ، والكرسي شيء ، والله ﷻ خالق كل شيء : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

لابد للقلب أن يمتلئ بهذه العلوم الإلهية ، وأن يعلم أن الله خالق كل شيء ، وأن بيده أمر كل شيء ، وأن له الأمر الملكي على جميع الكائنات ، وله الأمر الشرعي على المكلفين من المخلوقات ؛ وهم الإنس والجن والملائكة .

فالمطلوب من المسلم أن يُصلح قلبه ؛ وصلاح القلوب بالإيمان والتقوى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢ ﴾ [الحج/ ٣٢] .

فاتق الله حيثما كنت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران/ ١٠٢] .

واتق اليوم الذي سترجع فيه إلى الله : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾ [البقرة: ٢٨١] .

واتق النار التي أعدها الله لمن كفر به وعصاه : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ ﴾ [آل عمران: ١٣١] .

فالمطلوب من المؤمن أن يُصلح قلبه بكمال الإيمان والتقوى ، فجميع الطرق إلى ربنا ﷻ مفتقرةٌ إليه ، ولا يتم شيءٌ بيننا وبين ربنا إلا به ، فإذا امتلأت القلوب بالإيمان ، أنبت الإيمان أحسن الثمار ، وأحسن الأخلاق ، وأحسن الأعمال ، وأحسن الأقوال ، ونال صاحبها أحسن الثواب : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**أَلا وَإِن فِي الجُسَد مُضْغَة إِذا صلحت صلح الجُسَد كُله ، وَإِذا فَسدتْ فسد الجُسَد كُله ، أَلا وَهِي الْقلب**» متفق عليه [1] .

هذا القلب مطلوبٌ أن نجتهد عليه ، فإذا انفتح هذا القلب امتلأ بالإيمان ، وإذا امتلأ بالإيمان أنبت الطاعات ، ثم تنوعت الطاعات ، ثم جاء رضا الله ، ثم جاء السعادة للإنسان في الدنيا وفي الآخرة .

والمطلوب من كل إنسان أن يجعل قلبه في الأرض يطابق صفات العرش في السماء ؛ العرش في السماء هو أكمل المخلوقات ، وأعظمها ، وأوسعها ، ولهذا استوى الله ﷻ عليه : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] .

فإذا كانت قلوبنا مطابقة لصفات العرش علوًا ، واتساعًا ، وإشراقًا ، يرضى الله ﷻ عن هذا العبد ، ويسعده في الدنيا والآخرة .

هذا القلب إذا امتلأ بالإيمان كان عاليًا على غيره ممن لم يدخله الإيمان : ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٣٩﴾ [آل عمران/ ١٣٩] .

فالإنسان بإيمانه يكون عالياً على الكفار ، على المنافقين ، على الحيوانات ، على الشياطين .

وكذلك إذا امتلأ القلب بنور الإيمان انفسح وانشرح ، واتسع للطاعات فرضها ونفلها ، وأصبح يحب كل ما فيه مرضاة الله ﷻ من الصلاة والزكاة ، والصيام ، والحج ، والذكر ، والدعاء ، وصلة الرحم ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة ، والجهاد في سبيل الله ؛ فيتسع القلب بسبب نور الإيمان لكل طاعة وعبادة وقربة لمولاه .

والعرش له صفات عظيمة ، وهو عظيم ، عال ، ومتسع ؛ لكن أعظم صفات العرش العلو ، والاتساع ، والإشراق ، فإذا امتلأ القلب بالإيمان اتسع لجميع الطاعات ،

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٥٢، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٥٩٩ .

وأركان الإيمان التي تملأ القلب إيماناً ستة ، الإيمان بالله.. وملائكته.. وكتبه.. ورسله.. واليوم الآخر.. والقدر خيره وشره .

هذه أركان الإيمان ، إذا امتلأ القلب بأركان الإيمان اتسع لطاعة الله وحب الله ، والتوكل على الله ، وخشية الله ، والخوف من الله ، والاستعانة بالله ، والاستغاثة به ، وعدم الالتفات إلى ما سواه ، وبادرت الجوارح إلى الطاعات ، واشتغل اللسان إما بالكلام مع ربه العظيم بالعبادة ، أو بالكلام عنه بالدعوة والتعليم .

فحياة القلب بأن يمتلئ بالإيمان ، وأن يتسع لأنواع الطاعات ، ويشرق بنور الإيمان والأعمال : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[الزمر/ ٢٢] .

فإذا طابقت صفات القلب صفات العرش ، أفلح هذا الإنسان ، واستأنس بخالقه ، واستوحش من غيره ، ولم يكن له علاقة بغير الله إلا بالكافر يدعوه إلى الله ، وبالجاهل يعلمه ، وبالفقير يُحسن إليه ، وبالضعيف يعينه ، تكون علاقته مع الخلق علاقة إحسان لغيره ، وعلاقته مع ربه حمدًا وذكرًا وتمجيدًا ودعاءً وعبادةً : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت: ٣٣].

- **فأعظم صفات العرش ثلاث :**

هو أعلى المخلوقات.. وهو أوسعها.. وهو أنورها .

فالله ﷻ نور السماوات والأرض ، ونور العرش من نوره ، والنور الموجود ، في العالم كله من نور الله ﷻ ، وهو ذرة من نور الله ﷻ ، فالله ﷻ نور السماوات والأرض ، فأنور شيء من المخلوقات ، وأوسع شيء وأعلى شيء هو العرش .

فإذا استنار القلب بالتوحيد والإيمان ، أبصر ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، في ضوء هذا النور ، وأشبه العرش في علوه واتساعه وإشراقه .

وصلاح الظاهر دلالة على صلاح الباطن ، وفساد الظاهر دلالة على فساد الباطن ، فلنجتهد على الباطن ، لنملأه بالتوحيد والإيمان ، ليصلح الظاهر بالطاعات والأعمال التي يحبها الله ﷻ ويرضاها .

واعلم أن الله حيٌّ قيوم فاعبده وحده لا شريك له ، ولا تعلق قلبك بغيره ، فالله يغار إن رأى قلبك مع غيره ، فلا تشغلك محبة غيره عنه ، الله يريدك له ، ويريد لك الجنة ، فلا يرضى أن يتعلق قلبك بغيره من أشخاصٍ ، أو شهوات ، أو غيرها ، فالإنسان يعمل في هذه الحياة إما من أجل الشهرة ، أو من أجل الشهوة ، أو من أجل الطاعة ، فليكن نصيبك أن تكون مطيعًا لربك بقلبك ولسانك وجوارحك : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء: ٦٩ – ٧٠] .

والإنسان إما أن يقاتل ليقال جرئ ، أو ينفق ليقال كريم ، أو يقرأ ليقال قارئ ، ولكن المؤمن يعمل الأعمال لوجه الله ﷻ ، يفعل جميع الطاعات ابتغاء وجه الله ، لا يعملها من أجل الشهرة ، ولا من أجل الشهوة : ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر: ١١ – ١٢] .

- **وحركات الإنسان لا تخرج عن هذه الثلاث :**

إما أن أعمل من أجل الشهرة من رئاسة وغيرها.. أو أعمل من أجل أن أحقق الشهوات ؛ شهوة البطن ، شهوة الفرج ، شهوة النظر ، شهوة السمع.. أو أعمل من أجل طاعة الله ورسوله : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧١] .

واعلم أن من ضايقك وأذاك فالله ﷻ ألهمه لتفك ارتباطك معه ، وتفر منه إلى ربك الحي القيوم الذي خلقك ورزقك وهداك .

فلا نغتر بما يأتينا من المصائب والأحوال ، فالله ﷻ يريد به شيئًا آخر ، ليست المصائب على ظاهرها ؛ لأن الله ﷻ يريد أن نُحدث توبة جديدة ، وإيماناً جديداً ، وحمداً جديداً ، واستغفاراً جديداً ، وطاعة جديدة : ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الروم: ٤١

فإذا جاءت هذه المصائب ، ودعونا الله ، وكشفها عنا ، فالله ﷻ برحمته يُحدث لنا توبة جديدة ، وإيمان جديد ، وحمد جديد ؛ لأننا بسبب الغفلة نقع في المعصية فالله

يذكرنا بهذه المصائب ، لنتوب إليه : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات/ ٥٠/ ٥١] .

وتوجه بعبادتك للحي القيوم الذي يراك حين تقوم ، فإنه حيٌ قيوم ، يسمع ويرى ، وتوجه بعبادتك للحي القيوم الذي هو أرحم بك من نفسك ، وأخلص جميع أعمالك له ، ولا تُشرك معه فيها أحدًا ، فإنك قادمٌ عليه ، وراجعٌ إليه ، فاختر ما يحبه ويرضاه ، لتسعد في الدنيا والآخرة ولا تشقى : ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ١١٢ ﴾ [طه/ ١١١-١١٢] .

فلنكن في هذه الدنيا أحياء كحياة الأنبياء والرسل ، وحياة الملائكة ، نعمل بالدين ، وندعو للدين ، ونعلم الدين ، وننشر الدين ، هذه صفات الحي الذي يحبه الله ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾ [الأنفال: ٢٤] .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣ ﴾ [آل عمران: ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤ ﴾ [الفرقان: ٧٤] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر .

اللهم أحيي قلوبنا بالتوحيد والإيمان ، وأحيي ألسنتنا بذكرك ، وشكرك ، والدعوة إليك ، وأحيي جوارحنا بحسن عبادتك ، يا أرحم الراحمين .

سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســــم الله

القيوم

اسم الله القيوم

الله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، وله الخلق والأمر في السماوات وفى الأرض . ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨] .

الله ﷻ هو الملك الحق المبين ، هو الحي القيوم الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ولابد للقلب أن يعرف معبوده ، وماله من الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، ويعرف مخلوقاته ، ويعرف آياته ، ويعرف فضله وإنعامه ؛ حتى يُقبل على ربه بالتعظيم والمحبة ، والتوكل والخشية ، والانكسار والذل بين يديه . ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨] .

- **وأسماء الله ﷻ كلها حُسنى ، وهى من حيث معانيها تنقسم إلى أربعة أقسام** :

القسم الأول : الأسماء الدالة على صفة ذاتية للرب جل جلاله ، والصفات الذاتية : هي كل صفة لا تنفك عن الذات ، ولا تعلق لها بالمشيئة ، ومن هذه الأسماء :

الواحد.. الأحد.. الحي.. القيوم.. السميع.. البصير.. العليم.. الخبير.. القوي.. العزيز.. العلى.. الكبير ، وأمثالها .

هذه أسماء ذاتية لا تنفك عن الله أبداً هو سميعٌ أبدًا ، بصيرٌ أبدًا ، حيٌ أبدًا ، قيومٌ أبدًا ، واحدٌ أبدًا ، قويٌ أبدًا ، عليمٌ أبدًا ، عزيزٌ أبدًا ، وهكذا . ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾ [آل عمران: ٢] .

القسم الثاني: الأسماء الدالة على صفة فعلية للرب جل جلاله .

والصفة الفعلية : هي كل صفة تتعلق بالمشيئة والإرادة ، إن شاء الله فعلها ، وإن لم يشأ لم يفعلها ، ومن هذه الأسماء :

الخالق.. الرازق.. التواب.. العفو.. الغفور.. الرحيم ، وأمثالها من الأسماء .

فالخالق ﷻ يخلق إذا شاء ، ويُكرم إذا شاء ، ويرزق من يشاء ، ويتوب على من يشاء ، ويرحم من يشاء ، ويغفر لمن يشاء : ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ [الفتح/ ١٤] .

القسم الثالث من أسماء الله الحُسنى : الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب ﷻ عن ما لا يليق بجلاله وعظمته ، ومن هذه الأسماء :

القدوس.. السلام.. السبوح وأمثالها.

هو سبحانه السلام من كل نقص وعيب وآفة ، وهو القدوس السبوح المنزه عن جميع النقائص والعيوب ، المنزه عن كل ما ينافي صفات كماله وجلاله وجماله ، المنزه عن الضد والند والكفؤ والمثل ، المنزه عن جميع صفات الخلق : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١] .

هو الله الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله :

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤] .

القسم الرابع من أسماء الله الحُسنى : الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة حُسنى للرب ﷻ .

من هذه الأسماء : العظيم.. والحميد.. والمجيد.. والملك.. والصمد ، وأمثالها من الأسماء الجامعة لجملة أوصاف الله ﷻ.

فالعظيم جل جلاله من له كمال العظمة في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله .

والحميد يدل على كثرة حمده ، لكثرة نعمه ، فالحميد يدل على كثرة حمده ، وكثرة الحامدين له ، وكثرة ما يُحمد عليه جل جلاله .

والمجيد يدل على عظمة أسمائه وصفاته جل جلاله ، وكثرتها ، وسعتها ، وعلى عظمة ملكه وسلطانه ، وتفرده بالجلال والجمال والكمال ، وهكذا بقية أسماء الله الحُسنى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه:٨] .

فسبحانه من هذه اسماؤه ، وهذه صفاته ، وهذه افعاله ، وهذا خلقه ، وهذا تدبيره .

فالله ﷻ يخلق إذا شاء ، في كل ثانية يخلق مليارات المخلوقات من عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الذرات ، وجميع حركات الخلق كلها الله هو الحي القيوم خالقها ، هو الذي خلقنا وما نعمل ؛ لكن الإنسان يوجه الطاقة التي أعطاه الله ﷻإلى ما يحبه الله ويرضاه ، أو يوجهها إلى ما يُسخط ربه ويغضبه، هو بالخيار .

فالله ﷻخلق الإنسان مختاراً إما أن يوجه طاقة الفعل إلى ما يحبه الله ويرضاه ، أو يوجهها إلى ما يُسخطه ويغضبه جل جلاله ، فالمؤمن يوجهها إلى ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، والكافر يوجهها إلى ما يُسخط الله ﷻ من ضد ذلك ، ثم يكون الحساب والثواب والعقاب على ما اختار : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٩] .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ٢ – ٣] .

أما أصل الفعل فكل شيء الله ﷻهو خالقه ، الفعل شيء ، والقول شيء ، وكل شيء في الكون الله ﷻ هو خالقه : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢] .

لكن الإنسان يوجه الطاقة التي أعطاه الله وهي الاختيار إما الى فعل الطاعات ، واجتناب المعاصي ، أو إلى فعل المعاصي ، وترك الطاعات ، هو بالخيار ، مخير أن يطيع ربه ، أو يعصي ربه ، مخير أن يؤمن ، أو يكفر ويتحمل نتيجة ما أختار : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف/ ٢٩] .

فالله ﷻ اكرمنا بالأسماع والعقول والأبصار ، وأنزل علينا الكتب ، وأرسل إلينا الرسل ، وأوضح لنا دلائل التوحيد والإيمان ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٩] .

فالإنسان عنده اختيار أن يوجه الطاقة الفعلية ، لكن الذي خلق الإنسان ، وخلق صفات الإنسان ، وخلق طباع الإنسان ، وخلق السماوات والأرض هو الله ﷻ خالق كل شيء : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

هو وحده الذي خلق الخلق ، وصفاتهم ، وأعمالهم ، والإنسان بمحض إرادته ومشيئته التي اعطاه الله ، يوجه الطاقة إما إلى الخير أو إلى الشر ، إما إلى الإيمان أو إلى الكفر ، والله ﷻ رغب في الطاعات ، وحذر من المعاصي : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩ – ٣٠] .

الله ﷻ هو الحي القيوم ، هو الحي الذي لم يسبق حياته عدم ، ولا يلحق حياته زوال ، والحياة والقيومية صفتان ذاتيتان للرب ﷻ ، فالله ﷻ حي ، وله كمال الحياة ، وهو قيوم ، وله كمال القيومية جل جلاله ، قيوم قائم بنفسه ، وقائم على غيره ، ومقيم لغيره : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢] .

الله ﷻ هو الحي القيوم القائم الباقي الذي لا يزول أبدًا ، القائم بنفسه ، فلا يحتاج إلى غيره وهو واحدٌ أحد ، غني عن كل أحد ، وتحت قهره وأمره كل أحد .

هو القائم بنفسه ، الذي لا يحتاج في قيامه ودوامه إلى أحد ، بل هو الغني عن كل أحد ، وكل أحد محتاج إلى الواحد الأحد في خلقه وإيجاده ، وفي إمداده ، وفي هدايته ، وفي بقائه ، وفي نفعه وضره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥] .

- **وكل المخلوقات فقيرة إلى الله، وموسومة بسمة النقص، ومطبوعة على أربع صفات :**

كل مخلوق ضعيف.. فقير.. عاجز.. محتاج .

فالعرش أعظم المخلوقات ، وأكبرها ، وأعلاها ، وأوسعها ، محتاج إلى والله في إيجاده وفي بقائه ، والله لا يحتاج إلى العرش ليستوي عليه ، بل العرش مُحتاج إلى الله في خلقه وإيجاده ، وكذا الكرسي ، والسماوات ، والأرض ، والجبال ، والبحار ، والنجوم ، والأنبياء ، والرسل ، وكافة المخلوقات ، كلها محتاجة إلى الحي القيوم الذي خلقها وحفظها وأقامها على ما أراد : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤] .

هو سبحانه القيوم القائم بنفسه ، القائم على كل نفس في كل مكان و زمان وحال .

هو الواحد الأحد ، هو الأول فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣].

هو سبحانه القيوم الذي قام بنفسه ، واستغنى عن جميع مخلوقاته ؛ لأنه هو الغني ، وكل ما سواه من خزائنه ، ومن فضله ، ومن خلقه.

وجميع مخلوقاته فقيرة إليه ، افتقرت إليه جميع المخلوقات في إيجادها ، وفي بقائها ، وفي إمدادها ، فلا قيام لها إلا بإقامة الحي القيوم لها : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

والمخلوقات التي خلقها الله في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، لابد من معرفتها ، حتى نعرف من خلقها ، ومن يقوم بتدبيرها ، وتحريكها ، وتسكينها ، وإعدادها ، وإمدادها ، وخلقها : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢] .

لابد من التعرف على ذلك حتى نعرف عظمة القيوم جل جلاله القائم على كل نفس ، القائم على كل مخلوق خلقًا وإيجادًا ، وتدبيرًا وتصريفًا : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

هو سبحانه حيٌ قيوم ، لا تأخذه سنةٌ ولا نوم ، ثم بين الله ﷻ لنا ملكه فقال : ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

ثم بين لنا أن الله وحده بيده مقاليد الأمور كلها فقال : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

هو جل جلاله خالق كل شيء ، القائم على كل شيء ، المحيط بكل شيء ، العليم بكل شيء ، القادر القاهر لكل شيء ، الملك الذي لا يعجزه شيء : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

هو سبحانه الحي القيوم الذي خلق المخلوقات كلها في العالم العلوي والعالم السفلي ، في الدنيا والآخرة ، خلق المخلوقات بأنواعها وأشكالها المختلفة ، وكل ما سوى الله عالم ، والمخلوقات عوالم مختلفة ، لا يعلمها ولا يُحصيها إلا الله ﷻ : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦] .

ومن أعظم هذه المخلوقات في العالم العلوي : العرش العظيم ، والكرسي الكريم ، والسماوات السبع ، والنجوم ، والشمس والقمر ، والملائكة .

وفي العالم السفلي : الأرض بجبالها ، وبحارها ، وأنهارها ، وجمادها ، ونباتها ، وحيوانها ، وانسها وجنها .

كل هذا العوالم الله ﷻ خلقها ، ومن أعظم هذه المخلوقات التي خلقها الله ﷻ العرش الذي استوي عليه رحمته فقال : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥] .

فسبحان من استوى على عرشه في علوه ، ويعلم بكل ذرة في ملكه.

هو سبحانه القيوم الذي قام بنفسه ، فلا يحتاج إلى أحد ، واستغنى عن جميع مخلوقاته التي افتقرت إليه ، فلا قيام لها إلا بإقامة الحي القيوم لها .

أمر بخلقها فوجدت : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢] .

- **هو الملك الحي القيوم الذي له على كل مخلوق ثلاثة أوامر ملكية ، من العرش العظيم إلى أصغر مخلوق :**

الأمر الأول : أمر الخلق والإيجاد : وهو أمر متوجه من الله إلى جميع المخلوقات بالإيجاد ، فالله ﷻ خلقها باسمه الخالق جل جلاله : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢] .

الأمر الثاني : أمر البقاء والفناء : وهو أمر متوجه من الله إلى جميع المخلوقات .

وهذه المخلوقات التي خلقها الله ﷻ عوالم كثيرة ، ومن وأعظم هذه العوالم ، عالم الجماد ، و عالم النبات ، و عالم الحيوان ، و عالم الإنسان ، و عالم الجن ، و عالم الملائكة .

هذه ستة عوالم كبرى الله ﷻ خلقها ، وكلها أنواع وأجناس مختلفة ، لا يحصيها إلا الله الذي خلقها ، وأمر بقائها وفنائها بيده ، وأمر حياتها وموتها بيده : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٠] .

فسبحان القائم على كل الذرات والمجرات ، خلقاً وتدبيراً ، وبقاءً وفناءً ، وحركة وسكوناً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر/ ٤١] .

فلا اله إلا الله وما أعظم قوته وقدرته : ﴿ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج: ٦٥] .

هو الحي القيوم الذي خلق المخلوقات ، وأعطاها أمر الخلق فظهرت ، وأعطاها أمر البقاء فبقيت ، ولو رفع عنها أمر البقاء لذهبت كما يذهب النور ، ويأتي الظلام ، فاختفت ولا نعلم أين ذهبت : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣] .

الأمر الثالث الموجه إلى المخلوقات كلها : أمر التحريك والسكين ، والتصريف والتدبير : وتقليب الليل والنهار ، وأمر الحياة والموت ، وأمر النفع والضر ، كل ذلك بيده وحده لا شريك له : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ

مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧] .

هو جل جلاله حيٌ قيوم قائمٌ على جميع مخلوقاته من الذرة إلى المجرة ، هو الحي القيوم الذي خلقها ، وأحياها ، وأقامها ورزقها ، وحفظها وأبقاها : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وهو سبحانه الحي القيوم القائم بنفسه ، المقيم لغيره ، القائم على كل شيء سمعًا ، وبصرًا ، وقدرةً ، وعلمًا ، وقهرًا ، وتدبيراً ، وتصريفا : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢] .

فالله حي قيوم قائم على كل شيء :

في خلقه وتدبيره.. وفي بقائه وفنائه.. وفي نفعه وضره.. وفي حركته وسكونه .

كل شيء خلقه الله ﷻ هو قائم عليه في بقائه وفنائه ، هو الذي أوجده وهو الذي يفنيه إذا شاء ، وفي حركته وسكونه ، وفي نفعه وضره ، هو الذي جعل هذا متحركاً ، وهذا ساكناً ، وهذا نافعاً ، وهذا ضاراً ، وهذا حامداً ، وهذا صابراً ، وهذا معطياً ، وهذا سائلاً : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

هو القيوم الذي به قيام كل شيء ، الباقي الذي لا يزول أبدًا ، القائم بنفسه ، والقائم على كل نفس ، القائم بالقسط والعدل : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨] .

هو جل جلاله الحي القيوم الذي خلق المخلوقات كلها ، القائم بتدبير المخلوقات كلها ، من الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، والإنس والجن ، والملائكة ، والأفلاك والمجرات ، والذرات : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣] .

الله ﷻ هو الملك الذي له الخلق والأمر كله في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، هو جل جلاله له مُلك السماوات والأرض ، وملك عالم الغيب والشهادة ، وملك الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فلابد أن نعرف المخلوقات ؛ حتى نعرف من خلقها ، ومدبرها ، والقائم عليها .

هذه المخلوقات العظيمة خالقها عظيم ، فالله ﷻ هو العظيم الذي خلق كل عظيم ، من العرش ، والكرسي ، والسماوات ، والأرض ، والإنس ، والجن ، والجبال ، والبحار ، السماوات السبع ، والأراضون السبع ، جميع هذه المخلوقات عظيمة ، وخالقها عظيم له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الكبرى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فلابد أن نتعرف على مخلوقات ربنا ﷻ ، نعرف من هو الذي خلق السماوات والأرض ؟ وماذا له من الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، حتى إذا أمر أطعنا ، وإذا نهى اجتنبنا ، وإذا رأينا نعمته شكرناه ، وإذا أذنبنا استغفرناه ؟ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

فربنا ﷻ يعرف بنفسه كثيراً في القرآن ، ويدعونا إلى معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله فيقول : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

- **لهذا القرآن يدور على خمس مسائلٍ كبرى :**

المسألة الأولى : التعريف بالله ، وأسمائُه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، وعده ، وعيده ، وآياته ، ومخلوقاته .

الأمر الثاني : التعريف بالأنبياء والرُسل ، وجهودهم في الدعوة إلى الله ، وبيان صفاتهم وأخلاقهم .

الأمر الثالث : التعريف باليوم الآخر ، وما فيه من الأهوال ، والجنة والنار ، والثواب والعقاب .

الأمر الرابع : التعريف بالدين عقيدة ، وأحكاماً ، وأخلاقاً .

الأمر الخامس : التعريف بالقضاء والقدر ، وأن كل شيء بقضاء الله وقدره وحده لا شريك له .

فالقرآن كله يدور على هذه المسائل الخمس الكبرى .

فالله ﷻ في مقام التوحيد والتعريف به جل جلاله يقول لنا : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

فسبحان من له الخلق والأمر كله ، له الأوامر الملكية الكونية.. وله الأوامر الشرعية التكليفية.. وله الأوامر الجزائية بالوعد والوعيد .

له الأوامر الملكية الكونية :

وهي التي بها خلق ويخلق جميع المخلوقات ، فالله خالق كل شيء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

وكيل على كل شيء تدبيرًا وتصريفًا ، وبقاءً وفناءً ، وحركةً وسكونًا ، ونفعًا وضرًا ، وحياة وموتاً : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

هو وحده الملك القادر الذي يجعل الضار نافعاً والنافع ضاراً بقدرته ، جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ، وأهلك بأسباب النجاة ، أهلك فرعون مع وجود المُلك ، وأهلك قارون مع وجود المال ، وربى موسى في قصر عدوه فرعون ، وأخرج لموسى الماء من الحجر ، وحول له البحر إلى حجر فعبر .

فهو جل جلاله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ؛ له الأوامر الملكية الكونية على جميع المخلوقات خلقًا وإيجادًا ، وتدبيرًا وتصريفًا : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

وله الأوامر الشرعية التكليفية :

على المكلفين ، وهم العقلاء من الإنس والجن ، هذه الأوامر الشرعية هي الدين بأخباره وأوامره ، ومجموعها خمسة أشياء :

إيمانيات.. عبادات.. معاملات.. معاشرات.. وأخلاقيات .

وله الأوامر الجزائية :

الأوامر الجزائية : هي الوعد والوعيد ، هي اليوم الآخر الذي فيه الجنة والنار ، الجنة لمن آمن بالله وأطاعه ، وعبده وامتثل أمره ، والنار لمن كفر به وعصاه وخالف أمره .

فهذه الأوامر الثلاثة لله الحي القيوم وحده ، القائم على مُلكه العظيم خلقًا وتدبيرًا : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢] .

فالله ﷻ أعطانا عطاء الربوبية من الأرزاق ، ومن سائر النعم المادية من طعامٍ وشرابٍ ولباسٍ ، وغيرها من النعم ، وأنعم علينا بعطاء الألوهية ، وهو أن أتم علينا النعمة بالدين الذي نعبد الله به : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة/ ٣] .

فالإسلام نعمة من الله يجب أن نشكر الله عليها ، ونمتثل أمر الله ﷻ فيها ؛ لأن هذه النعمة نسعد بها في الدنيا ، ثم نسعد بها يوم القيامة ، ويرضى ربنا ﷻ عنا بامتثال أوامره ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ [البينة: ٧ – ٨] .

فكما أكرمنا الله بعطاء الربوبية من الخلق والرزق ، والإمداد والإنعام ؛ يجب أن نشكر الله بامتثال أوامر الألوهية ، بامتثال أوامره جل جلاله ، واجتناب نواهيه ، وثواب امتثال الأوامر عائدٌ علينا نحن ، والله غني عنا ، وعن أعمالنا : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [العنكبوت/ ٦] .

الله غني عن الخلائق وحمدهم ، فهوكبير قبل أن نكبره ، وعظيم قبل أن نعظمه ، ومحمودٌ قبل أن نحمده ، لكنه كريم عرفنا بنفسه ، وعرفنا بنعمه المادية ، وأكرمنا بنعمة عطاء الألوهية ؛ فجاء لنا بهذا الدين الكامل ، فلنحمد الله ، ونفرح بذلك : ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨ ﴾ [يونس: ٥٨] .

فكما تنعمنا بنعمه المادية ؛ يجب علينا أن نمتثل أوامره الشرعية ، ونحن الرابحون على الله بهذا وهذا ، وله المنة والفضل علينا في خلقنا وإيجادنا ، وإمدادنا وإعدادنا وهدايتنا ، وإنزال الدين علينا ، وتحبيب الدين إلينا ، وإعانتنا عليه ، ومضاعفة الأجر عليه ، فله المنة والفضل علينا ، وله الحمد أولًا وأخرًا : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٧ ﴾ [الحجرات: ١٧].

والله ﷻ بارك في أسمائه وصفاته وإنعامه : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨ ﴾ [الرحمن: ٧٨] .

ولابد لنا من معرفة مخلوقات ربنا ﷻ ، حتى نعرف عظمتها ، ونعرف عظمة خالقها ، وعظمة القائم عليها ، الذي يحركها ويسكنها ، ويصرفها ويدبرها : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٦٣ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣] .

الله ﷻ خلق هذه المخلوقات العظيمة ، والعالم العلوي ، والعالم السفلي ، وفي الدنيا والآخرة ، وفي عالم الغيب والشهادة ، وأمرنا بالنظر إليها ، والتفكر في خلقها ، لنعرف من خلقها ، فإذا عرفناه أحببناه وعبدناه : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١] .

فالله ﷻ خلق هذه المخلوقات العظيمة ، وجعلها في هذا الكون ، لتدل على عظمته ، وكمال قدرته ، وكمال علمه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [الطلاق: ١٢].

فخلق السموات والأرض ، وما فيهما ، وما عليهما ، وما فوقهما ، وما بينهما ، كله دال على كمال قدرة الله ، وعلى كمال أسمائه وصفاته وأفعاله .

وما فيهما من الأحكام والإتقان ، ودقة الصنع دالٌ على كمال حكمة الله جل جلاله .

وما فيهما من المنافع والمصالح دالٌ على كمال كرمه ، وسعة رحمته جل جلاله ، وذلك كله دالٌ على عظمة مُلكه ، وسعة علمه وكمال رحمته ، وأنه وحده الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فتبارك الله في نفسه بعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله ، وبارك في غيره بإحلال كل خير في العالم : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

والله ﷻ بيَّن مخلوقاته العظيمة وأظهرها في الكون ، وأخبر عنها في كتابه المقروء وهو القرآن ، ومن مخلوقاته العظيمة :

خلق العرش والكرسي ، وخلق الملائكة ، وخلق السماوات السبع وما فيهما من المخلوقات العجيبة ، وخلق الأرض ، وما فيها من المخلوقات التي على ظهرها ، والتي في باطنها ، وخلق الشمس والقمر ، وخلق النجوم ، وخلق الليل والنهار ، وخلق السحب والرياح : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ

عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [يونس: ٣-٤] .

فالنظر والتفكر أعظم أبواب التوحيد والإيمان: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦-٨].

النبات أكثر من أربعين مليون صنف، والنبات عوالم مختلفة، أممٌ وقبائل وشعوب، الله خالقها، وقائمٌ عليها في إنباتها، وفي ألوانها، وفي أحجامها، وفي طعومها، وفي إثمارها، وفي حياتها، وفي موتها: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٩] .

وخلق الله الحيوانات كلها، الحيوانات أكثر من مليون صنف في البر، وأكثر من مليون صنف في البحر، كل هذه الخلائق العظيمة الله قائمٌ عليها: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦].

هو الحي القيوم القائم بنفسه المقيم لغيره، القائم على كل نفس، القائم على كل شيء خلقًا وتدبيرًا وتصريفًا: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢] .

فهذا الحي القيوم هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٧-١٨] .

هو الخلاق العليم الذي خلق الجبال، والجبال عالمٌ عظيم، وأممٌ وقبائل، وفيها من المعادن ما الله به عليم، وخلق الله الرياح، وخلق النار، وخلق الجن، وخلق آدم

وذريته ، وخلق الروح ، وخلق الدنيا ، وخلق الآخرة : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ [الزمر: ٦٢].

هذه المخلوقات لابد أن نتعرف عليها ، لنعرف من خلقها ؛ ولنعرف القائم عليها ، ونعرف عظمة ربنا من خلال مخلوقاته : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس: ١٠١].

فالله خالق كل شيء ، خلق كل شيء لحكمة ، ولم يتركه هملًا ، بل هو على كل شيءٍ وكيل ، قائمٌ على جميع المخلوقات : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٢] .

الله تبارك وتعالى هو الخلاق العليم ، الحي القيوم الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا ، خلق كل شيء في العالم العلوي ، وفي العالم السفلي .

خلق سبحانه العالم العلوي ، خلق العرش والكرسي ، وخلق السماوات والأرض ، وخلق الشمس والقمر ، وخلق النجوم والكواكب ، وخلق الليل والنهار ، وخلق الملائكة والأرواح ، وخلق السحب والرياح ، وغير ذلك مما خلقه الله ، ولا يحيط بعلمه إلا هو .

وخلق الله سبحانه العالم السفلي ، خلق الأنهار والبحار ، وخلق التراب والجبال ، وخلق النبات والحيوان ، وخلق الإنس والجان ، وخلق الحر والبرد ، وخلق اليابس والرطب ، وخلق الكبير والصغير ، وخلق الذكر والأنثى .

وخلق سبحانه الدنيا والآخرة ، والجنة والنار ، والثواب والعقاب : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢ ﴾ [غافر/ ٦٢] .

والله ﷻ خلق هذه العوالم الكبرى ، وهو قيومٌ عليها ، قيومٌ على الشمس ، قيومٌ على القمر ، قيومٌ على الجمادات ، قيومٌ على السماوات ومن فيهن ، قيومٌ على الأرض وما فيها ، قيومٌ على الجبال ، قيومٌ على البحار ، قيومٌ على كل مخلوقاته : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي

يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

هذا الملك العظيم هو الذي يستحق العبادة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ ﴾ [القصص/ ٦٨] .

هو الخلاق الذي يخلق ما يشاء ويختار ، القادر الذي خلق كل شيء ، العظيم الذي لا يعجزه شيء ، الملك الذي بيده ملكوت كل شيء ، القوي القادر على كل شيء : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس/ ٨١] .

يخلق في كل ثانية أو أقل من ثانية مليارات المخلوقات من الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، والإنس ، والجن وغيرهم مما لا يعلمه إلا هو ، كل شيء موجود في خزائن الله ، وبكلمة كن ، يظهره ويبرزه من خزائنه : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس/ ٨٢] .

ومن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرف عظمة مكله وسلطانه ، وعرف عظمة نعمه وإحسانه ، وعمل بموجب هذه المعرفة فهو أعلم الناس ، وأعبدهم ، هذه هي جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة ، وليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الجنة إلا هذه الجنة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

فلابد لهذا القلب أن يعرف معبوده ، ويعرف مخلوقاته ، حتى تأتي عظمة الله ومحبته في قلبه ، وحتى نعرف عظمة الحي القيوم جل جلاله ، ونعرف سعة مُلكه وسلطانه ، ونعرف إكرامه وإنعامه ، ونعلم أنه قائمٌ على كل نفس : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

هو جل جلاله الذي خلق المخلوقات صغيرها وكبيرها ، ذكرها وأنثاها ، جامدها وسائلها ، عاليها وسفليها ، ناطقها وصامتها ، ومن هذا خلقه هو الذي يستحق العبادة وحده : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ ﴾ [المؤمنون/ ١١٦] .

فالله ﷻ أثنى على نفسه بأنه رب العرش الكريم ، خلق العرش واستوى عليه ، وأمر الملائكة بحمله ، وتعبدهم بتعظيمه ، والطواف به .

وخلق البيت المعمور في السماء السابعة ، وأمر الملائكة بالطواف به ، وجعل سبحانه البيت العتيق في الأرض ، وأمر بني آدم بالطواف به ، واستقباله في الصلاة : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٩٧ ﴾ [المائدة: ٩٧] .

فهذه متعبدات الخلق من الملائكة والإنس والجن .

وعرش الرحمن ﷻ سريرٌ ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقبة على العالم ، وهو سقف المخلوقات ، وأعظم المخلوقات ، وأعلى المخلوقات ، وأنور المخلوقات ، وأكبر المخلوقات .

والله سبحانه وصف العرش بأنه مجيدٌ ، وكريمٌ ، وعظيم ، هو عظيم لكونه أعظم المخلوقات ، وأكبرها ، وأعلاها ، وأوسطها ، وكريم لما له من منزلة تميز بها عما سواه من المخلوقات ، ومجيد عالٍ مرتفع على جميع المخلوقات والكائنات .

الله ﷻ هو الرحمن الرحيم الذي استوى بصفة الرحمة على أوسع المخلوقات ، وهو العرش ، فقال سبحانه : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ ﴾ [طه/ ٥] .

وعرش الله ﷻ أعلى المخلوقات ، وأرفعها ، وهو سقف المخلوقات ، وأقربها إلى الله تعالى ﷻ ، فهو أعلى من السماوات والأرض ، وهو سقف الجنة ، اختصه الله بالعلو ، والسعة ، والارتفاع فوق جميع ما خلق

قال النبي ﷺ : «**إِذا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**»أخرجه البخاري(١) .

وقال النبي ﷺ : «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»أخرجه مسلم (٢) .

الله ﷻ خلق هذا العرش العظيم ، والعرش العظيم محيطٌ بجميع المخلوقات ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه مثقال ذرةٍ من أعمال العباد .

والله فوق العرش لا يحتاج إلى العرش ، بل العرش محتاجٌ إلى الله في إيجاده وبقائه ، فما أعظم ملك الله ، في السموات مخلوقات ، وفي الأرض مخلوقات ، و بين السماء والأرض مخلوقاتٍ عظيمة ، لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله ، وفي بحر الهواء ذراتٌ لا يحصيها إلا الله ، كل ذرة في الهواء وهي التي تسمى الخردلة ، التي تظهر في النور إذا دخل في غرفة مظلمة ، هذه الذرات تسبح بحمد ربها ، وتشهد بوحدانيته ، وتدل على عظمة قدرته ، وكمال تدبيره : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

- **وكل ذرة في الكون محتاجة إلى ثلاثة أوامر :**

أمر الإيجاد فوجدت.. وأمر البقاء فبقيت.. وأمر النفع والضر ، فنفعت أو ضرت .

فسبحان من هذه قدرته في خلق الذرات والمجرات : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١].

---

(١)أخرجه البخاري برقم: ٢٧٩٠.

(٢)أخرجه مسلم برقم: ٢٦٥٣.

والحمد لله رب العالمين أن الله خلقنا ، وخلق كل شيءٍ بقدر ، خلق السمع ، وجعله بقدر ، ولو فُتح أمر السمع لسمعنا هضم المعدة للطعام ، ولسمعنا كل شيء ، وما استطعنا أن ننام .

وخلق البصر ، وجعله بمقدار ، فلو فُتح البصر لرأينا الشيء البعيد ، ولرأينا ما في الماء من الجراثيم المتحركة فعافته نفوسنا .

فسبحان من خلق كل شيءٍ بقدر : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾** ﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠] .

هو جل جلاله الحي القيوم القائمُ على جميع المخلوقات ، وكل هذه المخلوقات ظروف ، ما بين السماء والأرض ظرف للمخلوقات ، فيه الشمس ، والقمر ، والنجوم، والذرات ، والرياح ، والسحب .

والسماوات السبع ظروف فيها مخلوقات عظيمة ، لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله من الملائكة والروح .

والكرسي محيطٌ بالسماوات السبع ، والسماء الدنيا محيطة بالأرض ، ثم سمك السماء الدنيا خمسمائة عام ، وما بين السماء الدنيا والثانية خمسمائة عام ، وسمك السماء الثانية وهكذا إلى السماء السابعة ، سمك كل سماء خمسمائة عام ، والفضاء الموجود بين السماء والسماء خمسمائة عام .

فكل أرض مملوئة بمخلوقات ، وكل فضاء مملوء ، وكل سماءً مملوءة قال النبي ﷺ : «**أَطَّتِ السَّمَاءُ ، وَحُقَّ لهَا أَنْ تَئِطَّ ؛ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ ، أَو رَاكِعٌ ، أَو سَاجِدٌ لله**»[1] أخرجه الترمذي .

فالله ﷻ حيٌ قيوم خلق هذه المخلوقات ، وهو الحي القيوم القائم على كل شيء ، القائم على كل نفس خلقًا ، وتدبيرًا ، وتصريفاً ، يقلب بقدرته الليل والنهار ، والحر والبرد ، والأمن والخوف ، والصحة والسقم ، والعطاء والمنع : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى**

---

(١) حسن/ أخرجه الترمذي برقم: ٢٣١٢.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٩ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٣٠﴾ [لقمان: ٢٩ – ٣٠] .

فسبحان من هذا ملكه ، وهذا خلقه ، وهذه قدرته ، وهذه قيوميته .

خلق عرشه العظيم الذي استوى عليه ، والعرش وسع جميع مخلوقاته ، والكرسي وسع السماوات والأرض ، والسماوات السبع ، والأرضون السبع ، بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرضٍ فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة .

والسماوات السبع والأرضون السبع وما بينهن وما فيهن في الكرسي كحلقةٍ ملقاة بأرض فلاة .

وحملة العرش ملائكةٌ عظام ، لا يعلم عظمة خلقهم إلا الله ، ولا يعلم قوتهم إلا الله ، ولا يعلم عددهم إلا الله ، يحملون العرش بقدرة الله ، ويطوفون به ويحملونه ، وحملة العرش من أكبر الملائكة : ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: ٧] .

قال النبي ﷺ : « **أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ ، مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ** » أخرجه أبو داود (١) .

فكم المسافة بين رأسه وقدميه ؟ وكم عظمة هذا الملك ؟ وكم عظمة العرش الذي يحمل ؟ وكم عظمة العظيم الذي استوى على العرش ؟ فلا إله إلا الله ، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ، وزنة عرشه ، ورضا نفسه ، ومداد كلماته .

فلا إله إلا الله ما أعظم قدرته ، وما أوسع ملكه : ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

وإذا كانت هذه عظمة كرسيه جل جلاله ، فكم تكون عظمة عرشه الذي وصفه بأنه عظيم ، وبأنه مجيد ، وأنه كريم ؟ وكم تكون عظمة الرب الذي استوى عليه جل

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: ٤٧٢٧.

جلاله ؟ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو الحي القيوم الذي خلق السماوات ، وهو القائمُ عليها ، يمسكها أن تقع على الأرض ، ويمسكها أن تزول جل جلاله : ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا (٢٧) رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا (٢٨) وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا (٢٩) ﴾ [النازعات/ ٢٧-٢٩] .

﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ (٦) ﴾ [ق/ ٦] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا (٤١) ﴾ [فاطر: ٤١].

هو الحكيم الذي أظهر أسماءه وصفاته في آياته ومخلوقاته ، ومن آياته العظيمة خلق السماوات ، فهي من أعظم الآيات في علوها ، وارتفاعها ، وسعتها ، وقرارها ، حيث لا تصعد علوًا كالنار ، ولا تهبط نزولاً كالأجسام الثقيلة ؛ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ (٢) ﴾ [الرعد/ ٢] .

فسبحان القوي القادر الذي أمسكها بقدرته : ﴿ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٦٥].

هو سبحانه الذي خلق سبع سماوات كل واحدةٍ فوق الأخرى ، أظهر لنا واحدة ، وأخفى عنا ستاً ، لكن اخبرنا عما فيها ، ولم يكشفها لنا ، وخلق سبع أراضين ، وكشف لنا واحدة ، وأخفى عنا ستاً .

فالله عَزَّ وَجَلَّ يظهر ما شاء من مخلوقاته ، ويخفي ما شاء من مخلوقاته :

أظهر المخلوقات ، وأخفى نفسه ، وأظهر الدنيا ، وأخفى الآخرة ، وأظهر الأجساد ، وأخفى الأرواح ، وأظهر السنن الكونية ، وأخفى القدرة الإلهية ، وأظهر قيمة الأموال والأشياء ، وأخفى قيمة الإيمان والأعمال الصالحة وأظهر المياه وأخفى الرياح :

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

فالإنسان يعلم كم عنده طن من الحديد ، أو كم عنده من الأموال ، أو كم عنده من السيارات ، لكن أجور الأعمال الصالحة الله أخفاها عنا ، حتى لا نغتر بها ، ونقعد عن العمل : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥] .

فالله سبحانه خلق سبع سماوات ، ويدبر الأمر فيها ، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض جل جلاله ، خلق سبع سماوات كل واحدٌ فوق الأخرى ، خلقها في غاية الحُسن والإتقان ، لا خلل فيها ولا نقص ، فهي حسنةٌ كاملةٌ ، متناسبة من كل وجه في لونها ، وهيئتها ، وارتفاعها ، و بنائها : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾ [الملك/ ١-٥] .

هذه الكواكب العظيمة ، وهذه الشمس ، وهذا القمر ، وهذه النجوم المنثورة من يحصيها ؟ من خلقها ؟ من القائم عليها ؟ أشكال وألوان من النجوم ، الكبير والصغير ، والمضيء والمظلم ، والمتحرك والساكن ، الله جعل هذه النجوم زينةً وجمالًا للسماء ، ونورًا وهدايةً يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، ورجومًا للشياطين الذين يسترقون السمع : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾ [الملك/ ٥] .

فلا إله إلا الله ، هذا العالم العلوي ، وما فيه من المخلوقات ، من خلقه ؟ ومن القائم عليه ؟ ففي السماء عجائب عظيمة ، وآيات كبيرة ، وعجائب في الشمس والقمر

والكواكب : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٥-١٦] .

بل لا نسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السماوات في سعتها وعظمتها ، وعلوها، وما فيها من الملائكة والكواكب والشمس والقمر ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الذاريات/ ٤٧] .

فالأرض وما فيها من المخلوقات ، والعوالم العظيمة في البر والجو والبحر ، بالنسبة إلى السماوات ، وما فيها من المخلوقات كقطرة في بحر ، وذرة في جبل : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر/ ٥٧] .

فسبحان الله ما أعظم خلقه ، وما أوسع ملكه .

قال النبي ﷺ : «**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لهَا أَنْ تَئِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ**» أخرجه الترمذي (١) .

ولعظمة خلق السماوات قَل أَن تجيء سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها ، إما إخبارًا عن عظمتها وسعتها ، وإما إقسامًا بها ، وأما دعاء إلى النظر إلى خلقها وعظمتها ، وإما إرشادًا لعباده أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها ، وإما استدلالًا منه بربوبيته لها على وحدانيته ، هو رب السماوات والأرض ، ورب الملائكة والروح ، وإما استدلالًا بخلقها على ما أخبر به من المعاد ، وإما استدلالًا بحسنها ، واستوائها ، وإمساكها ، على تمام قدرته وكمال حكمته ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

---

(١)حسن/ أخرجه الترمذي برقم: ٢٣١٢.

فلا إله إلا الله ، كم في خلق السماوات الأرض من عجائب ؟ ، وكم في خلق السماوات السبع ومن فيها من مخلوقات ؟ ، وكم فيها من دلائل الوحدانية : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

فلا إله إلا الله ، الله ﷻ خلق هذه السماوات السبع الشداد بقدرته ، وأتقن صنعها بحكمته جل جلاله ، وكذلك الله ﷻ خلق الأرضين السبع ، الأرض الله ﷻ جعلها في مقابل السماء ، وفتق الأرض إلى سبع أراضين ، وفتق السماء إلى سبع سماوات : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فسبحان الذي خلق السموات والأرض ، وخلق ما فيهما ، وما بينهما ، وقام على ذلك كله : ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ ﴾[ق/٦-١١] .

فالله قائمٌ بذاته ، قائمٌ بنفسه ، مقيمٌ لغيره ، قائمٌ على كل شيء ، قائمٌ على كل نفس ، قائمٌ على هذا الظرف العظيم الذي هو السماوات السبع ، وعلى هذا الظرف العظيم الذي هو الأرضين السبع ، وما فيهما من المخلوقات خلقًا وتدبيرًا وتصريفًا : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢ ﴾[يونس: ٣١-٣٢] .

خلق الله ﷻ الأرض مختلفة الأجناس ، والصفات ، والمنافع :

فأرضٍ سهلة ، وأرضٍ حزنة ، وأرضٌ صلبة ، وأرضٌ رخوة ، وهذه سوداء ، وهذه بيضاء ، وهذه حصى كلها ، وبجوارها أرضٌ ليس فيها حجر ، وهذه سبخةٌ مالحة ، وبجوارها أرضٌ خصبةٌ طيبة ، وهذه طين أو رمل ليس فيها جبل ، وهذه مسجرةٌ

بالجبال ، وهذه تصلح لنبات كذا ، وهذه لا تصلح له ، وهذه تمسك الماء ، ولا تُنبت الكلأ ، وهذه تنبت الكلأ ، ولا تمسك الماء : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد/ ٤] .

فسبحان من نوعها هذا التنوع ، وفرق أجزائها هذا التفريق ، ومن خص كل قطعةٍ منها بما خصها به من المنافع ، والنبات ، والمعادن : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وسبحان الرب الحي القيوم ، القادر على كل شيء ، الذي ألقى على الأرض رواسيها ، وفتح فيها السُبل ، واخرج منها الماء والمرعى ، ومن بارك فيها وقدر فيها أقواتها : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [فصلت: ٩ – ١٠] .

خلقها الله ﷻ فراشًا ، ومهادًا ، وذللها لعباده ، وجعل فيها أرزاقهم ، وأقواتهم ، ومعايشهم ، وجعل فيها السُبل ، لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم ، وأرساها بالجبال ، ونوَّع فيها المخلوقات من جمادٍ ونباتٍ وحيوان .

ونوع فيها الأقوات ، فهذه لغذاء الإنسان ، وهذه لغذاء الحيوان ، وهذا سمٌ قاتل ، وهذا شفاءٌ من السم ، وهذا حار ، وهذا بارد ، وهذا حلو ، وهذا مر ، وهذا حامض ، وهذا مالح ، وهذا ثمر ، وهذا ورق ، وهذا حبٌ متراكب ، وهذا منفرد ، وهذا ثمرٌ مستور ، وهذا مكشوف ، وهذا ثمرٌ أبيض ، وهذا أصفر ، وهذا أحمر ، وهذا أسود : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٦] .

وهذه ثمرها في باطن الأرض ، وهذه على سطح الأرض ، وهذا ثمرُه في أعلاه ، وهذا في أسفله ، إلى غير ذلك من عجائب النبات التي لا يحصيها ولا يعلمها إلا الله وحده : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان/ ١١] .

والله ﷻ قائمٌ على هذه المخلوقات ، وعلى هذه الثمرات ، وعلى هذه الحبوب ، وعلى هذه الأقوات ، يخلق كل يوم مليارات المخلوقات من النباتات ، والجمادات ، والحيوانات وغيرها ، ثم الله ﷻ يسوق الماء إلى الأشجار ، فتخرج النبات ، وتخرج الثمار ، وتخرج الأوراق .

والله ﷻ خلق ما لا يحصيه إلا هو من المخلوقات التي على ظهر الأرض ، وفي باطن الأرض ، وما بين السماء والأرض : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون/ ١٤] .

هو الذي يحيي الأرض بعد موتها ، فينزل عليها الماء من السماء ، ثم يرسل عليها الرياح ، ويطلع عليها الشمس ، فتأخذ في الحبل ، فإذا حان وقت الولادة مخضت للوضع ، واهتزت وربت وأنبتت من كل زوجٍ بهيج : ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ [الحج/ ٥] .

- **ثم رتب الله على ذلك خمس مسائل في العقيدة هي ثمرة هذا المثل الحسي :**

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ [الحج/ ٦-٧] .

فسبحان من لا يشغله سمعٌ عن سمع ، ولا مرئيٌ عن مرئي ، ولا غائبٌ عن شاهد ، ولا سائلٌ عن سائل ، ولا مستغفر عن مستغفر ، ولا من في العالم العلوي عمن في العالم السفلي .

هو جل جلاله السميع الذي وسع سمعه الأصوات ، ووسع بصره جميع المخلوقات ، محيطٌ بكل شيء ، قادرٌ على كل شيء ، يدبر الأمر في السماء والأرض ، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥] .

هو جل جلاله مالك الملك ، حيٌ قيومٌ لا تأخذه سنةً ولا نوم .

فإذا عرفنا الحي ، وعرفنا القيوم ، فعلينا أن نقف بين يديه بالعبادة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤﴾ [المزمل/ ١-٤] .

ونقف بين يدي خلقه بالدعوة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ [المدثر/ ١-٧] .

فهذا الظرف العظيم ، وهو الأرض العظيمة التي خلق الله فيها أكثر من أربعين مليون عائلة من عائلة النباتات ، وأكثر من مليون عائلة من عوائل الحيوانات والطيور والحشرات ، وأكثر من مليون عائلة من الأسماك مختلفة الأشكال والألوان والطعوم .

هذه المخلوقات تحتاج إلى قيومٌ يقوم عليها ، يقوم بخلقها ، ويقوم بتدبير أقواتها ، ويقوم على حياتها ، وهو قائمٌ على كل نفس بما كسبت .

يدبر الخلق في الظلمات ، وفي النور ، في الليل ، وفي النهار ، في العالم العلوي ، وفي العالم السفلي ، في الدنيا والآخرة ، في عالم الغيب ، وعالم الشهادة ، في عالم الملك ، وعالم الملكوت : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

هو الذي أمسك السماء بأمره ، وأمسك الأرض بأمره ، والشمس تجري بأمره ، والقمر يجري بأمره : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠ ﴾ [نوح/ ١٥-٢٠] .

فسبحان الحكيم ، العليم ، القوي ، القادر الذي خلق هذه الشمس المتوهجة ، هذه النار الملتهبة ، من خلقها ؟ ومن يقوم عليها ؟ درجة الحرارة في باطنها أكثر من عشرين مليون درجة ، وفي ظاهرها أكثر من ستة آلاف درجة ، ولهبها يمتد أكثر من نصف مليون كيلو متر ، هذه الشمس ، لو نزلت قليلًا ، لأحرقت كل شيء ، ولو ارتفعت قليلًا ، لتجمد كل شيء ، ولكن الله ﷻ خلق كل شيء بقدر : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠ ﴾ [يس: ٣٨- ٤٠] .

الله ﷻ قائمٌ على مخلوقاته ، فيأتي بالليل بعد النهار ، و يأتي بالنهار بعد الليل ، ويأتي بالشمس بعد القمر ، ويأتي بالقمر بعد الشمس ، وهو القيوم عليهما بالخلق والإيجاد، والتصريف والتدبير ، والإضاءة والإنارة ، فجعل الشمس سراجًا وهاجًا ، وجعل القمر سراجًا منيرًا : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٦١ – ٦٢] .

وخلق الله جل جلاله النجوم : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الأنعام/ ٩٧] .

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾ [الملك/ ٥] .

هذه النجومُ العظيمة الكثيرة المختلفة ، نجومٌ خلقها الله ﷻ ، خلقها مختلفة الأشكال والألوان ، والإنارة والإضاءة ، وجعل لها البروج والمنازل ، وجعل منها الثوابت والسيارة ، والكبير والصغير ، والقريب والبعيد ، والمنفرد والمجموع ، وفاوت بين ألوانها ، وأحجامها ، وحركاتها ، وسيرها بقدرته ، منها الثابت ، ومنها المتحرك ، ومنها ما يسير وحده ، ومنها ما يسير مع رفقته : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣] .

فلا إله إلا الله الذي سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض ، الحي القيوم الذي يدبر المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي ، ومن هذه المخلوقات النجوم العظيمة المنثورة في جو السماء ، فلا تتقدم إلا بأمره ، ولا تتأخر إلا بأمره ، ولا تسكن إلا بأمره ، ولا تتحرك إلا بأمره : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [النحل/ ١٢] .

وخالف سبحانه بين الكواكب فبعضها يطلع ، وبعضها يغيب ، ومنها السائر ، ومنها المتحرك ، ومنها ما يسير مجتمعًا كالجيش الواحد ، ومنها ما يسير وحده كالقائد ،

ومنها ظاهرٌ لا يغيب أبدًا ، جعلها الله بمنزلة الأعلام المنصوبة التي يهتدي بها الناس في الطرق المجهولة في البر والبحر والجو : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل: ١٥ – ١٧] .

لا إله إلا الله كم خلق من النجوم ؟ ولا إله إلا الله كم حرَّك من هذه النجوم ؟ ولا إله إلا الله كم ملأها بالنور ؟ وجميعها في قبضته ، وكلها عبيد من عبيده ، وكلها جنود من جنوده ، وكلها خاضعٌ لأمره ومستجيب لمشيئته ، ومسرعٌ إلى إرادته ، ومسبحٌ بحمدِه وهو قائمٌ عليها ، وكل شيء في قبضته ، وتحت تصرفه : ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود/ ٥٦] .

كل ما يدب في هذا الكون هو آخذٌ بناصيته ، ويعلم كل شيءٍ ، ويبصر كل شيء : ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٣ – ١٤] .

بلى ؛ لأنه هو الخلاّقُ العليم ، وكل شيء خلقه وسعه علمه ، وسعه سمعه ، وسعه بصره فهو محيطٌ بكل شيءٍ ، عليمٌ بكل شيء ، فلا إله إلا الله والله أكبر ، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ، وزنه عرشه ، ورضاء نفسه ومداد كلماته : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

الله ﷻ هو الحي القيوم القائم بتصريف الأحوال في العالم العلوي والعالم السفلي ، القائم برزق العباد ، وخلق أرزاقهم في كل حين ، فهم نائمون غافلون ، والأمطار من السماء تَهطل ، والأنهار في الأرض تجري ، والجذر ينمو ، والأشجار تُثمر ، والأرض تُنبت من كل زوج بهيج : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس/ ٢٤-٣٢] .

فسبحان الحي القيوم الذي يُصرِّف الأحوال ، ويرزق العباد بأنواعٍ مختلفة من النباتات، والحبوبِ ، والثمار : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦] .

هو الحي القيوم الذي لا يقع في الكون شيءٌ إلّا بأمره وإذنه ومشيئته ، فالله ﷻ هو مالك الملك ، ولا يجري في مُلكه إلا ما يشاء ؛ من إيمان أو كفر أو طاعات أو معاصي : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الأنعام: ١١١].

فسبحان من أحكم الأمور ، فلا يقع في ملكه إلا ما يشاء : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٩] .

- **فلا يجري في ملكه شيءٌ إلا بأمره ، وإذنه ، ومشيئته من :**

التدبيرات.. وخلْق المخلوقات.. وتصريف الأحوال.. وأفعال العباد .

ومن هذه التدبيرات ، الزلازل والبراكين ، والأعاصير والأمطار ، والفيضانات ، والخسوف ، والغرق ، والحرق ، والهدم ، والأوبئة ، والأمراض ، والأمن والخوف ، والسلم والحرب ، والعافية والسقم ، والحياة والموت ، والنصر والهزيمة : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

هو الملك الحي القيوم :

له الأوامر الكونية.. وله الأوامر الشرعية.. وله الأوامر الجزائية بالثواب والعقاب : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] .

لكن أوامر الله ﷻ الكونية من الخلق والتدبير لا يسع أحد مخالفتها ، وهي موجهه إلى جميع المخلوقات ، فمتى أرادها الله كانت ، فالله ﷻ لا يُعجزه شيء : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ

إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣] .

أما الأوامر الشرعية فللجن والأنس أن يطيعوا أو يعصوا ، يؤمنوا أو يكفروا ، فالإنس والجن مخيرون بين الإيمان والكفر ، بعضهم يؤمن ، وبعضهم يكفر ، كالأرض منها ما يُنبت ، ومنها ما لا يُنبت : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩ – ٣٠] .

وكل ما سوّى الله عالم ، عالم السماوات ، عالم الأرض ، عالم الملائكة ، عالم النجوم ، عالم الرياح ، عالم الذرات ، عالم الجماد ، عالم النبات ، عالم الحيوان ، عالم الجن ، عالم الإنس هذه عوالم مختلفة ، والله ﷻ هو الذي خلق هؤلاء ، وهو القائم عليهم في كل حال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢] .

فهو جل جلاله حيٌ قيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء ، محيط بكل شيء ، بصير بكل شيء ولا يغيب عنه شيء .

فسبحان الحي القيوم الذي خلق كل مخلوق ، وكل شيء ، وكل ذرة في الكون مُلكُه ، وكل ذرة في الكون عبده : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: ٩٣] .

فسبحان من أظهر قدرته في خلق الصغير كالذرة ، وخلق الكبير كالعرش ، وخلق العالي كالسماوات وخلق السافل كالأرضين ، وخلق الضدين الماء والنار ، وخلق وخلق البر والبحر ، وخلق الرطب واليابس ، وخلق الأجساد وخلق الأرواح : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٦] .

فالله ﷻ أظهر قدرته في مخلوقاته ، وأظهر أسماءه وصفاته في مخلوقاته ؛ ليعرف الناس ربهم ، وإذا عرفوه عظموه وأحبوه وعبدوه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ

﴿ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

الكل من المخلوقات شاهدٌ أمام ربه ، عالم الجماد ، عالم النبات ، عالم الحيوان ، عالم الأنس ، عالم الجن ، عالم الملائكة ، الكل شاهدٌ أمام ربه ، ومستجيب لمشيئته ، ومسرعٌ إلى إرادته ، وشاهدٌ بوحدانيته ، ومسبحٌ بحمدهِ : ﴿ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود/ ٥٦] .

جميع المخلوقات مُسبحةٌ بحمد ربها ، وكل ذرة في الكون سواءً كانت في السماوات أو في الأرض ، أو في الجماد ، أو في النبات ، أو في الحيوان ، أو في الإنسان ، جميع الذرات كلها مُسبحة بحمد ربها : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

فالله ﷻ عظيم.. ومُلكه عظيم.. وكتابه عظيم.. ودينه عظيم.. وثوابه عظيم ، فالأليق بالعاقل أن يتصل بالعظيم ، ويقرأ كتابه العظيم ، ويمتثل أمره العظيم ؛ لينال ثوابه العظيم يوم القيامة ، ويكون في جوار الملك العظيم في الجنة : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

فسبحان من وسع سمعه الأصوات ، ووسع بصره جميع المخلوقات ، وأحاط بالعالم العلوي والعالم السفلي ، يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد ذرات الرمال ، ويعلم ما في السماوات وما في الأرض ، لا تواري منه سماءٌ سماء ، ولا أرضٌ أرضًا ، ولا جبل ما في وعره ، ولا بحر ما في قعره ، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون ، هو محيط بكل شيء ولا يحيط به شيء : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

فهو الحي القيوم الذي حياته مستلزمه لجميع صفات الكمال من السمع والبصر ، والعظمة والكبرياء ، والقدرة والعزة ، والعلم والرحمة ، وجميع صفات الكمال .

فالله ﷻ هو الرب العظيم ، والإله الكريم ، الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض : ﴿ هُوَ اللَّهُ

﴿ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤] .

هو الحي القيوم الذي يريد من خلقه أن يتخلقوا بصفاته ، ويتعبدوا الله بها ، فهو محسنٌ يحب المحسنين ، وهو مؤمن يحب المؤمنين ، وتواب يحب التوابين ، فالله ﷻ يحب من خلقه أن يمتثلوا أوامره ، ويتخلّقوا بصفاته ، ولكن على شاكلة العبودية ، هو الكريم الأعلى ، وأنا الكريم الأدنى ، وهو القوي الأعلى ، وأنا القوي الأدنى ، وهكذا الله يحب من خلقه أن يتصفوا بصفاته : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف/ ١٨٠] .

فالله ﷻ مقصوده من جميع الأخبار ، والأوامر ، والأحكام الشرعية هو تحصيل اليقين على ذاته ، وأنه واحد أحد بيده كل أحد ، وأنه حيٌ قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، وأن له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة مقصودهُ أن تأتي في القلوب عظمته ، وأن تأتي في القلوب محبته ، وأن يأتي في القلوب الانكسار بين يديه .

فإذا جاء اليقين على ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله جاء اليقين على كتابه وعلى قوله ، جاء اليقين على وعده ووعيده ، ثم جاء امتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، مقروناً بالتعظيم له ، والحب له ، والذل له : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

فمقصود الله ﷻ من خلقه أن يتصفوا بالصفات التي يحبها الله :

وهي : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة/ ١١٢] .

وهي : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ

وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٣٥] .

وهي : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١ - ١١] .

وهي : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٦٤] .

وغيرها من الصفات الإيمانية المذكورة في القرآن .

هذا الإنسان الله ﷻ خلقه بيده ، وخلق جميع المخلوقات بأمره ، وهذا الإنسان شرفه الله ، لأنه يريده خليفة في الأرض ، يسمع كلام الله ، ويعمل بدين الله ، ويدعو إلى الله .

وأمر الإنسان أن يتصف بالصفات التي هي في أعظم المخلوقات ، وأعظم المخلوقات هو العرش ، وله ثلاث صفات :

صفة العلو.. وصفة الاتساع.. وصفة النور .

كذلك قلب الإنسان يريد الله منه أن يطابق العرش في علوه على ما دونه من المخلوقات، وأن يتسع صدر المؤمن للتوحيد ، والإيمان ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة ، وأن يمتلئ القلب بنور الإيمان الذي يحرك الجوارح بأنواع العبادات : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد/ ٢٨] .

فالواجب أن نجتهد على القلب ؛ حتى يكون أعلى المخلوقات : ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٩] .

بتوحيدكم ، وإيمانكم ، وأعمالكم الصالحة ، وأخلاقكم الحسنة ، حياتكم تشبه حياة الأنبياء ، وحياة الأنبياء تشبه حياة الملائكة التي مزاجها سمعنا وأطعنا ، فنحن قدوتنا الأنبياء والرسل والملائكة : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

ويجتهد على القلب ليتسع صدر المؤمن لجميع الأعمال الصالحة التي يحبها الله ، ويمتلئ قلبه بنور الإيمان ، الذي يدفعها إلى كل طاعة ، ويبدد كل ظلمة .

فإذا امتلأ بنور الإيمان حرك الجوارح بالطاعات التي يحبها الله ﷻ ، وملأ الكون بحمد الله وذكره وشكره كما ملأ الله له الكون بنعمه وآلائه وإحسانه ، فعلى المؤمن تكميل محبوبات الرب في الدنيا ، ويوم القيامة الله يكمل محبوبات العبد في الجنة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧ – ١٠٨] .

والله خلق الدنيا وملائها بما يحبه الرب من الإيمان والأعمال الصالحة ، وملائها بما تحبه النفس من أنواع الشهوات .

- **ومحبوبات الرب هي :**

الإيمانيات.. والعبادات.. والمعاملات.. والمعاشرات.. والأخلاق العالية .

ما يحبه الرب : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة/ ١١٢] .

فالله ملأ الدنيا بمحبوباته هو ، وملأ الجنة بمحبوباتنا نحن ، فلنملأ الدنيا بمحبوباته ، حتى يوم القيامة ننعم بمحبوباتنا نحن ، ونعيش يوم القيامة مع النعمة والمُنعم ، في الدنيا جميع الخلائق تعيش مع النعمة ، إلا المؤمن يعيش مع النعمة ، ويخترق النعمة إلى المنعم ، المؤمن يخترق المخلوقات إلى الخالق ، فيرضيه بما يحبه ويرضاه من الإيمان والطاعات ، ويخترق الدنيا إلى الآخرة ، ويخترق الصور إلى المصور ،

ويتجاوز عالم الأموال والأشياء إلى الازدياد من الإيمان والأعمال الصالحة ، فيفعل ما يرضي ربه وما يحبه جل جلاله .

فالله ﷻ حيٌّ قيوم لا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي والعالم السفلي ، رقيب على القلوب والجوارح : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١] .

فسبحان مالك لملك ، عالم الغيب والشهادة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

عالم الشهادة بالنسبة لعالم الغيب لا يساوي ذرة ، فالجنة والنار من عالم الغيب ، وهذه الدنيا التي نحن فيها للمؤمن مثلها عشر مرات ، هذا أدنى مؤمن في الجنة ، أما أعلاهم منزلة فله جنات ودرجات عالية : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧] .

فالله ﷻ حيٌّ قيوم ، محيط بعالم الغيب ، وعالم الشهادة ، حيٌّ قيوم ، لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم ، هذا الحي القيوم الرحمن الرحيم يجب أن أقف بين يديه ، وأطيع أمره ، وأجتنب نهيه ، وأشكره على نعمه ، واستغفره من الذنب ، واصبر على بلائه ؛ لأنه رحمن رحيم لا يبتلي عبده إلا بمصيبة ترفع درجته ومقامه ، وترده إلى ربه ، وتكفر سيئاته ، وتنقي توحيده : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١] .

هو سبحانه الحي القيوم القائم على كل نفس بما كسبت ، رقابةً ، وخلقًا ، ورزقًا ، وعلمًا وتدبيرًا ، هو قائم على كل نفس بما كسبت من خير أو شر : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢] .

هو القيوم رقابةً : يطلع على ما في القلوب ، يطلع على ما تعمله الجوارح ، يطلع على النيات ، يطلع على كل شيء .

وخلقًا : كل ما يفعله الإنسان خلقه الله ، فالله خلق فعله ، والإنسان يوجه الطاقة إلى الخير أو الشر ، إلى الحق أو الباطل ، إلى الفضيلة أو الرذيلة : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان: ٢٩ – ٣٠] .

ورزقاً : فكل رزق في العالم من الرزاق ، وحيثما كان خلقه كان رزقه : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

وعلمًا : حيثما كان خلقه كان علمه : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر/ ٧] .

فالله عليم بكل شيء ، محيط بكل شيء ، ورحمته وسعت كل شيء ، فحيثما كان خلقه كانت رحمته ، وكان علمه : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴿٧﴾﴾ [غافر/ ٧] .

وتدبيرًا : هو الذي يدبر الأمر في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، يدبر أمر الملائكة ، أمر النجوم ، أمر السماوات السبع ومن فيها ، أمر الأراضين السبع ومن فيها ، أمر الجبال ، أمر البحار ، أمر النيران ، أمر الطيور ، أمر الحشرات ، أمر الرياح ، أمر الشمس ، أمر القمر ، أمر الإنس ، أمر الجن : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: ٤ – ٧] .

كل ذرة في مُلكه لها تدبيرات ، هو الذي يدبر الأمر في ملكه العظيم ، هو الذي يقلب الليل والنهار ، ويحيي ويميت ، ويعطي ويمنع ، ويقبض ويبسط ، هو الذي يغير الأحوال من الأمن إلى الخوف ، من العافية إلى المرض ، من الحياة إلى الموت : ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور/ ٤٤] .

فالحمد لله أن جعلنا من خلقه ، ومن بني آدم ، وممن أعطاهم الله عقولاً تقرأ كتاب الله ، وتفهمه وتعمل بموجبه ، وتفهم معاني أسماء ربها وصفاته ، فتحبه ، وتعظمه ، وتكبره ، وتجد اللذة والأنس في مناجاته ، وعبادته ، والقيام بين يديه ، تذكره كثيرًا ، وتحمده كثيرًا ، وتسبح بحمده آناء الليل ، وأطراف النهار ، وتصلي وتسلم على رسوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

الحمد لله على نعمة الإسلام ، الحمد لله أن ربنا حيٌ قيوم خزائن كل شيء عنده :

خزائن الأمن ، خزائن الخوف ، خزائن الرزق ، خزائن الحبوب ، خزائن الثمار ، خزائن الليل ، خزائن النهار ، خزائن الرحمة ، خزائن العقول ، خزائن العزة ، خزائن الذلة ، خزائن الحديد ، خزائن الذهب : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١] .

فالله ﷻ له خزائن السماوات والأرض ، وخزائن السماوات والأرض من خزائن غيبه.

فجميع ما نراه هو من خزائنه ، والجنة والنار من خزائنه ، والدنيا والآخرة من خزائنه ، وعالم الغيب والشهادة من خزائنه : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فسبحان من يُصرِّف الدهور ، ويقلب الليل والنهار ، ويقلب الأحوال ، ويحيي ويميت ، ويعز ويذل ، وهو قائم على كل نفس .

وهو سبحانه القائم على الصراط المستقيم ، الذي هو الحكمة والعدل والإحسان ، الباقي بعد فناء كل شيء : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن/ ٢٦-٢٧] .

فسبحان الحي القيوم الذي كل شيء قائم به ، ولو رفع عنه أمر القيام ، أو أمر البقاء ، لفني فورًا ولذهب ولا نعلم أين ذهب .

فكل شيء قائم به ، العرش والكرسي ، والسماوات والأرض ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والإنس والجن ، والملائكة ، والجبال والبحار ، كل شيء قائمٌ به ، فلولا إقامة الله له لما قام ، ولولا خلق الله له لما وجد .

وكلُّ مخلوق مستسلم له ، خاضع لأمره ، وخاضع لعزته ، ومتصاغر لكبريائه ، فالله له الكبرياء في السماوات والأرض ، وكل شيء من المخلوقات متصاغر لكبريائه ، فهو الكبير المتعال وحده لا شريك له : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ - ٣٧] .

وهذه المخلوقات كل منها متذلل لعظمته ، مُسبحٌ بحمده ، مطيعٌ لأمره .

سبحانه هو الله الواحد القهار ، مادام هو الواحد ، لابد أن يكون قهاراً ، وما دام هو قهار ، لابد أن يكون واحد ، فالله هو الواحد القهار الذي خلق جميع المخلوقات ، وقهرها على ما أراد : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤] .

وهو سبحانه قيوم السماوات والأرض ، قائم عليها ، وعلى من فيها ، وعلى ما في باطنها ، وعلى من فوق ظهرها ، وعلى من تحتها ، هو قيوم السماوات والأرض ، وقيوم الدنيا والآخرة ، القائم للخلائق كلها بجميع معاني وجودها حياةً ، وإمدادًا ، وإعدادًا ، وهدايةً ، وتدبيراً : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

هو القائم على الخلائق كلها بجميع معاني وجودها : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٢] .

قائم عليها بالتدبير والتصريف ، الحافظ لها ، المصرف أحوالها ، الحاكم لها ، الرحيم بها ، المالك لها وحده لا شريك له : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨] .

فهو سبحانه حي قيوم لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم ، قائمٌ على كل شيء ، قائمٌ على كل نفس بالخلق والإيجاد ، وبالتدبير والتصريف ، وبالبقاء والفناء ، وبالنفع والضر : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ ١٠٢
[الأنعام/ ١٠٢-١٠٣] .

لماذا لا تدركه الأبصار ؟ لو أدركته لأحاطت به ، والله محيط بكل محيط ، ولا يحيط به أحد ، هو المحيط بكل أحد ، فالأبصار لا تدركه ، ولكن الله يأذن لهذه الأبصار أن تراه يوم القيامة ، لكن لا تحيط به ؛ لأنه المحيط بكل شيء ، المحيط بالسماوات والأرض ، والمحيط بجميع المخلوقات ، المحيط بالدنيا والآخرة ، المحيط بالعالم العلوي والعالم السفلي ، المحيط بعالم الغيب والشهادة : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢] .

سبحانه هو حيٌّ قيوم لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، وكيف ينام وهو سبحانه القائم بجملة الخليقة ، وتدبير أمورها جملةً وتفصيلًا : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾
[آل عمران/ ٢] .

هذه الحبة النبتة من أودع فيها الجذر ، والساق ، والأوراق ، والأزهار ، والثمار ، كل مخلوق له أمرٌ من أوامر الله مودعٌ فيه ، كل حيوان ، كل طير ، كل ذرة ، كل نبتة .

كم نبتة في العالم ؟ كم حشرة في العالم ؟ كم حيوان في العالم ؟ كم طير في العالم ؟ كم ذرة في العالم ؟ .

فالله حيٌّ قيوم يرعى المخلوقات ، ويدبرها ، ويربيها ، خلقًا وإيجادًا ، وإعدادًا وإمدادًا ، وتدبيرًا : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فسبحان الحي القيوم القائم على كل شيء : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر/ ٤١] .

خلق سبحانه جميع المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وأبدعها على غير مثال سابق : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠١] .

خلق جميع المخلوقات ، وأبدعها على غير مثال سابق ، وجعلها مظهرًا لأسمائه وصفاته وأفعاله ، وجعلها شاهدة بتوحيده ، مُسبحة بحمده ، وساجدة لعظمته : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج: ١٨] .

ثم سوف يفترق الجمع ، وتزول الآثار ، ويبقى الله الواحد القهار : ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص/ ٨٨] .

ثم يعيد الخلق مرة أخرى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم/ ٢٧] .

يعيده إظهارًا لقدرته ، وكمال عزته ، فلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وسبحان القائم بنفسه ، القائم بخلق الخلق ، القائم بقسمة أرزاقهم وأقواتهم ، وتصريف أحوالهم ، وحشرهم وحسابهم : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم/ ٩٣-٩٥] .

هو سبحانه الحي القيوم الذي لكمال حياته وقيوميته لا تأخذه سنة ولا نوم ، القائم بنفسه ، فلا يحتاج إلى غيره : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢] .

مالك المُلك ، الذي لكمال ملكه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، هو مالك العالم العلوي والعالم السفلي ، هو مالك السماوات والأرض وما فيهن ، وما عليهن ، وما بينهن : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

هو العالم بكل شيء ، الذي لكمال علمه لا يعزب عنه مثقال ذرة .

فسبحانه ما أعظم قدرته ، وما أعظم تدبيره لملكوته : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم/ ٢٥] .

يأمر الله السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، فيخرج الناس كما تنبت البقلة في حميل السيل ، ثم يساقون إلى المحشر : ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه : ١١١] .

هو القادر على كل شيء ، الذي لكمال قدرته خلق أعظم شيء وهو العرش العظيم ، والكرسي الكريم ، وخلق السماوات والأرض وما بينهما ، وخلق الدنيا والآخرة ، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذنه وعلمه وإرادته : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٦] .

هو السميع لكل صوت في العالم العلوي والعالم السفلي ، يسمع المسبحين والحامدين والذاكرين ، ويسمع السائلين والداعين ، ويسمع المستغفرين والمسترحمين ، ويجيب كل أحد ؛ لأنه كريم لا يرد سائلًا : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦] .

هو السميع لكل صوت ، الذي لكمال سمعه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، يسمع أصوات الإنس ، والجن ، والملائكة ، والجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، ويسمع تسبيح كل ذرة ، ويسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، فلا إله إلا الله ، والله أكبر ، نستغفر الله ، ونتوب إليه : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦ - ١٧] .

وهو البصير بكل شيء ، الذي لكما ل بصره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض : ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا

كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ [يونس: ٦١] .

فالسماوات شيء ، وما فيهن شيء ، والكرسي شيء ، والعرش شيء ، والفضاء شيء ، والأرض شيء ، والجبال شيء ، والبحر شيء ، وكل ذرة شيء ، والله ﷻ خالق كل شيء ، وهو بكل شيء عليم : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢] .

فسبحان الحي القيوم القائم على هذا الكون العظيم بكلياته وجزئياته .

فالكليات : كالظروف الكبرى : السماوات ظرف ، والأرض ظرف ، والجبال ظرف ، والبحر ظرف ، والفضاء ظرف ، والليل ظرف ، والنهار ظرف : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] .

هذه الظروف العظيمة مملوءة بالمظاريف ، فكم في الأرض من مظروف ؟ وكم في السماء من مظروف ؟ وكم في الفضاء من الذرات ، النجوم ، والكواكب ، والشمس والقمر ؟ وكم في الكون من الكلمات الطائرة ؟ وكم فيه من الذرات السابحة ؟.

والفضاء ظرف كبير للكلمات التي نقولها ، ولو ثبتت ورأيناها كما تكتب بالأقلام على الأوراق لرأينا شيئًا عجبًا .

فسبحان الحي القيوم ، القائم على هذا الكون العظيم بكلياته وجزئياته في كل وقت ، القائم على كل نفس بما كسبت : ﴿ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم/ ٦٥] .

هو ربنا جل جلاله الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ

﴿ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

[الحشر: ٢٢ - ٢٤] .

ومَنْ هذه أسماؤه ، وهذه صفاته ، وهذا خلقه ، وهذا ملكه ، وهذه قدرته ، هو وحده المستحق للعبادة وحده دون سواه ، وهو أهل أن يُعبد ، ويُذكر ، ويشُكر ، ويطاع وحده لا شريك له ؛ لأنه الملك الحي القيوم القائم على كل نفس ، الخالق كل شيء ، القادر على كل شيء ، المحيط بكل شيء ، المُنعم بكل نعمة : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[الأنعام: ١٠٢] .

سبحان الحي القيوم الذي لا ينام : ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ ﴾[الرعد/ ٣٣] .

من الشريك الذي يخلق كخلق الله ، ويرزق كرزق الله ، ويأمر كأمر الله ؟ ويعلم كعلم الله ، ويقدر كقدرة الله ، ويدبر كتدبير الله ، ويسمع كسمع الله ، ويبصر كبصر الله ، ويحكم كحكم الله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾

[الأعراف: ١٩٤ – ١٩٦] .

فالله ﷻ أقام الحُجة ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وأعطى الأسماع والعقول والأبصار ، فقامت الحُجة على الناس ، لكن من زاغ أزاغ الله قلبه ، ومن أعرض أعرض الله عنه ، ومن انصرف عن الله انصرف الله عنه ، ومن نسي الله ؛ الله ﷻ ينساه .

فإذا بدأ الإنسان بالانصراف ، فالله ﷻ يصرفه عن الدين ؛ لأن الله ﷻ حكيمٌ وعليمٌ وخبيرٌ بمن يصلح للكرامة ، ومن يصلح للإهانة ، ومن يصلح للجنة ، ومن يصلح للنار ، ومن يصلح للهدى ، ومن لا يصلح لذلك ، كالأرض الطيبة تستقبل الماء ثم

تُنبت من كل زوج بهيج ، أما الأرض السبخة فلا تنبت : ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٨] .

والله عليم بهذا وهذا ، ولكن البلاغ لابد منه لجميع الناس ، والأسماع والأبصار والعقول موجودة عند جميع الناس ، والرسل بعثوا إلى كل الناس .

فالله ﷻ أقام الحُجة على الناس ، حيث فطر الله كل الناس على التوحيد ، لكن لم يكتفي بهذا ، بل منّ علينا بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، وإقامة الدلائل على وحدانيته ، وعلى ربوبيته ، وعلى ألوهيته ، وأعطانا السمع والأبصار والعقول ، ورغَّب في الطاعات ، وحذر من المعاصي ، وضاعف الأجر لمن أطاعه ، وجعل على السيئة الواحدة سيئة مثلها ، أو يعفو عنها جل جلاله ، فالله ﷻ رحيم بالعباد : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

والله ﷻ لم يخلق مخلوقاته لمحض الفناء ، بل لتُعرف عظمته ، وقدرته ، وعلمه ، وأسماؤه ، وصفاته ، وأفعاله ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

البصر يرى التصريف والتدبير ، والتغيير والتجديد ، والليل والنهار ، والحر والبرد ، والأمن والخوف ، والإيجاد والإبداع ، والإحياء والإماتة : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

لماذا ؟ ، لأمرين : ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢] .

وإذا علمتم بذلك فاعبدوا ربكم وأطيعوه ، إذا علمتم أنه لا إله إلا الله فاعبدوه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

ولما أرى الله جل جلاله الألباب والعقول عظيم قدرته على الإيجاد ، ولطيف حكمته في إتقان الصنع ، وجميل فضله وإحسانه في العطاء ، استأثر الحي القيوم بالمُلك والبقاء ؛ إظهارًا لعزة الربوبية ، وعظمة المُلك والملكوت والجبروت : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر: ١٣] .

أولوا الألباب والعقول ، أولوا البصائر والأفكار ، لما رأوا عظيم قدرة الله ﷻ على خلق المخلوقات العظيمة من العرش والكرسي ، والسماوات والأرض وما فيهن ، وما بينهن ، وما عليهن ، وشاهدوا لطيف حكمته في إتقان الصنع ، ورأوا جميل فضله وإحسانه في العطاء ؛ عطاء هذا المال ، وعطاء هذه الأرزاق ، وعطاء هذه الأنوار ، وهذه الأرض التي نسكنها ، وهذا الطعام الذي نأكله ، وهذا الماء الذي نشربه وهذا الهواء الذي نتنفسه ، وهذا الإبداع في الخلق ، لما رأوا ذلك آمنوا بالله وحده .

لما رأت العقول عظمة الله ، وجميل فضله وإحسانه ، توجهت إليه تعظمه وتكبره ، وتحمده وتشكره ، وهذا هو موضوع الدعوة إلى الله ، أن نُعظم العظيم حتى يعظمه الناس ، ونكبره حتى يكبره الناس ، ونذكر نعمه وإحسانه حتى يحبه الناس ، ونذكر وعده على الإيمان والطاعات لتقبل الناس على عبادته ، ونذكر وعيده على الكفر والمعاصي ليحذر الناس الكفر به ومعصيته .

وهذا لب العبودية ؛ أن يُعظم الله ويُكبر ، وأن يُحمد ويُشكر : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٢] .

فلما رأت القلوب المؤمنة عظيم قدرة الله على الإيجاد ، ولطيف حكمته في إتقان الصُنع ، وجميل فضله وإحسانه في العطاء ؛ خرت راكعة وساجدة بين يدي ربها : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩] .

هذه العبادة التي يريدها الله ، الله يريد عبادة القلوب والقوالب ، لا عبادة القوالب ، عبادة القوالب فقط عبادة المنافقين ؛ أما عبادة القلوب والقوالب فهي عبادة

المؤمنين ، أن يخضع القلب لله فيأمر الجوارح بعبادة الله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

اللسان له عبودية ، وعبودية اللسان أن تتكلم عن الله أو تتكلم معه ، تتكلم عنه بالدعوة إليه بذكر أسمائه وصفاته ، وذكر نعمه وإحسانه ، وتعلم شرعه لعباده .

أو تتكلم معه بأن تسأله فيجيبك ، وتستغفره فيغفر ذنبك ، وتحمده على نعمه ، وتكبره ، وتمجده .

فعبودية اللسان أن يتكلم معه ، أو يتكلم عنه ، الكلام عنه بالدعوة إلى الله ، والكلام معه بالعبادة التي هي أقوالٌ وأفعالٌ معلومة : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١] .

والله ﷻ هو الحي القيوم ، الذي تفرد بالمُلك والبقاء ، وهو يميت الخلق ، إظهارًا للحي القيوم الذي لا يموت عن الحي المخلوق الذي يموت .

استأثر الحي القيوم بالمُلك والبقاء في الدنيا والآخرة ، إظهارًا لعزة الربوبية ، فهو حيٌّ، وحياته مستلزمه لجميع صفات الكمال ، وعظمة المُلك والملكوت ، مُلك السماوات والأرض ، ومُلك الدنيا والآخرة ، ومُلك العالم العلوي ، والعالم السفلي ، ومُلك عالم الغيب والشهادة ، وملك الذرات والمجرات ، إظهارًا لعزة الربوبية ، والقدرة الربانية ، والعلم المحيط ، والملك الكبير : ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

فالله ﷻ هو ذو المُلك والملكوت ، والعزة والجبروت ، وإذا عرفت الكبير ، فأنا في غنى عن الصغير ، وإذا عرفت الغني فليس لي حاجة بالفقير ، وإذا عرفت الملك فليس لي حاجة بالعبيد ، وإذا عرفت الخالق استغنيت به عن المخلوق : ﴿ ذَٰلِكُمُ

﴿ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[الأنعام: ١٠٢].

استأثر الحي القيوم بالمُلك والبقاء ، إظهارًا لعزة الربوبية ، وعظمة الملك والملكوت والجبروت ، حتى تتصاغر القلوب لعظمته ، وتتصاغر المخلوقات أمام الملك العزيز الجبار : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] .

ثم أفنى الحي القيوم الذي لا يموت تلك المخلوقات كلها ، إلا ما استثنى الله ﷻ من العرش والجنة والنار ، والقلم وغيرها ، تفرقةً بين عزته وذلتهم ، وبقائه وهلاكهم ؛ لأنه الملك الحي الذي لا يموت ، وهم المماليك والعبيد له ، يفعل بهم العليم القدير ما يشاء : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فالله ﷻ خلق المخلوقات العظيمة ، إظهارًا لكمال قدرته وقوته وعظمته ، وعظمة ملكه وسلطانه ثم يفنيهم ويعيدهم ، تكميلاً لحكمته في خلقه ، وإظهارًا لكمال قدرته : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم/ ٢٧] .

فسبحان الحي القيوم الذي ما شاء أبقاه إلى أمد ، فإذا قطع عنه أمر البقاء زال فوراً ، وأمره ماضٍ في كل مكان وزمان ، وكل موجود سواه فان : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣] .

﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧] .

وكل ما أريد به وجهه باق ، وفاعله مُكرَم غير مهان ، وما لم يُرد به وجهه فضائع ، وفاعله باقٍ في الهوان : ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الزخرف/ ٤٣-٤٤] .

وشتان بين المؤمن والكافر : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة: ١٨ – ٢٠] .

الله ﷻ له ملك السماوات والأرض ، وله ما في السماوات وما في الأرض ، وله غيب السماوات والأرض ، هذه ظروف عظيمة ، وفيها مخلوقات عظيمة ، وفي خزائن الله وغيبه مخلوقات لا يعلمها إلا هو ، والله ﷻ هو القائم على هذه المخلوقات في ملكه العظيم يقوم بخلقها ، وتدبيرها ، وأرزاقها : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾[آل عمران/ ٢] .

حي بصفات الكمال ، من : العلم ، والقوة ، والقدرة ، والعزة ، والكرم ، والعفو ، والسمع ، والبصر ، والملك ، والغني ، والجلال ، والجمال ، حي بالصفات الكاملة: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة ، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض ، والله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه ؛ لأننا إذا عرفناه بصفات الجلال كالملك والقدرة ، والعزة والعظمة ، كبرناه وعظمناه ، وخشيناه وخفناه ، واتقيناه وعبدناه .

وإذا عرفناه بصفات الجمال كالرحمة والإحسان ، والحلم والعفو ، أحببناه لما له من النعم التي لا تعد ولا تحصى ، وإذا عظمناه وأحببناه أطعناه ، لأننا نرى أنه هو العظيم الذي يجب أن يطاع ، وهو الكبير الذي يجب أن يمتثل أمره ، وهو الغني الذي عنده حوائج الخلق ، فنتوجه إليه ونعبده بالمحبة ، لكثرة نعمه ، وصفات

جماله ، والتعظيم ، لأنه عز وجل مالك الملك ، وسلطانه على ملكه العظيم محيط ، فله ملك السماوات والأرض ، وله العالم العلوي والعالم السفلي ، وله الدنيا والآخرة : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

فالله سبحانه له صفات الجلال ، وله صفات الجمال ، ومن صفات جلاله أنه قيوم على جميع مخلوقاته : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢] .

التعبد لله ﷻ باسمه القيوم

الله ﷻ هو القائم على كل نفس ، فلابد لنا بعد أن عرفنا شيئًا عن اسم ربنا القيوم ، وأنه قائم على الملك والملكوت ، وقائم على كل نفس بما كسبت ، لابد أن نعرف القيوم ، وما يجب له ، وما هو حظنا من هذا الاسم ؟ فمفتاح التعبد بكل اسم من أسماء الله الحسنى هو أن نتعرف عليه ، فنتعرف على القيوم جل جلاله ، وعلى أي شيء يقوم ، وما عظمة ملكه ؟ وما هي المخلوقات التي في ملكه ؟ مخلوقات الله في ملكه جل جلاله لا يعلمها إلا لله ، ولا يحصيها إلا الله ﷻ ، ولكن الله ﷻ أخبرنا عن بعض مخلوقاته ، وهذه المخلوقات ستة عوالم هي :

عالم الجماد.. وعالم النبات.. وعالم الحيوان.. وعالم الإنسان.. وعالم الجن.. وعالم الملائكة .

هؤلاء خلائق عظيمة ، لا يحصيهم ولا يعلمهم إلا الله ﷻ ، والله ﷻ لا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه ، هو حي قيوم يسمع ويرى ويعلم ويقدر : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠] .

هو الحي القيوم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وسع علمه جميع مخلوقاته ، وسع سمعه جميع الذرات في ملكه ، وجميع الأجرام العلوية والسفلية ، والكبيرة والصغيرة ، ووسع بصره جميع مخلوقاته ، فحيثما كان خلقه كان علمه ، وكان بصره ، وكان سمعه : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩] .

هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، والله ﷻ يحب منا أن نأخذ من هذه الصفة ، وأن نقوم على أنفسنا بالاستقامة ، بالعبادة ، بالطاعة ، بامتثال الأوامر ، بالعبادات القلبية ، بعبادة الجوارح : ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا

﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨] .

وأن نقوم على غيرنا ، يكون لنا جهد على أنفسنا ، وجهد على غيرنا ، وأن نكون قوامين لله ، وأن نكون من القائمين بشرع الله ، فنحن نوازن في حياتنا بين العبادة ، والدعوة ، والتعليم ، والإحسان .

فالعبادة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾ [المزمل/ ١-٢] .

والدعوة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر/ ١-٢] .

والتعلم والتعليم : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

والإحسان : ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥] .

فالله ﷻ يريد منا أن نقوم على أنفسنا بحملها على طاعة الله ، وزجرها عن معصية الله ، وأن نقوم على غيرنا بأعمال يحبها جل جلاله ، ويتصف بها : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣] .

فمفتاح التعبد بكل اسم من أسماء الله الحسنى طلب علمه ، أن نتعرف عليه ، وفهم معناه ، ومعرفة مجاريه في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وتتبع آثاره في المخلوقات ، حتى نبلغ درجة اليقين في الإيمان به : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩] .

ومن عرف ربه كما يجب استغفر من جهله بعظمته ، وحفظ وقته في عبادته وطاعته .

فيجب علينا أن نتفقد أنفسنا ، فنحملها على طاعة الله ، ونزجرها عن معصية الله ، وتقواه في السر والعلن : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر/ ١٨] .

فالله ﷻ يريد منا هذا القيام ، قيام بين يديه بالعبادة ، وقيام بين يدي خلقه ، بالدعوة والتعليم والإحسان إلى الخلق .

وإذا أردنا أن نعرف القيوم ، وعظمة القيوم ، وما هو قائم عليه ، وكيف أنه لا تأخذه سنة ولا نوم ، فنتعرف على ملكه العظيم ، ونتفكر في عظمة مخلوقاته في السماء والأرض : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠] .

هذا فعل الرب ، والرسول ﷺ كان إذا قام من الليل يتلوا هذه الآيات ، ونتدبر معانيها ، ونبكي من خشية الله ، فالذي يتلوها ولا يبكي ، ولا يبادر إلى ذكر ربه ودعائه ، فقلبه مريض يحتاج إلى علاج : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧] .

خلق الله السماء السماوات السبع ، والأراضين السبع ، وما فيهما من المخلوقات ، عالم الجماد ، وما فيه من العوالم المختلفة ، عالم الجبال ، عالم البحار ، عالم الذرات ، عالم التربة ، عالم المعادن ، هذه المخلوقات التي سخرها الله ﷻ لخدمة الإنسان .

وعالم النبات مخلوقات وأمم وقبائل شتى ، عالم النبات أكثر من أربعين مليون صنف من النباتات التي خلقها الله ﷻ ، وفي كل ورقة من كل نبتة مظهر للجلال ومظهر للجمال لله ﷻ ، فهي من جهة في خدمة الإنسان ، ومن جهة أخرى دالة على وحدانية وعظمة الله ﷻ : ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠] .

وقائم على عالم الحيوان بأنواعه ، وأجناسه ، وطعامه ، وشرابه ، وحياته وموته : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥] .

الله ﷻ هو الذي له الخلق والأمر وحده ، ولكن الله ﷻ أخفى قدرته وراء الأسباب ، فالله خالق كل شيء ، والأسباب هذه غلاف ، فالمؤمن يخترق الصور إلى المصور ، ويخترق المخلوقات إلى خالقها ، ويخترق السنن الكونية إلى القدرة الإلهية ، ليعلم من هو الملك الحق ، الحي القيوم .

هو القائم على النجوم المنثورة في جو السماء حتى لا يصدم بعضها بعضا ، ولو اصطدم نجم بنجم لفسد العالم : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٨٤] .

هو القائم على الشمس بحيث تسير في مسارها المحدود ، بدرجة حرارة محدودة .

فللشمس ثلاثمائة وستون مشرقاً وثلاثمائة وستون مغرباً ، هو رب المشارق والمغارب ، قائم عليها في سيرها ، وحرارتها ، ومشرقها ومغربها .

وقائم على القمر حين يبدو هلالًا ، حتى يصير بدرًا ، ثم يأخذ في النقص في نهاية الشهر : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٣٨ – ٤٠] .

وهو قائم على الملائكة في العالم العلوي ، وهو قائم على السماء ، يمسك السماء أن تقع على الأرض ، وهو قائم على البحار حتى لا تُغرق البشر ، قائم على الجامِّدات حتى لا تسيل ، قائم على النار حتى لا تحرق البشر ، قائم على الآذان حتى تسمع ، وعلى الأبصار حتى ترى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢] .

هو جل جلاله قائم على كل نفس ، وهو جل جلاله ذو الجلال والإكرام ، وضع اسمه على السماء فاستقلت ، وعلى الأرض فاستقرت ، وعلى الجبال فرست ، وعلى البحار فسالت ، وعلى الرياح فهبت ، وعلى اللسان فتكلم ، وعلى الأذن

فسمعت ، وعلى العين فأبصرت ، وعلى اليد فبطشت ، وعلى الرجل فمشت : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢] .

هو الحي القيوم القائم بخلق الخلائق ، وتدبير الخلائق ، وإمداد الخلائق ، بيده التصريف والتدبير ، والتشكيل والتغيير ، والتحريك والتسكين ، والإحياء والإماتة ، والعزة والذلة ، والقبض والبسط ، قائم على ملكه عظيم ، لا يخفى عليه شيء ، ولا يشغله سمع عن سمع من جميع الخلائق في البر والجو والبحر ، في العالم العلوي ، والعالم السفلي .

يسمع جميع الأصوات على اختلاف اللغات ، وتعدد الحاجات ، ويجيب السوالات ، ويسمع الأصوات ، ويعلم ما في البر والجو والبحر : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

الله ﷻ عليم بكل شيء ، محيط بكل شيء ، قادر على كل شيء ، رقيب على كل شيء ، شهيد على كل شيء ، ولا يعجزه شيء : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

الله ﷻ حين خلق المخلوقات خيرها كلها في حمل الأمانة ، خير السماوات والأرض والجبال ، والإنس ، وجميع المخلوقات ، خيرها أن تتحمل الأمانة ، أمانة الدين ، فلما خيرها الله ﷻ اختار خلق منهم أن يكون مسخراً وهم ما سوى الجن والإنس، واختار خلق منهم أن يكون مخيراً وهم الجن والإنس .

فالله ﷻ خلق جميع الكائنات في العالم العلوي والعالم السفلي ثم خيرهم ، فمنها ما اختار أن يكون مسخراً ، خيار له ؛ وهم جميع المخلوقات إلا الإنس والجن ، وتلك المخلوقات اختارت أن تكون مسخرة ، تسبح بحمد ربها ، وتشاهد بوحدانيته ، مطيعة له جل وجلاله ، خاضعة لأمره ، مستجيبة لمشيئته : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

هذه المخلوقات الله خيرها، وخير الإنسان، لكن هذه المخلوقات اختارت أن تكون مسخرة مطيعة لربها ﷻ ولا خيار لها، وهؤلاء هم:

عالم الجماد.. وعالم النبات.. وعالم الحيوان.. وعالم الملائكة.

كل هؤلاء يسبحون بحمد ربهم، وكل قد علم صلاته وتسبيحه، هؤلاء اختاروا أن يكونوا مسخرين لا مخيرين: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١)﴾ [النور: ٤١].

ومن هذه المخلوقات ما هو مختار يفعل ما يشاء، وهم الثقلان الجن والإنس: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٣)﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

الله ﷻ لما خير هذا الإنسان ابتلاه بالأوامر الملكية، وبالشهوات الحيوانية، ابتلاه بالأوامر الشرعية الإلهية تحبها الروح، والشهوات الحيوانية تحبها النفس، والإنسان حسب المذكر.

إن وجد مذكراً مال إلى محبوبات الرب، وهي كل ما تحبه الروح؛ لأن الروح تأنس بذكر الله، وطاعته، وعبادته: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

وإن لم يوجد مذكر، عاش حياته غافلاً كالبهائم: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)﴾ [الكهف: ٢٨].

الذي يعيش في الجو الغافل تثقل عليه الطاعات، وتخف عليه المعاصي، والذي يعيش في الجو الذاكر تكون طاعاته شهوات، وتخف عليه العبادات والطاعات، وتثقل عليه المحرمات والمعاصي.

فالإنس والجن هؤلاء هم الذين تحملوا الأمانة ، وهؤلاء الذين أرسل الله إليهم رسله بالحق ، فمن اختار الحق دخل الجنة ، ومن اختار الباطل دخل النار : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وقد سخر الله ﷻ جميع ما في الكون للإنسان ، لما تحمل الأمانة الله سخر له هذه الكائنات ، فكلها في خدمته : ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠] .

فلابد ونحن في مجالس الذكر أن يحضر القلب ، ويحضر السمع ، وتكون في قلوبنا نية حب التعلم ، ونية العمل ، ونية نشر العلم ، ونفتح النية حتى الله ﷻ يعطينا على قدر النية ؛ لأن الله يعطي على النيات لا على العمل فقط كرمًا منه ، فإذا جاء العمل ازداد الأجر ، لكن الله يعطي على النيات قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**إِنَّمَا الأعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» متفق عليه[1] .

فهذه المخلوقات كلها مسخرة للإنسان تسخيرين ، تسخير تعريف لتؤمن ، وتسخير تكريم لتشكر : ﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧ ﴾ [النساء: ١٤٧] .

فالجماد هو أوسع المخلوقات خاضع وخادم لمن فوقه من النبات والحيوان والإنسان .

والنبات أقل من الجماد خاضع وخادم لمن فوقه من الحيوان والإنسان ، عالم النبات كله في خدمة الإنسان والحيوان ، والحيوان أقل من النبات خاضع وخادم لمن فوقه وهو الإنسان ، والإنسان خاضع وعابد لربه الذي خلقه ، فكل مخلوق يخضع ويطيع من هو أعلى منه ، من الجماد إلى الإنسان .

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم:١ ، واللفظ له ومسلم برقم: ١٩٠٧ .

فالله سخر كل شيء لهذا الإنسان الذي تحمل الأمانة : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية: ١٣].

فهذا الإنسان يجب أن يخضع لربه الذي خلقه ، ورزقه ، وهداه ، واجتباه ، وكرمه ، واصطفاه : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

والله ﷻ لا يريد منا في هذه الدنيا تكميل الشهوات ، بل يريد منا تكميل الصفات التي يحبها ، تكميل الإيمان ، تكميل الأعمال الصالحة ، تكميل الأخلاق العالية : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

الله يريد منا تكميل محبوباته في الدنيا ، والله ﷻ ملأ الدنيا بمحبوباته هو ، وملأ الآخرة بمحبوباتنا نحن ، فتأخذ من الشهوات المتاحة بقدر الحاجة ، ونعطي للدين بقدر الطاقة ، والله يكمل محبوباتنا في الآخرة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [المائدة: ٩] .

- **ففي الجنة يكرم الله المسلم بثمان كرامات :**

دخول الجنة.. والخلود فيها.. ورؤية الرب.. وسماع كلامه.. والقرب منه.. ورضوانه وسلامه على أوليائه.

ففي هذه الدنيا الله ﷻ يريد منا تكميل محبوباته ، محبوبات الرب ﷻ هي الدين الكامل ، بنياته ، وأخباره ، وأقواله ، وأعماله ، وأخلاقه ، فمن أكمل ما يحب الرب في الدنيا ، أكمل الله له ما يحب في الآخرة : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة/ ٣] .

- **وشُعب الدين خمس :**

إيمانيات.. عبادات.. معاملات.. معاشرات.. أخلاق .

هذه محبوبات الرب ، الله يريد منا أن نزين أنفسنا بهذه الصفات التي يحبها : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨] .

الله ﷻ يربينا بنعمه المادية التي هي : المطعومات ، والمشروبات ، والملبوسات ، والمسكونات، والمنكوحات، والمركوبات، وغير ذلك من النعم المادية المحسوسه .

ويربينا بنعمه الروحية وهي الدين ، فالله أمدنا بالنعم المادية وأمدنا بنعمة فوقها وهي نعمة الإسلام : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

فإذا اعترفنا لله بالربوبية ، وأنه هو الذي يربينا ، وليس لنا رب سواه ، هو الذي خلقنا وأمدنا بالأقوات ؛ فيجب علينا أن نمتثل أمره في العبودية ، وثمرة أعمالنا ، وطاعته ، وعبادته ، عائدة علينا : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦] .

فالله ﷻ كبير قبل أن نكبره ، ومحمود قبل أن نحمده ، وهو واحد قبل أن نوحده جل جلاله ، هو الغني عن كل ما سواه ، ونحن نعبد الله ﷻ ، لأنه هو الذي يستحق أن يعبد، ويستحق أن يكبر، ويستحق أن يطاع ، ويستحق أن يحمد ، أما هو فهو غني عن العالمين .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] .

فالله يريد منا أن نجتهد على أنفسنا وأن نجتهد على غيرنا ، ونأخذ من صفة القيومية أن نكون قائمين بالحق والعدل : ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [المائدة/ ٨] .

نكون قوامين فليس في الدين قعود بل هو قيام كله ، إما قيام بين يدي الرب بالعبادة حمدًا ، وشكرًا ، وتكبيرًا ، وتهليلًا ، وتعظيمًا ، واستغفاراً ، وذكراً ، ودعاءً .

أو قيام بين يدي خلقه بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧] .

الله ﷻ يحب أن يرانا في الصف الأول ، في صفوف الصلاة ، في الحج ، في العمرة ، في أبواب الطاعات ، في الدعوة إلى الله ، في العلم ، في أبواب الجهاد :
﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾
[الزمر: ١١ – ١٢] .

يريد منا أن نتصف بالصفات التي يحبها ، وأن تخرج منا المنافع لنا ولغيرنا ، فكل ما تخرج منه المنافع لغيره محبوب ، الشمس تجري في الكون ، وتتجول على الناس كل يوم ، ولا تأخذ أجرة وتخرج منها المنافع للخلق بالإنارة والحرارة .
والسُّحب تمشي في العالم ، وتنفع الناس بنزول المطر بأمر الله ﷻ ، فالناس يحبون السحب ، لماذا ؟ لأنها تخرج منها المنافع .
وكذلك الناس يحبون الأرض التي تنبت لهم من كل زوج بهيج بأمر الله ﷻ ، وتخرج منها المنافع ، وهكذا كل شجرة تخرج منافع محبوبة .
وهكذا الأنبياء نحبهم ؛ لأنهم تخرج منهم المنافع .
وكذلك الملائكة نحبهم ، لأنهم تخرج منهم الطاعات ، ويمتثلون أمر الله ﷻ ، ولا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ويستغفرون للذين آمنوا .
وكذلك نحن يجب علينا أن تخرج منا المنافع لأنفسنا ولغيرنا تخرج المنافع التي يحبها الله ، فالإنسان ماكينة أعمال ، كالشجرة ماكينة للثمار ، الحبة تخرج سبعمائة حبة ، الحبة تخرج سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ، والله قائم على هذه الحبة ، وقائم على هذه السنبلة وكل ما في هذه السنبلة من حي وميت ، وناضج وغير ناضج:
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢] .
والله ﷻ لا يخفى عليه شيء ، قائم على جميع المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، عالم الكواكب ، عالم الملائكة ، عالم الجن ، عالم الإنس ، عالم النباتات ، عالم النخيل ، عالم الفواكه ، عالم الزروع ، عالم الحيوانات في البر والجو والبحر ، عوالم لا يحصيها إلا الله ، هو قائم عليها جميعًا خلقاً وتدبيراً ورعاية:
﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ

فِي ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرعد: ٣٣] .

والله ﷻ خلق هذه المخلوقات العظيمة ليبين لنا عظمة قدرته ، نحن الآن عرفنا قوة الحديد فأصبحنا نخاف ممن يملك الحديد ، والحديد يقال أنه يشكل ثلاثين بالمائة من الأرض ، عرفنا قوة الحديد ، واجتهدنا على الحديد حتى استخرجنا من الحديد عدة صناعات ، لكن من هذه الصناعات ما يدمر الإنسان ، ويهلك الإنسان ، وأصبح الناس يتنافسون في صنع القنابل والصواريخ التي تهلك الحرث والنسل .

والله ﷻ لا يريد منا هذا ، إنما أراد أن نجتهد على الحديد ، ونخرج منه منافع كالسيارات ، والطائرات ، وغير ذلك من المصالح النافعة : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحديد: ٢٥] .

وإذا كنا قد عرفنا قوة الحديد ، وقوة الفولاذ ، وقوة الرصاص ، فمتى نعرف قوة الله ، وقدرة الله ، وعظمة الله ، وخزائن الله ، وملك الله ، وقيومية الله ﷻ ؟ متى نعرف أسماء الله وصفاته وأفعاله : ؟ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

إذا عرفنا هذه الأسماء والصفات امتلأ القلب بالإيمان وامتلأ بالنور ، ثم حرك الجوارح للطاعة ؛ فأصبح الإنسان يستأنس بربه ويستوحش من غيره ، وتظهر في حياته أعمال الأنبياء ، وأعمال الملائكة ، ثم يحيا قلبه ، وبتكرار النظر في الملك والملكوت ، وفي الآيات الكونية والشرعية يحيا القلب ، ويوجل القلب من ربه ﷻ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

فحياة القلب لها علامات ، من هذه العلامات ، وجل القلب من الله سبحانه ، وشدة خوفه منه ، وقوة توكله عليه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا

﴿تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

هذه علامات حياة القلب أنه يوجل ، ويتوكل على ربه ، ويخاف من ربه الملك العزيز الجبار ، الذي له ملك السماوات والأرض ، والذي يملك الرياح ، ويملك المياه ، ويملك النيران ، ويملك الجبال ، ويملك ما في السماوات وما في الأرض ، إذا عرف القلب هذا الإله العظيم ، والرب الكريم ، والملك القادر ، خافه ورجاه ، واستحى وخاف من معصيته : ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

- **ومن علامات حياة القلب :**

ما يحصل من قشعريرة في البدن ، ولين الجلود والقلوب عند سماع القرآن كما قال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر/ ٢٣] .

تأتي قشعريرة ، لأني أعرف أن هذا الكتاب عظيم ، والذي أنزله عظيم ، وعند العظيم كل ثواب عظيم .

فإذا عرفت العظيم ، آمنت بكتابه العظيم ، وامتثلت أمره العظيم ، ونلت ثوابه العظيم الذي يقول الله عنه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢] .

فتحصل من هذه المعارف العظيمة معرفة الله ، ومعرفة أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ووعيده ؛ ثم تحصل في البدن هذه القشعريرة ، وتلين الجلود

والقلوب عند سماع القرآن ، وتصدق أخباره ، وتمتثل أوامره : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩] .

فمن جاء عنده اليقين على ربه ، جاء عنده اليقين على كتابه ، وجاء عنده اليقين على وعده ووعيده ، فإذا جاء هذا اليقين عند المؤمن قدَّم الدين على الدنيا ، وقدَّم الآخرة على الدنيا ، وقدم طاعات الرب على محبوبات النفس : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

ومن علامات حياة القلب حتى ينطلق في جهتين ، في ميدان نفسه وفي ميدان غيره ، خشوع القلب عند ذكر الله سبحانه كما قال سبحانه : ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد/ ١٦] .

لابد أن نجلس في حلق الذكر ، حلق الذكر هذه تفيد المسلم فتقوي إيمانه ، وتعرفه بأركان الإيمان ، وتملأه بالتوحيد والإيمان ، وتكبير الله وتعظيمه ، وحب الله ، وخوفه ورجاؤه : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨] .

- **ففي الجو الإيماني نستفيد خمسة أمور :**

نتعلم الدين.. ونعمل بالدين.. ونثبت على الدين.. ونترقى في الدين.. وندعو إلى الدين : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١] .

نتحصل على خمس ثمرات في بيئة الذكر ، بيئة الذكر بيئة معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، بيئة مذاكرة أركان الإيمان السنة ، وبيئة العلم والتعلم ، تعلم أحكام الشريعة ، والعمل بها ، وتعليمها للناس .

فالعمل بالدين هو العبادة ، ونشر الدين هو الدعوة .

• **فالدين له ركنان :**

عبادة الحق.. والإحسان إلى الخلق .

فعبادة الحق : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة/ ٤٣] .

والإحسان إلى الخلق : ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة/ ٤٣] .

• **ومن علامات حياة القلب :**

الإذعان للحق جل جلاله ، والإخبات له كما قال سبحانه : ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج/ ٥٤] .

فالله ﷻ أمرنا أن نتفكر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، والنظر إليها نظرة تدبر وتفكر ؛ حتى نعرف من الخالق ؟ من القادر ؟ من القاهر ؟ من المحيط بكل محيط ؟ من الواحد الأحد الذي بيده كل أحد ؟ ، من الغني عن كل أحد ؟ ، والذي هو أحد صمد ولم يكن لم كفوًا أحد ؟، ننظر في الملك والملكوت : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢] .

الأوامر الملكية تتنزل على الخلق ، أوامر بالليل والنهار ، وأوامر بالحر والبرد ، وأوامر بالبسط والقبض ، وأوامر بالأمن والخوف ، وأوامر بالحياة والموت .

ولماذا هذه الأوامر: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢] .

وإذا عرفتم ذلك وعبدتموه بالتعظيم له ، والحب له ، والذل له ، بالتعظيم له لأنه رب السماوات والأرض .

وهو ملك السماوات والأرض : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠] .

وبالحب لأن ما في السماوات والأرض من النعم منه جل جلاله : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣] .

وقد جُبل الناس على حب من أحسن إليهم ، ولا أحد أحسن إلى الخلق من الله ﷻ ، أحسن خلقهم ، وأمدهم بالأقوات ، وهداهم إلى الصراط المستقيم ، وأعانهم على الطاعة ، وحببها إليهم ، وضاعف لهم الأجر ، واستضافهم في بطن الأم ، واستضافهم في بطن الدنيا ، ويستضيفهم في القبر ، ثم يستضيفهم في دار القرار ، في الجنة أو النار ، فهو ملك عظيم ، وله رسل ، وله أوامر ملكية ، وأوامر شرعية :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

فهذا الإنسان الذي هيأ الله له الأرض ليسكنها ، والطعام ليأكله ، واللباس ليلبسه ، وأرسل إليه الرسل ، وأنزل عليه الكتب ، وزوده بالسمع والبصر والعقل ، ليعرف معبوده وفاطره ، فيتصل به يتصل بالعلي الأعلى جل جلاله .

لا يأخذ نظام حياته ومنهج حياته ممن هو دونه كالأصنام ، ولا ممن هو مثله من البشر ، ولا يعبد من هو أعلى منه من المخلوقات ، بل يأخذها من العلي الأعلى ؛ ويعبد العلي الأعلى ، لأن الله يريد من هذا المخلوق أن يكون عاليًا بإيمانه وأخلاقه :

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩] .

ومن عرف ربه حقاً آمن به ، ووجل قلبه منه ، واستقام على دينه ، وأخبت إلى ربه :

﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج: ٣٤ – ٣٥].

هذا الإنسان الله ﷻ احتفى به ، وكرمه ، وشرفه ، فلما خلق الله ﷻ آدم أمر الملائكة بالسجود له ، فالملائكة سجدوا لأنهم نظروا إلى الآمر من هو ، فلما علموا أن الآمر هو الله سجدوا بغض النظر عن المسجود له ، أما إبليس فلم يسجد ، لأنه نظر إلى المأمور بالسجود له وهو آدم ، فحسده ، وأبى ، واستكبر : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤] .

فنحن لابد أن نملأ القلب بالإيمان ، حتى يعرف المعبود ، وحتى يقوم على نفسه ، ويأخذ حظه من اسم الله القيوم ، فيقوم على نفسه بالعبادة ، ويقوم على غيره بالدعوة ، ونعرف هذا من سنة النبي ﷺ : ﴿ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [المائدة/ ٨] .

ليس في الدين قعود ، كل الدين قيام ، وقد نهينا عن القعود ، فلا تقعدوا مع القاعدين ، فالإنسان آلة أعمال ، أعمال توصل إلى رضوان الله والجنة ، أو أعمال سيئة توصل إلى سخط الله والنار ، فالشجرة آلة للثمار والشمس مخلوقة للإنارة ، والسحب آلة للمياه ، كذلك الإنسان مخلوق للأعمال : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت: ٤٦] .

وفي كل إنسان مصرفان ، مصرف للطاعة ، ومصرف للمعصية ، إن وجد المذكر مال إلى الطاعة ، وأعانه ربه جل جلاله ، وأن لم يوجد المذكر وقع في الغفلة ، وإذا غفل الإنسان صاده الشيطان ، كما أن الطير لا يصيده الصياد إلا عند غفلته ، فلا يصاد طير إلا بغفلته ، متى يصيد الشيطان هذا الإنسان ؟ .

يصيده إذا غفل عن ربه ، وعن أوامره ، وعن اليوم الآخر : ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧] .

هذه الجهات الأربع يقعد عليها الشيطان ، متى ما غفل المسلم صاده ، لكنه لا يقرب الجهة العلوية ؛ لأنها مكان الدعاء ، والجهة السفلية ، لأنها مكان السجود .

إذا اتصل هذا العبد بربه العلي الأعلى فالله ﷻ يحفظه ، ولا يستطيع الشيطان الحضور معه في هاتين الجهتين عند السجود ولا في جهة العلو ، وله الجهات الأربع يجتهد على الإنسان من خلالها .

ومن علامات حياة القلب :

كثرة الإنابة إلى الله كما قال سبحانه : ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق/ ٣٣] .

فهو منيب إلى ربه ، يعرف الكبير فيكبره ، ويعرف العظيم فيعظمه ، ويعرف الكريم فيحمده ، ويعرف المحسن فيتقرب إليه ويحبه ، لما له من الفضائل والإنعام والإحسان ، فهو ينيب إلى ربه .

بالتذكير يخرج الإنسان من جو الغفلة إلى جو الذكر ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الظلام إلى النور ولهذا كفار مكة كانوا في الغفلة ، كانوا معرضين عن دين الله ، فالنبي ﷺ اجتهد على أمة في أسفل سافلين ، كانوا في ظلمات الكفر والشرك ، والجهل والسفه ، والظلم والعدوان : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢].

كانوا شر أمة يعبدون الأصنام ، والأحجار ، وجهل ، وخلاف ، وفرقة ، كانوا شر أمة فاجتهد عليهم حتى صاروا خير أمة .

نقلهم بفضل الله من الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الفرقة إلى الاجتماع ، ومن الظلم إلى العدل ، كانوا يرون الذي لا يظلم أن هذا لا قيمة له .

فنقلهم من هذه الصفات السيئة إلى الصفات العالية بجهده ﷺ وجهد الصحابة : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

ولهذا النبي ﷺ علم الأمة أصول الدعوة قبل أحكام الدين ؛ لأن الدعوة أعلى شيء : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

لأن هذه الأمة مبعوثة كالأنبياء قال النبي ﷺ : «**إِنَّما بُعِثْتُمْ مُيَسْرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**» متفق عليه[1] .

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٢٢٠ ، وأخرجه مسلم برقم: ١٠٧٦ .

فهذه الأمة لها وظيفتان : وظيفة العبادة ، ووظيفة الدعوة : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

فلابد أن يجتهد المؤمن على غير المؤمن ، ليكون مؤمناً ، ويجتهد الصالح على الفاسد ليكون صالحاً ، لتخرج البشرية من الظلمات إلى النور ، ومن الباطل إلى الحق ، ومن عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق وحده : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

وقد تعلم النبي ﷺ من ربه العلم الإلهي ، وهو أمي ؛ لأن علومه كلها علوية ، ما أخذها من مخلوق ، علومه كلها إلهية ، فالأمية في النبي ﷺ صفة كمال ، والأمية فينا صفة نقص : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

والله أمرنا أن نكون ربانيين ، نتعلم علوم الرب ، ونعمل بها ، ونعلمها : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

فالله ﷻ بعث محمداً ﷺ ليقوم بالدعوة ، ويقوم بالعبادة ، فقام على قريش ، وعلى جهلة العرب ، فدعاهم إلى الله ، فآمنوا به ، حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً .

وكل القرآن يبين هذا ، فالله ﷻ تولى بيان أصول الدعوة في القرآن وفصلها ؛ لأننا أمة دعوة ، فنبينا آخر الأنبياء ، ونحن آخر الأمم : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

أما أحكام الشريعة ففصلها النبي ﷺ ، آيات الأحكام في القرآن تقريبًا خمسمائة آية ، لأن القرآن ستة آلاف ومئتان وستة وثلاثون آية ، منها خمسمائة في الأحكام ، والباقي كله في التوحيد والإيمان ، والرسالة ، والنبوة ، والدعوة ، وأحوال يوم القيامة .

والله ﷻ يذكر النبي ﷺ بحياة الأنبياء ، ليقتدي بهم هو وأمته في جهد الدعوة إلى التوحيد والإيمان : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

فأمر الله سبحانه بذكر حياة الأنبياء فقال : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحقاف/ ٢١] .

وقال : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم/ ٤١] .

وقال : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم/ ٥٤] .

وقال : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ [مريم/ ٥١] .

والله أمرنا أن نسير على سيرة الأنبياء ، لنقوم على البشرية بالإصلاح والدعوة والتعليم ، ما أمرنا أن ننظر في حياة الملوك والرؤساء والحكام ، ولا أمرنا أن ننظر في حياة الأغنياء ؛ لأن النظر في حياة الرؤساء تعلق الإنسان بالمناصب والجاه ، والنظر في حياة الأغنياء تعلق الإنسان بالشهوات ، وتكميل المحبوبات من المطعومات والمشروبات والمركوبات والملبوسات والمنكوحات ، بل أمرنا أن نذكر حياة الأنبياء ، ونعمل عمل الأنبياء .

- **وحياة الأنبياء والرسل مجموعة في أربع صفات :**

الدعوة إلى الله.. وعبادة الله.. وتعليم شرع الله.. والتحلي بمكارم الأخلاق .

وهذه الأمة ، لأنها أفضل الأمم كرمها الله بما كرم به الأنبياء ، من الدعوة ، وعبادة الله ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

وقال ﷻ : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

وقال ﷻ : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

وهذه الأمة أمرت كذلك ، فما أمر الله ﷻ النبي ﷺ بشيء إلا أمر أمته كذلك : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

وقال ﷻ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٥] .

فما ذُكر النبي ﷺ إلا وذكرت أمته معه ، أما الأنبياء السابقون فكلهم يذكرون لوحدهم ؛ لأن هذه الأمة مبعوثة ، فالدعوة أعلى شيء ، والنزول من أعلى شيء في المجاهدة لما هو دونه سهل ، الله ﷻ ربى النبي ﷺ ، والنبي ﷺ ربى الأمة على تعلم الدعوة في مكة ثلاثة عشر عامًا .

فلما تعلموا الدعوة ، دعا أبو بكر وجاء بستة من العشرة المبشرين بالجنة ، وتعلمت الدعوة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، ودعت إلى الله ﷻ ، وفاطمة بنت الخطاب ، وغيرهم من الدعاة إلى الله ، في بداية الدعوة في مكة .

فليس هناك فريضة تزاحم فريضة الدعوة في مكة ، ليس في مكة إلا فريضة الدعوة ، ففي مكة كان الكلام على التوحيد والإيمان ، وعلى الفضائل ، وعلى الأخلاق العالية التي هي أواني للدعوة .

فهذه الأمة تعلمت أصول الدعوة قبل تعلم الأحكام ، ثم لما امتلأ القلب بالإيمان ، وشعر الصحابة بالمسؤولية ، تركوا كل شيء من أجل نشر الدين .

ثم في المدينة بعد الهجرة نزلت الأوامر والأحكام الشرعية كالمطر ، أوامر الصلاة ، أوامر الزكاة ، أوامر الصوم ، أوامر الحج ، أوامر الجهاد وغيرها ، كلها نزلت كالمطر في المدينة ، فاستقبلتها قلوب مؤمنة بالله ، ترجوا ثوابه ، وتخاف عقابه ، فأنبتت وأخرجت ما شاء الله رجالا ونساء كانوا هم القرن الأول ، هم خير القرون .

قال النبي ﷺ : «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» متفق عليه[1] .

هؤلاء خيار الناس ، لأن الذي رباهم هو النبي ﷺ : ﴿**وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾**﴾ [التوبة: ١٠٠].

وهكذا نحن إذا امتلأت قلوبنا بالإيمان جاء فيها الحب لله ، والرغبة في طاعته ، وتلذذنا بالطاعات أعظم مما نتلذذ بالمأكولات والمشروبات ، وصار فكرنا فكر النبي ﷺ ، وأعمالنا أعماله ، وأقوالنا أقواله ، وأخلاقنا أخلاقه ، وأيامنا كأيامه ، وليالينا كلياليه : ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾**﴾[الأحزاب/ ٢١] .

- **ومن علامات حياة القلب :**

السكينة.. والوقار ، كما قال سبحانه : ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾**﴾[الفتح/ ٤] .

- **ومن علامات حياة القلب :**

خفقان القلب بحب المؤمنين ، لأنه يأنس بهم ، لأنهم يوحدون الله ، ويذكرون الله ، فيحب من يعظم الله : ﴿**وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾**﴾ [الحشر/ ١٠] .

- **ومن علامات حياة القلب :**

سلامة القلب من الأحقاد كما قال سبحانه : ﴿**وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾**﴾[آل عمران/ ١٠٣] .

وإذا مات القلب تعطلت جوارح هذا الإنسان عن الطاعة والعبادة ، ولم يؤد حق الله من الطاعة والعبودية ، ولم يعمل بكتاب ربه ، ولا بسنة رسوله ﷺ ، وعادى الرحمن ،

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم:٢٦٥٢ ، وأخرجه مسلم برقم: ٢٥٣٣ .

ووالى الشيطان، واشتغل بالمعاصي والسيئات، عن الطاعات والحسنات: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣].

• ومحركات القلوب إلى الله ﷻ ثلاثة:

المحبة.. والخوف.. والرجاء.

الأولى: المحبة، فالمحبة أقوى المحركات إلى، ويحركها في القلب كثرة ذكر المحبوب وهو الله ﷻ، ومطالعة آلائه ونعمائه، فالله ﷻ ملأ الكون بنعمه، ومطالعة آيات الوعد بكل خير وفضل، وذكر الجنة ونعيمها.

فيسير هذا العبد بهذه المحبة إلى محبوبه الذي يرى كل نعمة منه، ويتقرب إليه بما أعطاه من النعم بالعبوديات الثلاث.

فلسانه ينطق بالذكر والحمد والشكر والدعاء والدعوة، وجوارحه تعمل بالطاعات، وقلبه يخشع لربه، وينكسر بين يديه، ويتوكل عليه، ويحبه، ويرجوه، ويخافه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ - ١٧].

الثاني: الخوف من الله، فالله ﷻ أمرنا بعبودية عظيمة، وهي عبودية الخوف منه: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٧٥].

نخاف القوي الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال العظيمة فنخاف منه، ونخاف من عقوبته، ونخاف من عذابه؛ لأن عذابه أليم، وعذابه عظيم، وعذابه كبير، وعذابه مهين، وعذابه شديد، فلابد أن نخافه وإذا خفناه اجتنبنا معصيته، وأقبلنا على طاعته: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾
[النحل: ٤٩ – ٥٠] .

والخوف المقصود منه المنع والزجر عن الخروج عن الطريق المستقيم ، وعن الصراط المستقيم ، ما الذي يحرك الخوف في القلب ؟.

يحركه مطالعة آيات الوعيد والزجر ، والعرض ، والحساب ، والنار وأهوالها ، والعقوبات التي حلت بالمجرمين والمذنبين من الخسف ، والغرق ، والصيحة ، والرمي بالحجارة : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠] .

الله ﷻ أرانا من قدرته ، وعظمته ، وشدة انتقامه ، وأمرنا بأن نتعرف على ذاته وأفعاله، لنخافه ونرجوه : ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾
[المائدة/ ٩٨] .

الثالث : من محركات القلوب إلى الله الرجاء ، والرجاء يقود الإنسان إلى الصراط المستقيم ، يحرك الرجاء في قلب المسلم مطالعة الكرم من الرب ، والإحسان ، والحلم ، والعفو ، والعطاء ، والمن ، وغير ذلك من صفات الجمال .

وقلوب العباد كلها بيد الله ﷻ القلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء ، فمن أقبل على الله أقبل الله بقلوب عباده إليه ، وأعانه على طاعته ، أقبل بقلوب عباده إليه فأحبوه ، ومن أعرض عن الله صرف الله قلوب عباده عنه كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦] .

وكل شيء له مفتاح ، وأعظم المفاتيح مفاتيح القلوب ، فإذا انفتح القلب سار على صراط مستقيم .

فلابد من الجهد على فتح هذا القلب ، القلب له مفتاح إذا انفتح هذا القلب امتلأ بالإيمان ، وحب الله ، وخوفه ، ورجائه ، وحرك الجوارح بكل طاعة وقربة .

ومفتاحه النظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات القرآنية ، فإذا انفتح القلب ، وحل فيه الإيمان خرج الشرك والكفر والنفاق ، واهتم هذا الإنسان بالآخرة ، وأعرض عن الدنيا ، وتأهب للقدوم على ربه ﷻ .

فهذه أول فتوح القلب وحياته : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

ثم يتحرك قلب هذا العبد لمعرفة ما يرضي ربه منه ، فيفعله ويتقرب به إليه ، وينبعث لمعرفة ما يسخط ربه ﷻ ويجتنبه ، فإذا تمكن العبد في ذلك فآمن بالله ﷻ ، وعرف ما يحبه الله ففعله ، وعرف ما يسخطه فاجتنبه ، يفتح الله له باب الأنس به في الخلوة ، ومحبة الأماكن الخالية التي تهدأ فيها الأصوات والحركات ، فلا شيء أحب إليه من ذلك ، لماذا ؟ .

لأنها تجتمع فيها قوى قلبه وإرادته ، وإقباله على ربه ، وتسد عليه الأبواب التي تفرق همه ، وتمزق شمله ، ولهذا النبي ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ، فقيل له : إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : « **أفلا أحبُّ أن أكونَ عبدًا شكُورًا**» متفق عليه [1] .

ثم يفتح الله لهذا العبد باب حلاوة العبادة ، بحيث لا يكاد يشبع منها ، فتكون الطاعات والعبادات شهوات له ، ويجد فيها من اللذة والراحة أضعاف ما يجد في لذة اللهو واللعب ، ونيل الشهوات : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩] .

ثم يفتح الله له باب حلاوة استماع كلام الله فلا يشبع منه ، كلام الله عظيم يؤثر في الكفار ، يؤثر في النباتات ، يؤثر في الحيوان ، يؤثر في جميع المخلوقات ، هذه المخلوقات كلهم عبيد ، ولها سمع ، ولها بصر ، وتعقل ، وتعلم ، وتعبد ربها ولكن

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٤٨٣٧، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٨١٩ .

لا يعلم بحقيقة ذلك إلا الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور/ ٤١] .

فيتلذذ هذا العبد بسماع كلام الله ﷻ ، لأنه يسمع عن ربه ، عن عظمته وكبريائه ، ويسمع عن نعمه وإحسانه ، ويسمع عن خلقه للمخلوقات ، ويسمع أخباره وأوامره ، ويسمع عن وعده ووعيده ، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨] .

ثم يفتح الله له باب شهود عظمة المتكلم به ، وجلاله ، وجماله ، وكمال أسمائه وصفاته ، ومعاني خطابه ، بحيث يستغرق قلبه في كل ذلك : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩] .

ثم يفتح الله له باب الحياء من الله ﷻ ، وهو أول شواهد المعرفة ، وهو نور يقع في القلب ، يرى به العبد أنه يسكن في أرض الله ، ويأكل من نعم الله ، ويخالف أمر الله ، ويعصي الله ، ويعرض عن طاعته ، فيأخذه الحياء من ربه الذي أنعم عليه بكل نعمة .

يريه ذلك النور أنه واقف بين يدي ربه ﷻ ، فيستحي منه في خلوته وجلوته ، فينشأ عن ذلك دوام المراقبة لربه الرقيب على كل شيء ، الشهيد على كل شيء ، ودوام مناجاة الله وعبادته كأنه يراه ، ودوام التطلع إلى ربه ، كأنه يراه ويشاهده فوق سماوته ملكًا عظيمًا ، رؤوفًا رحيمًا ، قويا عزيزاً ، غنياً كريماً ، مستويًا على عرشه ، ناظرًا إلى خلقه ، سامعًا لأصواتهم ، مُطلعًا على حركاتهم جل جلاله : ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

ثم يفتح الله لهذا العبد باب الشعور بمشهد القيومية ، وهذه أعلى الدرجات ، يفتح له الفتاح باب الشعور بمشهد القيومية ، فيرى ربه القائم على جميع الكائنات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، ويرى التقلبات الكونية من ليل ونهار ، وحر وبرد ، وأمن وخوف ، وحياة وموت ، وخلق وتدبير ، وتصريف وتقليب ، يرى ذلك كله بيده سبحانه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن

تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧] .

يرى الله ﷻ قائم على الملك والملكوت ، يدبر الكائنات ، ويخلق الخلائق ، ويسوق أقواتهم ، وهو رقيب على كل مخلوق ، وشهيد لكل ذرة في ملكه .

فهذا المشهد ، وهذه الرقابة ، تجعله يرى ربه العظيم هو مالك النفع والضر وحده ، وهو الذي بيده الخلق والأمر كله ، وهو الذي من عنده الأرزاق كلها ، فإذا آمن بالله الرازق علم أن الرزق من عنده ، وإذا آمن بربه القوي توكل عليه ، وإذا آمن بربه الغني سأله وهكذا .

ويأتيه الحياء من ربه ﷻ ، ويرى ربه أنه هو الذي يحيي ويميت ، ويعز ويذل ، فيتخذه وحده وكيلاً ، ويرضى به ربًا ومدبرًا : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢] .

وعند ذلك إذا وقع نظره على شيء من المخلوقات دله على خالقه وبارئه ، فيخترق المخلوقات إلى خالقها ، ويخترق الصور إلى مصورها ، ويتجاوز الدنيا إلى الآخرة ، ثم يفر من خلقه إليه ، فيمتثل أوامره سواء كان بين يديه في العبادة ، أو كان بين يديه خلقه في الدعوة ، والتعليم ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

فكلما سار العبد في هذه الطرق ، ودخل من هذه الأبواب ، زادت الهداية في قلبه ، فامتلأ قلبه بالنور ، وزاد نور الإيمان في قلبه ، وانشرح صدره ، واتسع لجميع الطاعات ، ووجد اللذة في طاعة مولاه ؛ فهو يدعو الله ، وإذا انصرف من عبادة الله توجه إلى خلق الله ، ودعاهم إلى ربهم المستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

وهكذا يظل العبد في هذه الأبواب ، يدخل كل يوم من باب إلى باب ، ومن درجة إلى درجة ، وتنفتح في قلبه أبواب العلم والعمل فلا تراه إلا واقفا بين يدي ربه بالعبادة ، وبين يدي خلقه بالدعوة ، أو التعليم ، أو الإحسان : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

فالله ﷻ حقه أن نعبده ، ونطيعه ، ونمتثل أمره ، فمن حق ربنا ﷻ أن نعبده ونطيعه بالمحبة والتعظيم والذل له ، لابد أن نتعرف على أسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، وأفعاله الحميدة .

ونبصر القائم على كل نفس بنور البصيرة ، بنور القلب ، العين ترى المحسوسات التي تدل على الخالق ، والبصيرة ترى الملك العظيم ، مستوٍ على عرشه بصفة الرحمة ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، ويعطي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويفعل ما يشاء جل جلاله : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

ويري الرب القائم على هذا الكون العظيم ، الذي قام كل شيء به ، ويرى الحي القيوم الذي لا ينام أبدا جل جلاله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٢] .

وإذا عرف القلب ذلك قام بين يدي ربه خاشعًا ذليلًا ، مكبراً له ، حامداً له ، ممتثلا لأوامره بالمحبة ، والتعظيم ، والذل لربه ، وقضى أوقاته في طاعته .

فالوقت ملك لله ، والمكان لله ، والزمان لله ، والإنسان لله ، بل لله ما في السماوات وما في الأرض ، فلا يتصرف في الوقت ، ولا في المكان ، ولا في الجوارح ، ولا في القلوب ، إلا وفق ما يرضي ربه : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١ – ١٦٣] .

الله ﷻ أعطانا الخيار أن نطيعه أو نعصيه ، أن نؤمن أو نكفر ، ورغب في الإيمان والطاعات ، وحذر من الكفر والمعاصي فالمؤمن لا يجوز له أن يصرف ثانية واحدة

في غير باب الهدى ، يجب عليه أن يجتنب باب الهوى ، لأن مقابل باب الهدى باب الهوى ، والهدى يهدينا إلى ربنا وإلى مرضاته وإلى سبل محابة ، وإلى رضوانه وإلى الجنة ، أما الهوى فيهوي بالإنسان من العلو إلى السفل ، ومن الطاعات إلى المعاصي ، ومن الحق إلى الباطل : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠] .

لا ريب أن المعرفة تولد حب الله ، وتعظيم الله ، والإيمان بالله ، وعبادة الله ، وطاعة الله ، وتجعل العبد يحرك لسانه بذكره ، وجوارحه بعبادته ، وقلبه بالخشوع له ، والتوكل عليه ، ومحبته : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩] .

ولهذا أولوا الألباب هم الذين إذا نظروا في ملكوت السماوات والأرض ذكروا الله ﷻ ، فرأوا فعل الرب في الكون ، فخشعت له قلوبهم ، وتصاغرت لكبريائه نفوسهم: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١] .

هذا فعل الرب ، هذا عطاء الربوبية ، عطاء الألوهية الله منّ علينا بالدين الحق ، فقال لهذه القلوب التي آمنت بربها ، إذا رأوا هذا الملك العظيم ، وهذا الملك والملكوت قال عنهم : هؤلاء هم أولوا الألباب ، الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ثم يعبدون ربهم بموجب هذه المعرفة .

ولذا نحرص على قراءة القرآن ، وقراءة هذه الآيات بتلاوتها أجور ، ولكنها تنقطع ، بفهمها وتدبرها أجور ، ولكن الفهم لا يكفي ؛ بل لابد من التعبد بتلاوتها ، بأن نتفكر وننظر في عمل الأنبياء ، نعمل كعمل الأنبياء ، ونقتدي بنبينا ﷺ في جميع

أحواله : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

نقتدي به ﷺ في خمسة أمور شاملة لحياته : في نيته ، وتوحيده ، وإيمانه ، وأقواله ، وأعماله ، وأخلاقه : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فأكمل الناس حياة هم الأنبياء ، وأكملهم سيدهم محمد ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

وأعلى الأخلاق أن تؤمن بربك الذي خلقك ، وتعبد ربك الذي رزقك : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء: ١٢٥].

وأعلى الأخلاق مع البشر أن تصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتحسن إلى من أساء إليك : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٤-٣٥] .

فلابد للمسلم حتى يقوم بين يدي ربه بالمحبة ، والتعظيم ، والذل لربه ، حتى يقوم بين يدي ربه بالعبادة ، ويقوم بين يدي خلقه بالدعوة ؛ لابد أن يكون عنده معارف ، هذه المعارف أعلاها أن يعلم أنه لا إله إلا الله ، ويعرف ربه المعبود ، ويعرف ماذا يجب له .

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩] .

المعرفة هذه شيء غالي وعالي ، وهي أساس الدين كله ، وعليها تبنى أعمال القلوب والجوارح : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ

﴿٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

كل ذرة في الكون تسبح بحمد ربها ، عابدة لمن خلقها ، خاضعة لكبريائه ، وشاهدة بوحدانيته ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم: ٩٣ – ٩٥] .

لكن العبيد غير العباد ، العبيد هم جميع المخلوقات ، لهم عبودية القهر ، الله خلقني بهذا الطول ، وبهذا اللون ، وبهذا الجنس ، وخلق السماوات والأرض ، وجميع المخلوقات ، وقهر الكل على ما أراد ، خلقهم كيف شاء ، متى شاء ، على أي صفة شاء ، هؤلاء عبيد خاضعون للملك الحق ، فكل ما سوى الله عبد له ، لكن هذا الإنسان مخير ، إما أن يؤمن أو يكفر ، فالله أرسل الأنبياء والرسل ، حتى يدعو الناس إلى عبادة الله ، وليكونوا كما خضعوا لكونهم عبيد له في أشكالهم ، وألوانهم ، وأجناسهم فلابد أن يخضعوا له ليكونوا عبيداً له ، فيؤمنوا به ، ويعبدوه وحده لا شريك له : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر/ ١٧–١٨] .

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان/ ٦٣] .

فالمؤثر واحد وهو القرآن ، لكن القابل مختلف ، من الناس من يسمع القرآن فيؤمن ، ومنهم من يسمع القرآن فيكفر ، فلابد من الجهد على هذا الكافر ، لعله يهتدي : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [السجدة: ٣] .

نحن لا نعلم هل هذا الكافر يهتدي أو لا يهتدي ، فالوحي كالغيث الذي ينزل من السماء على الأرض ، منها ما ينبت ، ومنها ما لا ينبت ، لكن أكثرها ينبت .

فلابد من الجهد على الذي لا ينبت حتى ينبت ، فنحن لابد أن نجتهد على الخلق بالدعوة ، وهذا أحسن شيء وأعظم شيء : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣] .

ونرغب إلى ربنا ﷻ بحسن الطاعة ، ودوام العبادة ؛ وخشية الله في السر والعلن ، لننال الأجر الكبير من ربنا ﷻ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

فالله ﷻ كل مخلوق له عابد ، ولعزته خاضع ، ولرحمته راجي ، ولإحسانه محتاج : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] .

لكن نحن يجب علينا أن نجتهد على العبيد ، ليكونوا عباداً لمن خلقهم ورزقهم ، كما أخذوا عطاء الربوبية من ربهم ، بأن خلقهم الله ، وساق لهم أقواتهم ، وأمدهم بالنعم ، فكذلك لابد أن يستقبلوا أوامره الإلهية فيطيعوه ؛ لأنه الملك الذي يريد لهم أحسن حياة ولأن عنده خزائن كل شيء ، وبيده كل شيء ، فإذا عرفنا عطاء الربوبية ، هان علينا امتثال أوامر الألوهية : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فالله ﷻ خلق هذا الإنسان للبقاء ولم يخلقه للفناء ، وإنما ينقل هذا الإنسان من دار إلى دار ليعمل ثم يجازى بعمله ، ثم يستقر في دار القرار ، بحسب ما عمل في هذه الدنيا ، في الجنة أو في النار : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم/ ١٤-١٦] .

فهذا الإنسان خلقه الله ليعمل ، فإما أن يكون أداة أعمال صالحة ، أو أداة أعمال سيئة ، وكل شيء مكتوب ، وكل شيء سوف يحاسب عليه الإنسان يوم القيامة ؛ لأن هذا الإنسان خلقه الله ليبقى ، ليعطيه الله ﷻ صفة الحياة الأبدية ، ففي الجنة خلود بلا موت ، ونعيم بلا بؤس ، وسلام بلا أمراض ، وشباب بلا هرم ، الله يعطينا يوم القيامة من صفاته الحياة الأبدية : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ

ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة: ٧ – ٨] .

وإذا عرفنا أن الله ﷻ هو الحي القيوم ، وإليه تنتهي الأمور ، وعنده خزائن الأجور ؛ فلنعمل له بكل جهد ، ولا نستبقي باقية في العمل له بطاعته سواء كان ذلك على أنفسنا أو على غيرنا : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

ونحن موعودون على ذلك بالبقاء الكريم الذي لا فناء بعده ، واللقاء الكريم الذي لا عز بعده ، والرضوان العظيم الذي لا سخط بعده : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة/ ٧٢] .

وقد أهَّلنا ربنا ﷻ لأمر عظيم ، ومقام كريم ، وملك لا يفنى ، إن أطعناه ، وعملنا بما يحب كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

فلنرضي ربنا ﷻ بدوام ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، فإنه ﷻ وعدنا بأن يرضينا ويسترضينا : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الروم/ ٦] .

وإذا رغب الإنسان عن ربه ، وجعله وراء ظهره ، فلا شك أنه سيبقى في عذاب أليم لا يبيد ولا يفنى ، ولا يموت فيه الإنسان ولا يحيى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾ [طه: ٧٤] .

وتيقن أيها المسلم أن الخلود في الجنة العالية خير من الخلود في النار الحامية ، والبقاء غدًا في النعيم المقيم خير من البقاء في العذاب الأليم : ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر/ ٢٠] .

والبقاء في جوار الرحمن ورضوانه ، خير من البقاء في النار وسخط الرب سبحانه ، وشتان بين الدارين والمقامين : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟

﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾[السجدة/ ١٨-٢٠] .

فلابد أن يكون لنا حظ من اسم القيوم ، فنقوم على أنفسنا بالاستقامة ، ونحملها على طاعة الله ، واجتناب معصية الله ، ونقوم كذلك على غيرنا بالدعوة إلى الله ، والإحسان إليهم .

والجهد على النفس ، والجهد على الغير أقسام :

الجهد على النفس بخمسة أمور ، والجهد على الغير كذلك بخمسة أمور :

الأول: الجهد على النفس :

أن يجتهد الإنسان على نفسه بفعل الطاعات ، واجتناب المعاصي ، وحمد الله على النعم ، واستغفاره من الذنوب ، والصبر على البلاء ، فهذه خمسة أمور هي تاج الاستقامة .

هذه العبودية الخاصة بالنفس ، جهد على النفس بالاستقامة : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[العصر/ ١-٣] .

وجهد على الغير : ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر/ ٣] .

لأن الحق ثقيل على النفوس عملاً وإبلاغا ، فلابد من الصبر ، صبر على الطاعات ، وصبر عن المعاصي وصبر على الأقدار المؤلمة ، لابد من الصبر على هذه الأمور ، وفي مقدمة الصابرين الأنبياء والرسل وفي مقدمتهم محمد ﷺ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[آل عمران: ٢٠٠] .

فهذا الجهد على النفس طاعات أؤديها ، معاصي أجتنبها ، ذنوب أستغفر الله منها ، نِعَم أشكر الله عليها ، ابتلاءات أصبر عليها ، هذه الأمور تكون فيما بين العبد وبين ربه : ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١-١٢] .

فبذل الجهد من أجل إصلاح النفس ، وبذل الجهد من أجل إصلاح الغير ، نفعه عائد على من قام به : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

الثاني : الجهد على الغير بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة لكل مسلم ، وتعلم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

- **والجهد على الغير ثلاثة أقسام :**

القسم الأول : جهد على الكافر لعله يهتدي : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [السجدة/ ٣] .

جهد على الكافر لعله يسلم ، جهد على الضال لعله يهتدي ، فقريش كانوا في الظلام ، كانوا في الحضيض ، فيهم الشرك بدل التوحيد ، وفيهم الضلال بدل الهدى، وفيهم الجهل بدل العلم ، وفيهم الفرقة بدل الوحدة ، وفيهم الظلم بدل العدل : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فالبشرية الآن تسير في هذا المسار الذي ذاقت بسببه ألوان الظلم ، والعذاب ، والخوف ، والجوع ، والرعب ، وفيها الشرك ، وفيها الجهل ، وفيها الفرقة ، وفيها الظلم ، فلابد من الجهد عليها حتى يأتي التوحيد بدل الشرك ، والعلم بدل الجهل ، والاجتماع بدل الفرقة ، والعدل والإحسان بدل الظلم والعصيان : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨] .

والجهد الثاني : جهد على العاصي حتى يكون مطيعاً ، وعلى الغافل حتى يكون ذاكراً ، وعلى الجاهل حتى يكون عالماً ، وعلى الفاسد حتى يكون صالحاً ، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الله ، والنصيحة ، والترغيب ، والترهيب : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** (١١٠) ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

الجهد الثالث : جهد على العالم ليُعلِّم غيره من الناس ، فالله أعطاه علماً وجعله خزانة للعلم ، فأذكره حتى يعلم الناس ، لا يعلم فقط أهل بيته ، ولا أهل حيه ، ولا أهل بلدته ، الدين لكل الناس ، والتعليم لكل المسلمين ، والرسول بعث لكل الناس، الرسول ﷺ بعث رحمة للعالمين : ﴿ **كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** (٧٩) ﴾ [آل عمران: ٧٩].

ونجتهد على الذاكر حتى يكون مذكراً ، ونجتهد على الصالح حتى يكون مصلحاً ، يجمع مع إصلاح النفس إصلاح الغير ، وجهد على الغني لينفع نفسه ، وغيره بالإحسان إليه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾ [التوبة: ٧١] .

- **فالدين ركنان :**

عبادة الحق.. والإحسان إلى الخلق من كانوا ، وحيث كانوا .

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) ﴾ [البقرة/ ١٩٥] .

نحسن إلى الخلق ، نقوم بدعوتهم إلى الله ، ومواساة الفقراء ، والضعفاء ، والعاجزين ، والمرضى ، والمحتاجين ، وغير القادرين ، تخرج منا منافع لهم ، حتى يحبوا الدين من خلال هذه الأخلاق الكريمة : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** (١٣٣) **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ**

﴿ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾

[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

فلباس الدين هو التحلي بالأخلاق العالية ، التحلي بالصفات التي يحبها الله ، حتى هذه الصفات تجذب الناس إلى الدين ، كما أن الحَبّ أو الماء يجذب الطير والحيوان إلى أكلة أو شربه ، كذلك كسوة الإنسان بالأخلاق العالية ، بالأقوال الحسنة ، بالمعاملات الطيبة ، بالحلم ، والصبر ، والعفو ، والإحسان إبتغاء وجه الله : ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨ ﴾ [البقرة/ ١٣٨] .

فأكون داعيا إلى الله بأخلاقي ، وأقوالي ، وأعمالي ، وأموالي ، وفكري ، وسمعي ، وبصري ، فأكون قدوة حسنة لكل أحد : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ [الأحزاب/ ٢١] .

- **وحياة الرسول ﷺ ثلاثة أقسام :**

طريقة حياة.. وفرائض حياة.. ومقصد حياة .

الأول : طريقة الحياة : هي الصبغة الإسلامية للإنسان في الحركات والسكنات ، في الأقوال ، والأفعال ، والأخلاق ، لا يتحرك إلا بالسُّنة في أكله وشربه ، في نومه ويقظته، في حضره وسفره ، في عبادته ومعاملاته : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾

[الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] .

الثاني : فرائض الحياة : وهي الأمور الواجبة سواء كانت يومية كالصلوات الخمس ، أو سنوية كالصيام والزكاة ، أو في العمر مرة كالحج، وغير ذلك من فرائض الاسلام. والحقوق الواجبة لله والحقوق الواجبة للخلق ، هذه كلها فرائض حياة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ ﴾ [الحج: ٧٧] .

الثالث : مقصد الحياة : وهي الدعوة إلى الله ، وذلك بالقيام بعشرة أمور : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب/ ٤٥-٤٨] .

الأزهار والثمار على الأشجار أجمل شيء ، كذلك الصفات الإيمانية أجمل شيء في الإنسان ، وكما نحب نحن الأزهار والثمار على الأشجار كذلك نحب المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصابرين والصابرات ، والصادقين والصادقات ، وغيرها مما يحبه الله ، واتصف بها رسوله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

وصفات المؤمنين الذين اشتراهم الله ﷻ : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢] .

وكلما ازداد المسلم علماً بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله زاد إيمانه بربه ، وزادت خشيته له : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] .

- **وقد ابتلى الله كل إنسان بأربع صفات هي :**

العقل.. والهوى.. والعفة.. والشهوة .

فالعقل يعقل الإنسان عما يشين ، والهوى يهوي به إلى ما يشين ، والعقل يغالب الهوى ، والهوى يغالب العقل ، حسب المُذكر وعدمه ، ولذلك لابد أن نعيش في الجو الإيماني ، ليدفع العقل الهوى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة/ ١١٩] .

والعفة تغالب الشهوة ، العفة عن الرذائل ، والقبائح ، والمساوئ تغالب الشهوة ، والشهوة أحيانا تغلب العفة : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان/ ٢-٣] .

والله ﷻ جعل للإنسان بواسطة العقل ، والعفة ، وصدق اللجوء إلى الله ، سلطانًا على نفسه ، فالعقل حاكم عادل ؛ لأن العقل يميز بين الحق والباطل ، وبين الفضائل والرذائل ، والعفة تمنع الإنسان مما لا ينبغي ، ولكن إذا جاءت الشهوة غلبت العفة أحياناً : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] .

الله ﷻ جعل للمؤمن بواسطة العقل والعفة وصدق اللجوء إلى لله سلطاناً على نفسه ، فأصبح يتحكم في نفسه ، فإذا كان هذا العبد من حزب الله ، وقام بطاعته ، واشتغل بعبادته ، زاد عونه له ، وأجزل له الأجر والمثوبة ، ونصره على عدوه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد/ ١٧] .

وبحسب قوة المجاهدة تأتي الهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩] .

وإن جنح الإنسان إلى الشهوات ، وآثر هواه على هدى ربه ، وأبى إلا مضيًا في معصية ربه ، وكله إلى نفسه ، وتخلى عن نصرته ، ونسيه كما نسيه ، فتولاه الشيطان، واستعمله فيما يسخط الرحمن : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [النساء: ١١٩ – ١٢١].

فلينتبه الإنسان لنفسه ، وليكن مع الصادقين ، في بيئة الصدق ، بيئة العلم ، بيئة الذكر ، بيئة الصلاة ، بيئة الطاعات بيئة الدعوة : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨] .

ومن اتقى الله وقاه ، ومن ذكر الله ذكره ، ومن أحسن أحسن الله إليه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر/ ١٨-١٩] .

والفاسقون هم الذين خرجوا من الطاعة إلى المعصية ، ومن الحق إلى الباطل ، ومن الهدى إلى الهوى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠] .

والحكمة في الأمور هي سلم المؤمن إلى نجاته ، ومعراجه إلى ربه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤] .

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٩] .

فالحكمة وضع الأمور في مواضعها ، ومراعاة الأحوال وضع الشيء في موضعه ، والحكمة سلم المؤمن إلى نجاته من النار ، وفوزه بالجنة ، ومعراجه إلى ربه ، ومنال رضوانه ، فإذا آمنت بالحكيم ، فلابد أن آخذ منه الحكمة ، فأحكم الأمور ، وأزنها بميزان الشرع ، لأنال رضوان الله ، ومن عدمها ، وعدم العمل بها ؛ عدم القربى من ربه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

ومن لم يكن حكيمًا ، محبًا للحكمة ، عاملاً بالحكمة التي أرسل الله بها رسله ، وأنزل بها كتبه ، وخلق بها خلقه ، لم يزل ينزل سُفلاً في أمور الدين والدنيا كلها : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طه/ ١٢٣/ ١٢٧] .

فاسأل أيها العبد المؤمن ربك الكريم أن يرزقك الحكمة ، فإنه كريم جل جلاله : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٩] .

وتوجه إلى ربك الكريم الحي القيوم في جميع أعمالك ، الانفرادية والاجتماعية ، وجميع حوائجك الدنيوية والأخروية ، واضرع إليه أن يستعمل جوارحك في طاعته، على ما يحبه ويرضاه ، لا على ما تحبه وتهواه ، واستقم كما أُمرت لا كما اشتهيت : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] .

استقم لربك كما أمرت يكرمك بما وعدك من الجنة ورضوانه .

واسأل ربك العظيم أن يعينك على ذكره ، وشكره ، وحسن عبادته ، وأن يغفر ذنوبك ، ويستر عيوبك ويقطع عنك ما يقطعك عن طاعته ، ويصدك عما يصدك عن سبيله ، وأحمد ربك على نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف/ ١٥] .

واعلم أن الله ﷻ هو الحي القيوم يحب أسماءه وصفاته ، ويحب أن يتحلى بها عباده على ما يحبه ويرضاه ، ويحب الحق ، والعمل بالحق ، والدعوة إلى الحق ، فعليك بدوام طاعته ، ولزوم سبل محابة ، ولا يصدنك عنه من أعرض عنه ، وتوكل على العزيز الرحيم يغنيك عن كل ما سواه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾ [الأحزاب: ١ – ٣] .

واعلم يا عبد القيوم أن الله كما داوم عليك بإحسانه وتابع عليك إنعامه ، فداوم أنت على ذكره وشكره ، وحسن عبادته ، ليديم عليك ذلك ، ويزيدك من نعمائه : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧] .

واعلم يا عبد القيوم أن أعقل الناس من قام على نفسه بجهد الاستقامة ، واجتهد على غيره بجهد الهداية ، وترك الدنيا قبل أن تتركه ، وأنار قبره قبل أن يسكنه ، وأرضى ربه قبل أن يلقاه : ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ

﴿ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: ٧٧] .

فالله قيوم ، وقائم على كل نفس ، فكن أنت قائم على نفسك بحملها على طاعة الله ، واجتناب معاصيه ، واستعمل جوارحك فيما يرضيه ، وفيما يحبه ويرضاه من العبادة أقوالاً وأعمالاً ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى الخلق بالعلم والمال والبدن ، ومن أحسن في الدنيا أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة ، لأن الله ﷻ أمرنا أن نقول القول الحسن ، وأن نُحسن ، ثم قال : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن/ ٦٠] .

فمن أحسن في عبادة ربه ، وأحسن إلى خلقه ، أحسن الله إليه بالفوز بالجنة والرضوان .

والإحسان الأول منه ؛ لأنه هو المحسن الذي خلق وهدى ، وحبب إلينا الطاعات ، وأعاننا عليها ، وضاعف لنا الأجر عليها ، فله الفضل والمنة أولاً وأخرًا .

ومنه الإحسان الثاني : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن/ ٦٠] .

فالله ﷻ يحسن إلى عبده بأنواع الإحسان ، يستضيفه في الجنة في مُلكٍ عظيم ، ولأدنى مسلم في الجنة وما فيهم دني مثل هذه الدنيا عشر مرات ، وله فيها رضوان من ربه ، وله الخلود في الجنة ، وله فيها النعيم المقيم ، ويسمع كلام ربه جل جلاله ، الله ﷻ يُسلم عليه ، والملائكة يسلمون عليه ، ويكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥] .

فمن امتثل الأوامر الشرعية في الدنيا ، وصار ملكًا على هواه وشهواته ؛ جعله الله يوم القيامة ملكًا في مقعد صدق عند مليك مقتدر : ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٠ – ٢٢] .

وتوكل على الحي القيوم ، فلا ترى لنفسك ناصرًا غيره ، ولا لعلمك مُعلمًا غيره ، ولا لعملك شاهدًا غيره ، ولا لرزقك خازنًا غيره : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن/ ١٣] .

فالفقه في الدين من أعظم الأمور .

قال النبي ﷺ : «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه (١) .

وأعظم الفقه ، الفقه في أسماء الله ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده .

والفقه كله في القرآن والسنة : ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩] .

الفقه أن أتعرف على حياة الرسل ، وماذا قاموا به من الدعوة إلى الله ، ونشر الحق بين الخلق ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم في سبيل إعلاء كلمة الله ، حتى انتشر الحق بين الناس : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة: ٨٨ – ٨٩] .

والله ﷻ بعث الأنبياء لا أسباب معهم ، حتى إذا انقطعت عنهم الأسباب ، توجهوا إلى مسبب الأسباب ، لا يستندون إلى غيره ، فنصرهم على أعدائهم : ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١ – ١٧٣] .

والله بحكمته أعطى الأعداء الأموال والأسباب ، لكن الأنبياء ليس معهم أموال ولا أسباب مادية ، معهم قدرة الله ، قوة الله ، نصر الله .

ولهذا الله ﷻ في بدر أظهر قدرته ، وفي أُحد أظهر الله سُنته ، وفي حُنين أظهر الله سُنته وقدرته .

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٣١١٦، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٠٣٧ .

في بدر حيث لا عدد ولا عدة ظهرت قوة لا إله إلا الله : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٢٣]

وفي أُحد أظهر الله قوة محمد رسول الله ، فحين خالف الرماة أمر الرسول ﷺ رفع الله النصرة عن الصحابة ؛ لتمشي لا إله إلا الله ، مع محمد رسول الله ، لا إله إلا الله إخلاصًا وتوحيدًا ، ومحمد رسول الله إتباعًا وتسليماً : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٢] .

فقوة لا إله إلا الله ظهرت في بدر ، وقوة محمد رسول الله ظهرت في أُحد ، وفي حنين ظهرت قوة الله ﷻ ، وظهرت قوة محمد ﷺ ، فالله ﷻ رفع النصرة حين جاء العجب ثم أعادها في النهاية حين تابوا .

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٧] .

المؤمن الذي يريد أن يمشي على الصراط المستقيم ، ويتبع الأنبياء والرسل في نشر التوحيد والإيمان والحق ، عليه أن يعرف مقاصد الإسلام ، ولماذا بعث الله الرسل ؟ وبماذا جاء الرسل عليهم الصلاة والسلام للبشرية ؟ جاءوا بالدين الحق ، الذي لا يصلح البشرية إلا هو ، جاءوا بالهدى الذي يخرج البشرية من الضلال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢] .

- **الدين الحق الذي بعث الله به جميع الأنبياء والرسل يقوم على ثلاثة أصول :**

الأول : جلب المصالح .

الثاني : دفع المفاسد .

الثالث : التحلي بمكارم الأخلاق .

فجلب المصالح هي أعظم حاجات البشر ، وتسمى الحاجيات ، وأعظم حاجات الإنسان ليس الطعام والشراب ، أعظم حاجات الإنسان أن يعرف ربه ويوحده ، ويؤمن به ويعبده ، ويطيعه ، ويتبع رسله وشرعه ، ليسعد في دنياه وآخرته : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦] .

هذه أعظم المصالح ، فالرسل جاءوا بجلب المصالح ، أن يرتبط المخلوق بخالقه ، وأن يتلقى الأوامر منه ، لا يتلقاها من مثله ، ولا ممن هو دونه ، بل يتلقاها من العلي الأعلى ، لأن هذه الأوامر الشرعية ترفعه إلى المقام الأعلى في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٩] .

يكون الإنسان عاليًا بإيمانه وأخلاقه عن الحيوانات ، عن السباع ، عن الشياطين ، عن الكفار مرتقيًا إلى درجة عالية بالاقتداء بالأنبياء والمرسلين ، والملائكة الكرام الذين جبلوا على الطاعات : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

جلب المصالح هو أعظم حاجات البشرية ، ولهذا الله أرسل الرسل ، وأنزل الكتب لبيان هذه المصالح ، لم يرسل رسله لتعليم كيفية الزراعة ولا الصناعة ؛ ولا التجارة ، لأن هذه تحسينات ، يستطيع الناس أن يرتقوا فيها من اختراع إلى اختراع ، ومن اكتشاف إلى اكتشاف ، حتى تتحسن الأمور إلى الأفضل، مثل المياه الآن ، كانت أولاً في الآبار ، ثم جاء الجهد عليها فصارت تستخرج بواسطة الحيوانات ، ثم جاء الجهد أكبر فأصبحت تستخرج بالكهرباء ، ثم كانت المياة تجمع في بركة ويرتوي الناس منها ، ثم تطور العقل البشري حتى اهتدى إلى صناعة المواسير التي تنقلها إلى البيوت ، وهكذا الحديد ، وهكذا في جميع أمور الصناعة ، كلما كثر الناس ، واشتدت الحاجات ، فتح الله لهم من أنواع الصناعات التي تصلح حياة البشر ، وتسهل معايشهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

فالله ﷻ أمرنا أن نعبد إلهًا واحدًا ، ونتبع كتابًا واحدًا ، ونتبع رسولاً واحدًا ، ونعمل بشرع واحد ، حتى لا تتصادم الحركات ؛ لأن المنهج واحد والكتاب واحد ، والرسول واحد ، والرب واحد ، الجميع يسيرون على الصراط المستقيم إلى ربهم : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

والأمر الثاني الذي جاء به الرسل ، لتكون حياة البشرية حياة عالية هو درء المفاسد التي تضر الإنسان والأمة ، وهذه المفاسد هي :

العدوان على دين الإنسان ، والعدوان على نفسه ، والعدوان على عقله ، والعدوان على نسبه وعرضه ، والعدوان على ماله ، وتسمى هذه الضروريات الخمس : ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١] .

جاء الإسلام بجلب المصالح ، وهي أن يعرف الإنسان ربه ويعبده ، ويتلقى الأوامر منه ليسعد في الدنيا والآخرة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢] .

وجاء بدرء المفاسد ، وهي درء الضرر عن الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض والمال .

فجلب المصالح شيء ، ودرء المفاسد شيء آخر ، درء المفاسد منع الظلم والعدوان على دين الإنسان ، بالجهاد في سبيل الله ، والجهاد في بيان الحق ، وتعليم الشريعة ، وردع المعتدين والظلمة ، وكشف الشبهات ، ودفع الظلم والعدوان عن نفس

الإنسان: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٣].

قال النبي ﷺ : « **لاَ يحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلاّ بإحْدَى ثَلاَثٍ : الثَّيِّبُ الزَّاني ، وَالنَّفْسُ بالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَماعَةِ** » متفق عليه (١) .

ومن دفع المفاسد دفع الضرر عن العقل بتحريم شرب الخمر ، وعقوبة شارب الخمر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠].

ومن درء المفاسد :

الدفاع عن نسبه وعرضه بحد الزنا لمن زنا : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢].

والدفاع عن ماله بقطع يد السارق : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨] .

فالدين الإسلامي جاء بجلب المصالح ، وإذا عرفت هذه الأمور والمصالح لابد أن استجيب لها ، وأعبد الله بموجبها ، وأكون أول السابقين إلى فعلها : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الزمر: ١١ – ١٢].

وأنشر هذه المصالح والأحكام في العالم ، ليكون الناس كلهم على حياة الأنبياء والرسل ، وحياة الملائكة : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

ولابد كذلك أن أدرأ المفاسد التي تضر الإنسان والأمة ؛ بدفع الظلم عن دين الإنسان، وعن نفسه ، وعقله ، ونسبه وعرضه ، وماله : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤ – ١٠٥] .

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٦٨٧٨ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٦٧٦ .

وقد جاء الإسلام بدرء هذه المفاسد كلها ، فإن جميع المظالم في الدنيا تدور حول هذه المسائل الخمس ، فشرع الله ﷻ الدعوة والجهاد في سبيل الله ، حتى لا يبقى في الدنيا شرك ، ولا فساد ديني ، شرع الله الدعوة ، حتى يكون الدين كله لله ، وشرع الجهاد في سبيل الله ، لدفع عدوان المعتدين ، وفتح الطرق للدعوة إلى الله ، ليعرف ربه كل إنسان : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٣] .

وشرع الله القصاص صيانة للنفوس : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٩] .

وشرع عقوبة الخمر صيانة للعقول ؛ لأن هذه العقول غالية ، لابد أن نستعمل العقل فيما خلق له ، نستعمل عقولنا في التقرب إلى الله وتقديم ما يبقى على ما يفنى ، وتقديم محبوبات الرب على محبوبات النفس .

صيانة العقول ، حتى تكون هذه النفوس مسبحة بحمد ربها ، مكبرة له ، حامدة له ، عابدة له .

وشرع الله ﷻ حد الزنا صيانة للأنساب حتى لا تختلط الأنساب ، فهذا الإنسان له كرامة ، ليس كالحيوانات يأكل ويشرب ويركب ما يشتهي ، بلا أمر ولا نهي ، ولا حد ولا قيد : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

الثالث : التحلي بمكارم الأخلاق :

وقد جاء الشرع بالحث على مكارم الأخلاق في كل دين ، وعلى لسان كل رسول ، جاء الحث على مكارم الأخلاق ، فالأخلاق العالية الله فرقها في الأنبياء ، ثم جمعها في سيد الأنبياء ﷺ وذلك يقول الله عنه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

حسن الخلق مع الخالق في توحيده والإيمان به وطاعته وعبادته ، وحسن الخلق مع المخلوق بدعوته إلى الله ، وتعليم الشرع ، والإحسان إلى الخلق .

فالله ﷻ جعل الأخلاق العالية في الأنبياء لأنهم قدوة للناس ، وجمع أخلاق الأنبياء في سيد الأنبياء ﷺ ، ثم فرق هذه الأخلاق العالية في النبي ﷺ في أمة سيد الأنبياء : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وهكذا الصفات الله ﷻ فرقها في الأمة ، لتعبد الله بموجبها ، وتنقلها إلى كل جيل من هذه الأمة ، فالواجب علينا تحصيل الصفات التي يحبها الله ، وهذه الصفات هي مكارم الأخلاق : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩] .

وكل شيء محدود ، الطهارة لها حد ، والصلوات ، والصيام ، والزكاة ، والحقوق ، كل شيء له حد إلا الأخلاق ، الله ﷻ أمرنا أن نحصل ما استطعنا من حسن الخلق : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤] .

وقد جاء الشرع بالحث على مكارم الأخلاق ، من الصدق ، والإيمان ، والعفو ، والعدل ، والإحسان ، والحلم ، والصبر ، والشكر ، والتعاون على البر والتقوى ، والمسارعة إلى الخيرات : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

ونهى الشرع عن مساوئ الأخلاق من الظلم ، والغش ، والخيانة ، والعجب ، ، والكذب ، والرياء ، والحسد ، والكبر ، والغيبة ، والنميمة ، والتعاون على الإثم والعدوان : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فيجب علينا أن نفقه هذه الأمور ، وأن نتوجه إلى الله ﷻ أن يرزقنا هذه الأعمال الصالحة ، وهذه الصفات الحسنة ، وأن يجعلنا هداة مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين.

يا عبد القيوم : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: ١٧].

يا عبد القيوم : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤] .

يا عبد القيوم إن العمر جوهرة ، ولهذا العمر إناء هو المكان والزمان ، فلنضع في المكان والزمان ، أحسن الجواهر من النيات الواسعة ، والأقوال الحسنة ، والأعمال الصالحة .

فنكون قائمين في حياتنا بالأعمال التي يحبها الله ، نيةً ، وأقوالاً ، وأعمالاً ، وأخلاقًا ، ونأتي بها على الكمال ، فمن أكمل محبوبات الرب في الدنيا ، أكمل الله محبوباته في الآخرة ، ولنكن قائمين ، ومتحركين ، وسائرين ، ننقل الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله ، وننشر الحق الذي يبعد الناس عن الباطل : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ [إبراهيم: ١] .

والله ﷻ جعل هذه الأمة نائبة عن نبيها ﷺ ، وأعطيت ما أُعطى الأنبياء من قبل ، من الدعوة والعبادة ، فأن نكون قائمين بأمر الله ونأخذ حظنا من هذا الاسم في القيام بين يدي ربنا بالعبادة في أمورنا الخمسة ، والقيام بين يدي خلقه بالأمور الخمسة التي ذكرناها .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل/ ١٩] .

اللهم اجعلنا قائمين بين يديك ركعاً سجداً ، وقائمين بين يدي خلقك بالدعوة والتعليم والإحسان ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الراحمين .

سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

الباب الخامس

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

١٩- اسم الله السميع.

التعبد لله عز وجل باسمه الله السميع.

٢٠- اسم الله البصير.

التعبد لله عز وجل باسمه البصير.

٢١-٢٢-٢٣- اسم الله العلي.. الأعلى.. المتعال.

التعبد لله عز وجل باسمه العلي.. الأعلى.. المتعال.

٢٤-٢٥- اسم الله الكبير.. المتكبر.

التعبد لله عز وجل باسمه الكبير.. المتكبر.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

السميع

اسم الله السميع

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى في السموات والأرض:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾[طه: ٨].

هذا الإله العظيم، وهذا الرب الكريم، وهذا الملك الرحيم هو الذي يستحق أن يُعبد، لما له من الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى.

هو سبحانه أحق بالتوحيد من كل أحد ؛ لأنه واحدٌ أحد ، غنيٌ عن كل أحد ، وبيده أمر كل أحد:﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ ﴾[البقرة: ١٦٣].

هو الواحد الأحد، لا شريك له في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومُلكه، وسلطانه ، وخلقه، وأمره، هو الملك الحق الذي خلق كل شيء وله ملك كل شيء: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾[الملك: ١].

- **والإنسان إذا تأمل في هذا الكون رأى فيه ثلاثة:**

الأول : كاملٌ بذاته، وأسمائه،وصفاته، وأفعاله لا يحتمل النقص أبداً ..

الثاني : ناقصٌ لا يحتمل الكمال أبداً .

الثالث : قابلٌ للزيادة والنقصان .

أما الكامل بذاته وأسمائه وصفاته ، والذي لا يحتمل النقصان أبداً فهو واحد لا شريك له، هو الله ﷻ ، الذي له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله.

هذا الإله العظيم لابد من العلم به : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩] .

لابد من معرفة المعبود قبل العبادة ، ومعرفة الملك قبل أن نتحرك في مُلكه بأقوالنا وأفعالنا ، هذا الكامل بذاته وأسمائه وصفاته ، الذي له أسماء وصفات الجلال والجمال ، هذا هو الرب الذي يستحق أن يُعبد وحده لا شريك له:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

هو الذي يحيي ويميت ، ويعز ويذل ، ويخلق ويرزق ، ويأمر وينهى ، هو الذي يقلب الليل والنهار ، ويأتي بالعافية بعد المرض ، ويسوق المخلوقات إلى مقاديرها.

هو الذي سيَّر الشمس والقمر ، وهو الذي يُسيَّرنا في البر والبحر ، وله مُلك السماوات والأرض ، وله ما في السماوات والأرض ، وله ما بين السماوات والأرض ، وله خزائن السماوات والأرض، وله غيب السماوات والأرض ، وله جنود السماوات والأرض، وله مقاليد السماوات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨].

وبعده جل جلاله من المخلوقات الكاملة الملائكة، هؤلاء عباد مكرمون : ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم/ ٦] .

﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

فهم على الطاعات أبدًا ، وهم أجسام روحانية، صمد لا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا ينامون ؛ خلصهم الله لطاعته وعبادته وتنفيذ أوامره.

وأما الناقص الذي لا يحتمل الكمال فهم ثلاثة:

عالم الجماد، وهو عالم كبير جدًا . . وعالم النبات . . وعالم الحيوان .

وأما الذي يحمل الأمرين جميعًا فهم اثنان:

الجن . . والأنس ، فالإنسان تارةً يعلو بإيمانه وتقواه ، فالمؤمن الذي اتصل بالعلي الأعلى يعلو بإيمانه وتقواه ، ويقرب إلى أدنى درجة الملائكة الذين هم مجبولون على الطاعة ، وعلى سمعنا وأطعنا ، ليس لديهم شهوات تعارض الأوامر الإلهية .

فالمؤمن إذا وجد في بيئة الذكر والتذكير يعلو بإيمانه وتقواه: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٩].

وتارةً يسقط الإنسان بكفره وفجوره إلى أسفل سافلين : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦﴾[التين/ ٤-٦] .

ولهذا لابد أن نتعرف على ربنا ﷻ حتى تحصل على التوحيد الكامل ، التوحيد العملي في القلوب والجوارح ، التوحيد الذي يجد الإنسان فيه لذته ، ويستأنس بخالقه، ويستوحش من غيره ، هذا التوحيد لابد له من جُهد متصل، يثمر معرفة الرب، ثم عبادته بموجب هذه المعرفة:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت: ٦٩].

هذا الجهد العلمي يكون بمعرفة الإله ، ومعرفة عظمة مُلكه وسلطانه ، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه، ومعرفة آياته ومخلوقاته ، ومعرفة أوامره ونواهيه ، ومعرفة وعده ووعيده ؛ فإذا عرف القلب هذه الأمور امتلأ بالتوحيد الكامل الذي هو مقصود الرب من خلقه:﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾[الذاريات: ٥٦].

وهذا التوحيد الكامل يقوم على ستة أركان:

الأول:توحيد الله ﷻ بأسمائه : كالعليم . . والقدير . . والسميع . . والبصير . . وغيرها من الأسماء الحُسنى .

الثاني: توحيد الله بصفاته : كالحياة . . والسمع . . والبصر . . والقدرة . . والرحمةوغيرها من الصفات العُلى .

الثالث: توحيده الله بأفعاله : كالخلق . . والرزق . .والإحياء . . والإماتة . . وغيرها من الأفعال الحميدة.

الرابع: توحيد الله بأفعال العباد : كدعاء الله . . والاستعانة به . .والتوكل عليه . . ومحبته . . والخوف منه . . كالصلاة والزكاة . . والصوم والحج . .وغير ذلك من أنواع العبادة التي يجب أن تصرف لله وحده.

الخامس: توحيد رسوله ﷺ بالإتباع : بطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتصديقه فيما أخبر، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع.

السادس: توحيد كتابه بالامتثال: تصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

هذا التوحيد العظيم الذي يجمع معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بأفعال العباد،وتوحيد رسوله بالإتباع ، وتوحيد كتابه بالامتثال مع السُنة ؛ لأنها وحي أخر ، والله ﷻ أمرنا باتباع السنة بقوله ﷻ : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾[الحشر: ٧].

هذا التوحيد بأركانه الستة يأتي بقدر هذه المعارف العظيمة، وإذا جاء التوحيد الكامل، وجاء الإيمان الكامل، ثم جاء العمل الكامل، ثم جاء الثواب الكامل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

هذا التوحيد متى يأتي في القلب ؟ يأتي هذا التوحيد بعد معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ولذلك الإمام البخاري رحمه الله جعل كتاب التوحيد في آخر صحيح البخاري رقم (٩٧) ؛ لأن مجموع معرفة الله ومعرفة أوامر الله الملكية . . وأوامر الله الشرعية . . وأوامر الله الجزائية ، هذه المعارف العظيمة تملأ القلب بالإيمان ، فيأتي التوحيد الكامل ، توحيد الله بذاته ، توحيده بأسمائه ، وتوحيده بصفاته ، وتوحيده بأفعاله ، توحيد رسوله وكتابه بالإتباع، وتوحيد الله بأفعال العباد.

هذا التوحيد يتحقق بقدر هذه المعرفة ، ولهذا لابد أن نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، وإذا عرفناه أحببناه ، وإذا أحببناه أطعناه وعبدناه ، ولهذا أمرنا الله بالمعرفة، فالله خلق هذا الكون لنتعرف عليه ، أودع أسماءه وصفاته في مخلوقاته : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق: ١٢].

وإذا عرفتم ذلك عظمتم الله لجلاله وكبريائه، وأحببتموه لكرمه وإحسانه ، وعبدتموه بما جاء عن رسوله ﷺ:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢].

ولهذا القلوب تتغذى بالذكر والوعظ ، والعقول تتغذى بمعرفة المسائل والأحكام ، فالعقول تُدرك الكيفيات ، والقلوب تتأثر بالإيمانيات ، فيعظم الإيمان في القلب

فتنشط القلوب والجوارح للقيام بأنواع العبادات:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

هذا التوحيد والإيمان نتيجة ماذا ؟ نتيجة معرفة الله بأسمائه . . وصفاته . . وأفعاله . . وخزائنه . . ووعده . . ووعيده:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

والله غيب لا أراه ببصري، ولكن أراه بقلبي، فالله أخفى نفسه، وأظهر مخلوقاته ، أظهر لنا شيئاً من مخلوقاته لنستدل بها على الخالق ، وأظهر شيئاً من الصور لنستدل بها على المصور .

وإذا جاءت هذه المعرفة امتلأ القلب بالتوحيد والإيمان والتقوى، وانشرح الصدر للطاعة ، والعبادة، ونفر من المعاصي وأحب الطاعات ، وأحب ربه ؛ وأحب أوامره،فانقادت جوارحه إلى العمل الصالح الذي يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

وينيب إلى دار القرار، ويتجافى عن دار الغرور، ويستعد للموت قبل نزوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت: ٣٠ – ٣٢].

هذا التوحيد العلمي القلبي العملي هو المطلوب من الإنسان ، متى نصل إليه ؟ إذا عرفنا الله ﷻ بأسمائه ، وصفاته وأفعاله، وحدناه، وأحببناه، وعبدناه:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

فهذه المعارفمعارف عظيمة، لابد للقلب أن يعرفها ، ويدركها، حتى يعبد الله على بصيرة ، يعرف الرب من العبد ، ويعرف الخالق من المخلوق، ويعرف المنهج الذي

يسير عليه إلى ربه ، ويعرف القدوة الحسنة الذين يقتدي بهم وهم : الملائكة . . والأنبياء . . والرسل .

ويعرف الأعداء الذين يجب الحذر منهم وهم : الشيطان . . والنفس . . والدنيا . . والكفار .. والهوى.

ويعرف الدنيا الذي هو فيها ليعلم أنها لا تُصلح لهذا الإنسان ، بل هي دار ممر لا دار مقر، ودار غرور، لا دار سرور.

هذه الدنيا وضع الله عليها لوحات كثيرة كما نُعلق لوحات على الأطعمة والأشياء الفاسدة، حتى يحذرها الناس،فقال الله عن الدنيا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر: ٥ – ٦].

وقال : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت/ ٦٤] .

وقال:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَ‍َٔابِ ﴿١٤﴾ ۞قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٤ – ١٥].

فالدنيا لها أعمال، والآخرة لها أعمال ؛ لكن نعمل للدنيا بقدر الحاجة ، ونعمل للدين بقدر الطاقة : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾[الحج/ ٧٨] .

وهذه الدنيا مكان للعبادة ، مكان للصلاة ، مكان للصوم ، مكان للحج ، مكان للدعوة ، مكان للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، مكان الجهاد في سبيل الله ، فالله ﷻ جعلها ميداناً للتزود للآخرة ؛ فالدنيا دارالإيمانٌ والعمل ، والآخرة دار الثواب والعقاب:﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨ – ٩].

ولابد أن أعرف الشخصيات الذين يجب الاقتداء بهم وهم : الأنبياء . . والرسل . . والملائكة :﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم: ٤١].

وأعرف الأعداء الذين يجب الحذر منهم وهم : الشيطان . . والنفس . . والدنيا . . والكفار:﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾[النساء: ١١٩ – ١٢١].

وكل هذا بينه الله لنا في القرآن مفصلاً، وأعرف الدنيا التي أنا فيها وأعرف الآخرة التي سوف أقدم عليها ، وأعرف الأعمال الصالحة التي يرضى الله بها عنا ، وأعرف الأعمال السيئة التي يسخط الله بها علينا.

فإذا حصلت للعبد هذه المعارف العظيمة جاء في قلبه التوحيد حقًا ، والإيمان حقًا ، وتحركت جوارحه بالأعمال الصالحة ، ونطق لسانه بذكر ربه، وحمده، وتسبيحه، وتوحيده ، وامتلأ قلبه بتعظيمه وحبه .

هذه المعارف هي غذاء للقلوب ، تغذي القلوب بالإيمان، حتى تكون الطاعات شهوات ، أعظم من شهوات النفس:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٩٠].

الله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى ، والله ﷻ بين في القرآن من هو ، وما هي أسماؤه ، وما هي صفاته ، وما هي أفعاله، وبين دينه في الكتاب الذي أنزله ، وبين الرسل الذي أرسلهم ، وبين المعاد يوم القيامة ، بين معاد المؤمنين وهو الجنة ، ومعاد الكفار وهو النار:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل: ٨٩].

والله ﷻ بين كل ذلك لماذا؟.

حتى نعرف ماذا عند الله، وماذا يريد منا، وماذا يعطينا إذا آمنا به وعبدناه، وبماذا يعاقبنا إذا عصيناه.

وإذا عرفنا ذلك اشتاقت نفوسنا لطاعة الله.

وإذا أردنا أن نطيع الله فعلينا أن نقتدي بشخص واحد هو نبينا ﷺ، سيد الأولين والآخرين، هو الذي يجب أن نقتدي به ونتبعه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وأفضل حياة هي حياة الأنبياء والرسل .

وأفضل حياة الأنبياء والرسل هي حياة نبينا ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

فحياته ﷺ أفضل حياة، وأحسن حياة ؛ وأسعد حياة ، ولذلك كانت محفوظة بالكامل ، ثلاث وعشرون سنة، محفوظة أقوالاً وأعمالاً وأخلاقًا ، كلها مسجلة ومبينة ومفصلة في كتب الحديث لنقتدي به ﷺ علمياً وعملياً وأخلاقياً: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

هذه الحياة هي أعلى شيء ، كيف أصل إليها ؟ .

إذا آمنت بالله العظيم ، وآمنت بكتابه العظيم، وعملت بموجب ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤ – ١٧٥].

هذا الكتاب جاء عن طريق من اجتباه واصطفاه واختاره ، وجعله سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ ، فعليَ أن أقتدي به في كل ما جاء به؛ لأني آمنت بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولاً ، وآمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

إذا جاءت هذه الإيمانيات الغيبية في القلب، تحرك البدن بالطاعة ، تحرك القلب بالخوف، والخشية، والحب، والتعظيم لله ، ونطق اللسان بالذكر والحمد ، والتسبيح

والاستغفار ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والقول الحسن، ومعاملة الناس بما يحبه الله ﷻويرضاه:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

- **وأسماء الله الحُسنى من حيث معانيها أربعة أقسام :**

القسم الأول : أسماء دالة على صفة ذاتية للرب ﷻ ، **لا تنفك عنه أبداً .**

والصفة الذاتية : هي كل صفة لا تنفك عن الذات ، ولا تعلق لها بالمشيئة ، ومن هذه الأسماء :

الحي ، القيوم ، السميع ، البصير ، العليم ، الخبير ، القوي ، العزيز ، العلي ، الكبير ، وغير ذلك من الأسماءوالصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله ، فالله حي أبدًا ، قيوم أبدًا ، سميعٌ أبدًا ، بصيرٌ أبدًا .

القسم الثاني : الأسماء الدالة على صفة فعلية للرب ﷻ .

والصفة الفعلية : هي كل صفة تتعلق بالمشيئة والإرادة ، إن شاء الله فعلها ، وإن لم يشأ لم يفعلهاومن هذه الأسماء :

الخالق،الرزاق، التواب ، العفو ، الغفور ، الرحيم ، وغير ذلك من الأسماء الحُسنى ، فالله ﷻ يخلق ، الخالق اسم ، يخلق فعل ، والخالق يخلق إذا شاء ، ويرزق إذا شاء ، ويعز إذا شاء ، ويعفو إذاشاء ، ويتوب على من يشاء ، ويغفر لمن يشاء ، ويرحم من يشاء : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ ﴾[الفتح/ : ١٤] .

القسم الثالث : الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب ﷻ عن ما لا يليق بجلاله وعظمته،ومن هذه الأسماء الحُسنى :

القدوس ، السلام ، السبوح وأمثالها ، فهو سبحانه السلام من كل نقص، وعيب ، القدوس ، السبوح، المنزه عن جميع النقائص والعيوب ، والمنزه عن كل ما ينافي

صفات كماله وجلاله وجماله جل جلاله ، والمنزه عن الضد ، والند ، والكفء ، والمثل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى/ ١١] .
فالله هو الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص/ ١-٤] .
القسم الرابع : الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة حُسنى للرب ﷻ .
ومن هذه الأسماء :
العظيم ، الحميد ، المجيد ، الملك ، الصمد . . وأمثالها .
فالعظيم : من له كمال العظمة في ذاته، وأسمائه ، وصفاته، وأفعاله .
والحميد : يدل على كثرة أوصافه ، ويدل على كثرة حمده ، وكثرة الحامدين له ، وكثرة ما يُحمد عليه ، لا إله إلا هو، ولا رب سواه .
والمجيد : يدل على عظمة صفاته وكثرتها وسعتها ، وعلى عظمة مُلكه وسلطانه ، فهذه الأرض التي نحن عليها نحن نعرف أرضًا واحدة، وست أراضين لا نعلمها إلا بالخبر ، ونعرف سماءً واحدة، وخلق سبحانه العرش، وخلق الكرسي ، هذه المخلوقات ذرة من خزائن غيبه ، وغيب الله ﷻ عظيم لا يعلمه إلا هو.
فهذه المخلوقات في الدنيا والآخرة ، والعالم العلوي والعالم السفلي، لا تساوي ذرة من خزائن غيبه .
فالسماوات السبع، والأرضيين السبع، وما فيهن وما فوقهن، وما بينهن، بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاء ، والعرش محيط بالكرسي ، والكرسي محيط بالسموات والأرض والكرسي لا يساوي ذرة بالنسبة للعرش ، والله ﷻ فوق العرش جل جلاله:﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه: ٥].
فهذه المخلوقات الكبيرة تدل على أن الكبير الذي خلقها هو الكبير المتعال ، كبير ليس كمثله أحد في الكبر والكبرياء ، وليس لعظمته حد ، ولا لصفاته حد:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى: ١١].
أما المخلوق فهو محدود الذات ، ومحدود الصفات ، ومحدود الحياة .

فالمجيد يدل على عظمة الصفات لله ﷻ وكثرتها وسعتها ، وعلى عظمة مُلكه وسلطانه ، وتفرده بالجلال والجمال والكمال . . وهكذا : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤].

الله ﷻ هو الحي القيوم ، الملك الحق ، السميع البصير، العليم الخبير.

الله ﷻ هو السميع الحق ، الذي يسمع جميع أصوات أهل السماوات والأرض، من جميع الجهات في آنٍ واحد ، هو السميع الذي له كمال السمع ، وهو الذي خلق السمع في كل سامع ، وخلق السامع والمسموع.

هو السميع العليم الذي يسمع الأصوات، كلها باللغات كلها ، في الأوقات كلها ، من المخلوقات كلها، في آنٍ واحد من كلها:﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[الإسراء: ١].

هو السميع الذي يسمع الأصوات كلها ، باللغات كلها ؛ لغات الجماد، والنبات، والحيوان، والرياح، والمياه ، وجميع المخلوقات ، وجميع الإنس والجن والملائكة،ويسمع الأصوات من كلها على اختلافها : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور: ٤١].

هو الحيُّ القيوم بكمال الأسماء الحُسنى، والصفات العُلى ، بكمال الحياة التي تستلزم كمال السمع ، وكمال البصر ، وكمال القيومية ، وكمال القوة ، وكمال الغنى، وكمال الكرم ، وكمال العلم ، وكمال الرحمة :﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥].

لابد أن أعرف أن ربي هو السميع ، حتى لا أتكلم إلا بما يحب، لابد أن أعرف أن ربي هو السميع العليم ، هو السميع البصير ، هو السميع القريب المجيب جل جلاله:﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[سبأ: ٥٠].

والله ﷻ ذكر اسمه السميع في أكثر من خمس وخمسين آية في كتاب الله ﷻ .

هو السميع جل جلاله الذي يسمع كل شيء ، ولا يعزب عن سمعه شيء وإن خفي ، سواء كان صوت نفس ، أو حديث نفس ، أو خاطرة نفس ، والخاطر الذي يمر على النفس ، والحديث الذي يتكلم الإنسان فيه بينه وبين نفسه ، والصوت الذي يظهر للناس:

هو السميع الذي يسمع كل إنسان سواءً جهر أو أسر ، فأصوات الخلق ظاهرها وباطنها ، سرها وخفيها، مكشوفة له ، مكشوفة لرب العالمين ﷻ يستوي عنده القريب والبعيد ، والسر والعلن ، والجهر والخفوت: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣ – ١٤].

هو السميع العليم الذي لا تشتبه عليه اللغات ، ولا تختلف عليه الأصوات ، ولا يُشغله سمعٌ عن سمع : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١] .

ليس كمثله شيء لا في ذاته ، ولا في أسمائه ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

والسمع والبصر صفتان من صفات الكمال مع الحياة ، فجميع مخلوقات الحي التي خلقها تشترك في السمع والبصر ، ولكن كلها صفات موهوبة السمع والبصر، والأيدي والأرجل ، والله ﷻ هو خالق كل شيء ، خلق الناس، ووهبهم السمع والأبصار والأفئدة : ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك/ ٢٣] .

هو الغني الذي عنده خزائن الأسماع ، وعنده خزائن الأبصار ، وخزائن العقول،كما أن عنده خزائن المياه ، وخزائن الحبوب ، وخزائن الذهب ، وخزائن الفضة ، كذلك عنده خزائن العزة ، وخزائن الذلة ، وخزائن الأمن ، وخزائن الخوف، وخزائن الحب، وخزائن البُغض ، وخزائن النعيم، وخزائن العذاب: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١] .

فالله ﷻ يسمع ويرى في مُلكه العظيم كل ذرة وخردله ، هو الذي قدر المقادير قبل أن تكون ثم أظهرها: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٥١ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ٥٣﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣] .

والله ﷻ من رحمته أن أخبرنا عن أسمائه وصفاته حتى لا نُسمعه ما لا يحب ، ونُسمعه ما يحبه ويرضاه من الذكر والدعاء والدعوة ، وأخبرنا بأنه البصير حتى لا نفعل شيئاً يغضبه ، وأخبرنا أنه هو الرزاق وهو الغني حتى لا نسأل أحداً سواه ، أخبرنا أنه القادر على كل شيء،القادر على تغيير العزة بالذلة ، والفرج بعد الكرب ، واليُسر بعد العُسر، حتى نتوجه إليه وحده :﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾[المائدة: ١٢٠].

فالله ﷻهو السميع الذي يستوي في سمعه خفي القول وظاهره ، وسره وجهره : ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣﴾ [الملك/ ١٣] .

فسبحان السميع البصير الذي يسمع جميع الأصوات من كل جهة ، ومن كل مخلوق ، وبكل لغة ، وفي كل وقت يسمع ذلك كله في آنٍ واحد.

هو جل جلاله السميع الذي له الكمال المطلق في السمع ، فيسمع الأصوات كلها، من الجهات كلها ، ومن المخلوقات كلها ، وباللغات كلها، في الأوقات كلها ، يسمع ذلك كله في آنٍ واحد:﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾[الحج: ٧٥].

فأنا الآن أمشي على ظهر الأرض، وبين الأرض والسماء مسافة خمسمائة سنة ، وسمك السماء خمسمائة سنة ، وما بين السماء والثانية خمسمائة سنة ، وسمك السماء الثانية خمسمائة سنة ، وهكذا إلى السابعة ، ثم فوق السماوات السبع الكرسي محيط بالسموات والأرض ، ثم فوق الكرسي الماء ، وفوق الماء العرش، والعرش وسع السماوات والأرض ، وسع جميع المخلوقات،والله فوق العرش، يسمع ويرى كل ذرة في ملكه الكبير.

الله ﷻ استوى برحمته على أعظم وأكبر وأوسع وأنور مخلوقات وهو العرش ، والله فوق عرشه العظيم، يسمع كل شيء، ويرى كل شيء.

هو السميع الذي يسمع كل مخلوقاته في العالم العلوي، والعالم السفلي ، وفي البر والجو والبحر ، يسمع أصوات الأشجار ، وأصوات النباتات ، وأصوات الجمادات ،

وأصوات الحجارة، وكل متحرك، وكل مساكن، وكل ناطق وصامت: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

هو السميع الذي يسمع تسبيح النباتات على اختلافها وأنواعها ، ويسمع أصوات الحيوانات ، ويجيب السائلين ، ويسمع الإنس ، ويسمع الجن ، ويسمع تسبيح الملائكة.

فسبحان من خلق السامعين وأحاط بسمعهم : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢].

هو الحي الذي يسمع ويرى، ويجيب كل دعاء، ولا ينسى أحداً.

يحمد كل شاكر من خلقه ، ويغفر لكل مستغفر ، ويجيب كل سائل ، ويفرج كل كرب ، وينفس عن كل مكروب ، وينصر كل مظلوم ، ويجيب كل محتاج ، ويعاقب كل مسيء : ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن/ ٢٩] .

هو السميع العليم البصير الذي يسمع جميع الأصوات في كل مكان ، وفي كل زمان، في آنٍ واحد ، هو السميع الذي حاط بجميع المسموعات في العالم العلوي والعالم السفلي ، يسمع تسبيح الملائكة كلهم ، ويسمع تسبيح الذرات والجمادات كلها ، ويسمع تسبيح النباتات والأشجار كلها ، ويسمع تسبيح الطير والحيوان ، ويسمع تسبيح الإنس والجن ، ويسمع جل جلاله تسبيح كل مُسبح في السموات والأرض: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة: ١].

فالله ﷻ يسمع في مُلكه العظيم جميع المخلوقات التي تُسبح بحمده ، فالله ﷻ عظيم وخلق كل عظيم سواءً كان كبيرًا أو كان صغيرًا ، فخلق السموات والأرض، والكل يسبح بحمده، ويشهد بوحدانيته، ويخضع لأمره، ويتصاغر لكبريائه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

فسبحان السميع الذي يسمع جميع مخلوقاته التي تسبح بحمده : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

كل شيء يُسبح بحمده ، منذ خلقه الله ، وإن من شيء إلا يسبح بحمد ربه ، لا يسعه إلا أن يسبح بحمد ربه ؛ لأنه يعرف الله الذي فطره على معرفة جلاله وجماله فيسبح بحمده ؛ لما يراه من عظمته وكرمه وإحسانه:﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحديد: ١ – ٢].

فسبحانه بسط رزقه لخلقه في كل مكان وزمان، ليسمع حمدهم وشكرهم له.

فهذه النعم تستوجب شكره ، تستوجب من الإنسان أن يشكر ربه ﷻ ، ولهذا هي تُسبح بحمد ربها، وتشهد بوحدانيته ، وتشهد بصفات جلاله وجماله ، وتشهد أنه واحد لا شريك له في ذاته، وأسمائه،وصفاته،وأفعاله .

والعقلاء يعرفون هذا منها ؛ لأنها مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، لا تخالف أمره ، ولا تتأخر عن طاعته، سخرها لنا من خلقها تسخير تعريف لنؤمن به، وتسخير تكريم لنشكره: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠] .

هو جل جلاله الملك الواحد القاهر، قهر جميع المخلوقات على ما أراد.

قهر الشمس على ما أراد ، وجعلها بهذا الارتفاع المحكم، لو ارتفعت قليلاً لتجمد الناس، وصاروا أشد من الحجارة ، تجمدت الخلائق كلها ، ولو نزلت قليلاً لاستحالت الأرض ومن فيها بخارًا ودخانًا.

هو القهار الذي قهر أسماعنا على ما يريد ، لو فُتح السمع قليلاً لسمعنا حركة المعدة ، وجريان الدم، وسمعنا كل شيء حولنا ؛ ولكن الله قدر السمع بأن نسمع أشياء، ولا نسمع أشياء:﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾[الزمر: ٤].

والبصر الله ﷻ قدره، حيث نرى الماء ولا نرى الكائنات التي فيه، لو فُتح البصر زيادة لرأينا ما فيه ، هذا الماء الذي نشرب كله مركب من ذرات ومن ميكروبات تتفاعل مع بعضها ؛ ولو رأيناها ما شربناه : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر/ ٤٩] .

فهو ﷻ القدير الذي قدر المقادير، وكتبها، وعلِمها، وشاءها من جميع مخلوقاته : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور/ ٤١] .

معنى هذا أنه لابد أن نسارع نحن إلى التسبيح، لننسجم مع المخلوقات التي تسبح بحمد ربهم ، المخلوقات كلها تسبح بحمد ربها إلا هذا الإنسان الذي خلقه الله بيده، وجعله مخيراً، إن شاء آمن بالله، وإن شاء كفر: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٢ – ٣].

والله ﷻ خير جميع المخلوقات أن تكون مسخرة، أو تكون مختارة، فاختارت كلها أن تعبد الله مسخرة، واختار الإنسان أن يعبد الله بموجب التخيير، فحمل الأمانة، وسخر الله له كل شيء، وأمره بأداء الأمانة وهي التكاليف الشرعية.

فمن الناس من أدى الأمانة، ومنهم من خانها: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾[الأحزاب: ٧٢ – ٧٣].

الله هو الملك،وكل الخلائق تسبح بحمده ؛ لأن كل نعمة منه ، أنعم علي، وأنعم على غيري ، أعطاني خيراً وصرف عني شرًا ، خلق لي عالم الجماد بأنواعه ، وعالم النبات بأنواعه ، وعالم الحيوان بأنواعه ، وجعل الملائكة يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون للذين آمنوا ، وخلق كل نعمة لهذا الإنسان، حتى يتفرغ لعبادة ربه، ويستعين بها على طاعة من أنعم عليه : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان: ٢٠].

هذا العالم العلوي كله يسبح بحمد ربه ، السماوات ، ومن في السماوات من الملائكةكلهم يسبحون بحمد ربهم ، والعالم السفلي كله يسبح بحمد ربه العظيم، الأرض ومن فيها من الجماد والنبات والحيوان، وجميع الذرات والقطرات:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾[الحج: ١٨].

فسبحان السميع العليم القدير الذي يسمع تسبيح جميع مخلوقاته في آن واحد، ويسمع كلامهم بلغاتهم ويجيب دعاءهم:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة: ١٨٦].

وجميع الأرزاق في السماء . . والتسليم في الأرض .

والأرض محل الآيات والعبر ، ومحل استلام الأرزاق ؛ فالله يقول : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٠ – ٢٢].

ولو كانت الأرزاق في الارض لتقاتل الناس عليها، ولحرم بعضهم بعضاً منها.

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الذاريات/ ٢٢] .

فالرزق كله عند الرزاق، يُنزله على عباده بقدر ، ويعرف من يستحقه ممن لا يستحقه ، وهو الكريم الذي يعطي لمن أطاعه ومن عصاه ، من آمن به وكفر به ؛ لأنه أصلاً لا رازق غيره، ولهذا تكفل وحده بجميع أقوات الخلق:﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الزخرف: ٣٢].

فالمُلك مُلكه ، والأرض أرضه ، والنعم نعمه ، والخلق خلقه ، والأمر أمره:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾[فاطر: ٣].

فسبحان السميع البصير الذي يسمع حمد الشاكرين، وذكر الذاكرين، واستغفار المذنبين، ودعاء الداعين: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

هذا الإنسان لابد له من البيئة الإيمانية التي تذكره بالله حتى يعظمه ، وتذكره بنعمه حتى يشكره ، وتبين له أنه إذاآمن بالله فله الجنة ، وإذا كفر بالله عاقبه الله في دنياه وفي الآخرة : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

فلا إله إلا الله كم عظمة ملكه، كم في السماء من المخلوقات، وكم في الأرض من العوالم ؟ عظمة المخلوقات تدل على عظمة من خلقها كميةً، ونوعية، وحجماً ، كم عدد المخلوقات التي لا يحصيها إلا الله الذي خلقها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢].

الله خالق كل شيء ، العرش شيء ، الكرسي شيء ، والسماوات شيء ، والأرض شيء ، والله خالق كل شيء: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

والملائكة شيء ، والإنس شيء ، والجن شيء والله خالق كل شيء.

والجمادات شيء ، والنباتات شيء ، والحيوانات شيء والله خالق كل شيء ، البحار شيء، والأسماك شيء،والنيران شيء والرياح شيء، والنور شيء، والذرات شيء، والله خالق كل شيء .

الله ﷻ خالق كل شيء، وهذا هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له : ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/١٧-١٨] .

الله ﷻ بين لنا من صفة الخلق أنه هو الذي يستحق العبادة وحده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾

[الأنعام: ١٠٢].

ثم الله ﷻ ليس غافلاً عن ملكه هو سميع يسمع كل المسموعات ، وبصير يرى كل المبصرات ، وعليم يعلم السر والعلن والخفيات ، وخبير بما في ضمائر النفوس .

فالإنسان والكون كله مكشوف أمام الله سمعًا وبصرًا وعلمًا ، الله عليمٌ بكلِ شيء ، بصيرٌ بكل شيء ، سميعٌ لكل شيء : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام: ٥٩].

فسبحان الملك العظيم الذي تسبح بحمده جميع مخلوقاته:﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء: ٤٤].

هذا الإله العظيم، والرب الكريم ، نحن بحاجة إليه في جميع أمورنا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥] .

نحن فقراء إلى ربنا ، وهو السميع العليم ليس غافلاً عن مُلكه، يسمع فيه كل شيء ، ويرى كل شيء ، ويعلم كل شيء ، فيجب علينا أن نستحي منه ، وأن نُسمعه ما يحبه ويرضاه، ونجتنب ما يُسخطه ويُغضبه:﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾﴾[نوح: ١٣ – ٢٠].

الله ﷻ سميع يسمع كل شيء، يسمع الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، ويسمع كلام الصادقين والكاذبين،ويسمع كل ما يقوله الخلق : ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران/ ١٨١] .

﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾[المجادلة: ١].

الله ﷻ سميع له كمال السمع ، سميعٌ لكل شيء في مُلكه العظيم ، ونحن ذرة من المخلوقات التي يسمعها ، كم ذرة في الكون؟كم نبات في الكون ؟ كم شجرة ، كم

حيوان ؟ كم طير ؟ كم مَلك ؟ كم في العالم العلوي كله ؟ كم في العالم السفلي كله ؟ كم في قاع البحار؟ كم في باطن الجبال؟ من المخلوقات التي تُسبح بحمد ربها بأصواتها ؟ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾[النور: ٤١].

فسبحان السميع البصير العليمٌ بجميع ما يفعلون في جميع الأوقات ، في كل ثانية مليارات الأفعال تصدر من هذه الخلائق ، فسبحان من يسمع الجميع، ويحصي ما قالوه وما فعلوه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾[المجادلة: ٦].

وهذه المخلوقات العظيمة كلها تشير إلى خالقها الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى، وكلها شاهدة بوحدانيته ، ومسبحة بحمده ، وخاضعة لمشيئته ، ومسرعةٌ إلى إراداته، ومتصاغرة لكبريائه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف: ٥٤].

هو السميع البصير ، والسميع العليم،الذي يسمع جميع الأصوات من دعاء ، وأسئلة ، واستغاثة ، ويسمع جل جلاله أصوات الرياح والعواصف ، ويسمع أصوات الرعد والصواعق ، ويسمع أصوات البحاروالأنهار ، ويسمع أصوات المياه والنيران ، ويسمع جميع أصوات الجماد ، وجميع أصوات النبات ، وجميع أصوات الحيوان ، وجميع أصوات الإنس ، وجميع أصوات الجن ، وجميع أصوات الملائكة ، وجميع أصوات الذرات.

يسمع الكل من هذه المخلوقات العظيمة في العالم العلوي، والعالم السُفلي، وفي عالم الغيب، وعالم الشهادة، يسمع الكل في آنٍ واحد ، ولا يُشغله سمعٌ عن سمع ؛ لأنه السميع العليم بكل شيء : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى/ ١١] .

فسمعه وسع جميع الأصوات، ويسمع سمع إجابة جل جلاله ، وسمع علم: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾ [الأنعام/ ١٣] .

فسبحان السميع البصير الذي وسع سمعه الأصوات كلها، من الأمم كلها، في الأوقات كلها، ولغات الخلق التي لا يحصيها إلا الله وحده.

في الهند أكثر من سبعمائة لغة ، كم في الصين من لغة ؟ كم في أمريكا من لغة ؟ كم في أفريقيا من لغة ؟ كم في أوربا من لغة ؟ كم في عالم الجن من لغة ؟ كم في عالم الطير من لغة ؟ كم في عالم الحيوانات من لغة ؟ كم في السماء من لغة، كم في الأرض من لغة.

هذه معارف إذا عرفها القلب خضع لربه وأحبه ، ثم أطاعه ووحده بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، ووحده بعبادته وحده لا شريك له.

وعبد ربه بثلاث صفات :

بالتعظيم له . . والحب له . . والذل له .

فيجد أُنسه وراحته في مناجاة مولاه ، يحب ربه، ويقف بين يديه ، ويقنت له ، ويستأنس به في عبادته ، ويستوحش من غيره ، فهو مع ربه عبادةً وذكرًا، ودعاءً ودعوة ، لماذا ؟ لأنه عرف ، وإذا عرف احترف، واستقام على أوامر الله : ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر/ ٩] .

فالعبد الذي يذوق طعم المعرفة والإيمان يتلذذ بطاعة الله ، يبذل كل شيء من أجل أن يُعبد الله ، فهو بين يدي ربه عابدًا ، وبين يدي خلقه داعيًا، ومعلمًا، ومحُسنًا: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فلابد أن يسمع منا السميع ما يحُبه ويرضاه ، من الأذكار والأدعية، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

والله ﷻ خلق الدنيا وملأها بمحبوباته هو ، وجعل أمور الدين أسهل شيء ، الأذكار والأدعية ، وأنواع العبادات ، كل ما نعمله في هذا الدين من قراءة القرآن ، وتطبيق الأحكام ، وإتباع الأوامر،هي بحر الحسنات المشروعة لكل غني وفقير من المسلمين:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل: ٩٧].

باب التوحيد والإيمان،وباب الطاعات والقربات، مفتوحٌ لكل إنسان، وهو أسهل شيء.

والله حكيم عليم ضيق الدنيا على المؤمن حتى يتوجه إلى ربه ، ولا تُشغله الدنيا عن الآخرة ، ولا تُشغله النعمة عن المنعم ؛ لأن الله جعل النعم وسيلة للتقوي على الطاعة ، فالمؤمن استعملها في طاعة الله فأنبتت له الحسنات ، والكافر استعملها في معصية الله فأنبتت له السيئات، ثم يأتي الثواب والعقاب بحسب العمل:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

فالله ﷻ سميعٌ بصير،ولكنه حليم ، وسع حلمه جميع مخلوقاته : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء: ٤٤].

فسبحان السميع العليم بكل شيء ، المحيط بكل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء .

هو قاضي الحاجات، ومجيب الدعوات ، وعنده خزائن كل شيء ، فلو قام الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات ، ثم سألوا ربهم حاجاتهم ، سألوا ربهم جميعًا في لحظة واحدة ، وكلٌّ تحدث بلغته ، لسمعهم أجمعين، دون أن يختلط عليه سائلٌ بسائل ، أو لغةٌ بلغة ، أو صوتٌ بصوت ، أو حاجةٌ بحاجة : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس/ ٦١] .

هو جل جلاله محيطٌ بكل شيء ، بصيرٌ بكل شيء ، عليمٌ بكل شيء ، سميعٌ لكل شيء ، قادر على كل شيء ، وإذا عرف الخلق هذه الصفات توجهوا إلى ربهم، وعبدوه وحده لا شريك له بالحب والتعظيم والذل له:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

وهذه هي جنة المعرفة أسأل الله ﷻأن يرزقنا جميعاً هذه المعرفة ، فإن الإنسان إذا دخل هذه الجنة فهو في جنة لا يشبهها إلا نعيم الجنة ، ففي الدنيا جنة المعرفة ، وفي الآخرة جنة الشهوات:﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الرحمن: ٤٦].

الله ﷻ هو السميع الذي يسمع جميع خلقه، ويقضي حاجتهم جميعًا، في لحظةٍ واحدة ، من يُطعم الأسماك في البحار ؟ كلها تسأل ربها حاجتها ، من يُطعم هذه الخلائق ؟ من يكفي هذه الخلائق ؟ الله الذي خلق الخلق، وخلق أقواتهم، وساق أقواتهم إليهم ، وهذايتطلب صفات من القوة ، والقدرة ، والعلم ، والسمع والبصر ، والغنى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦ –٥٨].

الله ﷻ هو المستحق لعبادة ؛ لأن له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٨].

الله ﷻهو الغني الكريم الذي يسمع كل سائل،ويُعطي كل سائل ، كم سائل في العالم العلوي، والعالم السفلي ؟ لا يحصيهم إلا الله.

هو الغني الكريم ، غني لا تنقص خزائنه أبدًا ، الذي تنقص خزائنه مثقال ذرة فقير ، وكل الناس إلى الله فقير ؛ لأن الله ﷻ هو الذي أعطاهم ، كانوا فقراء فأغناهم ، وكانوا معدومين فأوجدهم ، وكانوا ضالين فهداهم، وكانوا عراة فكساهم.

فالله ﷻ هو الغني وحده، والغني الذي لا تنقص خزائنه أبدًا على كثرة الإنفاق ، ويد الله سحاء في الليل والنهار ، والنفقة من خزائنه لا تنقصها مثقال ذرة ، لا تنقصها إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، ماذا يأخذ المخيط إذا غمسناه في البحر ؟.

والله غني له الكمال المطلق في الغنى ، هوالغني والغنى لا ينفك عنه ؛ لأنه غني بذاته، فكل ما في السماوات والأرض ، وكل ما في العالم العلوي والعالم السفلي ،

وكل ما في الدنيا والآخرة ، كله ملكه ، كله ذرة من خزائنه جل جلاله: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر: ٢١].

هذه الخلائق كلها لو سألت الله ﷻ لا ينقص ما أعطاهم من خزائنه شيئًا.

فسبحان الغني الكريم الذي يُعطي كل سائل ، ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة مع كثرة الإنفاق على مر الدهور.

عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**» أخرجه مسلم(١) .

فالمحدود إذا أُخذ من المحدود ينقص ، لكن المحدود إذا أُخذ من غير المحدود لا ينقص أبدًا: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[ص: ٥٤].

فسبحان من له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، ومن لا تنقص خزائنه على كثرة الإنفاق مثقال ذرة: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨].

هذا الهواء العظيم الموجود بين السماء والأرض، كم يتنفس منه الإنسان في اليوم ؟

هذا الهواء الذي هو أسهل شيء وأغلى شيء ، لو انقطع عن الإنسان دقيقة واحدة لمات ، كم يأخذ منه كل إنسان من البشر ؟ يأخذ كل يوم ثلاثمائة وستين متراً مكعباً هواء ، ويتنفس به أربعة وعشرين ألف نفس.

ويأخذه صالحًا، ويخُرجه فاسدًا يذهب بأمر الله إلى النباتات، ويُعطيها التغذية .

هذه البحار التي تجري بين السماء والأرض ، هذه البحار التي تحملها الرياح، هذه السحب العظيمة ، وهذه البحار التي في الأرض ، وهذه المخلوقات كلها ، ملك

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧.

من ؟ خلقها من؟ يدبرها من؟فسبحان من جعلها مظهراً لجلاله وجماله:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فهذه المخلوقات العظيمة تدل على صفاته العظيمة ، صفات الجلال وصفات الجمال ، ، فالسماوات ، والأرض ، والجبال والبحار ، والنبات والحيوان فيها صفة الجلال والعظمة ، تدل على أن خالقها عظيم وقاهر ، وأنه ملك قادر ، وتدل على صفة الجمال ؛ لأن الماء نشربه، والطعام نأكله،والهواء نتنفسه ، والله سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض:﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان: ٢٠].

فهذه المخلوقات تدل على جلال الله وعلى جماله ، وهي مخلوقات من مخلوقاته، تُسبح بحمده،وتشهد بوحدانيته ، وهي مسخرة لنا تكريمًا لهذا الإنسان الذي خلقه الله بيديه ، والله ﷻ سخر له ما في السماوات وما في الأرض، ليستعين به على طاعة الله ، فيسمع ما أمره الله بسماعه من الذكر والمواعظ ، فالله أعطاني أحسن شيء ، وهو السمع الذي في الأذن.

فيجب أن أسمع به أحسن شيء وهو القرآن:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الزمر: ٢٣].

وخلق الإنسان في أحسن تقويم يريد منه أن يعمل بأحسن شيء ، لينال أحسن شيء وأحسن شيء هو الدين : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء/ ١٢٥] .

وأحرك لساني وجوراحي بأحسن شيء:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت/ ٣٣] .

وعلاقتي مع الخلائق كلهم أن أتكلم بأحسن شيء وأقول للناس أحسن شيء : ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[البقرة/ ٨٣] .

فأصل من قطعني ، وأعطي من حرمني ، وأعفو عمن ظلمني ، وأُحسن لمن أساء إلي ، وأمر بالمعروف، وأنهي عن المنكر ، ويكون صمتي فكرًا ، ونظري عبرة ، ونطقي ذكرًا وتسبيحًا وحمدًا وعبادةً ودعوة:﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾** ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

فالله خلقني ورزقني وهداني، فيجب أن أعمل بما يحبه ويرضاه،وأجتنب ما يُسخطه ؛ لأني عبده ، وليس عند العبد عمل إلا امتثال أوامر سيده ، افعل كذا ولا تفعل كذا : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾** ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

ولكن من العبيد ما هو مسخر وهم كل ما سوى الجن والإنس، ومنهم من هو مخير وهم الإنس والجن، كل منهم مخير أن يقبل الهُدى أو يرده ، أن يؤمن أو يكفر ، أن يطيع أو يعصي:﴿ **وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٢﴾** ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

الله خالق كل شيء ، خالق الذوات ، وخالق الأسماء والصفات والأفعال في الذوات ، لكن الإنسان يوجه الطاقة والفعل إلى طاعة الله أو معصية الله:﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف: ٢٩].

- **فالإنسان مركب من ثلاثة أشياء :**

جسدٌ مادي . . وروحٌ ملكي . . ونفسٌ حيواني .

- **فالجسد علبة فيها مخلوقان عظيمان :**

الروح . . والنفس .

الروح : بحر الطاعات والفضائل.

والنفس : بحر المعاصي والشهوات ، والله طبعها على هذا:﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف: ٥٣].

فالنفس شهوانية، والروح ملَّكية تحب أعمال الملائكة من التسبيح والتقديس ، وطاعة الله، وامتثال أمره .
فمثل هذه المجالس الإيمانية تذكرنا بالله ، وتعرفنا بالدنيا والآخرة ، ومن يستحق العبادة ممن لا يستحقها ، وتعرفنا بما يجب لله ﷻ،من التوحيد ، والحب في الله ، والبغض في الله ، وأنواع العبادات والقربات .
فالحمد لله رب العالمين أن يسر لنا مثل هذه المجالس التي نسمع فيها عن ربنا ، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله ، فهذه أفضل المجالس، لأن فضل المجلس بحسب ما يُذكر فيه.
والله ﷻ هو العظيم الذي لا أعظم منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، القوي الذي لا أقوى منه ، السميع الذي لا أسمع منه ، البصير الذي لا أبصر منه.
هو جل جلاله الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلا ، هذا القلب إذا امتلأ بهذه المعارف ، نشط لطاعة الله ، وأقبل على عبادة ربه:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].
الله ﷻ هو السميع البصير ، وهو السميع العليم جل جلاله ، هو السميع البصير الذي يسمع جميع ما في مُلكه العظيم ، ويسمع جميع المخلوقات على اختلاف لغاتها وأماكنها وأزمانها ، يسمعهم جميعًا في وقتٍ واحد ، لكمال سمعه ، وبصره ، وعلمه ، وأسمائه ، وصفاته:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢].
هو السميع البصير الذي يرى كل مخلوق، ويسمعه في كل حال.
يراك أيها الإنسان حين تقوم، وحين تنام ، ويراك حينما تأكل وتشرب ، ويسمعك إذا أمرت أو نهيت ، أو سألت أو دعيت ، ويسمعك إذا استغفرت أو حمدت ، أو ضحكت أو بكيت، أو أسأت أو أحسنت : ﴿ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ ﴾[الأنبياء/ ٤] .
هو جل جلاله السميع الذي يسمع كل ناطقٍ وصامت ، ويسمع كل متحركٍ وساكن ، لا يُشغله سمعٌ عن سمع ، يسمع أصوات الجن ، وأصوات الملائكة ، وأصوات

الطيور ، وأصوات الأسماك ، وأصوات الرياح ، وأصوات الرعود ، وأصوات الإنس على اختلاف الأقوال والسؤالات من حامدٍ ، وذاكرٍ ، وسائلٍ ، ومستغيث، وراغب، وراهب.

هو السميع الذي يسمع كل ناطقٍ وصامت ، ويسمع كل متحركٍ وساكن ، ولا يُشغله سمعٌ عن سمع ، ولا يُشغله دعاء عن دعاء ، ولا تُشغله إجابة عبد عن إجابة عبد أخر : ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن/ ٢٩] .

يسمع كل نجوى ، ويكشف كل بلوى : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

هو السميع الذي يسمع ويجيب جل جلاله : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

لكن بشرط : ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

فالله ﷻ سميع قريب مجيب، يجيب الداعي إذا وحد ربه جل جلاله.

فلابد حين أدعو ربي ليستجيب دعائي أن أتيقن أنه سيجيبني، لأن الله كريم لا يرد سائلًا أبدًا ، كريمٌ له مطلق الكرم ، لا يرد سائلاً أبدا ؛ ولكن بشرط : ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

- **ولإجابة الدعاء لابد من اليقين على خمسة أمور:**

أن أتيقن أن الله موجود . . وأنه يسمعني . . وأنه قريبٌ مني . . وأنه قادرٌ على قضاء حاجتي . . وأنه يحب أن يرحمني ويعطيني: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

ولذا حُسن الظن بالله هو العبادة ، وزُبدة اليقين حُسن الظن بالله.

والله ﷻ يقول في الحديث القدسي : «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ**

تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»متفق عليه [1].

فهو ﷻ يسمع كل نجوى في العالم العلوي والعالم السفلي ، ويكشف كل بلوى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر/١٩] .

فالذي يليق بجلاله هو العطاء والكرم، والإحسان والعفو، والرحمة والمغفرة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج: ٦٥].

هو السميع الكريم الرحيم الذي يُجيب من دعاه عند الاضطرار ، ويكشف محنته عند الافتقار : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل/ ٦٢] .

هو جل جلاله يُجيب المضطر حتى ولو كان كافر إذا استغاث به : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت/ ٦٥] .

فالمضطر الله ﷻ لا يُجيبه لأهليته ؛ بل يُجيبه لكمال رحمته بخلقه كلهم: ﴿ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

فهو يُجيب المضطر إذا دعاه أيًا كان من عالم الحيوان ، أو عالم الإنس ، أو عالم الجن ، يُجيب المضطر إذا دعاه حتى ولو كان كافرًا، إذا وحد الله في تلك الحالة: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

الله ﷻ سميع يسمع أولياءه ويُجيبهم فورًا ، الله ﷻ هو السميع الذي يسمع يُجيب دعاء من دعاه مخلصاً ، ليس فقط يسمعه ويتركه ؛ بل يسمعه، ويُجيب دعاءه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٤٠٥، واللفظ له ومسلم برقم: ٢٦٧٥.

- **والله ﷻ أعطى الأنبياء والمؤمنين شيئين :**

الإيمان . . والتقوى، وبالإيمان والتقوى تحصل جميع البركات:﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف: ٩٦].

- **وأعطى أعداءهم شيئين :**

الأموال . . والأسباب، والأموال والأسباب وسائل مخلوقة ليس بيدها شيء، بل الأمر كله بيد الله وحده:﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[آل عمران: ١٦٠].

فالأنبياء يفزعونإلى الله في كل شيء ، فنحن نقرأ في القرآن : ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾[الأنبياء/ ٧٦-٧٧] .

والله ﷻ سمع دعاء نوح ﷺ ، وسمع ما قال قوم نوح حين سخروا منه ، واستهزئوا به : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾[القمر/ ١٠] .

فقال الله ﷻ :﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾

[القمر: ١١ – ١٤].

فالله ﷻ يسمع من أوليائه سماع إجابة ، ويُجيبهم.

وأيوب ﷺنادى ربه السميع البصير ، نادى السميع العليم ، نادى السميع المجيب : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[الأنبياء/ ٨٣-٨٤] .

فكل نبي، وكل مؤمن إذا دعا الله مخلصاً بعد فعل الأسباب التي يقدر عليه، فالله يجيب دعاءه وينصره:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر: ٦٠].

والله ﷻ ابتلى أيوب بالمرض سبعة عشر عامًا ، حتى جاءت عنده الصفة التي يحُبها الله، وهي الصبر كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص/ ٤٤] .

فكان العلاج تحت قدمه ، ولكن الله حبسه عنه سبعة عشر عامًا ، لأنه يريد أن يرى فيه صفة الصبر ، التي هي من أعظم الصفات بعد الإيمان ، صبرٌ على الطاعة ، وصبرٌ عن المعصية ، وصبرٌ على الأقدار ، صبرٌ على تحمل مشاق الدعوة ، صبر على أذى الناس: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص: ٤١ – ٤٤].

والأنبياء والرسل كانوا كلهم جبال التضحيات ، وكلهم قمم الصفات : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام: ٩٠].

والله ﷻ فرق الصفات التي يحبها في الأنبياء والرسل ، ثم جمعها في سيد الأنبياء محمد ﷺ ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤] ، هذا له .

وقال عن أمته : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران: ١١٠].

خير أمة في التوحيد ، في الإيمان ، في اليقين ، في الأخلاق ، في الدعوة ، في العبادة،في التعليم ، في الإحسان.

كنتم خير أمة لتدعوا شر أمة، ليكونوا خير أمة ، كما جعل الله ﷻدعوة النبي ﷺ في شر أمة، فصاروا خير أمة:﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة: ٢].

- **وهذه الأمة على درجتين:**

الأولى: خير أمة : وهم المؤمنون، وهم أمة الإجابة:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾[البينة: ٧ – ٨].

الثانية: شر أمة : وهم أمة الدعوة، وهم العصاة ، والكفار ، والمشركون ، والمجوس ، والهندوس، واليهود ، والنصارى.

فهؤلاء شر أمة، فتجب دعوتهم إلى الإسلام ليكونوا خير أمة:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ ﴾[البينة: ٦].

سمعنا القرآن، والقرآن مُتعبد بتلاوته،الحسنة بعشر أمثالها،ولكن هذا ينقطع بعد الموت.

ومُتَعبد بفهمه، نقرأ القرآن ونعرف المعجزات التي فيه وأساليبه ومعانيه ودلالة ألفاظه ، ونتدبر خلق السماوات والأرض ، هذا عبادة من أعظم العبادات:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾[ص: ٢٩].

والأمر الثالث العمل بما في القرآن.

فالقرآن مُتعبد بتلاوته ، ومُتعبد بفهمه وتدبره ، ومُتعبد بجهده:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾ [إبراهيم: ١].

فإذا سمعنا :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ ﴾[المزمل: ١ – ٤].

نقوم الليل بين يدي الله.

وإذا سمعنا :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧ ﴾[المدثر: ١ – ٧].

نقوم بين يدي الخلق ندعو إلى الله .

وإذا سمعنا :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ ﴾[الحج/ ٧٧].

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران: ١٠٤].

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾﴾[المائدة: ٢].

نسابق إلى كل فضيلة وعبادة، ونتعاون على البر والتقوى ، وإذا سمعنا لابد أن نطيع وأن نمتثل:﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة: ٢٨٥].

ولابد أن نُسمع الناس : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص/ ١] .

﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[آل عمران: ٣٢].

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف: ١٥٨].

نقول للناس ما سمعناه من ربنا ﷻمن أخبار وأوامر وأحكام:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾[المائدة: ٦٧].

فبقدر قوة اليقين على الله وأسمائه وصفاته، تكون إجابة الدعاء فوراً، كما قال عن يونس ﷺ : ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٧] .

أقر بأنه ظالمٌ لنفسه ، ومقصر ، وهذه أفضل أحوال الإنسان أن يكثر من الاستغفار ، فعلاج كل بلاء هو الاستغفار : ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ

ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ – ١٢].

فيونس ﷺ حين نادى ربه عنده اليقين التام على أن الله موجود ، وعلى أن الله يسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، ويسمع كل من في السماوات، ومن في الأرض ، ومن في قعر البحار، ومن في النور، ومن في الظلمات. عنده يقين حازم على أن الله موجود ، وأن الله يسمع ، وأن الله قادرٌ على إجابته ، وأن عنده قضاء حاجته ، وأن الله يحب أن يقضي حاجته، لكمال رحمته بعباده : ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[الأنبياء/ ٨٧] .

وفوراً قال الله ﷻ : ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ [الأنبياء/ ٨٨] .

لأنه في ظُلمة الليل ، وظُلمة البحر ، وظُلمة بطن الحوت، وظلمة الوحدة والوحشة. هذا للأنبياء ولكل مؤمن ومؤمنة.

في المستقبل : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٨] .

إذ كان عندهم هذا اليقين على أن الله موجود ، وأن الله ﷻ سميعٌ بصيرٌ عليمٌ بكل شيء ، وأنه قادر على كل شيء ، وأنه يُحب لكمال رحمته أن يقضي حاجتهم ، فهذا هو حُسن الظن بالله .

وإذا جاء اليقين على الله، وحسن الظن بالله، فتح الله أبواب الإجابة لمن دعاه: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠] .

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾[الأنبياء/ ٩١] .

وهذه الأمة ، النبي ﷺ كان في العريش في غزوة بدر ، فدعا الله ﷻ متضرعاً أن ينصر دينه وأولياءه قائلاً: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض ، اللهم إنهم جياع**

فأطعمهم ، وحفاة فاحملهم ، وعراة فاكسهم» أخرجه مسلم[1] .
فنزل النصر من عند الله كما ينزل المطر:﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٢٣].
فنزل جبريل ومعه ألف من الملائكة : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنفال/ ٩-١٠] .
فليفزع المؤمن إلى ربه في جميع الحالات في الضراء والسراء ، حاجاته عند الله، إذا سألت فاسأل الله ؛ لأنه سميع، وبصير ، وقادر، ويحب أن يقضي حاجتي التي تعينني على طاعته، وعنده خزائن كل شيء :﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر: ٦٠].
فبقدر قوة اليقين، وكمال الافتقار، وشدة الاضطرار، وقوة الدعاء، يأتي الفرج بعد الكرب.
والله قادر أن يمدهم في بدر بمَلك واحد جبريل له ستمائة جناح ، قادر بطرف جناحه أن يدمرهم ، لأنه رفع بطرف جناحه خمس قري من قرى قوم لوط إلى السماء، ثم قلبها عليهم ، هو الآن مكان البحر الميت:﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾[هود: ٨٢ – ٨٣].
والله ﷻقادر أن ينصرهم بمَلك واحد ، لكن لماذا ألف ؟ لأن الله فرح بهؤلاء المؤمنين الذين ضحوا بكل شيء من أجل أن يُعبد الله ، ومن أجل أن ينتشر الدين ، ومن أجل أن يرضى الله ﷻ ، وخرجوا في سبيل الله بلا عدد ولا عدة.
فرح بهذه المجموعة المؤمنة التي هذا أول لقاء لها مع الأعداء ، ليبين لهم أنهم يُنصَرون من الناصر الذي بيده النصر وحده.

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ١٧٦٣.

ففي بدر أظهر الله قوة لا إله إلا الله ، وفي أُحد أظهر قوة محمد رسول اللهﷺ ، حتى يعلموا أنه الناصر وحده.

فكان يكفي مَلك واحد، لكن الله فرح وجاء بألف نصرة لأوليائه، ثم جاء بثلاثة الآف، ثم جاء بخمصة الآف من الملائكة، إظهاراً لقدرته، ومحبة لعملهم فقال:﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[آل عمران: ١٢٣ – ١٢٥].

ثم بين لهم أن النصر من عنده وحده:﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الأنفال/ ١٠] .

بشرى لكم ، هؤلاء الملائكة كلهم مخاليق من مخاليق الله مأمورون من ربهم ، لكن الناصر واحد ، والرازق واحد ، والخالق واحد، والقاهر واحد ، والغني واحد ، والمحيط واحد ، ليس بيد الخلق شيء ، الذي له الخلق والأمر هو الله ، والذي بيده الخلق والأمر هو الذي يستحق أن يُعبد ، وحده لا شريك له:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢].

هذا هو الإله الذي يستحق أن يُعبد ، ويجب أن يُعبد ؛ لأن المُلك مُلكه ، والأرض أرضه ، وهو الذي له الأسماء الحُسنى، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة.

هو الذي خلق الإنسان مفتقراً إلى غيره ، فالإنسان إما عابد لله ، أو عابد لعبد الله من الليل والنهار ، أو الشمس والقمر أو غيرها:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ ۩ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[فصلت: ٣٧].

فالخلق كلهم عبيد لله، والمؤمنون هم عباد الله ، والواجب نقل البشرية من العبيد إلى العبودية والعبادة لله وحده ، كل الخلاق عبيد ، نحن عبيد لمن خلقنا على هذه الصورة ، وأمدنا بالأرزاق ، وأسكنا في الأرض:﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾[مريم: ٩٣ – ٩٥].

فيجب علينا كما خضعنا لربوبيته بالخلق والقوت والنعم المادية ، أن نخضع لألوهيته بامتثال أوامره الشرعية، ونمتثل أمره لصالحنا نحن ، لأننابامتثال أوامره الشرعية نحصل على الأمن، والخلافة في الأرض في الدنيا ، ونحصل على الجنة والرضوان في الآخرة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢] .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٧ – ١٠٨].

والله ﷻ سميع، وأمرنا بدعائه، وما أمرنا بدعائه إلا ليجيب دعاءنا ، فلندعوه،ولا نعتدي في الدعاء ، الدعاء له ضوابط ، والصلاة لها سنن وأحكام والحج كذلك ، والدعاء له شروطٌ وآداب لابد أن نفهم هذه الأمور ، وننظر في حياة الأنبياء ماذا عملوا ، لنقتدي بهم في التوحيد واليقين ، والأخلاق والدعوة والذكر والدعاء وفي الشريعة نتبع النبي ﷺ ، وما وافق سنته ﷺبما جاء به الأنبياء من قبله:﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾[الأعراف: ٥٥ – ٥٦].

هوسبحان السميع العليم بجميع مخلوقاته جل جلاله ، البصير فكل ما يجري في ملكه العظيم، من أقداره على عباده كله على مقتضى الرحمة والحكمة ، والعدل والإحسان ، هذه أمضية الله وأقداره على خلقه ، كلها رحمة ، وحكمة ، وعدل ، وإحسانٌ إلى خلقه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[النحل: ٩٠].

والله ﷻ من اسمه السميع نعلم أن الله ﷻ يسمع كل شيء ، وإذا علمنا أنه يسمع كل شيء فلا نتكلم إلا بما يحبه ويرضاه من الأقوال ، والأذكار ، والأدعية ، والدعوة ، وتعليم شرع الله ، ونجتنب ما يُسخطه من الغيبة والنميمة ، وغير ذلك من الأمور: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾[الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

فهو جل جلاله يسمع كل نجوى ، ويكشف كل بلوى : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل/ ٦٢] .

فسبحان من يجيب دعوة المضطر من مؤمن، أو كافر إذا استغاث به، لأن رحمته وسعت كل شيء.

لو لم يرحم هذا الكافر ما أسكنه في أرضه، ولا رزقه من رزقه ، ولا سقاه من مائه ، ولا يجعله يتنفس من هوائه ، ولكن الله أرحم الراحمين ، لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا يضره معصية العاصين: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

والله غنيٌ عن العباد وعبادتهم : ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت/ ٦] .

هو السميع الكريم الرحيم ، الذي يُجيب من دعاه عند الاضطرار ، ويكشف محنته عند الافتقار ، ويرحم ضعفه عند الانكسار ، ويقبل عذره عند الاعتذار ، ويغفر ذنبه عند الاستغفار : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل/ ٦٢] .

وكذلك المظلوم ، فالمضطر والمظلوم يُجيب الله دعاءه حتى ولو كان كافر ، لماذا ؟ لأن الله يُحب العدل، ويكره الظلم ، ويبغض الظُلم والظلمة ، فالله لكمال رحمته وعدله، يُجيب المظلوم إذا قصده ولو كان كافراً.

قال النبي ﷺ :«**وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**» متفق عليه (١) .

كل مظلوم من مسلم أو كافر .

فالله يأمر بالعدل والإحسان ، وينهى عن الظلم والبغي، وينتقم من الظالمين، لأنه لا يُحب الظالمين ، فهؤلاء الظلمة عصي بيد الله ، ينتقم بها ثم ينتقم منها ، ينتقم بهم من الظلمة ممن ظلم نفسه أو ظلم غيره ، ينتقم بالظالم الكبير من الظالم الصغير حتى يُنقي هذا المجمع من أهل الظُلم والباطل ، ليأتي أهل العدل والحق ، فينتقم بالظالم،

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ١٤٩٦، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٩ .

ثم ينتقم منه في النهاية .

فالله سلط فرعون على بني إسرائيل ؛ لأنهم بدلوا وغيروا في دينهم ، ثم أغرق الله فرعون وجنوده في البحر:﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥﴾[الزخرف: ٥٥].

فسبحان الحكيم العليم، السميع البصير، في خلقه وأمره، وعطائه ومنعه، ونصره وخذلانه:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢].

فلا تظن أن الله غافل : ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤﴾[البقرة/ ٧٤] .

الله لا يعزب عنه مثقال ذرة ، يسمع المطيع والعاصي ، ويسمع من يسبح ويحمد ويشكر ، ويسمع من يسُب ويشتم ويلعن ، هو سميعٌ لكل شيء ، ويُجري من أحكامه على ما به رحمة خلقه:﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر: ٦٥].

فسبحان السميع ، العليم ، البصير الذي يكشف بسمعه جميع أصوات مخلوقاته في العالم العلوي، والعالم السفلي ، فأقوالهم معلومة ، وأجسادهم مرئية ، وأصواتهم مسموعة:﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾[الملك: ١٣ – ١٤].

هو السميع الذي يكشف بسمعه كمال صفاته ؛ لأن سمعه ليس كسمع المخلوق ، المخلوق يسمع ما حوله ، ولا يسمع الأصوات إذا كثرت أو بعدت ؛ لكن الله ﷻ سميعٌ له الكمال المطلق في السمع ، يسمع القريب والبعيد وكلٌ عنده قريب ، يسمع جميع الأصوات، باختلاف اللغات،بجميع اللهجات، مع تعدد الحاجات، في جميع الأوقات ، يسمعها في آن واحد ، ويُجيب السائلين في وقت واحد:﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ٧﴾[الأعلى: ٧].

فتنكشف بسمعه كمال صفاته ، وتنكشف له المسموعات انكشافًا تامًا في جميع ملكه وملكوته.

فما هو واجب العبد إذا سمع قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ

ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨] .

فالمسلم إذا سمع القول فقد أدرك الحق ، وإذا أدرك الحق انفعل إن كانت طاعة يؤديها ، وإن كانت معصية يجتنبها وإن كان خبراً يصدقه،ولكن لايكفي هذا الانفعال بل لابد حركة البدن بفعل الصلاة ، والذكر ، والدعاء ، والدعوة ونحو ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الحج: ٧٧].

- **فالأمور ثلاثة :**

إدراكٌ . . وانفعال. . وحركة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[الصف: ٢ – ٣].

والإنسان إذا سمع فعليه أن يمتثل ، وعليه أن يُسمع غيره ، فالله أسمعني الحق، لأعمل به، وأُسمعه غيري ، من كافرٌ أدعوه إلى الله ، وجاهلٌ أعلمه شرع الله ، وضالٌ أهديه سواء السبيل : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠] .

فلابد للإنسان حتى يزيد إيمانه ؛ أن يعلم أن ربه سميعٌ ، عليمٌ ، بصير ، ليسمعه ما يحبه ويرضاه ، ويجتنب ما يُسخطه ويبغضه : ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٤] .

فأسمعوه ما يحبه من الذكر ، والحمد ، والثناء ، والتسبيح ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف: ١٠٨].

هو السميع الذي يسمع الكلام، ويجازي عليه، خيرًا كان أو شرًا فتوكل على السميع العليم وحده، يُغنيك عن كل أحدٍ سواه : ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾[الأنفال: ٦١].

والله ﷻ يسمع ، ويرى كل شيء ، ويثيب ، ويعاقب، بحسب ما يسمع ويرى ويعلم : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام: ١٦٠].

والله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، ومن أسمائه الحُسنى العظيمة : السميع،والبصير .

يسمع دعاء الداعين ، ويجيب أسئلة السائلين ، وينزل في أخر كل ليلة حين يبقى ثُلث الليل الأخر إكرامًا للمؤمنين ويقول : «**هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ**» متفق عليه[1] .

هو ينزل كما يليق بجلاله ، ويسمع وهو فوق سماواته، وفوق عرشه ، يسمع جميع مخلوقاته ، لكن إكرامًا لعباده ينزل أخر كل ليلة ، ليعطي كل سائل، ويغفر لكل مستغفر، ويجيب كل داع.

فالله ﷻسميع يسمع كل شيء، ويُسمع خلقه ما يريد منهم، ويجيب دعاء من دعاه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة/ ١٨٦] .

ويُسمع خلقه الحق : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأنفال: ٢٢ – ٢٣].

والله من كرمه وجوده وإحسانه أن أسمعنا الحق ، وإلا الله فطرنا على التوحيد ، ولكن اسمعنا الحق بواسطة الأنبياء والرسل وبما أنزل من الكتب : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾

[الزمر: ١٧ –١٨].

فالذي في قبور الشهوات ، والذي في قبور الدنيا ، والذي في قبور الغفلة ، هذا لا يستفيد إذا سمع ، الذي يسمع القرآن ولم يتأثر ، ولم يتغير،هذا كأنه عند الله لم يسمع :﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[فاطر: ٢٢].

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٦٣٢١، واللفظ له، ومسلم برقم: ٧٥٨ .

فالله ﷻ أعطانا بكرمه ورحمته السمع ، لنسمع به أحسن شيء وهو القرآن ، ثم نمتثل أوامر هذا القرآن ، وبذلك نكون قدسمعنا وأطعنا : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة/ ٢٨٥] .

والله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى في السماوات والأرض ، الله ﷻ هو الملك الحق الذي تفرَّد بالملك والربوبية والألوهية ، كان الخلق جميعًا في العدم ثم أوجدهم الله ، وحين أوجدهم ملكهم ،وبيده وحده بقاؤهم وفناؤهم، وهو السميع لأقوالهم، البصير بأفعالهم، العليم بما في ضمائرهم.

فالله ﷻهو السميع البصير ، الذي يسمع المخلوقات كلها ، باللغات كلها ، في الأوقات كلها ، في الأزمنة كلها ، ولا يشغله سمعٌ عن سمع : ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمن/ ٢٩] .

إن معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله تملأ القلب بالإيمان ، وإذا امتلأ القلب بالإيمان نشطت الجوارح بالأعمال ، ومعرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله هي أعظم دروس التوحيد والإيمان ، وهي الدرس الذي يجب علينا دائمًا أن نردده ونكرره ؛ حتى نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته، ونعبده بمقتضاها: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق: ١٢].

التعبد لله ﷻ باسمه السميع

معرفة السميع البصير جل جلاله بأسمائه الحُسنى، وصفاته العلى، تولد الإيمان الكامل ، والحب الكامل، والطاعة الكاملة ، والعبادة الكاملة ، والمراقبة الكاملة، وتثمر الثواب الكامل : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد/ ١٩] .

فإذا عرفت الله بأسمائه وصفاته وأفعاله،أثمرت هذه المعرفة العظيمة عملاً عظيماً وهو التعبد لله بموجب هذه المعرفة ، فيبني على معرفة اسم الله السميع أمرٌ عظيم، وهو التعبد لله بهذا الاسم الكريم.

فأُسمع الله السميع كل ما يحبه ويرضاه من الذكر ، والحمد ، والثناء، والاستغفار، والسؤال، والدعاء، وتلاوة القرآن.

وأُسمع خلقه من الإنس والجن ما يحبه ويرضاه من القول الحسن، والدعوة إلى الله ، والذكر والمواعظ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت: ٣٣].

وأسمع أنا كل ما يحبه الله ويرضاه من الأخبار ، والأحكام ، والأخلاق التي جاءت في كتاب الله العظيم، وفي سنة نبيه الكريم ﷺ ، وأعمل بموجب ذلك ، وأدعو الناس إلى ذلك، واصبر على ذلك : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾[العصر: ١ – ٣].

فلا بد من تزكية النفس بمعرفة التوحيد والإيمان ، تزكية القلوب بأن تملأ بالصفات التي يحبها الله من التوحيد والإيمان والإحسان، حب الله ، والتوكل عليه ، والافتقار إليه ، والانكسار بين يديه، والخوف منه، والرجاء لهُ، والتعظيم له، والذل له.

وتزكية الجوارح بأن أستعمل اليد وفق أمر الله ، وأستعمل البصر وفق أمر الله ، وأستعمل السمع وفق أمر الله ، واستعمل البدن وفق أمر الله، وأدعو الناس إلى ذلك:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

الله ﷻ هو السميع البصير : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١] .

ليس كمثله شيءٌ في السمع ، ليس كمثله شيءٌ في البصر ، ليس كمثله شيءٌ في القوة ليس كمثله شيء ، فهو ﷻ واحد أحد : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾ [الإخلاص/١-٤] .

والله ﷻ منَّ علينا بنعم كثيرة ، وجعل الإنسان الذي يستقبل أوامره مزود بثلاث نعم كبرى :

السمع . . والبصر . . والعقل: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

هذا الإنسان الذي زوده الله ﷻ بهذه الطاقات ، وميزه عن غيره بالعقل واستقبال الوحي ، هذا الإنسان له وظيفة ، الله ﷻ أعطانا العقل، لنعقل به أعظم شيء وهو العلم بالله ، وأسمائه ، وصفاته، وأفعاله ، والعلم بدينه ، وشرعه، والعلم بثوابه وعقابه.

أعطانا هذا العقل، لنعقل به الخالق من المخلوق ، والدنيا من الآخرة ، والحسن من القبيح ، والطيب من الخبيث: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

وأعطانا جل جلاله السمع، لنسمع به أحسن شيء : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر/ ١٧-١٨] .

وليس فقط أن نسمع ؛ بل نسمع ونستجيب : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢٤] .

فليس فقط أن نسمع ، الذي يسمع ولا يعمل كأنه لم يسمع،فالمعوّل على سمعنا وأطعنا، لا على سمعنا ، ولا على سمعنا وعصينا : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٨٥].

نستغفر الله من التقصير في معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، من التقصير في الأقوال ، ومن التقصير في الأعمال، ومن التقصير في الأخلاق، من التقصير في الدعوة، ومن التقصير في العبادة، فليس عند العبد إلا كثرة الاستغفار، لأن حق الله عظيم ، والعمل الذي نقدمه قليل، وليس على الوجه اللائق بجلاله وعظمته : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧]

والله ﷻ أعطانا بمنّه وكرمه ورحمته أعطانا اللسان، لنتكلم بأعظم شيء، وأحسن شيء : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

هذا أحسن شيء نذكر العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وندعو الناس إليه : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] .

هذا أحسن شيء أن أعرف الحق ، وأدعو إلى الحق ، واجتهد على نفسي بالعلم والعمل، والعبادة والاستقامة ، واجتهد على غيري بالدعوة والتعليم، والإحسان ، هذا هو أحسن شيء .

فعبودية اللسان أن يتكلم بأعظم شيء وأحسن شيء ؛ وأحسن شيء أن يذكر الله ذكرًا كثيرًا ، وأن ندعو إليه :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

وأن نُعلم شرعه : ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

وأن ندعو الناس إلى توحيد الله ﷻ ، وعبادته وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: ٣٦].

هو سبحانه الذي أعطانا هذه الأسماع ، والأبصار ، والعقول ، وأعطانا الجوارح ، وجعل الجميع أمانات في أيدينا ، فالعقل أمانة ، والبدن أمانة ، والقلب أمانة ، والبصر أمانة ، والسمع أمانة ، والزمان أمانة ، والمكان أمانة ، والمال أمانة .

والله ﷻ أمرنا بأداء هذه الأمانة العظيمة التي قبلناها،وعرضها على غيرنا فأباها : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢ – ٧٣].

والأمانة : هي قبول الدين، ونشر الدين ، هذه الأمانة هي قبول الحق ، والعمل به ، والدعوة إليه، والصبر عليه:﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر: ١ – ٣].

فالله ﷻ لعن بني إسرائيل لمّا أعرضوا عن الدين ، وحرفوا ، وبدلوا ، وتركوا الدعوة إلى الله: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة/ ٧٨-٧٩] .

فالله ﷻ نقل منهم هذه الأمانة وهذا الدين الحق، إلى هذه الأمة ؛ لأنها خير أمة أُخرجت للناس ، وخيريتها في أنها : تأمر بالمعروف ، وتنهي عن المنكر ، وتؤمن

بالله، وتعلم شرع الله، وتعبد الله، وتجاهد في سبيل الله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ [التوبة: ٧١].

وهذا جزاؤهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾ [البينة: ٧ – ٨].

﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩)﴾ [التوبة: ٨٨ – ٨٩].

والله ﷻ أمرنا بأداء الأمانة، بقبول الحق، والإيمان بالحق، والدعوة إلى الحق، وتعليم الحق، ليس عندنا عمل غير هذا العمل.

فالواجب علينا أن نسابق ونسارع إلى ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال، والأخلاق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧)﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران/ ١٠٢].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾ [آل عمران/ ١٠٤-١٠٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب/ ٧٠-٧١].

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران/ ٢٠٠] .

اسم الله السميع،اسم عظيم من أعظم أسماء الله الحسنى ؛ لأنه يقتضي سامعًا ، ومسموعاً منه ، ومسموعاً ، فالذي يسمعنا هو الله ﷻ، والذي نسمع منه هو الحق ، والسامع له هو من آمن به .

فهذا الاسم اسم عظيم ، اسمٌ يستغرق وقتاً طويلاً في الكلام عنه.

- **وأركان التعبد لله بهذا الاسم الكريم ثلاثة أمور :**

أولاً : ماذا أسمع ؟ .

ثانيًا : ماذا أُسمع ؟ .

ثالثًا : من أُسمع منه؟ .

فالله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلى، وإذا أخبرنا أنه السميع، فيجب أن نعرف السميع بذاته وأسمائه وصفاته، وماذا نسمع منه ، وماذا نُسمع ، ومن أُسمع .

أما ماذا أسمع ؟ فالواجب علي أن أطيع السميع العليم البصير ، الذي خلق لي السمع ، وبين لي ما أسمع مما يحبه ويرضاه ، وأعظم ما أتلو وأسمع كتابه العظيم الذي فيه تبيان كل شيء : ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر/ ١٧-١٨] .

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾ [الأعراف/ ٢٠٤] .

وأسمع سماعاً إيجابياً فالمعوَّل عليه سمعنا وأطعنا ، وكتاب الله العظيم هو أحسن الكتب ، وأشملها ، وأعظمها ، وهو المهيمن علي جميع الكتب، المبين الذي بين الله فيه أحسن الأخبار والأحكام والأخلاق:﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾[النحل: ٨٩].

والقرآن الكريم هو كلام الله ﷻ، متعبدٌ بتلاوته، وفهمه، وتدبره، والعمل به:﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾[الأنعام: ١٥٥].

فالواجب على المسلم أن يطيع السميع العليم الذي خلق فيه السمع ، وبين له ما يسمع مما يحبه الله ويرضاه ، وأعظم ما يسمع هو كتاب الله ﷻ ، الذي فيه تبيان كل شيء ، نقرؤه تارة، ونسمعه تارة كما في الصلوات السرية والجهرية:﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[الأعراف/ ٢٠٤] .

فأنا أسمع القرآن ، فالأخبار أصدقها، والأوامر أفعلها، والمناهي أجتنبها، فهذا الذي سمع، وفهم، وعمل ، وآيات القرآن سماعها فيه أجر ، وقراءتها فيها أجر ، وفهمها فيه أجر ، وإبلاغها للناس فيه أجر ، والعمل بموجبها فيه أجر:﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف: ١٧٠].

فربنا ﷻهو الحق الذي أنزل الكتاب بالحق ، ويريد منا أن نعرف الحق، لنعمل بالحق وندعو الناس إلى الحق ، وكل ما سوى الله ودينه وشرعه كله باطل ، والباطل في مقابل الحق ، كما أن النور في مقابل الظلمات، والنهار في مقابل الليل.

والله ﷻ خلق الكون، وزينه بآياته ومخلوقاته ، وكلها محكمة ، وكلها في إتقان، إلا حركة الإنسان ،فهو إن سمع الهدى، وعمل به صار من المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، صار من أهل الصفات التي يحبها الله.

وإن لم يسمع الهدى أو سمعه وأعرض عنه، صار كالحيوانات ، أو كالسباع ، أو كالشياطين، فاشتغل في المنكرات والفواحش، وصار فاسداً ومفسداً.

فالقرآن متعبد بتلاوته ، الحرف منه بعشر حسنات، وكذلك هو متعبدٌ بفهمه ، أن أفهم ماذا يريد الله ﷻ من هذا النص ، وأعرف أسراره ، ومعانيه ، وأتدبر أخباره أحكامه ، وما واجبي نحو هذا النص؟: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء/ ٨٢] .

- **وحتى تفهم القرآن لا بد من العلم بأمرين :**

الأمر الأول : أنني مخاطبٌ بالقرآن ، لأعمل بالقرآن، وأدعو إلى ما في القرآن من أخبار والأحكام:﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم: ٥٢].

الأمر الثاني : لا بد أن أفهم مواضيع القرآن، ومقاصد القرآن.

- **وفهم القرآن مبنيٌ على أمرين** :

العلم بالأخبار .. والعلم بالأحكام.

- **فالقرآن إما خبرٌ أو إنشاء، والخبر نوعان:**

الأول: خبرٌ عن الله بأسمائه وصفاته وأفعاله كقوله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

وقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾[البقرة: ٢٥٥].

الثاني: خبرٌ عن مخلوقاته ، خبرٌ عن خلق السماء والأرض : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾[ق/٦-٨] .

أو خبرٌ عن الجبال ، أو خبرٌ عن البحار ، أو خبرٌ عن الإنس ، أو خبرٌ عن الجن ، أو خبر عن الملائكة، أو خبر عن النباتات ، أو خبرٌ عن الحيوانات ، أو غيرها.

فهذه الأخبار أخبار أخبر بها الله عن مخلوقاته التي خلقها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢].

وإذا عرفنا الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرفنا عظمة آياته ومخلوقاته، آمنا به وصدقناه، وأجبناه وكبرناه، وحمدناه وشكرناه، وأطعناه وعبدناه:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩].

والله ﷻ ملأ الكون بمخلوقاته ، وأرانا هذه المخلوقات العظيمة، وسخرها لنا:﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠ ﴾[لقمان: ٢٠].

وجميع مخلوقات الله شاهدة بوحدانيته ، ومسبحة بحمده ، وخاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى ارادته : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق/ ١٢] .

وإذا علمنا ذلك بقلوبنا امتلأ القلب بالإيمان ، وامتلأ بحب الله ، وتعظيم الله ، وأقبل على ربه وأحبه ، ثم أطاعه وعبده ، وجاء فيه مزاج سمعنا وأطعنا:﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١ ﴾[النور: ٥١].

القسم الثاني : إنشاء وهو طلب فعل ، وطلب ترك

طلب فعل مثل : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦﴾ [النور/ ٥٦] .

وطلب ترك مثل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾[الحجرات: ١٢].

العلم بالله ، والعلم بمخلوقاته يثمر تعظيم الله ، وتكبيره ، ومهابته ، والخوف منه ، والحب له ، والثناء عليه ، وحمده ، وشكره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩].

فإذا عرفت القرآن، وما فيه من هذه الأخبار العظيمة والأحكام الحسنة ، تولد عندي التعبد لله به، وهو القسم الثالث.

فالقرآن متعبد بتلاوته ، ومتعبد بفهمه ، ومتعبد بالعمل بأحكامه ، بالعمل بما سمعته وقرأته .

فإذا سمعت خبراً أو أمراً أو نهياً أكون أول من يقوم بهذا العمل: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١ – ١٢].

فإذا سمعت : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٢] .

أطيع الله ورسوله ، وأكون أول من يطيع الله ورسوله .

وإذا سمعت : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

أدعو إلى الله في كل مكان وزمان وحال.

وإذا سمعت : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور/ ٥٦] .

أكون أول المبادرين إلى ذلك، وهكذا في سائر الأحكام.

وإذا سمعت : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣] .

أكون من هؤلاء الذين فيهم أربع صفات ، كانت في الأنبياء، وأصحاب الرسول ﷺ وهي:

آمنوا . . وعملوا الصالحات . . وتواصوا بالحق . . وتواصوا بالصبر .

الحق ثقيل على النفوس حتى نعرفه، لهذا إبلاغه للناس يحتاج إلى مجاهدة ، يحتاج إلى قوة الإيمان ، يحتاج إلى الوقت ، إلى الفكر ، إلى البذل والترك من أجُله، والتضحية بكل شيء من أجله، فلابد من الصبر .

فجميع آيات الصبر في القرآن في أكثر من ثمانين موضعاً على مشاق الدعوة ، وإبلاغ الحق للناس ، وتعليم الناس والصبر على أذى الناس : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم/ ٦٠] .

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل/ ١٢٧-١٢٨] .

وإذا سمعت : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ ﴾ [الحج/ ٧٨] .

بذلت كل ما أملك ، وجاهدت في سبيل الله، لإعلاء كلمة الل،ه بلساني ، ومالي ، وبدني، ووقتي .

وإذا سمعت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢].

اذكر الله ﷻ ذكرًا كثيرًا أذكر الله ذكرًا كثيرًا في الصلوات ، في الصيام ، في أقوال اللسان من الذكر والتسبيح والدعاء.

أذكر أمر الله فأمتثله ، وأذكر نهيه فأجتنبه ، أذكر حلاله وحرامه ، فلا تمتد إلى الحرام ، واستعمل الحلال فيما يرضي الله.

وإذا سمعت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

أكون أول المبادرين إلى هذا واستجيب لله ورسوله.

وهكذا القرآن متعبد بتلاوته ، ومتعبد بفهمه ، لا يكفي أن أتلوه فقط ، أو أفهمه فقط ، بللابد من العمل بعد الفهم ، فالقرآن أنزل : ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يس/ ٧٠] .

فالقرآن أنزل للأحياء، ليصدقوا أخباره، ويمتثلوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه،ويقيمون الناس عليه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

- **ففي القرآن واجبان عظيمان لا تصلح البشرية إلا بهما :**

واجب انفرادي . . وواجب اجتماعي .

الأول: الواجب الانفرادي : العبادة بيني وبين ربي بأنواع العبادات مثل قراءة القرآن،والصلاة ، والصوم ، والأذكار ، والأدعية، وغيرها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩﴾[الحج: ٧٧].

الثاني: الواجب اجتماعي : الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، النصيحة للمسلمين ، والإحسان إلى الخلق.

هذه واجبات اجتماعية لا بد منها حتى تتغير حياة الخلق كلهم ، ويتوجهوا إلى ربهم، ويعبدوه وحده لا شريك له:﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾[آل عمران: ١٠٤].

والله ﷻ أعطى هذه الأمة ما أعطى الأنبياء ، والأنبياء أعطاهم الله ﷻ أمرين : العبادة ، والدعوة ، وأعطى هذه الأمة كذلك العبادة والدعوة :﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾

[البقرة: ١٥١ – ١٥٢].

فتلاوة القرآن أجورها محدودة ، ختمت عشر مرات ، خمسين مرة ، ثم مات المسلم انقطع أجر تلاوته بموته.

والتدبر والفهم إذا لم يجدد ويزيد الإيمان في القلب، ويحرك الجوارح بالطاعات فلا قيمة له، وصاحبه كأنه لم يسمع ؛ لأنه مقبور في سجون الشهوات ، وملاذ الدنيا، عن الانتفاع بالقرآن بقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾[آل عمران/ ١٤] .

فالشهوات قبور وسجون : شهوات المال ، شهوات الطعام والشراب ، شهوات النساء ، الشهوات كلها حجاب يحجب الإنسان عن امتثال أوامر الله:﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾[مريم: ٥٩].

فكل إنسان يحمل مخلوقين عظيمين:

أحدهما: النفس : بحر الشهوات ، وهي أرضية سفلية تحب الشهوات بأنواعها فقط.

والروح : بحر الطاعات ، وهي علوية ملكية تحب العبادات بأنواعها فقط.

فإذا وجد المذكر نشطت الروح الملكية على النفس الحيوانية ، فأعان الله صاحبها

على امتثال الأوامر، واجتناب النواهي.
وإذا لم يوجد المذكر ؛ غلبت النفس الحيوانية على الروح الملكية، فصارت تسمع ما لا يحبه الله ولا يرضاه من الأقوال والأعمال السيئة ، وتعمل بالمعاصي ، ويعينها على ذلك الشيطان ، وما بسط الله للناس من هذه الدنيا:﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[يوسف: ٥٣].
فمن أعرض عن الدين فإنه يعاقب بعقوبة من الله، لعله يعود إلى ربه : ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾[الأنعام/ ٤٤] .
﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[الروم: ٤١].
فالمقبور في سجون الشهوات لا يمكن أن يفهم القرآن ، لايمكن أن يعمل بالقرآن ، لايمكن أن يضحي بوقته و ماله ونفسه من أجل إعلاء كلمة الله ونشرها في العالم ، لايمكن أن يجتهد على نشر الصلاة في العالم ، على نشر الصوم في العالم على نشر أخلاف الدين في العالم ، على نشر أحكام الشرع في العالم ، هذه سجون الشهوات تمنع صاحبها من فعل الخيرات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾[فاطر/ ٢٢] .
المقبور في هذه السجون لا يستطيع أن يسمع ، وإذا سمع لا يستجيب:﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأنفال: ٢٢ – ٢٣].
وواجبنا أن نجتهد على مثل هذا، حتى يسمع ويقول : سمعنا وأطعنا:﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾[السجدة: ٣].

- **أما ماذا أسمع :**

فالواجب علي أن أسمع عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، حينما اسمع أسمع أحسن شيء ، أسمع عن الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله ؛ ليعظم الله ﷻ في قلبي ، ويزيد إيماني بربي.

أسمع وأقول لنفس وللناس : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص/١-٤] .

أسمع وأقول لنفس وللناس: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

أسمع وأقول للنفس وللناس: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤] .

أسمع عن الله ، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله ، حتى يترسخ في قلبي عظمته ، وهيبته ، وحبه، وتمجيده، وإجلاله، وتوقيره: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾ [الحديد: ١٧].

وأسمع عن الملائكة ، والرسل ، والأنبياء الذين هم أفضل الخلق، لأقتدي بهم في نياتهم، وأقوالهم، وأفعالهم، وأخلاقهم.

أسمع عن الملائكة الذين خلقهم الله من نور، وهم في العالم العلوي: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

وأسمع عن الأنبياء والرسل الذين هم أعرف الخلق بالله ، وأعبدهم لله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

وكذلك أسمع لنصائح المؤمنين ، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ

ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة: ٧١].

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾[غافر/ ٧-٨] .

فالله ﷻ يحب لنا أحسن شيء، وهو أن نكون في أعلى درجات الإنسانية ، وهي الإسلام ، وأعلى درجات الإنسانية تقرب من أدنى درجات الملائكة ؛ لأن الملائكة : ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[الأنبياء/ ٢٠] .

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم/ ٦] .

لأنهم ليس عندهم شهوات ، فهم جُبلوا على التسبيح و التحميد وطاعة الله.

وأسمع كذلك الدروس العلمية التي تبين أحكام الشريعة ، التي جاء بها محمد ﷺ ، لأرفع الجهل عن نفسي ، وأعبد الله على بصيرة ، ويحسن عملي ، وتقبل أقوالي وأعمالي ، وأعمل بموجب ذلك، وأعلمه الناس : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران/ ٧٩] .

وقال النبي ﷺ : «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» أخرجه البخاري(١) .

وقال ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» متفق عليه(٢) .

الفقه في أسماء الله وصفاته وأفعاله ، الفقه في دينه وشرعه ، الفقه في الحلال والحرام ، الفقه فيما يحبه الله ويرضاه ، الفقه فيما يسخط الله ويكرهه ، حتى أفعل هذا، وأجتنب هذا ، وأعبد من يستحق العبادة ، وأكبر من يستحق التكبير ، وأُعظم من يستحق التعظيم ، واسأل الكريم ، وأستعين بالقوي القادر:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

فهذه المعرفة تولد العبودية ، هذه المعرفة التي جاءت عن طريق القراءة ، أو عن

---

(١)أخرجه البخاري برقم: ٥٠٢٧.

(٢)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٧٣١٢ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٠٣٧ .

طريق السماع عليها عبودية أعظم ، أن أستجيب لقول الله ورسوله ، أسمع من الله ومن رسوله وأستجيب :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فمن لم يعرف الله كأنه ميت ، جاءت فيه نفخة الرسول الملكي بنفخ روحه التي يشترك فيها مع الحيوانات ، والتي بها حياة الأبدان، ولم تأت نفخة الرسول البشري الذي هو الوحي ، والذي به حياة القلوب، والذي أنزله الله على رسوله بواسطة جبريل :﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فاسمع الدروس العلمية، حتى يقوي إيماني، فأحب عبادة ربي، حتى يحسن عملي ، كيف أصلي ؟ كيف أصوم ؟ كيف أزكي ؟ كيف أحج ؟ كيف آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر ؟ كيف أقيم الحدود الشرعية ؟ كيف أقسم المواريث ؟ كيف أتزوج على السُّنة ؟ كيف أكل بالسُّنة ؟ كيف أنام بالسُّنة ؟ كيف ألبس بالسُّنة ؟ أتعلم الأحكام الشرعية، حتى أعبد الله، على ما جاء به رسول الله ﷺ:﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران: ٣١].

فلا بد من الإخلاص ، إخلاص العمل لله والمتابعة لرسول الله، إذا صدر ذلك عن مؤمن : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل/ ٩٧] .

لابد أن اسمع عن حياة الأنبياء : ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠] .

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي

يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ
إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ
أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ
وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي
ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا
﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ
رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ ﴾
[مريم: ٤١ – ٥٥]. ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ ﴾[مريم: ٥١].

أنا لا بد أن أعرف حياة الأنبياء وأسمع عن الأنبياء ، حتى أقتدي بهم في نياتهم، وأقوالهم، وأفعالهم ، وأخلاقهم: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: ٢١].

والقرآن مشتمل على هذه الأمور العظيمة ، فلابد لي أن أعرف هذه الأمور حتى أكون قرآنًا يتحرك ، بالآداب والسنن ، والفرائض، والواجبات ، وما يحبه الله: ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[البقرة: ١٣٨].

هذا ما يجب عليّ أن أسمع: أسمع القرآن كتاب ربي الذي فيه تبيان كل شيء، لأصدق أخباره، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه.

وأسمع عن الله، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، ومخلوقاته، ليعظم ربي في قلبي، وأحبه وأعبده.

وأسمع عن الملائكة والرسل والأنبياء لأقتدي بهم ، وأقوم بما يقومون به.

وأسمع الدروس العلمية التي تبين التوحيد والإيمان،وأحكام الشريعة التي جاء بها النبي ﷺ.

وأسمع دروس الوعظ والإرشاد ، والوعد والوعيد ؛ ليمتلئ قلبي بالإيمان ، وحب الله وخوفه ورجائه ؛ لأن هذه القلوب إذا جاءها الوعظ والإرشاد أنبتت من كل زوج بهيج .

إذا عرفناها بالله وأسمائه وصفاته ، وذكرنا نعمه وإحسانه تأثرت ، كما تتأثر الأرض

إذا نزل عليها الماء : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج/ ٥] .

فمجالس الوعظ والإرشاد تحرك الإيمان في القلب ، ومجالس العلم تزين الأعمال التي يقوم بها، حتى تكون مقبولة عند الله.

فالوعظ والإرشاد، والكلام عن الوعد والوعيد ، وعن الجنة والنار ، يحرك الإيمان في القلب ، ويجعله يقبل على الطاعات ، ويبتعد عن المعاصي ، ويمتلئ بالخوف من الله، والحذر من معصيته: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

فالترغيب والترهيب يحرك القلب إلى طاعة الله ﷻ كما قال الله ﷻ مبشراً للمؤمنين في كتابه : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥].

وقال منذراً للكفار والمنافقين : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء/ ٥٦] .

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة/ ٦٨] .

فالناس إذا سمعت الترغيب والترهيب أقبلت على الطاعات ونفرت من المعاصي ، لذلك إذا سمعنا عن الجنة والنار، اشتقنا للجنة ونعيمها ، وما فيها مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر.

وإذا سمعنا عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، عظمناه وكبرناه، وأحببناه، وعبدناه.

فهذا ما أسمع، وما يجب علي أن أسمعه، وما أتعبد لله بسماعه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر: ١٧ – ١٨].

- **أما من أُسمع فهم ثلاثة :**

الله ﷻ . . والنفس . . والناس .
إذا سمعت خيراً ؟ أُسمع الله ﷻ ، وأُسمع نفسي ، وأُسمع الثقلين الإنس والجن.
هذا الكلام يحمل على أجنحة الملائكة ، ويزيد منسوب الإيمان في العالم ، ونستدر به رحمة الله ﷻ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].
فالذين أُسمعهم ثلاثة هم : الله ﷻ ، والنفس ، والناس .
ماذا أُسمع ربي ﷻ ؟ أحسن ما يسمع مني ربي ﷻ تلاوة كتابه العظيم : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].
الله ﷻ يحب أن يسمع كلامه من خلقه ، والإكثار من تلاوته: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩].
شيء كلامه يتلوه خلقه ، ولهذا أمرنا بقراءة القرآن : ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠].
﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٨] .
ورغبنا في تلاوته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩].
فأعظم شيء أُسمع ربي دعاءه من كتابه : ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧] .
﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة/ ١٢٧] .
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨] .
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى

بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل/ ١٩] .

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٤٠-٤١] .

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [نوح/ ٢٨] .

فالله ﷻ يحب الذكر ، والدعاء ، والحمد، والثناء ، والاستغفار ، فلنذكر الله ﷻ وندعوه ، ونحمده ، ونثني عليه ، ونستغفره ، فالله ﷻ سميع سمع إجابة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

ونستغفر الله ونتوب إليه من جميع المعاصي ، ونستغفر الله كثيرًا : ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٤٧] .

نستغفر الله ؛ لأن الإنسان يخطئ كثيرًا ، والاستغفار يغسل الذنوب ويثمر كل خير وبركة : ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح/ ١٠-١٢] .

فإذا علمنا أن الحي القيوم، الذي لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم ، سميع يسمع جميع أصوات الخلق في السموات والأرض، في آنٍ واحد ، فلنسمعه ما يحبه ويرضاه من الأذكار والأقوال ، والحمد والثناء ، والدعاء والدعوة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٠-٧١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

ومن عرف أن ربه هو السميع البصير ، لم ينطق لسانه إلا بما يرضيه ، ولم تتحرك جوارحه إلا بما يحبه الله ويرضاه ، ويستحي من ربه في كل حال ؛ لأن نعمه عليه تنزل ، وهو يبارز ربه بالمعاصي، ويراقب مولاه في كل قول أو عمل ، ويحاسب نفسه

علي أقواله وأفعاله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر/ ١٨] .

والمسلم إذا سمع كلام ربه ﷻ فعليه أن ينفع نفسه ، ويُسمع غيره ، فأنا أُسمع ثلاثة : الله . . والنفس . . والناس.

وقد مر بنا ما نُسمع ربنا ﷻ ، فنسأله ﷻ ونتوجه إليه ، بالذكر والدعاء والاستغفار ، ونسمعه ما يحبه ويرضاه من الأقوال التي يحبها ﷻ ، وندعوه ونتيقن أنه سيجيبنا : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤ ﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤] .

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ – ٩٠].

وأُسمع ربي كتابه ، وأدعوه ، وأحمده، وأثني عليه ، واستغفره، وأتوب إليه .

- **أما ماذا أُسمع الخلق من الإنس والجن ؟**

فالواجب علي أن أُسمعهم ما يحبه الله ويرضاه ، وهو دينه الحق وكتابه الحق: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

- **والخلق الذين يجب علي أن أُسمعهم الحق أقسام :**

القسم الأول : الكفار والمشركون .

هؤلاء أدعوهم إلى الله، وأسمعهم كلام الله ، وأُسمعهم عن الله وأسمائه وصفاته ، وعن آلائه وإحسانه، ليعظموا الله ﷻ ويكبروه ، ويحبوه ويوحدوه، ويؤمنوا به ويعبدوه: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

- **والدعوة إلى الله تكون بأربعة أمور :**

ذكر الله بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده .

ذكر الله بأسمائه وصفاته، وأفعاله، وذكر صفات جلاله،ليعظمه الناس ويكبروه . .

وذكر نعمه وإحسانه، وذكر صفات جماله، ليحبه الناس . .

وذكر وعده لمن أطاعه بالجنة .. ليحبوه، ويطيعوه وذكر وعيده لمن عصاه بالنار، ليحذروا معصيته.

فالناس إذا عرفوا الكبير كبروه ، وإذا عرفوا العظيم عظموه ، وإذا عرفوا الكريم والرزاق ، والمحسن والرؤوف الرحيم أحبوه ، وإذا أحبوه آمنوا به أطاعوه وعبدوه ، فرضيَّ عنهم وأرضاهم:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[البينة: ٧-٨].

هذا العلم الإلهي علم عظيم ، قد غفل عنه أكثر الخلق ، لا بد من هذه المعارف، حتى يتأثر القلب ، فإن القلب هو الملك الذي يأمر الجوارح بالعبادة والطاعة، وامتثال أوامر الله:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد: ٢٨ - ٢٩].

فأُسمع الخلق أولاً : الكافر والمشرك أدعوه إلى الله، وأسمعه كلام الله : ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[التوبة/ ٦]

يجب عليك أيها المسلم إذا قابلت كافرًا أو مشركًا أن تدعوه إلى الله، حتى ينجو من النار، واجب عيني علينا، وعلى كل فرد في الأمة ، رجلاً كان أو امرأة ، أو طفلاً عاقلاً .

فهذا الدين في عهد إبراهيم انتشر بثلاثة إبراهيم ، وإسماعيل ، وهاجر ، وفي هذه

الأمة انتشر في البداية بواسطة الرجال والنساء:النبي ﷺ ، وأبو بكر ، وخديجة ، وعلي ، كل الأصناف الثلاثة موجودة في الدعوة إلى الله ، وليس في مكة في أول الأمر فريضة تزاحم فريضة الدعوة ، إلا فريضة التوحيد والإيمان.

ليس هناك فريضة ، لا صلاة ولا صيام ، ولا زكاة ولا حج ، ليس هناك فريضة تزاحم فريضة الدعوة ، لأن الدعوة أم الأعمال ، والصلاة فرضت قبل الهجرة بسَّنة .

فنُسمع الكافر أحسن شيء وهو كلام الله ﷻ ، أسمعه كلام الله بما فيه من كلام عن الله وأسمائه وصفاته ، والكلام عن آياته ومخلوقاته،والكلام عن نعمه وإحسانه ،والكلام عن الجنة والنار ، وعن الوعد والوعيد، وعن الثواب والعقاب، والترغيب والترهيب ، حتى يتأثر ثم يُسلم:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾
[البقرة: ٢١ – ٢٢].

والله ﷻ منَّ علينا فأعطانا أواني نضع فيها الحسنات والأجور في الدنيا:

أعطانا الكافر لندعوه إلى الله فيسلم، والله قادر أن يهدي الناس جميعًا ، ولكنه منّ علينا بوجود هذا الجنس من الخلق.

ومنّ علينا كذلك بوجود الجاهل لنعلمه ، والغافل لنذكره ، حتى يكون في صحيفتنا.

ومنّ علينا بوجود الفقير حتى نطعمه ، وبوجود العاجز حتى نعينه ، وكل ذلك أبوابُ عظيمة من الحسنات والمنافع.

فواجبنا العظيم نحو الكافر والمشرك ، أن نعرفهم بالله، ليعظموه ويحبوه ويوحدوه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة/ ٢٥٥] .

فإذا استمعت الناس هذه الآيات ، قلوب الخلق واحدة تتأثر ، تتأثر بما تسمع من كلام الله ﷻ ، ونتلو عليهم كتاب الله ﷻ ، والآيات المذكرة به، حتى تتأثر قلوبهم بذكر الله، وتلين وتؤمن بالله :﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ

ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا
كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ
عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

[يونس: ٣ – ٥].

أُسمع الكافر والمشرك هذه الآيات ؛ لأنها تنزل على القلوب فتثمر التوحيد والإيمان، كما ينزل المطر على الأرض ، فتنبت من كل زوج بهيج: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾﴾[الحج: ٥ – ٧].

فالكافر عنده عقل يعقل به ، ولكن عقل به الدنيا فأقام الدنيا ، ولو عرفنّا هذا الكافر بآيات الله ومخلوقاته، لأقبل على ربه، وآمن به : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف/ ٥٤] .

الله ﷻ له الأوامر الملكية ، وله الأوامر الشرعية.

فالعاقل يعقل هذه الأمور ، وإذا عقل هذه الأمور أقبل على ربه ، وعرف أن المدبر لهذا الكون واحدٌ أحد ، قادر على كل أحد ، ولا يحيط به أحد ، وهو المحيط بكل أحد ، الخالق لكل أحد، فتوجه إلى ربه وعَبده : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام/١٠٢-١٠٣] .

أُسمع الكافر آيات ربه، وأتلو عليه الكتاب ، النبي كان يزور الكفار، ويتلو عليهم القرآن ، ويذهب إلى المجامع في عرفات في موسم الحج ، وفي مكة، وفي المدينة ، يتجول على الناس، ويقرأ عليهم القرآن ، ويغشاهم في مجامعهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾[الأحزاب: ٤٥ – ٤٨].

ونذكر الناس بآيات الله ومخلوقاته ، فيقبلوا على طاعته ، ونعرفهم به جل جلاله ونعرفهم بكلامه ، بما تكلم به هو عن نفسه أو عن آياته ومخلوقاته.

هذه القلوب لها خطاب إيماني، والعقول لها خطاب علمي، والجوارح لها خطاب عملي.

هذه القلوب لابد أن تعرف الله ﷻ، حتى لا تشرك به شيئاً ، وحتى تسبحه وتحمده ، وتقدسه وتعبده وحده لا شريك له: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[ص: ٢٩].

فلا إله إلا الله وحده: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[الروم: ١٧ – ١٨].

أفعاله : ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾[الروم: ١٩].

نقول للناس هذا : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الأنبياء/ ٤٥] .

أنذرهم بالوحي بالقرآن والسُّنة ، لا أزيد على هذا القرآن مليء بأساليب الدعوة التي تحرك الفطرة والإيمان في القلوب:﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾[الأنعام: ١٩].

فالقرآن وحي حي يذكر بمن أنزله:﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الروم/ ٢٠-٢١] .

والله ﷻ بين في القرآن أصول الدعوة بالتفصيل ، والنبي ﷺ بيّن في السنة أحكام العبادات والمعاملات بالتفصيل : من صلاة ، وصيام ، وزكاة، وبيوع وحقوق وغيرها؛ فأصول الدعوة الله ﷻ بينها في كتابه ، وبينها الرسول ﷺ بطريقته ؛ لأنه ﷺ

كأنه قرآن يتحرك ، كان خلقه القرآن . يتأدب بآدابه ، ويعمل بأحكامه، ويحل حلاله، ويحرم حرامه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤].

فنذكر الناس بآيات الله ومخلوقاته، ليؤمنوا به ويحبوه ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم/ ٢٢-٢٦] .

كلٌّ لزم مكانه ؛ السماوات والأرض، والنجوم والملائكة، والجبال والبحار، وجميع المخلوقات، لا تتحرك إلا بإذنه ، ولا تسكن إلا بإذنه: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

فسبحان من هذه قدرته، وهذا ملكه، وهذا تدبيره: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٧] .

هذا الذكر، وهذا الوعظ، وهذا الوحي، يؤثر في القلوب، ويحرك فيها الإيمان، ويوقظ الفطرة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

فالواجب على المسلم أمام الكفار والمشركين أن يدعوهم إلى الله، وهو محفوظ فلا يخاف : ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٣ – ٤٦].

نذهب إلى الناس، لندعوهم إلى الله، معنا سلعة غالية نفيسة وحيدة منجية ، لابد للمليح أن يذهب بالمليح ، لينشر الملاحة في العالم ، لينشر الخير في العالم ، لينشر

الحق في العالم: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم: ٥٢].

العالم كله يتخبط في الظلمات إلا من تصل بهذا النور: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٢].

وإذا عرفت القلوب مثل هذا أقبلت على ربها ، فكيف نُعرف الناس نحن بهذا ؟ نخبرهم عن ربهم الذي له الأسماء الحسنى، والصفت العلى، والأفعال الحميدة، فإذا عرفوه آمنوا به وعبدوه وحده: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف/ ٥٤] .

نقول للناس هذا ما أمر الله بإبلاغه من أخبار وأحكام وأخلاق، ونعرفهم بالخالق العظيم، والرب الكريم: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[النحل: ٥ – ١٤].

فسبحان من هذه أفعاله، وهذ ملكه وسلطانه، وهذه آياته ومخلوقاته: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

﴿ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

آيات مشاهدة حسية ، وبراهين قطعية، تضطر العقول والقلوب إلى الإذعان والإيمان، إذا ذكرنا الناس بها: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ق: ٤٥].

فلنأت البيوت من أبوابها، ولا نبدأ بالفروع قبل الأصول في مجال الدعوة إلى الله، فالربا والزنا والحجاب هذه الأمور فرعية ، هي من الشريعة، نخبرها الكافر بعد إسلامه، ليعلم ما يجب عليه؛ لكن نذكر الناس بالآيات الكونية العظيمة الدالة على كمال قدرة الله وإحسانه إلى خلقه، ليعظموه ويحبوه ويؤمنوا به.

فهذه الآيات محسوسة متفق عليها ، ولا تحتاج إلى دليل ، لكن تحتاج إلى تذكير وإلى تنبيه ؛ تنبيه هذا الغافل عن ربه، لينظر في ملكوت السماوات والأرض ، وينظر ما في السماوات والأرض: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية: ١٧ – ٢٦].

وينظر كيف يجب أن يتحرك على هذه الأرض التي هو عليها ، وكيف جاء ؟ وإلى أين هو ذاهب ؟ وماذا يريد الله منه ؟ وماذا يريد هو من الله ؟ وماذا يعطيني الله إن أطعته ؟ وبماذا يعاقبني إن عصيته ؟ فالقرآن أوضح هذا كله بالتفصيل : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩].

فبين للناس من خلال القرآن الرب الذي خلق السماوات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الجبال والبحار والأنهار، وإذا عرفوا ذلك أقروا له بالربوبية والعبودية إلا من استكبر واتبع هواه: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النحل/ ١٥-٢٣] .

فنذكر الناس بهذه الآيات العظيمة حتى يقبلوا على الله ﷻ ، والبشرية الآن حوالي ثمانية آلاف مليون ، المسلمون منهم مليار ونصف تقريباً والبقية كفار ، هؤلاء الكفار لابد من الجهد عليهم حتى يدخلوا في الإسلام ، وإذا دخلوا فيه يجب أن نعلمهم أحكام الإسلام.

وهذا العمل شرف لنا، وحاجتنا، ومسؤوليتنا: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف: ١٠٨].

وهكذا إما أن نشتغل في منجم الذهب، أو نشتغل مع الشيطان في مناجم الشهوات والمحرمات: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٢ – ١٦٣].

هذا واجبنا بالنسبة للكافر والمشرك، ندعوه إلى الله، ليخرج من الكفر بالله إلى الإيمان بالله: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم: ١].

ثانياً: واجبنا نحو المؤمنين، فالمؤمن إن كان ضعيف الإيمان نذكره بالله ، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ليقوى إيمانه ، ويزيد الإيمان في قلبه ، ونذكره بنعم الله، ليزداد حبه لله ﷻ ، ونذكره بوعد الله لمن أطاعه ليفعل الطاعات ، ونذكره بوعيد الله لمن عصاه، ليبتعد عن المعاصي : ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٥] .

نذَّكر الناس بجلال الله وجماله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، بالترغيب والترهيب حتى يقبلوا على الدين ؛ لأن هذه النفوس تغفل، فإذا غفلت صادها الشيطان.

فلا بد أن نذكرها بالله لتكبر الكبير ، وتعظم العظيم ، وتخاف الجبار، وتحب الرحيم، وتسأل الكريم ، وتستعين بالقوي ، وتتوكل على الملك الذي بيده كل شيء، وعنده خزائن كل شيء.

نذكر الناس بمن فطرهم على الإيمان به:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣].

- **وسبب الوقوع في المعاصي ثلاثة أمور :**

الغفلة عن الله . . والغفلة عن أوامر الله . . والغفلة عن اليوم الآخر .

فلا بد من التذكير، حتى يعود الغافل ذاكراً ، ويقوم الذاكر مُذكراً، وبهذا تصلح الأمة.

فإذا صار المعلم يعلم ، والذاكر يذكر ، والصالح يصلح، تصلح الحياة.

أما إذا صارت الأمور بالعكس ينتشر الفساد في الأمة : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم: ٤١].

فالمؤمن إذا ضعف إيمانه يجب الجهد عليه، حتى يقوى إيمانه بذكر الله، وذكر عظمته، وذكر نعمه ، وذكر وعده ووعيده.

وإن كان هذا المسلم جاهلاً أعلمه : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

وقال النبي ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» أخرجه البخاري [١] .

وإن كان هذا المسلم صالحًا أذكره ليكون مُصلحًا ، وإن كان ذاكرًا أذكره ليكون لغيره مذكراً.

هذا لا بد من تذكيره إن كان صالحًا ليكون مُصلحُا ، وداعيًا ، ومحسنًا : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر/ ١-٣] .

﴿ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [العصر/ ٣] .

هذه يأخذ عليها المؤمن حسنات .

﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر/ ٣] . هذه يأخذ عليها حسنات أكثر، وكل

---

(١)أخرجه البخاري برقم: ٥٠٢٧.

مؤمن سوف يحاسب على ترك الواجب الفردي وهو العبادة، وعلى ترك الواجب الاجتماعي وهو الدعوة:﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧ ﴾[الأعراف: ٦ – ٧].

واذكره بقول الله ﷺ : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾[فصلت/ ٣٣] .

اذكره بقول الله ﷻ : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾[آل عمران: ١١٠].

اذكره بقول الله ﷻ : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾[آل عمران: ١٠٤].

فالمجتمع الإسلامي كله ذاكر ومذكر ، ومعلم ومتعلم ، وصالح ومصلح ومحسن ومحسنٌ إليه ، هذا المجتمع يزدادوا بامتثال أوامر الله حسنًا وجمالاً وصلاحًا وطيباً، وأمناً وسعادة : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ ﴾[التوبة/ ٧١] .

وإذا كان هذا المسلم عالماً أذكره بنشر ما علمه الله ﷻبين عباده ، هذا العالم الذي عنده من العلم الكثير ، قد يعمل به في خاصة نفسه، لكن لا ينشره بين الناس ، والله ﷻ وكّل السحب بنشر المياه في العالم ، ووكّل الشمس بنشر النور في العالم ، ووكّل الأرض بالإنبات في العالم ، ووكّلنا بنشر الهداية في العالم:﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾[آل عمران: ٧٩].

العالم وكيل على إبلاغ العلوم الشرعية في العالم ، الصلاة عالمية لا بد أعلمها للعالم ، الصوم عالمي لا بد أن أعلمه للعالم ، الحج عالمي لابد أعلمه للعالم، وجميع أحكام الله عالمية لابد أن أبلغها للعالم:﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم: ٥٢].

على العالم بالله ودينه أن يمشي كالشمس والقمر ينشر النور في العالم ، حتى الناس

يعبدون الله وحده لا شريك له:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فهذا العالم قد يكون غافلاً عن تعليم غيره الدين ، فواجبنا في الدعوة أن نذكره بنشر ما علمه من الله بين عباده في مشارق الأرض ومغاربها لأن الله قد هدانا واشترانا وشرفنا بعبادته والدعوة إليه، وحياتنا كلها له :﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

ليس لي حق أن أتصرف في عمري ثانية واحدةعلى هواي.

فالعمر الإسلامي هو الذي امتثل فيه أمر واحد أمر انفرادي بالعبادة ، وأمر اجتماعي بالدعوة ، لا نتبع الهوى، بل نتبع الهدى في كل حال:﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص: ٥٠].

هذا الدين كله للعالم، وعلى أهله أن يبلغوه :﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢] .

وإذا كانت العبادة واجبنا، فالدعوة إلى الله مسؤليتنا : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف: ١٠٨].

فالدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ووقتا مفتوح كل وقت :﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل: ١٢٥].

وقال النبي ﷺ : «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ** » **قلنا لمن ؟ قال:** «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** » أخرجه مسلم(١) .

ومن ترك الدعوة إلى الله أو قصر فيها فقد عرض نفسه لعقوبة الله وعذابه ولعنته إلا من تاب:﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ

(١)أخرجه مسلم برقم: ٥٥.

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ٧٩﴾[المائدة: ٧٨ – ٧٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠] .

فمن بلغ الرسالة فقد أدى الأمانة، ومن تركها فقد خان الأمانة، ولا نجاة له إلا بالتوبة بعد ظلمه، وإصلاح ما أفسد، وبيان ما كتم.

فالدعوة أن أقول للناس: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة/ ١٦٣] .

وكيف يعرف الناس ربهم : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة/ ١٦٤] .

فالأمانة عظيمة ، وأداؤها واجب ، والله ﷻ حملنا الأمانة ، وشرفنا بها.

فالدين شرفنا وحاجتنا ومسؤوليتنا ، فنحن كيف نصل إلى الله ، إذا وصلنا إلى الله فقد عرفنا كل شيء ، وصلنا لكل شيء: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾[محمد: ١٩].

وإذا انقطعنا عن الله انقطعنا عن أوامر الله، وانقطعنا عن رحمة الله.

فهذه العلوم لابد لنا أن نعرفها حتى نعبد الله ﷻ على بصيرة ، هذا ما ينبني على معرفة هذا الاسم العظيم الذي هو السميع ، ينبني عليه أمر عظيم ؛ وهو التعبد لله بهذا الاسم الكريم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف: ١٨٠].

فأنا أُسمع الله ما يحبه ويرضاه من الذكر، والحمد، والثناء ، والاستغفار، وتلاوة كتابه ، وأسمع خلقه من الإنس والجن ، ما يحبه ويرضاه من القول الحسن ، من الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، والنصيحة، والوعظ.

أما ماذا أُسمع نفسي ؟ أسمع نفسي كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأذكار،

والآداب ، والأخلاق ، وحين تسمع ، تسمع كتاب الله ، أسمع هذه النفس أن النفس أمارة بالسوء إلا من رحم ربي:﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾[يوسف: ٥٣].

فلا بد من إسماعها ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال ، والأعمال ، والأخبار والأحكام في كتاب الله العظيم، وفي سنة نبيه الكريم ، وأعمل بموجب ذلك، وادعوا الناس إلى ذلك ، كما قال ﷻ : ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾[الشمس/ ٧-١٠] .

فنسمع الحق، ونعمل بالحق، وندعو الناس إلى الحق:﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾ [العصر: ١ – ٣].

فلنعبد الله باسمه السميع لا بد أن أسمع من الله ورسوله ، من كتاب الله، من سنة رسول الله، وأُسمع عباد الله دين الله:﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾[فصلت: ٣٣].

فهذه عبودية أو كيفية التعبد باسم الله السميع .

الله ﷻلم يخلق الأذن للإنسان إلا ليسمع بها ما ينفعه من القرآن والعلم والخير: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨].

فلا يليق بالمسلم أن يسمع بأذنه ما يضره ، ويسخط ربه ﷻ، من الإفك والبهتان والنميمة ، وكل كلام سيء ضار ، فنسمع الحق، ونحذر ما سواه : ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾[الإسراء/ ٣٦] .

الليل والنهار آنية ، آنية لجميع المسموعات ، هما خزانتان من خزائن الله ، فلينظر الإنسان ما يضع فيهما من المسموعات، والأقوال، والأعمال .

واعلم أن الله هو السميع البصير الذي يسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، سميعٌ لأقوالك ، عليم بأحوالك ، شاهد لأفعالك ،

فلا يسمع منك أخي المسلم إلا ما يسرك يوم تلقاه من ذكر الله ، وتسبيح بحمده ، وشهادة بوحدانيته وتلاوة كتابه آناء الليل ، وآناء النهار : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٢] .

وأسمعه ما يحبه ويرضاه من الدعوة إلى الله، وتعليم شرعه ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣] .

فنسمع تارة ونُسمع تارة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠].

وهذا وحده هو طريق النجاة و الفلاح ، والفوز في الدنيا والآخرة : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤ – ١٠٥].

وإذا عرفت أن ربك هو السميع العليم فاحفظ نفسك أن يسمع منك ما يغضبه ويسخطه ، واحفظ لسانك من الكذب والغيبة والنميمة ، وشهادة الزور، والسب والشتم ، والقول على الله بلا علم، وصنه عن الاستهزاء والسخرية بالناس، وعن فاحش الكلام ، وغير ذلك من الكبائر والصغائر : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات/ ١١] .

فكل ذلك سوف تحاسب عليه ، تعاقب عليه فبادر بالتوبة منه : ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران/ ١٨١] .

وأكثر من الدعاء بهذا الاسم العظيم فحريٌ أن يستجيب الله لك ، وتوسل إلى الله كما دعا به إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، فاستجاب الله لهما عند بناء البيت :

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة/ ١٢٧] .

فالله ﷻ قبل منهم عملهم ، وجاء من نسلهم محمد ﷺ، وقامت هذه الأمة العظيمة.

وما تراه الآن من راكع وساجد، وذاكر وعابد، وحامد وشاكر كلهم في صحائفه.

وكما دعت بهذا الاسم العظيم امرأة عمران فاستجاب الله لها : ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران/ ٣٥] .

وإجابة الدعاء مقرونة بكمال اليقين:

يقين على أن الله موجود . .وعلى أن الله قادرٌ على كل شيء . .وعلى أن الله قريب يسمعني . . وعلى أن الله يحب أن يقضي حاجتي . . وعلى أن الله عنده خزائن كل شيء:﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥].

فالله يحب أن يقضي حاجات الخلق ؛ لأن العطاء أحب إليه من المنع ، والرحمة أحب إليه من القسوة ، والإحسان أحب إليه من العدل، والعفو أحب إليه من العقوبة:﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

فهذه خمسة أمور لا يكاد أن يرد الدعاء معها:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة: ١٨٦].

لكن لو كان اليقين ضعيفاً، وكان عندي من المعاصي ما يحجب دعائي عنه ، فأكثر قبل الدعاء من الاستغفار والتوبة ، ثم أدعوه ﷻ:﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾[آل عمران: ١٤٧ – ١٤٨].

فالله سبحان كريم لا يرد سائلاً، ولا يخيب مؤملاً، ولا يمنع طالباً.

بل يعطيني قبل أن أسأله كما أعطانا الماء والهواء، والطعام والشراب، وسائر النعم، بقدر زائد عن الحاجة:﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا

تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم: ٣٤].

هذا عطاؤه في الدنيا فكم يكون عطاؤه في الآخرة لمن آمن به، فالمخلوق من مخلوقاته الذي هو حبة السنبلة تعطي سبعمائة حبة ، فكم يكون عطاء من خلقها يوم القيامة لمن أطاعه ! : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧] .

وعبودية اللسان مبنية على عبودية السمع والعلم ، سمعت فلا بد أن أستجيب، وأسمع ربي صفاته ، وحمده ، والثناء عليه ، وأُسمع خلقه أسماءه وصفاته، ودينه وشرعه حتى يؤمنوا ، وأُسمع نفسي كل ما يحبه الله ويرضاه حتى تستقيم على أوامر الله، فإذا استقامت سارت إلى الله بميزان الحب ، والتعظيم، والذل الكامل لله ﷻ: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[الأعلى: ١٤ – ١٥].

نسأل الله ﷻأن يجعلنا وإياكم من هؤلاء ، وأن يستعملنا في طاعته ، وأن يجعلنا من أحسن المتعبدين بهذا الاسم العظيم ، وأن يقذف في قلوبنا حسن التعبد لله بهذا الاسم ، ولكن الشيطان لا يترك الإنسان في مجال الدعوة وفى مجال الإيمان ، في مجال العبادة فإذا نزغك الشيطان لتفعل سوءً فاستعذ بالله منه ، لأنه أقوى منه ويدفع السميع العليم عنك شره : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣ – ٣٦].

فيا عبد السميع اسمع كل ما يحبه الله ويرضاه، واعرض عن كل ما يكرهه ويبغضه.

ويا عبد السميع اسمع الحق من الحق، واسمعه غيرك كما جاء عن الله ورسوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨].

فواجبنا أن نسمع كلام ربنا ﷻ وأن نوحد السمع في الخير والفضائل ؛ فنسمع عن الله،ونسمع عن رسوله ، وعن الأخبار والأحكام الواردة في القرآن والسنة ، وأن

نعمل بموجب ذلك.

ونُسمع الخلق ما سمعنا من ربنا ، فهذه المواليد البشرية نظهر كل يوم فلا بد لها من نشر الهداية بعاطفة الحب في لله ، والتعظيم لله ، وعدم السؤال على الأجر : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾[الأنعام: ٩٠].

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ ﴾[آل عمران/ ١٩٣-١٩٤] .

﴿ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾[البقرة/ ٢٨٥] .

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم طهر قلوبنا من الشرك، وأعيننا من الخيانة، وألسنتنا من الكذب يا أرحم الراحمين.

اللهم إنك تسمع كلامنا، وترى أحوالنا، وتعلم بضعفنا، فاغفر لنا م أنت أعلم به فيه، يا مجيب الدعوات، يا قاضي الحاجات، ارحم وجوهاً خرت لعظمتك ساجدة، وقامت بين يديك قانتة باكية.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك، ونتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

البصير

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله البصير

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السماء، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، على عظمة أسمائك وصفاتك، وعظمة آياتك ومخلوقاتك، وعلى نعمك التي لا تعد ولا تحصى.

اللهم لك الملك كله، ولك الحمد كله، ومنك الفضل كله، وإليك يرجع الأمر كله .

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال العظيمة، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١٠- ١١١] .

الله ﷻ هو السميع البصير الذي ليس له شبيه ولا مثيل : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١] .

الله ﷻ هو البصير الذي يُبصر جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة ، يُبصر الظاهر والباطن ، ويُبصر الكبير والصغير ، ويُبصر عالم الغيب، وعالم الشهادة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك: ١٩].

هو البصير بالجلي والخفي: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٦١].

هو جل جلاله البصير الذي يُبصر كل ذرةٍ في عالم الجماد ، وكل ذرةٍ في عالم النبات ، وكل ذرةٍ في عالم الحيوان ، وكل ذرةٍ في عالم الجن ، وكل ذرةٍ في عالم الملائكة ، وكل ذرةٍ في عالم الإنسان ، يُبصر كل شيء في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، وفي الفضاء والبر والبحر، ويعلم بما كان وما يكون وما سيكون: ﴿وَعِندَهُۥ

مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩] .

هو جل جلاله البصير الذي أحاط بصره بجميع مخلوقاته في كل زمان وفي كل مكان ، فجميعها تحت بصره ورقابته كأنها شيءٌ واحد.

فالله ﷻ يرى جميع مخلوقاته في العالم العلوي، والعالم السفلي كأنها مخلوق واحد، ويُحيط بها إحاطة علم ، وإحاطة قدرة ، وإحاطة سمع، وإحاطة رؤية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢] .

أحاط بكل شيء علما ، وأحاط بكل شيء رحمة ، وأحاط بكل شيء رؤية فالله ﷻ وسعت رحمته كل شيء ، وسع علمه كل شيء ، وأحاط علمه بكل شيء.

والله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة.

- **هو الملك الحق الذي لا شريك له:**

له مُلك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله ما بين السموات والأرض، وله ما بين السموات السبع وما بين الأراضين السبع، وله غيب السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله جنود السماوات والأرض، وله مقاليد السماوات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك العالم العلوي والسفلي.

فهذه ثلاثة عشر ملكاً من معاقد ملكه الواسع العظيم: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

فسبحان من يرى ويبصر كل ذرة في هذ الملك العظيم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

هذا الملك العظيم الذي هذه مملوكاته ومخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي،

هو الذي يستحق العبادة وحده لأنه ملك، والملك هو من مَلك جميع المملوكات ، ما نبصره وما لا نبصره، ما نسمعه وما لا نسمعه، ما نعلمه وما لا نعلمه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الكل ملكه يفعل بهم ما يشاء ، كانوا معدومين فأوجدهم الله، وحين أوجدهم مَلكهم، وهم لا يفعلون شيئاً إلا بإذنه وعلمه: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٦].

فسبحان السميع البصير الذي يرى ويسمع ظواهر الخلق وبواطنهم، ويعلم سرهم ونجواهم: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢].

هو السميع البصير الذي يسمع ويرى مليارات الملائكة، الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

هو السميع البصير الذي يسمع ويرى جميع المخلوقات المختلفة، من عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الإنسان ، وعالم الجن ، وعالم الملائكة.

هؤلاء كلهم عبيده، يسمع كلامهم، ويبصر ذواتهم، ويرى حركاتهم وسكناتهم، ويعلم بأحوالهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٥ – ٦].

هو السميع البصير الذي يسمع ويرى كل ذرة في خزائنه.

خزائن السموات عنده، خزائن الأراضين عنده ، خزائن الرياح عنده ، خزائن الجبال عنده ، خزائن النور عنده ، خزائن النجوم عنده ، خزائن الإنس عنده ، خزائن الجن عنده ، خزائن الحُجب عنده ، خزائن المعادن عنده ، خزائن المياه عنده، خزائن الطمأنينة عنده ، خزائن الإيمان عنده ، خزائن الرحمة ، خزائن النعيم عنده، خزائن

العذاب عنده: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١] .

هذا القلب لا بد أن يعلم أن الله ﷻ ملك ، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا والأفعال الحميدة.

هو الإله الحق، وأعظم صفة من صفات الإله الحق أنه حي ، حي بصفات الكمال، هو الحي لا إله إلا هو ، هو الحي بصفات الكمال والجلال والجمال ، من السمع والبصر، من العلم والقدرة، والرحمة والكرم، والعفو والإحسان، والبر واللطف وغير ذلك من الصفات العلى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

والله جل جلاله يدعونا للاتصاف بصفات الكمال على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

الله ﷻ هو الحي القيوم ، القيوم القائم على مُلكه العظيم، وسلطانه الكبير ، الحي الذي خلق الحياة في كل حي ، الحي بذاته جل جلاله، وكل حي من الأحياء حياته موهوبة من الحي القيوم ، الله هو الحي الذي يهب الحياة لكل حي، وكل حياة في كل مخلوق قد تُسلب، ولكن الحي القيوم هو الله ﷻ، حيٌ لا يموت ، قيومٌ لا ينام: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو السميع البصير، القادر العليم، القائم على تدبير العالم العلوي، وعلى تدبير العالم السفلي وعلى تدبير اليوم الآخر من الجنة والنار وجميع الأحوال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ٢].

هو جل جلاله الحي القيوم السميع البصير الذي لا يخفى عليه شيء في ملكه ، يرى جميع ذرات العالم، ذرات المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي.

ويُبصر الظاهر والباطن، ويُبصر الصغير كما يُبصر الكبير، وكل شيء أمامه صغير ، ويُبصر جميع عالم الغيب، وجميع عالم الشهادة ، يُبصر هذه المُبصرات كلها في آن واحد: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩﴾ [الملك/ ١٩] .

يُبصر جميع ذرات المخلوقات ، يُبصر جميع ذرات العرش، جميع ذرات السموات، وجميع ذرات الفضاء، وجميع ذرات الأرض وجميع ذرات الجبال وجميع قطرات البحار والأنهار، وجميع ما في الجو والبر والبحر، والسماء والأرض وما فيها، وما عليهما، وما بينهما: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

وهو البصير الذي يُبصر كل شيء، ولا يخفى عليه شيء، العليم بكل شيء، المُحيط بكل شيء، من الذرات والذوات، والنيات، والأقوال، والأعمال، والأسرار، والخفيات، والحركات والسكنات، والطاعات والمعاصي، وكل شيء: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك/ ١٣ - ١٤] .

هو جل جلاله البصير الذي يُبصر العابد إذا سجد له ، ويُبصر القارئ وهو يتلو كتابه ، ويُبصر الذاكر إذا ذكره ، ويُبصر الداعي إذا دعاه ، ويُبصر المستغيث إذا استغاث به ويُبصر العالم الذي يُعلم شرعه ، ويُبصر الشاكي إذا اشتكى إليه ويُبصر المجاهد في سبيله، ويُبصر الكريم الذي يُحسن إلى خلقه ويُبصر المسلم الذي يدعو إليه فيفرح بذلك: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩﴾ [الملك/ ١٩] .

فسبحان من يرى المؤمن وهو يعبد ربه، ثم يجزيه بأحسن من عمله: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل/ ٩٧] .

هو جل جلاله السميع البصير، الحليم الرحيم، الذي يبصر الكافر وهو يعبد غيره، ويدر عليه نعمه، لعله يتوب إليه، ، ويُبصر العاصي حين يعصيه، ويمهله بكمال رحمته وحلمه، لعله يتوب إليه ، ويُبصر من يؤذي أولياءه، ويُبصر من يسب دينه وكتبه ورسله ، ويُبصر كل من يسكن في أرضه، ويأكل من رزقه، ويعصيه بنعمه، ويُبصر جميع أعمال الكفار والفجار والفساق والمنافقين: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ١٠٥﴾[التوبة/ ١٠٥] .

فسبحان الملك الحق، السميع البصير ، السميع لكل شيء البصير بكل شيء ، القادر على كل شيء المُحيط بكل شيء ، الرزاق لكل أحد ، الحافظ لكل أحد ، الواحد الأحد، المُحيط بكل أحد، الذي لا يحُيط به أحد: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾[البقرة/ ٢٥٥] .

الله ﷻ هو البصير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وله المُلك والملكوت ، خلق الخلائق بأشكالهم وألوانهم، وأنواعهم، وأحجامهم في كل زمان، وفي كل مكان، يراهم جميعاً كأنهم ذرة واحدة أمامه ، يبصر ظاهرهم وباطنهم، وسرهم وعلانيتهم: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩﴾[الملك/ ١٩] .

فمن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣] .

هو جل جلاله البصير الحق ، الذي يُبصر كل شيء وإن دَق وصغُر ، البصير الذي يُبصر ويرى ويعلم جميع المخلوقات، والمبُصرات، والخفيات، والنيات ، لأنه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا جل جلاله ، فيُبصر كل شيء في العالم العلوي، والعالم السفلي ، ويُبصر كل ظاهر وباطن ، ويُبصر ما في البر والبحر والجو: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء: ١].

والبصير صفة مبالغة، والمبالغة إما في الكثرة، وإما في النوع .

أما في الكثرة : فهو البصير الذي يُبصر جميع المخلوقات على اختلافها من الملائكة، والجن، والإنس، والحيوانات، والنباتات والجمادات، والذرات، يُبصر

جميع المخلوقات ، ويُبصر ظاهرها وباطنها ، ويُبصر صغيرها وكبيرها ، وعلويها وسفليها.

هو البصير الذي وسع بصره جميع المبصرات، فكل ذرة في ملكه تحت بصره، ومراقبته، ومشاهدته: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت: ٥٣ – ٥٤].

هو جل جلاله رقيبٌ وشهيدٌ، وبصيرٌ وعليم وقدير وخبير، فلا يخفى عليه شيء في الأرض و لا في السماء ، هذا بالنسبة لعدد المبصرات، وسع بصره جميع مخلوقاته.

وأما بالنسبة للنوع : فهو البصير الذي يُبصر الصغير كما يُبصر الكبير ، ويُبصر الذرات والهباءات وكما يبصر المجرات ، ويُبصر جميع ما في السموات، وما في الأرض، وما عليهما ، وما بينهما من صغير وكبير ، وساكن ومتحرك ، وناطق وصامت ، وشاهدٍ وغائب، وظاهر وباطن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾[الحجرات/ ١٨] .

عالم الشهادة جزء من عالم الغيب ، والغيب عالم عظيم، وعالم الشهادة ذرة منه، والله ﷻ هو عالم الغيب والشهادة والله ﷻ وحده هو عالمِ الغيب والشهادة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

- **والله ﷻ بحكمته وتدبيره أظهر ستاً، وأخفى ستاً:**

أظهر الله المخلوقات، وحجب خلقه عن رؤيته . . وأظهر الدنيا، وأخفى الآخرة . وأظهر قيمة الأموال والأشياء، وأخفى قيمة الإيمان والأعمال . .وأظهر الأجساد، وأخفى الأرواح . . وأظهر سنته، وأخفى قدرته، وأظهر عالم الشهادة وأخفى عالم الغيب.

فالله ﷻ يرى المخلوقات الظاهرة والباطنة ، وكلها أمام ربنا ﷻ كأنها مخلوق واحد :﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾[الملك/ ١٩] .

ويُبصر جل جلاله ما تحت الأراضين السبع كما يُبصر ما فوق السموات السبع، فتعالى الله الملك الحق، البصير بكل الخلق: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن

قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه: ١١٤].

سمعه وسع جميع الأصوات ، وبصره وسع جميع المُبصَرات ، وعلمه وسع جميع المخلوقات، ورحمته وسعت كل المخلوقات ، وقدرته قهرت جميع المخلوقات: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤].

فسبحان من له الملك كله، والخلق كله، والأمر كله: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك/ ١] .

فالسمع والبصر من أعظم صفات الله، والبصير اسمه، والإبصار صفته، هذه صفة من صفاته، أحاطت بجميع المُبصرات، فكيف بصفة العلم؟، وكيف بصفة القدرة التي أوجد بها هذه المخلوقات العظيمة؟ أوجد بها العرش، والكرسي، والسموات، والأرض، والجبال، والبحار، والإنس والجن ؟ وبصفة القوة أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ويُمسك السماوات والأرض أن تزولا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر/ ٤١] .

فالله ﷻ هو القوي، وبقوته يُمسك السماء أن تقع على الأرض، وبقوته وقدرته وعلمه خلق هذا الكون العظيم، خلق العالم العلوي، وخلق العالم السفلي، وقهر كل شيء في ملكه: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

والإنسان خلقه الله محتاجاً فإما أن يكون عبداً لله أو عبداً لعبد الله ، فالأَولى أن يكون عبداً لله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات والعلا، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى ، البصير بكل أحد، المحسن إلى كل أحد: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٠] .

يعلم من عباده أن الغِنى يُطغي فلاناً فيمنعه ، وأن الفقر يُفسد فلاناً فيُغنيه، هو بعباده خبير بصير ، يعطي بحكمة، ويمنع بحكمة: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢].

فهو سميع وعليم وبصير بملكه ، وجميع المخلوقات مفتقرة إليه، مملوكة له، وخاضعة لأمره، ومُستجيبة لمشيئته، وشاهده بوحدانيته، ومُسبحة بحمده، ومسرعة إلى إرادته: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

وجميع مخلوقاته متصاغرة لكبريائه، ساجدة لعظمته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

من فضل الله علينا أن جعلنا مسلمين، وأن عرفنا بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأن دعانا للتخلق بها ، وأن جعلنا أفضل المخلوقات، وجعل النوع الإنساني هم محل عبادته الاختيارية نحن جئنا إلى الله حُبًا وتعظيمًا له، أما كافة المخلوقات فعبدت ربها لجلاله وجماله ولكنها مُسخرة للعبادة ، أما نحن فجئنا إليه طوعا ومحبةً واختيارا، ومن جاء إليه طوعا ومحبةً واختيارا أحب إليه ممن جاءه تسخيرًا ، ولهذا من أدى الأمانة هو أحب الخلق إلى الله، ومن خان الأمانة هو أبغض الخلق إلى الله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾[الأحزاب/ ٧٢-٧٣] .

الله ﷻ هو البصير، ونحن نحب ربنا، لأنه بصير بأحوالنا، قاضي لحاجاتنا، يشفي مريضنا ، ويطعم جائعنا ، ويُعلِم جاهلنا، ويؤمن خائفنا ، كل النعم منه، فهو بصير بالعباد، رؤوف بالعباد عليم بأحوال الخلق ، بصيرٌ بأمور الخلق كلهم، سميع لأقوالهم، ودعائهم وأذكارهم ، بصير بأمورهم، وحاجاتهم، وأعمالهم: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [غافر: ٥٦].

ونحن ذرة في مُلكه، عالم الملائكة أكبر منا، وعالم الجن أكبر منا، والسموات أعظم

منا: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: ٥٧].

وكافة المخلوقات التي خلقها الله ﷻ أكثر منا، نحن لا نساوي ذرة في مُلك الله العظيم، ولكن الله الكريم أكرم هذا الإنسان، وخلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء واصطفاه على غيره من المخلوقات، ليكون في الدنيا خليفة، ويكون يوم القيامة إن كان مؤمنا جليسه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥] .

هو جل جلاله بصير بكل شيء ، بصير بالصغير والكبير ، بصير بجميع ما في الظلمات، وجميع ما في الأنوار، أنا لا أرى ما في الظلام ، لأنه لرؤية الأشياء بالنسبة لنا لابد من نورين :

أحدهما: نور العين : وهو نور داخلي

الثاني: ونور خارجي : وهو نور الشمس مثلًا أو القمر أو السراج.

فلرؤية الأشياء لابد من نورين : العين التي نرى بها الأشياء والنور الذي يكشف الأجسام التي أمامنا ، فإذا فُقد أحدهما انعدمت الرؤية ، إذا كان الإنسان أعمى لا يرى، وإذا كان مُبصرًا ولكنه في الظلمات لا يرى.

أما الله عز وجل فله المثل الأعلى، وله الأسماء الحسنى، فهو نور يُبصر كل شيء ، صغيراً وكبيراً ، في النهار والليل ، في الظلام والنور ، لأنه هو البصير الذي يُبصر كل شيء مهما دَق وصغر ، ويُبصر جميع المخلوقات في كل مكان، وفي كل زمان، جل جلاله ، ويُبصر الصغير كما يُبصر الكبير ، ويُبصر ما في الظلام كما يُبصر ما في النور ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء/ ١] .

هو جل جلاله السميع الذي له السمع المطلق يسمع الكلام قبل أن نتكلم به، البصير الذي يُبصر كل شيء أما نحن فنُبصر أشياء، وتخفى علينا أشياء، عالم الغيب كله نجهله إلا قليلاً: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحاقة/ ٣٨-٣٩] .

وما نبصره بالنسبة لما لا نبصره كالذرة بالنسبة للجبل، وما نبصره وما لا نبصره في

علم الله كالذرة ، والله ﷻ بصير بكل شيء ، عليم بكل شيء ، محيط بكل شيء ، قادر على كل شيء ، عنده خزائن كل شيء ، واهب كل نعمة لجميع خلقه ، هذا هو الله السميع البصير الحق الذي يجب أن نعبده جل جلاله .

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣] .

القلوب فقيرة إلى الإيمانيات، كما أن العقول فقيرة للمعقولات، كما أن المعدة فقيرة إلى الطعام والشراب، بالطعام والشراب تبقى الأجساد حية قوية، لتؤدي الأعمال الدينية والدنيوية، وبالعلوم يتنور الإنسان ويعلم ما لم يكن يعلم من صناعة أو زراعة أو تجارة أو طب أو هندسة ولكن بالإيمان يزداد نور الإيمان في القلب، وإذا زاد نور الإيمان في القلب انفتح وانشرح فأبصر الخالق من المخلوق، وتجاوز الصغير إلى الكبير، واخترق الدنيا إلى الآخرة، وانتقل من الاهتمام بالأموال والأشياء إلى الاهتمام بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

والعرش هو أنور المخلوقات وأعلاها وأوسعها .

والله رب العرش العظيم، ورب العرش الكريم، استوى على هذا العرش العظيم برحمته ، فالعرش أعلى المخلوقات وأكبرها وأوسعها وأنورها ، والله يُريد من هذا الإنسان أن يتصف بصفات العرش، علوًا واتساعًا وإنارة.

فبنور الإيمان يعرف الخالق من المخلوق، ويخترق الصور إلى المصور، ويخترق محبوبات النفس إلى محبوبات الرب ويُقدم الآخرة على الدنيا، ويستأنس بالله ويستوحش من غيره: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فإذا عرف الإنسان ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه، وإذا أحبه أطاعه، وإذا أطاعه عبده في كل حال بما يحبه ويرضاه ، فالمعاصي جاءت بسبب الجهل بالله، وما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلا ، والأفعال الكبرى.

والأعمال ثقيلة على النفوس حتى نعرف الآمر الذي أمر بها، والمعبود الذي أمرنا بالتعبد بها، وعلم التوحيد هو مصباح الهدى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩] .

فهذا غذاء القلوب ، وغذاء القلوب أن تمتلئ بالإيمانيات ، فإذا جاء هذا الإيمان اتسع هذا القلب، وانشرح الصدر، وتحركت جميع الجوارح بجميع أنواع الطاعات التي يحبها الله ﷻ وسابق المؤمن إلى أنواع الخيرات والقربات وسارع إلى كل فريضة ونافله، وإلى أداء كل ركن، وواجب، و مستحب، وأبعد عن كل معصية وبدعه، وصغيرة وكبيرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

إذا اتسع القلب بالإيمان انشرح وانفتح للطاعات والعبادات كلها فصار واسعاً يستوعب جميع ما يحبه الله ويرضاه، فتراه يتغذى بامتثال جميع الواجبات والمستحبات، والنوافل والتطوعات، تجده يتغذى من تلك العبادات، لذلك كان النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ؛ لأنه عرف ، عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرف عظمة نعمه وإحسانه، ، ومن ذاق عرف، ومن عرف غرف: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فمعرفة الرب العظيم أمر عظيم، وهو الدرس الأول في هذا الدين ، هو الدرس الذي فيه الحياة، فيه حياة القلب، وحياة الجوارح.

حياة القلب بالإيمان والتوحيد والتقوى ، وحياة الجوارح بالأعمال الصالحة والجوارح منقادة للقلب الذي يأمرها بأداء الأعمال لله الواحد الأحد، على سنة

النبي ﷺ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ومقصودنا أن نترقى في معرفة الإله جل جلاله بأسمائه وصفاته وأفعاله، حتى تطابق صفاتنا صفات العرش علوًا: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٩] .

واتساعاً نتسع يعني هذه القلوب لجميع أنواع الطاعات.

ونورًا وإشراقًا يبدد كل ظلمة، ويحرك إلى كل طاعة: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].

إذا اطمأنت القلوب بالإيمان، جاءت الطاعات بعد هذا الإيمان، وجاء الحب الكامل لله والتعظيم الكامل له والذل الكامل له ، كما تطمئن الأرض بالمطر إذا نزل عليها فتُنبت من كل زوج بهيج ، كذلك هذه القلوب تطمئن بذكر الله، بتوحيد الله، بمعرفة الله، بمعرفة أركان الإيمان، معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة ملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره .

نعرف هذه المعارف الغيبية حتى يمتلئ القلب بالإيمان، فتأتي بعد الإيمان محبة الله وإذا أحببناه أطعناه، وإذا أطعناه عبدناه بما يحبه ويرضاه وصبغنا حياتنا بالصبغة التي يحبها الله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة/ ١٣٨] .

هو جل جلاله البصير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ويبصر الغائب كما يبصر الشاهد، ويرى الذرات كما يرى المجرات، ويرى سبحانه ما في جوف البحار المُظلمة من المخلوقات والذرات كما يرى عرشه الذي هو مستوٍ عليه: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك/ ١٩] .

عالم البر عالم مشهود، وعالم البحر عالم غيبي حتى نطلع عليه، فمن الغيب ما يمكن الإطلاع عليه كما في جوف البحار، وبطون الجبال، وكما في الصناعات ، و كل ما

غاب عني إذا عرفته صار مشاهدة ، لكن المحيط بالغيب كله هو الله ﷻ: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وهذا العالم المشهود جزء من عالم الغيب، وعالم الغيب ذرة من خزائن الله عز وجل.

هو الله الخالق البارئ المصور، هو الخالق الذي أظهر المخلوق من عَدم ، الباري الذي أوجد الشيء لمهمة ، أوجد الشمس لمهمة الإنارة، وأوجد الأرض لمهمة الإنبات وأوجد اللسان لمهمة الكلام، هو الله الخالق البارئ المصور الذي صور كل مخلوق على صورة تميزه عن غيره، وجعل له علامة تدل عليه كالجبل والبحر، والطير والحيوان، والنبات، والإنسان، والملائكة وغيرهم: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة/ ٧] .

هو المُصور : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [آل عمران/ ٦] .

هذا أبيض وهذا أسود ، هذا ذكر وهذا أنثى ، هذا طويل وهذا قصير ، وهذه الأزهار المختلفة ، وهذه النباتات المتنوعة ، وهذه الحيوانات المختلفة ، كل شيء الله ﷻ جعل له صورة، وبعد التصوير جعل الحُسن: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [غافر: ٦٤].

والحُسن درجات، أعلاه منتهى الجمال، وأدناه أقل الجمال ، وليس في الكون مخلوق قبيح، لأن فعل الله كله حَسن وأحسن، والله يريدنا في أحسن شيء ، لذا أمرنا بالحَسن والأحسن، ودعانا للأحسن ، أمرنا بالعدل والإحسان، ودعانا إلى الإحسان فقال: ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

فهو ﷻ يريد لنا أن نكون في أحسن شيء، في أعلى شيء نتصف بالصفات التي يحبها على شاكلة العبودية، فالله يحب صفاته، ويحب من اتصف بها، ويجزيه بأحسن الجزاء: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس: ٢٦].

الله بصير هو الذي وهب البصر لكل مُبصر من الحيوانات، و الطيور، والإنس، والجن، والملائكة، وجميع المخلوقات، فلا إله إلا الله كم حسنه ﷻ ؟، وكم حسن دينه؟، وكم حسن ثوابه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

والبصر موهوب، والموهوب قد يُسلب .

فالله ﷻ هو البصير، والبصير صفة ذاتية له جل جلاله ، هو السميع البصير الذي يملك السمع والأبصار جل جلاله ، هو البصير الذي يُبصر دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء ، ويرى مجاري القوت في أعضائها ، ويرى جريان الدم في عروقها ، ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة كما يرى العرش العظيم: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٣﴾ [سبأ: ٣].

فسبحان من أحاط سمعه وبصره وعلمه بكل كبير وصغير في ملكه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس/ ٦١] .

فلا إله إلا الله الملك الحق المبين ، السميع البصير الذي يسمع ويرى كل ذرة في ملكه العظيم، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، وليس له شبيهٌ ولا مثيلٌ في ذاته، وأسمائه، وصفاته وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١] .

هو القوي الذي ليس كمثله شيء في القوة ، هو الملك الذي ليس كمثله شيء في المُلك ، هو الكريم الذي ليس كمثله شيء في الكرم ، هو السميع الذي ليس كمثله شيء في السمع ، هو البصير الذي ليس كمثله شيء في البصر: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾

[الإخلاص: ١ – ٤].

هو البصير الذي يُبصر الأشياء كلها ، البصير الذي يُبصر المُبصرات كلها ، البصير الذي يرى المخلوقات كلها ، البصير الذي يُدرك الحقائق كلها:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحجرات/ ١٨] .

فسبحان البصير العليم بكل شيء ، البصير الذي يعلم المقاصد والنيات ، و يعلم سر الأقوال والأعمال ، ويعلم الأسرار والخفيات ، ويعلم ما في القلوب من الإرادات والنيات ، ويعلم خائنة الأعين، وما تخُفي الصدور:﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩﴾

[الملك: ١٩].

والسر والجهر عنده سواء:﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك/ ١٣ - ١٤] .

هو جل جلاله البصير الذي يعلم بكل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيء.

وقد ورد اسم البصير في القرآن أكثر من (٥٠) مرة.

والبصير من أسماء الله الحسنى، والعقل إذا لم يستنر بنور الوحي فهو أعمى ، لابد للعقل من الوحي أو الهوى ، إما ينجر العقل إلى الهوى فيُقدم الدنيا على الدين أو يستنير بنور الوحي فيُقدم الدين على الدنيا:﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤﴾ [الأنعام: ١٠٤].

فالعقل إذا لم يستنر بنور الوحي فهو أعمى، وحاجة العقول إلى وحي السماء أعظم من حاجة العيون إلى رؤية الأشياء:﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾

[الحج: ٤٦].

فالإنسان مهما كان ذكيًا، ومهما كان عاقلًا، ومهما كان عالمًا، هو جاهل بدون الوحي ، لابد أن يستنير العقل بنور الوحي، فيعرف المشاهدات والغيبيات، و يعرف محبوبات الرب، ومحبوبا ت النفس ، ويعرف الدنيا والآخرة:﴿قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾ [النساء: ١٧٤ – ١٧٥].

لابد لكل إنسان من نفخة الرسول الملكي لتحصل الحياة للأبدان، ونفخة الرسول البشري، لتحصل الحياة للقلوب، ويأتي نور الإيمان في القلب، هذا الحي إلى ربه على صراط مستقيم، بالوحي وبالإيمان : ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾[الأنعام/ ١٦١] .

وإذا استنار العقل بنور الوحي ازداد علماً ونوراً وعملاً: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[الأنعام/ ١٦٢] .

فالناس اثنان، إما سائر في النور، يسير من نور إلى نور، حتى يدخل دار النور والسرور والخلود، وهذا هو المؤمن، أو يسير في الظلام، يسير من ظلمة إلى ظلمة، حتى يدخل دار الظلام والشقاء والخلود، فالنار أظلم ما خلق الله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

أسلم قلبه لربه، وأسلم جوارحه لطاعة مولاه، لأنه عرف من يستحق العبادة وحده ومن يستحق الحمد والشكر وحده، وعرف أن ربه ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، وعرف أخباره الصادقة، وعرف أوامره الحكيمة، فتوجه إلى ربه، وأقبل على عبادته، لأنه هو الرب الخالق الكريم الحكيم الذي استضاف هذا الإنسان في بطن الأم تسعة أشهر، ليكمل الله أعضاءه وجوارحه، واستضافه في بطن الدنيا ما شاء الله من العمر، ليكمل هو الإيمان والأعمال الصالحة، ثم يستضيفه في بطن القبر في روضة من رياض الجنة حتى البعث، ثم يستضيفه في الجنة دار القرار، حيث النعيم والخلود الأبدي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢].

فحياة البشرية من دون الدين كلها جحيم ، البشرية من دون وحي السماء تمتلئ بالكفر، والشرك، والظلم، والجور، والفسق ، والخوف.

فلهذا يذوب قلب المسلم في جوفه، لمِا يرى في العالم الآن ، لمِا يرى من الفتن العظيمة، والانحرافات والمعاصي التي تُسخط الرب، وتوجب أليم عقابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤ – ٢٥].

فأحسن حياة حياة الأنبياء والمؤمنين، لأن الله فتح لهم أبواب الخير والسعادة، لما فتحوا قلوبهم للإيمان به وتقواه.

فإذا عبدت الله بهذه العبودية، يوم القيامة تراه: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاتَيْنِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» متفق عليه[1].

وهذا المؤمن يقرب من ربه يوم القيامة كما قرب من ربه في الدنيا، وتقرب إليه، وعبده، وأطاع أوامره: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر/ ٥٤-٥٥] .

فمن دخل جنة المعرفة في الدنيا وعمل بمُوجب هذه المعرفة أدخله الله يوم القيامة جنة الآخرة التي فيها من نعيم المقيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب وبشر وفوق ذلك رضوان الله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢].

فالطاعة تأتي بعدها الحسنة والنعمة ، المعصية تأتي بعدها العقوبة والسيئة والشدة ، فالسعادة مقترنة بكل طاعة، والشقاء بكل معصية: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ [النساء: ١٣].

أما الكفار فهم بعيدون عن نظر الرب جل جلاله، محجوبون عن رؤيته، لأنم حجبوا أنفسهم عن معرفة الله، وعن العمل بأحكام الله: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المطففين: ١٥ – ١٧].

---

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم: ٥٥٤، ومسلم برقم : ٦٣٣.

فمن زاغ عن الدين أزاغ الله قلبه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الصف: ٥].

ومن نسي ربه نسيه: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [التوبة/ ٦٧] .

فهؤلاء الله أعطاهم الأسماع والأبصار والعقول، وأنزل عليهم الوحي، وأرسل إليهم الرسل، وأقام عليهم الحجة، لكنهم لم يستجيبوا لربهم، ولم يسمعوا لرسوله، ولهذا الله ﷻ يوم القيامة يحجبهم عن رؤيته .

﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين/ ١٥] .

والله ﷻ بصير بالعباد يُعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ۝٧٣ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤].

وإذا أخذ الله من عبده الدنيا، وتجلى عليه بمعرفته، والعمل بشرعه، والإنس به، فهذا أعظم الرابحين، وأكبر الرابحين ، وإذا أعطاه الدنيا، وحجبه عنه، فهو أكبر الخاسرين ، إذا أخذ الله ﷻ من العبد الدنيا التي تشغله عن ربه وعن المسارعة إلى الخيرات ولكنه تجلى عليه بمعرفته وحسن عبادته ودوام ذكره وشكره والعمل بشرعه فهذا أعظم الرابحين: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

أما إذا أعطاه الدنيا، وكان محجوباً عن ربه، فهذا هو أعظم الخاسرين وذلك هو الخسران المبين: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١٥﴾ [الزمر: ١٥].

فمن عرف ربه وأطاعه فهو أكبر الرابحين، ومن لم يعرفه وعصاه فهو أكبر الخاسرين: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨ – ٩].

يستحيل أن نطيع الله ونخسر، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وكذلك يستحيل أن نعصيه ونربح لا يمكن أن نعصيه ونربح، بل إذا أطعناه ربحنا، وإذا عصيناه خسرنا .

فالدنيا مركز للاستثمار، والناس يخرجون منها إما رابح وإما خاسر، والله يرى هؤلاء وهؤلاء: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة: ١٠٥].

وكل البشرية في حسان إلا من اتصف بأربع صفات: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣] .

والله رؤوف بالعباد خلقنا وخلق فينا السمع والبصر والفؤاد، لنعرفه ثم نعبده: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

فهذا البصر الذي خلقه ﷻ فينا، مطلوبٌ أن نُفَعِله، وأن نستفيد منه، ونتعرف به على الله وآياته الكونية العظيمة، وعلى الآيات القرآنية الكريمة: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

من يملك هذا البصر يُبصر به الخير من الشر، ويعرف الحق من الباطل، ويميز بين الخالق والمخلوق ويرى الحق فيعمل به، ويرى الباطل فيجتنبه: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤].

الذي يطيع الله ﷻ ويعبده، هو الذي يملك الرؤية الصحيحة، هو الذي يملك البصر الصحيح، هو الذي يملك البصيرة الصحيحة.

الذي يؤمن بالله، ويلتزم بأوامره، ويجتنب نواهيه، ويطيع ربه ويعبده، هو الذي يملك الرؤية الصحيحة ، عرف المعبود، وأنه الذي يستحق العبادة ، وعرف الكريم، وعرف من هو أهل الشكر والحمد جل جلاله ، هذا هو الذي يملك الرؤية الصحيحة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

[السجدة: ١٥ – ١٧].

هذا هو المؤمن الذي عرف ربه بأسمائه وصفاته، وعرف دينه وشرعه، وعرف ثوابه وعقابه وعرف وعده ووعيده ، هذا هو المؤمن الذي يطيع الله، ويعبده بالمحبة الكاملة والتعظيم الكامل، والذل الكامل.

هذا هو المؤمن الذي يملك الرؤية الصحيحة ببصره وبصيرته يخترق المخلوقات ليرى خالق المخلوقات، ويخترق الصور يرى المصور، ويخترق الأرزاق يرى الرازق.

آمن بربه فقدم ما يحب الرب على ما تحب النفس ، وقدم الأعلى على الأدنى ، وقدم الآخرة على الدنيا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

حتى نترقى لهذه الرؤية، لابد أن نجلس مجالس الإيمان ، مجالس الذكر ، لنعرف الملك الحق، ونعرف ما يحب الرب، ونعرف ما يُسخط الرب، ونعرف من يستحق العبادة ممن لا يستحق العبادة: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

إن الذي يعصي الله ﷻ، ويقترف المحرمات، و يغشى الكبائر، يملك رؤية فاسدة تُشقيه في الدنيا والآخرة.

من يعصي الله ﷻ عنده رؤية، ولكنها رؤية فاسدة سار بها إلى إكمال شهواته كالبهائم، يتلذذ بالخمور، يتلذذ بالنساء، يتلذذ بأكل الربا، يتلذذ بسفك الدماء، ويتلذذ بأكل أموال الناس بالباطل، ويقترف المحرمات، ويغشى الكبائر، هذا الإنسان عنده رؤية، ولكن رؤيته فاسدة تُشقيه في الدنيا والآخرة: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

أما الرؤية الصحيحة فهي تُسعده في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ

ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

هو البصير الذي خلق وخير: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣ – ١٢٦] .

المؤمن حقاً يرى الدنيا كلها لا تساوي حسنة واحدة، وينظر إليها على أنها مطية للآخرة، وأنها مزرعة للآخرة ، قال النبي ﷺ: «**لموضِعُ سوطٍ في الجنَّةِ خيرٌ من الدُّنيا وما فيها** » أخرجه البخاري (١) .

فشتان بين الحياة الفانية والباقية: ﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٤] .

وشتان بين دار الغرور ودار السرور: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر/ ٥] .

فالذي خلق الدنيا هو الذي حذرنا من التعلق بها، لأنها لهو ولعب وزينة وتفاخر وتكاثر: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

وحب الدنيا، وحب النساء، أخطر شيء على الإنسان.

قال ﷺ : «**الدنيا حُلْوةٌ خَضِرةٌ ، وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكم فيها فينظرُ كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساءَ ، فإن أولَ فتنةِ بني إسرائيلَ كانت في النساءِ**» أخرجه مسلم (٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٣٢٥٠.

(٢)أخرجه مسلم برقم: ٢٧٤٢.

وقال ﷺ : «**ما تَركتُ بَعدي فِتنَةً أضرَّ على الرجالِ منَ النساءِ**» متفق عليه [1].

فإذا اشتغل الإنسان بالأوامر الشرعية، أشغله الشيطان، وأشغلته النفس، بالشهوات الحيوانية: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ ﴾ [مريم: ٥٩].

- **وأعظم الشهوات التي تصرف الخلق عن عبادة الله:**

حب الدنيا .. وحب النساء

وهذا أخطر شيء على الإنسان ، وكان اليهود والنصارى والكفار يحاربون المسلمين بالسلاح والنار فلما أخفقوا حاربوهم بالشهوات والنساء، فسقطوا جرحى وقتلى في هذه المعركة ، وهي أعظم من معركة السلاح والنار: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

والحق والباطل ضدان لا يجتمعان كالنور والظلام ، فلابد إذا دخل هذا يخرج هذا: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ ﴾ [الإسراء/ ٨١] .

والله وكلنا بالعمل بالحق، والدعوة إلى الحق، كما وكل الشمس بالإنارة، والسحب بإنزال المياه، والأرض بالإنبات كذلك وكلنا الله بالعمل بالحق، والدعوة إلى الحق، والدفاع عن الحق: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

فاليهود والنصارى والمشركون والكفار عمومًا يحاربون المسلمين بالسلاح والنار، لأنهم يعتقدون أنهم على حق، ويعتقدون أننا على باطل.

والحق والباطل لا يجتمعان أبدا ، والباطل لا يسكت عن الحق أن يمتد، لأن ظهور الحق يزيل الباطل ، فلما أفلسوا في هذه الحرب، جاؤا بحرب أخرى، حرب

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٥٠٩٦ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٧٤٠ .

الشهوات، وحرب النساء ، فانهزم كثيرمن المسلمين أمام الشهوات الحيوانية، ثم جرهم الشيطان من الصغائر إلى الكبائر إلى الردة إلا من رحم الله: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء: ١١٩ – ١٢١].

وهذا الإنسان فيه نفس حيواني، وروح ملكي، ولكل منهما محبوباته.

- **ومحبوبات النفس خمسة :**

المأكولات .. والمشروبات .. والمركوبات .. والملبوسات .. والمنكوحات .

ومحبوبات الروح هي الدين اعتقاداً، وأقوالاً، أفعالاً، وأخلاقاً.

فالشهوات نأخذ منها بقدر الحاجة حسب أمر الله، ونعطي للدين بقدر الطاقة.

والشيطان واليهود والنصارى والكفار اجتهدوا على المسلمين حتى تنقطع صلتهم بالله ﷻ، ليقدموا شهوات النفس على محبوبات الرب.

والغزو الآن حي شرس بهذه الصورة، حب الدنيا، وحب النساء، وذلك أخطر شيء على الإنسان، وهذا محمل الابتلاء: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣].

ومن صحت رؤيته صح عمله ، من صحت رؤيته من البشر بالإيمان عرف الله، وعرف ما يحب، وعرف الأحكام الشرعية، صح عمله، ثم صلحت حياته، ثم رضي الله.

فمن أطاع الله علم أن الله يُجزيه على عمله بأحسن الثواب، ومن عصى الله رأى أن المعصية والشهوات المحرمة تجلب له منفعة: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [الإسراء: ٨٣ – ٨٤].

فمن صحت رؤيته، صح عمله، ثم سَعِد في الدنيا والآخرة، ومن فسدت رؤيته، فسد عمله، ثم شقي في الدنيا والآخرة: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ

﴿وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣﴾ [آل عمران: ١٦٢ – ١٦٣].

الله ﷻ هو السميع البصير ، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا ، ومعرفة أسماء الله الحسنى هي غذاء القلوب، لأن هذه القلوب تتغذى بسبعة أمور :

معرفة الله . . ومعرفة أسمائه . . ومعرفة صفاته . . ومعرفة أفعاله . . ومعرفة خزائنه . . ومعرفة وعده . . ومعرفة وعيده .

إذا تغذى القلب بهذه الأمور امتلأ بالإيمان، ثم استنار، ثم استعد للطاعات، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي ، ثم يزداد نورًا بمعرفة كتب الله، ورسله، وأنبيائه، وملائكته، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

وكل ما ازداد الإنسان معرفة بهذه الأركان ازداد نور الإيمان في القلب ، وبحسب النور يكون العمل، وتكون المحبة والتعظيم والذل لله ﷻ ثم يكون الثواب: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

والله ﷻ هو البصير الذي وسع بصره جميع المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، يراها جميعًا في آن واحد كأنها مخلوق واحد.

هو البصير الذي يرى كل ذرة، وكل نية، وكل كلمة، وكل رقم، وكل خاطرة، وكل خافية، وكل ظاهر، وكل باطن، وكل متحرك وكل ساكن: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۢ بَصِيرٌ ١٩﴾ [الملك/ ١٩] .

وإذا عرف العبد هذا ازداد نورًا، وامتلأ قلبه بالإيمان ، وإذا عرفت هذا فاعلم إنه لما عسر على أبصار الخلق أن تدرك قرص الشمس المخلوقة في رابعة النهار، لامتناعها بشعاع ضياءها عن إدراك قرصها، وهي خلق من خلقه سبحانه لا يدركها البصر، فكيف يدرك البصير الصغير ببصره الضعيف البصير الكبير سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا

تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

وبقدر قوة العلم والتدبر والتفكر تكون قوة الإيمان والتقوى.

فانظر إلى هذه الشمس العظيمة التي نراها البصر الصغير إنما يرى شعاعها، وشعاعها حجب قرصها، فهي امتنعت بشعاع ضيائها عن إدراك قرصها، وهي خلق من خلقه سبحانه لا يدركها البصر ، فكيف يدرك البصير الصغير ببصره الضعيف المحدود البصير الكبير سبحانه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٣] . .

وإذا أدركته الأبصار كان مقدورًا عليه، والله قادر لا يحُيط به أحد، هو أحاط بكل شيء علمًا، والخلائق لا تحُيط به علما، لأن أسماءه وصفاته غير متناهية، لأنه الكامل في ذاته، في أسمائه، في صفاته، في أفعاله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨].

فسبحان ربنا السميع البصير، الخالق لكل شيء، الوكيل على كل شيء: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢].

وكيل على الشمس ، وكيل على القمر، وكيل على الأرض، وكيل على الألسن، وكيل على الأسماع، وكيل على الأبصار، وكيل على الحيوانات، وكيل على البحار، وكيل على الرياح، وكيل على كل شيء: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ذلكم الله ربكم ، هو بديع السموات والأرض ، له ما في السموات وما في الأرض ، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء.

العرش شيء، والكرسي شيء، والسموات شيء، والملائكة شيء، والشمس شيء، والقمر شيء، والنجوم شيء، والكواكب شيء، والفضاء شيء، والمجرات شيء، والله خالق كل شيء: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤].

والأرض شيء، وفي الأرض آيات ومخلوقات عظيمة من الجبال والسهول، والبحار،

والأنهار، والأشجار والنباتات، والحيوانات والطيور، والإنس والجن.

والله خلق جميع هذه المخلوقات مسبحة بحمده، وشاهدة بوحدانيته، وخاضعة لآمره، ودالة على جلاله وجماله وهو جل جلاله يرى جميع مخلوقاته، ويعلم بجميع مخلوقاته، لأنه عالم الغيب والشهادة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

هو البصير الذي يبصر كل ظاهر وكل باطن، فالإنسان عريان أمام ربه في سمعه، وفي بصره، وفي قلبه وقالبه، وفي نيته وفكره، وفي أقواله وأعماله، وفي سره وعلانتيه.

الإنسان مكشوف أمام ربه السميع البصير العليم الذي لا تخفى عليه خافية.

هو البصير الذي نفذ بصره في جميع مخلوقاته وانكشفت له جميع ذرات مخلوقاته ، هو البصير الذي يرى كل شيء : ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك/ ١٩] .

هو جل جلاله كما لا تدرك الإبصار ذاته، كذلك لا تدرك كنهه البصائر، ولا تُحيط بشيء من علمه إلا بما شاء وهذه الأبصار الله ﷻ يوم القيامة يبدلها خلقًا أخر، فترى الله ﷻ ولكن لا تدركه ، أنا أرى هذا البحر لكن لا أُحيط بظاهره ولا باطنه ولا مساحته، كذلك يوم القيامة المؤمنون سيرون ربهم لكنهم لا يحيطون به، لأنه هو المُحيط بكل مُحيط: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

كما لا تدركه الأبصار جل جلاله، كذلك لا تدرك كنهه البصائر والعقول ، ولا تُحيط بشيء من علمه إلا بما شاء ، فعلم الله واسع، وأعطانا من علمه ما عرفنا به وعرفنا بأوامره جل جلاله ، لكن هو العليم بكل شيء، المُحيط بكل شيء، هو وحده الذي يعلم بما كان وما يكون وما سيكون: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

والله سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، يتكلم بما شاء، ويكلم من شاء.

وقال ﷺ : «**ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمه ربُّه ، ليس بينَه وبينَه تُرجمانٌ ، ولا حجابٌ**

يحجبُه» متفق عليه[1] .

فكلام الله ﷻ مسموع بالأذان، مفهوم للعقول، ولكن لا يدرك البشر كيفية كلام الرب سبحانه، وإنما يدركون أمره ونهيه، فالبشر لا يدركون كيفية كلام الرب، وإنما يدركون أمره ونهيه فقط، تعالى الله أن يتكلم بمثل كلامُه، أحد أو يعرف كيفية كلامه أحد، أو يدركه بصر، أو يحيط به شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١] .

ومن آمن بربه في الدنيا وعبده كأنه يراه، وسمع كلامه بواسطة كتابه الذي أنزله، وعمل بما فيه، فإنه يراه سبحانه في الآخرة عيانًا، ويسمع كلامه دون واسطة، كما قال ﷻ : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣] . .

فسبحان الإله الحق الذي خلق الأشياء كلها، ودبرها أحسن تدبير، في العالم العلوي والعالم السفلي، خلق سبحانه الخلق لا من شيء بل هو بديع السموات والأرض: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

خلق سبحانه الخلق لا من شيء بقدرته ، وابتلاهم من غير حاجة لهم بحكمته، ابتلاهم بالأوامر والشهوات، وابتدعهم من غير حاجة لهم بقدرته ، لأنه القادر الذي يفعل ما يشاء بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، يفعل بدون الأسباب: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣].

ويفعل بالأسباب فيجري الرياح، ويرسل الرسل، ويرسل السحب، فتمطر على الأرض فتنبت النبات: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٧].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم:٧٤٤٣، ومسلم برقم: ١٠١٦.

ويفعل سبحانه بضد الأسباب كما أنجى إبراهيم ﷺ في النار، وجعلها بردًا وسلامًا: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وكما أنجى يونس في بطن الحوت، وكما دمر فرعون مع ملكه وسلطانه، وخسف بقارون مع غناه وماله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠٦ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾ [البقرة: ١٠٦ – ١٠٧].

فسبحان القادر على كل شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس/ ٨٢] .

في ثانية واحدة يرسل الله زلزالاً يُدمر ما عمرته البشرية في مئات السنين، يكون خسف أو رياح أو غرق: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس/ ٨٢] .

هو البصير العليم، علم كل شيء، وكتب كل شيء، وقدر كل شيء: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ٥٣﴾ [القمر/ ٥٢-٥٣] .

فالله ﷻ يفعل بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، لأنه الملك الذي بيده مقاليد الأمور، والأسباب مفعولة مخلوقة مأمورة مدبرة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك: ١].

فللدنيا أسباب يجب العمل بها، وللآخرة أسباب يجب العمل بها، لكي نفوز بالجنة، وننجو من النار، ولكن دخول الجنة برحمة الله، والعمل سبب، فنحن نفعل الأسباب لأن الله أمرنا بها، لكن الفضل كله لله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٧٣﴾ [آل عمران: ٧٣].

وقال النبي ﷺ: «**لن يدخُلَ الجنَّةَ أحدٌ إلَّا برحمةِ الله ، قالوا : ولا أنت يا رسولَ الله ؟ قال : ولا أنا إلَّا أن يتغمَّدنيَ اللهُ برحمتِه**» متفق عليه (١) .

فالله هو الذي خلق، وهو الذي هدى، وهو الذي أعان على العمل، وهو الذي حبب إلينا العمل، وهو الذي ضاعف لنا الأجر، وهو الذي يُعطينا الأجر، ونحن لا نستحق الأجر على العمل، لأننا عبيده، لكنه كريم ، نحن عبيده نعمل العمل لا لمصلحته هو،

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ٥٦٧٣ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٨١٦ .

بل لمصلحتنا نحن، والله غني عنا وعن أعمالنا: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت/ ٦] .

والله ﷻ كبير قبل أن نكبره ومحمود قبل أن نحمده، وغني عن كل العالمين، لكن العمل نفعه عائد علينا، فنحمد الله ﷻ أن جعلنا من خير أمة أُخرجت للناس، وإن ربنا ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، وأن عرفنا بأسمائه وصفاته، ودلنا على أحسن الأوامر ودلنا على أحسن الجنات، ومكننا من العمل، وحبب إلينا العمل، وضاعف لنا العمل والأجر.

فلله الحمد في الأولى والآخرة وله الحمد أولًا وأخرًا على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

فكل من أطاع الله فبفضله، ومن عصى الله فمن نفسه ، هو العبد الذي عصى الله ، فكل طاعة وكل نعمة من الله، وكل شر وكل سيئة من الإنسان: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ۝٧٩﴾ [النساء: ٧٩].

إن الله خلق الإنسان وجعل له الخيار، إما أن يطيع أو يعصي، إما أن يؤمن أو يكفر، فإذا أطاع الإنسان ربه فبفضل الله ، والله أعانه على ذلك، وإذا عصى الله، فإنه هو الذي وجه الطاقة الاختيارية إلى معصية الله، هذا من نفسه، أما كل خير وكل نعمة فمن الله وحده: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

فسبحان الرب الحكيم في خلقه وأوامره:

خَلَقَ خَلقاً من خلقه عقولاً بلا أجسام، وهم الملائكة، وليس عندهم شهوات، بل هم صمد لا يحتاجون إلى أكل أو شرب ولا نوم، فرغهم الله لذكره وتسبيحه وتنفيذ أوامره.

و خَلَقَ من خلقه شهوات بلا عقول وهم عالم الحيوانات، الذين لا هم لهم إلا الأكل والشرب والنوم.

و خَلَقَ من خلقه من لهم شهوات، ولهم عقول، شهوات يستعملونها كما يستعملها

الحيوان في الأكل والشرب، وعقول يعقلون بها أمورهم، ويستقبلون بها أوامر ربهم، ويعملون بموجبها.

وهذا الإنسان مبتلى بثلاثة أمور:

الشهوات الحيوانية . . و الأوامر الشرعية.. والمصائب القدرية .

فإن وجِد مُذكر مالت النفس إلى الأوامر الشرعية، وإن لم يوجد المُذكر قويت النفس على الروح الملكية، واقترن بها الشيطان، وحب الدنيا والشهوات، فغفلت عن ربها، واشتغلت بالنعمة عن المنُعم وأذهبت طيباتها في الحياة الدنيا، وغفلت عن الآخرة .

لهذا لابد من التذكير المستمر لتذهب الغفلة، لابد للغافل من التذكير، ولابد للصالح من الإصلاح ولابد للعالم من التعليم هكذا نكون أمة جاهلها يتعلم: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل/ ٤٣] .

ومُعلمها يُعلم : ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

فأمة مُعلمها يُعلم، وجاهلها يتعلم، هذه الأمة ارتقت إلى درجة عالية من العلم بالله وأسمائه وصفاته، والعلم بأوامره وأحكامه، والعلم بوعده ووعيده، والعمل بموجب ذلك.

فهذه الأمة تسعد في الدنيا، وتسعد في الآخرة: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

والله ﷻ يريد أن ترتقي الأمة إلى هذا المستوى العالي من العلم والعمل والأخلاق، وأعلى درجات البشرية هي حياة الأنبياء والرسل، وفي حياة الأنبياء والرسل لابد لنا من الإقتداء بهم في أحسن الصفات التي طبعهم الله ﷻ عليها، وجملهم بها: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

والله ﷻ جمع الصفا ت العالية في الأنبياء، وجمع جميع صفات الأنبياء في سيد الأنبياء ﷺ، وفَرق هذه الصفات العالية في أمة سيد الأنبياء الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، فلنجتهد على هؤلاء الناس حتى نُخرج هذه المعادن النفيسة ونظهرها في الأمة، ليكون العالم مُعلماً والذاكر مُذكراً والصالح مُصلحاً.

هذه المعادن النفيسة كالشمس والقمر والنجوم فالله خلق النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها ، وكذلك العلماء في الأمة زينة لأهل الأرض، وعلامات يهتدى بها، ورجومًا لأهل البدع والفسق.

ولهذا لابد أن نصل إلى هذا المستوى العالي، ونجتهد على أنفسنا لنكون في الصف الأول في الدين، في الصف الأول في التوحيد، في الصف الأول في الإيمان، في الأقوال، في الأعمال، في الأخلاق، في الأمر بالمعروف، في النهي عن المنكر.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢﴾ [الزمر: ١١ – ١٢].

لابد من العمل المستمر، نحن أُمة عاملة ، أُمة ليس عندها إلا العمل ، أُمة لها حالتان: قياماً بين يدي الرب . . وقيام بين يدي الخلق .

قياماً بين يدي الرب بالعبادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل/ ١-٢] .

أقوم بين يدي ربي بالعبادة مكبرًا له، مُعظمًا له، حامدًا له، مستغفرًا له.

وأقوم بين يدي الخلق داعياً إلى الله، محسناً إلى خلق الله، فالكافر أدعوه إلى الله، والجاهل أُعلمه، والفقير أواسيه، والمسيء أُحسن إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ١ – ٧].

- **فالدين ركنان :**

عبادة الحق . . والإحسان إلى الخلق .

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۝٣٦﴾ [النساء/ ٣٦] .

وأقيموا الصلاة عبادة الحق، وأتوا الزكاة الإحسان إلى الخلق، فالإنسان بين جهد على النفس، وجهد على الخلق، اجتهد على نفسي بالطاعات والاستقامة، حتى يرضى

عني ربي، لأني امتثل أوامره، واجتنب نواهيه، وأدعو الناس إلى عبادة الله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

والاستقامة على العبادة والدعوة والإحسان تاج الدين كله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

ومن أراد حسن الاستقامة فليتبع الرسول ﷺ في خمسة أمور:

في نيته وفكره . . وفي توحيده وإيمانه . . وفي أقواله الحسنة . . وفي أعماله الصالحة . . وفي أخلاقه الكريمة

هذه الأمور الخمسة هي السنة النبوية، وحياة النبي ﷺ محصورة في هذه الأمور الخمسة، فنقتدي به في نيته، فكان ﷺ يتفكر لنفسه وللعالم كله، كيف ينجو من النار، ويدخل الجنة، يتفكر ﷺ لهداية نفسه، وأهله، وعشيرته، وقومه، وبلدته، وما حولها، والناس، والعالم فهذه دوائر نيته وفكره ثمان: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .

وفي توحيده وإيمانه، فأكون قوي التوحيد والإيمان، واليقين والتوكل.

وفي أقواله الحسنة، فتكون أقوالي، وأذكاري، ودعائي، ودعوتي، كالرسول ﷺ وفي أعماله الصالحة، فأصلي وأصوم، وأحج وأعتمر، وأعبد الله كالرسول ﷺ وفي أخلاقه الكريمة، فتكون أخلاقي، وآدابي، كالرسول ﷺ.

فأتبع الرسول ﷺ في سره وسيرته: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فسبحان من خلق السمع والبصر والفؤاد واللسان لعبادته.

وخلق اللسان وجعل فيه الكلام، إما حامدًا، أو ذاكرًا، أو شاكرًا، أو داعيًا، أو مُعلمًا، أو مستغفرًا هذه عبودية اللسان في أمرين، إما أتكلم مع الله بالعبادة، أو أتكلم عنه بالدعوة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

الله خلق البصر لنبصر به أحسن شيء : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١].

والنظر والتفكر يثمر الإيمان ويزيده: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[ق/ ٦-٨] .

وخلق السمع لنسمع به أحسن شيء وهو القرآن . . وهكذا لكل عضو عبادة.

إذا نظرنا في المُلك والملكوت، ونظرنا في مُلك السموات والأرض، عرفنا الخالق من المخلوق، والملك من العبيد، والكبير من الصغير، والقادر من العاجز، وعرفنا ربنا بعزة الربوبية، وعرفنا أنفسنا بذلة العبودية.

ففي كل عبادة لابد من أن نستحضر أمرين عظيمين:

أحدهما : عزة الربوبية

والثاني : ذلة العبودية

فأولاً: أعرف ربي بأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الكبرى، وأنه خلق السموات، وخلق الأرض، وخلق الملائكة، وخلق الإنس والجن، وخلق المخلوقات بأنواعها، وخلق عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان وخلق العالم الذين في البر، والذين في الجو، والذين في البحر خلق جميع المخلوقات: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هذا الملك العظيم الملك الحق، الذي هذا مُلكه وسلطانه، وهذا آياته ومخلوقاته، وهذه آلاؤه العظيمة، وهذا مُلكه الواسع، هذا الملك الحق هو ربي.

ثانياً: أعرف نفسي بذلة العبودية لله، فأنا كنت معدوماً فأوجدني الله، وكنت فقيراً فأغناني الله، وكنت ضالاً فهداني الله، وكنت جاهلاً فعلمني الله، فعلي أن أعبده وأشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ

﴿ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وجميع المخلوقات من العرش حتى أصغر ذرة مطبوعة على أربع صفات:

ضعيف . . فقير . . عاجز . . محتاج

وكل ذرة في الكون لها ثلاثة أوامر من ربها :

أمر بالإيجاد . . وأمر بالبقاء . . وأمر بالنفع والضر .

فكل المخلوقات لا تنفع ولا تضر إلا بأمر الله ، النار طبيعتها الإحراق، لكن الله إذا شاء جعلها بردًا وسلامًا وهي تشتعل: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

والمَلك فيه القوة، لكن الله ﷻ يُذل بالملك من يشاء كما أذل فرعون، ويُعز بالملك من يشاء كما أعز سليمان، إذا اقترن المُلك بالإيمان أما إذا اقترن المُلك بالكفر ففيه الذلة.

والأمور كلها بيد الواحد الأحد، القادر القاهر، السميع البصير: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تملأ القل إيماناً وتقوى، إذا عرفت الغني لا أقف باب الفقير، وإذا عرفت الكبير لست بحاجة للصغير، وإذا عرفت المَلك ليس لي حاجة بالعبيد وإذا عرفت الكريم فلا التفت إلى البخيل: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩].

فهذه الأغذية تملأ القلب إيماناً، وتحرك الجوارح بالطاعات، فيصلح القلب، وتصلح الحياة وينتشر خيري كمسلم إلى غيري من الكفار، فالكفار يرون مني الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الكريمة، فيأتون لهذه الأخلاق المجسدة في هذا الإنسان، كما تأتي الطير إلى الماء العذب فتشربه، وإلى الحَب فتأكله وإذا لم تر

ماءً ولا حَباً فلا تأتي، كذلك الكفار إذا رأوا فيك هذه الصفات، فإنهم يأتون إلى هذا الدين ولهذا الدين قمته الأخلاق: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- **وحُسن الخلق ينقسم الى قسمين :**

الأول: حُسن الخلق مع الخالق، بتوحيده، والإيمان به، وعبادته وحده لا شريك له.

الثاني: حُسن الخلق مع المخلوق، بالإحسان إليه، وكف الأذى عنه.

متى يكون عندي حُسن خُلق مع الخالق ؟ إذا عرفت الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، عرفت أنه أهل أن يُعبد وأن يُكَبَر، لذاته وجلاله وجماله، وأنا أعبده، فإذا أكرمني بالجنة فهذا من فضله وكرمه، وأنا لا استحق عليه شيئاً ولهذا لا يدخل أحد الجنة بعمله، بل رحمة الله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

فالمؤمن خيره عائد على نفسه، وعلى الكفار، لأنهم يسلمون من شره، أما بترك الدعوة إلى الله فشر الكافر يصل إلي، لأنه يصنع الأسلحة المدمرة، والقنابل العنقودية، ويُفسد في الأرض، ويُسفك الدماء، ليسلب ما عند غيره من خير: ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء: ١٠١].

فبالدعوة ينقلب العدو إلى صديق، وينالني خير هذا الذي أسلم، وأسلم من شره: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

فالكافر مستفيد من الخير الذي كان عندي، أما أنا فأتضرر من الشر الذي عند الكافر، ولو دعوته لتغيرت حاله، وانتقل من الشرك إلى التوحيد، ومن القسوة إلى الرحمة، ومن المعاصي إلى الطاعات، وصار محُسنًا بعد أن كان مُسيئا.

أما الآن فكل كافر على وجه الأرض ينالنا آذاه، لأننا تركنا دعوته إلى الله، فتعدى

ضرره إلينا، وحرمناه من رحمة الله.
لهذا فالدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم ومسلمة كالصلاة، لأن الحياة لا تصلح أبداً إلا بالدين، والدين لا يقوم إلا بالدعوة: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل: ١٢٥].
والله ﷻ ائتمننا على هذا الدين، وقام بالدعوة النبي ﷺ، ثم خير القرون قاموا كذلك بالدعوة فانتشر الخير حتى وصل إلينا.
والآن أمامنا البشرية، أكثرها يعيش في الكفر والظلمات، والله ﷻ، أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأمرنا بإبلاغ هذا الدين للعالم فماذا فعلنا ؟ وبأي عمل قمنا؟ وبماذا نُشغل أوقاتنا ؟ أوقاتنا كأنفسنا وأموالنا ليست لنا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١].
فالله خلقنا، وهدانا، واشترانا، لأن الله يشتري السلع الغالية التي في أهلها أحسن الصفات وهي: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢ ﴾ [التوبة: ١١٢].
فهذا المؤمن إما أن يكون بين يدي الله عابداً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ ﴾ [المزمل: ١ – ٤].
أو يكون بين يدي خلقه داعياً ومعلماً ومحسناً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧ ﴾ [المدثر: ١ – ٧].
فالمؤمن حياته كلها عبادة ودعوة، لأنه مأمور بذلك، ولأنه نائب النبي ﷺ في أمته: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف: ١٠٨].
فلابد للمؤمن أن يظهر العبودية لله في كل مكان وزمان، وكذلك لابد أن يقوم بالدعوة

إلى الله في كل مكان وزمان، لابد أن نكبر الكبير حتى يُكبره الناس، ونعظم العظيم حتى يعظمه الناس، ونتكلم عن العظيم حتى يعرفه الناس: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وأنتم خير الناس للناس، عرفوهم بالله ليعظموه عرفوهم بنعمه ليشكروه، عرفوهم بأوامره ليعبدوه بما يُحب بما جاء به رسوله ﷺ، هذا كمال الدين صلاح وإصلاح: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة: ٣].

فحُسن الخلق مع الرب بتوحيده، والإيمان به، والعمل بشرعه، والتخلق بالأخلاق التي دعانا إليها.

وحسن الخلق مع الخلق برحمتهم، والإحسان إليهم بالقول والفعل، وأول شيء ندعوهم إلى الإيمان، ونُحسن إلى مسيئهم، وأواسي فقيرهم، وأحلِم على السفيه، وأصبر على أذاهم، وأصل من قطعني، وأعفو عن من ظلمني، وأعطي من حرمني، أفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت: ٣٣-٣٦].

فالله ﷻ هو السميع العليم بكل شيء، البصير بأحوال الخلق، ينظر ماذا نفعل، وماذا نقول، فأحوالنا مكشوفة له، ونياتنا مكشوفة له، وأقوالنا وأعمالنا كلها مكشوفة له، والليل والنهار خزانتان من خزائن الله، فلينظر أحدكم بما يملأ خزنته: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

الله ﷻ أحاط بكل شيء علمه، ورزق من كل شيء بكرمه، ليدل على وحدانيته، وكمال قدرته، ويرى خلقه آثار صنعه، وعجائب حكمته وتدبيره في مُلكه، وإذا عرفوا ذلك آمنوا به، وأطاعوه، وأحبوه، وعبدوه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق/ ١٢] .

فالمعرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله تثمر الحب لله، والتعظيم لله، والذل لله، وطاعة الله وعبادة الله ﷻ، ومن عرف ربه خافه ورجاه: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨ ﴾ [المائدة: ٩٨].

هذه المعرفة غذاء القلوب، وليعرف الخلق ما توحد به ربنا ﷻ من الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والمثل الأعلى، وما اختص به من القدرة، وما انفرد به من المُلك، والخلق، والأمر، والجلال، والجمال، والكبرياء، والعظمة، والعزة، والرحمة، والتدبير، والتصريف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤] .

هذه المعارف تُغذي القلوب بالإيمان، هذه المعارف تزيد الإيمان، وتزيد الأعمال، وتزيد الثواب: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

أسعد الناس هو من عرف ربه، وعرف ما يحب، ثم عمل بموجب ذلك ، وأشقى الناس من جهل بربه، واشتغل بشهواته عن أوامر ربه ، ومن عرف لابد أن يُعَرِّف من لا يعرف: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾ [العصر: ١ –٣].

والله ﷻ له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥].

- **وقد ذكر الله في القرآن لفظ (الأسماء الحُسنى) في أربع آياتٍ، في أربع سورٍ:**

الأولى: في سورة الأعراف : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

والثانية : في سورة الإسراء : ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾ [الإسراء/ ١١٠] .

والثالثة : في سورة طه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨] .

والرابعة : في سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر/ ٢٤] .

والله ﷻ من أسمائه الحُسنى اسم البصير ، والله ﷻ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى/ ١١] .

يسمع جميع المخلوقات في آنٍ واحد ، ويُبصر جميع المخلوقات في آنٍ واحد ، ويعلم بجميع المخلوقات في آنٍ واحد ، لا يعجزه شيء، ولا يخفى عليه شيء : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١] .

والحكمة من ذكر اسم السميع والبصير في قوله ﷻ : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١] .

لأن السمع والبصر صفتان كاملتان، يتصف بهما كل مخلوقٍ خلقه اللهﷻ من عالم الإنسان، وعالم الحيوان، ومن عالم الجماد، وعالم النبات : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى/ ١١] .

ليس كمثله شيء في ذاته ، وليس كمثله شيء في أسمائه ، وليس كمثله شيء في صفاته ، وليس كمثله شيء في أفعاله جل جلاله : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨] .

واسم البصير صفة مُبالغة ، فهو بصير يُبصر جميع المخلوقات، من عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الإنس ، وعالم الجن ، وعالم الملائكة ، وجميع المخلوقات في العالم العُلوي، والعالم السُفلي، يُبصرُها في وقتٍ واحد ، ويرى أفعالها وحركاتها وسكناتها كأنها مخلوقٌ واحدٌ بين يديه جل جلاله.

وسِع سمعه جميع الأصوات ، ووَسِع بصره جميع المُبصَرات ، بصير بالذرات والخفيات: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

هو البصير الذي يُبصر الصغير والكبير ، ويُبصر الذرات كما يُبصر المجرات ، ويُبصر جميع المخلوقات كلها على أشكالها وألوانها في جميع أوقاتها في آنٍ واحد ، ويُبصر الصغير كما يُبصر الكبير، لأن كل ما سوى الله كله صغير ، والله هو الكبير وحده: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٧] .

هو ﷻ البصير بما في السماوات وما في الأرض ، البصيرُ بما بين السماء والأرض ، البصيرُ بما على الأرض ، البصيرُ بما في باطن الأرض ، البصيرُ بمُلكه كله، لا تخفى عليه ذرة منه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك: ١٩].

هذه أمور عظيمة لابد أن نتفكر فيها ، ونعلم أن هذه المخلوقات كلها مودعةٌ في ظرفين السماوات والأرض وما بينهما، هذه ظروفٌ عظيمة ، وفي داخلها مظاريفُ كثيرة ، هذه المظاريف أعظمها هو الإنسان.

فسبحان من خلقها، وملأها بالمخلوقات العظيمة التي تشهد بوحدانيته وربوبيته وألوهيته، وتسبح بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

السماوات مملوءةٌ بالملائكة الذين يُسبحون بحمد ربهم ، ولا يسأمون ولا ينامون ، ولا يأكلون ولا يشربون: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم/ ٦] .

فهذه المخلوقات كلُها تُسبح بحمده، وهو السبوح الذي سبّح نفسه قبل أن تُسبحه الخلائق فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء/ ١] .

وقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣].

فالله ﷻ سبّح نفسه قبل أن يخلق المسبحين بحمد، وقبل أن يُسبحه مُسبح.

وكل ما خلق الله من المخلوقات مباشرةٌ تُسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته ، وتخضع

لأمره ، وتستجيب لمشيئته ، وتُسرع إلى إرادته : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الجمعة: ١].

فكل ما خلق الله من قبل يسبح بحمده، وكل ما يخلق الله ﷻ من المخلوقات يسبح بحمده لأن الله ﷻ يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات التي لا يعلمها إلا هو، منها ما نعلمه، ومنها ما لا نعلمه ، يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات، الذي خلقها سبحت بحمده، ولا تزال تُسبح بحمده ، والتي يخلُقها كلما خلق شيئاً سبح بحمده: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾ [الحديد: ١ – ٢].

فالله سبح ويسبح له ما في السماوات وما في الأرض تسخيراً، فماذا بقي ؟ بقي نحن، بقي المخلوق المخير : ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٥٢﴾ [الحاقة/ ٥٢] .

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى/ ١] .

أيها الإنسان نزهه عما لا يليق بجلاله من آفات النقص والعيب ، سبح بحمد ربك العظيم.

فالله ﷻ موصوفٌ بصفات الكمال ، ومنزهٌ عن صفات النقص ، فكما ملأ الله الكون بنعمه ، فلنُسبح نحن بحمده ، ونملؤه بحمده، وذِكره، وشُكره جل جلاله : ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۝١٣٠﴾ [طه: ١٣٠].

سبح بحمد ربك العظيم، ونزهه عما لا يليق بجلاله:﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ١ – ٣].

فالله ﷻ سبَّح نفسه قبل أن يخلق المخلوقات ، كما أنه حمد نفسه قبل أن يخلق المخلوقات فقال:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤].

فإذا عرفنا الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، جاءت في قلوبنا صفات الحمد، والشكر،

والثناء، والتعظيم، والتنزيه لربنا ﷻ.

فسبحانه حمِد نفسه قبل أن يحمده الحامدون ، وسبَّح نفسه قبل أن يُسبحه المُسبحون : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور/ ٤١] .

كل هذه المخلوقات التي خلقها الله سبحت بحمده ، فهي تُسبح، وكل ما يخلق الله خلقاً يُسبح بحمده، فكلما اشتدت الأمور، وحصلت المكاره، وعز الناصر، فعليك بالصبر والتسبيح، ولزوم باب مولاك: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٧ – ٩٩].

فالله ﷻ هو الملك الحق الذي خلق هذا الكون العظيم ، وهذا الكون كله يُسبح بحمده ، ويشهد بوحدانيته، ويسجد لعظمته: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨].

هو جل جلاله البصير بجميع مخلوقاته ، بصيرٌ بالعباد ، يعلم أفعالهم ، ويعلم أقوالهم ، ويُقسِّم أرزاقهم ، بصيرٌ بمن يستحق الهداية ممن لا يستحقها ، و يشرح صدر هذا لقبول الهدى، لأنه أقبل على ربه ، فالله ﷻ يكرمه بالتوحيد و الإيمان، ويجعل صدره منشرحًا للطاعات، وأنواع القُربات ، بصيرٌ بمن تصلح حاله بالغنى، ومن تفسد حاله بالغنى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٠] .

وإذا علمنا أن الله ﷻ بصيرٌ بالعباد كلهم، يرى أعمالهم ، ويسمع أقوالهم ، ويعلم نياتهم ويبصر أحوالهم ؛ فيجب علينا الخضوع والذل له، وإحسان عبادته، ودوام المُراقبة له ، ولزوم طاعته ، والبعد عن معصيته ، فإنه يرانا وإن لم نكن نراه : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا

فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ [يونس/ ٦١] .

فلا إله إلا الله ، وَسِع سمعه الأصوات ، ووَسِع بصره المُبصرات ، ووَسِع علمه جميع المخلوقات: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾ [الحج: ٧٠].

يعلم الطائع إذا أطاع ، ويعلم المُسبِّح إذا سبَّح ، ويعلم المكبِّر إذا كبَّر ، ويعلم المعتمر إذا اعتمر ، ويعلم الأقوال والأعمال التي تصدر عن الخلق.

ويرى جل جلاله الناسك وهو يتعبد في محرابه ، ويرى جميع المخلوقات التي تُسبِّح بحمده ، ويرى السارق وهو يسرق ، ويرى الزاني وهو يزني ، ويرى شارب الخمر وهو يشربها ، ولكن البصير العليم وَسِع حِلمه جميع مخلوقاته ، فيُمهِل العِباد ولا يهملهُم، لعلهم يتوبون : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

حليم على الخلق الذين يعصونه بنعمه ، ويسكنون في أرضه ، ويأكلون من رزقه ، ويتقوتون من قوته، يَعصونه بالنِعَم التي أعطاهم إياها ، ولكن الله ﷻ وَسِع حِلمه كل شيء ، وحِلمه وَسِعَ العاصي وهو يعصيّ الله ، وَسِع الفاجر وهو يفجُر ، وَسِع الكافر وهو يعبد الصنم، أعطاه الهواء ، وأعطاه الماء ، وأعطاه الطعام ، وأعطاه العافية، وأعطاه الأرض المستقرة ، وأعطاه اللباس الحسن ، وأعطاه المال ، وأعطاه ما يعيش به في هذه الحياة ؛ لأنه هو العزيز الرحيم الذي بيده المفاتيح ، وهو الذي عنده خزائن السماوات والأرض ، فالمفاتيح كلها بيده: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ [فاطر: ٢].

فهو يُعطي عطاء الربوبية لجميع المخلوقات ، ولكنَّ عطاء الألوهية لجميع الناس، لكن من الناس مَن قَبِل هذا العطاء ، ومن الناس من ردّ هذا العطاء ، فالناس كلهم عبيدٌ لرب العالمين ؛ لأن هو الذي خلقهم ، وهو الذي ربَّاهم بنعمه ، وقاتهُم من قوته ، لكن ليس كلهم عبيدًا لأُلوهيته ؛ لأن عبده الذي آمن به: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ

ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢].

الذي قبل عطاء الألوهية هذا هو المُوَحِد ، والذي قبل عطاء الربوبية، وخضع لعطاء الربوبية، وتنعم بعطاء الربوبية، ولم يقبل عطاء الألوهية، هذا كافر بالله والذي خلقه ورباه،، وسوف يُسأل عمَّا عَمِل ، وعمَّا قال ، وعمَّا فعل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ – ٩٣].

فالمؤمن قبِل عطاء ربوبيته ، وقَبِلَ عطاء ألوهيته ، هذا هو العارف حقًا الذي عرف الحق واتبعه.

هو سبحانه البصير يرى جميع المخلوقات في العالم العُلوي والعالم السُفلي ، ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

هو جل جلاله بصيرٌ بالعباد ، ومعرفتنا بهذه الصفة تجعل الإنسان يخضع لأمر ربه ﷻ ، ويستحي منه، لأنه يراه ، فأعظم المقامات مقام الإحسان .

والإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فسبحان السميع البصير ، الحليم ، الغفور ، الرؤوف ، الرحيم الذي يُبصر العاصي حين يعصيه ؛ فيُمهله لكمال رحمته ورأفته ، لعله يتوب إليه ، ويُبصر من يؤدي أولياءه، ويُبصر من يَسُب دينه، ورسله، وكتبه، ويُبصر من يسُبُ ذاته ، ويُبصر كل من يسكن في أرضه وسمائه ، ويأكل من رزقه ، ويعصيه بنعمه.

ويُبصر جميع أعمال الكُفَّار والفُجَّار والفسَّاق ، وكُل شيءٍ مكتوب ، وكل شيء قد أحصاه الله ونسوه : ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة/ ١٠٥] .

وكل قول أو عمل سوف يحاسب الله صاحبه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥ – ٢٦].

فسبحان الملك الحق السميع لكل شيء ، البصير بكل شيء ، القادر على كل شيء ، المُحيط بكل شيء ، الرزَّاق لكل أحد ، الحافظ لكل أحد ، الواحد الأحد ،

المُحيط بكلِ أحد ، الذي لا يحُيط به أحد: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

التعبد لله ﷻ باسمه البصير

الله ﷻ هو السميع البصير ، وإذا عرفنا أن الله له الأسماء الحسنى والصفات العلى فكيف نتعبد لله بهذا الاسم العظيم ؟ الله ﷻ هو السميع البصير الذي خلق السمع في كل مخلوق ، وخلق البصر في كل مخلوق ، فما فائدة السمع ؟ ، وما فائدة البصر ؟

الله أعطانا السمع في الأذن لنسمع به أحسن شيء ، وأعطانا اللسان لنتكلم بأحسن شيء ، وأعطانا العين لنرى بها أحسن شيء ، فأعظم شيء وأفضل شيء أن نسمع آيات كتاب ربنا ﷻ، ونسمع ما فيها من القصص والأخبار والأحكام: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧ –١٨].

ونتكلم بأحسن شيء بذكر الله وحمده وتسبيحه ، والدعوة إلى دينه ، وتعليم شرعه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ –٤٢].

﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة/ ٨٣] .

ونعمل بأحسن شيء: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

ونقول أحسن شيء : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٠] .

وأحسن القول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فالله خلقنا وملَكنا ، فليست أنفسنا وأعضاؤنا مُلك لنا، بل هي ملك لله : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠] .

فأنا بذاتي لله ، وأعضائي لله ، وكل مالي لله ، ووقتي كله لله : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣] .

- **فكيف نتعبد لله بهذا الاسم العظيم بقلوبنا وجوارحنا وأوقاتنا؟.**

لابد أن نعلم أن الله ﷻ أعطانا البصر لِنُبصر به مُلك ربنا الواسع ، ومخلوقاته العظيمة ، ونِعمه السابغة ، وتقديراته النافذة في مُلكه العظيم ، ونتلو آياته المُنزَّلة بالحق والهدى، ليزيد نور الإيمان في قلوبنا ، ويعظم جلال الرب في نفوسنا : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

نحن لابد أن نُشغِل البصر ، لتشتغل البصيرة في القلب ، لابد أن ننظر إلى المخلوقات الكبيرة والصغيرة، ويكون لنا بصائر تخترق المخلوق إلى الخالق ، وتتجاوز الصور إلى المُصَوِّر، ونتجاوز الأرزاق إلى الرازق، وتتجاوز الدنيا إلى الآخرة ، وتتجاوز الأموال والأشياء إلى الإيمان والأعمال الصالحة التي يرضى بها ربنا عنَّا: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

نعرف الخالق الذي خلق كل شيء، لنعبده وحده لا شريك له: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ونعرف قيمة الدنيا الفانية، ونعرف قيمة الآخرة الباقية: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ ﴾ [الحديد: ٢٠].

الله ﷻ أعطانا البصر، وأعطانا البصيرة ، البصر نشترك فيه مع الكفَّار والحيوانات ، فنرى الأجسام، ونرى الحركات ، ولكنَّ البصيرة في قلب الإنسان هي ثمرة ما يراه البصر ، وما تسمعه الأذن ، وما يُفكر به عقل الإنسان ، هذه كلها تصب العلوم في القلب ، فتأتي البصيرة في القلب ؛ فتُفرِّق بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وبين من يستحق العبادة ممن لا يستحق العبادة ، فهذا النور إذا جاء في القلب امتلأ القلب بالإيمان ، وتحركت الجوارح بالأعمال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ

يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

ومن رحمة الله أن فطر القلوب على معرفته: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ ﴾[الأعراف: ١٧٢].

فإذا جاءه العلم الإلهي ازداد القلب نورًا على نوره إذا جاء العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بأركان الإيمان، وأركان الإسلام، والعلم بالمُلك والملكوت، وعالَم الغيب وعالَم الشهادة، إذا جاء هذا العلم ازداد القلب نورًا على نور، وازداد هدىً على هدى، كالزيت الخالص: يُرى كأن له نوراً، فإذا مسته النار في المصباح؛ ازداد نورًا على نور: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ ﴾[النور/ ٣٥].

فهذه المذكرات الإيمانية يزداد بها نور الإيمان في القلب، وإذا زاد نور الإيمان في القلب؛ انشرح واتسع لجميع أنواع الطاعات، ثم ترقَّى من طاعة إلى طاعة، ومن قُربةٍ إلى قربة، حتى يرى الله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويعبد الله كأنه يراه.

يعبده لأنه أهلٌ أن يُعبد، ويكبره لأنه أهل أن يكبر، ويُسبحه لأنه أهلٌ أن يُسبَّح، ويحمده لأنه أهلٌ أن يُحمد.

فطلب العِوَض على العمل طريقة المُبتدئين، والعمل كله من فضل الله وحده: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

فالله خلق الإنسان، وخلق صفاته وأفعاله، وهداه، وحبب إليه العمل، وضاعف له الأجر، فكل فضلٍ ونعمةٍ منه جل جلاله، فإذا مَّن الله على العبد سقى فطرته بهذا العلم الإلهي، والعلم النافع هو الذي يقود الإنسان إلى ربه، العلم الحقيقي هو الذي يصل المخلوق بالخالق؛ فيتعرف على ما يحبه الله ويرضاه، وماذا يُريد الله منه؟ وكيف يتقرب إليه بأنواع الطاعات؟ وكيف يعبده وحده لا شريك له؟ وكيف يعمل بما الله يحبه ويرضاه؟ ويجتنب ما يسخطه ويكرهه جل جلاله.

هذا هو العلم الإلهي الذي جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من ربهم، وهذا هو العلم الذي يدل الإنسان على ربه: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [النساء: ١١٣].

وكل ما سوى هذا العلم جهالة بالنسبة إلى هذا العلم الإلهي ؛ لأن كل علم يربط المخلوق بالمخلوق فقط، ولا يتعداه إلى الخالق فهو جهالة، والعلم الإنساني يربط المخلوق بالمخلوق فقط، كيف يصنع من الحديد سيارة، وكيف يسقي المزارع بالآلات الحديثة ونحو ذلك، وهذا العلم الإنساني الله الذي هدى الناس إليه: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ٨﴾ [الروم: ٧ – ٨].

فالعلم الإلهي الذي جاء به الرسول ﷺ في مكة ، جاء به رجلٌ أُميّ، في أُمَّةٍ، أُميَّة هو العلم الإلهي العظيم الذي ابتلع دولة الفُرس ، ودولة الروم، وفتح القلوب، وفتح البلاد ، وجعلها تحُكم بالإسلام ، هذا العلم الإلهي.

والعلم الإنساني بالنسبة للعلم الإلهي كالذرة بالنسبة للجبل ، وهو جزءٌ من العلم الإلهي : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات/ ٩٦] .

والله ﷻ خلق الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق: ١ – ٥].

وإذا وقر الإيمان في القلب ، جاء اليقين على ذات الله وجودًا ، وعلى أسمائه الحُسنى ، وعلى صفاته العُلى ، وعلى أفعاله الجميلة ، فإذا امتلأ القلب بهذا النور ، وسقيت فِطرة الإنسان بمعرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة أركان الإسلام ، وأركان الإيمان ، ومتابعة الطاعات بالطاعات ، والفرائض بالنوافل ، امتلأ هذا القلب بالإيمان، ثمَّ جاء اليقين على الله ﷻ ، وعلى أسمائه وصفاته ، وعلى أفعاله ، وعلى خزائنه ، وعلى وعده ، وعلى وعيده: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

إذا جاء هذا اليقين أقبلنا على كتاب ربنا : بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي ، وكلما

ازددنا معرفةً بالله ، ومعرفةً بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفةً بخزائنه ، ومعرفةً بوعده ووعيده ؛ ازداد نور الإيمان في القلب ، فيمشي الإنسان بهذا النور العظيم بين الخلق ، إذا وقر الإيمان في القلب امتلأ نورًا وإشراقًا وصفاءً ، وظهر النور على جوارح الإنسان ، وعلى لسانه ذكرًا وتسبيحًا وتحميدًا.

وظهر على أقواله وأفعاله، فعل جميع الطاعات، والمُسابقة إلى القُربات، وأنواع البر.

وظهر على أخلاقه ، فصار هذا المؤمن يتقلب بين ست خِلال:

إن أُعطيَّ شكر . . وإن ابتُليَّ صبر . . وإن قال صدق . . وإن حكم عدل . . وإن أذنب استغفر، وإن أسيء إليه أحسن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

فهو بين الناس كالرجل الحي الذي يمشي بين الأموات في خمس خِلالٍ من النور .

فكلامه نور . . وعمله نور . . وأخلاقه نور . . ومجلِسه نور . . ومصيره إلى النور يوم القيامة: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢] .

فنحن نجتهد إلى أن نصل هذه الدرجة ، إذا جاء نور الإيمان في القلب ؛ جاءت هذه الفضائل العظيمة: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦].

ومن أكرمه الله بهذا النور استقام على أوامر الله بقلبه وقالبه:

طاعات يؤديها، ومعاصي يجتنبها ، وذنوب يستغفر الله منها ، ونِعَم يشكر الله عليها ، وابتلاءات يصبر عليها .

هذا كله ثمرة النور ، فالنور شيء، وثمرته شيءٌ آخر ، إذا جاء هذا النور استطعنا أن نمشي بسلام، ونعمل الأعمال الصالحة، ونتجنب الأعمال السيئة: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا

﴿فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فالنور مطية السلامة، والظلمات محل الكوارث ؛ لأن الذي يمشي في الظلمات، إما أن يصطدم بما هو أقوى منه فيُحطمه ، أو يصطدم بما هو أضعف منه فيُحطمه هو.

فهذه الظلمات هي مكان التحطيم والهلاك، ولا أعظم ظُلمة من الكفر ، فالتوحيد يُنجي الإنسان من كل ظُلمة وهلاك في الدنيا والآخرة، التوحيد هو المفزع ، هو المطلوب الذي نسعى لتحصيله ، هو مقصود الرب من خلقه: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وذلك هو توحيد الله ﷻ بذاته، وأسمائه، وصفاته، فأعظم شيء يجب أن تحصل عليه، وأفعاله ، توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

- **ومن أراد أن يعبد الله حقاً فليملأ قلبه بمعرفتين:**

معرفة عزة الربوبية . . معرفة ذِلة العبودية .

معرفة عزة الربوبية بماذا تكون ؟ تكون بالنظر في الآيات الكونية ، وتدبر الآيات الشرعية ، ومعرفة الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله ، ومعرفة عظمته مُلكه وسُلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

ومعرفة ذِلة العبودية بأن أعرف من أنا ، ومم خُلقت ، وأعرف فقري، ومسكنتي، وضعفي، وحاجتي، وعجزي ، وأنه ليس بيدي شيء، وأني مخلوق من مخلوقات الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥].

فعند كل دعاء أو سؤال أو عبادة لابد أن نتذكر ونستحضر عزة الربوبية، فنذكر ربنا بأسمائه وصفاته ، وأفعاله ، وعظمة ملكه وسُلطانه ، ونتذكر ذِلة العبودية ، وأننا محُتاجون إلى الله، فقراء إليه ، فقراء إلى رحمته ، فقراء إليه في وجودنا ، وفي أقواتنا ، وفي حياتنا ، وفي موتنا ، فقراء إلى الله في كل حال.

فمن شاهد عزة الربوبية ، وشاهد ذِلة العبودية، فقد وصل إلى معراج الأرواح

القُدسية ، لأنه يعرف العظيم فيُعظمه، ويخضع له ، والانتقال من الذكر إلى التضرع يُشبه النزول من المعراج .

الانتقال من الذكر، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، الانتقال من ذكر الله بأسمائه وصفاته ، ومعرفة صفات جلاله وجماله ، الانتقال من هذا الذكر إلى التضرع هو ثمرة هذه المعرفة ، وهو يشبه النزول من المِعراج ، فنرى ربنا ﷻ هو العليّ الأعلى ، الكبير المتُعال ؛ فنخضع له ونسجد ، ونركع له ، لأننا عرفناه بأسمائه الحُسنى، وصفاته العُلى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

فالانتقال من الذكر إلى التضرع والانكسار يُشبه النزول من المعراج ، والانتقال من التضرع إلى الذكر يُشبه الصعود والعلو، وكلاهما متلازمان، فمن ذكر ربه حقاً خضع له، ومن خضع له فلابد أن يكون قد عرفه وذكره.

فوقت أتضرع وأنكسر ، ووقت أُكبر وأُعظِم ربي ﷻ ، ومعرفة الله من لوازمها التضرع والانكسار ، والخوف والرجاء : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥ ﴾[الأعراف/ ٢٠٥] .

ومن بان له النور سار فيه بسلام: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فالقلب يحتاج إلى هذه المعارف ، فكيف نتعبد لربنا ﷻ باسمه البصير جل جلاله.

الله ﷻ هو البصير العظيم الذي يُبصر جميع المخلوقات ، وإذا عرف القلب ذلك يقيناً علِم أن البصير الحق يراه في جميع الأحوال ، فإذا عرف ذلك، فليتزين لربه البصير يلبس لباس التقوى ، وليتقرب إليه بما يحب ويرضى من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ

﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾
[الأنفال: ٢ – ٤].

الله أعطاك السمع لتسمع به أحسن شيء ، تسمع به القرآن ، تسمع به كلام ربك، وما جاء في سنة نبيك ﷺ ، وأعطاك البصر لتُبصر به أعظم شيء، وهو النظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

وكل أحد سوف يسأل عما سمع ورأى وعمل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء/ ٣٦] .

والله ﷻ خلق الإنسان وملَّكه جوارحه ، فالقلب يأمر الجوارح أن تُطيع أو تعصي ، أن تفعل الحسنات أو تفعل السيئات ، فإن أمرها بطاعة أطاعته وحمِدته ، وإن أمرها بمعصية أطاعته ولعنته ، لأنه استعمل الشيء في غير ما خُلق له.

فالله خلق اللسان، ليُسبِّح الله ، ويذكر الله ، ويدعو إلى دين الله ، ويعلم شرع الله.

وخلق الأرجل، لتمشي إلى طاعة الله من صلاة ، أو حج أو عمرة أو جهاد، أو صلة رَحِم ، أو دعوة، أو تعليم لشرع الله، أو كسب المعاش: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾
[الأنعام: ١٦١ – ١٦٣].

وخلق الله الأذن، لتسمع بها أحسن شيء ، فلا يجوز استعمال الشيء في غير ما خُلِقَ له ، فلنُبادر إلى عبادة الله ﷻ بعد معرفة هذه المعارف العظيمة.

وكيف لنا بهذه المعرفة ؟

هذه المعرفة، معرفة الحق ، والعمل بالحق ، ونشر الحق نتيجة معرفتين:

معرفة الله بأسمائه، وصفاته ، وأفعاله، من خلال النظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، ومعرفة حياة النبي ﷺ .

- **فالنبي ﷺ حياته شيء ، وجُهده شيء :**

حياته ﷺ : هي السنن والعبادات التي جاء بها أقوالًا، وأعمالًا ، وأخلاقًا وآداباً.

وجُهده شيء آخر: هو الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ونصيحة الأمة، وإقامة الدين، والجهاد في سبيل الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

والله ﷻ امتن علينا، وأتم علينا هذه النعم العظيمة بفضله وحده ، وأعطانا الأسماع والعقول والأبصار، لنعقل بها عن ربنا ما يحبه ويرضاه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨].

الله ﷻ أعطانا السمع لنسمع به أحسن شيء ، وأعطانا البصر لنُبصِر به أحسن شيء ، والذي هو أحسن شيء أن ينظر في الآيات الكونية ، فنرى الله ﷻ يفعل في مخلوقاته ما يشاء خلقًا ، وبُرءاً، وتصويرًا ، وتحريكًا ، وتسكينًا.

عبودية البصر أن أنظر في ملكوت السماوات والأرض ، فأرى مخلوقات الله العظيمة ، وآياته العجيبة في المُلك والملكوت: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

أنظر إلى الصور وأعرف أن لها مُصَوِر ، وأنظر إلى هذه المخلوقات وأعلم أن لها خالق ، وأنظر إلى هذه الأرزاق وأعرف أن لها رازق عنده خزائن الأرزاق ، هو الرزاق الذي وهب الأرزاق لكل مرزوق في السماء والأرض ، وما بينهما ، وما تحتهما: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

فهذا النظر في الآيات الكونية به نرى الله ﷻ يفعل في مخلوقاته ما يشاء خلقًا وأمراً، وتدبيراً وتصريفاً: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢].

أرى الخالق يخلق ، والرازق يرزق ، والسميع يسمع ، والبصير يُبصر ، والحكيم

يحُكِم مخلوقاته ، ويحكِم أوامره لخلقه جل جلاله.
وأرى القادر يفعل ما يشاء ، وأرى الملك يدبر، وأرى اللطيف يلطف بعباده ، وأرى الرحيم يرحم: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].
وبهذا البصر ننظر إلى فعل الله في مخلوقاته خلقًا في إيجاده المخلوقات بعد عدمها ، وبُرءاً بأن برأها لمهمة ، برأ الشمس للإنارة ، وبرأ الأرض للإنبات ، وبرأ اللسان للكلام: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾ [الحشر: ٢٤].
الأول خلقها إيجادًا من عدم ، وثانياً برأها خلق كل مخلوق لمهمة ووظيفة ، وهي بذاتها مظهرٌ لجلاله ، ومظهرٌ لجماله ، مظهر لقدرته وقوته وعظمته ، ومظهر لرحمته وإحسانه ولطفه.
والله خالق أوجد بعد عدم ، هو بديع السماوات والأرض ، هو أحسن الخالقين ؛ لأنه خلق موجوداً من معدوم ، وغيره يخلق معدوماً من موجود ، صنع الصانع السيارة من الحديد ، وصنع القماش من القطن، والله خالق الصانع والمصنوع: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾ [الصافات: ٩٦].
المخلوق يخلِق معدوماً من موجود سابق ، أما الله فهو بديع السماوات والأرض ، يخلُق معدومًا من معدوم ، يقول له كن فيكون ، فهو أحسن الخالقين: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾ [الأنعام: ١٠١].
وما خلقه الله يزداد بذاته ، ويكبر بذاته، وما خلقه الإنسان لا يزداد ولا يكبر ، لو صنع الإنسان سيارة أو كوب أو غيره لا يُمكن أن يزيد كل يوم كوبين ، ثلاثة ، أربعة ، أو سيارة ، لا يمكن تكبر أو تعطي سيارة أخرى ، لكن الله ﷻ خلق الحبة وخلق منها سبعمائة حبة ، وكل حبة تخُرج سبعمائة حبة وهكذا ، وخلق الإنسان ، وخلق الحيوان ، وخلق النبات، وهذه المخلوقات ، تكبر وتزداد : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ﴾[المؤمنون/ ١٤] .

الله يخلُق معدوماً من معدوم، وموجودًا من معدوم ، والإنسان يخلُق موجودًا من موجود ، أو يخلُق معدومًا لم يكن موجوداً، ولكنه يخلقه من شيءٍ موجود الذي هو المادة التي سبقته ، فالذي خلق الإنسان ، وخلق فيه العقل ، وخلق المادة التي يصنع منها الشيء هو الله ﷻ : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون/ ١٤] .

فليمتلئ القلب بالإيمان، لابد أن نستفيد من عبودية البصر ، فننظر في الآيات الكونية ، فنرى الله يفعل في مخلوقاته ما يشاء ، خلقًا ، وبرءًا ، وتصويرًا.

صوَّر السماء على شكل ، وصور الأرض على شكل ، وصور الحيوان والطيور على شكل ، والبقر على شكل ، والرجال على شكل ، والنساء على شكل ، والجبال على شكل ، والبحار على شكل: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾[الحشر: ٢٤].

هذا النظر يجعل الإنسان يترقَّى من العلم الإنساني إلى العلم الإلهي.

يرى الأمن فيؤمن بالمؤمن ، ويرى الصور فيؤمن بالمُصَوِر ، ويرى الخلق فيؤمن بالخالق جل جلاله ، ويرى الدنيا ويؤمن بالآخرة ، ويرى عطاء المخلوق ويؤمن بالمُعطي، الذي لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع جل جلاله ، فنور الإيمان مبنيٌّ على المسموعات ، وعلى المرئيات .

المرئيات والمسموعات تُعرض على العقل ، وهذا العقل يتجاوز المخلوق إلى الخالق ، والصور إلى المُصوِر ، والدنيا إلى الآخرة ، والأعمال السيئة إلى الأعمال الحسنة ، والأخلاق السافلة إلى الأخلاق العالية: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤ ﴾[البقرة: ١٦٤].

ومطلوب من المؤمن أن ينظر في ملكوت السماوات والأرض، حتى يزيد في قلبه الإيمان ، ويعلم أن الله وحده لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وفي ملكه وسلطانه ، وفي عبادته وحده لا شريك له : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس/ ١٠١] .

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٦ – ١١].

وهكذا في كل القرآن أمر بالنظر، والتفكر، والتدبر: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٤ – ٣٢].

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ١٧ – ٢٦].

فإذا عرفنا ذلك عرفنا أن فيه خالقاً، وأن هذا الخالق قادر على كل شيء، وأنه مُستحقٌ للعبادة وحده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وأنا محُتاج لهذا الخالق، لأنه هو الذي خلقني، وهو الذي تكفل برزقي، وهو الذي منَّ عليّ بالهداية، وأنا بحاجة إلى الكبير لأني صغير، وبحاجة إلى الغني لأني فقير، وبحاجة إلى العزيز لأني ذليل، وبحاجة إلى القوي لأني ضعيف، ليس بيدي شيء الأمر كله بيد الله، أنا لم أكن شيئاً حتى أفعل شيئاً، بل الله هو خالق كل شيء، وأنا من ضمن هذه الأشياء، فعليّ أن أمتثل أوامر ربي ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

والله ﷻ فضلنا على كثيرٍ من خلقه، وأرسل إلينا الرسل، وأنزل علينا الكتب، فهو يحتفي بنا، يُريد أن يكرمنا ويرفع مقامنا، وكل صانع يهتم بصنعته، فنجد صانع السيارة يُطورها حتى تكون في أعلى مستوى، فالسيارة التي قبل خمسين سنة ليست كالسيارة اليوم، والطائرة التي قبل خمسين سنة ليست كالطائرة اليوم، كل صانعٍ يسعى إلى تحسين صنعته وتفقدها، ونشرها بين الناس، كذلك ولله المثل الأعلى،

الله يحتفي بالإنسان ، يريد أن يُرقيه إلى أحسن شيء في الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، ولهذا أنزل عليه الكتب ، وأرسل إليه الرسل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢] .

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء: ١١٣] .

وقَالَ رَسُولُ اللَّه : ﷺ «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ ، وَسقفه عَرْشُ الرَّحْمَنِ**» أخرجه البخاري(١) .

هذا الإنسان الذي خلقه الله بيده ، يُريد له أحسن شيء في الدنيا وهو الإيمان ، والأعمال الصالحة ، والتقوى ، وطاعة الله ورسوله ، ويُريد له أحسن شيء يوم القيامة وهو دخول الجنة ، والخلود فيها ، والتنعُم بما فيها من النعيم ، ورؤية الله ، ورضوان الله ، وسماع كلامه ، والقرب منه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [المائدة: ٩] .

الله يُريد أن يُحسن هذه الصنعة ، حتى تنتقلِ من حسنٍ إلى أحسن : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يونس: ٢٦ – ٢٧] .

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٦ – ٩٧].

لأن الله يعطي على قدر شأنه ، لا على قدر طلب العبد ، فالله عظيم ، والعظيم لا يعطي إلا العظيم .

هذا التدبر ، والتفكر ، والنظر يملأ القلب إيمانًا ، وتوحيدًا ، وحباً ، وتعظيماً ، وخضوعًا ، وانكسارًا بين يدي ربنا ، فبهذه المعرفة يأتي حب الله ، وتعظيم الله ،

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٢٧٩٠.

وإذا جاء حب الله ، وتعظيم الله ، جاءت طاعته ، لأني أعرف أنه القادر عليّ ، وأنه المُنعم عليّ بكل نعمه ، فلذلك أمنت به ، وصدقت بكتابه ، وأمتثل أمره ، وأجتنب نهيه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

فإذا عرفت أن الله وعدني على الطاعة بالجنة ، وعلى المعصية بالنار ؛ أقبلت على الطاعات ، وازددت من الأعمال الصالحة التي تُقربني إلى ربي وإلى رضوانه وإلى جنته ، ونفرت من المعاصي التي تُبعدني عن ربي ، وتُبعدني عن رحمته .

فالمؤمن ينظر في كل يوم نظر تفكر وتدبر ، حتى يأتي في قلبه الإيمان الذي يجعل العبودية لها طعمٌ ولذة وحلاوة ؛ فيعبد الله ﷻ ، لأنه أهلٌ أن يحُمد ، وأهل أن يُعبد ، وأهل أن يُشكر وحده لا شريك له ، فيؤدي العبادة لربه ﷻ مُنشرحًا بها صدره ، بالحب الكامل ، والتعظيم الكامل ، والذل الكامل لله ﷻ ، لأنه عرف من يستحق العبادة وحده : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

ومن عرف نفسه حقاً عرف ربه حقاً : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ [الطارق: ٥ – ٧] .

هذا الإنسان الذي يتكون من قطرة ، وقطرة الماء هذه فيها أكثر من مائة مليون إنسان ، لو أن الله ﷻ أمرها كلها فوُجِدَت ، فكيف تكون الحياة ؟ لكن الله ﷻ برحمته يخلق منها ولداً ، أو ولدين ، أو ثلاثة ، هذا الإنسان يتكون من ماء مهين ، كيف هذا الإنسان الله ﷻ احتفى به وأكرمه ، وجعل منه الأنبياء ، والرسل ، والدعاة ، والعلماء ، والصالحين ، والأولياء ، والأبرار ، وجعل منه الأشقياء ، والفُجَّار ، والفساق ، والكفار : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ٢ – ٣] .

فيتذكر المؤمن نعمة الله عليه أن جعله في قبضة اليمين ، وجعله من المؤمنين ،

وجعله في قبيلة المُسلمين ، ولم يجعله في قبيلة المُجرمين ، والفسَّاق ، والشياطين .

فليحمد الله على هذه النعمة أن الله اصطفاه واختاره ، وجعله من ذرية آدم ﷺ : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص/ ٦٨] .

أما يستحي الإنسان من معصية ربه الذي خلقه ورزقه : ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [المعارج/ ٣٩] .

خلق الله الإنسان من نطفة ، خُلِقَ من ماءٍ مَهين : ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: ٦ – ٩] .

فمن هذا أصله ونسله يجب عليه أن يعبد من خلقه وصوره ، ولا يأخذه الغرور فيبعد عن ربه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦ – ٨] .

لقد غر الشيطان أكثر الخلق فأضلهم عن ربهم ، وشغلهم بالشهوات التي تصدهم عن ذكر الله ، حتى نسوا ربهم ، وعبدوا أهواءهم ، وكفروا بربهم : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠ – ٦٢] .

أهم شيء في الدين ، وأحسن شيء في هذه الحياة ، هو دخول جنة المعرفة ، فمن دخل جنة المعرفة في الدنيا ؛ أدخله الله جنة الآخرة يوم القيامة : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [المائدة: ٩] .

جنة المعرفة : العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، العلم بأركان الإسلام ، وأركان الإيمان ، فهذه أعظم أغذية القلوب التي تثمر التوحيد والإيمان ، والحب والتعظيم لله ﷻ ، ثم عبادته بموجب ذلك : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

أما الأحكام الشرعية كأحكام الوضوء والصلاة والصيام ، وأحكام البيوع والمعاملات المالية وغيرها ، فهذه نتعلمها مرة واحدة ، لنعمل بها ونعلمها الناس ، وما لا نعلمه من الأحكام نسأل عنه العلماء : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧] .

فالإيمان يزيد ويزهر ويثمر بالنظر في الآيات الكونية والنظر في الآيات الشرعية : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الغاشية/ ١٧-٢١] .

ذكِّرهم بالإله ، عَرِفهُم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ ليُعظموه ويكبروه ، عرِّفهم بنعمه وإحسانه ؛ ليشكروه ويعبدوه : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ﴾ [الأعلى: ٩ – ١١] .

فالله دعانا إلى معرفته بالنظر إلى الإبل التي لا يكاد يخلو منها مكان ، ثمَّ النظر إلى السماء ، ثمَّ إلى الجبال أعظم المخلوقات الأرضية عُلوًا ، والبحار أعظم المخلوقات دنوًا وسفلًا ، هذه عاليةٌ في الفضاء ، وهذه في باطن الأرض ، هذه البحر العظيم الذي يُشكل ثلاثة أرباع الكرة الأرضية تقريباً .

هذا البحر العظيم مساحة كبيرة من المياه ، هذا الخلق العظيم ننظر إليه ، وماذا فيه من مليارات المخلوقات من الكائنات من الأسماك ، والأشجار ، والنباتات المختلفة ، هذه البحر العظيم وصل عمقه في بعض جهاته إلى أكثر من عشرة آلاف متر ، عشر كيلو تحت الأرض ، مملوءٌ بالكائنات العظيمة : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النحل: ١٤] .

وأكثرنا يرى الجبال والبحار ، والشمس والقمر ، والسماء ، والأرض ، ونمر بذلك مرور الكرام ، ولا نذكر من خلقها ، وأتقن صنعها ، وملأها بالمعادن والخيرات ، فأثمر ذلك ضعف الإيمان أو موته ، وضعف الأعمال ، والإتيان بجسدها دون روحها: ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: ٢٠].

﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴿٦﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴿٧﴾ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ﴿٩﴾
وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴿١٠﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴿١٢﴾ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا
وَهَّاجٗا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴿١٤﴾ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ
يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ﴿١٧﴾ ﴾ [النبأ: ٦ – ١٧] .
﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا
﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ
بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح/ ١٥-٢٠] .

فسبحان من خلق هذه الكائنات العظيمة في العالم العلوي والعالم السفلي : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١] .

فلا إله إلا الله ، العظيم لا يخلق إلا العظيم من كبير وصغير ، خلق المكان كله ، وخلق الزمان كله ، وجعل المكان محلاً للأجسام ، وجعل الزمان محلاً للأعمال .

- **والمكان سبعة أقاليم :**

الأمريكيتان ، أوروبا ، وأفريقيا ، وأسيا ، واستراليا . . والسابع البحر .

وفي كل من البر والبحر مخلوقات عظيمة لا يحصيها إلا من خلقها ، خلقها الله شاهدة بوحدانيته ، مُسبحة بحمده ، وخاضعة لأمره ، وساجدة لعظمته ، ومسرعة إلى إرادته ، وإظهاراً لقدرته ، وإكراماً لعباده ، ومن عرف هذا فقد أدخله الله جنة المعرفة ، فليس في الدنيا نعيم يُشبه نعيم الجنة إلا نعيم العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وآياته ومخلوقاته : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢١] .

ومن أراد هذه الجنة فليجلس في مجالس الإيمان ، وليوطّن نفسه على ذلك ، ليكسب هذه المعارف التي تولد الحب الكامل ، والتعظيم الكامل ، والذل الكامل لله ﷻ : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ

أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨] .

فسبحان الخلاق العليم الذي جعل المكان سبعة أقاليم ، وجعل الزمان سبعة أيام، السبت ، والأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، والجمعة ، وجعل الزمان مكاناً للأعمال ، وجعل الليل والنهار تدور على المكان ، فكل الأماكن يمر عليها الليل والنهار ، والمكان كله لله ﷻ ، جعل فيه الأجسام متحركة وساكنة ، والزمان كله لله ﷻ ، جعل فيه جميع الأعمال من الطاعات والمعاصي ، والحسنات والسيئات ، والخير والشر : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١] .

فسبحان السميع البصير الذي يملك السمع والأبصار ، البصير الذي وهب لنا الأبصار والبصائر والعقول ، حتى نعرف الحق من الباطل ، وما يرضي الرب ، وما يسخط الرب : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

- **والله ﷻ يخاطب بني آدم في القرآن بالأخبار والأوامر :**

وهذا الإنسان الذي يسكن في المكان ، ويدور عليه الزمان ، خلقه الله لحكمة ، وهي عبادة ربه وحده لا شريك له ، ولتحقيق ذلك لابد أن يتلقى من ربه المنهج الذي يسير عليه ، وهو الدين بأخباره وأوامره .

فالأخبار : خبر عن الله ، وخبر عن مخلوقات الله ، وذلك يثمر الإيمان والتوحيد .

والأوامر : أمرٌ بالفعل ، وأمرٌ بالترك ، أمرٌ بفعل الطاعات ، وأمرٌ بترك المعاصي .

وجميع السماوات والأرض وما فيهما ، وما بينهما ، وما تحتهما ، وما فوقهما ، جميع المخلوقات نعمة من نِعَم الله علينا ، كل هذه النِعَم من الله وحده ، فيجب علينا شكرها ، وعبادة من أنعم علينا بها : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

والتفكر أعظم عبادة ، تثمر أعظم عبادة وهي الإيمان بالله وحده : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا

خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس/ ٧٧-٧٩] .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [السجدة/ ٢٧] .

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٠] .

فتق الله السماء إلى سبع سماوات وفتق السماء بالمياه ، والأرض فتقها إلى سبع أراضين ، فتقها بالنبات

هذا النظر يُثمر الإيمان ، يُثمر اليقين ، يُثمر الإحسان ، يثمر التقوى : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨] .

وإذا عرفنا ذلك تيقنت قلوبنا على عظمة الله ، وعرفت الرب الخالق ، الذي له مُلك كل شيء ، وعرفنا أن الله لا إله إلا هو : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر/ ٦٢] .

وبموجب هذه المعارف التي تربط المخلوق بخالقه ، وتنقل الإنسان من عالم العبيد إلى رؤية مالك العبيد ، ورؤية الخالق يخلق ، والرازق يرزق ، والرحمن يرحم ، والعفو يعفو ، والغفور يغفر ، والتوَّاب يتوب ، سنة الله ﷻ يفعل ما يشاء ويحكم ما يُريد : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] .

والله ﷻ هو الحق المبين الظاهر ، لكن تراه البصائر ، ولا تراه الأبصار : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

فاعبد الله كأنك تراه ، ولهذا يُستجاب الدُّعاء إذا تيقنَّا أن الله موجود ، وأنه قريب ،

وأنه يسمع كلامنا ، وأنه يحُب أن يقضي حاجاتنا ، وأنه أرحم بنا من أنفسنا ، فالله كريم لا يرد سائلًا ، وجميع أهل السماوات والأرض لو سألوه جميعًا ؛ فأعطاهم كل ما سألوه ، فإنه لا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة : ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يونس: ٦٨] .

فعبودية النظر والتفكر والتدبر تنقل الإنسان من عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، ومن رؤية المخلوق إلى رؤية الخالق يفعل ما يشاء ، و يرزق من يشاء ، ويتوب على من يشاء ، وينتقم ممن يشاء ، ويُعز من يشاء ، ويُذل من يشاء : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

إذا عرفنا ذلك تيقنَّا بقلوبنا على عظمة الله ، وأن له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة .

وإذا تيقنَّا على ذلك أحببنا ربنا ﷻ وعظمناه ، وإذا أحببناه أطعناه ، وعبدناه .

والعبادة طاعة العابد للمعبود فيما أمر به من فعل أو ترك : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥] .

- **وأركان الإسلام لابد منها لكل مسلم :**

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.. وإقام الصلاة.. وإيتاء الزكاة.. وصوم رمضان.. وحج بيت الله الحرام .

هذه شعائر تولد الطاقة الإيمانية ، وتحفظ الإنسان في الجو الإيماني ، حتى يزداد إيمانه ويستغفر من الذنوب ؛ ويَنشط قلبه وجوارحه لطاعة الله ﷻ .

فأركان الإسلام شيء ، والإسلام شيء أخر أكبر وأوسع ، الإسلام مبنيٌّ على خمسة أركان ، والإسلام هو عبادة الله بطاعته في كل أمرٍ ونهي : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦١ – ١٦٣] .

- **والله بعث الأنبياء والرسل بأمرين :**

إبلاغ الدين . . والعمل بالدين .

إبلاغ الدين : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

والعمل بالدين : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

فنحن نقتدي بالنبي ﷺ في توحيده ، وفي عبادته ، وفي أقواله ، وفي أعماله ، وفي أخلاقه ، وفي دعوته لربه ﷻ ، لابد من تزيين أجسام البشرية بالأعمال الصالحة ، والأخلاق العالية ، وتزيين القلب بالتوحيد والإيمان : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨] .

فبقدر ما نرى ، ونتفكر ، ونتدبر ، في المُلك والملكوت يزداد الإيمان في القلب ، وإذا ازداد نور الإيمان في القلب ؛ جاء الانشراح لفعل الطاعات ، وجاء الأُنس بالله ، وقذف الله النور في القلب نورًا بعد نور ، كلما تعلم الإنسان شيئاً ، كلما رأى شيئاً ، كلما سمع شيئاً عن ربه ﷻ ازداد قلبه نورًا ، وإيمانًا ، ويقينًا ، وحباً وتوحيداً لله ﷻ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

فإذا عرفنا ذلك تيقنت قلوبنا على عظمة ربنا ، وأن له الأسماء الحُسنى والصفات العُلى ؛ فانقدنا إليه ، وسلَّمنا الأمر إليه ، وسلَّمنا الجوارح له : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان: ٢٢] .

هذا النظر الأول في الآيات الكونية ، النظر في المُلك والملكوت ، هذا النظر يولد الطاقة الإيمانية في القلب ، فالنظر والتدبر والتفكر في الآيات الكونية يثمر قوة الإيمان ، ويثمر اليقين ، ويثمر التقوى ، ويثمر الحب في الله ، والبغض في الله ، ويثمر تعظيم الله ، وحب الله .

هذا النظر والتفكر في الكتاب المنظور يقرؤه ويراه كل أحد يثمر كمال الإيمان ، واليقين ، والتوحيد : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟

أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢] .

وإذا عرفتم ذلك ؛ أحببتم الله ، وإذا أحببتموه ؛ أطعتموه ، وامتثلتم أمره ، وهذه هي العبادة ، طاعة الله في كل أمر ، أمر فعل أو أمر ترك : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب/ ٧١] .

هذا القسم الأول من الرؤية البصرية ، أن ننظر بأبصارنا إلى هذا المُلك والملكوت المشهود ، ننظر إلى ما خلق الله في السماوات والأرض ، هذا النظر يجعل الإنسان يعرف أن لهذا الكون خالق ، ورازق ، ومالك ، وقادر ، وقاهر ، وأنه الواحد الأحد لا شريك له ، وأنه ملك يتصرف في جميع الممالك والمماليك .

يتصرف في السُحب كيف شاء ، وفي الرياح كيف شاء ، وفي السماء كيف شاء ، وفي الأرض كيف شاء ، ويُمسك السماء أن تقع على الأرض ، ويأمر الأرض فتُنبت ، ويأمر السماء فتُمطر ، ويأمر اللسان فيتكلم ، ويأمر العين فتبصر ، ويأمر الأذن فتسمع ، ويأمر الأقدام فتمشي ، لأنه وحده له الخلق والأمر : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالله ﷻ بين أن هذا النظر في الآيات الكونية أعظم سبب لحصول الإيمان وزيادته ، وعبادة الله بالحب والتعظيم ، والذل له جل جلاله : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١] .

- **ثم يأتي النظر الآخر وهو النظر في الآيات القرآنية :**

فالقرآن أخبار ، وأوامر ، والأخبار عن الله ، وعن مخلوقاته ، والأوامر أو أمر فعل ، وأوامر ترك .

وهذا القرآن العظيم مُتعَبَّدٌ بتلاوته ، ومُتعَبَّدٌ بتدبره ، ومُتعَبَّدٌ بالعمل به .

مُتعَبَّدٌ بتلاوته نأخذ على الحرف عشر حسنات ، ومُتعَبَّدٌ بتدبر أخباره وأحكامه وأوامره : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

وهذا التدبر ينقل الإنسان من التَّعلُق بالمخلوق إلى التعلق بالخالق ، ومن الصور إلى

المصور ، ومن العبيد إلى الملك ، ومن الدنيا إلى الآخرة .
ثم بعد هذا العمل بالقرآن ، القرآن مُتَعَبَّدٌ بتلاوته من ناحية الأجور ، مُتَعَبَّدٌ بتدبره والتفكر فيه ، وهذه عبادة ولكن هذا التدبر لابد أن يقترن به العمل : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٧) ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .
فأنا إذا رأيت الأسد أو الثُعبان ، فوراً أتفكر بالخلاص منه بقتله ، أو الهروب منه ، وهكذا إذا رأيت الماء شربت منه ، فكذلك المسلم يتدبر القرآن ، ويقرأ القرآن بقلب حاضر ، ويتدبر آياته العظيمة فيراها إما خبر عن الله ، أو خبر عن مخلوقاته ، أو أمرٌ بفعل طاعة ، أو اجتناب معصية ، ثم يُبادر إلى فعل الطاعات ، واجتناب المعاصي ، والخضوع والانكسار بين يدي ربه الذي أنزله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨) ﴾ [مريم: ٥٨].
والقرآن العظيم كتاب فيه تبيان كل شيء ، وصفه من أنزله بأنه كتاب عظيم ، وحكيم ، وكريم ، ومجيد ، وعزيز ، ومبين ، بين الله فيه ، وفصل فيه أسماءه وصفاته وأفعاله ، وغيرها من الأخبار العظيمة ، والأحكام العادلة : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾[النساء/ ٨٢] .
ويقول ﷻ : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ (٢٤) ﴾[محمد/ ٢٤] .
قُفُل مُقفل على هذه القلوب بأقفال الشهوات ، بأقفال النساء ، بأقفال الآمال ، بأقفال الأموال ، بأقفال الأهواء .
فهذه الأقفال تمنع المسلم من الانتفاع بالقرآن ، والاتعاظ بمواعظه .
وهذا القرآن العظيم حفظه الله من التحريف والتبديل ، ومن الزيادة والنقصان : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ (٤١) لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) ﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٢].
وهذا القرآن منهج البشرية إلى يوم القيامة عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً ، وما تكفل

الحفيظ بحفظه فسيبقى محفوظاً إلى يوم القيامة : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

- **القرآن العظيم بين الله فيه خمسة أمور :**

الأول : القرآن العظيم كتاب التوحيد والإيمان ، فقد فصل الله فيه دلائل التوحيد والإيمان الحسية ، والعقلية والنقلية ، التي تشهد بوحدانية الله ، وكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

الثاني : القرآن كتاب الدعوة إلى الله، فكل سير الدعاة إلى الله، وكل من دعا إلى الله ، الله ذكره في القرآن من الأنبياء ، من الناس ، ومن الحيوان ، ومن الطير ؛ لنقتدي بهؤلاء في الدعوة إلى الله : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم: ٤١].

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم: ٥٤].

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يس: ٢٠ – ٢١].

- **والأنبياء والرسل جاءوا بثلاثة أمور :**

التعريف بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله.. والتعريف بالطريق المُوصِل إليه وهو الدين.. والتعريف بما للناس بعد القدوم عليه من الثواب والعقاب .

الثالث : القرآن العظيم كتاب الهداية ، إذا قامت الدعوة ، جاءت الهداية ، إذا قمنا بالدعوة إلى الله ، نزلت الهداية ، فالله وكَّل السحب بحمل المياه ، ونشرها في العالم ، ووكَّل الشمس بالإنارة ، ووكلنا بنشر الهداية ، فإذا قامت الدعوة جاءت الهداية .

الرابع : القرآن العظيم كتاب الأحكام ، بين الله فيه أحكام العبادات ، والمعاملات ، والمعاشرات ، والأخلاق ، ثم فصلها النبي ﷺ في سنته.

الخامس : القرآن العظيم كتاب الأجر والثواب ، فكل حرف تقرؤه بعشر حسنات فضلاً من الله لترغيب المؤمنين بالاستكثار من قراءته وتدبره .

فإذا قامت الدعوة ؛ جاءت الهداية ، وإذا جاءت الهداية ، واهتدى الإنسان ، جاءت الرغبة في العمل بالأحكام ، إذا اهتديت إلى ربي ، وعرفت الهادي ، وعرفت الرازق، وعرفت الواحد الأحد الذي خزائنه مليئة بكل شيء ، الذي بيده كل شيء ، القادر على كل شيء ، المُحيط بكل شيء ؛ أقبلت عليه ، وامتثلت أمره ، لأني أرجو منه الخير ، وأرجو أن يدفع عنِّي الشر .

ولهذا كانت الدعوة إلى التوحيد والإيمان في مكة ، وفي المدينة جاءت الأحكام ، ونزلت الأحكام كالمطر ، أحكام كثيرة في الشريعة نزلت على أرض مشتاقة إلى الإنبات ، فنزل الغيث على هذه الأرض ، فأنبتت من كل زوجٍ بهيج .

أنبتت : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

أنبتت : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١١٢] .

أنبتت : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ١ – ٩] .

أنبتت : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٦٥] .

كما يُنبت الماء من كل زوجٍ بهيج في الأرض ، كذلك هذا الوحي يُنبت في القلوب

هذه الأجناس التي يحبها الله ﷻ من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات .

فالله أنزل القرآن للبشرية كافة إلى يوم القيامة : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان/ ١] .

ولننظر بتدبر وتفكر في سور القرآن ، ففاتحة الكتاب فيها تبيان كل شيء ، وهي السبع المثاني ، والقرآن كله تفصيلٌ لما جاء فيها ، والتفكر والتدبر والنظر في آيات القرآن الكريم من أعظم العبادات التي تملأ القلب إيمانًا ويقينًا وتقوى ، وتحُرك الألسنة بالذكر ، والحمد ، والدعاء ، والدعوة ، وتعليم شرع الله ، وتُشغل الأوقات والجوارح بالطاعات ، فالقرآن محُكمٌ في آياته وأحكامه : ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١] .

- **والقرآن العظيم مُشتملٌ على أمرين عظيمين :**

فآياته إما خبرٌ . . وإما إنشاء .

الأول : الخبر وهو قسمان : إما خبر عن الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله . . أو خبر عن المخلوق بأنواعه .

خبر عن الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ ۝٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢] .

وخبر عن المخلوق : خبر عن خلق السماوات ، خبر عن الأرض ، خبر عن الإنسان ، خبر عن الجن ، خبر عن الملائكة ، أخبار عن الجنة ، أخبار عن النار .

وبموجب هذه المعرفة ، معرفة الله ، ومعرفة مخلوقات الله ، يأتي بعد هذه المعرفة التكليف بأن نُطيع الله الذي خلق هذه المخلوقات ، وننقاد له ، ونُسلم لأمره ، كما سلَّمت له جميع المخلوقات .

فالله خلقنا مختارين من بين المخلوقات ، فإذا عرفنا الله بأسمائه وصفاته ، وعرفنا مخلوقاته ، وعرفنا الملك والملكوت ، جاءت الرغبة في قلوبنا لطاعته ، لأننا أحببناه ، وعرفنا أنه العظيم ، ثم جاءت المحبة الكاملة لطاعته وعبادته جل جلاله : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

- **والقسم الثاني : إنشاء ، وهو قسمان :**

طلب فعل . . أو طلب ترك .

طلب فعل : وهي جميع الطاعات من الإيمان والتقوى ، والفضائل ، والأخلاق العالية .

وطلب ترك : وهو ترك الكفر ، والشرك ، والمحرمات ، والكبائر ، والصغائر ، فطلب الفعل : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء/ ٣٦] .

وطلب الترك : ﴿وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴿٣٦﴾ ﴾[النساء/ ٣٦] .

وهكذا : ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴿٢٧٥﴾ ﴾[البقرة/ ٢٧٥] .

فالإنسان ما خُلق عبثًا ، خُلِق ليملأ الأوقات ، ويملأ المكان ، بالأعمال الصالحة : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل/ ٧٨] .

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء/ ٣٦] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧] .

فلنتدبر القرآن ، ولنقرأ القرآن ، ولننظر في القرآن ، لنرى الأخبار الصادقة ، ونرى الأحكام العادلة ، ونرى فعل الله في مخلوقاته ، ونرى وعد الله ووعيده جل جلاله .

فهذه المعارف تملآ القلب توحيد وإيمانًا ، وتُحرِك الألسنة بالذكر ، والحمد ، والدعاء ، والدعوة ، وتجعلنا نُشغِل أوقاتنا بالطاعات ، ونُحرِك جوارحنا بأنواع القربات : ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦] .

ننظرُ مثلًا في ست سور من سور القرآن جاءت مُرتبة ، وهي سورة طه ، ثم الأنبياء ، ثم الحج ، ثم المؤمنون ، ثم النور ، ثم الفرقان .
فما العلم الذي تحمله هذه السور ؟، وما السر في هذا الترتيب ؟ ، هذا القرآن الكريم فيه تبيان كل شيء ، وهدىً ورحمة وشفاء : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء/ ٨٢] .
فهو شفاء من كل مرض ، ورحمة تمنع الداء أن يأتي إلى الإنسان ، فننظر في القرآن الكريم ، والقرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة ، ترتيبها معجز ، وآياتها مُعجزة ، وأخبارها عظيمة ، وأحكامها أحسن الأحكام .
والله ﷻ بين في القرآن كل شيء يحتاجه هذا الإنسان في هذه الحياة ، حتى يسير بأفضل سير ، وأحسن طريقة ، مُقتديًا بالأنبياء ، والرسل ، والملائكة ، والمؤمنين : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩] .
والله ﷻ يريد أن يُحسن حياة من خلقه بيده ، يُحسن صنعته بالإيمانيات ، بالعبادات للمعبود الذي يستحق العبادة ، بالأخلاق العالية ، فكلٌ يسعى إلى تحسين صنعته .
والله ﷻ خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم ، ولهذا يُريد تحسينه بالإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وتحسين أوقاته بالأعمال الصالحة ، وتحسين جوارحه بما يحبه الله ويرضاه .
والله يغار على عبده ، لأنه خلقه في أحسن تقويم ، ويريده أن يتحلى بالصفات العالية ، والأخلاق النبيلة : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .
والله ﷻ في سورة طه يقول : ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ﴾ [طه/ ١ -٤] .

الذي خلق الأرض والسماوات العُلى هو الذي يستحق أن يُعبد ، من هو ؟ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٥-٨] .

ثم يقول : ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ۝١٦ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ۝٢١ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ۝٢٢ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ۝٢٣﴾ [طه: ٩ – ٢٣] .

وفي هذا تربية للنبي ﷺ على كمال الإيمان واليقين ، ليتوكل على ربه وحده في إبلاغ دينه .

في سورة طه الله ﷻ يبين للنبي ﷺ أن هذا القرآن نزل فيه تبيان كل شيء ، وأنه مطلوبٌ أن يُبلِّغه للناس ، لأنه آخر نبي ، وأمته آخر الأمم : ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ [طه/ ٢-٣] .

فهذه سيرة النبي ﷺ الله قص عليه قصة موسى ، وما جرى لموسى من شدة الأحوال ، وبين أنه مُكلف مثله بهذا الدين .

ثم بين الله ﷻ بعد سورة طه قصص الأنبياء ، لتجعله يطمئن ، وتجعله يقتدي بهم ، وتجعله يُسابق إلى الخيرات ، ويُرغب أمته ليكونوا كالأنبياء ، في عبادتهم ، وفي دعوتهم ، وفي أخلاقهم ، فجاءت بعد سورة طه سورة الأنبياء ، حتى تكون هذه الأمة كلها كالأنبياء : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠] .

فالصفات التي في جميع الأنبياء جمعها الله في سيد الأنبياء ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء .

فالصفات التي في النبي ﷺ تنتقل إليك ، ترشحت الصفات من جسد النبي ﷺ إلى الصحابة ، لذلك كانوا خير القرون ، بعد أن كانوا شر القرون ، هم شر القرون وبالدعوة إلى الله صاروا خير القرون ، لأنه جاء فيهم مزاج النبي ﷺ ، فهم صالحون مصلحون ، فيهم عبادة الله ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، الأخلاق العالية التي جاء بها النبي ﷺ ، وانتقلت هذه الصفات من الأنبياء إلى أمة سيد الأنبياء : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠] .

فالله ﷻ جاء لنا بسورة الأنبياء بعد سورة طه ، ليُبين لنا أن جميع الأنبياء قاموا بالدعوة إلى الله : ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾ [الأنبياء/ ١] .

معرضون عن ربهم ﷻ ، غافلون عن الله ، مُشتغلون بالنعمة عن المُنعم : ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢﴾ [الأنبياء/ ٢] .

فالله ﷻ يقول : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء/ ٢٥] .

ويقول مذكراً لكفار هذه الأمة : ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢﴾ [الأنبياء/ ٣٠-٣٢] .

فالأنبياء قاموا بالدعوة إلى الله ، وعرَّفوا بالله ﷻ ، وبينوا أحكام الله ، وعملوا بشرع الله ، وكذلك نحن هذه الأمة بعثنا الله كالأنبياء ، فنحن خير أمة في الدعوة ، في العبادة ، في العلم ، في الأخلاق العالية ، فلابد أن يجتهد على شر الناس ، ليكونوا خير الناس : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ٤٥﴾ [الأنبياء/ ٤٥] .

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨﴾ [الأنبياء/ ٤٨] .

فالله قصَّ علينا هذا لكي نقتدي بهم : ﴿ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[الأنبياء/ ٤٩] .

فلأجل الدعوة إلى سلوك طريقة الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله قص الله علينا أحوال الأنبياء لنقتدي بهم في دعوتهم إلى الله ، فالله ذكر جهد الأنبياء في سورة الأنبياء لأننا أمة تعمل بالدين عمل الأنبياء عبادة ودعوة ، فالأنبياء خير الناس ، ونحن خير الأُمم ، والنبي ﷺ سيد الأمم : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران: ١١٠] .

فالله ﷻ يريد أن نقوم على هذا المقصد العظيم ، وهو الدعوة إلى الله ، ونشر دين الله ﷻ ، فقص علينا قصة موسى ، وقصة إبراهيم ، وقصة لوط ، وقصة سُليمان ، وقصة يونس ، وقصة زكريا ، وغيرهم من الأنبياء ، لنقتدي بهم في مجال الدعوة إلى الله ، وكمال الصبر واليقين .

فسورة الأنبياء ذكرت قصص الأنبياء ، وما قاموا به في مجال الدعوة إلى الله ، حتى نقتدي بهم ، في توحيدهم وإيمانهم وأخلاقهم ودعوتهم إلى الله : ﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[الأنبياء/ ١٠٥-١٠٨] .

ثم جاءت بعد سورة الأنبياء سورة الحج ، لأن الحج هو القصد ، فبعد الدعوة إلى الله ، تتعلق القلوب بالله ، وتحب الله ، وتعظم الله ، وترغب في عبادة الله .

فالله ﷻ بالدعوة إلى الله يوجه القلوب إلى عبادة الواحد الأحد ، ويحرك الجوارح بالطاعة التي يحبها الله ، ويحجزها عن معصية الله ، ومن عرف الله أتقاه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ ﴾[الحج: ١] .

والتقوى : ألا يفقدك الله حيث أمرك ، ولا يجدك حيث نهاك .

ثم الله ﷻ يذكرنا بدليل حسي تخضع له القلوب والعقول والأعناق فيقول : ﴿ وَتَرَى

﴿ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ [الحج/ ٥] .

فالماء الذي ينزل على الأرض ، فتنبت من كل زوجٍ بهيج مثل الوحي الذي ينزل على القلوب فتنبت الإيمان ومحاسن الأخلاق .

- **وثمرة هذه السنة الكونية اليقين على خمسة أمور :**

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ [الحج/ ٦-٧] .

فإذا جاء كمال الإيمان والتوحيد توجهنا إلى قبلةٍ واحدة ، وعبدنا ربًا واحدًا ، واتبعنا رسولًا واحدًا ، واتبعنا كتابًا واحدًا ، وأظهرنا ذلك كله للناس كلهم ، بقصد مكان معين في مكة ، لأداء نُسُك مُعين ، في وقتٍ معين ، فالله يريد أن نتوجه إليه على الدوام ، ونقصده ونعبده وحده لا شريك له ، في كل زمان ومكان .

ولهذا جاءت سورة الحج بعد سورة الأنبياء حتى نتوجه إلى ربنا ﷻ ونوحده ونعبده ونقصده وحده لا شريك له .

ثم بين الله حرمة المسجد الحرام الذي يحج إليه الناس ، وتوعد من ألحد فيه بالعذاب الأليم : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾ [الحج/ ٢٥] .

ثم ذكر الله قصة إبراهيم ﷺ ، وأنه ضحى بكل شيء من أجل الدين .

فإبراهيم ﷺ ضحى بنفسه فوهب الله له الله الحياة فورًا في النار ، وضحى بالبلد فالله أعطاه أحسن بلد وهي مكة ، وضحى بالولد فالله أحيا الولد إسماعيل ، ومن إسماعيل جاء أحسن ولد ، سيد الأنبياء والرسل ، وسيد الخلق أجمعين محمد بن عبد الله ، وضحى بأم الولد هاجر فصارت أمًا للعرب ، وصارت خطواتها نسكاً يتعبد المسلمون به بين الصفا والمروة ، ولا يتم الحج ولا تتم العمرة إلا به .

وأمرنا الله أن نعظم شعائر الله في كل زمان ومكان : ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج/ ٣٢] .

وإذا جاء القصد لله ﷻ ، والتوجه إليه ﷻ ؛ جاء حب الله للعابد ، وحفظه ، والدفاع عنه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ ﴾ [الحج/ ٣٨] .

ثم بين الله مصير المؤمنين والكافرين يوم القيامة فقال : ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧ ﴾ [الحج/ ٥٦-٥٧] .

ثم أمر الله ﷻ في آخر السورة بعبادته وحده لا شريك له ، وبذل كل جهد في سبيل نشر دينه فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ [الحج/ ٧٧-٧٨] .

فإذا قامت الدعوة ، جاءت الهداية ، وجاء الإيمان ، وجاءت حلاوة العبادة .

ثم جاءت سورة المؤمنون بعد الحج ، بعدما جاء التوجه الكامل لله ﷻ ، وقصده في كل حال الله يبشرنا بالفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

الذين قبلوا دعوة الرسل ، ووحدوا ربهم ، وأطاعوه ، وعبدوه بشرهم بقوله : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١ ﴾ [المؤمنون: ١ - ١١] .

ثم دعانا الله ﷻ للنظر والتدبر والتفكر ، لنعرف الواحد الأحد ، وذلك بالنظر في آياته الكونية فقال : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون/ ٨٤-٩٢] .

فنتيجة الدعوة حصول الإيمان ، ولزيادة الإيمان تُسقى الفطرة بالإيمان التفصيلي ، الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

وثمرة الإيمان هي الفلاح في الدنيا والآخرة ، الأمن وخلافة الأرض في الدنيا ، ورضوان الله ﷻ ، والجنة في الآخرة ، وبين الله ﷻ أن هذا الإيمان إذا جاء في القلب ملأ القلب نوراً ، فيمتلئ القلب بالنور ، وإذا صار الإنسان يمشي في النور يُحصِّل المنافع ، ويجتنب المفاسد ، يُحصِّل ما ينفعه ، ويجتنب ما يضره ، والذي يمشي في الظلمات ؛ إما أن يحطم الصغير أو يُحطمه الكبير : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

والذي يمشي في النور إما أن يمشي بالخير لنفسه في العبادة ، أو يمشي بالخير لغيره بالدعوة ، والتعليم ، والإحسان .

فإذا امتلأ القلب بالإيمان ازداد نوره ، نورٌ على نور ، ولذلك جاءت بعد سورة المؤمنون سورة النور : ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾﴾ [النور/ ١] .

لأننا بهذا النور عرفنا الخالق من المخلوق ، والصور من المُصوِّر ، والدنيا من الآخرة ، وإذا عرفنا هذا أحببنا الله ، وأطعناه ، وعبدناه ، وتقربنا إليه بما يحبه ويرضاه : ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾﴾ [النور/ ١] .

ثم ذكر الله ﷻ قصة الإفك ، ثم بين الله أنه سميعٌ بصير ، يعلم المحسن من المُسيء ، والمطيع من العاصي ، ويعلم جميع مخلوقاته .

ثم الله ﷻ دعانا للنظر والتفكر والتدبر : ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا

مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٤-٣٥] .

أين نجد هذا النور ؟ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور/ ٣٦-٣٧] .

ثم أخبر أن جميع مخلوقاته : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور/ ٤١] ، يعني كونوا مثلهم .

ثم بين عظمة ملكه ، وكمال قدرته فقال : ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور/ ٤٢-٤٤] .

فالقلب الآن امتلأ بنور الإيمان ، وإذا امتلأ بنور الإيمان ؛ رأى الحق حقًا وفعله ، ورأى الباطل باطلًا واجتنبه ، فإذا جاء عنده هذا النور بدأ يُبصر بقلبه الحق من الباطل ، والخير من الشر ، والحسن من القبيح، ويبصر قيمة الدنيا ، وقيمة الآخرة .

ثم جاءت بعد سورة النور سورة الفرقان ، فإذا امتلأ القلب بنور الإيمان ، وجاء النور في القلب ؛ فرَّق بين الحق والباطل ، كما أن العين تُفرق بين الأبيض والأسود ، والماء والتراب ، كذلك القلب إذا امتلأ بنور الإيمان ، فرق بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وبين الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة ، وفرق بين الخالق والمخلوق، والملك من العبيد .

هذا النور جعل الإنسان يُفرق بين الحق والباطل ، وبين الخالق والمخلوق ، وبين من يستحق العبادة ممن لا يستحق العبادة : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان/ ١] .

من هو ؟ ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ

﴿كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان/ ٢] .

ثم ذكر صفات أهل الفرقان فقال : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾ [الفرقان/ ٦٣-٦٧] .

إلى آخر الآيات ، هؤلاء الله ﷻ لما ذكر صفاتهم قال عنهم : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٧٦﴾ [الفرقان: ٧٥-٧٦] .

فهذه السور الست ترتيبها في القرآن عجيب ، وكل سور القرآن موضوعها ، وترتيبها ، فيه أسرار لا يعلمها إلا الراسخون في العلم : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧] .

- **إذا عرفنا هذا وذاك ؛ أقبلنا على ربنا ﷻ بأمرين :**

عبادة الحق وحده لا شريك له . . والإحسان إلى الخلق دعوةً ، وتعليمًا ، وإحسانًا : ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾ [النساء: ٣٦] .

فالله ﷻ هو السميع البصير الذي منَّ علينا واختارنا ، وجعلنا من خير أمةٍ أُخرِجت للناس ، يريد منَّا أن نتصف بهذه الصفات التي يحبها ﷻ ، وهذا وحده هو طريق النجاة ، طريق النجاة الذي ينجو به العبد من عذاب الله ﷻ : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

فيا أخي المسلم ، ويا أختي المسلمة ، لنُحسن عبادتنا لربنا العظيم السميع البصير ،

ونلزم ذكره ، ونتقرب إليه بما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق ، ونسبح بحمده ، ونشكر نعمه ، ونصبر على بلائه ، ونكون بين يديه عابدين ، ذاكرين ، شاكرين ، ونكون بين خلقه دعاةً ومعلمين ومحسنين ، ونشكره أن جعلنا في قبضة اليمين فضلًا منه ورحمة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧] .

وإياك أيها المسلم أن يراك الله مُصرًّا على معصيته فما كفر به أحد ، ولا عصاه أحد ، إلا من جهله بربه ، وجهله بأمره ، وجهله بنفسه : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر: ٦٧] .

فما أسفه من أعرض عن آيات ربه ، وما أعظم عقوبته : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾ [يونس/ ٧-٨] .

فأبصر رحمك الله مواضع النجاة ، ومواطن الهلاك ، وتعرف على ذلك من كتاب ربك العظيم ، وسنة نبيك الكريم ﷺ : ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤﴾ [الأنعام/ ١٠٤] .

واعلم أن من علم أن الله يُبصره ويراه عبد ربه كأنه يراه ، وأحبه وتولاه ، وخافه ورجاه ، واستحي منه ، وتلذذ بمناجاته ، وسارع إلى طاعته ، وفر من معصيته : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك/ ١٢] .

واعلم أن الله أكرمك بنعمة البصر ، لتبصر به المخلوقات العظيمة ، والآيات الكونية الدالة على عظمة ربك العظيم ، وتنظر به إلى آياته الشرعية الدالة على كمال علمه وقدرته ، وكمال عدله وإحسانه : ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٨٦﴾ [الأعراف/ ١٨٥-١٨٦] .

فتدبروا القرآن ، ففيه الأخبار الصادقة ، والأحكام العادلة ، والأخلاق الحسنة ، والمؤمن حقًا من كان صمته فكرًا ، ونطقه ذكرًا ، ونظره عبرة : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء/ ٨٢] .

فيا عبد البصير استقم على أوامر من يسمعك ويراك ، وبصِّر الناس بدين الله ، ولا تحبس نور الله عن خلق الله فتبوء بعقوبة الله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٩ – ١٦٠] .

واعلم رعاك الله أن البصير الذي خلق فيك السمع والبصر والعقل يُبصِرُك في جميع أحوالك ، فأطعه ولا تعصه ، ولا تجعله أهون الناظرين إليك : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٧ – ٢٢٠] .

واتق الله أن يكون السميع ، البصير ، العليم ، القادر على كل شيء ، أهون الناظرين إليك ، واعلم أن من أخفى عن غير الله ما لا يُخفيه عن الله فقد استهان بنظر القادر القاهر إليه : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

فاستحي من الله على قدر قربه منك ، واشكره على قدر نعمه عليك ، وخف منه على قدر قدرته عليك ، وأحِبه على قدر إحسانه إليك : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧] .

فيا من عصيت الملك الجبار في مُلكه وسلطانه في خلوتك ، إن كنت ظننت أنه لا يراك فقد كفرت ، وإن كنت تعلم أنه يراك فقد اجترأت يا ضعيف ؛ فتب إلى ربك فإنه هو الغفور الرحيم : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].

وزين باطنك بالمراقبة ، وزيِّن ظاهرك بالمحاسبة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر/ ١٨] .

وإذا أردت أن تعصي ربك البصير فاعصه في مكان لا يراك فيه ، أو اخرج من سلطان ملكه ، وهَذا وهذا محال حتى في الخيال : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ [الحديد/ ٤-٥] .

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣] .

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨] .

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

اللهم أنت السميع لأقوالي ، العليم بسري وعلانيتي ، البصير بأفعالي ، ارحم ضعفي وسكنتي ، واجعل في قلبي نوراً حتى أعبدك كأني أراك ، ولا أخشى أحداً سواك ، يا رب العلمين .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

العلي.. والأعلى..والمتعال

اسم الله العلي.. والأعلى.. والمتعال

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال العظيمة ، والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/٨] .

والله ﷻ أراد أن يُعرف ؛ ولهذا خلق هذا المُلك العظيم ، وملأه بآياته ومخلوقاته والطرائق إلى معرفة الله بعدد أنفاس الخلائق ، فالطريق إلى معرفة الله أسهل شيء وأوضح شيء ، وأبين شيء : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٧] .

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج/ ٥ – ٧] .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الروم/ ٢٠] .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الروم/ ٢٥] .

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية/١٧-٢٠] .

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦ – ٨] .

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا

وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ ﴾ [النبأ/ ٦-١٧] .

والله ﷻ يريد من عباده أن يعرفوه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويعرفوا أن له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى ، ليعبدوه بموجب هذه المعرفة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩] .

واسم الله العلي ذكره الله ﷻ في أعظم آيةٍ في القرآن ، وهي آية الكرسي : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

فالعلي صفة كمال ، والعظيم صفة كمال ، واقتران العلي بالعظيم كمالٌ أخر .

فالله ﷻ هو العليّ الأعلى بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، العليّ بمقامه ، العليّ بقهره .

وهو العظيم جل جلاله بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، العليّ بجلاله وجماله ، فالله ﷻ هو العليّ في عظمته ، وهو العظيم في علوه .

وأسماء الله الحسنى جاءت في القرآن مفردة ، ومقترنة باسم آخر ، أو بعده أسماء .

واسم العليّ ورد في القرآن مقترنًا باسم العظيم ، ومُقترنًا باسم الكبير ، ومُقترنًا باسم الحكيم .

وقد ورد اسم الله العلي في القرآن (٨) مرات ، والأعلى مرتين ، والمتعال مرة واحدة .

واسم الله العلي ورد مقترنًا بالعظيم في القرآن في موضعين ، ومقترنًا بالكبير في أربعة مواضع ، ومقترنًا بالحكيم مرةً واحدة ، فالله ﷻ هو العلي الأعلى المتعال بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

أما المتعال فقد ورد مرة واحدة كما في سورة الرعد : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد/ ٩] .

وورد مقترناً بالكبير أربع مرات : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج/ ٦٢] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سبأ/ ٢٣] .

وقال ﷻ ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [غافر/ ١٢] .

ويقول ﷻ : ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء/ ٣٤] .

أما اسمه الأعلى فقد ورد مرتين :

أحدهما: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعلى/ ١-٣] .

والثاني ورد في سورة الليل : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [الليل: ١٧ - ٢١] .

فالله ﷻ هو العليّ الأعلى جل جلاله ، فوق كل شيء ، فالعليّ بذاته ، العليّ بصفاته ، فلا أحدٌ مثله ، تعالى عن كل ما سواه من المخلوقات ، العليّ عن الصاحبة والولد والشبيه والمثيل ، هو العليّ الذي رفع وأعلى من آمن به ، وخفض من كفر به ، والمطلوب من المسلم أن يرفع ، ويُعلي ، ويحُب ، من أعلى الله من المؤمنين والمتقين والمحسنين ، ويخفض من خفض الله من الفسّاق ، والكفار ، والمجرمين ، والمستكبرين .

واسم الله العليّ والأعلى أسماء تدل على أسماء ذاتية للرب ﷻ ، والمتعال صفة تنزيه، هو ﷻ متعالٍ عن النقائص والعيوب ، متعالٍ عن الشريك والمثيل ، متعالٍ عن جميع مخلوقاته ، فهو عليّ بذاته ، متعالٍ عن النقائص والعيوب ، متعالٍ عن كل مخلوق ، هو الملك الحق ، ومن خصائص الملك الحق الأمر والنهي ، والثواب والعقاب ، والوعد والوعيد ، فالله ﷻ هو الملك الذي له الأوامر الكونية ، والشرعية،

والجزائية ، وله الخلق والأمر كله : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف/ ٥٤] .

هو جل جلاله العليُّ الأعلى ، الذي تعالى عن النقائص والعيوب جميعها ، وتعالى عن الشريك ، والمثيل ، والشبيه ، والكفو ، وتعالى بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله عن مخلوقاته ، فالله ﷻ هو العليُّ الكبير ، وهو العليُّ العظيم ، وهو العليُّ الحكيم .

الله ﷻ كبيرٌ قبل أن نكبره ، وعظيمٌ قبل أن نعظمه ، وخالق قبل أن يخلقنا ، ورازق قبل أن يرزقنا : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون/ ١١٦] .

والله ﷻ أكبر من كل شيء ، أكبر مما نعلم ، وأعظم مما لا نعلم ، وأقوى مما نعرف ومما لا نعرف ، وأجمل مما نعرف ومما لا نعرف ، فمهما عرفنا من قوته فهو أقوى ، ومهما عرفنا من كبريائه فهو أكبر ، ومهما عرفنا من علوه فهو أعلى ، ومهما عرفنا من رحمته فهو أرحم ، فهو العليُّ بذاته وأسمائه وصفاته عن مشابهة مخلوقاته ، له الأسماء الحُسنى والصفات العُلى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر/ ٦٧] .

فسبحان من لا بداية ولا نهاية لعظمته وكبريائه وجلاله وجماله : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر/ ٦٥] .

هو الحي بجميع صفات الكمال ، هو الحي بكمال السمع والبصر ، والقوة والقدرة ، والعلم والخبرة ، والرحمة والعزة .

هو سبحانه العلي الأعلى الذي لا بداية له ولا نهاية ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، لا بداية لعظمته ، ولا نهاية لكبريائه ، وجلاله وجماله ، هو الحي لا إله إلا هو وإذا عرفناه بالكبرياء والعظمة ، والرحمة والإحسان ، أحببناه وعبدناه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

لأنه الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو القادر على كل شيء ، المُحيط بكل شيء ، الحفيظ لكل شيء ، الغني عن كل أحد ، الذي له مُلك السماوات والأرض ، الواحد الأحد في مُلكه وسلطانه ، وخلقه وأمره ، وتدبيره وعبادته : ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥] .

الحمد لله أن لنا ربًا عظيمًا ، له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى .

الحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى ، الحمد لله رب العالمين أن أنعم عليّ و أنعم على غيري ، الحمد لله رب العالمين أن أعطاني خيرًا وصرف عني شرًا ، الحمد لله رب العالمين الذي جعلني أسجد له ولا أسجد لغيره ، فالسجود له يُغنيك عن السجود لغيره ، ومن لم يسجد لله سجد لغير الله ، والله عنده كل شيء وغير الله ليس بيده شيء : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿١﴾﴾ [فاطر/ ١] .

خزائن المخلوقات كلها عند الله ، وكل مخلوقاته تدل على وجوب توحيده وحمده : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١] .

فله الحمد كله ، لأنه الذي خلق الإنسان وأطعمه وسقاه ، وهداه واجتباه : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴿١﴾﴾ [الكهف/ ١] .

هو الحميد الذي حمد نفسه قبل أن يخلق الحامدين له ، فله الحمد على نعمه المادية والروحية : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٢ – ٧] .

هو الملك الحق الذي له الملك كله ، وله الخلق كله ، وله الأمر كله ، وله الحمد كله. فإذا حمدناه استفدنا من هذا الحمد ؛ لأنه يزيدنا من نعمه كلما حمدناه وشكرناه : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧] .

ونحمده لأنه أهلٌ أن يُحمد ، وأهل أن يعبد ، وأهل أن يطاع .

ومعرفة العلي الأعلى بأسمائه وصفاته وأفعاله تدفع الإنسان لحمد ربه ، وعبادته ، والخشوع له ، والانكسار بين يديه ، وسؤاله ؛ لأن له الأسماء الحُسنى، والصفات العلى ، وهو العليُّ القادر القاهر الذي بيده كل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيء ، الذي إذا تكلمت سمعك ، وإن تحركت رآك ، وإن أضمرت فهو يعلم بما في قلبي وفي صدري : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك / ١٣ – ١٤] .

فهو سبحانه العليّ الذي له العلو المُطلق من جميع الوجوه ، له علو الذات ، وله علو الصفات ، وله علو القدر ، وله علو القهر .

هو المتعال ، هو الغني بذاته ، العليّ بذاته على جميع مخلوقاته ، الأعلى الذي استوى على أكبر وأعظم مخلوقاته ، وهو العرش العظيم ، بأعظم الصفات وهي الرحمة : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه/ ٥] .

دعانا باسمه الرحمن حتى نعرف أنه الرحمن وأنه على العرش استوى بصفة الرحمة ، لنقبل على سؤاله وعبادته ، وهو في علوه ، لا يخفى عليه شيء ، يسمع كل شيء ، يُبصر كل شيء ، عليم بكل شيء ، محُيط بكل شيء ، قادر على كل شيء : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه/ ٥] .

وهو العليّ علو قدر ، العليُّ العظيم بأسمائه الحُسنى ، وصفاته العُلى ، وأفعاله الجميلة : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨] .

له علو الجلال ، وعلو الجمال ، فهو الأعلى في كل صفة ، بقدرته وعزته وجلاله ورحمته وبره وإحسانه .

وهو العليّ علو قهر ، فهو العليّ القاهر فوق عباده ، الذي قهر كل شيءٍ على ما أراد ، حجماً وشكلاً ، وطولاً وعرضاً ، وحياةً وموتاً ، العلي الذي دانت له المخلوقات بأسرها ، فلا يتحرك ولا يسكُن شيءٌ منها إلا بإذنه وعلمه وإرادته : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر/ ٤] .

قهر الجبال على السكون ، وقهر الرياح على الحركة ، وقهر البحار أن تفيض ، وقهر النبات على شكلٍ معين ، وقهر جميع المخلوقات على ما أراد : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [هود/ ٦٦] .

هو الواحد القهار ، قهر الرياح بالجبال ، وقهر الجبال بالحديد الذي يُكسِّرها ، وقهر الحديد بالنار التي تُذيبه ، وقهر النار بالماء الذي يُطفئها ، وقهر الماء بالرياح التي تحركه وتحمله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٠٦ – ١٠٧] .

فهو جل جلاله الواحد القهار ، هو واحد ، والواحد لابد أن يكون قهاراً ، وهو القهار ، والقهار لابد أن يكون واحدًا .

هو سبحانه الكبير المُتعال عن كل نقصٍ ، وعيبٍ ، وآفةٍ ، وظلمٍ ، وسوء ، رفيع الدرجات ، له الأسماء الحُسنى ، والدرجات العُلى ، المستحق لأعظم درجات التعظيم ، والمدح ، والثناء : ﴿ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الشورى/ ٣ – ٥] .

فالسماوات تكاد تنفطر ، والملائكة تسبح بحمد ربها من قال إن الله ثالث ثلاثة ، أو قال : أن الله هو المسيح بن مريم ، أو قال : إنه اتخذ صاحبةً وولدًا : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

فهو جل جلاله العليّ الأعلى ، الغني عن كل ما سواه ، هو سبحانه العليّ الأعلى الذي جعل أولياءه هم الأعلون في الدنيا والآخرة ، جعل لهم في الدنيا جنة المعرفة ، وجعل لهم جنَّة في السماء في أعلى عليين : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الغاشية/٨–١٠] .

وأصحاب عليين هم جلساء الرحمان ، على منابر من نور ، في أرفع الدرجات ، علوًا وسموًا ، في مقعد صدق عند الملك الحق : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[القمر/ ٥٤-٥٥] .

فيا سعادة من جعل ربه العليّ الأعلى ، الملك الحق ، الواحد الأحد ، إلهه ومعبوده، ليسعد بذكره وشكره ، ويُجيب سؤاله ، ويُكرمه في الدنيا ، ويُكرمه في الآخرة : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحجرات/ ١٧] .

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[يونس/ ٥٨] .

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد/ ٢٨-٢٩] .

ثم بعد ذلك أين يقيم هؤلاء ؟ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾[الفجر/ ٢٧-٣٠] .

هو العلي الأعلى الذي أمر بالأعلى من الأحكام ، ويعطي لأوليائه الأعلى من الدرجات .

فليهنأ من عبد ربًا واحدًا ، وأطاع ربًا واحدًا ، وحمد ربًا واحدًا ، يهنأ بذلك سعادةً في الدنيا ، وأمنًا ، وخلافةً ، وطمأنينةً ، وانشراحًا ، وينعم في الآخرة برؤية ربه ، والقرب منه ،وسماع كلامه ، ورضوانه ، ودخول الجنة ، والخلود فيها ، والنجاة من النار ، في عمرٍ مديد ، ونعيم مقيم : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة / ٧٢] .

ويُنادي أهل الجنة إذا دخلوها : «**أما إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَتَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبَدًا ، وَتحْيَوْا فَلا تمُوتُوا أَبَدًا ، وَتَشِبُّوا فَلا تهْرَمُوا أَبَدًا**» أخرجه مسلم [(١)] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: ٢٨٣٧.

فالله ﷻ يريد منَّا التحلي بأحسن الأخلاق ، الله ﷻ يحب معالي الأخلاق ، ويكره سفاسفها ، يحب معالي الأخلاق ، يُحب نفسه ، ويُحب ملائكته ، ورسله ، وكتبه ، وأولياءه ، ويأمر الناس بأن يحبوا الله ، ويحبوا رسله وكتبه ، والأعمال التي تُقرِب إليه جل جلاله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة / ٢٢٢] .

وجعل سبحانه الكفَّار والمُكذبين في سجين ، في أسفل سافلين ؛ لأنهم اختاروا السفل ، اختاروا الشرك ، والجهل ، والكفر ، والظلم ، والصفات السيئة والمعاصي ؛ ولهذا جعلهم في أسفل سافلين : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [التين / ٤ – ٨] .

أما المؤمنون فهم في أعلى عليين ؛ لأنهم اختاروا أفضل الأقوال ، و أعلى الأقوال ، وأعلى الأعمال ، وأعلى الأخلاق ، وحَّدوا ربهم وآمنوا به واتقوه وأطاعوه ؛ فالله ﷻ أعطاهم صفات العلو في الدين في الدنيا : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران / ١٣٩] .

ثم يوم القيامة يجعلهم في جنةٍ عالية ، لكن الكفار والمشركين والمكذبين في سجين ، في أسفل سافلين ، مقرهم سجين تحت الأرض ، خالدين فيها لا يخرجون منها أبدًا : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [المطففين/ ٧] .

فسجين تحت الأرض السفلى ، وهي أظلم ما خلق الله ، جمع الله فيها ما بين الظُلمة الشديدة ، والحرارة الشديدة ، والعذاب الشديد ، والغضب من الرب ﷻ فلا تسأل عن حال هؤلاء : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [النساء / ٥٦ – ٥٧] .

فالله ﷻ ذكر اسمه العليَّ والأعلى في القرآن في سورٍ مختلفة ، وفي مناسباتٍ مختلفة ، وهو ﷻ العلي الأعلى الذي له المثل الأعلى إثباتًا ونفيًا ، وقد ورد المثل الأعلى في القرآن ثلاث مرات بالإثبات والنفي :

فالإثبات جاء مرتين :

أحدهما : في سورة النحل كما قال الله ﷻ : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾[النحل/ ٦٠] .

والثانية : في سورة الروم : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾[الروم/ ٢٧] .

هو العزيز الذي لا يُغلب ، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه جل جلاله .

الثانية : النفي : ورد في سورة الشورى كما قال ﷻ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى/ ١١] .

فالله ليس كمثل ذاته ذات ، ولا مثل أسمائه أسماء ، ولا مثل صفاته صفات ، ولا مثل أفعاله أفعال ، ولا مثل أحكامه أحكام .

ليس كمثله شيء ، هو القوي الذي ليس كمثله أحدٌ في القوة ، هو القوي الذي له المثل الأعلى في القوة .

له الأسماء الحسنى ، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض ، وليس كمثله شيءٌ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص / ١ – ٤] .

التعبد لله ﷻ باسمه العلي.. والأعلى.. والمتعال

التعبد لله ﷻ بأسمائه الحُسنى ، أن يتطلب الإنسان علمها في القرآن والسُنة ، ويفهم معانيها ، ويتوجه إلى ربه أن يعلمه معاني هذه الأسماء ، وييسر له التعبد بموجبها ، ويسأله جل جلاله أن يُطلعه على أعلى درجات حسنها ؛ فأن الله ﷻ هو العلي الأعلى المتعال بالمجد ، والمحامد ، والثناء ، والحسن ، والأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ،والأفعال الجميلة ، والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه/ ٨] .

والعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله هو أبرك العلوم ، وهو أفضل ما تعلمه العبيد ، وجنة المعرفة في الدنيا .

- جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة يوم القيامة لها سبعة أبواب :

الباب الأول : معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهذا أعظم الأبواب ، وأوسعُها ، وأكبرها ، وأصلها ، فمن عرف ربه حقاً عبده حقاً : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩] .

الباب الثاني : معرفة الدين الذي أنزله الله ﷻ في كتابه ، حتى نعبد الله بموجبه : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

الباب الثالث : معرفة الرسول الذي أرسله الله ﷻ به ، لنقتدي به في توحيده وأيمانه ، وفي نيته وفكره ، وأقواله ، وأعماله ، وأخلاقه : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

الباب الرابع : معرفة النفس البشرية ، ماذا تريد من ربها ؟ ، وماذا يريد الله ﷻ منها ؟ : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا

﴿ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون / ١٢ – ١٦] .

ولهذا الله ﷻ بين أسماءه وصفاته وأفعاله في القرآن بما لا تخلو منه آية ، وكذلك بين خلق هذا الإنسان من نطفة ثم علقة ثم مضغة ، بين كيفية خلق هذا الإنسان حتى يعرف الإنسان نفسه بالذلة ، والفقر والضعف ، ويعرف ربه بالعظمة ، والكبرياء ، والغنى .

الباب الخامس : معرفة الشيطان الذي نذر نفسه لعداوة الإنسان ، وإضلاله ، ليتقيه العبد ويحذر كيده ومكره : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر / ٦] .

الباب السادس : معرفة الدنيا التي نعيش فيها ، وأنها دار الإيمان والعمل ، وتكميل ما يحب الرب ، لا دار تكميل محبوبات النفس من الشهوات : ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد / ٢٠] .

والباب السابع : معرفة الآخرة التي سوف نصير إليها ، والاستعداد لها بالإيمان والعمل الصالح : ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد / ٢١] .

فهذه سبعة أبواب من المعارف موصلة إلى جنة الآخرة .

وكل شيء في الكون له سنة كونية يسير عليها ، فللشمس سنة ، وللقمر سُنة ، وللنبات سُنة ، وللحيوان سُنة ، وللرياح سُنة ، وللجبال سُنة ، وللبحار سُنة ، وكل شيء يسير بسُنة من ربه ﷻ ، وكذلك للإنسان سُنة شرعية يسير عليها ، هذه السُنة هي الدين بأن يمتثل أوامر الله ، ويجتنب نواهيه ، ويطيع الله ورسوله فيما أمر ونهى :

﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥ – ١٦] .

- وهذا الإنسان علبة فيها مخلوقان عظيمان :

النفس.. والروح .

الروح محبوباتها ملكية ، وهي علوية ، والنفس محبوباتها سفلية ، وهي شهوانية ؛ فالروح بحر الطاعات تتلذذ بالطاعات ، والنفس بحر الشهوات ، فهذه الروح إذا أقبلت على الله اقترن بها ملك يسددها ، والنفس البشرية إذا أعرضت عن الله اقترن بها الشيطان : ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف/ ٥٣] .

هذه المعارف السبع لابد منها للإنسان ، حتى يمتلئ قلبه في الدنيا بالأيمان ، وتتحرك جوارحه بأنواع العبادات ، ويقدم الدار الباقية على الفانية ، ويدخل جنة المعرفة التي تسبق جنة الآخرة .

- فللإنسان جنتان :

الأولى : جنة في الدنيا هي جنة المعرفة بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ودينه ، وشرعه ، ووعده ، ووعيده .

الثانية : جنة الآخرة التي فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

فجنة الدنيا علمية وعملية ، وجنة الآخرة بدنية وروحية ، وهي ثمرة جنة الدنيا ، وجنة الدنيا أعظم لأنها متعلقة بمعرفة الخالق وعبادته ، فمن دخلها دخل جنة الآخرة .

وفي هذه الجنة ثمان كرامات أعظمها رؤية الله ، ورضوانه ، والقرب منه ، وسماع كلامه ، ودخول الجنة ، والخلود في الجنة ، والنعيم الأبدي ، فلهذا المؤمن كراماتٌ في الدنيا ، وكراماتٌ في الآخرة ، متى يحصل عليها العبد ؟ إذا اتصل بالعلي الأعلى جل جلاله .

فربنا العلي الأعلى المتعال عرفنا بأنه هو العلي ، ودعانا لأن نعلو بأنفسنا عن الرذائل بالفضائل ، وعن الشرك بالتوحيد ، وعن الجهل بالعلم ، وعن الغفلة بالذكر ، ونعلوا عن حياة البهائم والسباع والمفسدين إلى حياة الأنبياء والمرسلين والمصلحين .

وإذا عرفنا أن ربنا ﷻ هو العلي العظيم ؛ فعلينا أن نعظمه بقلوبنا ، وألسنتنا ، وجوارحنا ، ونوحده بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وننزهه عن كل ما لا يليق بجلاله ، ونعبده بما شرعه وحده لا شريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢] .

وإذا عرفنا ذلك ، وأبصرناه بقلوبنا ؛ فلنُرجع النظر إلى أنفسنا تنكشف لنا حقائق : ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الذاريات/ ٢١] .

ويتبين لنا ضعفها ، وسفال درجتها ، ومقدار جهلها : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[يوسف/ ٥٣] .

والله ﷻ وحده هو العلي العظيم ، والنفس البشرية مفطورة على حب الأعلى ، والأكمل ، والأحسن ، كل إنسان مفطور على حب الأعلى ، والأكمل ، والأحسن ، وفيه تطلع إلى من له الكمال المُطلق ، للاحتماء به ، والانتفاع بخيره ، والنفس تسعى للحصول على الأعلى والأحسن ، وفيها فقر لا يسده إلا معرفة العظيم العلي الأعلى ، ذو الجلال والإكرام : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩] .

فإذا عرفته اطمأنت به ، ورضيت بعبادته ، وسارعت إلى مرضاته ، وقامت بالدعوة إليه، ونالت ثوابه .

فلا بد من معرفة العلي الأعلى جلا جلاله بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، إذا عرفت النفس أن ربها هو الملك العلي الأعلى اطمأنت به ، وعملت بشرعه ، ورضيت بتدبيره ، ونالت ثوابه : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد/ ٢٨-٢٩] .

واعلم أن من عرف الله حقًا ، عرف أنه عبده حقًا ؛ فعبده حقًا ؛ وأحبه حقًا : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر/ ٤٩ – ٥٠].

فربنا العلي الأعلى له من الأسماء أحسنها ، وله من الصفات أعلاها ، هو القوي الذي كل الكون أثر من آثار أفعاله وقدرته وإرادته ، هو العزيز الذي لا يُغلب ، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه ، الملك الذي : ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ ﴾[الشورى/ ٤] .

هو العلي العظيم بذاته وصفاته ، وطبيعة النفوس تُحب الأعلى ، والأكمل ، والأحسن ، فإذا عرفنا العلي ، وعرفنا العظيم ، وعرفنا الكبير ، وعرفنا الرزاق ؛ فلسنا بحاجة إلى من هو أسفل ، ولا من هو حقير ، ولا من هو صغير ، ولا من هو فقير : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات / ٥٠ – ٥١] .

والله ﷻ دائمًا يذكرنا بأسمائه وصفاته في كتابه وحتى نعرفه بأسمائه وصفاته ، وإذا عرفناه أحببناه ، وإذا أحببناه ؛ أطعناه وعبدناه ، ونلنا رضاه :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

فالله ﷻهو العليّ الكبير الذي حارت العقول في معرفة كبريائه ، وتاهت الأنظار عن إدراك عظمته ، وشهدت ذوات المخلوقات على كمال قدرته وربوبيته و الوهيته ؛ فسبحه ومجده : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [الأعلى / ١ – ٥] .

نزه الله أن تجعله اسمًا لغيره ، أو تجعل له شريكاً فيه ، أو مثيلاً له من خلقه ، ومجده بأسمائه الحُسنى التي سَمي نفسه بها : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه/ ٨] .

وتخلق بها ، وتعبد الله بها : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الأعراف/ ١٨٠] .

سبح اسم ربك الأعلى ، ومجد ذكره ، فإنه سبحانه هو العلي العظيم بذاته وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وهو أعظم وأجل من أن يقدر الله أحدٌ حق قدره جل جلاله : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر/ ٦٧] .

الله ﷻ هو العلي الكبير ، هو العلي العظيم ، هو العلي الحكيم ، والله ﷻ لكمال عظمته ، وكبريائه ، وعلوه ، استحق أن يُعبد لما له من الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ؛ فأسماء ربنا ﷻ كلها حُسنى ، وهي أحسن الأسماء ، لأنها أسماء حمدٍ ، وثناءٍ ، ومدحٍ ، وتمجيد .

أسماء الله ﷻ كالملك ، والحق ، والعلي ، والأعلى كلها حُسنى ، ليس فيها اسم سوء ، وصفاته كلها صفات كمال ، ليس فيها صفة نقص ، وأفعاله كلها حكمة ، ليس فيها فعل خال عن الحكمة ، والمصلحة .

- وأسماء الله ﷻ كلها حُسنى لأمرين :

الأول : أنها تدل على أحسن وأعظم وأجل مسمى ، وهو الله العلي الكبير .

الثاني : أنها متضمنة للصفات الكاملة ، لا نقص فيها ولا عيب بوجه من الوجوه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨] .

- ومن تمام كونها حُسنى أنه لا يُدعى الله إلا بها بأنواع الدعاء الثلاثة :

دعاء المسألة.. ودعاء الثناء.. ودعاء التعبد .

- ولهذا من أراد أن يدعو الله ﷻ بأسمائه الحُسنى فليتذكر أمرين :

عزة الربوبية.. وذلة البشرية .

تذكر عزة الربوبية ، تذكر الملك الحق ، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سُنة ولا نوم ، تذكر الذي له ما في السموات والأرض ، تذكر عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ، يتذكر العبد عزة الربوبية ، ويقرنها بمعرفة ذلة البشرية ، فأنا أقف بين يدي ربي ، وأعلم أنه العظيم الكبير القادر المتعال ، وأعرف نفسي بأني أنا الضعيف ، الفقير ، العاجز ، المحتاج ، المذنب ، فهنا نتوجه إلى ربنا ونعلم ونتيقن أنه إن تكلمنا

سمعنا ، وإن تحركنا رآنا ، وأبصرنا وإن أضمرنا أمرًا فهو خبيرٌ بما في قلوبنا : ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك / ١٣ – ١٤] .

تذكر الله ﷻ بعظمته ، وكبريائه ، وأنه مستوٍ على عرشه ، يدبر الأمر كله ، يعز هذا ، ويذل هذا ، ويمنع هذا ، ويعطي هذا ، ويحيي هذا ، ويميت هذا ، ويتذكر ذلة العبودية ، ويتذكر إكرام الله ﷻ لبني آدم بأنواع الكرامات : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[الإسراء/ ٧٠] .

فالله ﷻ يريد أن يحسِّن صنعته ، وهو هذا الإنسان ، ولهذا أنزل له الدين الكامل ، لأنه يريد منه العمل الكامل ، والصفات الكاملة ، والحياة الكاملة ، حتى يوم القيامة يكون بقرب ربه الملك الحق ، العلي الأعلى ، الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[القمر/ ٥٤-٥٥] .

- وأنواع الدعاء بأسماء الله الحُسنى ثلاثة :

الأول : دعاء الطلب والمسألة ، وهو طلب الداعي من ربه ما ينفعه من مصالح الدين والدنيا ، أو طلب كشف ما يضره أو دفعه ، والذي يملك النفع والضر لأحد هو المستحق للعبادة ، ولا يملك ذلك أحدٌ إلا الله وحده لا شريك له : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١] .

فندعو الله وحده بأسمائه الحسنى ، فنقول يا رحمن ارحمني ، يا عليم علمني ، يا رزاق ارزقني ، يا عفو اعفُ عني .

الثاني : دعاء العبادة والثناء على الله ، كما قال يونس : ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[الأنبياء/ ٨٧] .

الثالث : دعاء التعبد لله بأسمائه الحسنى ، فإذا علمت أن الله كريم أكون كريماً ، وإذا علمت أنه رحيم أكون رحيما ؛ وهكذا : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

- وإثبات أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن والسنة يتم بثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن يرد الاسم مطلقًا دون قيدٍ ، أو إضافة مثل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى/ ١١] .

الشرط الثاني : أن يرد الاسم مطلقًا دون قيدٍ أو إضافة مثل : الرحمن ، الرحيم ، العزيز ، الحكيم ، فالقيد مثل مالك المُلك ، بديع السموات والأرض ، جامع الناس ، خير الغافرين ، خير الرازقين ، خير الفاتحين ، خير الفاصلين ، خير المنزلين ، رفيع الدرجات ، سريع الحساب ، شديد العقاب ، علام الغيوب ، فالق الحب والنوى ، مُنزل الكتاب ، مجُري السحاب ، هازم الأحزاب .

الشرط الثالث: أن يكون الاسم مشتقًا يتضمن مدحًا وثناءً على الله ، لا جامدًا كاسم الدهر ؛ فإنه جامد لا يتضمن معنى يُلحقه بالأسماء الحُسنى .

فهذه ضوابط إطلاق الأسماء الحُسنى على الله ﷻ .

- وأسماء الله ﷻ نوعان :

الأول : ما ثبت شرعًا في القرآن والسُنة مفردًا ، مطلقًا ، غير مضاف ، ولا مقيد مثل السميع ، والبصير ، والعزيز ، والتواب وأمثالها .

فهذه يسمى الله بها ، ويدعي بها ، لأنها تفيد المدح والثناء بنفسها .

القسم الثاني من أسماء الله : مقيد أو مضاف كسريع الحساب ، وشديد العقاب ، وفالق الإصباح ، وأمثالها .

وهذه يدعى الله بها فيقال : يا مالك الملك ، يا فالق الإصباح ، يا سريع الحساب .

وأسماء الله وصفاته لا تحصى ، ولا يمكن أن يحاط بها : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه / ١١٠] .

وأسماء الله ﷻ توقيفية ، وأسماء الله ﷻ كلها أعلامٌ ، وأوصاف ؛ فكل اسم متضمن لصفة ولا عكس ؛ فليس كل صفة لله يؤخذ منها اسم ، ولكن كل اسم يتضمن صفة ؛ فالعزيز متضمن لصفة العزة ، والخالق متضمن لصفة الخلق وهكذا .

والله ﷻ وصف نفسه بأنه ينزل ، ويمكر ، ويكيد ، ويكتب ، فيوصف الله بذلك مقروناً بسببه ، ولا يسمى به .

وإذا عرفنا أن ربنا ﷻ هو العلي الأعلى بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ؛ فيجب علينا أن نخضع له ليرفعنا ، ونذل له ليعزنا ، ونفتقر إليه ليعطينا ، ونستغفره ليغفر لنا ، ونستنصره لينصرنا : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف/ ١٨٠] .

فاخضع له يرفع مقامك في الدنيا والآخرة ، في الدنيا يجعلنا خلفاء الأرض ، ويملكنا الأرض : ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٢٨] .

وتذلل له يعزك : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آل عمران/ ٢٦] .

وافتقر إليه يعطك أفضل مما سألت ، فالله ﷻ ابتلانا بالفقر لنظهر عبودية السؤال والحاجة للواحد الأحد : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر/ ١٥] .

فإذا افتقرنا إليه أعطانا ، وإذا افتقرنا إلى غيره أذلنا بعطائه ، أو حرمنا . ونستغفره ؛ لأنه هو الغفور الرحيم ؛ فاستغفره يغفر لك ، واستنصره ينصرك ، فالله هو النصير الذي ينزل النصر من عنده ، كما ينزل الغيث من عنده .

والله عنده خزائن النصر ، لأنه القوي العزيز الذي يقول للشيء كن فيكون : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[الحج/ ٤٠-٤١] .

واعلم أيها العبد أن فوق كل ذي علم عليم ، وفوق كل كبير أكبر ، وفوق كل غني أغنى ، وفوق كل كريم أكرم ، فكن مع العلي يرفعك ، وكن مع القوي يقويك .

فالله هو القوي الذي عنده خزائن القوة ، وهو الذي خلق القوة في كل قوي ، ولو رفع عنه أمر القوة لعاد ضعيفًا ، هو الرزاق الذي عنده خزائن الأرزاق ، وهو الذي خلق الأرزاق والمرزوقين ، وتكفل بإيصال الأرزاق إلى كل مرزوق في البر ، والبحر ، والجو ، وهو خير الرازقين ؛ لأنه يعطي بلا منة جل جلاله ، وكن مع الهادي ، يهديك سواء السبيل ، والصراط المستقيم : ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾[الأنعام/ ١٦١] .

هذا منه ، ومني أنا : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام / ١٦٢ – ١٦٣] .

ما دام الهادي هداني للدين الحق ؛ فأسير على الصراط المستقيم في الدنيا ؛ لأعبر الصراط المستقيم إلى الجنة ، وإلى رضوان الله ، يوم القيامة : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت/ ٦٩] .

لا بد من المجاهدة ، الإيمان يحتاج إلى مجُاهدة ، والعلم يحتاج إلى مُدارسة ، العلم بشقيه علم الدنيا ، وعلم الدين ، يحتاج إلى مدارسة ، أن أجلس ، وأستمع إلى درس ، أو محاضرة ، أستمع درساً عن كيفية الصلاة ، كيفية الحج ، أستمع درساً عن كيفية الصناعة ، كيفية الزراعة ، العلم يحتاج إلى مدارسة ، فاعلم كيفية هذا وهذا.

أما الإيمان فيحتاج إلى مجاهدة : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت/ ٦٩] .

نجاهد أنفسنا على تعلم الإيمان ، نتعلم الإيمان كما نتعلم القرآن ، وتعلُم القرآن بعد تعلم الإيمان كما قال الصحابة : تعلمنا الإيمان ، ثم تعلمنا القرآن ؛ فازددنا إيمانًا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ

ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء / ١٣٦] .

- وتعلم الإيمان له أربع جهود :

جهدٌ على تحصيل الإيمان.. وجهدٌ على حفظ الإيمان.. وجهدٌ على الاستفادة من الإيمان.. وجهدٌ على نشر الإيمان .

هذه جهود الإيمان ، فالإيمان أغلى شيء في خزائن الله ، فمن أقبل على الله بقلبه ، وأقبل بسمعه وبصره ، وعقله ، مفتقرًا متذللاً ، الله ﷻ يمن عليه بالهداية ، ويفتح له أبواب الهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ ﴾[محمد/ ١٧] .

- فكمال الإيمان يتم بهذه الأمور الأربعة :

الأول : جهد على تحصيل الإيمان بالنظر في الآيات الكونية ، والآيات الشرعية ، والعلم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ووعيده : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس / ١٠١] .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد / ٢٤] .

الثاني : جهد على حفظ الإيمان بالجو الإيماني ، بالبيئة الصالحة ، بجو المؤمنين ، المتقين ، المحسنين ، الصائمين ، الصادقين ، الصابرين .

حفظ الإيمان بالجو الإيماني الذاكر والمذكر ، الصالح والمصلح ، العابد والداعي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة/ ١١٩] .

ألزم الجو الإيماني ، جو حلقات التعليم ، جو المساجد ، جو حج بيت الله الحرام ، جو التذكير ، جو الذكر والوعظ ، جو الدعاة إلى الله .

هذه الأجواء هي الأجواء التي يحبها الله ، و بها يزيد الإيمان ، وتزيد الأعمال ، وتزيد الأخلاق : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف / ٢٨] .

الثالث : جهد على الاستفادة من الإيمان ، كيف أستفيد من إيماني ؟ كيف آخذ ثمرات هذا الإيمان .

- والله سبحانه جعل الاستفادة مما في الكون على درجتين :

الأولى : استفادة عامة لعموم الخلق ، كما يستفيد الإنسان من الحديد ، ومن التراب ، ومن الأخشاب ، هذا عطاء الربوبية لعامة الناس .

الثاني : عطاء خاص من الله لخواص خلقه ، وهم المؤمنون ، الذين إذا دعوا استجاب الله ﷻ دعاءهم ، لكمال يقينهم على ربهم ، فالأنبياء لما دعوا الله ﷻ استجاب دعاءهم لماذا ؟ لأن عندهم رصيد إيماني ، هذا الرصيد الإيماني جعلهم إذا أقبلوا على الله ﷻ ودعوه استجاب دعاءهم ، وكذلك كل مؤمن ، بالإيمان تفتح للعبد الأبواب المغلقة ، بالإيمان الله ﷻ يستجيب دعاءه ، ولهذا أجاب الله دعاء جميع الأنبياء والرسل :

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[الأنبياء/ ٨٣] .

فأجاب الله دعاءه : ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[الأنبياء/ ٨٤] .

لأن الله ﷻمعه ، يسمعه إن تكلم ، ويراه إن تحرك ، ويعلم بما في قلبه إن أضمر ، لأنه هو العليم الخبير .

ومن سأل ربه أعطاه ؛ لأنه متصل به في حال السراء والضراء ، فإذا دعاه أجابه ، لأن الله ﷻ أرحم بالعبد من نفسه ، وقد يؤخر الله إجابة الدعاء ، لأنه يحب أن يسمع صوت الداعي وتضرعه ، ليكمل إيمانه ، وتكمل صفاته ، فأيوب ﷺ كان في المرض سبعة عشر عاماً ، والعلاج كان تحت قدميه : ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾[ص/ ٤٢] .

مغتسل يغسل الأدواء الخارجية ؛ لأنه ورد أنه كان في جلده تقرحات ، هذا مغتسل ليغسل الأمراض الخارجية ، وشراب ليشفي الأمراض الداخلية : ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾[ص/ ٤٢] .

ولكن لماذا هذا البلاء الطويل ؟ ؛ ليستخرج منه عبودية الصبر ؛ لأن الله ﷻ قال بعد ذلك : ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾[ص/ ٤٤] .

الله ﷻ ابتلاه ليرى كم تبلغ درجة الصبر عنده ، سبعة عشر سُنة وهو في البلاء ، والعلاج تحت قدميه ، لا يحتاج إلى أن يذهب إلى أمريكا ، ولا إلى أوربا أو يذهب للخلق ، العلاج تحت قدميه لما بلغ الدرجة التي يريدها الله في الصبر ، هداه إلى علاجه : ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾[ص/ ٤٢] .

ثم بماذا أكرمه الله ﷻ : ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[الأنبياء/ ٨٤] .

الله ﷻ كريم لا يعطي على قدر سؤال العبد ، بل يعطي على قدر شأنه : ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[الأنبياء/ ٨٤] .

العابدون : هم المؤمنون بالله، الذين كمل يقينهم على قدرة ربهم ، وتيقنوا أنهم إذا دعوه أجابهم .

فنتوجه إلى الله بقلوبنا قبل أن نبدأ بأي عمل صالح .

وهناك شروط وصفات لإجابة الدعاء تسبق الدعاء :

بأن نتيقن أن الله ﷻ موجود ، وأنه قريب ، وأنه يسمع كلامي إن تكلمت ، ويراني إن تحركت ، وأنه قادرٌ على كل شيء ، وأنه يحب أن يقضي حاجتي ، وأنه أرحم بي من نفسي .

لابد أن نتذكر هذه المعاني ، لا يدعو المسلم ولا يسأل ، ولا يدخل المسلم في الصلاة بدون توجه ، بل لا بد أن يحضر قلبه ويتوجه ، ويتفكر ، ويتيقن أن الذي يسمعه عظيم ، وكريم ، وهو العلي الأعلى الذي استوى فوق عرشه ، يسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١] .

والله ﷻ كريم لا يرد سائلاً أبدًا ، ولا يؤخر الإجابة إلا إن كان فيه مصلحة ، أو يدفع الله به عنا شراً ، أو يؤخر العطاء إلى يوم القيامة حيث نكون أحوج إلى ذلك : ﴿ وَإِذَا

سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة / ١٨٦] .

والله ﷻ كريم لا يرد سائلاً قصده، وهو من حبه لعباده ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، ويقول : «**هَل من دَاع فأستجيب لَهُ ؟ هَل من سَائل فَأعْطِيه ؟ هَل من مُسْتَغْفِر فَأغْفِر لَهُ**» أخرجه مسلم (١) .

ثم يُعطي جميع السائلين ، ويكشف الضر عن المتضررين ، ويجيب دعاء الداعين ، ويغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة ، بل هو يحب أن يقضي جميع حاجات الخلق ، ويفرح بتوبة التائبين ، فكم يفرح الله بمن يكون سببًا لتوبة التائبين ، ومعرفة العارفين ! .

والله ﷻ يريد منا أن نكون في أعلى شيء ، ولهذا بين لنا أنه العلي الأعلى ، بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، لنعلوا بإيماننا ، وأقوالنا ، وأعمالنا ، وأخلاقنا .

فنحن نتوجه إلى العلي الأعلى ، ونسأله أن يرزقنا ما نعلو به في حياتنا على غيرنا في أقوالنا ، وأعمالنا ، وأخلاقنا ونكون في المقام الأعلى .

فأعلى الناس هم المؤمنون ، وأعلى المؤمنين هم الأنبياء ، وأعلى الأنبياء هم أولي العزم ، وأعلى أولي العزم هم الخليلان ، وأعلاهما محمد ﷺ الذي كان أحسن الناس خَلْقًا وخُلُقًا ، وكان خلقه آن .

الله جمع صفات الأنبياء في محمد ﷺ ، وأمرنا أن نقتدي بمحمد ﷺ الذي كان أحسن الناس خَلْقًا وخُلُقًا ، فنقتدي به في نيته ، وفكره ، وفي توحيده وإيمانه ، وأقواله ، وأعماله ، وأخلاقه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب / ٢١] .

وبحسب كمال اليقين تكون إستجابة الدعاء : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٧] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٧٥٨.

ماذا قال الله ﷻ ؟ مباشرةً بفاء التعقيب الفورية قال الله : ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنبياء/ ٨٨] .

ثم فتح لنا الباب ، فقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنبياء/ ٨٨] .

الذين توجهوا إلى الله ، متيقنين أن الله يسمعهم ، ويراهم ، وأنه مجيبٌ ، وأنه قريبٌ ، وأنه يحب أن يقضي حاجاتنا ، وأنه أرحم بنا من أنفسنا ، ولا يريد أن يضرنا ، بل هو يبتلينا بهذه المصائب ؛ ليربينا بما يحب ، فعبودية الصبر لا تأتي إلا بالابتلاء ، الله يريد منا عبودية الحلم ، وهي لا تأتي إلا بالحلم على السفيه : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأنبياء/ ٣٥].

فالله ﷻ إذا أراد أن يُرقِّي إنساناً ، ويستخرج منه عبودية الصبر ن ابتلاه حتى ينظر كم يصبر ، وإذا أراد أن يستخرج منه صفة الحلم ابتلاه بسفيه ، حتى يحَلُم عليه ، وإذا أراد أن يستخرج منه عبودية الإحسان ابتلاه بالفقير الذي يسأله ، لينظر هل يعطي أو يمنع .

هذه عبوديات عظيمة ، من يعرف هذه العبوديات فرح بها ، ليترقى بهذه العبوديات العظيمة التي الله ﷻ أمرنا بها ، ويريد أن يربينا بهذه الصفات العظيمة .

أكثر الناس لا يفقه في دينه ، بل رضي بالتقليد ، فإذا أصابته مصيبة جزع ، وشكى من ابتلاه .

فعبودية الصبر جوهرة ثمينة غالية ، فإذا أراد الله أن يعطيك عبودية الصبر واجهك بأحوال مرة شديدة .

لماذا ؟ ونحن مؤمنون موحدون ، ليستخرج منا عبودية الصبر التي يحب أهلها ، ويثيبهم بأحسن منها : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة/ ١٥٥ – ١٥٧] .

لأنهم عرفوا أن الرحيم لا يمكن أن يؤذي عبده ، بل يبتليه ، ليخرج منه عبودية الصبر التي يحبها جل جلاله فإذا أراد أن يعطيك عبودية الصبر ، واجهك بحال تكرة ، إما

مرض ، أو موت قريب ، أو خسارة ، أو عدو يضايقك ، أو إنسانٌ يحسدك ، فاصبر ولا تضجر : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٦].

وهذه العبودية من أعظم العبوديات : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت / ٣٤–٣٥] .

وعبودية الشكر جوهرة ثمينة غالية ، فإذا أراد الله أن يعطيك عبودية الشكر أعطاك من نعمه ، أعطاك نعمة الصحة ، نعمة الجمال ، نعمة المال ، نعمة العلم ، نعمة التعبد ، أعطاك نعمة ، فإن شكرت زادك ، وإن كفرت نقلها إلى غيرك : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم/ ٦–٧] .

فالله ﷻ إذا أراد أن يستخرج من الإنسان عبودية الشكر أعطاه مالاً ، أعطاه علمًا ، أعطاه جاهًا حتى ينظر هل يشكر أم لا يشكر ، وفرص الشكر عند من أُعطي المال ، أو العلم أعظم ، فمثلاً من أُعطي مالاً فرص التعبد عنده أكثر ، يبني مسجدًا ، يُنفق على أسرة ، يكفل يتيمًا ، يطبع كتب تنفع المسلمين ، ينفق للجهاد في سبيل الله ، يكفل الدعاة والعلماء ، يتصدق على المحتاجين ، يُكرم الناس ، يطعم الناس ، ينفق في وجوه البر ، فرص التعبد عنده أكثر : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٢] .

وقال النبي ﷺ : « **الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ** » أخرجه مسلم (١) .

لكن فرقٌ بين هذا ، وبين هذا ، ابتلي هذا بالصبر ، وهو الضعيف ، وهذا ابتلي بالشكر، وهو الغني ، ولكن شتان بينهما .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٦٦٤.

والله ﷻ هو الملك الحق إنما يشتري المجوهرات ، والأشياء الغالية ، والأشياء العالية ، والأشياء الثمينة ، وأعمال المسلم الصالحة كلها جواهر ، والله من رحمته بنا اشتراها ترغيبًا لنا في حب وأداء الطاعة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة/ ١١١] .

هذا كرم من رب العالمين أ نه اشترى من هم ملكه وعبيده .

وما هي صفات السلعة التي اشتراها من خلقها ، وهداها ، ورباها ؟

صفاتها أحسن الصفات : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

هذا ترغيب من ربنا ﷻ ، لنصل إلى أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة .

فلتكن علاقتنا مع الرحمن لا مع الرحمة ، ومع الرزاق لا مع الرزق ، ومع المنعم لا مع النعمة ، بيئة الذكر تجعلنا أثرياء بالأعمال ، وبيئة الغفلة تجعلنا ملوثين بالمعاصي ، والأوقات ظروف للأحوال ؛ فلكل حال عبادة ، ولكل عبادة حال ، ولكل حال من الأحوال التي تمر بالإنسان مكانٌ ، وزمان ، وهذه الأزمنة ، والأمكنة، ظروف للأعمال ، فلينظر أحدكم بما يملأ خزانته : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١] .

فتذلل أيها العبد لمولاك العظيم ، وتواضع لربك الكبير المتعال ، وتخلق بمعالي الأمور ، وكن سببًا لرفع الناس من الأسفل إلى الأعلى من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، ورفعهم من الشرك إلى التوحيد ، ومن الرذائل إلى الفضائل .

واسبق ، وسابق ، وسارع إلى مرضاة ربك يرضى عليك ويرضيك : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة/ ١٠٠] .

واسبق ما سواك إلى ما يرضي مولاك : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤] .

وتقرب أيها المسلم إلى ربك العلي الأعلى ناظرًا إلى عز الربوبية ، وذِل العبودية ، ناظرًا إلى عزة مولاك العلي الأعلى ، وناظرًا إلى نفسك الضعيفة بين يدي مولاك العلي الأعلى ؛ فتقرب إلى ربك العلي الأعلى بكمال الخشوع والخضوع ، فاخضع بجوارحك ، واخشع بقلبك ، وأكثر من الركوع والسجود مستشعرًا عجزك وضعفك ، وصغر قدرك ، وسِفال منزلتك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج / ٧٧] .

والفلاح هو الفوز بالمطلوب ، والنجاة من المرهوب ، فالله ﷻ هو العلي الأعلى الذي يريد لنا جميع المعالي ، يريد أن نعلو في كل شيء ، ومن آمن بالعلي أعلى الله قدره في الدنيا والآخرة ، ومن امتثل أوامر العلي جعل درجته في الدنيا والآخرة ، في أعلى المقامات : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر/ ٥٤-٥٥] .

فجنة هذا المؤمن العالي بإيمانه ، وأقواله ، وأعماله ، وأخلاقه ، مسكنه الفردوس الأعلى التي سقفها عرش الرحمن ، والرحمن مستوي على عرشه ، فليس أقرب إلى الرحمن من هذا المؤمن الذي آمن بالمؤمن ، واتصل بالعلي الأعلى .

فمقامه في الدنيا الخلافة في الأرض : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص / ٢٦].

فهذا المؤمن خليفة في هذه الأرض ؛ لأنه هو العاقل الذي خلقه الله بيده ، واصطفاه من بين مخلوقاته ، وأكرمه بهذا الدين ، وعلمه أسماء كل شيء ، فهو يريد أن يرقيه من علو إلى ما هو أعلى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان/ ٢٠] .

مُلكه كبير ، ونعيمه كبير ، وربه العلي الكبير ، ومسكنه عال كبير : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية: ٢ – ١٦] .

فما هو الواجب على هذا المؤمن حتى يكون عاليًا ، الواجب عليه أن يعرف ربه بأسمائه الحُسنى ، وصفاته العُلى ، وأفعاله الحميدة ثم يعبده بمقتضى هذه الأسماء ، فالعلي الأعلى يريدك عاليًا في كل شيء .

فكن عاليًا بأقوالك أدع إلى الله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣] .

وأمر بالمعروف وانه عن المنكر : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وعلم شرع الله : ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

واذكر الله يذكرك : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣] .

اذكر الله الذي يستحق الذكر ، اذكره بعظمته ، وكبريائه ، واذكره بنعمه ، وإحسانه ، واذكر مُلكه وسلطانه ، واذكر دينه وشرعه ، وسبحه بكرةً وأصيلاً .

وسبح بحمده في كل وقت ، فكما ملأ الله الكون بنعمه ، فأملأه بحمده ، وذكره ، وشكره .

فاذكره ، وإذا ذكرته استحضرته ، وإذا استحضرته ذكرت أسماء جلاله ، وأسماء جماله ، أحببته ، وإذا أحببته أطعته ، واسأل الله لا تسأل غير الله ، لا تُذل نفسك لغير

الله ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠] .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٥] .

وسل من بيده ملكوت كل شيء ، وعنده خزائن كل شيء : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة/ ١٨٦] .

وكن حسن الخلق مع الخالق والمخلوق ، مع الملك والعبيد : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] .

هذه الصفات التي يريد الله ﷻ أن يرقينا بها إلى أعلى الدرجات ، لا تشغلنا الأموال والشهوات عن كسب الأجور والمعالي ، والترقي إلى أعلى الدرجات التي يحبها الله ﷻ : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٢ – ١٦٣] .

فالله ﷻ يريد أن أكون عالٍ بأقوالي بالدعوة ، وتعليم شرع الله ، وذكر الله ، ودعاء الله ، وسؤال الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر/ ١-٣] .

سبح بحمد ربك ؛ لأن نعم الله لا تعد ولا تحصى ، فليكن همك التسبيح بحمد الله العلي الأعلى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾ [الأعلى/ ١] .

وسبح باسم ربك العظيم : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٤] .

وجدد إيمانك كل يوم ، واشهد لربك العلي الكبير بالوحدانية ، فقل : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد لنبيك بالرسالة فقل : وأشهد أن محمدًا رسول الله كما نقولها في

الأذان والإقامة والصلاة ، وتزين بالإيمان والتقوى ، وحسن الخلق : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة: ١١] .

وتنزه عن الأمور السفلية من الغيبة ، والنميمة ، والقيل ، والقال والسب والشتم ، والظلم والفواحش : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الحجرات/ ١١] .

واجتنب سوء الظن فإنه باب الافادة والاستفادة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

وكن عاليًا بأعمالك ، اعبد ربك العظيم ، اعبد العلي الأعلى المتعال الذي يستحق العبادة ، لكمال ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[البقرة/ ٢١] .

وقال ﷺ : «**اتَّقِ اللهَّ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنة تمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» أخرجه أحمد (١) .

وتعبد لله بحسن الخلق مع الخالق والمخلوق ، فحسن الخلق أجمل المحاسن ، وأحسن المراكب : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم/ ٤] .

أحسن إلى نفسك بحملها على طاعة الله ، ومنعها عن معصية الله ، وأحسن إلى كل أحد : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

والمؤمن المحسن في معية الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل/ ١٢٨] .

فأحسن إلى كل مؤمن .

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: ٢١٥٢٦.

قال النبي ﷺ : «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه(١) .

أحسن إلى عدوك ، ليكون صديقك : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[فصلت/ ٣٤-٣٥] .

وأحسن إلى زوجك وأهلك : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾[التغابن/ ١٤] .

فأحسن إلى زوجك حتى يصلح بيتك ، وتصلح ذريتك ، وأحسن إلى أهلك ، واجتنب كل سوء من الأعمال المختلفة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠] .

ما أعظم رحمة الله بعباده ! ، يريد أن يجعلهم في أعلى الدرجات أقوالاً ، وأعمالاً ، وأخلاقًا ، لينالوا أحسن المقامات وأرفع الدرجات في الآخرة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

فكونوا كرماء بأقوالكم ، كرماء بأفعالكم ، كرماء بأخلاقكم ، كرماء بعبادتكم ، كرماء في تعليمكم ، كرماء في معاملاتكم : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣] .

فهذه رحمة الله عز وجل بعباده أن يرقيهم في كل شيء .

يرقيهم أولاً في إيمانهم ؛ ليرتبطوا بالعلي الأعلى ، بالمؤمن ، بالكبير ، بالرازق ،

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم: ١٣، واللفظ له، ومسلم برقم: ٤٤ .

فمن كان في معية العلي فهو علي ، ومن كان في معية العزيز فهو عزيز ، ومن كان في معية الكبير فهو كبير ، ومن كان في معية القوي فهو قوي : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والله ﷻ هو العلي الأعلى المتعال بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، المتعال عن الشبيه والمثيل ، والشريك والكفو ، المتعال عن النقص والعيب ، والظلم والنوم ، وغير ذلك من الصفات التي لا تليق بجلاله .

فالله له علو الذات ، فهو العلي الأعلى الظاهر القاهر فوق عباده ، وله علو القدر ، له الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، وله علو القهر ، هو القاهر لكل المخلوقات على ما أراد ، قهر السماء بهذا الشكل ، وقهر الأرض ، وقهر الأشجار ، وقهر الإنس ، وقهر الجن ، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨] .

فالله العلي الأعلى فوق كل شيء ، الأعلى في أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، القاهر الغالب لكل أحد ، المتعال عن النقائص والشريك والمثيل : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٦] .

والله ﷻ من رحمته بنا أن عرفنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وما يُحب ، ويرضى ، وما يسخط ، وما يكره ، وعرفنا بأوامره ، ونواهيه ، وعرفنا بالطاعات ، والمعاصي ، وعرفنا بالحسنات ، والسيئات ، وعرفنا بالثواب والعقاب ، والوعد ، والوعيد ، وعرفنا بالجنة ، والنار .

فهذه دلائل عظيمة تدل على أن الله ﷻ هو الملك الحق ، وهو الرحمن الرحيم ، وهو العلي العظيم ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣] .

فسبحان من له علو الذات ، وعلو القدر ، وعلو القهر ، وعلو الأسماء والصفات ، هو العلي الكبير ، وهو العلي العظيم ، وهو العلي الحكيم : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ

ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

فالله ﷻ يريد من كل مؤمنٍ ومؤمنة أن يكون عاليًا بإيمانه ، عاليًا بأقواله ، عاليًا بأعماله ، عاليًا بأخلاقه ، فمن اتصل بالعلي فهو علي ، ويوم القيامة يكون في أعلى مكان ، في جنة الفردوس التي سقفها عرش الرحمن الذي استوى عليه جل جلاله ، فكن عاليًا بأخلاقك يحبك الله ، ويحبك الناس : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾[مريم/ ٩٦] .

خذ العفو وأمر بالمعروف وانه عن المنكر : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾[القلم/ ٤] .

عليك بالصدق فنِعم المطية ، عليك بالإحسان فنعم الصبغة ، عليك بالتقوى فنعم الصفة : ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

والتقوى : أن لا يفقدك الله حيث أمرك ، ولا يجدك حيث نهاك .

والتقوى الكاملة ثلاث درجات :

الأولى: تقوى الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

الثانية: إتقاء النار : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣١].

الثالثة : إتقاء اليوم الآخر : ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾[البقرة/ ٢٨١] .

فعليك بهذه الصفات العالية ، والتقوى الكاملة ، التي ترفعك من السفل إلى العلو ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الرذائل إلى الفضائل ، ومن الدنيا إلى الآخرة : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١] .

وعليك بالرحمة : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٥٩] .

وعليك باللطف ، فالله لطيفٌ بعباده ، فنلطف بأنفسنا من أن تقترف المحرمات ، نلطف بأنفسنا لنحملها على الطاعات .

وعليك بالعفو فإن الله عفو يحب العافين عن الناس : ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور/ ٢٢] .

وعليك بالرفق فما كان الرفق في شيء إلا زانه ، وغيرها من الصفات والأخلاق العالية التي تعلو بصاحبها إلى أعلى مقام في الدنيا والآخرة ، فالأخلاق العالية قيد يقيد كل عدو : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤ – ٣٥] .

- والأخلاق مع الناس معاقدها أربع كلها مرة إلا على من هدى الله :

أن تصل من قطعك.. وتعطي من حرمك.. وتعفو عمن ظلمك.. وتُحسن إلى من أساء إليك.

فمن وصل وصله الله ، ومن أعطى أعطاه الله ، ومن عفا عفا الله عنه ، ومن أَحسن أحسن الله إليه : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

فمعرفتنا وتعبدنا باسم ربنا العلي الأعلى المتعال تستوجب منا أن نتصف بهذه الصفات ، فنأخذ الدين الأعلى ، الذي جاء من الأعلى ، ونكون أعلى الناس بالإيمان والتقوى ، والبر والإحسان : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[النساء/ ١٢٥] .

فنأخذ بقول القوي الأعلى ذكراً ودعوة : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٣] .

هذه نداءات موجهة للمؤمنين ، أكثر من ثمانين نداء في القرآن موجهة للمؤمنين ، حتى يترقون في إيمانهم ، ويعلون بصفاتهم ، ويترقى في أقوالهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف: ١٠ – ١٣] .

وإياك والعلو في الأرض ، فإن هذا من صفات الطغاة المتجبرين : ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[القصص/ ٤] .

وأنت يا عبد العلي ، ويا عبد الأعلى ، ويا عبد المتعال ، إنما تعلو بإيمانك ، بأقوالك ، بأعمالك ، بأخلاقك ، فلا نتكبر على خلق الله ، ولا نتعالى عليهم ، فكلنا لآدم وآدم خلق من تراب ، ننزع رداء العصبية ، رداء القبلية ، رداء اللون ، رداء اللغة ، ننزع جميع هذه الملابس ، ونأخذ لباس التقوى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الأعراف/ ٢٦-٢٧] .

وأكرم الناس من اتقى رب الناس : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

هذا المجلس العلمي الإيماني أعلى مجلس على وجه الأرض ، مجلس معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والتعبد له بهذه الصفات ، فأعلى المجالس هو المجلس الذي يعظم فيه العلي الأعلى : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

والإنسان إما أن يجلس على موائد الرحمن ، أو يجلس على موائد الشيطان .

مجالس الرحمن المربي فيها الله ، والمربي فيها رسوله ، نسمع عن الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وعن دينه ، وشرعه ، وعن ثوابه وعقابه ، فنترقى من درجة إلى

درجة ، ومن سُنة إلى فريضة ، ومن عملٍ إلى عمل ، من الصلاة ، إلى الصوم ، من الزكاة ، إلى الذكر ، إلى الدعاء ، إلى الجهاد ، إلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، إلى النصيحة ، حتى نترقى من عملٍ إلى عمل ، حتى نعلو بإيماننا ، وأقوالنا ، وأعمالنا ، وأخلاقنا ، كل يوم : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

فإياك والعلو والتعالي وحب الصيت والذكر بين الناس ، فإن الله يعلم ما في باطنك ، والناس ينظرون إلى ظاهرك ، والله ينظر إلى ظاهرك وباطنك : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وإياك والعلو والتعالي في بدنك ، وفي قولك ، وفي فعلك .

وإياك والعلو والتعالي بلباسك ، بمسكنك ، بسيارتك ، بشبابك ، بزينتك ، بمالك، بجمالك ، بمنصبك بنسبك : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾[لقمان/ ١٨-١٩] .

والزم التواضع في جميع أمورك لتنال رحمة الله : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[القصص/ ٨٣] .

ثم أيها العبد راجع العمل فيما بينك وبين الله ، بطلب معالي الأخلاق ، والأعمال ، والأقوال ، والتحلي بمقتضى أسمائه وصفاته على شاكلة العبودية :

فهو كريم يحب الكرم وأهله ، مؤمن يحب الإيمان وأهله ، عفو يحب العفو وأهله ، محسن يحب الإحسان وأهله ، ويحب المتقين ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، نتخلَّق بهذه الأخلاق حتى نعلو عما دوننا بما أمرنا الله ﷻ أن نتحلى به ، لنكون في أعلى مقام في الدنيا والآخرة .

فاطلب معالي الأخلاق ، والأقوال ، والأعمال ، والتحلي بمعاني أسمائه وصفاته : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف/ ١٨٠] .

وسارع إلى الخيرات ، وتفرغ للباقيات الصالحات ، من جميع أمور الدين .
ونافس في أعلى مراتب الدين ، تنال أعلى الدرجات .
وتعمل بالدين ، وتعلم الدين ، وتعرف إلى الدين ، وتدعو إلى الدين : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].
وأحسن عبادة ربك ، وأتم الإحسان إلى الخلق .
فالدين ركنان :
عبادة الحق.. والإحسان إلى الخلق : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦] .
فنافس في أعلى الدرجات من تلك الخيرات والفضائل ، وأنواع البر والإحسان ، والباقيات الصالحات ، نافس في أحسن العبادات والطاعات ، والقربات ، تنال أعلى الدرجات : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد/ ٢١] .
والله عظيم ، والعظيم لا يعطي إلا العظيم ، فللمؤمن الذي في قلبه مثقال ذرة من إيمان، له مثل هذه الدنيا عشر مرات بسمواتها ، وأرضها ، وذهبها ، وفضتها ، ومياهها ، وبحارها ، وأرزاقها ، وأشجارها ، وسهولها ، وجبالها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠].
واقنع رحمك الله باليسير من عطائه كما رضي عنك باليسير من العمل .
والله كريم لا يعطي على قدر السؤال ، بل يعطي على قدر شأنه ، والعظيم لا يعطي إلا العظيم ، والحقير لا يعطي إلا الحقير ، والله عظيم في ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، وعطائه ، وإحسانه : ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ

ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ [الشورى: ٤] .

واعمل بهمتك صعدًا إلى التقرب إلى الله ، والتعبد له بمعاني أسمائه ، وصفاته ، ليكون ذلك وصفاً لك عنده ، فإنه سبحانه يحب معالي الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، ويكره سيئها وسفاسفها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل/ ٩٠] .

فالعدل شيء ، والإحسان شيء ، فعله سبحانه كله حسن وأحسن ، يعطي على الحسُنة ليس مثلها ، بل عشر أمثالها ، ويعطي على السيئة سيئة مثلها ، هذا عدل ، لكن في الحسنات يعامل بالفضل ، فالله يعامل المؤمنين بالعدل والإحسان ، حسنات مضاعفة ، وسيئات سيئة بسيئة ، أما الكفار فيعاملهم بالعدل : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٦٠] .

وارغب أيها المسلم إلى ربك أن يرفع ذكرك عنده ، ويُعلي درجاتك ، وأن يرزقك حسن عبادته ، ودوام ذكره وشكره ، لتكون مع الصفوة المختارة في الرفيق الأعلى يوم القيامة : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠] .

وسبح بحمد ربك العظيم ، وسبح باسم ربك الأعلى ، فكل المخلوقات تسبح بحمده ، وتطيع أمره ، وتشهد بوحدانيته ، وتسجد له : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

حليمًا على من جعله مختارًا وهو هذا الإنسان ، حليماً على من عرف الطاعة فتأخر عنها ، وعرف المعصية فاقترفها ، غفورًا يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠] .

فسبحان ربي الأعلى المتعال الذي يصعد إليه الكلم الطيب ، والعمل الطيب ، من الذكر ، والدعاء ، والعمل الصالح : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾[فاطر/١٠] .

فالله ﷻ هو العلي الأعلى ، العلي بذاته ، الأعلى بصفاته ، المتعال عن الشبيه ، والمثيل ، المتعال عن النقص ، والعيب .

هو العلي العظيم ، القوي القادر ، الذي يدبر الأمر في السماء والأرض ، فيرحم هذا ، ويُغيث هذا ، ويعطي هذا ، ويمنع هذا ، وينصر هذا ، ويخذل هذا ، ويشفي هذا ، ويبتلي هذا ، ويفرج كرب هذا ، ويعز هذا ، ويذل هذا ، ويحيي هذا ، ويميت هذا : ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرحمن/٢٩] .

فسبحان العلي الأعلى الذي بيده الملك والتدبير والتصريف : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧] .

هو العلي الأعلى الذي استوى على عرشه برحمته ، والذي جميع مخلوقاته في العالم السفلي ، والعالم العلوي ، والدنيا والآخرة ، وعالم الغيب والشهادة ، وكل ما خلقه الله ﷻ من مخلوقاته كالخردلة بين يديه ، لأنه هو الكبير ، وكل ما سواه صغير ، وهو العلي الأعلى المتعال ، وكل ما دونه من مخلوقاته فهو دونه ، والله ﷻ فوقه : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[الأنعام/١٨] .

وإذا عرفت أن ربك هو العلي الأعلى ، فاحرص رحمك الله ألا يصعد منك إلى ربك إلا ما يحبه ويرضاه من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، والذكر ، والدعاء ، والدعوة ، والإحسان ، وتعليم خلقه ، وانظر إلى ما تمليه على الملائكة الكرام الكاتبين ، وما تجالس به رقيبك الحق المبين ، وما تودعه في صُحفك ، في ليلك ونهارك ، فإن الليل والنهار خزانتان من خزائن الله فلينظر أحدكم بما يملأ خزانته : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[الانفطار/ ١٠-١٢] .

واعبد ربك العظيم العلي الأعلى ، الغني عما سواه ، الذي كل ما سواه محتاج إليه ، فهو الواحد الأحد ، الغني عن كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد ، وهو المحيط بكل محيط : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥] .

فانظر وتدبر عظمة من تعبد : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

اعبد ربك العظيم العلي الأعلى ، وأحسن الاقتداء بالأنبياء الطاهرين ، وتأدب بآداب الملائكة المكرمين ، الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون : ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠] .

وهم دائبون في طاعة مولاهم : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم/ ٦] .

واستح من حفظتك الملازمين لك ، ثم من الكرام الكاتبين لأعمالك .

واعلم أنه إذا كان يجب عليك الحياء من فعل قبيح أمام ملائكة رب العالمين ، والاستباق إلى كل عمل صالح ، وتستحي من فعل القبيح أمام الناس ، فكيف لا تستحي من الملك العلي العظيم ، الرقيب ، الشهيد ، السميع ، البصير ، الذي لا يخفى عليه شيء ، فتعصيه بنعمه عليك ، وهو يراك ويسمعك : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧] .

فاخضع لربك العلي الأعلى ، واعلم أنه يراك ، ويسمعك ، ويعلم بحالك ، إن أطعته شكرك ، وإن عصيته أمهلك ، لتتوب إليه : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

فكن بين يديه راكعًا ، وساجدًا ، وسامعاً ومطيعاً .

إذا عرفته بأسمائه وصفاته عبدته بالحب ، والتعظيم ، والذل له ، ووقفت بين يديه باكيًا ، خاشعاً ، خاضعًا : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر/ ٩] .

فاتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن ، فكم من الشاهدين لك من الملائكة المكرمين ، والحفظة ، والكتبة ، وكم من الشاهدين غير هؤلاء لك أو عليك ، وكم من الناظرين إليك ، وكم من السامعين لك من الجن ، والأرواح ، والمخلوقات التي لا يعلمها ولا يُحصيها إلا الله الذي أحصى كل شيء عددًا ، وأحاط بكل شيء علمًا ، وكفى بالله شهيدًا لو كنت تخاف وتخشى ، وتستحي من الذي خلقك ورزقك ، وعافاك وهداك : ﴿ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ [البروج: ٨ – ٩] .

فسبحان من سبق حلمه عقوبته ، وسبقت رحمته غضبه : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فنحن وجميع المخلوقات كلها أمام الله ﷻ كالخردلة يرى ظاهرها وباطنها ، ويسمع حركاتها وسكونها ، فالإنسان مكشوفٌ أمام ربه ظاهره وباطنه ، وسره وعلانيته : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٥ – ٦] .

واعلم أن الله خلق الملائكة الكتبة ، والحفظة ، وغيرهم من جنود الله ، وخلق الشياطين ، والعفاريت ، والمردة ، الذين يرونك من حيث لا تراهم ، وهؤلاء وهؤلاء من عالم الغيب ، ولهم آثارٌ وأعمالٌ وأحوال .

فالملائكة يسرون بطاعتك ، وتضايقهم معصيتك ، فيستغفرون الله لك : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾[غافر/ ٧] .

والشياطين يفرحون بمعصيتك ، وتُحزنهم طاعتك ، فيكيدون لك ، ليجروك معهم

إلى جهنم ، فاحذرهم : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦] .

فكل أحد معه قرينه من الملائكة ، وقرينه من الجن ، والكل ملازمون له : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾[الانفطار/ ١٠-١١] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ**» أخرجه مسلم[1] .

واعلم أن للجن سُلَّمًا دون السماء الدنيا لاستراق السمع ، وهو في مقابلة المعراج للروح ، والملائكة ، فإذا استرقوا السمع أرسل الله عليهم شُهبًا تحرقهم كما قال الله عنهم : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾[الجن/ ٨-٩] .

فلا إله إلا الله العلي العظيم الذي خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وبسط مُلكه على جميع ممالكه ، وأظهر لهم أسماءه ، وصفاته ، بآياته ومخلوقاته : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق/ ١٢] .

وإذا عرفتم ذلك آمنتم به ، وأحببتموه ، وعظمتموه ، وإذا أحببتموه وعظمتموه ؛ عبدتموه بالخوف والرجاء : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٣] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٨١٤.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾
[البقرة: ٢٠١] .
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران:٨] .
﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾
[الفرقان: ٧٤] .
﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣] .

الحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى أن عرفنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرفنا بدينه وشرعه ، وجعلنا من خير أمةٍ أخرجت للناس ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه .

لا إله إلا الله عدد ما مشى فوق السماوات والأراضين ودرج ، ولا إله إلا الله العلي الأعلى ، الملك الحق المبين ، الذي بيده مفاتيح الفرج ، لا إله إلا الله المعروف بالإحسان والإنعام ، لا إله إلا الله المذكور بكل لسان ، لا إله إلا الله الذي كل يومٍ هو في شأن : ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك ، ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك ، أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، لك الأسماء الحُسنى ، والصفات العُلى ، اللهم يا من هو في السماء إله ، وفي الأرض إله ، يا من يسمع كل من ناجاه ، يا من يجيب المضطر إذا دعاه ، يا من عنت له الوجوه ، يا من ذلت لعظمته الجباه ، يا من ليس معه إلهٌ يُدعى ، ولا ربٌّ يُرجى ، ولا كبير يخشى ، أسألك أن تقبل قولي وعملي ، وأن تقبل معذرتي ، وأن تستجيب لدعائي يا أرحم الراحمين .

اللهم فقهنا في الدين ، واجعلنا هداةً مهتدين ، يا كبيرًا خضع لكبريائه كل شيء ، يا عظيمًا تواضع لعظمته كل شيء ، يا أحسن الخالقين ، يا أحكم الحاكمين ، يا خير الفاتحين ، يا أرحم الراحمين ، يا مُغيث اللهفات ، يا مُقيل العثرات ، يا غافر الزلات ، يا مجُيب الدعوات .

سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت ، ما أغناك عني ، وما أحوجني إليك .

لا إله إلا أنت الواحد الأحد الصمد ، ذو الكرم ، والجود ، والعطاء الممدود ، يا ذا الجلال والإكرام ، سبحانك اللهم وبحمدك يا رءوف يا رحيم ، إذا أسأنا حلمت ورحمت ، وإذا أحسنا تفضلت وقبلت ، وإذا عصينا سترت وأمهلت ، وإذا أذنبنا غفرت وعفوت ، وإذا ذكرناك ذكرتنا ، وإذا تقربنا إليك قرُبت منا ، فلا إله إلا أنت .

ليس في الكون من الذرات ، ولا في الفضاء من الهباءات ، ولا في الأرض من الذوات ، ولا في البحار من قطرات ، ولا في الأشجار من ورقات ، ولا في الأجسام من حركات ، ولا في النفوس من خطرات ، إلا وهي بك عارفة ، ولك عابدة ، وإليك مُشاهدة ، وبحمدك مُسبحة ، ولك خاضعة ، يا من بيده ملكوت كل شيء سخر لي قلب من أحوجتني إليه ، واكفني شر من قدر علي ولا أقدر عليه ، إنك أنت العزيز القهار يا أرحم الراحمين .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسـم الله

الكبير.. المتكبر

اسم الله الكبير.. المتكبر

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض.

فالله ﷻ هو الكبير الأكبر المتعال جل جلاله .

واسم الله الكبير ورد في القرآن ست مرات؛ خمس مرات مقترنًا باسمه العلي، ومرة واحدة باسمه المتعال .

الله ﷻ هو الكبير في ذاته ، العظيم في صفاته، العلي في قدره وشأنه، هو جل جلاله الكبير الذي كل شيءٍ دونه، ولا شيء أعظم منه، الكبير الأكبر في ذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣] .

هو الكبير الذي صغر دون جلاله كل كبير، فالعرش وما دونه كله صغير أمام ربه ﷻ، والله وحده هو الكبير المتعال، هو الكبير الذي كبر عن شبه المخلوقين، وكبر عن المثيل والشبيه والنظير، وكبر عن صفات النقص والعيب، والظلم، والجور، والنوم، وغيرها من صفات النقص : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] .

هو جل جلاله الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وفي خلقه وتدبيره، الذي من كبريائه وعظمته أن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

والكبرياء لله جل جلاله تتضمن العظمة، فالله هو العلي الكبير، هو العلي في كبريائه، الكبير في علوه، فالعلو صفة كمال، والكبرياء صفة كمال، واجتماعهما كمال آخر، يجمع الكمال كله، كمال العلو ، وكمال الكبرياء: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣].

وإذا عرفنا الكبير لم نلتفت للصغير، فكل ما سوى الله ﷻ كله صغير .

والكبرياء تتضمن العظمة، والكبرياء أعظم من العظمة .

واسم الله الكبير الصفة المشتقة منه هي الكبر: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

ومن عرف أن ربه هو الكبير أكثر من تكبيره، وعظم أوامره، وخاف منه، وخشع له، وأحبه ومجده وأثنى عليه، وأفرده بالعبادة وحده لا شريك له، وأطاع أمره واجتنب نهيه، وانقاد لحكمه وعظم أوامره وحرماته: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١] .

فسبحان العلي الكبير الذي كبر وعلا في ذاته فلا أحد أكبر منه ولا أعظم منه، ولا أقوى منه ، ولا أكرم منه ، ولا أعلى منه : ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥] .

هو سبحانه الكبير في صفاته، فصفاته جل جلاله كلها كمال وعظمة وجلال .

هو الكبير في أفعاله، فعظمة آياته ومخلوقاته تشهد بجلال أفعاله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر/ ٥٧].

هو الكبير الذي يمجد نفسه؛ لأنه رب العرش العظيم ، ورب السموات والأرض، ورب كل شيء، ويمجد نفسه بأنه ملك الناس، ورب الناس، وإله الناس، ويمجد نفسه بأنه هو الكبير هو العظيم، هو القادر القاهر ، حتى تمتلئ القلوب بعظمته وكبريائه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٥-٨].

وإذا عرفته أحببته، وإذا أحببته أطاعت أمره، والطاعة هي العبادة المطلوبة من الخلق .

فالله ﷻ يريد منا أن نتعرف عليه، ونعرف أنه هو الكبير وحده لا شريك له، وأنه الخالق وحده لا شريك له، وأنه بيده الملك والملكوت جل جلاله : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

وإذا عرفنا ذلك كبرناه وحمدناه وعبدناه، فالله ﷻ هو الذي يستحق أن يحمد وأن يكبر

وأن يعظم؛ لأنه الكبير وحده ، القوي وحده الغني وحده، العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء .

الله ﷻ هو الكبير الذي يستحق التكبير والتعظيم والطاعة والعبادة :﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم/ ١٧-١٨].

هو الكبير الذي تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن كما قال ﷻ:﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

ما هي أفعاله؟ ما هي صفاته؟.

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم/ ١٩-٢٠].

هو الخلاق العليم الذي خلق الموجود من المعدوم، هو بديع السموات والأرض، هو البديع الذي أبدع كل شيءٍ خلقه، وخلق كل شيء وصوره على أحسن صورة، .

هو الملك الكبير العظيم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤] .

هو سبحانه الكبير ذو العزة والكبرياء ، الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو سبحانه الكبير الذي له الملك كله ، وله الخلق كله ، له الأمر كله : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

الخلق هذا كله أثر من آثار اسمه الخالق، وكل كبير أثر من آثار أسمه الكبير، وكل رزق أثر من آثار اسمه الرزاق ، وكل عزة في الكون أثر من آثار عزته : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

فالله ﷻ ، هو الخلاق العليم، هو الكبير في خلقه؛ لأنه يخلق موجوداً من معدوم، أما الإنسان فيخلق معدوماً من موجود ، يصنع السيارة من الحديد الموجود، ويصنع الباب من الخشب الموجود : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: ١٤].

فالله ﷻ أحسن الخالقين؛ لأنه يخلق موجوداً من معدوم : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾ [بالأنعام: ١٠١].

هو كبير في ذاته وأحكامه وصفاته وأفعاله، ومن أفعاله الخلق، فهو ﷻ الكبير في خلقه، هو الذي خلق السموات والأرض، هو الذي خلق العرش والكرسي، هو الذي خلق ما في السموات وما في الأرض، وخلق ما بينهما من المخلوقات : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].

هو خالق كل شيء ، فالعرش شيء، والكرسي شيء، والسموات شيء، والملائكة شيء، والنجوم شيء، والله خالق كل شيء، وما بين السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والرياح شيء، والأرض شيء ، والجبال شيء ، والنبات شيء ، والحيوانات شيء ، والله خالق كل شيء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

ومن مخلوقاته العظيمة ، وآياته الكبيرة الليل والنهار ، والشمس والقمر: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ [فصلت/ ٣٧].

هذه الشمس التي نراها في العالم العلوي، هذه الشمس العظيمة، الله ﷻ خلقها كتلة من اللهب، وهي أكبر من الأرض ، جعلها الله سراجاً للعالم كله .

خلقها آية ، وجريانها في الفضاء آية ، وإنارتها آية ، وملئها بالنور آية ، وحرارتها آية .

والمسافة بين الشمس والأرض مسافة عظيمة ، وحرارة الشمس عند سطحها الخارجي تبلغ أكثر من ستة آلاف درجة، وحرارتها في جوفها تبلغ أكثر من عشرين مليون درجة مئوية، فهذه حرارة الشمس، فكيف بحرارة النار يوم القيامة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء: ٥٦] .

- **والشمس تمد الكون بأمر الله بنعمتين:**

نعمة النور .. ونعمة الحرارة .

وهي تجري في الكون بأمر الله ولا تقف أبدًا ، حتى تقوم الساعة : ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يس/ ٣٨].

فسبحان الخلاق الذي خلقها ، الكبير الذي كبرها ، النور الذي نورها ، القوي الذي أمسكها ، القادر الذي أجراها ، القاهر الذي قهرها : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] . وهذه الشمس الكبيرة لا يحركها إلا كبير بقدرته جل جلاله، فهي تجري في هذا الكون بصفة مستمرة ، وتعطي الناس والنبات والحيوان الإنارة والحرارة، ولا تأخذ على ذلك أجرًا : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا ﴿٥﴾ ﴾ [يونس: ٥] .

هو الكبير جل جلاله الذي يملك كل كبير وصغير ، والشمس شديدة الحرارة، ولكن لا يصل إلى الأرض من حرارة الشمس إلا جزءاً يسيراً جداً .

أما البقية من هذه الحرارة، فتصب في الفضاء الهائل الذي خلقه الله ﷻ، وله وظائف في هذا الفضاء العظيم، ومع هذا القدر اليسير الذي يصل إلينا، نجد فيه من البركة ، والخير، والنور ، والنماء ، والحياة ، ما لا يعلمه إلا الله .

والشمس حرارتها ونورها وجريانها وارتفاعها بمقدار، فلو ارتفعت قليلًا لتجمد كل شيء، وصار أشد قساوة من الحجارة، ولو نزلت قليلًا لتبخر كل شيء في الأرض: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٣].

هو جل جلاله الذي خلق هذا الجرم العظيم، وخلق المجرات، والأفلاك ، وكم يجري فيها من الخلائق والنجوم والكواكب .

فسبحان الكبير الذي هذا خلقه ، وهذا ملكه ، وهذا تدبيره : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فهذا خلق من خلق الله، خلقه الخلاق العليم، خلقه الكبير المتعال جل جلاله .

والإنسان عجيبة أخرى: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٢].

فهذا الإنسان الذي خلقه الله من نطفة، خلق الله ﷻ فيها اللحم والعصب والعروق والعظام، وخلق في دماغ الإنسان مائة وأربعين مليار خلية لم تعرف وظائفها حتى الآن، ولم يعرف من الإنسان طبياً إلا اثنان ونصف بالمائة، والباقي سبعة وتسعون ونصف بالمائة لم يعرف حتى الآن .

وقلب الإنسان يضخ في اليوم الواحد ثمانية أمتار مكعبة من الدم ، أي: ما يعادل اثنين وعشرين ألف جالون يوميًا، والإنسان ، في متوسط عمره كم يضخ من الدم ، يعني من الخمسين، إلى الستين تقريباً يضخ في متوسط عمره ما يملأ أكبر ناطحة سحاب في العالم.

فسبحان الكبير الذي يدبر الكبير والصغير في ملكه العظيم : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

وفي بدن الإنسان معامل ومصانع خلقها الكبير القادر على كل شيء، والإنسان فيه من الأجهزة والأعضاء ما الله به عليم، في كبده أكثر من خمسة آلاف مصنع لتصفية الدم وإزالة السموم، إلى غير ذلك من الأعمال : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: ٢١] .

وعين الإنسان يمكن أن ترى في اليوم الواحد نصف مليون صورة، وتحفظها بالألوان بالدماغ يوميًا، العين ترى المخلوقات بألوانها وأحجامها وأشكالها، وتحفظ هذه الصور بالألوان في الدماغ في ملفات الحفظ، ويستخرجها الإنسان متى ما أراد، يقول: رأيت الكعبة اليوم الفلاني، رأيت البحر في اليوم الفلاني، ويتخيله ويراه ويخرجه من الملف، الذي هو ملف الحفظ في الدماغ : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا

ﭐلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤].

فالله ﷻ هو العظيم بذاته وأسمائه وصفاته الذي خلق كل عظيم، فالعظيم أحيانًا يكون في الكبر، كالعرش والكرسي، والسموات والأرض.

وأحيانًا يكون في خلق الصغير، كالذرة والنملة، فعظمته وكبرياؤه في خلق الكبير والصغير جل جلاله، فسبحان الكبير جل جلاله الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [الرعد/ ٩].

هو الكبير الذي كل شيء دونه، ولا شيء أعظم منه، الكبير الأكبر في ذاته وأسمائه وصفاته، الذي صغر دون كبريائه كل كبير من المخلوقات، والسموات والأرض والكرسي والعرش، كالخردلة أمام الكبير ﷻ، لأنها مخلوقة، والله ﷻ كبير ولا نهاية لكبريائه، وعظيم ولا نهاية لعظمته جل جلاله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

هو الكبير الذي كبر عن شبه المخلوقين، وكبر عن المثيل والشبيه، وكبر عن صفات النقص والعيب.

هو الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته، الكبير الذي من كبريائه وعظمته أن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

فلا بد للقلب أن يعرف الكبير حتى يكبره، ،أن يعرف العظيم حتى يعظمه، وأن يعرف الرزاق حتى يشكره، وأن يعرف القوي حتى يتوكل عليه، وأن يعرف القادر حتى يستعين به، وأن يعرف الكريم حتى يسأله، وأن يعرف التواب حتى يتوب عليه، وأن يعرف الغفار حتى يستغفره: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالله هو الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق، الله قد عرف نفسه، فشهد لنفسه بالوحدانية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران/ ١٨].

وهو جل جلاله حمد نفسه؛ لأنه أعرف بنفسه من خلقه، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤].

حمد نفسه لأنه أعلم من خلقه بنفسه، وأمرنا بحمده لما له من العظمة والجلال والكبرياء جل جلاله: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وعرفنا بملكه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ۝١٢٠﴾ [المائدة/ ١٢٠].

لنعلم أننا عبيد عند الملك، وأننا عبيد من عبيده، ميزنا الله بالعقول، لكي نعقل بها شرعه، ونطيع أمره، فنأتي إليه اختيارًا كما أذعنت له جميع المخلوقات إجبارًا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ۝١٨﴾ [الحج/ ١٨].

وإذا عرفت الكبير فيجب أن أسجد لمن يستحق السجود، أسجد بقلبي، وببدني، وبفكري وبجميع جوارحي لمن؟ للذي يستحق أن يسجد له، وأن يستسلم له: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ۝٥٠﴾ [النحل: ٤٩ – ٥٠].

هو جل جلاله الذي في السماء إله ، وفي الأرض إله، أمرنا أن نعرفه بذاته وأسمائه وصفاته؛ حتى نعبده بالمحبة والتعظيم والشوق والرغبة والذل، له جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

فلا يمكن أن يتذلل الإنسان لربه إلا إذا عرف أنه الكبير القوي القادر، ولا يمكن لإنسان أن يذهب ليسأل الناس إلا إذا عرف أنهم أغنياء، والإنسان الفقير لا يذهب لفقير مثله، وإنما يذهب للغني سبحانه، فنحن لا بد أن نعرف الكبير حتى نقدره وندعوه ونسأله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد: ١٩].

فهو جل جلاله الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي من كبريائه وعظمته أن

الأرض والسماء والعرش والكرسي وجميع المخلوقات، كالخردلة أو كالذرة بين يديه جل جلاله: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج/ ٧٤].
هو سبحانه الكبير في أفعاله، هو الكبير في صفاته ، هو الكبير في أسمائه .
هو جل جلاله السميع، سمعه وسع جميع الأصوات، في العالم العلوي والعالم السفلي، ما نطق به الخلق وما لم ينطقوا به، علم به قبل أن يتكلموا به؛ لأنه علم بكل شيء قبل وجوده: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].
وهو البصير الذي لا تخفى عليه ذرة في الأرض ولا في السماء : ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك: ١٩].
فهو جل جلاله الكبير العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء، كبير في قدرته كبير في علمه، علمه محيط بكل شيء، وعلمه وسع كل شيء في ملكه العظيم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].
ومن عظمة الملك، كثرة عبيده الذين يسبحون بحمده ، ويكبرونه ، وله يسجدون، فكل ما سوى الله عبيد لله، كل ما سوى الله ﷻ إما نعمة وإما منعمٌ عليه، فأنا منعم علي، والله ﷻ هو الذي خلقني، وخلق السموات والأرض وما فيهن، وسخرها لنا: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].
السموات مملوءة بالملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم الكبير ، ويسجدون لربهم العظيم ويستغفرون للذين آمنوا ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].
هو سبحانه الكبير الذي بحرفين من كلامه خلق هذا الكون الكبير: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣].

هو سبحانه الكبير في ذاته وكلماته : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٧].

هو سبحانه الكبير في خلقه : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان: ٢٨ – ٣٠].

الله ﷻ عظيم، وصفاته عظيمة، وعظمة آياته ومخلوقاته تشهد بجلال أفعاله: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر/ ٥٧].

كم عظمة خلق السموات ، وكم فيها من المخلوقات! وكم عظمة خلق الأرض ، وكم فيها من المخلوقات! من جبال وبحار وأنهار ، وإنس وجن، ونبات وحيوان، ومخلوقات لا يعلمها إلا الذي خلقها: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر/ ٨٦].

فمعرفة هذه الصفات لله ﷻ، تولد في القلب تكبير الله، وتعظيم الله، وحب الله، وتدفعه إلى طاعة الله، والتسبيح بحمده ولهذا بقدر العلم، وبقدر قوة الإيمان تكون قوة الذكر والعبادة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

يأتي التعظيم لله، وتأتي المحبة لله ﷻ، فالله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه، ونعرف أسماءه وصفاته حتى تعرف قلوبنا عظمته وكبرياءه جل جلاله، الله ﷻ من رحمته بنا أن جعل هذا الكون هو الكتاب المنظور؛ لنتفكر فيه ، لنعرف من خلقه ، ثم نؤمن به ونعبده : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦ – ٨].

ننظر فنرى مخلوقات، ونرى صوراً، فبالعين نرى المخلوقات، وبالبصيرة نرى الله ﷻ،

يخلق ويرزق ، ويعطي ويمنع ، ويعز ويذل، ويعافي ويمرض ويحيي ويميت جل جلاله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

نرى الله ﷻ وحده يفعل في مخلوقاته ما يشاء، لكن بدون الإيمان، نرى المخلوقات تفعل، ونقول: حملت المرأة ، وأمطرت السماء ، وأغرقت البحار ، وأنبتت الأرض، لا بد لهذه المخلوقات من آمر يأمرها بالحركة بالإنارة وبالإنبات: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

[الواقعة: ٥٨ – ٧٣].

فهذا العلم يجعل الإنسان يتفكر في آيات الله وفي مخلوقاته، فيخترق المخلوقات إلى خالقها، ومدبرها، ويخترق الصور إلى المصور، ويتجاوز المخلوق إلى الخالق، بماذا؟ ببصيرته بقلبه وفكره، فالعين ترى الأشياء، والقلب يرى الملك الحق الذي يدبر هذا الكون ، ويفعل فيه ما يشاء جل جلاله : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فالله ﷻ هو الملك الذي له الملك العظيم ، الملك الكبير.

فله ﷻ ملك الخلق والإيجاد، وله ملك إبقاء الملك ونزعه، فهو يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء، وله ملك الإعزاز والإذلال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

وله جل جلاله ملك تقليب الأزمان والأحوال: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور: ٤٤].

وهو جل جلاله الملك الذي له ملك الأرزاق كلها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

فهو الذي خلق الأرزاق، وخلق المرزوقين، وأوصل الأرزاق إلى كل مرزوق: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود/ ٦].

وله جل جلاله ملك البقاء والفناء، يبقي من يشاء ، ويفني من يشاء، فجميع المخلوقات والكائنات باقية بأمره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١].

هذا هو الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، الكبير الذي بيده وحده أمر التدبير والتصريف : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

ولهذا كان مستحقًا للعبادة، لأنه العليم بكل شيء ، القادر على كل شيء، الكبير المتعال، المحيط بكل محيط الواحد الأحد ، الغني عن كل أحد، الذي خلق جميع المخلوقات ، في العالم العلوي والعالم السفلي، وكلهم عبيده، وكلهم خاضع لأمره، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته، ومسبح بحمده: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فهذا العلم يجعل الإنسان من أولياء الله، الذي عرف ربه بأسمائه وصفاته تعلق قلبه بالله ﷻ، وإذا تعلق القلب بالله ﷻ استغنى به عن غيره : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فهذه المعرفة لا بد للقلب منها، لابد أن يتغذى بهذا الغذاء في كل يوم، ليعرف ربه الكبير في أفعاله، فعظمة آياته ومخلوقاته تشهد بجلال أفعاله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ

﴿وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

له الخلق كله في العالم العلوي والعالم السفلي، خلق الشمس وهو الذي نورها وأجراها، وخلق القمر وهو الذي قدر له المنازل والأحوال، وخلق الأرض وأمرها بالإنبات، وخلق اللسان وهو الذي خلق فيه الكلام، وخلق الأذن وجعل فيها السمع، وخلق العين وجعل فيها البصر : ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

هو الرب الذي له الخلق كله ، وله الأمر كله وله الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣] .

فسبحان العلي الكبير الذي كبر وعلا في ذاته، فلا أكبر منه ، ولا أعظم منه ، ولا أعلى منه، هو العلي الكبير، هو العلي العظيم : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

هو الكبير الذي له العظمة والعزة ، وله الجبروت والكبرياء ، وله الإجلال والملك والسلطان في السموات والأرض: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

الله ﷻ هو الكبير الذي له ملك السموات والأرض، هو الكبير الذي كبر وتعالى عن جميع النقائص والعيوب والمساوئ ، والشبيه والمثيل والضد والنظير .

هو الكبير الذي كبر وعلا عن عبادة ما سواه، فكل عمل أُشرك فيه العبد غيره فالله ﷻ غني عنه، هو الكبير الغني عن عبادة كل أحد، ولكن نعبده لحاجتنا له، ولأنه يستحق التسبيح والتحميد ، والتكبير والتعظيم؛ لأنه الخالق الرازق ، القادر القاهر ، الذي بيده ملكوت كل شيء ، وله الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، الأفعال الحميدة : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] .

فهو الكبير الذي كبر وعلا عن عبادة ما سواه، فلا يقبل الكبير أن يعبد معه غيره، من الخلق، الكبير الذي كبر وتكبر عن الشبيه والمثيل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ

ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

هو الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد، ولم يكن له كفوًا أحد، هو الكبير المصرف عباده على ما يريد، من خلق وتدبير في الصورة، واللون، والحجم، والوظيفة.

هو الكبير الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

هو الذي جعل الليل ليلًا، والنهار نهارًا، والإنسان إنسانًا، والسماء سماء، والأرض أرضاً: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

هو المصرف عباده على ما يريد من خلق وتدبير، وأمر ونهي، لا يعصى إلا بعلمه، ولا يقضى دونه أمر، ولا يرد أحد حكمه: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

هو جل جلاله الكبير المتعال عن النقص والمثيل والشبيه، هو الكبير الذي تكبر عن كل سوء وشر وظلم، هو الكبير في علوه، العلي في كبريائه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣].

وجلال الله ﷻ وكبرياؤه، لا يعلمه إلا هو، ولا يدرك كنه ذلك أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا يعرف الله على وجه الكمال إلا الله، فالله ﷻ لا يدرك كنهه أحد، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فمن نازعه في ذلك عذبه.

قال النبي ﷺ: «**العِزُّ إِزَارُهُ، وَالكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**» أخرجه مسلم(١).

الله ﷻ هو الكبير المتكبر الذي له الكبرياء في العالم العلوي والعالم السفلي، الكبير الذي لا نهاية لكبريائه وعظمته، فهو سبحان الكبير وحده في ذاته وأسمائه وصفاته، وكل ما

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

سواه صغير، من العرش حتى أصغر ذرة، هو الكبير الأكبر من كل شيء، ذاتًا وقدرًا، وشأنًا، وعزةً وجلالًا وجمالًا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

فالله هو الكبير وحده لا شريك له، وهو العظيم وحده لا شريك له، ولا حظ للعبد في هذين الاسمين أبدًا، فالكبرياء والعظمة، والعزة لله وحده لا شريك له: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ [الحشر/ ٢٣].

وحظ العبد من ذلك الذلة والافتقار والصغار للكبير العظيم الواحد القهار، فحظ العبد من هذا الاسم أن يتصاغر لكبرياء ربه، ويخضع لعظمته ويسارع إلى طاعة ربه الكبير، ولا يستكبر عن عبادته، ويلازم التسبيح والتحميد والتكبير والإجلال لربه الكبير المتعال: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء/ ١١١].

فمن عرف ربه الكبير المتعال، خلع عن نفسه أوصاف الربوبية، ولبس رداء العبودية، والمسلم لا يحقق معنى العبودية إلا بثلاث صفات:

الحب الكامل لربه، والتعظيم الكامل، والذل الكامل له: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

- **وهذه الأمور الثلاثة ثمرة معرفتين:**

معرفة عزة الربوبية.. ومعرفة ذلة البشرية.

فيستحضر العبد عظمة ربه الكبير المتعال، القادر القاهر، العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، المنعم بكل نعمة، الدافع لكل نقمة، الذي يفرج الكروب، والذي يحيي الموتى، والذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

معرفة عزة الربوبية قبل أن أبدأ بالذكر، أو أبدأ بالصلاة، أو بإلقاء الدرس، أو سماع الدرس، لا بد أن أستحضر في قلبي أمرين:

أستحضر عزة الربوبية.. وأستحضر ذلة العبودية.
فذلة العبودية للربوبية أن أعرف الله، أن أذكر قلبي بلساني بصفات ربي، حتى يكبر ربي في قلبي، وأذكر وأخاطب نفسي ، وأذكرها بذلة العبودية، وأقول لها: أنتِ عبدٌ من العبيد، أيها الإنسان كنت ضالًا فهداك الله، وفقيرًا وأغناك الله، وضعيفًا فأقدرك الله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى/ ٦-٨].
فلوجود الحب الكامل ، والتعظيم الكامل، والذل الكامل لله ﷻ، لا بد أن يستحضر العبد عند القيام بأي عبادة أمرين :
الأول : عزة الربوبية ، بأن نذكر قلوبنا بألسنتنا بالله العظيم، بالرب الكبير، بالرب القوي القادر القاهر، الذي بيده ملكوت كل شيء جل جلاله، حتى تأتي عظمته في القلب، فاعبده معظمًا له ، مكبرًا له ، محبًا له : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].
الثاني : ذلة العبودية ، وأتذكر ذلة العبودية، وأني عبد ضعيف فقير عاجز محتاج، ولا بد للفقير أن يقف بباب الغني، ولا بد للصغير أن يقف بباب الكبير، ولا بد للعاجز أن يسأل القادر على كل شيء، ولا بد للمحتاج أن يسأل الصمد الذي لا يحتاج إلى أحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤].
فهو صمد، صمد لجميع حوائج الخلق، وجميع الخلق يصمدون إليه في حوائجهم .
فهو الشافي وحده، وهو الرازق وحده، وهو القادر وحده لا شريك له ، وما سواه من المخلوقات خلقها الله إظهارًا لقدرته، وتنبيهاً لبريته ، وكلها مسبحةً بحمده، شاهدة بوحدانيته خاضعة لأمره : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].
فما أعظم فلاح وسعادة من عرف الله بأسمائه وصفاته ، وما أعظم خسارة من جهل ربه، فقد خسر نفسه ، وخسر دنياه ، وخسر آخرته: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ

﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩ – ١٨٠].

فالحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله أن كتاب الله ﷻ بأيدينا، نتعرف من خلاله على ربنا بأسمائه وصفاته، ونتعرف على أحكامه، ونتعرف على أوامره جل جلاله، فنحن في نعم كبيرة، تمت علينا النعمة البدنية، والنعمة الروحية، فلله الحمد رب العالمين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

فمن عرف ربه الكبير العظيم الأعلى المتعال خلع عن نفسه أوصاف الربوبية ، ولبس رداء العبودية لله ذلةً وافتقارًا وانكسارًا ، وخشيةً له ، وتوكلًا عليه، واستعانةً به: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

أما من تكبر عن الحق ، وتكبر على الخلق، فهذا يشقى في الدنيا والآخر، واستغنى الله عنه وعن عبادته : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

ثم حرم دخول جنة الخلد : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف: ٤٠ – ٤١].

وقال النبي ﷺ : «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»أخرجه مسلم(١).

فالكلام عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله يولد الطاقة الإيمانية في القلب، ويملأ القلب إيمانًا فيزيد انشراحًا، والقلب في داخل الصدر، وهذا القلب لا بد أن يُملأ بالعلم والإيمان والتعظيم والرحمة والحب لله ﷻ، فإذا امتلأ بهذه العلوم النافعة حرك البدن بما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة .

فتحرك اللسان بالذكر ، والتكبير ، والشكر ، والحمد ، والدعاء ، والدعوة ، والتعليم، والقول الحسن، وتحركت الجوارح بطاعة الله، فلا بد من معرفة الكبير ، ليحصل التعبد

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٩١).

بهذا الاسم العظيم: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣].

هو الكبير الذي كل شيء دونه صغير، هو الكبير الذي لا أكبر منه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان/ ٣٠].

هو الكبير المتعال الذي كل شيء سواه صغير، هو الكبير الذي لا حد لكبريائه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

هو سبحانه العلي الكبير ، ذو العظمة والجلال والكبرياء، الكبير وحده لا شريك له، الكبير في ذاته الكبير في أسمائه ، الكبير في صفاته .

فإذا قال عن نفسه إنه هو السميع فهو يسمع كل شيء، وإذا قال أنه البصير فهو يبصر كل شيء، وإذا قال أنه العليم فهو عليم بكل شيء، وإذا قال أنه القادر فهو قادر على كل شيء، وإذا قال أنه خبير فهو الخبير بكل شيء، مما نراه ومما لا نراه، في العالم العلوي وفي العالم السفلي، في الدنيا والآخر، في عالم الغيب وفي عالم الشهادة، فأسماؤه جل جلاله كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، وله جل جلاله الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته :

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥] .

فسبحان الرب الكبير المتكبر الأكبر ، ذو العظمة والكبرياء ، والجلال والجبروت، الذي لا تحيط العقول بكنه جلاله وجماله وكماله : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سحبات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، هذه الشمس التي نحن نراها كالخبزة في هذا الفضاء العظيم، كم تشغل من مساحة الفضاء الكبير ، ومن الذي يمدها بالطاقة التي تحرقها في كل يوم في هذا الكون العظيم؟ هو الكبير الذي يملك كل شيء، والذي خلقه لا يحتاج فيه إلى معالجة: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ

﴿ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس/ ٨٢].

هو الكبير وحده لا شريك له، فلا بد أن يسمع القلب عن كبرياء الكبير حتى يكبره : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

فنحن نقول: الله أكبر لنسمع القلب، نقول: الله أكبر في الأذان، الله أكبر في الإقامة، الله أكبر في الصلاة، نقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، نكبر الله؛ ليسمع اللسان قلب هذا الإنسان؛ ليعرف الكبير ، ليكبره ، وإلا فالله كبير قبل أن نكبره، محمود قبل أن نحمده، واحد قبل أن نوحده : ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

هو الكبير وحده لا شريك له، وما عرفنا بهذا الاسم إلا لنكبره ، ونتلذذ بتكبيره، ونملأ قلوبنا بتكبيره؛ لأننا إذا عرفنا أنه الكبير لم نلتفت لأحد سواه، ولهذا شرع تكرار التكبير في الأذان، حتى نعلم أن كل ما سوى الله صغير، فلا نذهب إلى التجارة أوالصناعة والزراعة.

إذا أذن المؤذن نذهب إلى بيت الكبير ، لنعظم الكبير، ونحمد الكبير، ونسأل الكبير، ونستغفر الكبير، وفي النهاية نقدم التحية للكبير، التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١ ﴾ [الجمعة: ٩ – ١١] .

هو الكبير الذي له الكبرياء والعظمة، وله صفات الجلال والجمال، وبيده ملكوت كل شيء، الكبير الذي له الخلق والأمر، الكبير الذي جميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته، مسبحة بحمده، وخاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، لا إله إلا هو ،

ولا رب سواه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] .
هو العلي الكبير، الذي يستحق أن يعبد ، وأن يحمد ، وأن يسجد له: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج/ ١٨].

هو جل جلاله الكبير الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لأن الملك ملكه ، والأمر أمره ، والخلق خلقه، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص: ٧٠] .

والله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه حتى نكبره ، ونحبه ، ونحمده ، ونسأله فقال: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة/ ٩٨].

وقال ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

فلا بد من المعرفة بالله، وأسمائه وصفاته؛ لأنها تثمر المحبة والتعظيم للرب، وهي معرفة المعبود، والأحكام هي معرفة أنواع التعبد؛ فلا بد للإنسان أن يعرف هذا ، وأن يعرف هذا، والعلماء في هذا وهذا أقسام :

الأول: العالم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

الثاني: العالم بأحكام الله ، وهم أهل الفتوى الذين يعرفون الحلال من الحرام.

الثالث: العالم بالله ، وبأحكام الله، وهؤلاء أشرف الأقسام وأكملها؛ لأن قلوبهم أشرقت بمعرفة الله ، وأشرقت أسرارهم بأنوار جلال الله، وتزينت قلوبهم وألسنتهم وجوارحهم بعبادة الله ﷻ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر/ ٩].

فبحسب العلم تكون المعرفة، وبحسب المعرفة يأتي التعظيم لمن يستحق التعظيم، ويأتي الحب لمن يستحق الحب الكامل، ويأتي التكبير لمن يستحق التكبير .

فإذا جاءت هذه الصفات العظيمة، جاءت لذة التعبد، جاءت المحبة والتعظيم وحب الله ، وحب ما أمر به، وحب أنبيائه ورسله وكتبه ، وحب كل ما يرضيه جل في علاه :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١] .

فهذه هي أقسام العلماء، فلنحرص على أن نكون من القسم الثالث، وأن نضع أنفسنا لهذا الأمر، حتى نكون من العلماء بالله، ومن العلماء بأوامر الله، لتمتلئ قلوبنا بمعرفة الله وأسمائه وصفاته، وتمتلئ بالحب والتعظيم والذل لله ﷻ ، وتمتلئ عقولنا بمعرفة أحكام الله، بمعرفة الكيفيات، كيفية الصلاة، كيفية الوضوء، كيفية الحج، كيفية الصوم، كيفية قسمة المواريث، كيفية إقامة الحدود، ونحو ذلك ، ثم تتحرك قلوبنا وألسنتنا ، وجوارحنا بعبادة الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧].

فالعالم بالله ، وبأحكام الله ، هو أعلى الأقسام وأكملها، وفي ذروة هذا القسم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ومن سار على هديهم من المؤمنين : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

فمعرفة الله أسمائه وصفاته وأفعاله أعظم العلوم وأشرفها وأكملها وأعلاها؛ لأنها أساس كل شيء، لهذا يجب أن أعرف المعبود قبل العبادة، وأعرف الآمر قبل الأمر، وأعرف الحكيم قبل معرفة أحكامه ، وأعرف الملك الغني الكريم قبل أن أسأله : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

الله ﷻ هو الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته ، هو الكبير في قوته ، وفي قدرته ، وفي علمه ، وفي حلمه ، هو جل جلاله الكبير، وكل ما سواه صغير مملوك للكبير : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فإذا تسلط عليك أحد من الناس، فاعلم أن الله الكبير أرسله إليك ليؤدبك ، ثم ينتقم منه، فالطغاة والجبابرة عصي بيد الله ينتقم الله بها ، ثم ينتقم منها، فبنو إسرائيل لما خالفوا

أمر الله، الله ﷻ أرسل عليهم فرعون، فصار يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم : ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤١] .

ثم لما جاءهم موسى ﷺ بالدين، الله ﷻ أنقذهم منه ، وأغرق فرعون وجنوده ، وهكذا جميع من استكبر عن عبادة الله وطغى وتجبر الله ﷻ يدمرهم : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

فالأسباب بيد الله، وهي من جنود الله، والله له سنة يفعلها أو يعطلها أو يعكسها، الله له سنة وقدرة، فالسنة خاضعة للقدرة، والله أظهر سنته وأخفى قدرته، سنته في أن يخلق اللسان في هذا الفم ، ويتكلم باللغات، وينزل المطر على الأرض فينبت به من كل زوج بهيج، لكن قدرته مخفية في سنته، من يراها؟ لا يراها إلا المؤمن، والكافر يرى السنة الكونية فقط ، لكن المؤمن يرى السنة الكونية ، ويرى القدرة الإلهية، فيخترق المخلوقات إلى خالقها، ويتجاوز الصور إلى المصور ، فيعبدوه وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

فالله يفعل بالأسباب لأنه هو الكبير القوي الذي يفعل ما يشاء ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب، والأسباب بيد الله وهي مخلوقة، لا نجعلها شريكا لله، فاليهود توكلوا على الأسباب ، والنصارى تركوا الأسباب .

ونحن يجب أن نضحي بالأسباب من أجل دين الله ﷻ، نضحي بالوقت، نضحي بالمال، نضحي بالنفس، نضحي بالشهوات نضحي بالبلاد، كما فعل المهاجرون حينما ضحوا بهذه الأمور، ضحوا بأوقاتهم، وأموالهم، وأنفسهم، وشهواتهم، وبلادهم وأهلهم، ضحوا بكل بشيء من أجل إعلاء كلمة الله .

فلما ضحوا جاء الرضوان من الله ﷻ، فالمهاجرون تركوا ، والأنصار بذلوا بيوتهم

وأموالهم واستقبلوا المهاجرين، فلما جاءت الهجرة والنصرة جاء الرضوان من رب العالمين: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة/ ١٠٠].

فالخلق والأمر والملك والتدبير والتصريف بيد واحد : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

فغذاء القلوب بأن تعرف الكبير، وتعرف العظيم، وتعرف القوي وحده لا شريك له، وتعرف الغني، وتعرف القهار، وتعرف الواحد الأحد، هذه هي أغذية القلوب أن تعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، حتى تتوكل على الله، وتخشع لله، وتخاف من الله، وتكبر الله، يكبر المسلم ربه في كل يوم أكثر من ستمائة وثلاثين مرة، في الصلوات الخمس، وفي الأذان، والإقامة، والأذكار المشروعة .

وفي الصلوات الخمس، في الصلاة الرباعية نكبر الله إحدى وعشرين مرة، والصلاة الثلاثية سبع عشرة مرة، وفي الصلاة الثنائية إحدى عشرة مرة، وفي التسبيح بعد الصلاة في أذكار الصباح، وأذكار المساء ، وأذكار النوم، مجموع ما ورد من مشروعية التكبير فرضًا أو سنةً أكثر من ستمائة وثلاثين مرة : ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

لا بد لهذا القلب أن يعرف أعظم شيء عن ربه ، أن يعرف أنه الكبير، وأن كل ما سواه صغير من جميع المخلوقات، وإذا عرف المسلم الكبير لم يعد بحاجة إلى الصغير، ومن سار في معية الكبير فهو كبير، وإذا توكل المؤمن على ربه الذي بيده كل شيء أغناه عما سواه ، فالكبير في قوته هو الله ﷻ، وكل ما سواه صغير : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥] .

هو مالك الملك بيده ملكوت كل شيء، يفعل بالأسباب وبدون الأسباب، وبضد

الأسباب، فالله ﷻ أنجى إبراهيم ﷺ من النار وهي تشتعل، وإبراهيم في وسط النار، لم يطفئها ولم ينقل إبراهيم إلى مكان آخر، بل قال لها: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء/ ٦٩].

ودمر القوي العزيز فرعون مع ملكه ، وخسف بقارون مع ماله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج/ ٦٢].

والأمر كله بيد الله العلي الكبير وحده لا شريك له، هو الكبير الذي بيده كل شيء .

فأن نأخذ الأسباب ، ونتوكل عليها ، هذا شرك، نقول مثلاً: وصلنا بسلامة حُسن قيادة الطيار ، أو الملاح ، أو قائد السفينة ، أو قائد السيارة، لا؛ هذا شرك ، فالله ﷻ هو الذي يسيركم في البر والبحر : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [يونس: ٢٢] .

وأن نعطل الأسباب ، ولا نأخذ بها ، هذا معصية، لا بد من فعل الأسباب، لأننا في دار الأسباب، فالدنيا لها أسباب ، والدين له أسباب، أسباب دخول الجنة الإيمان والعمل الصالح، ولكن هذه أسباب لا بد من فعلها، أما دخول الجنة فيكون بفضل الله وبرحمته قال النبي ﷺ : «**لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِنْكُمُ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**» متفق عليه(١).

أنا عبده ومن مماليكه لا أستحق على عملي شيئًا ، لكن إن أعطاني فهو الكريم، فالله ﷻ هو الكريم الذي يعطي من لا يستحق العطاء، ولكن لحبه لنا يعطينا وإلا نحن عبيده، كما أن الشمس من عبيده، والقمر من عبيده، والأرض من عبيده، والنباتات من عبيده كلها تسبح بحمده، ولا تسأل أجرًا على أعمالها، لكن الله هو الكريم، والكريم أكرمنا، وأمرنا أن نتصف بصفاته: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠] .

فالله ﷻ له المنة والفضل أولًا وآخرًا، وله الحمد في الأولى والآخرة : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص: ٧٠] .

فأن نأخذ الأسباب ونتوكل عليها هذا شرك؛ وأن نعطل الأسباب ولا نأخذ بها هذا

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨١٦).

معصية، وأن نأخذ بالأسباب ولا نتوكل إلا على الله فهذا هو الإيمان .

نفعل الأسباب ، ونأتي بما نستطيع ، ونجاهد الأعداء ، ونعد لهم ما نستطيع من قوة؛ ثم الله يفعل ما يشاء: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال/ ١٧].

أنت فعلت السبب، لكن الذي جعل الإصابة هو الله ﷻ ، هو الذي يفعل ما يشاء .

وهذا الإنسان لا يتحرك إلا بإذن الله ﷻ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والله ﷻ يجب أن نذكره كثيراً في كل يوم ، ونكبره تكبيرًا، ونكرر ذكره، لأن من أكثر من ذكره أطاعه ولم يعصه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣] .

فالله ﷻ هو الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض، هو الذي يجب أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦ - ٣٧] .

هو جل جلاله العلي الكبير، كبير في ذاته: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٤٣].

هو جل جلاله الكبير العظيم تجلى للجبل العظيم فصار هباءً ، وسقط أعلاه على أسفله، لماذا؟ لأن الله ﷻ تجلى عليه، وموسى ﷺ لما رأى المتجلى عليه، فكيف لو رأى المتجلي سبحانه؟! : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] .

وهو كبير في خلقه، ، وهو كبير في قدرته لا يعجزه شيء، ولا يخفى عليه شيء: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل/ ٤٠].

هو سبحانه الكبير في قدرته : ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان: ٢٨] .

هو سبحانه الكبير في كلامه: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان/ ٢٧].

وبحرفين من كلامه كن فيكون، خلق هذا الكون العظيم، خلق السموات السبع وما فيهن، خلق الأرضين وما فيهن، فهو جل جلاله خلاق عظيم : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١٠ – ١١].

وهو سبحانه الكبير في ملكه العظيم : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠] .

هو سبحانه الملك الذي له الملك كله ، في الكون كله :

له ملك العالم العلوي والعالم السفلي ، وله ملك عالم الغيب وعالم الشهادة ، وله ملك الدنيا والآخرة ، وله ملك السموات والأرض ، وله ما في السموات والأرض ، وله ملك ما بين السموات والأرض ، وله مقاليد السموات والأرض ، وله ميراث السموات والأرض : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

ومن هذا ملكه ، وهذه قدرته ، هو الكبير الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦] .

فهذه عظمة ملكه، وهذا ملكه الكبير، فكيف تكون عظمة الكبير جل جلاله ، ولكن الله أخفى نفسه وأظهر مخلوقاته، أخفى نفسه رحمةً وحكمة، أخفى نفسه عنا في الدنيا رحمةً بنا، فالملك أو الرئيس إذا كان له أوامر على رعيته وكان بينهم لا يعصونه أبدًا، لكن إذا غابوا عنه عصوه.

فالله ﷻ لو بان لخلقه، وظهر لخلقه عيانًا لبطل أمر الأمر والنهي، وأمر التكليف وأمر الثواب والعقاب؛ إذا رأينا الله بأسمائه وصفاته عيانًا، لا يمكن أبدًا أن نعصيه، وحينئذ يبطل أمر التكليف.

فرحمةً بنا لا نراه، رحمةً وحكمة؛ لأن الملوك لا تعصى أمامها أبدًا .

فالله ﷻ ولله المثل الأعلى أخفى نفسه ، وأظهر مخلوقاته، لنعلم أن لهذا الخلق خالق،

ولهذا الملك ملك، ولهذه الأرزاق رازق، ولهذه الصور مصور، ولكننا لا نراه، لكن أيقنا قطعًا بوجوده، لكننا لا نراه ، حتى يتم أمر الله ﷻ، وتتحقق حكمة الابتلاء بالأمر والنهي؛ ليعلم الله من يخافه بالغيب: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣] .

لكن يوم القيامة يراه المؤمنون تكريمًا منه وعطاءً: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

فمن استجاب لأمر الله، يراه يوم القيامة، يفتح له الأبصار فترى الله ﷻ، ولكن لا تحيط به ولا تدركه الأبصار، لكن تراه، والإدراك غير الرؤية، الإدراك إحاطة، أما الرؤية فأنا أرى هذا الشيء من جانب، ولا أراه من جانب آخر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

وهو جل جلاله الكبير في إلوهيته: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج/ ٦٢].

هو الكبير في حكمه جل جلاله: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر/ ١٢].

وهو سبحانه الكبير في قدرته: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] .

هذا هو الكبير الذي يجب على القلب أن يعرفه ويكرر هذه المعرفة؛ لأن الإنسان إن لم يكن ذاكرًا كان غافلًا، وإن لم يكن عابدًا لربه كان عابدًا لغيره من المخلوقات الأخرى، فلا بد من التذكير المستمر لتعرف الكبير الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له .

وكل من عصى الله فهو إما جاهل به أو غافل عنه .

- **والغفلة تحصل بثلاثة أمور:**

بالغفلة عن الله .. والغفلة عن أوامر الله .. والغفلة عن اليوم الآخر.

وعلاج داء الجهل بالعلم بالله وأسمائه وصفاته : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

وعلاج الغفلة بالذكر ولزوم بيئة الإيمان ، والانقطاع عن الجو الغافل : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨].

فسبحان الكبير في خلقه، الكبير في كلامه ، الكبير في حكمه ، الكبير في قدرته، الكبير في علمه: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

هو عليم جل جلاله بكل شيء، لا يخفى عليه شيء من النيات والأقوال ، والحركات والسكنات: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس/ ٦١].

هو سبحانه الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

فالله ﷻ علمه محيط بكل شيء، وقدرته محيطة بكل شيء، ورحمته وسعت كل شيء .

فهذا هو الكبير الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى.

ومن هذا شأنه، وهذا جلاله، وهذا كبرياؤه، وهذه قدرته، وهذا علمه ، وهذا حكمه ، وهذا خلقه ، وهذا سلطانه ، يجب أن نؤمن به، ونشكره، ويجب أن نطيعه ولا نعصيه، ويجب أن نذكره ولا ننساه، ويجب أن نحبه ونعظمه ونعبده وحده لا شريك

له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فالإنسان خُلق ليكون عابدًا لربه ﷻ، فالله خلق كل شيء من أجل الإنسان، وخلق الإنسان ليوحد ربه، ليطيع ربه ويعبد ربه ﷻ : ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨] .

من الإنسان؟، الإنسان عقل يدرك، يدرك هذه المخلوقات والأشياء التي يراها، وقلب بعد هذا الإدراك يحب أو يبغض.

فبعقولنا ندرك الأشياء، ندرك المخلوقات، ندرك الكائنات ، ونتيجة لهذه الإدراكات يتولد في القلب حب الله، تعظيم الله، تكبير الله : ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ [ق: ٦ – ٨].

ومن هو العاقل؟ أعقل الناس هو الذي عرف من يجب أن يحب، من يجب أن يشكر ، من يجب أن يسأل، من يجب أن يكبر، هذا هو المؤمن: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

الذي يجب أن نحب، هو العظيم ، هو الكبير، هو المتكبر، هو الكريم، هو الرحمن الرحيم: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢].

هذا الذي يجب أن نحب، الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الذي بالناس رؤوف رحيم، الذي يجب أن نحب هو الملك الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الجميلة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ [الحشر: ٢٣] .

القدوس المنزه عن النقائص والعيوب، وعن الشبيه والمثيل، السلام الذي سلم عباده من كل سوء، ويوم القيامة يسلمهم من جميع الآفات، ويدخلهم دار السلام، المؤمن الذي أمنه عباده أن يظلمهم .

هو المؤمن الذي خلق الأمن وأكرم به أولياءه، خرج النبي ﷺ خائفًا من مكة، خرج إلى المدينة مختفيًا ليكون قدوة لكل ضعيف، ولكن رجع يوزع الأمن في مكة، لأنه متصل بالمؤمن الذي يملك الأمن والخوف، فقال ﷺ : «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن**» أخرجه مسلم[1].

هو الذي نصره في غزوة بدر، حين لم يكن معه من العدة والعدد إلا القليل، لأنه هو الكبير الذي يملك جميع المخلوقات والقلوب: ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

هو الذي أمدهم بالملائكة، هو الذي أنجى يونس ﷺ في بطن الحوت، هو الذي نصر أنبياءه ورسله، هو الذي دمر أعداء الرسل، حينما خالفوا واستكبروا عن الحق ، وعن العمل بالحق.

فالله ﷻ دمرهم، لأنه هو الكبير، الذي عنده خزائن القوة، وعنده خزائن العذاب، وعنده خزائن القوات والجنود: ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ** ﴿٥١﴾ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ** ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر: ٥١ – ٥٢].

بقدر ما في قلب العبد من الإيمان، يخاف منه كل شيء، فهو لا يخاف إلا الله، العزيز الجبار المتكبر، هو جبار يجبر المنكسرين، ويجبر خلقه، الجبار في ملكه، وعظمته وسلطانه، الجبار على الظالمين والطغاة، هو الكبير المتكبر لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الكبرى .

فهذا الرب الذي يجب أن نحبه ، وأن نعظمه ، وأن نقدره ، وأن نشكره : ﴿ **هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ** ﴿٢٢﴾ **هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٣] .

فأعلى الحب أن تحب من يستحق الحب الكامل، وتعظم من يستحق التعظيم، وتكبر من يستحق التكبير، ونحمد من يستحق الحمد ، ونسأل من يقدر على الإجابة : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨٠).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

فبقدر المعرفة تكون المحبة، وبقدر المحبة تكون الطاعة، والعبادة، وبقدر الطاعة والعبادة تكون السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

والله ﷻ عرفنا بنفسه ، لنتعرف عليه، فأسعد الناس من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وأحب الله وأحب ما يحبه الله، وكره ما يكره الله، وعبد الله بموجب ذلك: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج/ ٦٢].

فهو جل جلاله الكبير وحده لا شريك له، الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته، هو الكبير الذي لا بد أن نعرف أنه كبر عن مشابهة المخلوقات جميعها، فهو أكبر من أن يشبه خلقه، وأكبر من أن يشبهه أحد من خلقه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] .

هو سبحانه الأكبر وحده لا شريك له، أكبر من جميع مخلوقاته، أكبر من كل شيء، أكبر مما عرفنا، أكبر مما لم نعرف، أكبر مما تخيلنا، أكبر مما نظن، أكبر مما نتصور، فمهما تصورت أو تخيلت ذاته أو صفاته فهو أكبر مما تظن أو تتصور، وكل ما خطر ببالك من جلال الله وجماله وكبريائه، فالله أكبر من ذلك: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] .

هو سبحانه الكبير ذو المجد ، والجلال ، والكبرياء، والعظمة ، له كمال الذات والأسماء والصفات، وكمال الذات هو كمال وجود الرب الحي القيوم، الذي لم يسبقه عدم، ولا يلحقه زوال : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣].

فاعلم أن معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله أول الواجبات ، وأعظم الواجبات: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

ربنا ﷻ هو الكبير المتكبر الذي ليس لكبريائه نهاية، العظيم الذي ليس لعظمته نهاية، الكريم الذي ليس لكرمه نهاية، الحي الذي ليس لحياته نهاية، العليم الذي ليس لعلمه نهاية، القوي الذي ليس لقوته نهاية ، الغني الذي ليس لغناه نهاية ، الجميل الذي ليس لجماله نهاية : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه:٨].

هو الملك الكبير العظيم الذي لا يزول سلطانه، والعزيز الجبار الذي لا يجري في ملكه إلا ما يريد، المتكبر الذي ليس لملكه زوال، الملك الذي بيده الملك والإحسان والرحمة والغفران، الكبير الذي له الملك كله ، وإليه يرجع الأمر كله:﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود/ ١٢٣].

هو الكبير المتكبر، الذي تكبر عن ظلم الخلق، المتكبر الذي انفرد بالكبرياء والملك والملكوت، والعظمة والجبروت:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه/ ٨].

فسبحان الكبير المتكبر المتعال عن صفات الخلق، الذي تكبر عن كل نقص، وترفع عن كل عيب، وتنزه عن كل ما لا يليق بجلاله، فهو سبحانه العظيم الكبير المتكبر:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر/ ٢٣].

واعلم أن الكبرياء لله ﷻ أكمل من العظمة؛ لأنه يتضمنها ويزيد عليها بالمعنى كما مر معنا، فالكبرياء رداؤه جل جلاله، والعظمة إزاره، والرداء أكبر من الإزار .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**العِزُّ إِزَارُهُ، وَالكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**» أخرجه مسلم[1].

والله جل جلاله هو الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض، وله الحمد والمجد والثناء من جميع الوجوه، له الخلق كله، وله الأمر كله، وله الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، فلله الحمد والشكر وله العزة والمجد، فاذكره وكبره تكبيرًا، فهو أهل أن يحمد، وأهل أن يكبر وأهل أن يعظم:﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧] .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

فسبحان الرب الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي من كبريائه وعظمته أن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، ذلكم الله ربكم: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد/ ٩].

ومن كبريائه أن عرشه العظيم وسع ملكه الكبير .

ومن كبريائه أن كرسيه وسع السموات والأرض، ومن كبريائه أن نواصي جميع الخلق بيده: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

ومن كبريائه وعظمته أن العبادات الصادرة من أهل السموات والأرض، المقصود منها تكبيره وتعظيمه ، وإجلاله ، وتقديسه، وتحميده، وتسبيحه .

ولهذا كان شعار العبادات الكبار الله أكبر؛ كالأذان ، والإقامة ، والصلاة ، والحج وغيرها: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ۝١١٠ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ۝١١١﴾ [الإسراء/ ١١٠-١١١].

هو سبحانه الكبير جل جلاله، ومن كان في معية العزيز فهو عزيز، ومن كان في معية الكبير فهو كبير، ومن كان في معية الملك فهو ملك .

والملك من الناس هو من ملك جوارحه وأوقاته، وسخرها في طاعة الله ، واجتناب معصيته جل جلاله .

والملك هو من غلب الروح على النفس، فأشغل هذا البدن بطاعة الله ﷻ ، وكمل محبوبات ربه في الدنيا، والله ﷻ يكمل له محبوباته يوم القيامة : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١١٢﴾ [التوبة: ١١٢] .

فقيمة الإنسان بصفاته لا بذاته، قيمة الإنسان عند الله بإيمانه وإسلامه وتوحيده وتقواه فهذا الإنسان عند الله ﷻ عظيم، عند الله ﷻ كبير، والله ﷻ هو الكبير الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله ملك السموات والأرض، وله خزائن السموات

والأرض، وله غيب السموات والأرض : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

فالله ﷻ هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء، الله ﷻ هو الكبير بذاته، الكبير بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وآياته ومخلوقاته : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣] .

وهو العلي الكبير، علي في كبريائه، وكبير في علوه جل جلاله، هو الكبير المتعال، ودينه كبير، وملكه كبير، ودين الله ﷻ هو الدين الواحد الذي لا دين سواه، فمن أخذ به أفلح، ومن أعرض عنه خسر: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾ ﴾[آل عمران/ ١٩].

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ٨٥].

فمن أراد أن يكون عاليًا كبيراً فليتصل بالعلي الأعلى؛ ليعلو بإيمانه وتقواه وأخلاقه وأقواله وأعماله، لما يحبه الله ﷻ.

فالله ﷻ هو الكبير والأكبر، والمتكبر، فمن رفض الإيمان بالله ، وأعرض عن دينه ، فهو أسفه الخلق : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٠] .

والعاقل حقًّا ، والعارف حقًّا، من عرف الكبير فاتصل به ، وعمل بأوامره، وأعرض عما سواه، لأن كل ما سواه صغير، ومن عرف الغني لم يقف بباب الفقير، بل يسأل الغني الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن ، وهو على كل شيء قدير: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾

[الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

لكن من أطاع المخلوق ، وعصى الخالق، فهل قال الله أكبر حقاً ؟ نحن نقول: الله أكبر في الأذان ، في الإقامة ، وفي ركعات الصلاة، عند الركوع عند السجود، نقول: الله أكبر، فمن أطاع المخلوق ، وعصى الخالق، فما قال الله أكبر ، حقيقةً ، ما قال: الله أكبر بقلبه

ولو قالها بلسانه ألف مرة، فهذه لا تغنيه، من أطاع الصغير ، وترك طاعة الكبير ، وأطاع المخلوق، وعصى الخالق فما قال: الله أكبر بقلبه ولا مرة ، ولو قالها بلسانه ألف مرة.

من كذب على الله ورسوله ودينه والمؤمنين فما قال الله أكبر ولا مرة، ولو قالها بلسانه ألف مرة، من أعرض عن ذكر الله ورضي بشرع غير شرع الله فما قال: الله أكبر ولا مرة، وإن قالها بلسانه ألف مرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾ [الصف: ٢-٣] .

من حلل الحرام ، وحرم الحلال ، وغشي الكبائر والفواحش فما قال الله أكبر بقلبه ولا مرة، وإن قالها بلسانه ألف مرة، لأن قبول الأعمال مداره على النية : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾[المائدة/ ٢٧].

فالتقوى عمل القلب، كالحب في الله ، والبغض في الله، وتعظيم الله ، والخشوع له ، والانكسار بين يديه، والافتقار بين يديه : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٌ وَرِزۡقٌ كَرِيمٌ ٤ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

من حكم بغير ما أنزل الله فما قال بقلبه الله أكبر ولا مرة وإن قالها بلسانه ألف مرة:﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾[المائدة/ ٤٤].

من قال في الصلاة: الله أكبر، وخرج من الصلاة وعصى الله، فأكل الربا، وسمع الغناء، وأكل الحرام ، وفعل الكبائر ، فما قال الله أكبر ولا مرة، وإن قالها في الصلاة مرات عديدة، فلا بد أن يطابق عمل الإنسان قلب الإنسان داخل الصلاة وخارج الصلاة .

والله عَجَّلَ هو الكبير جل جلاله وحده لا شريك له، هو الكبير في وجوده لم يسبقه عدم، ولا يلحقه زوال، وكل ما سواه من الموجودات سبقه عدم ، ويلحقه زوال : ﴿ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨ ﴾

[القصص: ٨٨].

هو بديع السموات والأرض، الكبير الذي خلق السموات والأرض وأوجدها على غير مثال سابق، ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١] .

فالله ﷻ هو الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته، فلا بد للعبد أن يعرف الكبير، ليكبره حقًّا، وينظر ويتدبر في ملكوت السموات والأرض؛ فيرى المخلوقات العظيمة، وهذه المخلوقات والأجرام الكبيرة .

فالسموات شيء، والقمر شيء، والشمس شيء، والعرش شيء، والكرسي شيء، والفضاء شيء، والله خالق كل شيء ، والأرض شيء، والجبال شيء ، والبحار شيء ، والنباتات شيء ، والحيوان شيء ، والله ﷻ خالق كل شيء : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

ولذلك نقول: الله أكبر، ولا نقول: من كذا أو كذا؛ لأن الله لا يقاس بمخلوقاته : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١] .

- **ففي الكون اثنان:**

كبير .. وصغير .

فالكبير هو الله وحده لا شريك له، وكل ما سواه من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في المخلوقات كله صغير .

وكل هذه المخلوقات خلقها الله لتسبح بحمده ، وتشهد بوحدانيته ، وتخضع لأمره ، وتستجيب لمشيئته، وتسرع إلى إرادته : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٣ – ٤٤] .

فالمطلوب من القلب أن يعرف ربه الكبير ، وإذا عرفنا الكبير تركنا الصغير، فعلاقتنا بالصغير إن كان بشر مثلنا أن ندعوه إلى الكبير؛ ليتصل بالكبير ، ويعبد الكبير ، ويأخذ من خزائن الكبير، ويأخذ من خزائن الغني، ويستفيد من قدرته : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣] .

وكمال الإنسان أن يكمل نفسه ويكمل غيره، كالثلج بارد بنفسه ، مبرد لغيره، كمال الإنسان أن يكون صالحًا ومصلحاً لغيره، كمال الإنسان أن يكون عالمًا معلمًا لغيره، كمال الإنسان أن يأخذ من ربه ويحسن إلى خلقه، كمال الإنسان أن يحب لغيره كما يحب لنفسه،

كمال الإنسان أن يكون ذاكرًا مذكرًا لغيره، كمال الإنسان أن يكون مؤمنًا يصل الناس بالمؤمن ، ويدعوهم إلى المؤمن : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١ – ٣] .

هذا هو الكبير من العبيد في أقواله وأعماله وأخلاقه، وهذا في أعلى درجات الكمال، وفي أعلى درجات الكمال الأنبياء والرسل ، ثم أتباعهم من المؤمنين : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ۝٧٠ ﴾ [النساء: ٦٩ – ٧٠] .

وحتى يحبك الله كن كبيرًا في كل ذلك، في نيتي أكون كبيراً، نيتي إصلاح نفسي ، وأهلي ، وعشيرتي ، وقومي ، وبلدي ، وما حول بلدي والناس ، والعالم كله .

والله سبحانه يعطي الأجر الكبير على قدر هذه النية الكبيرة، إذا نويت وبدأت بالعمل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ۝٧٧ ﴾ [الحج: ٧٧] .

يجب علينا أن نعرف الله الكبير، ونتجاوز هذا المُلك العظيم إلى ربه الملك العظيم، نتجاوز هذه المخلوقات العظيمة الكبيرة إلى الكبير إلى العظيم؛ فنتعرف على أسمائه وصفاته، ونعبده بما جاء عن رسوله ﷺ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ۝١٩ ﴾ [محمد: ١٩] .

والإنسان لله خلقًا وعلمًا وعملًا؛ فلا يليق بالإنسان أبدًا أن يعبد غير الله من الصغار سواءً كان مثله من الناس ، أو أكبر منه كالشمس والقمر، أو دونه كالأحجار والأصنام، لأن كل ما سوى الله عبيد مخاليق ليس بأيديهم شي : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٠٣ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

والعبادة هي الطاعة، فمن أطاع غير الله في معصية الله فهو عبد له .

فلا يليق أبدًا بالإنسان الذي خلقه الله لعبادته أن يكون عبداً لغير الله: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ

مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

فإن أعرض عن ربه إلى غيره حق عليه العذاب : ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

فالحمد لله أن عرفنا باسمه الكبير، باسمه العظيم، باسمه الملك، حتى نتعرف عليه ، ونتصل به ، ونتعلق به، ولا نتعلق بما دونه .

الله جل جلاله هو الكبير في ذاته، الكبير في أسمائه، له الأسماء الحسنى، الكبير في صفاته، له الصفات العلا، الكبير في أفعاله، هو الكبير المتكبر عن صفات النقص والعيب والظلم والنوم، هو الكبير المتكبر عن المثيل والشبيه والنظير: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو الكبير المتكبر بذاته، لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

هو المتكبر عن صفات الكمال في الخلق فالله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

فهو المتكبر عن علم الخلق، وقوة الخلق وقدرة الخلق وكرم الخلق .

فهو الكبير المتكبر عن صفات النقص من العيب، والمتكبر عن المثيل والشبيه من الخلق ، والمتكبر عن صفات الكمال في الخلق، لأن صفات الكمال في الخلق موهوبة، وصفات الله أزلية .

أما صفات الخلق فهي موهوبة وهي من خزائن الله، فالله كريماً هو الذي جعل هذا كريمًا، وهذا عالمًا ، وهذا قويًا وهذا سميعًا وهذا بصيرًا، والموهوب قد يُسلب، والمسلوب والموهوب سوف ينتهي، ينتهي بماذا؟ بالموت؛ لكن الكبير المتكبر هو الله وحده لا شريك له، الذي له الكبرياء في السموات والأرض؛ لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣].

أما العبد فلا يليق به الكبر والتكبر، لأنه فقيرٌ ضعيفٌ عاجزٌ محتاج، وهو قبل هذا كله كان معدومًا فأوجده الله، ومملوكًا لله ﷻ ، وجاهلاً فعلمه الله ، وفقيراً فأغناه الله ، وضالاً فهداه الله ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى: ٦ – ١١] .

فالله ﷻ هو الكبير الأكبر المتكبر، فيجب أن نتعرف على أسماء الله، ونعرف كبرياء الله وعظمته وجلاله وجماله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

وأسماؤه الحسنى وصفاته العلا، لا تحيط بها العقول، ولا تتصورها الأفهام، ولا تدركها الأبصار والأفكار، فالله أكبر وأعظم من ذلك كله: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج/ ٧٤].

فأسماء الله لا بداية لها ولا نهاية؛ كذلك يجب أن نعرف أن معرفة الله بحر لا نهاية له، ومعرفة الإنسان عن ربه بل معرفة البشرية كلها لا تساوي بلل مخيط غمس في البحر، الله ﷻ عظيم بذاته وأسمائه وصفاته، كبير بذاته وأسمائه وصفاته: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران/ ٢].

حي بصفات الكمال، صفة السمع ، صفة البصر ، صفة الكرم ، صفة الغنى ، صفة القوة، صفة العلم، صفة الإحاطة، صفة الرحمة، صفة الكبرياء، صفة العزة: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

سبحانه لا إله إلا هو العلي الكبير، لا نهاية لعظمته وقوته وعلمه، ولا نهاية لجلاله وجماله، ولا نهاية لملكه وسلطانه؛ لأنه عظيم بذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨] .

أما المخلوق فهو موهوب، موهوب من الله إيجادًا ، وموهوب من الله صفاتاً، فمن أقبل على الله، رزقه من أسمائه الحسنى ما يكتسب به الشكر والحمد من ربه جل جلاله، فالله ﷻ يحمد الإنسان الذي يؤمن به ويطيعه ويعبده ويكرمه في الدنيا ويكرمه في الآخرة، الله

ﷻ لا بداية ولا نهاية لذاته وأسمائه وصفاته؛ لأن الله ليس كمثله شيء، أما المخلوق فلحياته بداية ونهاية، ولرزقه بداية ونهاية، ولعلمه بداية ونهاية: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ١ – ٢].

فالله ﷻ وحده وهو الكبير المتكبر، لماذا؟ لأنه عليم بكل شيء، محيط بكل شيء، قادر على كل شيء، عنده خزائن كل شيء، قاهر لكل شيء، خالق كل شيء جل جلاله.

فإذا تكبر جل جلاله، فلأنه يعلم أنه وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، ويعلم أنه الكبير وحده لا شريك له، وأنه العظيم وحده، وأنه الخالق وحده، وأنه الرحمن وحده، وأنه العزيز وحده، ولهذا يمجد نفسه في القرآن، حتى نعلم العظيم والكبير فنعظمه ونكبره، ونعرف الكريم ونعرف الغني فنحبه ونتقرب إليه؛ لأنه وحده منه الفضل والإحسان والإنعام: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

هو الكبير الذي تنزه عن الشريك والمثيل، وتنزه عن صفات العيب والنقص، وتنزه عن الحاجة إلى الخلق، فالخلق إنما يجتهدون ويعبدون ويوحدون لمصلحة أنفسهم: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾[العنكبوت/ ٦].

فهو جل جلاله إذا تكبر ووصف نفسه بالكبرياء؛ فلأنه يعلم أنه وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى، ويعلم أنه الكبير وحده لا شريك له، وأنه العظيم وحده، وأنه الخالق وحده، وأنه الخبير وحده، وأنه الرزاق وحده: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو الخالق الذي أوجد الشيء من العدم، وهو الباري الذي أوجد المخلوق الذي خلقه لمهمة، فخلق الشمس للإنارة، والأرض للإنبات، واللسان للكلام والذكر والحمد والدعوة والأذن للسمع، هو الخالق الذي أوجد من عدم، البارئ الذي خلق المخلوق لمهمة، المصور الذي صور كل مخلوق على هيئة معينة، فهذا جبل، وهذا شجر، وهذا إنسان، وهذا حيوان: ﴿ **هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤].

هذه الأسماء العظيمة لا بد أن نعرفها؛ لأن الله هو الخالق وحده جل جلاله، الذي أوجد المخلوقات كلها من عدم، مليارات المخلوقات تخلق في كل ثانية، من عالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الذرات، خلائق لا يحصيها إلا الله، من يخلقها؟.

يخلقها الخلاق العليم الكبير بذاته وأسمائه وصفاته، يخلقها الغني القادر، يخلقها الذي بيده مقاليد السموات والأرض، يخلقها من له الخلق والأمر، يخلقها الذي يقول للشيء كن فيكون: ﴿ **خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ** ﴿١٠﴾ **هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١٠-١١].

فبكلمة واحدة الله ﷻ خلق الكون، قال للسماء كوني فكانت، وقال للنار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم فكانت، وقال لبني إسرائيل الذين عصوه كونوا قردةً خاسئين فكانوا، كذلك قال للسموات والأرض: ﴿ **ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ** ﴿١١﴾ ﴾[فصلت/ ١١].

فهو جل جلاله عظيم كبير في كلامه، كبير في أسمائه وصفاته، كبير في خزائنه.

لابد أن يعرف القلب الكبير ذو الجلال والإكرام، ذو العزة والجبروت الذي له الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم: ﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ** ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

إذا عرف ذلك زهد فيما دونه، وتعلق بالكبير الواحد الأحد جل جلاله: ﴿ **ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

هو جل جلاله له الأسماء الحسنى، وخلق كل حسن، خلق أحسن الزهور، وأحسن

الثمار، وأحسن النجوم، وأحسن الخلائق، وأحسن المعادن، فهو الذي خلق كل شيء، وأحسن خلقه جل جلاله، فلا يخلق إلا كل حسن، ولا يأمر إلا بكل حسن، من الأقوال والأعمال والأخلاق : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨].

فمن جاء بالحسن وامتثل الأمر الحسن من الله ﷻ، وقال القول الحسن: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس: ٢٦].

فأعظم جنة في الدنيا هي جنة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، فمن أشغل بصره وسمعه وجوارحه في الدنيا بطاعة الله ، يوم القيامة الله ﷻ يفتح لهذه العين أن تراه: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

ومن استمع القول الحسن واتبع أحسنه في الدنيا أسمعه الله ﷻ ما يحب ويرضى يوم القيامة فيسمع كلام الله ﷻ: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس/ ٥٨].

ويسمع تسليم الملائكة عليه في الجنة: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٣ – ٢٤].

ويسمع تسليم المؤمنين عليه في الجنة، ويسلم على الملائكة ، ويسمع كل شيء حسن .

و هذا الإنسان إذا كبر الله وحمد الله بلسانه فهو في الدنيا كان ذاكرًا لربه ، حامدًا له ، داعيًا إليه، معلمًا لشرعه، محسناً إلى خلقه، قائماً بالعبادات القولية، فهذا اللسان يوم القيامة يمجد الله ، ويعظم الله ﷻ، ويحمد الله فأهل الجنة يلهمون التسبيح ، والتقديس ، والتكبير والتحميد لربنا ﷻ : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: ١٠].

فالمؤمن في الدنيا ممتثلٌ لـ لا إله إلا الله ، ويوم القيامة قائم بلا إله إلا الله، يعطى ما شاء، ويطلب ما شاء، يوسع له في القصور، فيسكن القصور الملكية؛ لأنه في الدنيا عاش ملكيًا، ملك جوارحه ، وملك أوقاته، وملك شهواته، ففي يوم القيامة ينقله الله من هذا الملك إلى ملك عظيم أبدي : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٠ – ٢٢].

فمن قيد نفسه بطاعة الله في الدنيا أطلق الله جوارحه يوم القيامة، في النعيم المقيم، ونظر إلى الملك العظيم؛ لأنه كبير، ولأنه ملك جوارحه فيوم القيامة يكون بقرب الملك: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[القمر/ ٥٤-٥٥].

فالفقه حقًا هو معرفة الله، ثم معرفة دينه وشرعه، ثم التعبد لله بموجب ذلك، فعلًا للأوامر واجتنابًا للنواهي ، وقلبي مملوء بحب ربنا ﷻ ، وبتعظيمه ، وبالذل له، أعبده بقلبي وقالبي، ببدني وروحي، القلب راكع وساجد لربه، خاضع لأمره، والبدن خاشع وخاضع بجوارحه لربه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر/ ٩].

فسبحان الكبير المتعال، سبحان الكبير الأكبر المتكبر، لا إله إلا هو ، الكبير الذي لا نهاية لعظمته وقوته وعلمه جل جلاله .

والكبرياء صفة كمال لله، لكنها بالنسبة للإنسان صفة نقص، فسبحان العزيز الجبار المتكبر، ورحم الله امرءاً عرف نفسه فوقف عند حده: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾[المعارج/ ٣٩].

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق: ٥-٨] .

فهذا الإنسان ذرة من مخلوقات ربه الكبير، خلقه الله بيده، وغمره بنعمه ، وأكرمه بدينه. فعلى هذا العبد أن يطيع الملك، وعلى هذا الضعيف أن يطيع القوي ، وعلى هذا الصغير أن يطيع الكبير .

فبالصفات التي يحبها الله يترقى الإنسان ، ويتقرب إلى ربه بما دعاه إليه من أسمائه الحسنى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

والله ﷻ هو الكبير وحده لا شريك له، والنفس البشرية مجبولة على حب الكريم، ومفطورة على تعظيم الكبير، النفوس تتعلق بالكبير خوفًا ، وبالكريم محبةً ورغبةً، والتعلق بالعظيم الذي كمل في جلاله وجماله عزة ، وليس ذلك لأحد إلا لله العلي الكبير، فلا أكبر ولا أعظم من الله، ولا أحد أكرم من الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ

﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾[الزمر/ ٦٧].

فلا يظن الناس أن الله يحتاج إلى عباده، وأن عبادتهم تزيده عزة، أو تزيده كبرياء، أو تزيده قوة، بل هو القوي الذي عنده خزائن القوة والذي وهب القوة لكل قوي .

هو الرحمن الذي عنده خزائن الرحمة والذي وهب الرحمة لكل راحم.

فالله خلق مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة يتراحم بها الخلق، فإذا كان يوم القيامة لكمال رحمته تعاد هذه الرحمة إلى تسعة وتسعين رحمة وتكون مائة رحمة يرحم به الرحمن الرحيم خلقه يوم القيامة، فهو واسع الرحمة، واسع المغفرة، واسع العلم : ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: ٧].

وإذا عرفنا ذلك جاءت في قلوبنا عظمة الله وجلاله، وجاء في قلوبنا حبه وتعظيمه؛ لأنه هو الكبير وحده، وهو الكريم وحده لا شريك له : ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر: ٦٥].

وإذا أكثرنا من ذكره عرفنا جلاله وجماله وإذا عرفناه أحببناه ، وإذا أحببناه عبدناه وأطعناه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق: ١٢].

حظ العبد من هذا الاسم الكريم، أن يجالس من هو كبير في علمه، كبير في حكمته، كبير في أقواله وأعماله وأخلاقه .

فحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يجالس ، العلماء بالله وأسمائه وصفاته ، ودينه وشرعه، ويصاحب الحكماء الذين عندهم الحكمة: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة/ ٢٦٩].

والحكمة وضع الشيء في موضعه بحيث تغلب منفعته على مضرته .

الحكمة: وضع الشيء في موضعه، وعبادة الله هي أعظم حكمة، لأننا وجهنا العبادة لمن يستحق العبادة، كبرنا الكبير، وعظمنا العظيم، وسألنا الكريم : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فحظ العبد من اسم الله الكبير هو أن يجالس العلماء، ويصاحب الحكماء، ويخالط الكبراء في دينهم وعلمهم ، وأخلاقهم وتقواهم ، ليستفيد منهم؛ ليكون كبيرًا في أقواله، كبيرًا في أعماله ، في أخلاقه، في إحسانه : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩] .

هذا اللسان صغير بماذا نكبره؟ نكبره بالتكبير، بالتسبيح، بالتحميد لربنا ﷻ، نكبره بالدعوة إلى الكبير المتعال، نكبره بتعليم شرع الكبير جل جلاله، نكبره بتوجيه الناس إلى الكبير جل جلاله، حتى لا تشغلهم الشهوات، ولا يشغلهم الصغار عن ربهم الكبير المتكبر جل جلاله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣] .

فأجلس في البيئة الإيمانية، وأجلس مع العلماء وأختلط بالكبراء في دينهم لأستفيد أقوالًا وأعمالًا وأخلاقًا وفق شرع الله، كم استفاد الصحابة من النبي ﷺ؟! وكم استفادت الأمم من أنبيائهم؟ فأنا كذلك:﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف/ ٢٨].

فالعاقل يكثر من صحبة من هو أكبر منه، ليستفيد من علمه تارة، ومن أدبه تارة، ومن حكمته تارة، ومن عبادته تارة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

والإنسان في الحياة لا بد أن يتوجه إلى شاهد، إلى مقصد، إلى هدف ، حتى يقصده ثم يصل إليه، أذهب إلى مكة، أو أذهب إلى الكويت، أو أذهب إلى لندن، أذهب إلى أي جهة؟ لا بد من توحيد الجهة، فأنا جهتي: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠] .

فأتوجه إلى الله بقلبي وقالبي، وأمتثل أمره ، وأجتنب نهيه ، وأفعل ما يحب، وأجتنب ما يسخط ربي ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] .

واعلم أن الكبير من الناس هو من عرف ربه الكبير حق المعرفة، وعرف أحكامه الشرعية، وعبد ربه ، وانقاد بموجب ذلك إلى ربه ﷻ في كل حال ، هذا هو الكبير من الناس، فلا تراه إلا بين يدي ربه ذاكراً أو قائمًا ، وراكعًا وساجدًا؛ وبين يدي خلقه داعيًا ومعلمًا ومحسنًا: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

لا يستكبرون عن عبادة الله، ولا يستكبرون عن الإيمان بالله؛ لأنهم عرفوا الله الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له .

فهم بين عبادة الخالق ، والإحسان إلى المخلوق ، ينفقون من الماعون ، ولا يمنعون الماعون، اللسان ماعون، أنفق من هذا الماعون بالدعوة بتعليم شرع الله، بذكر الله .

اليد ماعون الإنفاق ، فأنفق في سبيل الله أنفق على الفقراء والمساكين .

العين ماعون أنظر بها في ملكوت السموات والأرض، أنظر بها الآيات القرآنية .

الأذن ماعون لا أمنع هذا الماعون، بل أسمع به كلام الله ﷻ وكلام النبي ﷺ، فأنا أسمع

وأُسمع، وأكبر وآمر الناس بأن يكبروا الله ﷻ، فهؤلاء الذين مما رزقناهم ينفقون:﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾[السجدة/ ١٧].

دخول الجنة برحمة الله، واقتسامها بحسب الأعمال؛ لأن أعمال البشر لا تساوي شيئاً، لأنها من فضل الله عليهم ، فليس لهم حق في الجنة، لكن الله الكريم نحن عبيده ومماليكه فيجب علينا أن نطيعه، فإذا أعطانا الجنة، وأعطانا النعيم المقيم في الجنة ، فهذا فضل منه؛ لأنه كريم يحب أن يعطي ، والعطاء أحب إليه من المنع : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] .

فنتصف بهذا الاسم الكبير على شاكلة العبودية : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

فأسعد الناس من يسعى إلى تكميل نفسه بالإيمان والتقوى، ويكمل غيره بالإيمان والتقوى، فالمسلم الأرض دكانه ، والناس زبائنه ، ودين الله سلعته، فهو يجتهد على القلوب بلا إله إلا الله، ويجتهد على الأبدان بمحمد رسول الله، أقوالًا وأعمالًا وأخلاقًا : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾ [العصر: ١ – ٣] .

كم عدد البشرية الآن؟ ما يزيد على سبعة آلاف مليون، هؤلاء يجب أن نتفكر لكل واحد ، كيف تدخل لا إله إلا الله في قلوبهم؟ وكيف تتزين أجسادهم بمحمد رسول الله؟ ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ ﴾ [آل عمران: ١٠٤ – ١٠٥] .

فهذا جهدنا تزيين أجساد البشرية بصبغة الله، وتزيين قلوبها بالإيمان بالله، لا بد من الجهد على الحديد حتى تخرج منه هذه المصنوعات، وجهد على التراب حتى تخرج منه هذه المنافع، كذلك البشر معادن لا بد من الجهد عليهم حتى يخرج منهم منتج جديد اسمه : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾
[الأحزاب: ٣٥].

ويخرج منهم: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾[التوبة/ ١١٢].

هذا هو الجهد على البشر، فالكبير في نفسه، الكبير من الناس، من هو؟.

هو من قام بعمل الأنبياء من الدعوة إلى الله، وعبادة الله، وتعلم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

والأعمال على قدر النيات، والأجور الكبيرة بحسب النيات الكبيرة، والأعمال الكبيرة لكن أنوي وأبدأ، فالإنسان الكامل من كان كاملًا في نفسه مكملًا لغيره، كامل في نفسه بالإيمان والتقوى على حسب طاقته، مكملًا لغيره بالإيمان والتقوى، عالم في نفسه، معلم لغيره، فمن سرى علمه وخلقه وإحسانه إلى الناس، فهو الكبير من الخلق، الرابح من البشر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾[العصر/ ١-٣].

فباب الأرباح واحد هو باب الإيمان والتقوى، أما أبواب الخسارة فكثيرة، أبواب الكفر والشرك، والنفاق والرياء، وأبواب الكبائر والمحرمات: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٦].

فإذا خسر الإنسان دينه فذلك هو الخسران المبين، الذي ليس بعده خسارة، فالرابح حقًا من كان له جهد على نفسه بالإيمان والتقوى، وجهد على غيره بالإيمان والتقوى، هذا هو باب الأرباح الوحيد: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فالله ﷻ هو الكبير المتعال، وصف نفسه جل جلاله بما هو عليه من الجلال والجمال ، وبما هو أهله من التوحيد والعبادة: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١ – ١٠٣] .

فهو الذي بين أنه الذي يستحق العبادة، لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلا، أكرمنا بالخلق والإيجاد والتصوير ، وأكرمنا بالنعم التي لا تعد ولا تحصى، وأكرمنا بعطاء الألوهية، بهذا الدين الذي يصلنا بربنا ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة/ ٣].

السميع لأقوال الخلق، ٱلْعَلِيمُ بما في الضمائر والقلوب، فالإنسان الذي خُلق في الظلمات ، وأخرج من الظلمات ، وأخرجه ربه من ظلمات الجاهلية، عليه أن يحمد الله على نعمة الهداية : ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

والجاهلية كلها ظلمات، ولا نور إلا في الإسلام : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فالله ﷻ هو الكبير ، لا بد أن أعرف الكبير، أعرف الكبير لأكبره، وأمجده .

ومقصود جميع العبادات أن نكبر الله، وإذا عرفنا الكبير توجهنا إليه بحوائجنا، وصارت ذلتنا له عزة، ولهذا أمرنا الله بالإكثار من ذكره فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣] .

فنحن أذلة بدون الدين، نحن ضعاف فقراء ليس بأيدينا شيء، وعزتنا باتصالنا بالعزيز، وقوتنا باتصالنا بالقوي جل جلاله، فمن أراد أن يكون كبيرًا في أقواله وأعماله وأخلاقه، فليتصل بالكبير، ولينتهي أمره إلى لكبير، تعبدًا ودعوةً ، وتعليمًا وإحسانًا :

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم: ٤٢] .
الله جل جلاله وحده هو العلي الكبير، والكبير من الخلق غالياً يستكبر على الناس، فهو فظ وغليظ وجاف ، ومسيء ، ومستكبر، لكن الله ﷻ هو العلي الكبير الذي له صفات الجلال والجمال، رحمن رحيم ، لطيف بعباده، ملك فرحم، وحكم فعدل، وقدر فقهر، وسُئل فأعطى، وخلق فسوى، ورزق الخلائق، وفرج الكرب، وغاث من استغاث ، وجبر من انكسر ، وشفى من مرض ، وأغنى من افتقر .
هو ملك كبير عظيم ، لكنه لطيف رحمن، وعفو، وحليم: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٣] .
الله يبين لنا صفات جلاله ، وصفات جماله ، أنه هو الكبير، هو الملك، لكن كبرياءه وعظمته وجلاله فيها الرحمة، فيها اللطف، هو الكبير الذي رحم العباد، رزق العباد، وأنعم على من أطاعه وعلى من عصاه من خلقه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .
فالله ﷻ هو الحق الذي أنزل الحق، ودعا إلى الحق، وأمرنا بالحق، عبادة ودعوةً : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾[الحج/ ٦٢].
الله ﷻ كريم خلقنا في أحسن تقويم، وأمدنا بالأقوات، وما أكرم به خلقه من هذا الدين فهو من إحسانه إليهم ، ونعمةً أنعم الله بها عليهم، فيجب عليهم شكرها ، والقيام بحقها : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة: ٣] .
الله ﷻ منه نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ونعمة الهداية، نعمة هذا الدين الكامل .
فلله الحمد أن اختارني من بين ملايين الخلق، وجعلني مسلمًا، جعلني مؤمنًا، جعلني صائمًا، جعلني صادقا، جعلني صابرًا: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن

﴿قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[آل عمران/ ١٦٤].

فبموجب هذه المعارف حقت على الخلق عبادة الحق جل جلاله، والإحسان إلى الخلق؛ لأن الدين ركنان:

عبادة الحق..والإحسان إلى الخلق : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

والإحسان للخلق عبادة من العبادات؛ لأنها امتثال لأمر الله ﷻ، فحقت على الخلق بهذه المعرفة حسن عبادته بالقلوب والجوارح، مادام انكشف الأمر، وتبين لنا من يستحق العبادة، ورأينا فضله وإنعامه، هنا حقت علينا عبادته؛ لأننا نحن محتاجون إليه جل جلاله في كل شيء، في بقائنا ووجودنا ، وطعامنا وشرابنا ، وسائر أحوالنا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

فنحن نعبده جل جلاله، بالقلوب والجوارح وحده لا شريك له، وعلينا عبادته وطاعته، تعظيمًا لشأنه ، وشكرًا له على إحسانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

[البقرة: ٢١ – ٢٢].

بعد أن عرفتم الربوبية، فيجب أن تؤدوا لله حق العبودية، ولهذا من أراد أن يعبد الله حقًا؛ فلينظر إلى عزة الربوبية ، وينظر إلى ذلة البشرية، ذلة البشرية وما هم عليه من الضعف والعجز والفقر والحاجة ، ومن هذا وهذا ينشأ في القلب تعظيم الرب ، وحب الرب : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

فمن أراد أن يتعبد لله حقًا ، ويجد طعم الإيمان ، وحلاوة الإيمان؛ وحقيقة الإيمان فليعلم أنه حين يريد أن يصلي ، ويذكر الله، أو يسمع العلم ، أو يعلم العلم، أو يدعو إلى الله، أو يقوم بأي عمل صالح، عليه أن يشعر ويستحضر عظمة ربه ﷻ، ويتيقن أن الله موجود،

وأنه قريب مني، وأنه سميع لأقوالي، بصير بأحوالي، وأنه قادر على قضاء حاجتي، وأنه يحب أن يقضي حاجتي، لأنه أرحم بالعبد من نفسه؛ لأنه أرحم الراحمين، وخزائن رحمته وسعت كل شيء، وهو أعلم بعباده من أنفسهم : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

فإذا جاء اليقين جاءت النصرة فورًا ، وجاءت إجابة السؤال فورًا .

ما هو مقصود سؤال العظيم ، سؤال الكبير جل جلاله؟ المقصود من سؤال ربنا عَزَّ وَجَلَّ هو إظهار الافتقار والانكسار والخضوع والخشوع لله عَزَّ وَجَلَّ، أما إجابة السؤال فالكريم من الخلق إذا سُئل أعطى، وإذا عاهد وفى، ولا يبالي كم أعطى ، ولمن أعطى، أما الله عَزَّ وَجَلَّ فقد وعد بأنه سوف يستجيب، لكن كيفية الإجابة إليه؛ لأنه أعلم بمصالح عباده: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠] .

مقصود السؤال إظهار الافتقار للواحد الأحد، لماذا الابتلاء بالفقر والمرض والهم والحزن؟ الابتلاء ليظهر العبد الافتقار إلى الله، فإذا علم الله من القلب صدق الافتقار؛ جاءت النصرة فورًا: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٣ – ٨٤] .

وإبراهيم ﷺ لما ألقي في النار توجه إلى ربه باليقين، أنه قريب ، وأنه يسمعه ، وأنه أرحم به من نفسه، أنجاه ربه : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] .

إبراهيم ﷺ لما ضحى بنفسه، لما ضحى بحياته وهب الله له الحياة، لما ضحى بالحياة، الله وهب له الحياة فورًا، ولما ضحى بالبلد الله أعطاه أحسن بلد مكة، ولما ضحى بالولد إسماعيل وأراد ذبحه، الله أنجى الولد ، وأخرج من صلبه أفضل ولد وهو محمد ﷺ الذي كان من نسل إسماعيل.

ولما ضحى بزوجته وتركها بواد غير ذي زرع؛ جعلها الله أماً للعرب، وجعل الله خطواتها عبادة لا يصح نسك الحج والعمرة إلا بالسعي بين الصفا والمروة ، ويونس ﷺ

حين القي في البحر نادى ربه فأجابه : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾ [الأنبياء: ٨٧–٨٨] .

الله ﷻ قريب مجيب، وحكمة السؤال إظهار الافتقار، فإذا كان لسان العبد يسأل ، واليقين على الأدوية، اليقين على مال فلان، اليقين على الوظيفة، فهذا لا يستجاب دعاؤه، إظهار الافتقار عند سؤال الله فوراً يأتي بعده الشفاء والغنى والأمن وما طلبه الإنسان، هذا هو التعبد الحق : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

فعبادة الله ﷻ رحمة لنا ، فضل من الله علينا، وأحسن شيء عبادة الله وحده .

حسن التعبد لله بالقلوب والجوارح وحده لا شريك له هو أحسن شيء، وما سوى ذلك هو أقبح شيء، فالتوحيد هو أعدل العدل ، والشرك هو أظلم الظلم، وأحسن الحسن هو التوحيد، وأقبح القبيح هو الشرك : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥ ﴾ [النساء: ١٢٥].

فنعبد الله بالقلوب والجوارح تعظيمًا لشأنه، ونقول: الله أكبر في الأذان في الإقامة في الصلاة، في الأذكار بعد الصلاة، وهكذا تعظيمًا لشأنه ، وشكرًا على إحسانه، وحق على العباد إشغال قلوبهم بحبه وتعظيمه وتكبيره، وتفريغها من كل ماسواه، وملئها بما يحبه ويرضاه، وإشغال ألسنتهم بذكره وتكبيره ، وحمده وشكره؛ وتحريك جوارحهم بأنواع عبادته لأن من ذاق عرف ، ومن عرف غرف : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾ [الروم: ٣٠] .

إذا عرفت الله توجهت إليه، وإذا عرفت الرسول ﷺ اتبعته ، إذا عرفت الشيطان ابتعدت عنه، إذا عرفت القرآن امتثلت أوامره، إذا عرفت الحلال أخذته، وإذا عرفت الحرام اجتنبته، إذا عرفت الطيبات أخذتها، وإذا عرفت الخبائث اجتنبتها وهكذا : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ ﴾ [فاطر: ٢٨].

من هؤلاء العقلاء؟ هم الكبراء في البشرية، هم المؤمنون: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا

ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

فذلك الإيمان، وتلك التقوى، أوجبت لهم القرب من ربهم، لقربهم من صفاته، هذا الإيمان ، وهذا التوحيد ، وهذه التقوى ، أوجبت لنا القرب من الله؛ لقربنا من صفاته، فهو كريم يحب الكريم، وهو عفو يحب العافين، ويحب المحسنين ، ويحب الصابرين، ويحب المتقين، ويحب المؤمنين، فنحن نقرب من الله بقدر ما نحمل من الصفات الحسنة : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

والقرب من الرب على قدر القرب من العبد : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥] .

وأما خدمة الجوارح ، واستعمالها بوظائف الأعمال الصالحات، فقد أوجب لهم بذلك الجنة، فالقرب من الله ﷻ، والانكسار بين يديه ، والخضوع له؛ أوجب لنا القرب من الله يوم القيامة ، هذا القرب القلبي .

أما خدمة الجوارح التي يشترك فيها المؤمن والمنافق، خدمة الجوارح واستعمالها بوظائف الأعمال الصالحة، على نية صالحة ، وعلى يقين وتوحيد صادق، فقد أوجب لهؤلاء المؤمنين بذلك الجنة ، والنجاة من النار؛ لإجهاد أنفسهم فيما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢] .

فالتعبد حقًا باسم الله الكبير بماذا يكون؟ يكون بالتصاغر لكبرياء الله ، والانكسار بين يديه، والمسارعة إلى طاعته، والذل له ، وعدم الاستكبار عن أوامره، والحياء من معصيته :: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾[الملك/ ١٢].

أنا الله خلقني ورزقني ، وأنا أسكن في ملكه، وآكل من رزقه، وأعطاني الجوارح من فضله ، وجوارحي من نعمه، اللسان من نعمه، والأذن من نعمه، والأقدام، والأيدي

والأرجل من نعمه، والعقل من نعمه، فكيف أعصيه بنعمه؟ مع أنه أعطاني هذه النعمة لأشكره بها: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل/ ٧٨].

تشكرون المنعم، تشكرون الرزاق، تشكرون الكريم، تشكرون القادر الخالق البارئ المصور الكبير المتعال جل جلاله، هذا التعبد في الباطن : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] .

وأما التعبد بذلك في الظاهر فيكون بتكبيرالله باللسان، وتعظيمه وتوحيده ، وحمده وتسبيحه، وسجود الأعضاء له، وتمريغ الوجوه في التراب ذلًا بين يديه، وذرف الدموع بين يديه حياءً وصغارًا وخشوعًا لله العزيز الجبار المتكبر جل جلاله، ومجانبة كل مكروه إليه : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ – ١١] .

هذا هو أداء العبودية للكبير جل جلاله بالقلوب والجوارح ، أن يكون هذا البدن بين يدي ربه ساجدًا وراكعًا ، وداعيًا إلى ربه ، وذاكرًا له، ومسبحًا بحمده مطيعاً لربه مجتنبًا لمعاصيه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج/ ٧٧].

الله ﷻ هو العلي والكبير في العزة والجبروت ، والكبرياء والعظمة .

وصفة الكبرياء لله ﷻ من أعظم الصفات، لماذا؟ لأن الله له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا، وله هذا الملك العظيم ، وله الخلق والأمر ، وله ملك السموات والأرض وما فيهن: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦ - ٣٧].

فاستشعار صغار النفس وضعفها في التعبد أمام ربها هو العبودية.

فمن أراد التعبد حقًا فلينظر إلى كبرياء الربوبية ، وذلة العبودية البشرية، فالكبرياء رداء الله ﷻ، والعظمة إزاره، والكبرياء أعظم من العظمة ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج: ٦٢] .

فيجب على المسلم الذي يريد هذا التعبد المثمر أن يستشعر عظمة ربه، وصغر قدر نفسه، وضعفها عند التعبد أمام ربها، وافتقارها وذلها بين يدي ربها الكبير جل جلاله .

هذا التعبد هو أعظم شيء، وهو الذي يريده الله ﷻ ، أن نكبر الكبير ، ونعظم العظيم، ونفتقر أمامه ، ونظهر الذلة والتصاغر بين يديه، وهذا هو أعظم قربة إلى الكبير سبحانه:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[المؤمنون/ ٥٧-٦١].

ولهذا كان ثواب هذا العمل، وهذا الافتقار ، وهذا التصاغر، ثوابه يوم القيامة إكبار قدر العبد، وإكبار منزلته ، وإكبار نعيمه، وقربه من ربه الكبير الذي كبره وعظمه في الدنيا، في ملك كبير من الملك الكبير: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٠ – ٢٢] .

وكان عقاب من أظهر الاستكبار عن الإيمان بربه، والبعد عنه ، والإعراض عن شرعه، كان عقاب من كفر بالله المقت، والإعراض عنه ، وإهانته وتصغير قدره يوم القيامة كما قال سبحانه لأهل النار : ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[المؤمنون/ ١٠٨-١١٠].

والاستكبار عن عبادة الله ، وعن توحيده والإيمان به ، أعظم ذنب، وقد توعد الله ﷻ هؤلاء بالعذاب العظيم : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠] .

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ

﴿وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١﴾ [الأعراف: ٤٠ – ٤١].

والله ﷻ صغر أجسام المستكبرين عن عبادته، يطؤهم الناس بأقدامهم في المحشر إهانةً لهم، وكبر أجسامهم في النار لينالوا من العذاب أكبره وأشده، فجسم الكافر سيكبر يوم القيامة؛ لأن هذا الجسم له باع طويل في المعاصي؛ فيكبر في نار جهنم حتى يكون الإنسان الكافر زاوية من زوايا جهنم يوم القيامة نسأل الله السلامة: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤﴾ [الأنعام/ ١٢٤].

صغار في القلوب، وعذاب شديد على الأبدان.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل يا أرحم الراحمين.

وإذا عرفنا أن ربنا ﷻ هو الكبير المتكبر، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا يليق بنا، أن نخضع لغيره وأن نطيع غيره، وأن نمتثل أمر غيره، بل علينا أن نطيعه ونعبده وحده لا شريك له، ونعرض عن كل ما سواه، ونلزم أنفسنا التصاغر والتذلل للعزيز الجبار المتكبر وحده لا شريك له: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

واعلم أخي المسلم وأختي المسلمة أن من أطاع المخلوق، وعصى الخالق، فما قال الله أكبر، ما قال الله أكبر حتى يطابق قلبه لسانه.

ومن امتثل أمر الله دخل الصلاة، وخالفه خارج الصلاة فما قال: الله أكبر بقلبه، فعلينا أن نعبد الله ظاهرًا وباطنًا، ولا نخالف أمره ونستكبر عن عبادته، فنشقى في الدنيا والآخرة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر/ ٦٠].

يا عبد الكريم ما قدر الله حق قدره، من كفر به، أو أشرك معه غيره، أو صرف العبادة لغيره ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا، ولا حياةً ولا موتًا ولا نشورًا، وترك الخضوع والذل للرب العلي الكبير المتكبر: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ

شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾[النحل/ ١٧-٢٢].

الله ﷻ لا يحب المستكبرين، إنما يحب المتقين، يحب المؤمنين، يحب المحسنين، فاخضع لربك العزيز الجبار الكبير المتعال، بتذلل وصغار وانكسار، تكن من المصطفين المقربين الأخيار الذين اختارهم الله ، وعلم في قلوبهم الصلاحية لقبول الإيمان، فمنَّ عليهم بهذا الفضل العظيم : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة: ٤] .

وكن كبيرًا في توحيدك ، وإيمانك ، وأعمالك الصالحة، وكن كبيرًا في أخلاقك ، في الصدق والصبر والإحسان ومكارم الأخلاق: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

وإياك والكبر، فإنه أصل أخلاق الشر كلها، فلا يظهر منك في قول ولا فعل، ولا في هيئة ولا في خلق:﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[لقمان/ ١٧-١٩].

- **واعلم رحمك الله أن الكبر قسمان:**

منه ما هو محمود .. ومنه ما هو مذموم.

فالمحمود من الكبر التكبر على أعداء الله المعاندين ، وإظهار العزة والشجاعة أمامهم : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة: ٥٤] .

فالله جل جلاله في مقام الجهاد في سبيل الله يحب العجب والخيلاء أمام الأعداء، فالتكبر على أعداء الله المعاندين، والتكبر عن المعاصي والرذائل هذا كله محمود .

والمذموم من الكبر هو الاستكبار عن عباد الله ، وعن طاعة الله ورسوله، والاستكبار

عن طاعة من تجب طاعته، والتكبر على الناس : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأعراف/ ٤٠-٤١].

فالتصاغر بين يدي الله ﷻ، والتذلل بين يديه، هو العزة هو الرفعة عند ربنا ﷻ .

التصاغر بين يدي ربنا الكبير هو الشرف بل هو أعلى الشرف، وهو التصاغر لمن تجب طاعته وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ [السجدة/ ١٥].

فتصاغرك لذي دنيا لدنياه هدم لدينك، وتصغير لقدرك عند الكبير المتعال، فاستقم كما أمرت مكبرًا الواحد الأحد ، وحده لا شريك له، واستقم كما أمرت لا كما اشتهيت : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٢ – ١١٣] .

إذا أنعم الله علينا بنعمة الخلق والإيجاد ، ونعمة الجاه، ونعمة الجمال، ونعمة العافية، ونعمة الأموال، ونعمة الأولاد، لا نستكبر عن عبادة الله ﷻ، بل نحن أحوج الناس إلى عبادته وشكره جل جلاله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] .

واعلم أن من غمط الناس ازدراهم، ومن ازدراهم رد الحق على قائله، وهذا أصل العصيان كله، وعذابه أشد العذاب كله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النحل/ ٨٨].

فإياك أن ترد الحق على قائله الذي أوصله إليك، فتكون فيك الصفات التي لعن الله إبليس من أجلها كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة/ ٣٤].

وقال النبي ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ،قال رجل: إن الرجل**

يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنًا، قال: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»أخرجه مسلم[1].

فإياك يا عبد الكبير أن تنظر إلى أحد من خلق الله بعين الاستكبار والاستصغار والاستهزاء والاحتقار، فذلك فسق وظلم تجب التوبة منه فورًا: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝١١**﴾[الحجرات/ ١١].

فنتواضع لربنا ﷻ، ونظهر التذلل بين يديه، ولا نستكبر عن عبادته جل جلاله؛ فالله ﷻ هو الكبير الأكبر المتكبر وحده لا شريك له؛ فهو الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض ، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته؛ فنوحده بذلك .

أما العبد فلا يليق به الكبر، والتكبر والاستكبار؛ لأنه فقير صغير ضعيف عاجز محتاج إلى ربه ﷻ؛ فلا حق له في الكبرياء أبدًا، وقد توعد الله كل متكبر عن الإيمان وعن عبادة الله بالنار : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠**﴾[غافر/ ٦٠].

وقد لعن الله إبليس لكفره واستكباره، وأغرق فرعون لكبره وكفره واستكباره، وأغرق قوم نوح لكفرهم واستكبارهم ، ودمر قوم عاد لكفرهم واستكبارهم، وهكذا كل من استكبر عن عبادة الله ، وعن طاعة رسل الله واستكبر وأعرض عن دين ربه اخذ العقوبة فورًا: ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠**﴾[العنكبوت/ ٤٠].

فالمتكبرون أبعد الخلق عن الله وعن دينه، ومن تلبس بالكفر والكبر فقد تلبس بما ليس له فيه حق، الذي يتلبس بالكبر والكبرياء لبس ثوبًا ليس له؛ تلبس بما ليس له فيه حق؛ لأن الكبرياء لخالق السموات والأرض، لبديع السموات والأرض، الذي له ملك

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٩١).

السموات والأرض، خالق كل شيء، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

فالكبر والكبرياء حق خالص لله وحده لا شريك له.

وحظ الإنسان من هذا الاسم الكريم، التواضع للكبير، والتكبر على أعداء الله، فمن تواضع لله رفعه، ومن تكبر أذله الله في الدنيا والآخرة.

والله ﷻ هو العزيز الجبار المتكبر؛ ولهذا يوم القيامة يقول: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أين ملوك الأرض.

هو ملك في الدنيا والآخرة؛ لكن في الدنيا الله ملكنا جوارحنا فيوم القيامة يخلص الملك له جل جلاله، فمن استكبر عن عبادة الله لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا كما قال سبحانه عن الكفار: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[الفرقان/ ٢٣].

فأعمال جميع الكفار مهما كانت نافعة فإن الله لا يقبلها يوم القيامة، إنما يجزى بها من عمل بها في الدنيا صحةً في البدن، أو مالًا أو أولادًا، أما أعمال جميع الكفار مهما كانت نافعة فإن الله لا يقبلها، لماذا؟ لأنها خالية من التوحيد والإيمان، لا روح فيها ولا إيمان فيها، ولا توحيد فيها، ولم يقصد بها وجه الله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾[إبراهيم/ ١٨].

الكافر أضل الناس، المستكبر أضل الناس، المشرك أسفه الناس، وضلال الناس ثلاثة أقسام:

الضلال الكلي هو ضلال الكفار والمشركين.

والضلال الجزئي هو أن أفعل طاعة، وأفعل معصية.

والضلال الدعوي هو أن يقوم المسلم بعبادة ربه بالأوامر الشرعية، ويترك الدعوة إلى

الله، ويكون صالحًا لا مصلحًا، عالمًا لا معلمًا، ذاكرًا لا مذكرًا : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥] .

وقد مدح الله في كتابه الأنبياء فقط، أما نحن فالله مدح النبي ﷺ، ثم ثنى بأمته فقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وقال سبحانه : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠] .

فهذه الأمة الله مدح نبيها، ومدحها هي؛ لأنها قائمة على وظيفة الأنبياء والرسل، وهي الدعوة والعبادة؛ فالله ﷻ ذم الأمم السابقة ، وكشف لنا عوراتها؛ حتى لا نقع فيما وقعت فيه، وذكر الله ﷻ أحوال المستكبرين، أحوال أهل الشهوات، وإعراضهم عن الأنبياء، وصدهم لدعوة الأنبياء، فالله ﷻأخذهم أخذ عزيز مقتدر، إما بالإغراق، أو الإحراق أو الخسف أو المسخ أو غير ذلك من العقوبات التي خلت بالأمم السابقة : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

لكن عذاب الاستئصال رفع عن هذه الأمة ، أما الأمم السابقة فالله ﷻ أنجى نوحًا ﷺ ودمر قومه، وحفظ هودًا ﷺ ودمر قومه، وحفظ صالحًا ﷺ ودمر قومه : وحفظ شعيباً ﷺ ، وأهلك قومه .

وهذه العقوبات كلها بسبب الكفر والكبر والإعراض والصد عن سبيل الله .

فالله ﷻ لا يحب المستكبرين جل جلاله؛ والله ﷻ أمرنا بالتواضع، والإحسان، وأن نحذر الفخر والعجب والبطر، ونجعل الكبرياء لله ﷻ وحده لا شريك له، ونستسلم له: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ

ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾﴾[لقمان/ ٢٢-٢٤].

الله ﷻ بيّن أحوال هذه الأمم الظالمة في سورة الأعراف، في سورة الأنبياء، في سورة الشعراء، وفي سورة طه، وفي سورة إبراهيم وغيرها من السور.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم هداةً مهتدين، نكبر الكبير ، ونعظم العظيم، ونشكر الكريم، ونوحد الواحد الأحد .

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك .

اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات ، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، لا مانع مما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

اللهم بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الجبروت والملكوت والكبرياء، يا ذا العزة التي لا ترام، ارحم ضعفنا واجبر كسرنا، واختم بالصالحات أعمالنا، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا يا أرحم الراحمين .

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

البـاب السادس

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٢٦- اسم الله العظيم.

التعبد لله عز وجل باسمه الله العظيم.

٢٧- اسم الله القوي.

التعبد لله عز وجل باسمه القوي.

٢٨- اسم الله المتين.

التعبد لله عز وجل باسمه المتين.

٢٩-٣٠- اسم الله القهار.. القاهر.

التعبد لله عز وجل باسمه القهار.. القاهر.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

العظيم

اسم الله العظيم

الله ﷻ هو العظيم الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا والأفعال العظيمة ، والمثل الأعلى :﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه/ ٨].

والله ﷻ هو العظيم وحده لا شريك له، العظيم الذي لا أعظم منه، العظيم الذي خلق كل عظيم كالعرش والكرسي ، والسموات والأرض : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

هو الرب العظيم الذي خلق الخلائق كلها ، ودبر الأوامر كلها:﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾[الأعراف/ ٥٤].

- الله ﷻ هو العظيم وحده لا شريك له، وإذا تأملنا في هذا الكون وجدنا فيه ثلاثة :

الأول: كاملٌ بذاته وأسمائه وصفاته لا يحتمل النقصان أبدًا.

الثاني: ناقصٌ لا يحتمل الكمال أبدًا.

الثالث: قابلٌ للكمال والنقص، قابل للإيمان والكفر ، قابل للطاعة والمعصية .

- أما الكامل الذي لا يحتمل النقصان أبداً فهو الله ﷻ الذي له الكمال المطلق في ذاته، وأسمائه ، وصفاته، وأفعاله، ومُلكه، وسلطانه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾ [آل عمران/ ٢] .

الله عز وجل هو العظيم الذي ليس كمثله أحدٌ في العظمة:﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١].

هو الواحد الأحد الذي لم يكن له كُفُوًا أحد في ذاته، وأسمائه، وصفاته ، وأفعاله : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص/ ١ – ٤] .

وأما المخلوقات ، فمن المخلوقات العظيمة التي سخرها الله في الطاعة الملائكة العباد المكرمون، الذين: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم/ ٦].

وهم الذين: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء/ ١٩ – ٢٠].

فهؤلاء أكثر وأعظم المخلوقات التي خلقها الله ﷻ ، والله ﷻ هو العظيم الذي له الكمال المطلق، ويليه من خلقه على قدر خلقه الملائكة الذين سخرهم الله ﷻ لطاعته ، وتنفيذ أوامره في مُلكه العظيم جل جلاله، فهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم/ ٦].

- أما الناقص الذي لا يحتمل الكمال فهم الجمادات والنباتات والحيوانات، خلقها الله ﷻ ، لتدل على جلاله وجماله، وخلقها لتدل على عظمته ووحدانيته ، وخلقها لتعبده وتسبحه ، وخلقها تكريماً لعباده : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

الجماد شيء، والنبات شيء، وكل ذرة في الكون شيء، وكل شيءٍ يسبح بحمد ربه ؛ فهؤلاء غير محاجين بالشريعة ، لكن الله فطرهم على التوحيد ، والتسبيح ، والخضوع لله:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١﴾ [النور/ ٤١] .

- وأما الذي يقبل الأمرين الكمال والنقصان فهو الإنسان، تارةً يعلو بإيمانه وتقواه ، وتارةً يسفل بكفره وفجوره في أسفل سافلين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ [التين/ ٤ –٦].

والناس في الدنيا والآخرة إما خاسر أو رابح : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر/ ١ –٣].

- **ففي الوجود ثلاثة:**

الأول : كاملٌ لا يحتمل النقصان أبدًا ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الجميلة ، وهو الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٨].

الثاني : ناقصٌ لا يحتمل الكمال أبدًا ، وهم عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان، فالله طبعهم على هذا الخلق ، ليؤدون وظائفهم ، ويسبحون بحمد ربهم ، وهم مظهرٌ لجلاله وجماله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨) ﴾ [الحج / ١٨] .

الثالث : هو الذي يقبل الأمرين جميعًا ، يقبل النقص ، ويقبل الزيادة، فبالتذكير يترقى الإنسان ، ليكون من المسلمين، ويكون من المؤمنين، ويكون من الموقنين ، وبترك التذكير يكون من المشركين وإلفا سفين ، والمجرمين والظالمين : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى (١١) ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (١٣) ﴾ [الأعلى: ٩ – ١٣] .

فبالجهد على هذا الإنسان تظهر فيه الصفات التي يحبها الله ﷻ كما في الجهد على الحديد ، والجهد على التراب ، تخرج منها منافع ومصنوعات لا يعلمها إلا الله، ولكن بالجهد على هذا الإنسان الناقص يتعلم بعد جهل، ويوحد بعد شرك، ويتخلق بالأخلاق العالية بعد تخلقه بالأخلاق الرديئة ، ويرجع للحق بعد أن كان على الباطل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

فهذا الإنسان خلقه الله وأمرنا أن نجتهد عليه، فالشمس وظيفتها الإنارة والحرارة، والسحب وظيفتها نقل المياه في العالم، والأرض وظيفتها الإنبات .

وهذا الإنسان له وظيفة أن يهتدي ، ويدعو إلى الهدى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

ثم يجتهد على غيره: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٥٢) ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

- **فكمال الإنسان في أمرين:**

الأول: كمال القوة العلمية بمعرفة الله بذاته ، وأسمائه ، وصفاته، وأفعاله ودينه وشرعه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ (١٩) ﴾ [محمد: ١٩] .

الثاني: ظهور القوة العملية وهي التعبد لله بموجب هذه المعرفة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ ﴾ [الحج: ٧٧].

- **فكمال الإنسان مبنيٌّ على أصلين:**

القوة العلمية .. والقوة العملية.

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾ [العصر: ١ -٣].

﴿ءَامَنُواْ﴾ ، قوة علمية.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ، قوة عملية.

﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ، جهدٌ على النفس.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ ، جهدٌ على الغير.

فللإنسان؛ حتى يكون كامل الإيمان كمالان :

كمال لازم له بالاستقامة على أوامر الله : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ١١٢ ﴾[هود/ ١١٢].

وكمالٌ متعد: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

- **وكمال الإنسان بأمرين كذلك:**

الأول: جهدٌ على نفسه: وهذا كمالٌ لازمٌ للنفس.

الثاني: كمالٌ متعدي: وهو بالجهد على الغير.

فبالكمال اللازم والمتعدي يحصل كمال الإيمان، وبالقوة العلمية والعملية يحصل كمال الهدى والإيمان : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

ونحن نسعى لأن تكون فينا هذه الصفات:

القوة العلمية والعملية ... والجهد اللازم ، والجهد المتعدي : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وهذا يتطلب النظر في الآيات الكونية والنظر في الآيات القرآنية؛ حتى نعرف الخالق

مَن! ، العظيم مَن! الكبير مَن! ، القادر مَن! القاهر مَن! : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٍ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١] .

ثم تأتي في قلوبنا عظمة الله ، وإذا عظمناه عظمنا كتابه ، وامتثلنا ، وأطعنا رسوله ، ثم نلنا ثوابه العظيم في الجنة : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

فالله ﷻ هو الرب العظيم الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلا، الذي خلق الخلائق كلها ، ودبر الأوامر كلها: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

هو العظيم الذي خلق المخلوقات جميعًا ، وهو الذي يُدبرها جميعًا ، في وقتٍ واحد، فالله يخلق مليارات المخلوقات في أقل من ثانية ، منها ما نراه ومنها ما لا نراه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٦] .

فالملك العظيم جل جلاله له ملكٌ عظيم، وله أوامر عظيمة، ومخلوقات عظيمة، وحُكمٌ عظيم : ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠] .

الله ﷻ هو العظيم الذي خلق كل عظيم جل جلاله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣] .

هو العظيم الذي خلق ويخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات من عالم الجماد والنبات والحيوان وغيرهم .

فكم نبتة الآن نبتت في العالم؟ العظيم أعطاها أمره الملكي بالإنبات فظهرت : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣].

الله ﷻ هو العظيم في ذاته، العظيم في أسمائه، العظيم في صفاته، العظيم في أفعاله، لا إله إلا الله العظيم في مُلكه وسلطانه، العظيم في خلقه وأمره، العظيم في دينه وشرعه، العظيم في ثوابه وعقابه ، لا إله غيره ، ولا رب سواه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا

﴿ تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾[البقرة/ ٢٥٥].

هو سبحانه العظيم الذي تفرد بالعظمة والجلال والكبرياء ، وتوحد بالعزة والجبروت والمُلك والملكوت: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾[آل عمران/ ٢٦].

هو جل جلاله الملك العظيم الذي يعظمه خلقه ويحبونه ، ويرجونه ويخافونه .

هو الرب العظيم الذي يجب أن تكون جميع أنواع العبادة ، له لكمال أسمائه وصفاته ، وعظيم نعمه وإحسانه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

والقرآن كله تعريف بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده ، ووجوب عبادته ، وهذا يدلنا على أنه لا يمكن أن يُعبد الله؛ حتى يُعرف بأسمائه وصفاته وأفعاله جل جلاله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾ [يونس/ ٣].

- **وأوامر الله جل جلاله ثلاثة أقسام :**

أوامر ملكية .. وأوامر شرعية .. وأوامر جزائية.

هذه أوامر العظيم في ملكه العظيم :

أوامره الملكية: المخلوقات فوجدت، وعلى المتحركات فتحركت وعلى الرياح فهبت ، وعلى السحب فأمطرت ، وعلى الشمس فأضاءت ، وعلى الحب فنبت ، وعلى الماء فسال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وأوامره الشرعية: هي الأوامر والنواهي الشرعية التي جاءت في القرآن والسنة ، والموجهة إلى الإنس والجن : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾ [الحشر: ٧] .

وأوامره الجزائية: هي أوامر الوعد والوعيد، فالله العظيم وعد المؤمنين بالجنة

والرضوان، وتوعد الكفار بالنار وسخط الجبار.

فقال عن وعد المؤمنين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال عن وعيد الكافرين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٨].

في كل ثانية أو أقل ينزل من الملك مليارات الأوامر المختلفة على النباتات، والحيوانات، والجمادات، والبحار، والإنس، والجن: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١ - ٣٢].

هو جل جلاله الملك وللملك أوامر، هو العظيم الذي له المُلك العظيم، والمُلك الكبير، والمُلك الواسع، والملك الدائم: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

هو الرب العظيم الذي يستحق أن يُعبد، ويستحق أن يُعظم، لما له من الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، والأفعال العظيمة، والمثل الأعلى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦ - ٨].

فسبحان الرب العظيم الذي دل عباده عليه بآياته ومخلوقاته: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النحل/ ٨١].

والله ﷻ هو الرب العظيم الذي له ما في السموات، وما في الأرض، وله مُلك السموات والأرض، الذي بيده الخلق والأمر وحده: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس/ ٣].

ومن عرف ربه العظيم حقاً ، آمن به حقاً ، وأحبه حقاً ، وعبده حقاً : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾[يونس/ ٥].

هو العظيم الذي كل أفعاله عظيمة: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الرعد: ٢].

هو جل جلاله الوتر ، وكل ما سواه شفع، هو العظيم الذي لا يحتاج إلى شفع، وكل مخلوقاته سواه شفع: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[الذاريات/ ٤٩].

هو العظيم الذي خلق كل عظيم في العالم العلوي والعالم السفلي : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[الرعد/ ٣-٤].

فهذا الاسم العظيم من أسماء الجلال لله ﷻ : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٤].

- والقلب لابد أن يعرف الله ﷻ بأسماء الجلال ، وأسماء الجمال: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾[المائدة: ٩٨].

نعرف أسماء الجلال: كالعزيز، والقهار، والقوي ، والجبار، والملك؛ حتى نهابه ونخافه ونخشاه.

ونعرف أسماء الجمال: كالكريم، اللطيف، الغفور، الرحيم؛ حتى نُحبه.

وإذا خِفنا منه ، وأحببناه ، أطعناه وعبدناه ، ثم سعدنا في الدنيا والآخرة، ثم نلنا ثوابه العظيم يوم القيامة بموجب هذه المعرفة ، وبموجب هذا العمل : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

وكل القرآن بيان لعظمة الله ، وعظمة أسمائه ، وصفاته ، وعظمة مخلوقاته، ووجوب

عبادته ، وبيان وعده ووعيده ، ووجوب إتباع رُسله:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد/ ١٢-١٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

هو العظيم الذي له الأسماء الحُسنى ، وله الصفات العلا ، وله الأفعال الجميلة ، وله مُلك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، المُلك مُلكه ، والخلق خلقه ، والأمر أمره:﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠].

فلإكمال القوة العلمية المثمرة للقوة الإيمانية ، المثمرة للقوة العملية ، المثمرة لرضوان الله ودخول الجنة لابد من معرفة الله بأسماء جلاله وجماله، لابد أن نتعرف على ربنا ﷻ بأسمائه الحُسنى ، وصفاته العلا؛ حتى نعبده بما يليق بجلاله من الحب والتعظيم والذل له : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠١-١٠٢] .

هو ﷻ العظيم الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه، الذي بيده ملكوت كل شيء، الذي خلق كل شيء:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر/ ٦٤].

ثم قال:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر/ ٦٤].

يعني اعبدوا من هذه صفاته ، وهذه أفعاله:﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

فنحن نعبد ربًا، ملكًا، حيًا، قيومًا، قوياً ، سميعاً ، بصيراً ، عليماً خبيراً ، غنياً كريماً ، خالقاً ، رازقاً : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨] .

والله ﷻ يذكرنا بأسمائه وصفاته وأفعاله في القرآن؛ حتى نتعلق به وحده ، وندعوه وحده ، فهو الرب العظيم، وهو الإله العظيم، الذي يعظمه خلقه ويحبونه ، ويرجونه ويخافونه، الرب الذي يجب أن تكون جميع أنواع العبادة له، لماذا؟ لكمال أسمائه وصفاته ، وعظيم نعمه وإحسانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس/ ٣].

هو جل جلاله الإله العظيم ، والرب العظيم ، الذي له الأسماء الحُسنى ، والصفات العلا، فلابد للقلب أن يسمع من اللسان تعظيم الله، فالعين توصل إلى القلب المبصرات التي تدل على عظمة الله وكبريائه ، وعظمة ملكه وسلطانه، والأذن تسمع عن الله ، واللسان يتكلم عن الله ، وكلها تصب في القلب عظمة الله ، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله.

فإذا صبت ذلك في القلب امتلأ إيمانًا ، ثم امتلأ نورًا ، ثم انشرح للطاعات ، ثم جاء فيه الخشوع لله ، والتعظيم لله ، والتكبير لله، والحب لله ، والحمد لله ، ثم انطلق ذلك من القلب إلى اللسان ليذكر الله ، ويُثني على الله ويحمد الله ، ويسبح الله ، ويكبر الله، ويدعو إلى الله ، ويعلم شرع الله ويقول القول الحسن، وأنطلق عبادة بالجوارح ، وتعبد لله ﷻ بما يليق بجلاله من الصلاة والزكاة ، والصوم والحج ، والأذكار والأدعية وغير ذلك من أنواع العبادات : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

والربوبية والإلوهية متلازمتان ، فالإلوهية مبنية على الربوبية، فمن لم يعبد الله حقًا فإنما قصر في معرفة الرب حقًا، فإذا اكتملت معرفة العبد لربه بأسمائه وصفاته وأفعاله على قدره جاءت الطاعات العظيمة ، وجاء اليقين الكامل ، وجاء الحب لله ، فعبد المؤمن ربه بكمال الحب ، وكمال التعظيم ، وكمال الذل لله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ [السجدة: ١٥].

والربوبية موجبة للإلوهية ، فالذي خلقني ورباني يجب أن أعبده وحده : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

﴿رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾
[الأنعام: ١٠٢].

وهو سبحانه العلي العظيم، المستحق لنعوت الجلال والجمال والتعالي، الخالق لكل شيء، المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، القاهر لكل شيء، القريب من كل شيء، الحافظ لكل شيء، الذي لا يُعجزه شيء، ولا يفوته شيء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفنا ذلك عظمناه، لكمال قدرته، وكمال علمه، ووحدناه بذاته وأسمائه وصفاته، وأجبناه وحمدناه لكمال إحسانه وإنعامه ثم عبدناه بموجب هذا العلم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس: ٣].

واسم الله العظيم ورد في القرآن ست مرات منها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وورد في السنة كذلك.

الله ﷻ عظيم الشأن، كبير القدر، واسع الرحمة، واسع العلم، واسع المغفرة، عظيم القدرة، عظيم الذات والأسماء والصفات والأفعال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر/ ٢٤].

- **والتعظيم لله ﷻ يكون بأمرين:**

الأول: وصف الله ﷻ بصفات الكمال من العلم المحيط، والقدرة النافذة، والرحمة الواسعة، والكبرياء والعظمة، وتنزيهه عن صفات النقص والعيب، وتنزيهه عن الشريك والمثيل، وتنزيهه عن صفات الخلق مهما كانت عالية، فالله ليس كمثله شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

هو العظيم الذي ليس كمثله شيء في العظمة، هو الكبير الذي ليس كمثله شيءٌ في الكبرياء، هو القوي الذي ليس كمثله شيء في القوة، هو الرحمن الذي ليس بمثله أحد

في الرحمة، هو الواحد الذي ليس كمثله أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

هو الإله الذي لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

فنتحدث عن الله ونعظمه بألسنتنا؛ حتى تأتي عظمته في قلوبنا، ونسمع عن عظمة الله بآذاننا، حتى نأتي عظمته في قلوبنا: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

الثاني: تعظيم الله وتكبيره بالقلوب والألسن والجوارح، فإذا وصفناه بهذه الصفات تبينا وتيقنا أن الله ﷻ له الأسماء الحُسنى، والصفات العلا فتقوى العبادة في قلوبنا وهي تعظيم الله، وتعظيم أوامره.

ومقصود جميع العبادات تعظيم الله وتكبيره؛ وتعظيم أمره، لأننا إذا عرفنا أنه عظيم، وأنه كبير، وأنه هو الرازق الكريم المحسن أحببناه، وعظمناه، ثم عبدناه، وإذا عبدناه نلنا ثوابه ورضاه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

هو جل جلاله العظيم المستحق للعبادة والتعظيم وحده لا شريك له: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

هو العظيم قبل أن نعظمه، والكبير قبل أن نكبره، والحميد قبل أن نحمده، وهو الواحد

الأحد قبل أن نشهد له بالوحدانية، وهو الذي سبح بحمده قبل أن يسبحه، وقدس نفسه عن صفات النقص والعيب قبل أن ننزهه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

فهو ﷻ العظيم الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو المستحق للتعظيم والحب وحده من جميع خلقه ويحصل ذلك للعبد في بذل الجهد في معرفته بأسمائه وصفاته، والنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات الشرعية.

ويورث هو العلم العظيم محبة الله، وتعظيمه، والذل له والانكسار بين يديه، والخضوع لعظمته وكبريائه، والخوف منه، والخشية له: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ويورث تحريك اللسان بحمده، والثناء عليه، والدعوة إليه، وقيام الجوارح بشكره وعبادته محبةً له، وتعظيمًا وذلًا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد/ ١٩].

فالله جل جلاله هو العلي العظيم، هو العلي الكبير، هو العزيز الجبار المتكبر، الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض، العظيم ذو الجلال والإكرام، وذو العزة والجبروت: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

هو العظيم الذي تضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصاغرت في جانب جلاله وكبريائه ألوف الملوك القاهرة، وذلت لعزته جميع العبيد في الدنيا والآخرة: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران/ ٨٣].

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

هو جل جلاله العظيم المالك القادر، القاهر لكل شيء، نواصي العباد بيده، وقلوبهم بيده، فلا يتصرفون ولا يعملون إلا بإذنه ومشيئته، ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإرادته: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦].

هو جل جلاله العظيم في وحدانيته، هو الواحد الأحد الذي له الكبرياء والعظمة وحده لا شريك له، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وله المُلك كله، وإليه يُرجع الأمر كله، ومنه الفضل كله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

فسبحان الله ما أعظمه، وما أعظم قدرته، وما أعظم كبرياءه.

والكبرياء أكبر من العظمة؛ لأن الكبرياء يتضمن العظمة ويزيد عليها، ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الأذان والإقامة والصلاة بقول: الله أكبر، فذلك أكمل من قول: الله أعظم، فالكبرياء رداؤه جل جلاله، والعظمة إزاره، والرداء أعظم من الإزار، وأكبر وأوسع.

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «**الْكِبْرِيَاء رِدَائي، وَالْعَظَمَة إزَارِي، فَمن نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَبْتُه**» أخرجه مسلم [1].

فالله ﷻ له الكبرياء والعظمة، والجلال والجمال، والحمد والشكر: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

والله اسمه العظيم، اُشتق منه صفة العظمة وهي من صفات الله الذاتية والفعلية الثابتة في القرآن والسنة، قال الله ﷻ: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣﴾ [الحاقة/ ٣٣].

وقال ﷻ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢﴾ [الحاقة/ ٥٢].

وفي السنة في الصلاة في الركوع نقول: سبحان ربي العظيم وبحمده، سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة.

وفي السنة دعاء الكرب: «**لَا إِلَه إِلَّا الله الْعَظِيم الْحَلِيم، لَا إِلَه إِلَّا الله رب الْعَرْش الْعَظِيم،**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

لَا إِلَه إِلَّا الله رب السَّمَوَات وَرب الأَرْض، ورب الْعَرْش الْكَرِيم» متفقٌ عليه(1).

فالله ﷻ أمرنا أن نتعرف على أسمائه وصفاته وأفعاله؛ حتى نعرف عظمته وكبرياءه، وإنعامه وإحسانه وإذا عرفنا ذلك أطعناه وأحببناه، وحمدناه وعبدناه.

فهو سبحانه العظيم الحليم الذي على عظمته وكبريائه، وجلاله وقوته، غفورٌ حليم، رءوفٌ رحيمٌ ودود، وحلمه وعفوه ومغفرته عن قوة وعظمة، ليس عن عجز وحاجة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فسبحان من عظمته يزينها الحلم والرفق والعفو والرأفة والرحمة.

أما عظماء البشر وملوكهم وطغاتهم فالغالب عندهم ضعف الحلم، وقلة العفو؛ لأنهم يغترون بعظمتهم، فيبطشون بمن خالفهم لضعف الرحمة في قلوبهم، وعظمة الكبر في نفوسهم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ٤﴾ [القصص/ ٤].

فإذا جاءت العظمة في قلوب البشر، فالغالب أنها تدفعهم إلى التسلط وظلم الخلق كما حصل من فرعون وغيره من الطغاة المتجبرين الظالمين: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ٥٥﴾ [الزخرف: ٥٥].

فسبحان الرب العظيم الكبير المجيد، الذي تمجد بالكبرياء والعظمة، الذي له الكبرياء والعظمة، والعزة والجبروت، والمجد والجلال والجمال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

هو جل جلاله الملك العظيم الذي له صفات الجلال وصفات الجمال.

- **ومن صفات جلاله وجماله: الجبار:**

فهو جل جلاله العظيم الجبار الذي يجبر قلوب المنكسرين، ويجبر قلوب المظلومين، وهو جبارٌ على الظلمة والطغاة والمفسدين، وهو جبارٌ للمظلومين والمساكين يجبر

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

قلوبهم: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى/ ٦-٨].

فهو ﷻ يجبر قلوب المنكسرين، فمتى ما أظهرنا الذلة والمسكنة للجبار يجبر قلوبنا.

فصفة الجبار جل جلاله صفته جلال وجمال، فهو جبارٌ على الأعداء دمر قوم نوح، وقوم هود، وقوم لوط، وقوم فرعون لما كذبوا الرسل.

هو جل جلاله العظيم المجيد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لماذا؟ لأن له الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، الخلق خلقه، والأمر أمره، والمُلك ملكه، والنعم نعمه، وكل شيءٍ له، وكل شيءٍ منه، وكل شيء راجع إليه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣].

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله يثمر لتوحيده، والإيمان به، وعبادته، ودخول جنته.

فسبحان العظيم الممجد في ذاته وأسمائه وصفاته، المجيد في أقواله وأفعاله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٢ – ١٦].

فالله ﷻ هو المجيد لذاته، وأقواله مجيدة، وأفعاله مجيدة، العظيم في مُلكه وسلطانه، له مُلك السموات والأرض، وله عالم الغيب والشهادة، وله مُلك الدنيا والآخرة، هذا ما عرفنا من مُلكه، ولكن الله ﷻ غيب السماوات والأرض: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

هو جل جلاله الملك الحق الذي يستحق أن يُعبد لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، كيف وهو يُعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

كيف وهو يعطي العبد الذي خلقه هو، وأنعم عليه، وحبب إليه الطاعات، وهو عبده، لكنه كريم يعطي كل أحد، ولا تنقص خزائنه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤].

وكريم يُعطي على قدر شأنه لا على قدر شأن العبد، ولهذا يُعطي العبد المؤمن يوم القيامة مثل هذه الدنيا عشر مرات، وهذا أدنى مسلم في الجنة، فكيف بمن هو أعلى منه!، وكيف بمن جمع بين العبادة والدعوة، والتعليم والإحسان للخلق! وكيف بجنات

الأنبياء!، وكيف بجنات سيد الأنبياء! الذي له مثل جنة كل إنسان دخل في الإسلام بسببه من الإنس والجن إلى يوم القيامة: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

فالله عظيم، يخلق العظيم، ويُعطي العظيم، ويُعطي الأجر العظيم جل جلاله؛ لأنه يُعطي على قدر عظمته ولكه وقدرته، وعطاؤه بكن فيكون: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

فهذه جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة، فإذا عرفنا العظيم تعلقت قلوبنا به، وإذا عرفنا الغني سألناه، وإذا عرفنا القادر استعنا به: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

والله ﷻ هو العظيم في أقواله وأفعاله، هو خلق كل شيء، وقهر كل شيء.

العظيم في مُلكه وسلطانه، الكبير الذي هو أكبر من كل شيء، الكبير الذي تكبر عن صفات النقص والعيب، وتكبر عن الشريك والمثيل، والنظير والشبيه، وتكبر عن كل ما سواه؛ لأنه الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

ومن عرف ربه العظيم، آمن بكتابه العظيم، وامتثل أمره العظيم، ونال ثوابه العظيم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

ومن آمن بالله العظيم صدق ذلك بجوارحه، وأوجب له هذا الإيمان بربه العظيم حب الله، والخوف منه؛ والرجاء له، وإجلال العبادة له، لأن القصد الإيمان بالله العظيم المقرون بالعمل الصالح، فكفار مكة مؤمنون بأن الله خالق هذا الكون، لكنهم أشركوا مع الله غيره: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان/ ٢٥].

لهذا لابد من الإيمان بالعظيم، والإيمان بالله العظيم يكمل بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات الشرعية؛ حتى يمتلئ القلب إيمانًا كما يمتلئ العقل علومًا، وكما تمتلئ

المعدة بأنواع الطيبات فيكون البدن سليمًا قويًا على العمل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

فمن آمن بالله العظيم، فعلامة إيمانه أن يصدق ذلك بجوارحه، ويُثمر له هذا الإيمان بربه العظيم صفات قلبية من الخوف من الله، والحب لله، والعمل المقرون بالخشية فالمنافقون كانوا يعملون، لكن بدون خشية.

فهذا الإيمان بالله العظيم يثمر أعظم أعمال القلب من الخوف من الله، والحب له، والحياء منه، والخضوع له، والذُل لعظمته، والخشية له، والاستقامة على دينه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ – ١١].

ويُثمر التوكل على الله، ويُثمر إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، ويُثمر المسارعة إلى طاعته، والبعد عن معصيته، ويُثمر الإخلاص في جميع الأعمال له، وتعظيم أمره، وتعظيم كتابه، والانقياد لحكمه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

والصحابة رضي الله عنهم لما عرفوا الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله آمنوا به وأحبوه وضحوا بكل شيء من أجل دينه، ضحوا بأوقاتهم، وأموالهم، وأنفسهم، وشهواتهم، وأهلهم، وبلادهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨].

والأنصار ضحوا بكل ما يحبون لما هو أحب فاستقبلوا المهاجرين بصفة الإكرام وآووهم

ونصروهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

ثم جاء الرضوان على الجميع، هذه الكمالات لها كمال النعيم وكمال الرضا من الله ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

فنحن كيف نسعى لتحصيل هذه المعارف العظيمة، ونضحي بما نحب لما هو أحب إلى الله، ونضحي بالأدنى لما هو أعلى؟ إذا عرفنا العظيم، وعرفنا دينه العظيم، وعرفنا ثوابه العظيم، وجاء اليقين على كل ذلك، الله ﷻ يقبلنا، وكلما تقربنا إليه تقرب إلينا، وكلما ذكرناه ذكرنا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

فقوة التعبد، وعظمة التعبد، نتيجة وثمرة معرفة الله بأسمائه وصفاته، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة عظمة مُلكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه، ومعرفة عظمة وعده ووعيده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨ – ١٦٩].

وأكمل الناس عبادة لله أعلمهم به، وفي مقدمتهم الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فسبحان العظيم الذي أفعاله في منتهى الحكمة والرحمة والإحسان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: ٦٥].

فأنا عبدٌ في أرض مولاي يجب علي إذا أطعمني أن أشكر، وإذا ابتلاني أن أصبر، وأترقى إن أطعمني أؤثر، وإن ابتلاني أن أشكر؛ لأن البلاء يتطلب الصبر، والصبر أجره بغير حساب: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر/ ١٠].

فهما درجتان، إن أطعمني شكرت، وإن ابتلاني صبرت، هذا عمل عامة الناس، لكن الدرجة التي أعلى منها إن أطعمني آثرت غيري: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩].

وإن ابتلاني فأصبر وأشكر، وأعرف أن هذا الابتلاء يربيني ساقه الله إلي لمصلحتي.

- **والبلاء إذا أصاب الإنسان فدعا الله فكشفه أثمر له سبع كرامات:**

إيمان جديد بربه .. حب جديد لربه .. تعظيم جديد لربه .. وحمد جديد بربه.. واستغفار جديد..وعمل جديد .. وتوبة جديدة: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

فعطاء الله بالبلاء أعظم من عطائه بالسراء؛ لأن النعمة غالباً تُشغل العبد عن المُنعم، أما البلاء فيوجب للعبد التضرع والانكسار: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٨٣].

الله ﷻ قال مباشرة: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

هذه الابتلاءات كلها رحمة من الله، وبسببها ينشأ الإيمان الجديد، والتوبة الجديدة، والاستغفار الجديد، والعمل الجديد، فالله ﷻ يبتلينا ليرقينا، فما ابتلى إلا ليعافي، وما منع إلا ليُعطي، وما قبض إلا ليبسط، وهو الحكيم العليم في أفعاله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ﴾ [يوسف: ٦].

ومن عظم الله ﷻ عظم شعائره وحُرماته، فحقق الطاعة الكاملة بامتثال أوامر الله من الصلاة والصيام والزكاة والحج والأذكار والأدعية وسائر الأركان والواجبات والسنن المستحبة: ﴿ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج/ ٣٢].

متى أعظم شعائر الله؟ إذا عرفت من أعبد، إذا عرفت الله بأسمائه وصفاته، وعرفت أسماءه العظيمة الجامعة كالحميد، والمجيد، والعظيم، والكبير.

هذه أسماء عظيمة إذا عرفت العظيم عظمت أمره، فمن عظم الله جاء في قلبه عظمة شعائره وحُرماته، فعظم الله بامتثال أوامره: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فيحقق الطاعة الكاملة؛ لأنه يرى العظيم، ويعبد العظيم كأنه يراه ويعلم أنه قريب، وأنه مجيب، وأنه قادرٌ على كل شيء وأنه يحب أن يقضي حاجتي، فأعبده مستحضرًا لعظمته وجلاله وجماله.

أراه ببصيرتي، وأعلم أنه كريم، وأنه قريب، وأنه شهيد، وأنه قادر، وأنه سميع إن تكلمت، بصيرٌ إن تحركت، عليمٌ بما في قلبي إن سكت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

فالذي يعرف عظمة الله يعظم شعائره، ويغار على حرماته، فيؤدي الواجبات التي في كل وقت، كالأذكار والأدعية، وما أوجبه الله في كل يوم خمس مرات كالصلوات الخمس، وكذلك في كل أسبوع كالجمعة، وفي كل سنة كصيام رمضان، وفي العمر مرة كالحج، فهذا كله من تعظيم شعائر الله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج/ ٣٢].

متى تتقي القلوب ربها؟ متى تتقي اليوم الآخر؟ تتقي ربها إذا عرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله جل جلاله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٣ - ١٨].

وكذلك من عرف العظيم عظم حُرماته فاجتنب ما نهى الله عنه، شعائر الله طاعاته التي يُحبها، وحُرماته هي ما نهى الله عنه، فإذا عرفت العظيم اجتنبت ما نهى الله عنه وحرمه من الاعتقادات، والأقوال، والأعمال والأخلاق، كالشرك والنفاق، وترك الواجبات، وفعل المحرمات، والزنا والربا، وشرب الخمر، والسرقة، واجتناب الكذب، وشهادة الزور، والغيبة والنميمة وغيرها: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨].

فتعظيم الأمر والنهي ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

والمؤمنون أفلحوا لماذا؟، لأنهم بصفة الإيمان أفلحوا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون/ ١-٢].

لماذا خشعوا؟ لأنهم عرفوا العظيم فخشعوا له؛ لأنهم يعرفون أن له الملك والسلطان والعظمة والعزة والجبروت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣﴾ [المؤمنون/ ١-٣].

هذا اجتناب للمنهيات والمحرمات: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ٧﴾ [المؤمنون/ ٤-٧].

هذا من تعظيم الحرمات، المسلم لا يسرق، لا يزني، لا يشرب الخمر، لا يترك الواجبات، لا يقترف المحرمات: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون: ٨ – ١١].

فلنحرص أن نكون وارثين للخيرات، الوارثون هم الذين يرثون الفردوس بإيمانهم وأعمالهم الصالحة، وأكثر الناس يحرص أن يكون وارث في هذه الدنيا، في هذه الدنيا يرثنا أزواجنا وأولادنا وبناتنا، لكن نحن يوم القيامة ماذا نرث: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون: ١٠ – ١١].

نرث ثمرة عملنا في الدنيا، ثمرة عملنا في الدنيا هو دخول جنة الفردوس، وحصول الرضوان من ربنا ﷻ، فليهنأ كل مسلم عرف ربه بأسمائه وصفاته، وتعبد له بما جاء على لسان رسوله ﷺ، فهذه نعمة عظيمة بل هي جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨].

فأسعد الناس في الدنيا والآخرة من آمن بالله العظيم، وصدق أخباره، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٧﴾ [الحشر: ٧].

فمن عظم الله ﷻ، ولم يعظم أمره ولا نهيه، فما عظم الله بقلبه مرة ولو عظمه بلسانه ألف مرة، إذا كان يستقيم بقلبه وجوارحه في الصلاة، ولكن خارج الصلاة يمشي على هواه، في الصلاة يمشي على الهدى، وخارج الصلاة يمشي على الهوى، هذا الله ﷻ لا يقبل منه؛ لأن المسلم عبد لله داخل الصلاة وخارج الصلاة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨].

فإذا عظمنا الله ﷻ بقلوبنا عظمنا أمره ونهيه بجوراحنا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فلابد من معرفة الله؛ حتى نهابه ونخافه، ونحبه ونعبده، فالتقصير في معرفة الله، والتقصير في معرفة الربوبية، يؤدي إلى التقصير في جانب العبودية: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

اعلموا أن ربكم له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والأفعال الكبرى، وأنه عزيز كريم، سميعٌ بصير، وأنه عظيمٌ كبير، وأنه قريبٌ شهيد: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح/ ١٣ – ٢٠].

اعرفوا ربكم لتعظموه، وتكبروه، وتحبوه وتعبدوه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

هذا النظر والتدبر والتفكر في عظمة الله، وعظمة أسمائه وصفاته وعظمة أفعاله يؤدي

إلى التعبد لله ﷻ بالحب والتعظيم والذل له جل جلاله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

فمن عرف العظيم حقًا كبره حقًا، وحمده حقًا، ووحده حقًا، ومجده حقًا، وعبده حقًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٢].

فنذكر الله العظيم كثيرًا؛ لأن الذي يذكر الله لا يعصي الله ﷻ، فكثرة الذكر تزيد الإيمان في القلب، والخوف من الرب، والحب له، وما تكرر تقرر، فنذكر الله بأي صفة؟ بصفة الكبرياء، بصفة العظمة، نذكر الله ﷻ حمدًا له، وتوحيدًا له، وتكبيرًا له، وتنزيهًا له، ونذكر الله ليذكرنا: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

سبحان الله، أحب الكلام إلى الله أربع كما قال النبي ﷺ: «**أحب الْكَلَام إِلَى الله أَربع: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْد لله، وَلَا إِلَه إِلَّا الله، وَالله أكبر**» أخرجه مسلم(١).

سبحان الله: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الإله الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

والحمد لله على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، أنعم عليَ، وأنعم على غيري، وأعطاني خيرًا، ومنع عني شرًا، الحمد لله رب العالمين، من هو؟ هو الملك الذي يملك كل شيء: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٤].

الرحمان الرحيم أول صفة؛ حتى المسلم يرجو ولا ييأس مهما عمل.

إن لم تتحرك نفسي بعبادته، ورؤية نعمه، ورؤية إحسانه ورحمته، تحركت لعبادة الله هيبة له وإجلالًا ؛ لأنه: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة/ ٤].

فإذا العبد ذلك قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧).

أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥ – ٧].

فالله ﷻ هو العظيم الذي يستحق أن يُعظم في جميع الأوقات، في جميع الأماكن، في جميع الأحوال، هو العظيم وله وحده الكمال المطلق من كل وجه، وله المُلك المطلق من كل وجه، وله الغنى المطلق من كل وجه، وله الإحسان المطلق من كل وجه جل جلاله: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

الملك من البشر قد يملك مملكة، ولكن الله الملك العظيم له مُلك السموات والأرض وله مُلك عالم الغيب والشهادة، وله ملك الدنيا والآخرة، وله مُلك كل ما في الكون، هو الملك الذي ملك المُلك والممالك والمماليك وما يملكون، فله المُلك المطلق من كل وجه؛ لأن هو العظيم: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وله الغنى المطلق من كل وجه وحده، هو الغني الذي لا تنقص خزائنه مثقال ذرة مع كثرة العطاء: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص/ ٥٤].

فالبشر هم الذين ينقص ما معهم إذا اتفقوا، أما الله فلا ينقص ما في خزائنه «إِلا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»

وإليه الإحسان المطلق من كل وجه، خلقنا في أحسن تقويم، وأنعم علينا بنعم لا تُعد ولا تُحصى، داخل أبداننا، وأنعم علينا بالهواء المطلق الذي نتنفس منه، والطعام الذي نأكل منه، والماء الذي نشربه، والأرض التي نمشي عليها، والسكن الذي نسكنه، واللباس الذي نلبسه: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: ٢٠].

له الإحسان المطلق من كل وجه، له الإحسان إلينا عند الخلق في بطون الأمهات، وله الإحسان المطلق إلينا في الدنيا، وله الإحسان المطلق يوم القيامة: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة/ ١٧].

لأنه عظيم، وملكه عظيم، والعظيم لا يُعطي إلا العظيم، ولا يفعل إلا العظيم، ولا يأمر

إلا بالعظيم: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٥-٨].

هو سبحانه العظيم الذي له الشرف والسؤدد، والمجد والكبرياء، العظيم الذي له العزة والغنى، والعلو والقهر، والإحسان والإنعام: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٣ - ٢٤].

فالعظيم يسبح له ما في السموات وما في الأرض، من بقي؟ بقيت أنا وأنت، تسبح بحمده، ونستغفره: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة/ ٧٤].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر: ٣].

ننزه عما لا يليق بجلاله؛ لأن هو العظيم الذي له الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، هذا إثبات، وهو العظيم الذي تنزه عن صفات النقص والعيب، وننزع عن الظلم والنوم والسِنة، وتنزه عن صفات المخلوقين، وتنزه عن الشريك والمثيل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

هو غنيٌّ عن الفروع، وغنيٌّ عن الأصول، وغنيٌّ عن الصاحبة، وغنيٌّ عن الشبيه والمثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

هذا الإله العظيم الذي له الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، وتنزه عن صفات النقص والعيب وعن الشبيه، وعن المثيل، فهو الذي يستحق أن يُعبد لأنه الحي وكل ما سواه يموت، القيوم القائم على كل نفس، العظيم الذي له العظمة، فأنا أعبد العظيم، ولا أعبد الحقير، أعبد الكبير ولا أعبد الصغير، أعبد الحي الذي لا يموت ولا أعبد الحي الذي يموت، أعبد السميع البصير الذي يسمع فيجيب، البصير الذي يرى حالي، فيسوق إليَ رزقي: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

هو العظيم الذي يسوق إلى كل مخلوق رزقه في قعر البحر، وفي ظلمة الجحور، وفي جو السماء، وعلى الأرض: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود: ٦].

هو الذي خلق الأرزاق، وهو العظيم الذي يوصلها إلى المرزوقين من نباتٍ وحيوانٍ، وإنسٍ وجان، من في البر، ومن في الجو، ومن في البحر، لأنه عظيم، عالم بكل أحد، قادر على كل أحد، رب لكل أحد: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

- **والعظيم اسمٌ من أسماء الله الحسنى، ويُطلق على معنيين:**

الأول: عظمة الذوات والأجسام المحسوسة، يُقال: هذا جبلٌ عظيم، وهذا بحرٌ عظيم، وهذه السماء العظيمة، إن في السماء لخبرًا، وإن في الأرض لعبرًا، آيات محكمات، ومطر ونبات، ونجوم تزهر وبحار تزخر وليل داج، وسماء ذات أبراج، وأرضٌ ذات فجاج: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [ق: ٦ –٨].

هذه المعاني تحرك في القلب الإيمان، وتُزيد الإيمان في القلب، فإذا امتلأ القلب بالإيمان انشرح واتسع لجميع الطاعات، واستحى أن يعصي الله ﷻ، في مُلك الله.

فالله كبير لا أكبر منه، وعظيم لا أعظم منه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

الثاني: يُطلق ويُراد به عالي القدر، والمنزلة، والشأن، ومنه عظيم القوم الذي حكمهم فلا يقدرون على مخالفته، والله جل جلاله عظيمٌ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة: ٧٤].

ومن عظمة الله ﷻ بذاته أنه هو العلي الكبير، والسموات السبع والأراضين السبع في كف الرحمن أصغر من الخردلة: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

الكرسي وسع السموات والأرض، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة في أرضٍ

فلاة: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

والعرش العظيم محيطٌ بالكرسي والسموات والأرض.

قال النبي ﷺ: «**مَا السَّمَوَات السَّبع مَعَ الْكُرْسِيّ إِلَّا كحلقة ملقاة فِي فلاة وَفضل الْعَرْش عَلَى الْكُرْسِيّ كفضل تلك الفلاة عَلَى تلك الْحَلْقَة**» أخرجه ابن حبان [1].

فإذا كانت هذه عظمة السموات والأرض، وعظمة الكرسي والعرش، وهي من مخلوقات الله العظيمة، فكيف بعظمة الله العظيم الذي خلقها: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فالسموات السبع، والأراضين السبع، في كف الرحمن أصغر من الخردلة، الله خلق الأراضين السبع، وأحاطها بالسموات السبع، وأحاط السموات بالكرسي، وأحاط الكرسي بالعرش العظيم، ثم هو فوق العرش مستوٍ عليه، لا يحتاج إلى العرش، بل العظيم هو الذي خلق العرش، وهو الذي يُمسك العرش، ويُمسك السموات والأرض أن تزولا؛ لأنه العظيمٌ القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].

فهذه عظمة مخلوقاته، فكيف بعظمة الخالق الملك القادر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

وهو جل جلاله العظيم في صفاته وأسمائه حُسنى، وصفاته عُليا، هو العظيم في صفاته فله الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، هو العظيم في كل شيء، عظيمٌ في قدره وشأنه، عظيمٌ في كبريائه، عظيمٌ في علوه، عظيمٌ في علمه، عظيمٌ في رحمته، عظيمٌ في قدرته، عظيمٌ في حلمه، عظيمٌ في عطائه وإحسانه، عظيمٌ في عقوبته وانتقامه، عظيمٌ في جلاله، عظيمٌ في جماله: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة/ ٩٨].

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج/ ٧٤].

---

(١) صحيح بطرقه/ أخرجه ابن حبان برقم (٣٦٢).

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وهو سبحانه العظيم، وكل آيات القرآن تدل على عظمته وكبريائه، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة آياته ومخلوقاته، وهذا يولد في القلب توحيده جل جلاله بأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو سبحانه العظيم في أفعاله، ومن أفعاله أن جميع المخلوقات هو الذي خلقها: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فهو خالق كل شيء، خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، والشمس والقمر، وخلق الليل والنهار، وخلق الحر والبرد، وخلق التراب والماء، وخلق الجبال والبحار، وخلق العيون والأنهار: ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الروم: ١١].

وأفعاله في غاية الحكمة والعدل والرحمة والإحسان، يفعل العظيم ما يشاء، ويحكم ما يريد، يُعز من يشاء، ويُذل من يشاء، ويبسط ويقبض، ويُعطي ويمنع، ويُحيي ويميت؛ لأنه هو العظيم وحده لا شريك له: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٩٦].

هو العظيم الذي يفعل ما يشاء، ولا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء: ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١].

هو العظيم وحده لا شريك له، عظيم الرزق، عظيم العطاء، عظيم الأجر، عظيم الثواب: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٤].

هو جل جلاله العظيم الغني عن كل ما سواه، بيده ملكوت كل شيء، ولا يحتاج إلى أحد بل يحتاج إليه كل أحد، وهو العظيم جل جلاله الذي لا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العظيم الذي لا يعطي إلا العطاء العظيم، لأنه يعطي على قدره شأنه: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٩].

هو العظيم الذي يفرح بتوبة التائبين، واستغفار المستغفرين، ويفرح بتوبة عبده، ويفرح بسؤال العبد العظيم كما قال النبي ﷺ: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ**

الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» أخرجه البخاري[1].

وقال النبي ﷺ: «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**» أخرجه مسلم[2].

هو العظيم في علوه، العلي في عظمته، وله العلو بأنواعه: علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القدر والشأن.

- **هو العلي الذي له العلو بأنواعه، وله العظمة بأنواعها:**

عظمة الشأن .. عظمة الذات .. عظمة الصفات .. عظمة الخزائن.. وعظمة الملك.

وله الكبرياء بأنواعه، وله الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة/ ٧٤].

هو سبحانه العظيم الذي نزه نفسه عن النقائص والعيوب، وعن المثيل والكفء، وعن كل شرٍ وسوء؛ لأنه العظيم الذي له الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، ولهذا قرن الرسول ﷺ بين تسبيحه وتعظيمه في قوله ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**» متفق عليه[3].

سبحان الله وبحمده: أنزهه عما لا يليق بجلاله، وأحمده على جميع إنعامه، سبحان الله: تنزيه، وبحمده: إثبات صفة الحمد له جل جلاله، وحمده جل جلاله لما له من الأسماء الحُسنى، والصفات العلا: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣].

فالمطلوب أن نسبح العظيم، ونؤمن بالعظيم، ونعبد العظيم جل جلاله: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فالله جل جلاله هو العظيم الذي له الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، ولهذا لا نتعلق بأحدٍ سواه بل نعبده وحده لا شريك له؛ لأنه بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٤) واللفظ له، والبخاري برقم (٦٤٠٦).

﴿وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٣ – ٤٤].

هو الغني الذي لا يحتاج لأحد جل جلاله بل كل أحد محتاج إليه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١].

هو العظيم الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

العظيم لو أدركته الأبصار، لامتثلت أمره فورًا، ولم تخالف أمره أبدًا، لأنها تراه فتخاف، فيبطل أمر التكليف، لكن لا تدركه الأبصار لعظمته وجلاله، ومن رحمته أننا لا نراه، وإنما نراه ببصائرنا فنعبد الله كأننا نراه.

لا تدركه الأبصار، لأنه أعظم من أن يحيط به مخلوق، بل هو المحيط بكل مخلوق، هذه العين الصغيرة لا تحيط بالملك العظيم الكبير جل جلاله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ثم قال: ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

فسبحان العظيم الذي عرفنا بنفسه من خلال آياته ومخلوقاته، حتى نعظمه ونكبره، ونحبه ونعبده وحده، فهو جل جلاله العظيم المحيط بكل محيط، والملك كله بين يدي العظيم أصغر من الخردلة: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

هو العظيم، هو العلي الكبير، هو العظيم الذي يُمسك الأجرام العظيمة فلا تقع ولا تزول ولا تميد: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر/ ٤١].

هو العظيم الذي يُمسك السماء أن تقع على الأرض بسبب المعاصي، الرحيم بعباده، الغفور لذنوبهم، اللطيف بهم، فلنطلب رحمته، ولنستغفره، ليرفع عنا ما حل بنا من

البلاء: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السموات يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ**» متفق عليه(١).

فما أعظم السموات والأرض وما بينهما، وإذا كان العظيم سبحانه يجعلها بين أصابعه فكم تكون عظمته وجلاله وكبرياؤه.

فسبحان الملك العظيم الذي أحاط بكل شيءٍ علمًا، ولا يُحيط به شيءٌ من خلقه، خلق جل جلاله مئة رحمة، وأنزل رحمة واحدة إلى الأرض يتراحم بها الخلق، فكم تكون رحمته يوم القيامة؟!: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج: ٧٤].

الله خلق مئة رحمة فأنزل منها واحدة يتراحم بها الخلق،هذه الرحمة يُعيدها الله يوم القيامة لتكون مع التسع والتسعين يرحم بها الخلق: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[الأعراف/ ١٥٦].

هو سبحانه العظيم الذي رحمته لجميع الخلق في الدنيا، ورحمته يوم القيامة خاصة بالمؤمنين، أما الكافر فلا حظ له في رحمة الله يوم القيامة، أما المؤمن فالله ﷻ يرحمه رحمة خاصة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فبرحمة الله يعيش المؤمن والكافر، فالكل يأكل من رزق الله، ويتنفس من هذا الهواء، ويشرب من هذا الماء، ويسكن في هذه الأرض، هذا عطاء الربوبية من الرب، لأنه لا رب غيره، هو الخالق لكل شيء، الذي أكرم عباده بكل شيء: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء/ ٧٠].

فالله يريد من هذا الإنسان أن يكون عظيماً في أقواله، وأفعاله، وأخلاقه، يريد منه أن

---

(١) متفق عليه ، أخرجه مسلم برقم (٢٧٨٦)واللفظ له ، والبخاري برقم (٧٤٥١).

يكون متميزاً عن غيره، باتصاله بالعظيم، وإتباع شرعه العظيم، ليفوز بأجره العظيم: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

هو سبحانه العظيم الذي خلق بين الخلق عظمة يُعظم بها بعضهم بعضًا.

فمن الناس من يُعظم لسلطانه، ومنهم من يُعظم لإيمانه، ومنهم من يُعظم لغناه، ومنهم من يعظم لعلمه، ومنهم من يُعظم لقوته، ومنهم من يُعظم لجاهه، وكل واحد من الخلق إنما يُعظم لمعنى دون معنى، وهذا العطاء الذي أعطاه الله، من جاهٍ أو مالٍ أو علم، إنما هو موهوب من العظيم، والموهوب يوشك أن ينتهي، وأن يسلب: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤]..

فالخلق يُعظمون لمعنى دون معنى، أما الله العظيم فهو يُعظم بكل صفة كمال، فإن الله له الأسماء الحُسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو سبحانه العظيم، وكتابه عظيم: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر/ ٨٧].

فمتى نعظم الله!، ومتى نعظم كتابه!، ومتى نعظم أمره!، ومتى نعظم شرعه، ومتى نعظم حرماته: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟

كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧].

هو سبحانه العظيم، الذي خلق كل عظيم، وملك كل عظيم، وأعطى كل عظيم: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٧–١٨].

هو العظيم، الذي يملك كل عظيم، صاحب الفضل العظيم، العظيم الذي لا يعطي إلا كل عظيم، وعطاؤه عظيمٌ في كميته ونوعيته: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤].

نعمة واحدة لا نستطيع أن نُحصيها، فكيف بالنعم العظيمة الكثيرة التي لا يمكن عدها ولا إحصاؤها، عطاؤه عظيم الكمية، إذا أعطى أعطى عطاءً لا فقر بعده، يُعطي لأقل عباده في الجنة مثل هذه الدنيا عشر مِرار كما في الصحيحين، فعطاؤه عظيمٌ في كميته يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعافٍ كثيرة، إلا ما لا حد له: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

وعطاؤه عظيمٌ في كيفيته، عطاؤه في الجنة ما كيفيته؟ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٧].

وقال النبي ﷺ: «**فِي الجنة ما لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَر**» أخرجه مسلم(١).

فسبحان العظيم في ملكه، العظيم في قدرته، العظيم في عطائه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].

هو العظيم الذي عظم ما شاء من الأماكن، والأزمان، والأشخاص، والأحوال.

هو العظيم الذي خص ما شاء من البقاع بالعظمة كالمساجد بيوت الله ﷻ، وخص المساجد الثلاثة بمضاعفة الأجور فيها: المسجد الحرام .. والمسجد النبوي .. والمسجد الأقصى.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٢٤).

فالمسجد الحرام هو بيت الله باختيار الله، والمساجد الأخرى بيوت الله باختيار خلق الله، تتوجه كلها إلى بيت الله وفيها التعظيم لله، والتكبير لله، والثناء على الله، والحمد لله، وسؤال الله ، وتسبيح الله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴿٣٦﴾﴾ [النور/ ٣٦].

بماذا؟ بالأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور/ ٣٦-٣٧].

هو العظيم الذي عظم الأمكنة كالمساجد الثلاثة والمساجد الأخرى بمضاعفة الأجور.

وأما في الزمان فهو العظيم الذي عظم ما شاء من الأزمنة فعظم شأن ليلة القدر، وشأن يوم النحر، وعظم الساعة في يوم الجمعة، وعظم الأيام والليالي والشهور كرمضان والأشهر الحُرم: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

هو جل جلاله العظيم الذي يعظم من الأزمنة ما شاء، عظم الضحى، وعظم الليل، وعظم بعض الليالي، وعظم بعض الأيام، وعظم بعض الساعات، وعظم الليل، وعظم النهار، وعظم الصبح، وعظم الفجر.

وهو سبحانه العظيم الذي له الشرف والمجد، والكبرياء والعظمة، فالعظيم اسمه والتعظيم حال المعظم له، يعظمه عبده حين يشاهد معاني علاه وكبريائه وعظمته، فيوجل قلبه تكبيراً لربه، وتعظيماً له، وهيبة له، ويتعلق به وحده دون سواه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى/ ١٠].

من هو؟ ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى: ١١-١٢].

والمقاليد هي المفاتيح، والمفاتيح كلها بيد واحد أحد لاشريك له: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

هو العظيم الذي خلق عظائم المخلوقات، وصورها كيف شاء، ودبرها بأمره، وأمسكها

بقدرته، وحركها بمشيئته، وحكمها بقهره سبحانه هو الواحد القهار.

هو الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة في المُلك والملكوت: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر/ ١٣].

هو الملك العظيم الذي له ملك كل شيء مُلك السموات والأرض، ومُلك الهواء، ومُلك البحار، ومُلك العالم العلوي، والعالم السفلي، وملك الدنيا، ومُلك الآخرة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك/ ١].

هو الذي ملك الظرف والمظروف، فالسموات والأرض ظروف فيها مظاريف، هذه المظاريف هي مُلكه: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠].

- **هذه المظاريف العظيمة التي خلقها الله، وفي تلك الظروف ستة أجناس:**

عالم الجماد ..وعالم النبات..وعالم الحيوان ..وعالم الإنس ..وعالم الجن ..وعالم الملائكة.

عالم المخاليق كلها للعظيم جل جلاله، لأنه عظيم، وخلقه عظيم، ومُلكه عظيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

هذا الرب العظيم هو الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة:

خلق العرش العظيم، وخلق الكرسي الكريم، وخلق الشمس والقمر، وخلق السموات السبع، وخلق الأراضين السبع، وما فيهن، وما بينهن، وما عليهن من الملائكة الكرام، والإنس، والجان، والجماد، والنبات والحيوان: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فهو سبحانه العظيم الذي خلق ما في المُلك والملكوت من مخلوقات عظيمة لتدل على كمال قدرته وعلمه، وكمال حكمته ورحمته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

خلق العظيم سبحانه جميع هذه الكائنات بقدرته، ودحا الأرض بمشيئته، وأمسك

السماء بقوته، دون علائق من فوقها، ولا دعائم من تحتها، وإنما أمسكها بكمال قوته، وعظيم قدرته جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١].

فهو جل جلاله الخلاق العليم والرب العظيم والإله القدير الذي بيده ملكوت كل شيء، أحاط بكل شيءٍ علمًا، وأحصى كل شيءٍ عددًا: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

والعظيم اسمٌ من أسماء الله ﷻ، والعظمة من صفات الله الذاتية والفعلية.

فالله ﷻ هو العظيم في ذاته، العظيم في أفعاله.

فالصفة الذاتية: الله هو العظيم وحده في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومُلكه، وسلطانه، فلا أعظم منه: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وأما الفعلية: فالعظيم سبحانه يعظم الأجور والأرزاق، هو عظيم النعم والعطايا، يعظم النعم والعطايا بإرادته ومشيئته التي هي من صفات أفعاله التي لها سبب معلوم، فمتى حصلت من العبد التقوى، أو صلة الرحم، أو الجهاد، أو الصبر وجد أن ربه عظيم ليس له مثيل في العطاء: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق/ ٥].

فمن عرف ربه العظيم وجب عليه أن يعظمه التعظيم كله بقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤].

ويعظم أوامره: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج/ ٣٢].

ومن تعظيم الله تسبيحه وتقديسه، وطاعته وطاعة رسوله، وإتباع شرعه، وتعظيم المسلم ربه العظيم بقلبه ولسانه وجوارحه، وفي جميع أقواله وأعماله، وفي جميع أحواله، في سفره وإقامته، في صلاته وصيامه، في نومه ويقظته، في صحته ومرضه، في أمنه وخوفه، في جميع الأحوال يعظم ربه، ويفزع إلى امتثال أمره؛ لأن حل المشاكل بيده وحده، بيد العظيم الذي بيده كل عظيم: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

فيعظم المسلم ربه العظيم، ويمتثل أمره في جميع الأحوال، وفي جميع الأماكن، وفي جميع

الأوقات: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل: ٨-٩].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السموات والأرض، هو جل جلاله الملك الحق الذي له ما في السموات وما في الأرض.

هو العلي العظيم، الملك العزيز الجبار،الكبير المتكبر، الكامل في الشرف والسؤدد، مع سعة الملك، وسعة العلم، المتوحد بالجلال والجمال الذي يستحق التعظيم كله، والتكبير كله، والتحميد كله وحده لا شريك له، لماذا؟ لأنه رب السموات والأرض وما فيهن، ورب العالمين: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠١- ١٠٢].

واعلم أن العظيم جل جلاله أودع ما شاء من مخلوقاته ضروب التغاير، ودلائل الحدث، وسمات النقص، بما جعل فيها من انقيادها لخالقها ، وإذعانها لفاطرها، وخضوعها لعظمته، شاهدة على نفسها أمام ربها بالفقر والعجز والحدوث والضعف: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾ [الحج/ ١٨].

وهذه المخلوقات العظيمة شاهدةٌ لربها العظيم بالتوحيد والغنى، والأسماء الحسنى، والصفات العلا، والعظمة والكبرياء، وعظمة الملك والملكوت: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

فالله ﷻ خلق هذه المخلوقات شاهدة بوحدانيته، ومسبحة بحمده، وخاضعة لأمره، ودالة على عظمته، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته.

هذه المخلوقات العظيمة خلقها العظيم جل جلاله؛ لتسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته،

ونحن من هذه المخلوقات، لكن جميع المخلوقات مسخرة إلا الإنس والجن فهم مخيرون، إن شاءوا آمنوا، وإن شاءوا كفروا، إن شاءوا أطاعوا إن شاءوا عصوا: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٩ – ٣١].

والله ﷻ يحب من يأتي إليه اختيارًا وهو قادرٌ ألا يأتي، أعظم ممن يسبح بحمده بالتسخير من ربه ﷻ، فلا خيار لجميع المخلوقات في الانقياد إلى ربها، كلها اختارت أن تكون مسخرة لطاعته جل جلاله؛ أما الإنسان فهو مخير: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

فهذه المخلوقات العظيمة خلقها الله دالة على كمال قدرته، وتثبيتًا لحكمته، وبيانًا لعظمته، حتى يتجاوز البصر بالبصيرة من المخلوق إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن الإهتمام بالأموال والأشياء إلى الإهتمام الإيمان والأعمال الصالحة، ومن السنن الكونية إلى القدرة الإلهية: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣].

فهذه المخلوقات العظيمة العظيم جل جلاله وسمها بالنقص، وافتقار بعضها لبعض، من جماد ونبات، وحيوان وإنسان، فأحوج الأسفل منها إلى الأعلى، كما أحوج الأعلى إلى الأسفل، وسخر بعضها لبعض، والروح من أمره يتخللها، وبأمره تجري مصالحها، ثم أفقر الكل إليه، لأنه هو الغني وحده عمن سواه: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

هذه المخلوقات العظيمة في العالم العلوي والعالم السفلي، وفي الدنيا وفي الآخرة، وفي عالم الغيب وفي عالم الشهادة، الكبير والصغير، والعالي والسافل، والناطق والصامت،

والجماد والنبات، والحيوان والإنسان والجن، والملائكة والروح، وجميع المخلوقات قانتة تسبح باسم ربها العظيم، كلٌ يعبد ربه العظيم باسمه ووصفه، منقادٌ لأمره، ومسرعٌ لإرادته، ومسبحٌ بحمده، وشاهد بتوحيده: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [النور/ ٤١-٤٢].

فسبحان الرب العظيم، الذي أظهر عظمته لعباده في عظمة ملكه، وعظيم قدرته، وعظيم إرادته، وعظيم كلامه، وعظيم علمه، وعظيم سلطانه، وعظيم جبروته، وعظيم خلقه، وكل ذلك موجودٌ من عظمة ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

هو سبحانه العظيم الذي خلق كل عظيم، فما أعظم ما ترى من عظمة ربك وسلطانه، وعظيم مخلوقاته! وما أصغره وأقله في جنب ما لم تره ولا تعلمه، فما نعلمه بالنسبة لما لا نعلمه كالذرة بالنسبة إلى الجبل، وكالقطرة بالنسبة إلى البحر: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

فلا إله إلا الله، ما أعظم ملكه، وما أعظم علمه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه/ ١١٤].

واعلم هداك الله أن الله هو العظيم وحده لا شريك له، العليم الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، العليم الذي يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد ورق الأشجار، وعدد قطرات الأمطار، لا نواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضًا، ولا جبلٌ ما في وعره ولا بحرٌ ما في قعره: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة/ ٦-٧].

سبحانه هو العظيم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، عظيمٌ في قدرته لا يُعجزه شيء، عظيمٌ في قهره لا يقف له شيء، عظيمٌ في علمه لا يعزب عنه شيء، عظيمٌ في سلطانه، جبار في أفعاله، كريم في عطائه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا

خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو جل جلاله العظيم الخالق الذي خلق كل شيء، العظيم الذي بيده كل شيء، العظيم الذي بيده الملك والملكوت، وبيده الأجساد والنفوس، العظيم الذي بسط سلطانه على جميع مخلوقاته، وله الكبرياء في السموات والأرض، وله الحمد في السموات والأرض: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

هو سبحانه العظيم الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، العظيم الذي أمره نافذٌ في ملكه وملكوته، على جميع مخلوقاته وعبيده، في أي مكان، وفي أي زمان وفي أي حال، هو العظيم الرب وحده لا شريك له القوي الذي بيده مقاليد الأمور: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس/ ٣].

أما سلطان الله ﷻ على الإنسان فكله بيد الله وحده، ظاهره وباطنه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات/ ٩٦].

فسلطانه على الإنسان كله بيد الله وحده، وجميع أجهزة الإنسان وأعضائه بيد الله، وجميع حواسه بيد الله، عقله بيد الله، وقلبه بيد الله، وسمعه وبصره بيد الله، وأعصابه وعروقه بيد الله، وأعضاؤه وجوارحه بيد الله، ومعدته وكبده بيد الله، وظاهر الإنسان وباطنه كله تحت ألطاف الله ورحمته؛ فليطع العبد ربه الذي خلقه وصوره، وأكرمه وأطعمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

فسبحان العظيم الذي خلق كل شيء، وتكفل برزقه وحفظه، العظيم الذي تعجز العقول عن إدراك كنه عظمته، وتعجز الأبصار عن رؤيته: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

ولكن الأبصار التي آمنت به وأطاعته، تراه يوم القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

فأبصرت الحق، وعملت بالحق، ودعت إلى الحق، وعملت بالحق، فيوم القيامة هذه

العيون التي أبصرت تببصائرها، ربها بأسمائه وصفاته وأفعاله يوم القيامة تراه.

أما التي انصرفت عنه، وكفرت به، فهي محجوبة عن رؤيته يوم القيامة: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦﴾[المطففين/ ١٥-١٦].

فعلينا أن نتعلم ونعرف من أسماء ربنا وصفاته وأفعاله ما يملأ قلوبنا إيمانًا وتوحيدًا، وتعظيمًا وتكبيرًا، وحمدًا وشكرًا، فإذا آمن الإنسان بربه العظيم؛ آمن بكتابه العظيم، وامتثل أمره العظيم، ونال ثوابه العظيم، وانقادت جوارحه لطاعة ربه العظيم: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر/ ٢٨].

فتعلم الإيمان فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وتعلم العلم الإلهي فرض عين، لأني لابد أن أعرف من أعبد بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله حتى أحبه وأعبده: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩].

وقد ورد اسم الله العظيم في كتاب الله الكريم ست مرات:

في سورة البقرة .. وفي سورة الشورى .. وفي سورة الحاقة مرتين .. وفي سورة الواقعة مرتين.

فلنتعرف على ربنا العظيم، ونعرف من أسمائه وصفاته وأفعاله ما يجعل المسلم يحب ربه، ويعظمه ويكبره، وينقاد لأمره، ويسلم لحكمه، ويعبده وحده لا شريك له: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩].

والله سبحانه هو العظيم الذي خلق كل عظيم، خلق السموات والأرض، وخلق العرش والكرسي، وخلق المخلوقات والعوالم كلها.

والله سبحانه هو العظيم الذي خلق كل عظيم، وهو العظيم الذي هو أعظم من كل

عظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى/ ١١].

وجوده ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ووجوده، فهو جل جلاله دائم

الوجود، وغيره ليس كذلك، بل يحتاج إلى موجد، والله أوجد كل موجود: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

- **فكل ذرة في الكون تحتاج من ربها إلى ثلاثة أمور:**

الأول: أمرٌ بالإيجاد.

الثاني: أمرٌ بالبقاء.

الثالث: أمرٌ بالنفع والضر.

الخلق بيده، والحياة والموت بيده، والنفع والضر بيده: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فأنا موجود والله موجود، لكن وجودي ليس كوجود الله، أنا موجود وقد كنت عدمًا: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾ [الإنسان/ ١].

فهو جل جلاله دائم الوجود وغيره ليس كذلك، وهو أعظم من كل عظيم في كبريائه، وعظمته، وعلمه، وقدرته، وقهره، وسائر أسمائه وصفاته، ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

هو العظيم الذي لا أعظم منه؛ فالعقول لا تصل إلى كنه صمديته، والأبصار لا تحيط بعظمة ملكه، فكيف تحيط به؟ والبصائر تقف عن إدراك أنوار عزته وجلاله وجماله؛ فإليه المنتهى، وكل مخلوقٌ بالنسبة لجلاله وجماله وكماله كالعدم المحض: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١].

فالله ﷻ هو الإله العظيم الذي كل ما في الكون من المخلوقات، من العرش والكرسي، واللوح والقلم، والأنوار والظلم، والسموات والأرض، والشمس والقمر، والماء والهواء، والجبال والبحار، وكل ما خلقه الله وما سيخلقه إلى قيام الساعة وأضعاف ذلك، كل ذلك بالنسبة إلى عظمة الله كالذرة بالنسبة إلى العرش العظيم، بل هذه النسبة لا تصح أبدًا، لماذا؟ لأن المخلوقات كلها متناهية، والله هو الحي القيوم: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

والله ﷻ هو الرب العظيم الذي لا بداية له ولا نهاية، ومقدوراته غير متناهية، ولا نسبة للمتناهي إلى غير المتناهي البتة، وكبرياء الله وعظمته لا نهاية لها، وقدرته لا نهاية لها، فلا فرق عند العظيم القادر على كل شيء بين خلق مليار عالم، وبين خلق ذرة أو بقة أو بعوضة: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢].

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٥٠].

فسبحان العظيم الذي يستوي عنده خلق الصغير والكبير، وخلق العرش والذرة، وخلق القليل والكثير: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

فهو العظيم القادر لا فرق عنده بين إزالة العرش العظيم، والكرسي الكريم، والسموات والأرض، وبين إزالة بيت عنكبوت أو بعوضة: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان/ ٢٨].

وهذا إنذار للبشر، إن الله سميع لأقوالكم، بصيرٌ بأعمالكم، فاتقوا الله، وأطيعوه ولا تعصوه، وأعلموا أنكم ملاقوه: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء/ ٧].

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

والله جل جلاله هو العظيم الذي لا أعظم منه، يجب أن نُسمع قلوبنا بألسنتنا عظمته وجلاله، ونعظم الله ونكبر الله في كل وقت؛ حتى يعلم القلب بواسطة اللسان، وبواسطة العين، وبواسطة الأذن أن الله عظيم وحده لا شريك له، وأنه العلي العظيم، وأنه العلي الكبير، وأنه الواحد الأحد، وأنه القوي العزيز، وأنه الغني الكريم، وأنه الرحمن الرحيم فالمقصود من الذكر الكثير لربنا ﷻ أن تأتي عظمة الله في قلوبنا، وإذا جاءت عظمة الله في قلوبنا؛ عظمنا كتابه، وعظمنا أمره، وعبدناه بالمحبة والتعظيم والذل له؛ لأننا عرفناه بأسمائه وصفاته وأفعاله فآمنا به: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ

عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فالله ﷻ هو العظيم الذي لا أعظم منه، وكل ما سواه ضعيف بالنسبة إليه، صغيرٌ بالنسبة إليه، فقيرٌ بالنسبة إليه، بل لا نسبة بين المخلوق والخالق أبدًا: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى/ ١١].

له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

فيجب أن يعرف القلب هذا؛ حتى يجد طعم الإيمان، ويجد حلاوة الإيمان، ويجد حقيقة الإيمان: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

لابد للعبد من معرفة العظيم قبل معرفة أوامره: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

والإنسان الذي خلقه الله ﷻ بيده، يُدرك ببصيرته أن كل شيئين اشتركا في أمرٍ من الأمور، وكان أحدهما كاملًا فيه، والآخر ناقصًا فيه، فإذا وصل الناقص إلى الكامل فني الناقص في الكامل بالكلية، فالقطرة من الماء إذا وقعت في البحر فنيت فيه، والشعلة من النار إذا وُضعت في خندق عظيم من النار فنيت فيه، وصوت البقة إذا حصل مع صوت الصاعقة فني فيه؛ فلذلك من كان ناقصًا في الملك، إذا وصل إلى من كان كاملًا في الملك فني وصار كالعدم: ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج/ ٧٤].

ومن عرف نفسه حقاً عرف رب حقاً، وآمن به حقاً، وعبده حقاً: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

فيجب أن نعرف من عظمة ربنا ما يدعونا إلى محبته، وتعظيمه، وعبادته، وطاعته، فالله ﷻ هو العظيم الذي خلق كل عظيم، العظيم الذي لا يشبهه شيء، وكل ما سواه فقير

وضعيفٌ وصغيرٌ أمام ربه العظيم، فهذه مخلوقاته شاهدةٌ بوحدانيته، ومسبحةٌ بحمده.

فسبحان الله العظيم، والحمد لله العلي العظيم، حمدًا لا يعد ولا يحد ولا يرد، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السماء، وملء الأرض، وملء ما بينهما، لماذا؟ لعظمة ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة إحسانه وإنعامه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

هو سبحانه العظيم الذي يُحمد بكل لسان في العالم العلوي والعالم السفلي، العظيم الذي لا يزيده تعظيم الخلق له عظمة، ولا يزيده تكبيرهم له كبرياء.

هو العلي العظيم الذي يحتاجه البشر، وليس بحاجة بشر إن شكر أو كفر، سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

هو العظيم الذي رفع السماء بلا عمد، وفجر الماء من الحجر، وقهر كل أحد، هو الواحد الأحد الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨].

هو العظيم الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير جل جلاله.

هو جل جلاله العظيم الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات وما في الأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠].

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [المنافقون/ ٧].

وله غيب السموات والأرض: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

«يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ سَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ

البَحْرَ»أخرجه مسلم[1].

هذه عظمة خزائنه، فكيف بعظمة ملكه! وكيف بعظمة أسمائه وصفاته! فكيف بعظمة ذاته: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

هو العظيم الذي استوى على العرش العظيم، فكم عظمة ربنا ﷻ! وكم عظمة مخلوقاته! كم عظمة هذه الأرض العظيمة، وما فيها من مليارات المخلوقات! كم عظمة الفضاء الذي بين السماء والأرض! وما فيه من النور والسحب والنجوم وغيرها.

كم عظمة السموات! كم عظمة ما بين السماء الأولى والثانية! كم عظمة ما في هذه السموات من الملائكة! كم عظمة جبريل وميكائيل وإسرافيل! كم عظمة الكرسي العظيم! كم عظمة العرش العظيم! كم عظمة من استوى على العرش!: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

العظيم جل جلاله هو الذي أنزل القرآن العظيم، هو الذي أنزل القرآن الحكيم، هو الذي أنزل القرآن المجيد، هو جل جلاله العظيم الذي بيده ملكوت كل شيء، العظيم في ذاته فلا أحد أعظم منه، العظيم في أسمائه فله وحده الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

هو العظيم في ربوبيته، العظيم في ألوهيته، العظيم في كبريائه، العظيم في قدرته، العظيم في علمه، العظيم في أفعاله، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤].

هو العظيم جل جلاله، العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، الحفيظ لكل شيء، المحيط بكل شيء، هو العلي العظيم، الملك كله له، والخلق كله له، والأمر كله بيد الله العظيم وليس لأحدٍ سواه شيء؛ لأن جميع ما سواه لم يكن شيئًا؛ حتى يفعل شيئًا.

ومن أحسن فلنفسه، ومن أساء فإنما يسيء إلى نفسه، ولا يضر الله شيئًا: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

﴿يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾[العنكبوت/ ٦].

ومن أساء فعلى نفسه: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾[النساء/ ١٢٣].

فمن سب الله أو رسوله أو دينه، أو استهزأ بالله أو رسوله أو دينه، أو استكبر عن عبادة ربه، وطاعة رسوله، فإنما يضر نفسه، ولا يضر الله شيئًا، والله غني عن كل ما سواه: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ٣٨﴾[فصلت/ ٣٨].

﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾[الإسراء: ٧].

والله محمودٌ قبل أن نحمده، وكبيرٌ قبل أن نكبره، وعظيمٌ قبل أن نعظمه، والله لا يزداد بتعظيمنا عظمة، ولا بتكبيرنا كبرياء، فالله الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه، والله ﷻ مظهرٌ دينه ولو كره الكافرون؛ فمن سب الله أو رسوله أو دينه فإنما يضر نفسه، وما يضر البحر حجر يُلقى فيه، ومن أثار الغبار من الأرض فإنما يثيره على نفسه، ومن أثار الغبار على هذا الدين فإنما يثيره على نفسه؛ لأن الدين يُظهره ويحفظه العظيم جل جلاله: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾[الحجر/ ٩].

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾[الصف/ ٩].

ومهما أنفق الكفار والملاحدة، وبذلوا جهودهم المختلفة، للصد عن سبيل الله، فلن يستطيعوا منع هداية الله لخلقه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾[الأنفال/ ٣٦].

فسبحان العظيم الذي لا يقف له شيء: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨﴾[الصف: ٨].

فإظهار الدين بيد الله، ونحن نقوم بالدعوة، ونقوم بالتعليم، والله مظهرٌ دينه؛ بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾[الصف: ٩].

والعظيم سبحانه بصيرٌ بالعباد، فمن آمن به وأطاعه فاز ونجا، ومن كفر به وعصاه

هلك وخسر، والله ﷻ بين لنا في كتابه العظيم أن هذا الإنسان إذا سلك طريق الطاعة نجا وأفلح، وإذا سلك طريق المعصية خسر وهلك، هذه أمور يقررها القرآن العظيم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء/ ١٣-١٤].

- **فالناس في الآخرة اثنان:**

فريقٌ في الجنة .. وفريقٌ في السعير: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٤ – ١٦].

- **والناس في الدنيا اثنان:**

إما مؤمن أو كافر .. أو بار أو فاجر: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن: ٢].

وقد رغب الله في الإيمان والبر، وحذر من الكفر والفجور: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة: ١٨ – ٢٠].

والله ﷻ هو الملك الحق البصير بالعباد، الرحيم بهم، الرءوف بهم، السميعُ البصير بجميع ما يجري في ملكه وملكوته، فهو لم يغب عن ملكه، بل هو حيٌ قيوم قائمٌ على كل نفس، يسمع كلام الناس، ويرى أفعالهم، ويعلم بما في ضمائرهم، ولا يمكن لهم أن يخرجوا من سلطانه، وكلهم تحت سمعه وبصره جل جلاله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

وقد أنزل الله الماء من السماء إلى الأرض فأنبتت من كل زوج بهيج، ولكن بعض الأرض امتنعت من الإنبات كالجبال والسباخ، وكذا الوحي نزل على قلوب الناس فمنهم من آمن، ومنهم من كفر: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٢ – ٣].

ماذا فعل الله بقوم نوح؟ ماذا فعل الله بقوم عاد؟ ماذا فعل الله بقوم ثمود؟ ماذا فعل الله بقوم لوط؟ ماذا فعل الله بقوم شعيب؟ ماذا فعل الله بفرعون وقومه؟ ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

قال الله ﷻ: «**الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ**» أخرجه مسلم [١].

فالله ﷻ لا يظلم أحداً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، والله لا يرضى بالطغيان والاستكبار، ومن أذن الله له بالطغيان من البشر؛ فإنما يوظف طغيانه لإظهار دينه، وإعزاز أوليائه، ثم يُهلك الله ﷻ هذا الطاغية، ويجعله مع الطغاة أثرًا بعد عين: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ [الحاقة/ ١-١٠].

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص/ ٤].

فماذا فعل الله به؟ ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف: ٥٥].

الله ﷻ هو الرب العظيم، الذي لا يخفى عليه شيء، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القادر على كل شيء، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ليس لعظمته بدايةٌ ولا نهاية، هو الأول قبل كل شيء، الآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن دون كل شيء: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣].

هو العظيم الذي ليس لعظمته بداية ولا نهاية، وهو الخلاق العليم الذي يخلق في كل

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

ثانية مليارات المخلوقات، التي لا تعد ولا تحصى، وكل مخلوق سوف يفنى، ولا يبقى إلا الواحد الأحد: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ [الرحمن/ ٢٦-٢٧].

هو جل جلاله العظيم، الحي الذي لا يموت، عظيمٌ في حياته، حيٌ قيومٌ لا ينام، وكل من سواه من حي فسوف يموت: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)﴾ [غافر/ ٦٥].

هو الحي بكامل الأسماء والصفات والأفعال، وحياته لم يسبقها عدم، هو الحي الذي خلق الحياة في كل حي، هو الحي الذي عنده خزائن الحياة، هو الحي الذي وهب الحياة لكل حي، وإذا سلبها عاد ميتًا، هو العظيم الذي أعطى الحياة لكل حي، وأذن لكل حي أن يبقى حيًا: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)﴾ [الملك: ١ – ٢].

فما أعظم نعم الله على عباده فطعام كل يوم، وحياة كل يوم، وهداية كل يوم، وعبادة كل يوم، هو من فضل الله العظيم على العبد: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣)﴾ [النحل/ ٥٣].

فسبحان العظيم بذاته، العظيم بصفاته، العظيم بأفعاله، العظيم بملكه وسلطانه، العظيم في دينه وشرعه، العظيم في ثوابه وعقابه، إذا أعطى أعطى الجزيل، كم يعطي أدنى مؤمن في الجنة وما فيها دني؟ يعطيه مثل هذه الدنيا عشر مرات؛ لأنه العظيم الذي يعطي على قدر شأنه لا على قدر سؤال العبد، فالعظيم هو الذي يعطي العظيم، أما المخلوق فهو فقير يعطي من عطاء الله، ومهما أعطى فهو قليل منقطع.

فالإنسان إذا أعطاه الله أعطى، وإذا لم يعطه فيكون فقيرًا، فغنى الإنسان من عطاء ربه الرحمن جل جلاله، والله ﷻ هو العظيم الغني الذي لا يحتاج إلى شيء، هو الغني الذي لا تنقص خزائنه، وكل ما سواه إذا أعطى نقصت خزائنه، أما الله فلا تنقص خزائنه إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، وماذا يأخذ المخيط من البحر؟ وهذا للتقريب، والغني الذي تنقص خزائنه ليس بغني، الغني هو الذي لا تنقص خزائنه

أبدًا: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس/ ٦٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

أما الإنسان فهو في وجوده محتاجٌ إلى الله، هو كان معدومًا فأوجده الله، وحين أوجده ملكه، وبقاؤه وفناؤه بيد الله ﷻ، فالإنسان في وجوده وحياته محتاج إلى كل شيء، محتاج إلى الماء، محتاج إلى الطعام، محتاج إلى الهواء، محتاج إلى اللباس، بل هو محتاج في وجوده إلى الله أن يوجده: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ [الإنسان/ ١-٣].

هو سبحانه العظيم، ولابد للقلب أن يعرف العظيم؛ حتى يمتثل أمره العظيم، وينال ثوابه العظيم، هو سبحانه العظيم في ملكه، العظيم في علمه، العظيم في قدرته، العظيم في خلقه، العظيم في عطائه، العظيم في ثوابه، العظيم في عقابه، العظيم في قهره، سبحانه الواحد القهار: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

الله عظيمٌ قبل أن يعظمه الخلق، وكبير قبل أن يكبره الخلق، وواحدٌ قبل أن يشهد له الخلق بالوحدانية، وحميد قبل أن يحمده الخلق، ورزاق قبل أن يرزق الخلق وخالق قبل أن يخلق الخلق: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠١ - ١٠٢].

فإن عظمت ربك تولاك بالأمن، والطمأنينة، والسكينة، والرزق، والهداية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

وإن عظمت نفسك وكلك إليها، فالمؤمن يعيش في الدنيا مع المنعم، وينسب النعم إليه، والكافر يعيش مع النعمة، وينسب حصولها إلى نفسه، ويكفر بالمنعم الذي أوصلها إليه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩﴾ [إبراهيم/ ٢٨-٢٩].

وإذا عرف المؤمن ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله، عظمه بقلبه ولسانه وجوارحه،

وعظم كتابه، وعظم رسوله، وعظم دينه، وعظم أولياءه، وعظم شعائره.

ومن عرف العظيم ﷻ، خضع قلبه لربه العظيم، وانقادت جوارحه لربه الكبير، ونطق لسانه بحمده وشكره وتسبيحه وتقديسه، وخشع قلبه لهيبته، ورضي بقسمته، وأطاع ربه العظيم ولم يعصه؛ وصغرت الدنيا في عينه، وانتقلت من قلبه إلى يديه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

- **والله ﷻ في القرآن بين أربعة أمور:**

الأول: أن القرآن إما خبر، وإما إنشاء، فالخبر خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، أو خبرٌ عن مخلوقاته كخلق السماء والأرض، والجبال والبحار، والإنس والجن، والملائكة، والجنة والنار، أو غير ذلك من المخلوقات: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

الثاني: إنشاء، وهو إما طلب فعل، أو طلب ترك، كما قال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء/ ٣٦].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

وقال عز وجل: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة/ ٢٧٥].

فبعد معرفة الخالق العظيم بأسمائه وصفاته، ومعرفة مخلوقاته العظيمة، الملك العظيم الكريم، بألوهيته أنزل تكليفه الشرعي لنا، وشرفنا به، بأن نعبده وحده، ولا نعبد سواه، فالتكاليف الشرعية من ألوهيته، والنعم المادية من ربوبيته، ومن عطاء ألوهيته هذا الدين العظيم الذي يربط المخلوق بخالقه، ويربط هذا الإنسان بالملائكة، ويربطه بالمؤمنين، ويربطه بالآخرة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

فهذا الدين الحق هو أعظم رباط يربط المؤمنين بعضهم مع بعض، ويربطهم بالناس جميعًا دعوةً وتعليمًا، ويربطهم بالجن كذلك، ويربطهم بالملائكة، ويربطهم بالخالق، العظيم فأعظم رابطة تربط الناس هي الدين: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

والعظيم جل جلاله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، فجمع النبي ﷺ الصحابة على الدين فتحابوا عليه، ولو جمعهم على الدين لتقاتلوا عليها، ولكن العظيم جمعهم على الأمر العظيم فتحابوا عليه؛ فنالوا ثوابه العظيم في الدنيا أمنًا وخلافةً، وطمأنينةً وهدايةً، وسعةً في الدنيا، ويوم القيامة يفوزون بجنته، ورضوانه، والقرب منه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

فمن عرف ربه العظيم صغرت الدنيا في عينيه؛ لأن الذي خلق الدنيا علق عليها لوحة، عنوانها: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٤].

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

فالله يزهدنا في الدنيا؛ حتى لا نُقبل على الدنيا، بل نجتهد لنحصل على العليا، وهي الجنة، فمن عرف العظيم آمن به وأطاعه، وعمر آخرته، وصغرت الدنيا في عينيه، وعصمت الآخرة في قلبه، فإذا أهمه أمر رفع يديه للعظيم وقال: يا عظيم اهدنا، يا عظيم ارزقنا، يا عظيم انصرنا، يا عظيم اشفنا، يا عظيم ارحمنا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فالله ﷻ أعطانا الصلاة للاتصال به، نكبره أولًا ثم نحمده ثانيًا "الله أكبر" في التكبيرات، ثم نحمده: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة/ ٢].

وبعد الرفع من الركوع: "الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ملء السموات، وملء الأرض"؛ ثم نسأله أعظم سؤال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[الفاتحة/ ٦].

ثم نستغفره من ذنوب القلوب والجوارح فيما بين السجدتين: "ربِ اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني، واجبرني، وعافني، ربِ اغفر لي، ربِ اغفر لي"، ثم نقدم التحية له؛ لعظمته، وعظمة أسمائه وصفاته، ولعظمة دينه وشرعه؛ ولأنه أكرمنا وأنعم علينا بنعم لا تعد ولا تحصى، ومنها هذا الدين العظيم، فنقدم التحية له ونقول: "التحيات لله والصلوات والطيبات"، ثم نسلم ونصلي على الذي كان سببًا في اتصالنا بخالقنا، فلا يدخل أحد الجنة إلا بعد النبي ﷺ، فهو أول من يدخل الجنة.

فهو سبحانه العظيم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؛ فهو عظيم قبل أن تعظمه، وسواءٌ عظمناه أو لم نعظمه هو عظيم، هو العظيم أبدًا، سواءً عظمته أو لم تعظمه، إنما إذا عظمته اتصلت به، وكسبت رضاه، وأطعته، ونلت ثوابه، هو العظيم الذي لا بداية لعظمته ولا نهاية لها: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤﴾[الشورى/ ٤].

هو العظيم الكبير المحيط بكل محيط، محيطٌ بالكرسي، محيطٌ بالعرش، محيطٌ بالسموات والأرض: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ۝١٢٦﴾ [النساء: ١٢٦].

محيطٌ بالبحار، محيطٌ بالجبال، محيطٌ بالعالم العلوي، محيطٌ بالعالم السفلي، محيطٌ باليوم الآخر، هو العظيم الكبير، المحيط بكل محيط، ولا يحيط به محيط، القادر المحيط بكل قادر، العظيم الذي لا أول له ولا آخر: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[الحديد/ ٣].

فلا إله إلا الله ما أعظم ملكه، وما أظهر وجوده، وماأعظم أفعاله.

فالإيمان بأن لهذا الكون العظيم خالقًا ضرورة فطرية: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم/ ١٠].

أما الإيمان بالله العظيم، الإيمان الكسبي الناشئ عن معرفة العظيم، فهذا الإيمان المطلوب الذي يخشع به القلب، وتخضع به الجوارح في الطاعة والعبادة لربها: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

فمعرفة العظيم تولد التعبد الحق، والمسارعة إلى الخيرات، والمسابقة إلى الفضائل والحسنات، فمن عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله آمن بالعظيم، وأطاع العظيم، وامتثل أمره العظيم، ونال ثوابه العظيم: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد/ ١٩].

فلا إله إلا الله ما أعظمه، وما أعظم ملكه وسلطانه!، وما أعظم دينه وشرعه! وما أعظم ثوابه وعقابه! فلا يليق بالإنسان أن يتصل بالفقير، أن يتصل بالصغير، أن يحرك جوارحه في عمارة الدنيا الفانية، بل يجب عليه أن يتصل بالعظيم؛ ليستفيد من عظمته وكبريائه وإنعامه وإحسانه: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

ومن رأى بقلبه الملك العظيم؛ تلاشت عظمة نفسه؛ فكبر الله، وحمد الله، وأطاع الله، وأحب الله، ومن رأى بقلبه ربه العظيم يفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء ويرزق ما يشاء ويقلب الليل والنهار، ويفعل ما يريد، تلاشت عظمة نفسه، وعرف أنه عبد ضعيفٌ فقيرٌ عاجزٌ محتاج، وأنه عبد في أرض مولاه، ليس له من الأمر والخلق شيء بل الأمر كله لله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فمن عرف ربه العظيم عظم في قلبه، وتلاشت عظمة نفسه، فكبر الله وحده، وحمد الله وحده، وأطاع الله وحده، وأحب الله وحده، وذل له وحده، وخضع له وحده: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وبتعظيم العظيم، وتكبير الكبير، والذل للعزيز، يرفع الله هذا العبد، وكلما ازداد العبد ذلًا وافتقارًا رفع الله قدره وذكره: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ٦ – ١١].

لماذا؟، لأنه اتصل بالله العظيم، عرف الله، أطاع الله، فالله نقله من اليتم فآواه، ومن الضلال فهداه، ومن الفقر فأغناه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح/ ١-٤].

فسبحان الله ما أعظم تواضع العارفين لربهم العظيم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

النبي ﷺ لما أُخرج من مكة، ثم دخلها عام الفتح، دخلها منصورًا من ربه ﷻ، دخلها متواضعًا مطأطئ الرأس، تكاد عمامته أن تمس عنق راحلته، تواضعًا لربه العظيم؛ لأنه ذكر ربه العظيم، الذي أيده ونصره وأرسله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة/ ٢].

والله ﷻ بين أن رسوله بالمؤمنين رءوف رحيم، لكن تيمور لنك الكافر الحاقد لما دخل الشام، أمر أن يُبنى هرم من جماجم الناس، فقتل من المسلمين خمسين ألفًا تقريباً بنى بها برجًا عظيمًا؛ لأنه طغى بسلطانه وقوته، فقصمه الله ﷻ.

فمن توكل على العظيم كفاه كل شيء، وأعانه؛ لأنه العظيم وحده، ولا يليق بالعبد أن يعتز بنفسه، ويستكبر عن عبادة ربه، بل يتوكل على العظيم ليكفيه كل شيء ويُعينه، ويحفظه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

ومن اعتمد على نفسه أو علمه أو ماله أذله الله من جهة ما اعتمد عليه؛ ومن آثر طاعة الله على معصيته أفلح وربح، ومن آثر معصية الله على طاعته هلك وخسر، فمن ابتغى أمرًا بمعصية الله كان أبعد مما رجا، وأقرب مما اتقى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ

عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾[التوبة/ ٢٥-٢٦].

فالله ﷻ بيده كل شيء، النصر بيده، النصر ينزل كما ينزل القطر من السماء، النصر لا يكون إلا من ناصر، وإعداد القوة هذه من الأسباب، وأمرنا الله باتخاذ الأسباب، لا استكمال الأسباب، الأسباب نفعلها: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

لكن اعتمادنا على القوي، وأخذنا بالأسباب أمر مطلوب شرعًا، ما نستطيع نأخذ به، لكن نفعلها ولا نعتمد بقلوبنا إلا على الله، ولا نتوكل إلا على العظيم، العظيم في قوته، العظيم في قهره، العظيم في نصره، ينصرنا الله ﷻ بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب.

نصر الله إبراهيم ﷺ بضد الأسباب، أرادوا إهلاكه بالنار وإحراقه، فالله بقدرته أنجاه من النار، وقال للنار: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[الأنبياء/ ٦٩].

إبراهيم ﷺ ضحى بالحياة فوهب الله له الحياة في النار، وضحى بالولد فالله أعطاه أحسن ولد، حفظ له الولد إسماعيل، وأخرج من نسل الولد أفضل ولد، وهو محمد ﷺ، وضحى بالبلد فالله أعطاه أحسن بلد مكة، فبنى البيت العتيق، وطاف بالبيت العتيق، وضحى بأم الولد هاجر فتركها بواد غير ذي زرع فخلد الله ذكرها، وجعل خطوتها بين الصفا والمروة من مناسك الحج والعمرة.

فلا يمكن لأحد أن يطيع الله، ويكون يقينه على الله، إلا ويجيبه الله فورًا، كما أجاب إبراهيم فورًا، وكما قضى حاجته فورًا.

وكل من عصى الله فالله يجازيه بمعصيته فورًا: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

ومن أطاع الله، وسأل الله، فالله يعطيه فورًا: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الأنبياء/ ٨٧-٨٨].

فالفلاح مقرون بالطاعة، والخسران مقرون بالمعصية، فلا فلاح للإنسان ولا سعادة إلا إذا حقق ما أراد الله منه.

- **وما أراده الله منه أربعة أمور:**

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر/ ١-٣].

آمنوا وعملوا الصالحات فيما بيني وبين ربي، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فيما بيني وبين الخلق.

فكل إنسان في خسار إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع، فأسباب النجاة الله ذكرها بقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر/ ١-٣].

أما أسباب الهلاك فهي في كل ما سوى ذلك: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء: ١٤].

ونار جهنم شديدة الحرارة، فيها العذاب الشديد، فيها العذاب الأليم، فيها العذاب العظيم، وفيها العذاب الكبير، فيها العذاب المهين، بل فيها أكثر من ستة عشر نوعاً من أنواع العذاب: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾ [البقرة/ ١٧٥].

فكيف بما في داخل النار من السجون المظلمة المحرقة الموحشة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾ [الأنعام: ٣٩].

فسبحان الله الذي يملك أنواع النعيم العظيم، وأنواع العذاب العظيم.

فما أجهل الإنسان إذا عصى ربه وكفر به!، وما أخسره إذا ضل عن الحق والهدى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦].

ولكي نحصل على الهداية لا بد من الجلوس في بيئة الهداية، ولدوام الاستقامة لا بد من لزوم بيئة الهداية، ولا بد أن ننقطع عن جو الغفلة، وجو الانحراف: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ

﴿يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

بيئة الهداية كلها نور، وبيئة الشهوات كلها ظلمات: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

وأفضل أحوال العبد أن يعظم ربه العظيم، ويكبر ربه الكبير، ويتواضع له، ويمتثل أمره، فهذا هو العظيم عند الله، المقبول عند الله، فكم خاملٍ في الأرض أمام الناس علمًا كبيرًا في السماء: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم/ ٣٢].

وليتيقن العبد أن الله عظيم؛ فيجب أن يعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وذلك يثمر له أن يعظم كتابه، وأمره، ورسوله، ويعظم شعائره ودينه: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج/ ٣٢].

فالله هو العظيم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فالله بصيرًا بالعباد يسمع ويرى كل شيء، وهو بكل شيءٍ عليم، وبكل شيء بصير، سميعٌ لكل شيء، يرى جميع ما في ملكه: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الشورى: ٤].

وليس من سنة الله أن يكون السارق كالمسروق، والظالم كالمظلوم، ولا يكون الكافر كالمؤمن، ولا المتقي ربه كالفاجر وعظمة العظيم تأبى التسوية بينهما، فلا بد من حسابٍ وثوابٍ وعقاب: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة/ ٨٨-٩٦].

فالله أكبر، كم عظمة نعمة معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله؟! كم عظمة نعمة معرفة نعمة دين الله وشرعه، ووعده ووعيده؟! أعظم النعم التي نتميز بها عن الحيوانات وعن الكفار والمشركين، هو هذا الدين العظيم: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

هذا الدين الحق الذي من الله ﷻ به علينا: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحجرات/ ١٧].

كم عظمة هذه النعمة؟! المؤمن يسعد بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتعبد لله بها، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، أعظم من تلذذه بالطعام والشراب، وأعظم من تلذذ الكفار بالطعام والشراب، وأعظم من تلذذ الحيوان بالطعام والشراب.

نعيم القلب يختلف تمامًا عن نعيم البدن، البدن حامل للمخلوق الذي يسمع ويعقل ويُبصر، البدن سيارة، وفي داخل هذا البدن هذا القلب العظيم الذي يحيا بمعرفة ربه العظيم: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام/ ١٢٢].

فالله ﷻ خلق هذا الإنسان بيده، وهو يريد له أن يكون أحسن شيء، ويعمل بأحسن شيء؛ لأن الله ﷻ عظيمٌ كريم، يريد من عبده أن يترقى إلى أعلى درجة في الإيمان والتقوى، والأعمال والأخلاق؛ ليكون في أعلى مقام، سقف جنته العرش العظيم.

قال النبي ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ يُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**» أخرجه البخاري(١).

فوالله لا يصل إلى هذا المكان، إلا من عرف العلي الأعلى بأسمائه وصفاته، وعبده بموجب هذه المعرفة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾[الكهف: ١١٠].

فالله جل جلاله هو العظيم في ذاته ويجب علينا أن نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ حتى تعرف القلوب من تعبد؟ من تكبر؟ من تسأل؟ من تدعو؟.

نعرف عظمة ذاته وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله؛ حتى تنقاد القلوب لامتثال أمره، والعمل بشرعه، بالحب والتعظيم والذل له.

هو العظيم في ذاته، العظيم في علوه، وقدره، وشأنه، هو العظيم الذي أثنى على نفسه، وأثنى عليه خلقه، فهو العظيم حقًا، المعظم من خلقه حقًا ، العظيم الذي تهابه جميع المخلوقات، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠).

﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وصفة العظمة لله تبدو فيما خلقه من عظائم المخلوقات، كالعرش العظيم، والكرسي الكريم، والسموات والأرض، وما عليهما، وما فيهما، وما بينهما: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤﴾[الشورى/ ٤].

هو العظيم الذي لا نهاية لعظمته وكبريائه، وقدرته وعلمه، وجبروته وقوته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق/ ١٢].

فالله ﷻ هو العظيم القوي العزيز الجبار، القادر القاهر وحده لا شريك له، العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، العظيم الذي لا يمتنع عليه شيء أبدًا، القادر الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، العظيم الذي لا يمكن أن يعصى كرهًا أو يخالف أمره قهرًا: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾ [الزمر: ٤].

هو العظيم الذي خلق الأجسام العظيمة، وأحاط بالأجرام العظيمة، وخلق الأنوار العظيمة، وحفظ الأشياء العظيمة: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾[البقرة/ ٢٥٥].

هو العظيم الذي أظهر عظمته في أفعالٍ يُحدثها فتهابه مخلوقاته، كتجليه للجبل فصار دكًا من جلاله، وما شاهده من عظمته: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾[الأعراف/ ١٤٣].

لما تجلى الله العظيم للجبل خر الجبل دكًا، فانهد أعلاه على أسفله، فمخلوق عظيم شاهد الخالق العظيم فاندك، فموسى لما رأى الجبل صعق: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾[الأعراف/ ١٤٣].

فماذا قال الله ﷻ له: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾[الأعراف/ ١٤٤].

وهكذا نحن، نحن أمة مبعوثة كالأنبياء: «**إنما بُعِثْتُم مُيَسِّرِينَ**» أخرجه البخاري[1].

ليس في هذه الأمة نبي إلا نبيٌّ واحد، وهو محمد ﷺ، وأمته خلفاؤه في أمته، عليهم عبادة الله ﷻ، وعليهم دعوة الناس إلى الله ﷻ، وعليهم تعليم شرع الله ﷻ، وعليهم الإحسان إلى الخلق: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)**﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

هذه الصفات العظيمة كالجبال العظيمة؛ فمن جاء بالعظيم، أعطي الثواب العظيم: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)**﴾ [فصلت: ٣٣].

﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)**﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿**كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)**﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿**۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)**﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

هذا هو الدين الحق، أقول للناس الدين الحق، وأقول لهم: قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا؛ حتى يؤمن الناس بربهم، ويطيعونه، ويسبحون بحمده كما تسبح المخلوقات لربها، ويشترك جميع الناس مع كافة المخلوقات في التعظيم والتكبير، والتسبيح والتقديس، لربنا ﷻ: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)**﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فكن أنت أول المسبحين: ﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)**﴾ [الواقعة: ٩٦].

والشمس والقمر آيتان من آيات الله العظيمة، فإذا تجلى الله لأحدهما خسف خضوعًا لعظمته، ليخافه عباده: ﴿**وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩)**﴾ [الإسراء/ ٥٩].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله، لَا يَسْجُدَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٢٨).

لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ إِذَا تَجَلَّى اللهُ لِشَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ خَضَعَ لَهُ» متفق عليه [1].

فسبحان ربنا العظيم الذي تسجد له جميع مخلوقاته: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٤٩ – ٥٠].

والحقيقة أن الكلام عن العظيم عظيم، والكلام عن الكبير كبير، والكلام عن الواسع واسع، فما تكفي ساعات محدودة، أو دروس معدودة، للكلام عن العظيم، فإن الله عظيم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فالكلام عن عظمته، وجلاله، وكبريائه شيء عظيم، والأمر أكبر من ذلك فالكلام عن العظيم عظيم لا نهاية له: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) ﴾ [المزمل: ٨ – ٩].

الله ﷻ هو العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، هو العظيم في خزائنه وملكه وسلطانه، هو العظيم في أخباره وأحكامه، هو العظيم في وعده ووعيده: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨) ﴾ [طه/ ٨].

هو جل جلاله العظيم الذي خلق كل عظيم في العالم العلوي والعالم السفلي؛ من العرش والكرسي، والسموات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والجماد والنبات، والحيوان والإنسان، والجن والملائكة وغيرهم: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو جل جلاله العظيم، المالك لكل عظيم، رب العرش العظيم: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴾ [النمل/ ٢٦].

هو العظيم الذي كل شيء خلقه، وكل شيء ملكه، وكل شيء تحت قهره وتدبيره: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩) ﴾ [آل عمران/ ١٨٩].

هو العظيم الواهب لكل عظيم من أنواع الحياة، والهواء، والماء، والطعام، والنور، والصحة في الأبدان، والأمن في الأوطان: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ﴾ [النحل/ ٥٣].

هو العظيم الواهب للأقوات والأرزاق والأخلاق، هو العظيم الواهب للأسماع والأبصار والعقول، والأموال والأولاد: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠٤٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٩١١).

وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء/ ٧٠].

هو العظيم الذي جعل هذه الأمة خير الأمم؛ لما تقوم به من أعمال الأنبياء من الدعوة والعبادة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

هو العظيم الذي عنده خزائن العظمة، وبيده مفاتيح كل شيء: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر/ ٢١].

هو العظيم الذي لا أعظم منه، الملك الذي كل شيء ملكه: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ ﴾[الشورى/ ٤].

هو جل جلاله العظيم الذي ثوابه عظيم لمن آمن به، وامتثل أمره: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾[المائدة/ ٩].

هو العظيم الذي فضله عظيم: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة/ ٤].

هو العظيم الذي مَن على خلقه بهذا الدين العظيم: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة/ ٣].

هو العظيم الذي مَنَّ على هذه الأمة ببعثة الرسول الكريم، الرءوف الرحيم: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

هو العظيم الذي وعده عظيم لمن آمن به وأطاعه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة/ ٧٢].

ووعيده عظيم لمن كفر به وعصاه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة/ ٦٨].

هو العظيم الذي وعده عظيم لمن آمن به، وسابق في مرضاته، وسارع إلى كل عمل صالح ابتغاء مرضاته؛ من أنواع العبادة، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة/ ١٠٠].

هو العظيم جل جلاله الذي أكرم هذه الأمة بكتابه العظيم، وكتابه المجيد، وكتابه الحكيم، وكتابه العزيز: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧﴾ [الحجر/ ٨٧].

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١﴾ [ق/ ١].

﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ [يس/ ١-٢].

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت/ ٤١-٤٢].

الله ﷻ هو العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولا بد لنا من معرفة العظيم؛ وإذا عرفناه عظمنا أمره، وأطعنا أمره، لا بد من معرفة العظيم الذي لا أعظم منه، العظيم الذي لا نهاية لعظمته، فمهما عرفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو أعظم وأعلى وأكبر: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد/ ٣].

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤﴾ [الشورى/ ٤].

لا بد أن يعرف القلب من هو العظيم؛ لتتحرك الجوارح، ويتحرك اللسان، بأنواع الطاعات القولية والعملية، لا بد أن يمتلئ القلب بمعرفة العظيم الذي ليس لعظمته بداية ولا نهاية، وليس لعظمته أولٌ ولا آخر: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤﴾ [الحج/ ٧٤].

هو العظيم الذي لا تهتدي العقول لوصف جلاله وجماله، وعظمته وكبريائه، على ما يليق بجلاله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

التعبد لله ﷻ باسمه العظيم

إذا عرف المسلم ربه العظيم، فعليه أن يتعبد لله باسمه العظيم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

فكيف نتعبد لله باسمه العظيم؟ فالعبد إذا رأى عظمة ربه وكبرياءه تلاشت عظمة نفسه وتصاغرت أمام ربه، فخشع قلبه لربه العظيم، وتواضع لربه العزيز الكريم: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦ -١٧].

فبالجلوس في مجالس الإيمان يزداد الإيمان، ويمتلئ القلب بالإيمان والتقوى؛ فيعرف المسلم ربه العظيم، ويعرف ما يجب له، ويؤدي العبادة، ويعلم هذا الدين؛ فالجو الإيماني هو جو الرحمة، وجو الخير، والجو الذي تنبت فيه الأخلاق العالية، والأقوال السديدة، والأعمال الصالحة: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف/ ٢٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة/ ١١٩].

تجلس في مجالس الإيمان بالحب الكامل لله ولرسوله، والحب الكامل لكلام الله وكلام رسوله، وبالتعظيم الكامل لكلام الله وكلام رسوله، وبالافتقار الكامل والاحتياج الشديد لكلام الله وكلام رسوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

- **وأعظم العلوم التي نطلبها، ونتقرب إلى الله بها، ونعبد الله بموجبها هي:**

العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ

﴿إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

فمعرفة العظيم عظيمة، والكلام عن العظيم عظيم، والكلام عن الكبير كبير، ونحن في هذا الكتاب إنما نتكلم بكلمات يسيرة عن ربنا العظيم؛ لأن الكلام عن العظيم عظيم، لا نهاية له؛ فكما لا نهاية لعظمته، فكذلك لا نهاية للكلام عن حمده وتمجيده، وتعظيمه وتكبيره جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

ولكننا نقول ونستغفر؛ فربنا عظيم لا يعطي إلا العظيم، ولا يأمر إلا بالعظيم، ولا يعد عباده إلا بالعظيم جل جلاله، فلابد للقلب أن يعرف هذا العظيم، ومن تواضع للعظيم عظمه ربه في نفوس خلقه، ومن ذل للعزيز أعزه بين خلقه، ورفع ذكره: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾ [الشرح/ ١-٤].

﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة: ١١].

فأبصر شرح الله صدرك ونور قلبي وقلبك، عظمة ربك، بالنظر في ملكوت السموات والأرض؛ فسترى ربك العظيم الذي لا أعظم منه، وستعرف الكبير من الصغير، وتعلم القوي من الضعيف وتشاهد الملك من العبيد، وترى الغني من الفقير: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

لنعرف المخلوق؛ حتى نعرف عظمة الخالق، ونتعرف على الصور؛ لنعرف عظمة المصور، ونتعرف على النعم والأرزاق؛ لنعرف عظمة المنعم، وعظمة الرازق جل جلاله.

ماذا في السموات والأرض؟ هذه السموات العظيمة، وهذا الشمس والقمر، وهذا الفضاء الواسع، وهذه النجوم الزاهرة، وهذه الأرض العظيمة.

وهذه النباتات المختلفة، وهذه الكواكب النيرة، وهذه الجبال الراسيات، وهذه البحار الزاخرات، وهذه الدواب التي تدب على وجه الأرض؛ من حشرات وحيوانات وطيور، وهذه الأسماك التي تملأ البحار: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

من خلق هذه المخلوقات العظيمة؟، من أبدعها؟، من صورها؟، من يدبرها؟: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١١].

فانظر إلى عظمة العظيم، وقوة القوي، في الملك والملكوت، لتعظمه وتعبده: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

فسبحان من أظهر ذاته وأسماءه وصفاته في أفعاله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

فالمقصود من الأذكار والأدعية والعبادات تعظيم الله، وتوحيد الله، وتكبير الله، ثم التقرب إليه بما شرعه على لسان رسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

وأعظم من عرف ربه العظيم، وأعظم من ذكر ربه العظيم، من افتقر إلى ربه العظيم، وتذلل له، وخشع له، هو سيد الخلق محمد ﷺ، الذي كان أحسن الناس خَلقًا وخُلقًا؛ ولهذا أعزه الله، وأعلى مقامه، ورفع ذكره حيًّا وميتًا، وأمرنا بالاقتداء به فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

واعلم أن كل من كفر بالله، أو أشرك، أو استكبر عن عبادته، أو عصا؛ فهو لم يؤمن بالله العظيم، وإنما معه إيمان الفطرة، ولو آمن بالله العظيم؛ لذلت نفسه لله العظيم، وخشع قلبه لربه العظيم، وانقادت جوارحه لطاعة ربه العظيم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

فمقصود العلم ليس العمل فقط؛ لأن المنافق يتعلم ويعمل، لكن المقصود الخشية المقرونة بالعمل، أن يخشى الإنسان ربه، المقصود أن يخشى القلب ربه، وأن تخضع الجوارح لربها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون/ ١-٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

فالله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وإذا عرفناه آمنا بكتابه العظيم، وامتثلنا أمره العظيم، ونلنا ثوابه العظيم، فثوابه للمؤمنين عظيم، ووعده عظيم، وكذلك عقابه وعذابه عظيم لمن كفر به وعصاه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣ – ١٤].

فوعده عظيم، ووعيده عظيم، وهو جل جلاله العظيم بذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

ومن عرف العظيم؛ عظمه وكبره، فمعرفتنا بربنا ﷻ من خلال آياته ومخلوقاته، وآياته الكونية عظيمة مبثوثة في الكون، ومخلوقاته عظيمة مبثوثة في الكون، وآياته الشرعية عظيمة مذكورة في كتابه العظيم: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧].

ومن مخلوقاته العظيمة من يعظم لنفاسة الذات، وشرف الصفات.

من مخلوقات الله ما هو عظيم، عظيم لنفاسة ذاته، وشرف صفاته، ومن ذلك:

العرش العظيم، العرش الكريم، العرش المجيد، والكرسي العظيم، ومن الملائكة العظام جبريل، وميكائيل، وإسرافيل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

فجبريل له ستمائة جناح، بطرف جناحه رفع خمس قرى من قرى قوم لوط إلى السماء، ثم

قلبها عليهم، جبريل له ستمائة جناح، لو مد جناحًا واحدًا منها لسد الأفق، وصار النهار ليلًا مظلماً: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢ – ٨٣].

فسبحان العظيم الذي خلقه وأقدره، وكم تكون قوته لو استعمل كل أجنحته؟.

وميكائيل إذا نفخ في الصور نفخة واحدة؛ صعق من في السموات ومن في الأرض، ثم ينفخ نفخة أخرى فيحيا من في السموات ومن في الأرض: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٨ – ٦٩].

فهذه قوة نفخة هذا الملك إسرافيل، فكيف بقوة أجنحته ورجليه وبدنه؟ فكيف بقوة الذي خلقه جل جلاله؟ فكم عظمة هذا الملك العظيم! وكم عظمة من خلقه جل جلاله!: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦].

فمن مخلوقات الله ﷻ من يعظم لنفاسة الذات، وشرف الصفات؛ كالعرش، والكرسي، ومن الملائكة جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومن الناس الأنبياء.

الله ﷻ هو العظيم الذي وهب العظمة لكل عظيم، وعظم من شاء، وحقر من شاء، فمن الناس الله ﷻ عظم الأنبياء والرسل والمؤمنين، وأعظم هؤلاء قدرًا، وشأنًا، وعلماً، وإيمانًا، وأقوالًا، وأعمالًا، وأخلاقًا، سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ، الذي قال الله عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم/ ٤].

فالله ﷻ جعل الصفات العالية، والأخلاق السامية، منثورة في الأنبياء، ثم جمعها في سيد الأنبياء، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء، فعلينا بالجهد على الناس؛ حتى يُعلموا هذه الصفات، ويتزينون بها، فينفعون أنفسهم، وينفعون غيرهم: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٨].

ومن عرف الله العظيم تواضع لعظمته، لما يراه من عظمته، وجلاله، وعلمه، وكبريائه، وجبروته.

من عرف الله العظيم تواضع لعظمته، وخضع لعزته، وأحبه، فعظم قدر الله جل جلاله

في نفسه، وعظم هو في عين الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

وعلى قدر العلم بالله يكون تعظيمه، وتكون محبته، وتقوى عبادته.

فعظم قدر ربك جل جلاله، وعظم أسماءه وصفاته؛ تعظيمًا لشأنه، وجلاله، وكبريائه، وعظم كتبه، وملائكته، ورسله، وعظم رعاك الله أولياءه وحرماته، وعظم مناسكه ومشاعره وشعائره، وكل ما عظمه من الأمكنة، والأزمنة، والأشخاص، والأقوال، والأعمال، والأخلاق: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

واعلم أنه لا كرب إلا بذنب، ولا مصيبة إلا بمعصية الله العظيم: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى/ ٣٠].

ومعصية العظيم عظيمة، فلا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى العظيم الذي عصيت، ومعصية العظيم عظيمة وكبيرة، فمهما صغر الذنب فهو عظيم؛ لأن المعصية للعظيم عظيمة؛ لما فيها من مقابلة العظيم، ورد أمره، وعدم توقيره: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٤].

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

وجميع الكروب بسبب الذنوب في حق العظيم، جميع المصائب التي تصيب الناس إنما تكون بسبب الذنوب في حق العظيم، ومعصية العظيم.

ومعصية العظيم من الخلق نحذرها، ومعصية العظيم من الخلق يخاف منها الخلق، فتراهم يطيعون الكبير منهم والرئيس والملك والوزير، ولا يعصونه، فكيف بمعصية العظيم الذي لا أعظم منه؟! فمن أصابه كرب؛ فليسارع إلى توحيد الله العظيم الذي عصاه بجهله، وليقل: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا**

إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» متفق عليه[1].

فلا يزيل الكرب إلا هذا الدعاء، بالاعتراف للعظيم بالتوحيد، والاعتذار للعظيم من ذلك الذنب، قال النبي ﷺ عند الكرب: «**اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**» أخرجه النسائي[2].

فيفزع الإنسان إلى التوحيد، ليزول عنه الكرب، والعظيم سبحانه أمرنا أن ندعوه وحده، ووعدنا على الدعاء بالإجابة، ومقصود الدعاء التضرع والانكسار بين يدي الخالق؛ والشكوى إليه وحده، حتى لا نُذل أنفسنا لأحدٍ سواه، أما الإجابة فقد قطع الله بها، ووعدنا بالإجابة، والله لا يخلف الميعاد: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)**﴾ [غافر/ ٦٠].

ومن رحمة الله بنا أن أذلنا له، ولم يذلنا لغيره، فحاجاتنا عنده؛ لأنه الصمد الذي يُصمد إليه في الحوائج، ويفزع إليه عند الشدائد: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)**﴾ [البقرة/ ١٨٦].

- **ودعاء الله ﷻ ثلاثة أنواع:**

الأول: دعاء الثناء، كدعاء الكرب: لا إله إلا الله العظيم كما مر معنا، ودعاء أيوب ﷺ: ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣)**﴾ [الأنبياء/ ٨٣].

ودعاء يونس ﷺ: ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)**﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

الثاني: دعاء المسألة: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)**﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

الثالث: دعاء العبادة كالأدعية والأذكار الوارد في الصلاة وغيرها من العبادات.

وكل دعاء من هذه الثلاثة يتضمن البقية.

وجميع أنواع الحمد والثناء، وجميع أنواع التسبيح والتنزيه؛ لا يستحقه إلا الله العظيم؛

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

(٢) صحيح/ أخرجه النسائي برقم (١٠٤٠٨).

لأنه عظيم، والمقصود من هذه الأدعية والأذكار والسؤال لربنا ﷻ توحيده، وتعظيمه، وتكبيره.

قال النبي ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ؛ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**» متفق عليه(١).

فليحمد العبد ربه العظيم على كمال ذاته وأسمائه وصفاته، وسبحان الله العظيم أنزهه عما لا يليق بجلاله من النقص والعيب، والشريك والمثيل، ومشابهة المخلوقين: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١ - ٤].

والمقصود من جميع أنواع العبادات أن يعظم المؤمن العظيم، ويُوحد العظيم، ويُكبر العظيم، ويُحب العظيم، ويعبد العظيم، ويُثنى عليه.

مقصودنا من معرفة أسماء الله الحسنى، وصفات الله العلا، أن نعظم العظيم، ونعرف اسمه العظيم، واسمه الكبير، واسمه القوي والجبار، والملك، والعزيز، والقهار، وغيرها من أسماء الجلال، فهذه أسماء تدل على العظمة، وأن نعرفه، وأن نحبه إذا عرفناه بأسمائه الجميلة: كالكريم، والجميل، والغفور، والرحمن، والرحيم، والرزاق، والودود، والحليم، اللطيف وغيرها من أسماء الجمال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠].

فالعبادات والأذكار والأدعية وجميع العلوم المقصود منها توحيد الله، وتعظيم الله، وحب الله، وعبادة الله بموجب هذه المعارف، فهذه المعارف تولد الحب الكامل لله، والتعظيم الكامل لله، والذل الكامل لله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

فنحمد الله ﷻ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، والعظمة لله وحده لا شريك له،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٨٢) وأخرجه مسلم برقم (٢٦٩٤).

والكبرياء لله وحده لا شريك له، ولا حظ للعبد في صفة العظمة، ولا حظ له في صفة الكبرياء؛ بل الكبرياء والعظمة لله وحده.

فأنا في الصلاة أعظم العظيم، وأكبر الكبير، وأخضع بقلبي ولساني وجوارحي للعظيم جل جلاله، فأركع للعظيم، وأسجد للعظيم وأقول في الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى؛ والصلاة أقوالًا وأفعالًا تخلص الإنسان من شوائب العظمة والكبرياء، وتدفعه للخضوع والطاعة للعظيم الكبير، العلي الأعلى.

ولهذا فرض الله على المؤمنين خمس صلوات في اليوم والليلة؛ رحمةً بهم: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة/ ٢٣٨].

وجميع تكاليف الدين شفاء ورحمة، ولهذا أمرنا الله بتعظيم حرمات الله العظيم، فعلًا أو تركًا، أمرًا أو نهيًا: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ٣٠﴾ [الحج/ ٣٠].

ولا يعظم الحرمات إلا من عرف العظيم، ولا يعظم الحرمات إلا من عرف الوعد بالجنة والرضوان لمن امتثل الأمر، والوعيد بالنار وسخط الرب لمن لم يعظم حرمات الله ﷻ، وهذا التعظيم للشعائر والحرمات ناشئٌ عن تعظيم العظيم سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج/ ٣٢].

من عظم الشعائر كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والعمرة، وأنواع الطاعات، وبر الوالدين، والإحسان إلى الخلق؛ فهذه ثمرة من ثمار تقوى القلوب: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحج/ ٣٢].

فما أعظم الله! وما أعظم أسماءه وصفاته! وما أعظم ملكه وسلطانه! وما أعظم جلاله وجماله! وما أعظم دينه وشرعه وكتابه! فسبح بحمد ربك العظيم، وسبح باسم ربك العظيم، وسبح باسم ربك الأعلى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فالله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه، نتعرف على الإله الحق جل جلاله؛ فهو الإله العظيم،

والرب الكبير، الذي له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله ما بين السماوات والأرض وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السماوات والأرض، وله مقاليد السماوات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣].

فالله ﷻ هو العظيم الذي بيده ملكوت كل شيء، هو العظيم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هو العظيم الذي له ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وملك الدنيا والآخرة، وملك عالم الغيب وعالم الشهادة، وملك جميع العوالم، هذه العوالم العظيمة تدل على العظيم.

وجهات التعظيم بين الخلق أربع:

فالذي يُحمد ويمجد، ويُعظم ويُشكر من الخلق في الدنيا إنما يُعظم ويمجد لأحد أربعة أمور:

الأول: إما لكون هذا الإنسان كاملًا في ذاته وصفاته، منزهًا عن النقائص والآفات.

الثاني: وإما لكونه محسنًا إليك وإلى غيرك.

الثالث: وإما لأني أرجو وصول إحسان هذا العظيم إليَ في المستقبل.

الرابع: وإما لأني خائف من قهره وسطوته في المستقبل.

فهذه هي الجهات الموجبة للتعظيم بين الخلق، ولا يستحق هذا التعظيم المطلق على وجه الكمال إلا الله وحده، فالله يقول: إن كنتم تعظمون من له الكمال الذاتي؛ فاحمدوني؛ فإني رب العالمين، وإله العالمين، إذا كنا نعظم من الناس من هو كامل الذات والصفات، المنزه عن النقائص والآفات؛ فالله أولى بهذا التعظيم من المخلوق؛ لأنه هو الكامل في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، وخزائنه وقدرته، وملكه وسلطانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فإن كنتم ممن يعظمون الكمال الذاتي أيها الخلق؛ فاحمدوني فإني إله العالمين، ورب العالمين، فقولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة/ ٢].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۝١﴾ [فاطر/ ١].

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام/ ١].

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الكهف/ ١].

هو الذي من علينا بالنعم المادية والنعم الروحية: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

وإن كنتم ممن يعظمون الإحسان؛ فأنا رب العالمين أربيكم، فكم من صغير كبرته! وكم من فقير أغنيته! وكم من مريض شفيته! وكم من خائف أمنته! وكم من عسير يسرته! وكم من ضال هديته! وكم من جاهل علمته! فالحمد لله رب العالمين: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧].

إذا كنتم تعظمون الإنسان لإحسانه؛ فيجب أن يكون هذا التعظيم بالكامل للذي بيده الفضل والمن والإحسان إلى خلقه؛ هو رب العالمين: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ [النحل: ١٨].

وإن كنتم ممن يعظمون الناس للطمع في خيرهم في المستقبل؛ فأنا الرحمن الرحيم، في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ [الفاتحة/ ٢-٣].

وإن كنتم ممن تعظمون الناس للخوف منهم؛ فأنا أولى بذلك التعظيم، فأنا: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة/ ٤].

يوم ينتقم الله للمظلوم من الظالم؛ فهو الملك الذي له ملك الدنيا والآخرة، وله ملك السموات والأرض، وله الملك كله، وكل ما سواه مماليك له: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [الملك: ١].

فالله ﷻ مَن علينا بأن عرفنا بنفسه، وفطرنا على توحيده، وأمرنا بمعرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله.

فهذه المعرفة هي غذاء القلب، وهي جنة النعيم الموضوعة في هذه الدنيا، فجنة الدنيا هي جنة المعرفة بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده، من دخل هذه الجنة فلا تراه إلا ذاكرًا لربه ﷻ، مسبحًا بحمده، عابدًا له، شاكراً له، مستغفراً له، مطيعاً له، داعياً إليه، متخلقًا بأحسن الأخلاق والآداب: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا

ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

وربنا ﷻ عظيم، ولا يليق بالعبد إلا أن يعظم هذا العظيم جل جلاله؛ ليكون عظيمًا بين يدي ربه، وبين يدي خلقه، بامتثال جميع أوامر ربه، فالاتصال بالعزيز عزة، والاتصال بالقوي قوة، والاتصال بالعظيم عظمة، فلنقبل على ربنا التعرف عليه بأسمائه وصفاته، والتعبد له بذلك: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فأعظم العبادات، وأرفعها قدرًا، وأنفعها ثمرة؛ هو الإيمان الذي يحصل بالنظر والتفكر في عظمة أسماء الله وصفاته وأفعاله، وفي عظمة ملكوت السموات والأرض، وتدبر الآيات الكونية، والآيات القرآنية: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

فننظر بالبصر للمخلوقات، وننظر بأبصارنا لكتاب ربنا، وننظر ببصائرنا لعظمة ربنا، فهو العظيم الذي لا أعظم منه، الخالق الذي خلق كل شيء، القادر الذي قدر على كل شيء، المحيط بكل شيء، العليم بكل شيء، الرزاق الذي رزق كل أحد، المالك الذي كل شيء ملكه، المحسن الذي كل شيء من فضله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

فلا بد من التعرف على العظيم في الدنيا؛ فمن عرف العظيم وآمن به في الدنيا؛ رآه يوم القيامة: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

فالوجوه والأبصار التي رأت ربها في الدنيا، وعملت بشرعه؛ تراه يوم القيامة عيانًا، كما قال النبي ﷺ: «**إنكم سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذا القَمَرَ**» متفق عليه[1].

والله ﷻ أمرنا بأن ننظر في ملكوت السموات والأرض، لنتجاوز المخلوقات إلى الخالق، والصور إلى المصور، والمماليك إلى الملك، ونتجاوز الدنيا إلى الآخرة، ونتجاوز محبوبات النفس إلى محبوبات الرب، ونتجاوز حب الشهوات البهيمية إلى حب الأوامر الملكية،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٥٤) و أخرجه مسلم برقم (٦٣٣).

والعمل بها، وتقديمها على محبوبات النفس: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

فالأصل هو عبادة الله، وقضاء الوقت كله لله ﷻ طاعةً وتعبدًا ودعوة وتعليمًا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

ومن الظلم التصرف في مُلك الغير بغير إذنه، أو وضع الشيء في غير موضعه، فالتوحيد حق الله، ولا يجوز صرف العبادة لغيره: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٦].

وأظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنجس النجاسات، إدخال الشرك على التوحيد؛ فالشرك أنجس النجاسات، فإن الشرك وضع للشيء في غير موضعه، بأن يعبد الإنسان مع الله غيره، أو يكفر بالله العظيم.

العبادة حق لله الواحد الأحد، فمن صرفها لغيره؛ من هوًى، أو من إنسان، أو حيوان، أو جماد، أو شمس، أو قمر؛ فقد أشرك بالله الشرك الأكبر، ووقع في الظلم الأعظم: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

ومن الظلم التصرف في ملك الغير بغير إذنه؛ فالإنسان والحيوان وكل ما في الكون مُلك لله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة/ ١٢٠].

فهذا الإنسان ملك لله، لا يجوز له أن يمشي على هواه، بل يمشي على هدى ربه؛ غير مسموح له ثانية واحدة يمشي على الهوى، الذي يمشي على الهوى هو الحيوان؛ ولهذا الحيوان ينام متى شاء، ويقوم متى شاء، ويأكل ما شاء، ويشرب ما شاء، ويسير حيث

شاء؛ أما الإنسان فهو عبد لربه، كرمه بإنزال الكتب عليه، وإرسال الرسل إليه، ومنحه السمع والبصر والعقل، ليعبد ربه وحده لا شريك له: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

فالإنسان منهي أن يسير على هواه؛ مأمور أن يستقيم على هدى ربه: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١].

ما هي دائرة عمل المسلم في هذه الدنيا؟ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٢-١٦٣].

هذه وظيفة المؤمن والمؤمنة في الدنيا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

ما هو جزاؤهم إذا قاموا بتلك الوظيفة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

فالمؤمن في هذه الدنيا لا يجوز له أن يمشي على هواه، بل هو عبد لله وسيعود إلى الله، ولكنه في هذه الدنيا الله ﷻ أعطاه هذا الدين ليتزود لآخرته، والله لا يستغني بعطاء الناس شيئًا، ولا يزداد كبرياء بتكبير الناس له، ولا يزداد عظمة بتعظيم الناس له، ولكن: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾ [الإسراء/ ٧].

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت/ ٦].

لأن الله كبير قبل أن نكبره، وعظيم قبل أن نعظمه، وحميد قبل أن نحمده، وشاهد لنفسه بالوحدانية قبل أن نوحده، ومسبح بحمده بأن يخلق المسبحين له.

سبح نفسه قبل أن نسبحه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء/ ١].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠].

وجميع مخلوقاته تسبحه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ

﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[الإسراء/ ٤٤].

فسبح أنت، سبح اسم ربك الأعلى، وسبح باسم ربك العظيم: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾[الواقعة/ ٧٤].

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾[النصر/ ٣].

نزه ربك عما لا يليق بجلاله، ونزهه عن النقائص والعيوب، وعن المثيل والشبيه، وعن مشابهة الخلق، فتعظيم الله ﷻ بإثبات أسماء الله الحسنى، ونفي عنه ما لا يليق بجلاله من النقص والعيب والمثيل والشبيه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

فالله ﷻ هو العظيم، وأمرنا أن نعرفه بأسمائه وصفاته فقال: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾[المائدة/ ٩٨].

فأنا في طريقة حياتي لا أسير على شهواتي كالحيوان، ولا أسير على حسب هواي كالكافر، بل أسير على وفق أمر ربي؛ إيمانًا، وامتثالًا للأوامر، واجتنابًا للنواهي، أسير على ما أمرني الله ﷻ به، فأقتدي بالنبي ﷺ، وأتعبد لله باسمه العظيم بأن أكون عظيمًا؛ عظيمًا في نيتي، عظيمًا في أقوالي، عظيمًا في أخلاقي، عظيمًا في أعمالي، عظيماً في عبادتي، عظيماً في انفاقي: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢﴾ [الزمر: ١١ – ١٢].

فالله عظيم، أراد مني أن أتعبد لله بهذا الاسم العظيم، فأكون عظيمًا في نيتي، والنية يجب أن تكون واسعة، والأجر على قدر سعة النية، يكون في قلبي نية هداية البشرية، بل هداية الإنس والجن، يكون في قلبي حب لله ﷻ وتوحيده، وأن يحبه الناس، ويعبدوه، ويوحدوه.

قال النبي ﷺ«**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» متفق عليه(١).

تكون نيتي عالمية للإنس والجن، نيتي لهداية نفسي، وهداية العالمين، ونيتي تدور في ثمان دوائر كنية النبي ﷺ: نيته في أعماله إصلاح نفسه، وإصلاح أهله، وإصلاح عشيرته ، وإصلاح قومه، وإصلاح أهل بلدته، وإصلاح أم القرى وما حولها، وإصلاح الناس،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١)واللفظ له ، ومسلم برقم (١٩٠٧).

وهداية العالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

وأكون عظيمًا في أقوالي: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة/ ٨٣].، وآمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وأذكر الله كثيرًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾ [الأحزاب/ ٤١].

وأدعو إلى الله: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

وأعلم شرع الله: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وأكون محسنًا إلى الناس، أصل من قطعني، وأعفو عن من ظلمني، وأعطي من حرمني، وأحسن إلى من أساء إلي: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾

[فصلت: ٣٣ – ٣٥]

وأكون عظيمًا في أفعالي، جميع الأفعال أقوم بها على السنة خالصةً لوجه الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

وأجزم وأعتقد وأتيقن أن الله يراني إن تحركت، أو قمت، أو ركعت، أو سجدت، وأن الله يسمعني إن تكلمت، وأن الله عليمٌ بما في قلبي إن سكت وأضمرت، وأن الله ﷻ أرحم بي من نفسي، وأنه قادر على قضاء حاجتي؛ وأنه يحب أن يقضي حاجتي: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس: ٦١].

في جميع الأمور، في جميع الأفعال، تكون حياتي مطابقةً لحياة النبي ﷺ؛ نيةً، وأقوالًا،

وأعمالًا، وأخلاقًا: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وأكون الأول في أحسن الصفات والأعمال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فالمؤمن يتزين بهذه الزينات العظيمة: زينة القلب التوحيد، والإيمان، والتقوى، والصدق، والصبر، وزينة الجوارح بالأعمال الصالحة الموافقة لسنة النبي ﷺ، هذه الزينة أجمل من زينة الأرض، الله جعل ما على الأرض زينةً لها؛ ليست لنا، وجعل الدين زينةً لنا: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحجرات: ٧].

وزينة الدين لا تكمل إلا بالقيام بما قام به النبي ﷺ؛ عبادةً، ودعوةً، وتعليمًا، وإحسانًا إلى الخلق، فالدين عظيم، والدين جميل، والدين هو جنة المعرفة، وأعظم ما في جنة المعرفة معرفة الله جل جلاله بأسمائه وصفاته، فإذا صح النظر من العبد أصاب القصد، إذا كان البصر سليمًا؛ رأيت الجبل، ورأيت البحر، ورأيت الكعبة، إذا صح النظر أصاب القصد؛ فأدرك القلب عظمة الرب العزيز الجبار، وعظمة نعمه وإحسانه، ورؤية مخلوقاته العجيبة، وآياته العظيمة، وكلماته الحكيمة: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ ﴾ [النبأ: ٦-١٧].

إن القلب والعقل يعقل أن لهذا الخلق خالق، ولهذه الصور مصور، ولهذه الأرزاق رازق، ولهذا الكون مُكوِّن: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك؛ أحببتم الله وعظمتموه، وإذا أحببتموه وعظمتموه؛ تقربتم إليه بما يحبه

ويرضاه، بإتباع رسوله: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

وليس عند العبد في هذه الدنيا عمل إلا امتثال أوامر الله فعلًا أو تركًا، ليس عند العبد بالامتثال أوامر سيده، لا يجوز له أن يشتغل عند غير سيده؛ فنحن عبيده، وفي ملكه؛ خلق لنا الأرض، ووضع عليها المائدة، ووضع فيها اللباس، وسخر لنا كل شيء؛ فعلينا أن نشتغل بما يحبه ويرضاه لا ما تحبه أنفسنا وتهواه، ونأخذ من الدنيا بقدر الحاجة، ونعطي للدين بقدر الطاقة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

الجنة تحتاج إلى مجاهدة وإلى عمل، ألا من مُشَمِّر إلى الجنة؟ كلنا نجاهد؛ حتى نتحصل على المال الذي نشتري به الأشياء الفانية، فكيف بالجنة الباقية التي عرضها السموات والأرض؟! تحتاج إلى مجاهدة، تحتاج إلى أن ندخل مع الأبواب التي دخل منها النبي ﷺ وأصحابه.

باب العبادة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢﴾ [المزمل/ ١-٢].

وباب الدعوة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾ [المدثر: ١-٧].

وباب التعلم والتعليم: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وقال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري(١).

وباب الإحسان إلى الخلق: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فالدين هدى وبيان، وشفاء ورحمة، ورضوان وجنات لكن باستكمال العمل في هذه الأبواب: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

ومن جاء بالدين الكامل؛ نال الثواب الكامل، وله من ربه الرضوان الكامل، فالحمد لله أن مَن علينا بهذا الدين العظيم، ومَن علينا بالنعم التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

فالله ﷻ هو الكريم العليم الذي يسر لنا سبل معرفته، وفتح لنا أبواب رضاه وحسن عبادته.

فسبحان الله! ما أعظم شأنه!، وما أعظم قدرته! جعل قلب الإنسان وبصره يتسع لمعرفة جملة المخلوقات العلوية والسفلية، فكم نعرف من الخلائق التي لا يحصيها إلا هو جل جلاله من عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان، وعالم الملائكة، وغيرها من المخلوقات: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

الله يدلنا على معرفته، ويأمرنا بمعرفته، ويبين لنا ما هي صفاته، وما هي أفعاله؛ حتى نهابه ونخافه، ونحبه ونرجوه، ونسأله وندعوه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

هو العظيم الذي له الخلق كله، في العالم العلوي والعالم السفلي، في الدنيا والآخرة، وله الأمر كله؛ الأوامر الملكية الكونية، الأوامر الملكية الشرعية، الأوامر الملكية الجزائية بالوعد والوعيد، وله الحكم كله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف: ٦٧].

فالله ﷻ له الخلق كله، وله الملك كله، وله الحمد كله، وله الأمر كله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

فالله ﷻ عظيم، وأظهر من عظمة قدرته أن جعل قلب الإنسان وبصر الإنسان الصغير يتسع لمعرفة جملة المخلوقات العلوية والسفلية، ويتسع لمعرفة الخالق الذي لا يحيط به أحد، وهو المحيط بكل أحد، وهذا من أخص الشواهد على عظيم قدرة الله، وعظيم كرمه، وعظيم إحسانه، حيث هيأ لعباده سبل معرفته، ويسر لهم طرق الوصول إليه؛

ليروا عظمة ربهم في خلق العالم العلوي والعالم السفلي، وخلق الدنيا والآخرة، وخلق الصغير والكبير، وخلق الذرة والجبل، وخلق القطرة والبحر: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

إذا عرفتم أنه لله؛ فلماذا تخرجون عن أمر الله؟ فأنتم لا تستطيعون أن تخرجوا عن قدرته في خلقكم وفي أرزاقكم، ولا تستغنون عنه؛ فلماذا تقبلون قوته؟ وترفضون أمره؟: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧﴾ [المؤمنون: ٨٦ – ٨٧].

ما دام عرفتم أنه العظيم الذي خلق السموات، ورب السموات، ورب العرش العظيم، الذي يربي جميع مخلوقاته؛ أفلا تتقونه؟ فتمتثلون أوامره، وتجتنبون نواهيه؟.

﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ [المؤمنون/ ٨٨-٨٩].

من بيده تغيير الليل بالنهار؟ وتغيير الحر بالبرد؟ وتغيير الأمن بالخوف؟ وتغيير العزة بالذلة؟ وتغيير الفقر بالغنى، من بيده الحياة والموت، والتدبير والتصريف، والخلق والأمر: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢﴾ [المؤمنون: ٨٩ – ٩٢].

هو العظيم جل جلاله الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه؛ فلنتوجه إليه في جميع أمورنا؛ لأنه القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، الذي عنده خزائن كل شيء.

وإذا عرف العبد ربه العظيم؛ عظم قدر ربه عنده؛ فعظمه، وكبره، وأحبه، وحمده، وسبحه، ووحده، وآمن به، وآمن بكتبه ورسله، وعمل بشرعه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦﴾ [الواقعة/ ٩٥-٩٦].

الله ﷻ هو الكبير المتعال، الكبير قبل أن نكبره، العظيم قبل أن نعظمه، الحميد قبل أن نحمده، الواحد قبل أن نوحده، لا يزداد بتكبيرنا كبرياء، ولا بتعظيمنا عظمة؛ لأنه

كامل الذات والأسماء والصفات: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

هو الغني عن كل ما سواه، لا ينفعه إيمان المؤمنين به، ولا يضره كفر الكافرين به: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ٦٨﴾ [يونس/ ٦٨].

وإنما نفع الإيمان والطاعات يعود على المؤمنين، وضرر الكفر والمعاصي يعود على الكافرين: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ ٧﴾ [الإسراء/ ٧].

ومن عمل عملًا صالحًا أو سيئًا؛ قطف ثمرته، أو نال عقوبته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد: ١٢].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾ [المزمل/ ١٩].

فالحمد لله أن مَن علينا بهذا الدين العظيم، وأعطانا أعظم وأفضل وظيفة، وهي الدعوة إلى الله ﷻ وتعليم شرعه، فلنجتهد في جميع الأعمال والأوامر التي أمرنا الله ﷻ بها: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت: ٦].

فاجتهد أيها المسلم والمسلمة لتكون صالحًا ومصلحًا، وعالمًا ومعلمًا، وذاكرًا ومذكرًا؛ تفوز بأعلى الدرجات عند ربك الكريم: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ [طه: ٧٥ – ٧٦].

واجتهد على نفسك بكمال الإيمان والتقوى، واجتهد على غيرك بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله؛ فهذه أوامر ربك العظيم، اعمل بذلك يهدك الهادي إلى سبل رضاه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

والله ﷻ عظيم ولا نهاية لعظمته، وما عرفنا من عظمته إلا بمقدار الذرة من الجبل، أو القطرة من البحر؛ فالله لا نهاية لعظمته، ولا أول ولا آخر لعظمته، وكل ما سواه عبده، خاضع لعزته، ومسبح بحمده: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٣ – ٤٤].

فعظم ربك العظيم أبدًا، سبحه بكرةً وأصيلًا، واذكره ذكرًا كثيرًا؛ فهو أهل أن يُحمد، وأهل أن يُعظم، وأهل أن يُكبر؛ فعظم ربك العظيم جل جلاله، عظم قدره، وعظم أسماءه وصفاته، وعظم أمره، وعظم إطلاعه عليك؛ فإنه ينظر إليك أبدًا؛ حتى كأنه ما خلق أحدًا سواك، فاحذر غضبه وسخطه، وأرضه، ولا تسخطه بقول أو فعل؛ فإن أخذه أليم شديد، وعذابه شديد، وعذابه أليم، وعذابه مهين، وعذابه كبير: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)﴾ [الفجر: ٦ – ١٤].

بالمرصاد لكل ظالم وطاغية، والطاغية والظالم الكبير ينتقم الله به من الطغاة والظلمة الصغار، ثم ينتقم منه، كما حصل من فرعون مع بني إسرائيل، وكما يحصل الآن في كل مكان، وفي كل زمان، فسبحان العظيم القادر على كل قادر، القاهر لكل قاهر، القاصم لكل ظالم: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾ [هود: ١٠٢].

وإذا عرفت ربك العظيم فعظمه، وعظم ملائكته، وعظم كتبه بإتباعها، وعظم رسله، وعظم دينه، وعظم مناسكه، وعظم شعائره، وعظم حدوده، وعظم حرماته؛ تكن من المتقين الفائزين: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)﴾ [الحج/ ٣٢].

وهذا التعظيم كله يأتي في القلب متى؟ إذا عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته، وأفعاله وإحسانه، فعلى العبد تحصيل ذلك وطلبه، وطريق ذلك أن يُكثر من حضور مجالس الإيمان والذكر التي تنزل فيها السكينة والرحمة على القلوب؛ فيزيد الإيمان، ويزيد تعظيم الله ومحبته، ثم تزيد الطاعات، ثم تتنوع الطاعات، ثم يأتي رضا الله، ثم يسعد هذا الإنسان في الدنيا، ثم يسعد عند موته، ثم يسعد في قبره، ثم يبلغ كمال السعادة في جنة عرضها السموات والأرض، ثم يحصل له الرضوان والفوز بالنعيم الأبدي: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤)﴾ [الفتح/ ٤].

وإذا زاد الإيمان بالله العظيم؛ جاء الإيمان بكتابه العظيم، وزاد العمل بدينه العظيم، وزاد

حب الله العظيم، ورسوله الكريم، ثم اطمأنت القلوب بذكر الله العظيم، فلم تلتفت لأحدٍ سواه؛ تعبدًا، وتعليمًا، ودعوةً، وذكرًا، وتسبيحًا، وتمجيدًا وتقديسًا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ۝٢٩﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

لأنه هو الوكيل الذي تكفل بكل شيء، وعنده خزائن كل شيء، وهو الكريم الذي يعطي العطاء، ويفرح بالعطاء، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة.

وإذا اطمأنت القلوب بالله العظيم؛ عملت بشرعه الحكيم، ونالت ثوابه العظيم في الدنيا والآخرة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ [الفجر/ ٢٧-٣٠].

فأيها المؤمن، وأيتها المؤمنة الزم باب العبودية لربك العظيم، والزم الوقار والسكينة والحياء بين يديه، واضرع إليه بخضوع وخشوع، وسله أن يرحمك ويعافيك، ويعصمك مما يكرهه، ويُبعدك عنه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ۝٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ [الإسراء/ ٧٨-٧٩].

وهذه الصلاة هي معراج المؤمن، فيها تكبير الله، وفيها حمد الله، وفيها سؤال الله ﷻ، وفيها استغفار الله ﷻ، وفيها تقديم التحية له، والثناء عليه، والصلاة والسلام على من كان سببًا في معرفة هذا الدين الحق وهو محمد ﷺ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤﴾ [هود: ١١٤].

وانكسر بين يدي ربك العظيم، واسجد بين يديه متصاغراً لعظمته، متذللًا معتذرًا مستغفرًا؛ عساه أن ينظر لضعفك، ويرحم فاقتك، ويجبر كسرتك، ويغفر ذنبك، ويُصلح جميع أمورك، ويهديك لما يرضيه ويرضيك: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ۝٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٦٨﴾ [النساء/ ٦٦-٦٨].

فلا قيمة للعبد إلا بطاعة الله ورسوله! ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ

عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

فمن لزم الجو الإيماني في هذه الدنيا؛ ملأ الله قلبه إيمانًا، وشغل أوقاته بذكره، واستعمل جوارحه في عبادته.

- **والجو الإيماني نستفيد منه خمس كرامات:**

الأولى: نتعلم الدين.

الثانية: نعمل بالدين.

الثالثة: نثبت على الدين.

الرابعة: نترقى في الدين.

الخامسة: ندعو إلى الدين.

المجالس الإيمانية مجالس الصدق والمحبة والتقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة/ ١١٩].

المجلس الإيماني يصلك بالله، ويقطعك عن مجالس أعداء الله، فالزمه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف/ ٢٨].

هذه الكرامات الخمس من ربنا ﷻ في الدنيا، لها مقابلها كرامات يوم القيامة.

فالله ﷻ يكرم من قام بهذه الأعمال العظيمة بثمان كرامات يوم القيامة:

الأولى: الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

الثانية: دخول الجنة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج: ١٤].

الثالثة: الخلود في الجنة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢].

الرابعة: رضوان الرب: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

الخامسة: رؤية الرب جل جلاله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

السادسة: سماع كلام الرب: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨].

السابعة: القرب من الرب جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

الثامنة: النجاة من النار: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

واعلم أيها المؤمن أن المخلوقات كلها، والعبادات كلها، والأوامر كلها؛ سرها وروحها تعظيم الرب الملك العزيز الجبار بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبادته بموجب أسمائه وصفاته، وتوحيده بأسمائه وصفاته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وهذا العلم يورث التعظيم والطاعة والمحبة لله ﷻ، وبالطاعة والتعظيم والمحبة يكون كمال التعبد لله ﷻ، وبالتعبد يأتي الثواب العظيم والأجر العظيم من ربنا ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف/ ١٠٧-١٠٨].

فاعرف ربك العظيم بأسمائه وصفاته، والزم طاعته، واحذر معصيته، وأحل ما أحل الله، واجتنب ما حرم الله؛ تفوز برضاه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه؛ أن العظيم جل جلاله شرع لك آدابًا تتأدب بها عند مناجاته، فأمرك بالوضوء للصلاة، والغُسل من الجنابة؛ إجلالًا لمناجاته والوقوف بين

يديه، وإجلالًا لكلامه وكتابه أن تتلوه على غير طهارة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة/ ٦].

فأمر ربك العظيم عليك أن تطهر ظاهرك بالماء، وتطهر باطنك بالتوبة النصوح والتوحيد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

- **فلا بد من نظافة الأبدان؛ فالأبدان يصيبها الوسخ والقذر من جهتين:**

الأولى: الغبار من الخارج.

الثانية: العرق من الداخل.

فالأغسال المتكررة تُذهب هذه الأوساخ المتكررة من الداخل والخارج.

- **وكذلك القلوب، تأتي إليها الذنوب من جهتين:**

الأولى: ذنوب داخلية قلبية: كالحسد، والنفاق، والكبر، والرياء، والشرك، وغيره من الصفات السيئة.

الثانية: ذنوب من الخارج؛ بأن ترى العيون ما حرم الله، وتسمع الأذن ما حرم الله، ويتكلم اللسان بما حرم الله، وشهوات تشغل عن ذكر الله.

فلطهارة الأبدان لا بد من الأغسال المتكررة، ولطهارة القلوب لا بد من التوبة المتكررة: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور/ ٣١].

والله ﷻ يحب التوابين، ويفرح بتوبتهم.

ولا تقف أيها المؤمن بين يدي العظيم وأنت مشغول بسواه؛ بل تجرد لعبادته وحده، واعلم أنه يراك، واعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإن يراك، وفرغ قلبك لذكره، واقطع العلائق عما سواه، وأقبل عليه، ولا تلتفت إلى الشواغل التي تُلهيك عنه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

وراقب أيها المؤمن رحمني الله وإياك من يسمعك ويراك.

راقب ربك العظيم في السر والعلانية، واشتغل بما يحبه ويرضاه قبل أن تلقاه.

واعلم أن نظر الرقيب العظيم سبحانه إليك سابقٌ إلى نظرك للمحرمات، بل سابق إلى همك بالطاعة أو المعصية: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

واحرص أن يكون عملك كله خالصًا لوجه ربك العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى، ولما يستحقه من عبادة وتعظيم لذاته، وجلاله وجماله، فهو أهل أن يُعبد، وأهل أن يُكبر، وأهلٌ أن يعظم، لا لثواب ترجوه، ولا لعقاب تتقيه فقط، فتكون حينئذ كالمتطوع بعبادتك، وكالأجير يعمل ليأخذ أجرته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك/ ١٢].

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠].

واعلم أن العظيم يُكرم من أطاعه بالجنة، ويُذل من عصاه بالنار، فربك كريم، وخزائن كل شيء بيده، وهو المستحق للعبادة لذاته وكماله وجلاله، وثوابه من جميل إحسانه، وهذه درجة الأنبياء والصادقين والصديقين: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة/ ٥].

ولهذه الدرجة العالية انتهت عبادة العابدين: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم/ ٤٢].

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

ولما لم يكن لكل المؤمنين تناول هذه الدرجة العالية؛ فصلها لهم على درجات؛ رأفةً ورحمةً بهم، فعبد قوم ربهم العظيم؛ لأجل مخافته؛ لأنهم عرفوا أنه عظيم قوي قادر قاهر؛ وأنه بيده كل شيء؛ ولأنه مالك النار، ومالك الجنة، ومالك الدنيا، ومالك الآخرة.

وعبده آخرون؛ لأجل رجائه، لأنهم عرفوا أنه رب رءوف رحيم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

وعبده آخرون؛ لأجل جلاله؛ لأنه الملك الحق العزيز الجبار الموصوف بالعزة والجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة.

وعبده آخرون؛ لأجل جماله وإحسانه، فهو الكريم الغفور اللطيف الرحمن الرحيم الودود.

وعبده آخرون لذاته؛ لأنه الرب العظيم، والإله الحق، الذي يستحق من خلقه جميع أنواع العبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولجلاله وجماله، ولعظيم نعمه وإحسانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فنحن نطمع في رضوان ربنا، ونطمع أن نفوز بالجنة، وننجو من النار، ولكن التعبد الكامل أن نعبد الله؛ لأنه الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له؛ لأنه رب العالمين؛ ولأنه الرحمن الرحيم؛ ولأنه مالك يوم الدين.

وأكمل هؤلاء من عبد ربه بجميع هذه العبوديات التي تملأ القلب نورًا وسرورًا، وكل من هؤلاء يذوق من طعم الإيمان وحلاوة العبادة مذاقًا لا تُحسن أن تتوهمه، فكيف لك أن تصفه؟.

فسل ربك العظيم أن يذيقك حلاوته، ويوصلك إلى حقيقته؛ فإن للإيمان اسمٌ، ولفظٌ، وصورةٌ، وطعم، وحلاوةٌ، وحقيقة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وجلت قلوبهم خوفًا، وخشيةً، وحبًّا، وتعظيمًا، وإجلالًا لله ﷻ.
الله أعطاهم العلم فهم يعلمون، وأعطاهم المال فهم ينفقون، وأعطاهم الأخلاق فهم يحلمون على الناس:
فقابل الله أعمالهم العظيمة بكرامات ودرجات عظيمة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٤].
وإياك أيها المسلم أن تعظم نفسك أو تجلها، أو تطلب لها ذلك عند الله وعند الناس؛ فأنت العبد الفقير للملك الغني.

- **أنت العبد المطبوع على أربع صفات:**

ضعيف .. فقير .. عاجز .. محتاج.
ضعيف أسأل القوي، فقير اسأل الغني، عاجز اسأل القادر، محتاج اسأل من يملك الحوائج جل جلاله، فلا تطلب العلو بقولك، وفعلك، وهيئتك، فتسقط من عين الله؛ لأن الكبرياء له: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].
﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨﴾ [لقمان/ ١٨].
والمتكبر كالذي فوق الجبل؛ فالذي فوق الجبل يرى الناس صغارًا، وهم يرونه صغيرًا، الله ﷻ الكبرياء له، والعظمة له؛ فلا تنازعه في واحدٍ منهما؛ فيعذبك بسبب ذلك.
من عرف ربه العظيم كبره وأحبه وآمن به، وتواضع لعظمته، وتصاغر لكبريائه.
فاستغفر لذنبك من الجهل بالله، وبدينه وشرعه، استغفر لذنبك من قلة العمل، استغفر لذنبك من عدم حُسن العمل، استغفر لذنبك من تأخير العمل: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].
ومن تعظيمه جل جلاله أن يُطاع فلا يعصى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

ويُذكر فلا يُنسى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٢].

ومن نسي الله؛ نسيه الله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ [التوبة/ ٦٧].

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الحشر/ ١٩].

ومن تعظيم الله أن يُشكر فلا يُكفر: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

ومن تعظيم الله ﷻ أن يحب ويحمد ويكبر ويوحد فإن جحدتم حقه: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء/ ١١١].

تكبير الله من أعظم العبادات، فالتكبير الوارد في السنة أكثر من ستمائة وخمسة وثلاثين مرة، يقولها المسلم في الأذان، والإقامة، والصلاة، والأذكار بعد الصلاة، وأذكار النوم، وغيرها من الأذكار.

فتكبير الله وتعظيمه أمرٌ مطلوبٌ شرعًا؛ بل هو التوحيد حقًّا.

ومن تعظيم الله ﷻ تعظيم ما عظمه العظيم؛ من الأماكن، والأزمان، والأقوال، والأعمال، والأخلاق، والأشخاص: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج/ ٣٢].

فالأماكن: كبيته العتيق، وسائر مساجد المسلمين.

والأزمان: كأوقات الصلوات الخمس، ويوم الجمعة، وليلة القدر، ويوم عرفة، وشهر رمضان.

والأقوال: كالأذكار، والأدعية وقراءة القرآن، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والوعظ والنصح.

والأفعال: كأنواع العبادات من وضوء، وصلاة، وزكاة، وصيام، وحج وغيرها.

والأخلاق بالتخلق بالأخلاق العالية، والبعد عن الأخلاق السيئة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ

فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

- **وأصول الأخلاق أربع:**

الأولى: أن تصل من قطعك.

الثانية: أن تعطي من حرمك.

الثالثة: أن تعفو عن من ظلمك.

الرابعة: أن تُحسن إلى من أساء إليك: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

ومن تعظيم لله تعظيم شعائره، وتعظيم حرماته: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج/ ٣٠].

فسبحان الرب العظيم الذي كتابه أعظم الكتب: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر/ ٨٧].

وكلامه أعظم الكلام: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

هو العظيم الذي لا تعد كلماته، ولا تنفد: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان/ ٢٧].

ودينه أحسن الأديان: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [النساء: ١٢٥].

ودينه أكمل الأديان: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

فسبحان العظيم القادر على كل شيء من صغير وكبير! القوي الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي خلق جبل كخلق ذرة، وخلق مجرة كخلق ذرة، وخلق بحر كخلق قطرة: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان/ ٢٨].

هذا الكون العظيم بما فيه من المخلوقات العظيمة خلقه الله ﷻ بحرفين من كلامه، فظهر بارزا من العدم: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي

﴿ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠ ﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠].

فسبحان العظيم القادر على كل شيء من المخلوقات، الذي له الخلق والأمر، وبيده الملك والملكوت، وله العزة والجبروت: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾ [الملك: ١].

وإذا علمت أيها المؤمن أن الله هو العظيم وحده لا شريك له؛ فاعبده وحده لا شريك له، وعظم كتابه، واتبع رسوله، ودينه، وأمره، وعظم شعائره؛ لتسعد في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ ﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

وكن خليفة الله في أرضه، تعبد الله، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، تفلح وتنجو: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

وادع إلى ربك العظيم، وانشر سنن رسوله الكريم، ولتكن حياتك في مرضاة ربك، عبادةً ودعوةً؛ لعلك ترضى، وتكون عظيمًا في عين ربك، عظيمًا بين الناس؛ ويعظم الله في نفسك، ويعظم ربك في قلوب الناس إذا عظمته بينهم، وكبرته بينهم: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ [فصلت/ ٣٣].

فالله يريد منك أن تكون عظيمًا في نيتك وفي أقوالك، في أعمالك، وفي جميع أمورك.

كن عظيمًا في إيمانك، واجتهد لتقوية إيمانك، ورَقِّهِ بما تستطيع من النظر في الآيات الكونية والآيات القرآنية؛ لتترقى من الإيمان الموجود بالإيمان المفقود، فتصل للإيمان المطلوب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾ [النساء: ١٣٦].

- **فالإيمان ثلاثة أقسام:**

الأول: إيمان مطلوب.

الثاني: وإيمان موجود.

الثالث: وإيمان مفقود.

فالإيمان الموجود: هو الموجود في حياتي، لا بد أن أرقيه؛ حتى أشارك في الأعمال الاجتماعية، والأعمال الانفرادية، ويكون لي نصيب من الدعوة، ومن العبادة، ومن التعليم، ومن الإحسان إلى الخلق.

فكن عظيمًا في إيمانك، عظيمًا في أقوالك، نحفظ هذا اللسان بالذكر والتسبيح والتحميد، بالدعوة إلى الله، بتعليم شرع الله، بالقول السديد، بالأمر بالمعروف، بالنهي عن المنكر، بالنصيحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

وسارع إلى ما يحبه ربك العظيم، وقدم محبوبات الرب على محبوبات النفس، وانتقل من الحب السافل إلى الحب الأعلى.

أحب ربك العلي الأعلى، وأحب أوامره، وأحب ملائكته، وأحب أنبياءه ورسله، وأحب المؤمنين، وسارع إلى ما يحبه ربك العظيم، واجتنب ما يكرهه من اللغو والفواحش من الأقوال والأعمال والأخلاق؛ تنال ثوابه العظيم: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء/ ١١٤].

فالحمد لله لربنا العظيم الذي بيده ملكوت كل شيء، والذي جعلنا مؤمنين، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨١].

لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات، ورب الأرض، ورب العرش الكريم.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، سبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة.

اللهم يا عظيم الأسماء والصفات، يا رفيع الدرجات، يا عالم الخفيات، يا مالك الأرض والسموات، يا عظيم الإحسان، يا غافر الذنب، يا قابل التوب، يا واسع الرحمة، لا إله إلا أنت، نسألك الفوز بالجنة، والنجاة من النار، يا واسع المغفرة، يا سريع الرضا، يا عظيم الصفح، اعفُ عنا، واغفر لنا، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســــم الله

القوي

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله القوي جل جلاله.

الله ﷻ هو الملك الحق، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السموات والأرض.

الله جل جلاله هو الرب العظيم القوي القادر القاهر، الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك/ ١].

- **إن معرفة أسماء الله وصفاته أصل التوحيد، ولُب الإيمان؛ فإن الفقه قسمان:**

الأول: فقه القلوب.

الثاني: فقه الجوارح.

وفقه القلوب: هو علم التوحيد والإيمان، واليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد: ١٩].

وفقه الجوارح: هو العلم بالأعمال المتعلقة بالجوارح من الذكر والدعاء، والصلاة والصوم، والزكاة وغيرها من الأعمال التي تقوم بها الجوارح، ويقوم بها اللسان.

والفقه في الدين يشمل هذا وهذا كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» متفق عليه[1].

فالفقه في الدين أعلاه وأعظمه هو معرفة الرب جل جلاله، فمعرفة الحقيقة غير معرفة الشريعة، معرفة الحق، والتعبد بالحق، هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله جل جلاله، وعبادته بموجب ذلك فأسماء الله ﷻ لا بد من معرفتها حتى نتعبد لله ﷻ بها، ولتسهيل

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣٧).

معرفتها، لا بد من معرفة أقسامها، والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٨].

- **وأسماء الله جل جلاله من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام:**

الأول: الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته؛ مثل: الله، الإله، الحي، القيوم، الواحد، الأحد، الحق، الأول، الآخر، وغير ذلك من الأسماء التي تدل على وحدانية الله ﷻ، لابد للإنسان أن يعرف أنه يعبد إلهاً واحدًا، ويطيع واحدًا، وهو عبدٌ لواحد.

الثاني: الأسماء الدالة على الملك والقدرة والقوة؛ مثل: الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القوي، القادر، وأمثالها من الأسماء.

الثالث: الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد.

مثل: الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، حتى إذا عرفت أن ربي هو الخالق، وهو البارئ، وهو الوهاب، وأعبده وحده، لا ألتفت إلى غيره.

الرابع: الأسماء الدالة على العلم والإحاطة؛ مثل: السميع، البصير، العليم، الخبير، الرقيب، الشهيد، الحفيظ، المحيط، وأمثالها من الأسماء التي تدل على كمال علم الله وكمال إحاطته بكل مخلوق.

الخامس: الأسماء الدالة على العفو، والرحمة، والمغفرة؛ ومن ذلك: الرب، الرحمن، الرحيم، الرءوف، الحليم، الحميد، الشكور، الودود، الولي، النصير، القريب، المجيب، العفو، الغفور، وغير ذلك من الأسماء المشابهة لذلك.

السادس: الأسماء الدالة على الهداية والبيان؛ مثل: الهادي، المبين، الوكيل، الكفيل، وأمثالها من الأسماء التي تدل على الهداية.

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلا، ولا بد للعبد أن يفقه هذه الأسماء، ويتعرف على ربه ﷻ، ليعبده بموجب هذه المعرفة. فالله ﷻ هو القوي، ولا شك أن الكلام عن العظيم لابد أن يكون عظيمًا، والكلام عن الكبير لابد أن يكون كبيرًا، والكلام عن القوي لابد أن يكون قويًا، فربنا ﷻ هو القوي وحده لا شريك له، وكل ما سواه من مخلوقاته ضعيف: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ۝٦٦﴾ [هود: ٦٦].

هو القوي الذي يملك خزائن القوة، هو القوي الذي لا أقوى منه جل جلاله، هو القوي العزيز الغالب لجميع من سواه، هو القوي وحده لا شريك له، وكل ما سواه من مخلوقاته ضعيف.

هو سبحانه القوي الذي يملك القوة كلها، القوي الذي خلق القوة في كل قوي، قوة الشمس، قوة القمر، قوة السموات، قوة الأرض، قوة العرش، قوة الكرسي، قوة الجبال، قوة الرياح.

هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة/ ١٦٥].

هو القوي في ذاته، وفي صفاته، وفي أفعاله جل جلاله.

هو سبحانه القوي الذي لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد، الكامل القدرة فلا يُعجزه شيء، التام القوة فلا يستولي عليه العجز أبدًا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق/ ٣٨].

هو سبحانه القوي لذاته، والقوة صفة ذاتية له لا تنفك عنه أبدًا كالحياة والسمع والبصر، لا تنفك عنه أبدًا، هو قويٌ أبدًا، قادرٌ أبدًا، عليمٌ أبدًا.

هو القوي العزيز الخلاق، الذي خلق العرش والكرسي، هو قوي بذاته، وقوي بصفاته، وقوي بأفعاله، له قوة الذات، فلا أقوى منه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود/ ٦٦].

هو القوي، وكل ما سواه ضعيف، فهو القوي في خلقه، والخلق فعل من أفعاله. هو القوي العزيز الخلاق الذي خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الملائكة العظام، وخلق الجبال الراسيات، وخلق البحار الزاخرات، وخلق النجوم الزاهرات، وخلق الحيوان والنبات، وخلق الإنس والجان: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢- ٦٣].

هو القوي وحده لا شريك له؛ لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره، الذي لكمال ذاته وأسمائه وصفاته يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود/ ١٠٧].

هو قوي عزيز، يُعز من يشاء، ويُذل من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويُضل من يشاء، ويحيي من يشاء، ويميت من يشاء: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آل عمران/ ٢٦].

- **ما هي أفعال القوي جل جلاله؟.**

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾[آل عمران/ ٢٧].

فسبحان القوي القادر القاهر الخلاق العليم، الذي خلق أعظم المخلوقات وهو العرش واستوى عليه برحمته، وخلق الكرسي، وخلق السماء، وخلق الملائكة، وخلق النجوم، وخلق الشمس والقمر، وخلق العالم العلوي بكل من فيه، وخلق العالم السفلي، الأرض، والجماد، والنبات، والحيوان؛ وغير ذلك. وهو القوي في خلقه؛ خلق أعظم شيء وهو العرش، وخلق أصغر شيء وهي الذرة، وخلق بينهما مخلوقات لا يحصيها إلا هو.

فكم في الكون من الذرات؟ كم من الكون من الهباءات؟

القوي جل جلاله خلق أعظم شيء، وأكبر شيء، وأصغر شيء، من العرش حتى أصغر المخلوقات، من صغار المخلوقات؛ كالذرة، والبعوضة، والنملة، وغيرها من صغار المخلوقات، وهذه البعوضة الصغيرة التي نراها من أصغر المخلوقات، وأضعف المخلوقات، القوي خلقها ﷻ، وجعل فيها من القوة ما يليق بعملها.

فهذه البعوضة هي مُليكة لا جيش لها سواها، تحقرها عين من تراها، ولكن هذه المخلوقة الضعيفة هذه المخلوقة لها مائة عين، وثلاثة قلوب، وست سكاكين، وثمانية وأربعون سنًّا، وعندها قوة الشم، فهي تشم الدم الصالح لتتغذى به من مسافة بعيدة.

فسبحان الخالق الذي خلق فأبدع، وصور فأحسن: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾[لقمان: ١١].

والله ﷻ خلق بقوته العرش العظيم، وأمسكه بقدرته، وخلق السموات والأرض، وأمسكهما بقدرته؛ لأنه قويٌ لا يُعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء.

وهو سبحانه القوي القادر على كل شيء، القوي الذي يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويُمسك الأجسام العظيمة، والذرات الخفية: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر/ ٤١].

فهو جل جلاله الملك الحق، القوي العزيز، وحده لا شريك له.

وقد ورد اسم الله القوي في القرآن تسع مرات، مقرونًا باسمه العزيز سبع مرات، لابد لنا من أن نعرف المعبود قبل العبادة، ونعرف الآمر قبل أن نمتثل أمره، ونعرف الحاكم قبل معرفة أحكامه، فلابد أن أعرف أن ربي ملك، حق، عظيم، كبير، قوي، رحمن، رحيم، غني؛ حتى أتعبد له بموجب هذه الأسماء؛ لأني خُلقت ضعيفًا وعاجزًا وفقيرًا ومحتاجًا، فأنا محتاج إلى القوي أستفيد من قوته، هو الذي أعطاني قوة البصر، وقوة السمع، وقوة البدن: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥].

فالله ﷻ هو القوي، ذو القوة والقدرة، وضد القوة الضعف والوهن والعجز.

والله وحده هو القوي القادر على كل شيء، الذي لا يُعجزه شيء، مهما كبر أو صغر، أو خف أو ثقل، أو ظهر أو بطن هو جل جلاله القوي الذي لا يخفى عليه شيء، ولا يُعجزه شيء: ﴿۞ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس/ ٦١].

هو جل جلاله قوي، لا يُعجزه شيء في ملكه وملكوته، وملكه عظيم، له ملك عالم الغيب وعالم الشهادة، وله ملك السموات والأرض، وله ملك الدنيا، وملك الآخرة، فهو جل جلاله ملك عظيم، وملكه عظيم.

والملك له صفات، ومن صفات الملك العظيمة أنه قوي، وأنه قادر، وأنه كريم، وأنه رحمن، وأنه لطيف، وأنه سميع، وأنه بصير.

فهذا الملك ملكه جل جلاله، ونحن من مماليكه؛ فكل يوم نتعلم من صفات ربنا جل جلاله نزداد إيمانًا به، ونزداد تعبدًا له، ونزداد تعظيمًا له، ونزداد حبًا له جل جلاله، فهو

جل جلاله الملك الحق الذي بيده الملك والملكوت:﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾[الملك: ١].

هو سبحانه القوي الذي يفعل ما يريد، هو القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء في حال من الأحوال، القوي الذي لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب:﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾[هود/ ٦٦].

والقوة صفة يقابلها الضعف، والقدرة صفة يقابلها العجز، والقوة أخص من القدرة، فكل قوي قادر، وليس كل قادر قوياً؛ لأن الإنسان قد يقدر على حمل شيء ثقيل، لكن مع تعب ومشقة، فهذا الإنسان يقال له: قادر، لكنه ليس بقوي.

والله ﷻ كامل الأسماء والصفات، كامل القدرة والقوة، فلا يُعجزه شيء، كامل القوة فلا يغلبه أحد، ولا يُعجزه أمر أراده﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾[ق: ٣٨].

السموات سبع ، والأراضين سبع، وسمك كل سماء خمسمائة عام، وبين كل سماء، والأرض، خمسمائة عام من الفضاء؛ فخلق الفضاء يحتاج إلى قوة وإلى قدرة، وخلق الأجسام العظيمة؛ كالشمس والقمر، والسموات والأرض، والعرش والكرسي؛ يحتاج ذلك إلى ملك قوي قادر، قاهر يقهر الأشياء على ما يريد:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢].

فأنا من فضل الله عليّ أني تعرفت على الملك الحق، القوي القادر، فالذي أعبد كامل الذات والأسماء والصفات:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه: ٨].

فهو سبحانه القوي الذي إذا أراد شيئًا كان فورًا بشكله وحجمه، فكل شيء في الكون خاضعٌ لعظمته، ومستجيبٌ لمشيئته، ومسرعٌ إلى إرادته، وهو في خزائن غيبه موجود:﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[يس/ ٨٢- ٨٣].

هو قوي قادر يأتي بالليل بعد النهار، بالحياة بعد الموت، بالأمن بعد الخوف، بالعافية بعد المرض، هو جل جلاله إذا أراد شيئًا كان فورًا، فجميع المخلوقات خاضعة لعظمته، ومستجيبة لمشيئته جل جلاله، شاهدة بوحدانيته.

والله قويٌ متين، عظمة قوته تدل على كمال قدرته، وهو المتين، شديد القوة، فالله من حيث أنه تام القدرة قوي، ومن حيث أنه شديد القوة متين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات/ ٥٨].

والقوي اسم الله جل جلاله، والقوة صفة ذاتية من صفات الرب، ذاتية لا تنفك عن ربنا، فربنا قوي، ولا تنفك عنه القوة أبدًا.

والقوة صفة فعلية له، فإنه يقوي من شاء من عباده، هو القوي الذي وهب القوة لكل قوي فصار قويًّا، ولو رفع عنه صفة القوة لعاد ضعيفًا فسبحان القوي الذي يملك القوة كلها: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾[البقرة/ ١٦٥].

هو الرحمن هذا اسمه، صفته الرحمة، هو الكبير هذا اسمه، يكبر المخلوقات، هذه صفة فعله جل جلاله، هو القوي هذا اسمه، فعله أنه خلق القوة في كل قوي، وهب القوة لكل قوي، قوة الإنارة في الشمس التي خلقها الله ﷻ فهي تصب من نوره جل جلاله، هو الذي صب فيها النور، فأضاءت ونورت، فهذا نور مخلوق من مخلوقاته العظيمة، فكيف بنوره العظيم جل جلاله؟! ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور/ ٣٥].

فسبحان النور الذي خلق كل نور في السماء والأرض.

قال ﷺ : «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»أخرجه مسلم[1].

فمن رأى بقلبه ربه في الدنيا، رآه يوم القيامة بعينه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة/ ٢٢- ٢٣].

فمن رآه بقلبه؛ آمن به وأحبه وامتثل أمره، هذا جدير يوم القيامة أن يرى الله ﷻ بعينه.

- **فسبحان الله العظيم! هو الخلاق العليم الذي خلق الإنسان، وخلق فيه ثلاث أواني:**

الأولى: آنية المعلومات وهي العقل.

الثانية:آنية الطعام وهي المعدة.

الثالثة: وآنية الإيمانيات وهي القلب.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

فآنية العقل نشترك فيها مع الكفار، وآنية الطعام نشترك فيها مع البهائم، وآنية الإيمانيات نشترك فيها مع الملائكة: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

وهذا القرآن أُنزل على القلوب: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء/ ١٩٣ - ١٩٥].

- **هذه القلوب غذاؤها بالإيمان، ويتم ذلك بسبعة أمور:**

معرفة الله .. ومعرفة أسمائه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعده .. ووعيده.

فيا عبد القوي إذا كنت في معية القوي فأنت قوي، وإذا كنت في معية الكبير فأنت كبير، وإذا كنت في معية العزيز فأنت عزيز: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

وقد ورد في القرآن اسم الله القوي مقترنًا بالعزيز سبع مرات، وقد ورد معظم هذا الاقتران في القتال بين المؤمنين والكفار، وفي الصراع بين الحق والباطل، إشارة إلى أن القوي العزيز مع أنبيائه ورسله وأوليائه في كل حال، خاصةً حين يشتد الكرب، ويعظم الخوف، فينصرهم القوي على أعدائهم؛ لأنه القوي الذي لا يُغلب، القوي الذي يظهر قوته في إهلاك أعدائه وأعداء دينه وأعداء أنبيائه، ويُظهر عزته في إعزاز دينه، وإنجاء رسله وأوليائه: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ٢٥﴾ [الأحزاب/ ٢٥].

فهو جل جلاله قويٌ عزيز بيده الرياح، وبيده المياه، وبيده النجوم، وبيده الشمس والقمر، وكل ما في الكون جنوده، هو القوي جل جلاله في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وملكه، وسلطانه: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ٤٤﴾ [فاطر: ٤٤].

ماذا ينظروا؟ ينظروا في الملك والملكوت، ينظروا عظمة خلق الله القوي القادر على كل شيء، خلق السماء، وخلق الأرض، وخلق الجبال، وخلق البحار والأنهار، وخلق الحيوانات،والنباتات، وخلق عالم الجماد، وخلق المعادن، وينظروا ماذا فعل الله

بالظالمين: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود: ١٠٢].

فسبحانه له قوة الذات، فلا أحد أقوى منه، وله قوة الصفات؛ قوي في سمعه، قوي في بصره، قوي في علمه، قوي في عطائه، وله قوة الأفعال؛ يخلق الأجسام العظيمة، ويحرك الأجسام الثقيلة، وملأ كونه بآياته ومخلوقاته التي تشهد بكمال قدرته وقوته وعلمه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

فهذه المعارف العظيمة لا بد للعبد أن يتعرف عليها؛ حتى يعرف من يعبد؟ ولمن يتقرب؟ فلا إله إلا الله، ما أعظمه! وما أكبره جل جلاله! وما أعظم خلقه! وما أشد قوته! فسبحان القوي القادر على نصر من جاهد في سبيله، القوي العزيز القادر على كل شيء، العزيز في ملكه وسلطانه، الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة/ ٢١].

هو سبحانه الملك القوي في ذاته، القوي في أفعاله، القوي في بطشه، القوي في بسطه، القوي في منعه: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤﴾ [الحج/ ٧٤].

ومن عرف ربه بالقوة والعزة؛ خافه وهابه، وأحبه وعظمه، وابتعد عما يُغضبه، وسارع إلى طاعته، واشتغل بما يرضيه، مهما تعدد البلاء، ومهما تقلبت الأحوال بين السراء والضراء؛ فهو يحب ربه ويعبده ويتقرب إليه في كل وقت وآن؛ لأنه عرفه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وأفعاله الجميلة: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فمن عرف ربه؛ أحبه، وعظمه، وذل له، واستأنس به، واستوحش من غيره، ومن عرف ربه بالقوة والعزة والرحمة؛ توكل عليه وحده، وفوض أموره إليه؛ لأنه القوي الذي لا أقوى منه؛ فلا يلتفت إلى أحدٍ سواه؛ القوي القادر الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فلا رازق إلا هو سبحانه، ولا رزق إلا منه سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ [الشورى/ ١٩].

هو أولًا: خلق الأرزاق كلها.

وثانيًا: أوصل هذه الأرزاق بقوته إلى كل مخلوق في السموات والأرض، وفي الفضاء، والبر والبحر، وفي الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

ورزقه المادي عطاء ربوبيته، أما عطاء ألوهيته فهو فضله جل جلاله على خلقه، فكما منَّ على الخلق بعطاء ربوبيته؛ من على الخلق بعطاء ألوهيته، وهو هذا الدين الذي يصل المخلوق بخالقه، ومن خالقه؟ خالقه الذي خلقه، والذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، خالقه ملك عظيم، خالق كل شيء، وبيده كل شيء، القادر على كل أحد، المحيط بكل أحد، الذي لا يُعجزه شيء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والناس يعجبون بالكبير، وبالعظيم، وبالجميل، وبالعالم، وبالكامل، فلا أعظم منه جل جلاله، ولا أكبر منه، ولا أجمل منه، ولا أقوى منه، ولا أعلم منه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

فأنا أتصل بالقوي لأستفيد من قوته، واتصل بالكريم لأستفيد من كرمه، وأتصل بالشافي لأستفيد من شفائه، وأتصل بالغني لأستفيد من رزقه جل جلاله.

فالله ﷻ لطيف بعباده، لا إله إلا هو؛ يرزق من يشاء وهو القوي العزيز: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ١٩﴾ [الشورى/ ١٩].

فلا ناصر إلا هو، ولا نصر إلا منه أبدًا: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ١٢٦﴾ [آل عمران/ ١٢٦].

النصر ينزل من الناصر، والرزق ينزل من الرزاق، فكل شيء عنده جل وعلا، فالنصر من الناصر وحده، ونصرة الناصر خاصة بمن آمن به، ونصر دينه، ونَصر دينه أن أؤمن به جل جلاله، وأعمل بشرعه، وأدعو إلى دينه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ٤١﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

فهم يقومون بالأعمال الانفرادية، ويقومون بالأعمال الاجتماعية، إقامة الصلاة عمل انفرادي، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، عمل اجتماعي.

ومن عرف القوي العزيز الجبار، تواضع لعزته، وخضع لكبريائه،وذل لجلال هيبته وقوته، وذل إذا ذكر ربه، يوجل قلبه من ذكر ربه؛ لأنه يعرف أن الرب الذي يعبد، والذي يقف بين يديه، والذي يناديه جل جلاله؛ ربٌ خبير عظيم، غنيٌ كريم، قوي قادر قاهر،: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾[الأنفال/ ٢].

هذه أمور ثلاثة تتعلق بالقلب؛ فيتبعها عمل البدن: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال/ ٣-٤].

ولهذا لابد للعبد أن يعلم أنه لا إله إلا الله؛ في ملكه وسلطانه، وفي خلقه وأمره، وفي دينه وشرعه، وفي عطائه ومنعه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد/ ١٩].

ثم استغفر من قلة المعرفة ونقص العمل، وقلة الحياء، وتكرار المعاصي: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

واستغفر للمؤمنين الذين قصروا معك، قصروا في معرفة الإله، وقصروا في العمل بموجب هذه المعرفة، فأعمالهم ناقصة لا تليق بجلال الله، ولكن الله كريم يُعطي الأجر العظيم على العمل القليل، وإذا علم العبد أسماء ربه وصفاته؛ جاء في قلبه عظمة الله، وكبرياء الله، والخوف من الله، وحب الله، وطاعة الله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٣ – ١٨].

وإذا علمت أن ربك القوي العزيز يراك إن تحركت، ويسمعك إن تكلمت، ويعلم بما في قلبك إن سكت، وأن كل نعمة في الكون منه،فبادر إلى طاعته، وحُسن عبادته، وابتعد عن إيذاء الخلق والاعتداء عليهم وظلمهم؛ فإن الله قوي قادر على الانتقام لهم منك: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾[الفجر/ ٦-١٤].

بالمرصاد لكل ظالمٍ وطاغٍ ومستكبر وباغ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾[الفجر/ ١٤].

وابتعد عن العُجب والغرور والكبر؛ فالله أعطاك القوة والعافية والنعم، لتطيعه بها أنعم عليك من هذه النعم التي لا تُعد ولا تحصى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة: ١٧٢].

فألزم باب العبودية لربك القوي العزيز، وإياك والعجب والكبر:﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[لقمان/ ١٧-١٨].

فهو سبحانه القوي الذي لا يقف لقوته أحد، واللسان يقول للقلب: الله قوي قبل أن يخلقنا، وقوي قبل أن نتكلم ونعرف القوي، فالله لا يزداد بكلامنا قوة، ولكن بكلامنا عن الله قلوبنا تمتلئ بعظمته وكبريائه وبمعرفة قوته وقدرته قلوبناتهابه وتخافه، وبمعرفة نعمه قلوبنا تحبه وتشكره لكمال إحسانه وإنعامه:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس: ٣].

فهو سبحانه القوي الذي لا يقف لقوته أحد، وكما أن تعبد البدن بالركوع والسجود، وتعبد اللسان بالذكر؛ كذلك تعبد هذا القلب أن يعرف القوي، ويعرف العزيز، ويعرف الملك، ويعرف الحق، ويعرف السميع؛ حتى لا يتكلم إلا بما يحب الله ﷻ، ويسكت عما حرم الله ﷻ:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩].

وهذه المعارف هي جنة المعرفة، التي من رزقه الله إياها؛ دخل جنة الآخرة يوم القيامة، ولا خير في الدنيا ولا نعيم في الدنيا إلا هذه الجنة؛ فإن من لم يدخلها فقد حُرم، وعاش عيشة البهائم والمفاليس، والضالين الذين هم وقود جهنم يوم القيامة:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف: ١٧٩].

هو سبحانه القوي الرحيم الذي أرسل الرسل، كم رسول أرسل؟ كم نبي أرسل؟ الله ﷻ بعث من الأنبياء مائة وأربعة وعشرين ألف نبي، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وأنزل الكتب، كم كتاب أنزل؟! ودعا الناس إلى عبادته وحده لا شريك له:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ

وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: ٣٦].

فهو ﷻ القوي الذي له الملك العظيم، وله أوامر في ملكه العظيم، بهذه الأوامر الملكية الشرعية أرسل الرسل، وأنزل الكتب، ودعا الناس إلى عبادته رحمةً بهم؛ حتى لا يستذلوا إلى غيره، ولا يسألوا فقيرًا مثلهم، فمن آمن به وأطاعه؛ نصره وأعزه.

ومن كفر به وبرسله ودينه، واغتر بقوته، وشدته، وعلمه، وكثرته من الأمم؛ أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر؛ قوم نوح اغتروا بالكثرة، وقوم عاد اغتروا بالقوة، وقوم صالح اغتروا بالصناعة، وسبأ اغتروا بالزراعة ،وقوم شعيب اغتروا بالتجارة فأخذهم القوي العزيز القهار أخذ عزيز مقتدر: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٠].

فالله ﷻ أهلك الذين لم يستجيبوا للرسل، من رحمته أرسل لهم الرسل، وأعطاهم الأسماع والعقول والأبصار؛ حتى يفهموا ما جاء عن الله ﷻ، وإلا تكفيهم الفطرة: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم: ٣٠].

فالله فطرهم على التوحيد، ولكن من رحمته أرسل الرسل وأنزل الكتب، فمن أطاعه؛ نصره وأعزه في الدنيا، وأدخله الجنة يوم القيامة، ومن عصاه؛ الله ﷻ يعاقبه بعقوبات، فإن لم يستجب لربه فتح عليه من الدنيا فإن لم يشكر نزلت به عقوبة الله: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الأنعام: ٤٤].

- **فالأمور أربعة:**

أولًا: الله يهدي الإنسان بالهدى البياني: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص/ ١ - ٤].

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس/ ١٠١].

ثانياً: الإنسان إذا لم يستجب للهدى البياني، وعصى الله بنعمه؛ الله ﷻ يعاقبه حتى يرجع

إليه، فيصيبه بمصيبة رده إلى ربه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ٣٠﴾[الشورى/ ٣٠].

فالتواب مقرون بالطاعة، والعقاب مقرون بالمعصية:

﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾[الأعراف/ ٩٦].

ثالثاً: فإن لم يعودوا إلى ربهم؛ فتح الله عليهم الدنيا، فشغلتهم الدنيا عن الآخرة وعن ربهم ﷻ؛ حتى يقيم الله عليهم الحجة بالهدى البياني ثم بالتأديب الرباني ، ثم بالعطاء الاستدراجي.

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾[الأنعام: ٤٤].

رابعًا: القصم الإلهي، بعد الهدى البياني، وبعد التأديب الرباني، وبعد العطاء الاستدراجي، كل هذا إذا لم ينفع معهم؛ يأتي بعد ذلك الانتقام الإلهي؛ لأن الله خلق الكون ولا يصلح هذا الكون إلا بالدين، فمن ظلم وتعدى حدود الله ﷻ يأخذه الله أَخْذ عزيز مقتدر؛ لأنه القوي القادر القاهر لعباده، الذي يفعل ما يشاء، يُكرم من أطاعه، ويُذل من عصاه؛ فلم يبق بعد هذه الأمور الثلاثة إلا القصم الإلهي.

ماذا فعل الله بقوم نوح؟ ماذا فعل الله بقوم عاد؟ ماذا فعل الله بقوم صالح؟ ماذا فعل الله بقوم لوط؟ وبفرعون وقومه؟ حين أصروا على كفرهم: ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ العنكبوت: ٤٠].

مِن هؤلاء الأمم المكذبة، والذين كان يقينهم من أفسد اليقين، يقينهم على المخلوق، وماذا بيد المخلوق؟ المخلوق مفعول، لا يمكن أن يكون خالقاً، الخالق واحد، وكل ما سواه مخلوق مفعول، والمفعول لا يفعل، ، الفاعل هو الذي يفعل ما يشاء، ويحكم بما يريد، والمخلوقات كلها من فعله، أوجدهم بصفة الخلق: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾[الزمر: ٦٢].

فالله قوي، وعنده خزائن القوة: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ

﴿أَلِيمٌ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود: ١٠٢].

فلا تصلح الحياة إلا بالحق والعدل، لا تصلح بالظلم والفساد، والله لا يرضى للعباد إلا بالحق، فمن قبل الحق نصره القوي، ومن رد الحق قصمه القوي: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ٥١ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾ [غافر: ٥١ – ٥٢].

فالقوي ليس بغافل، والسميع ليس بغافل، والبصير ليس بغافل، والكريم ليس بغافل: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٣٢﴾ [الأنعام: ١٣٢].

فالأعمال بأيدينا، والعطاء من ربنا، والعقاب منه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

إن أحسنا أحسن الله إلينا، وإن أسأنا فعلى أنفسنا.

هو سبحانه القوي النافذ أمره في ملكه وملكوته، في أي وقت شاء، في أي مكان شاء، بأي حجم شاء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢].

هو القوي الذي يقول للشيء: كن فيكون؛ لأنه كامل القوة، وكامل القدرة، وكامل الغنى، لا يحتاج إلى شيء، بل كل شيء محتاج إليه؛ فمن أعظم النعم أن تعرف أن لك رباً قوياً، وأن تتوكل عليه، وتفوض أمورك أليه، ولا تلتفت لأحد سواه: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

هو القوي القادر على كل شيء، الصغير والكبير، والكثير والقليل، على حد سواء، خَلْق الذرة كخلق الجبل، خَلْق القطرة كخلق البحر، خَلْق الذرة كخلق العرش، وخَلْق السماوات والأرض: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ٢٨﴾ [لقمان/ ٢٨].

إن الله سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم، فأيها العبد أَسْمِعه ما يحب، واجعله يراك في أعمالك داعياً إلى الله معلماً لشرع الله، محسناً إلى خلق الله، عابداً لله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٩﴾ [الزمر/ ٩].

أولوا الألباب الذين لهم لب؛ عرفوا الخالق وما يجب له، وامتثلوا أمره حبًّا وتعظيمًا وتذللًا، هؤلاء الذين من الله عليهم؛ فأعطاهم قوة البصر وقوة البصيرة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

هؤلاء خيار الناس نحن نسعى لنكون في الصف الأول، في المقام الأول، في جميع أعمال الدين الانفرادية والاجتماعية، والمحرك لذلك هو معرفة الرب العظيم ذو الجلال والإكرام، معرفة الرب الذي نحن في ضيافته، في بطن الأم، وفي بطن الدنيا، وفي بطن القبر، وفي دار القرار إما في الجنة أو النار، فلا بد أن نعرفه حتى نتقرب إليه بما يحبه ويرضاه، لكن تحول القرآن عند كثير من الناس إلى أماني، وقراطيس، من دون فهم وعمل: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: ٧٨].

- **لكن المؤمن حقًّا هو الذي يتعبد لله بقراءة القرآن بثلاثة مقاصد:**

فالقرآن متعبد بتلاوته، ومتعبد بتدبره، ومتعبد بالعمل به، فنتلو القرآن تلاوة بدون فقه؛ هذا لا ينفع الإنسان، لكن الله من فضله علينا أن من علينا وجعل على القراءة على الحرف الواحد حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لكن هذا لا يكفي.

فالله ﷻ جعل القرآن للتدبر: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد/ ٢٤].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء/ ٨٢].

- **وبتدبر القرآن نعرف أنه ينقسم إلى قسمين:**

خبر.. وإنشاء.

- **والخبر قسمان:**

الأول: خبر عن الخالق بأسمائه وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني: خبر عن المخلوق كالعرش والكرسي، والسموات والأرض، والملائكة، والإنس

والجن، والجماد والنبات، والحيوان وسائر المخلوقات: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾[الزمر: ٦٢].
وإن معرفة الخالق، ومعرفة المخلوق، تولد التعظيم للخالق وتكبير الخالق، وتولد التذلل لهذا الخالق العظيم، وحسن التعبد له، والخشوع والخضوع له والحب له.
والإنشاء: هو طلب الفعل، أو طلب الترك؛ وهي أحكام الشرعية من الأوامر والنواهي: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ٤٣﴾[البقرة/ ٤٣]؛ طلب فعل.
﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾؛ طلب فعل.
﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾[النساء/ ٣٦]؛ طلب ترك.
﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾[البقرة/ ٢٧٥] وهكذا في سائر الأحكام.
هكذا نفهم القرآن، نفقه القرآن، ونعمل بالقرآن، فلا قيمة للإنسان إلا إذا امتلأ قلبه بالإيمان، وتزينت جوارحه بالأعمال، لا قيمة للعلبة التي يوضع فيها اللبن العصير أو الماء، إلا إذا كانت مملوءة بذلك، وإذا فرغت من ذلك تلقى في المزابل، كذلك الإنسان لا قيمة له إلا بالإيمان، الإنسان إناء للأعمال، هذه الدنيا جسد كبير، خلقه القوي الجبار جل جلاله، وبآيات ومخلوقاته ملأ هذا الكون العظيم.
فالدنيا جسد كبير، وهذا الجسد الكبير روحه الدين، إذا لم يكن في الدنيا دين؛ فالله يُنهي الأرض، يُنهي هذا الكون، حين لا يقال في الأرض: الله الله؛ الله ينهي هذا الكون؛ لأنه لا قيمة له بدون الدين، لكن الله جعل هذه الدنيا مكاناً للعمل، ومكاناً للنظر والتدبر، والمقصد الآخرة، فالدنيا زينة، والآخرة مقصد، كما أن الأشجار، والأوراق والأزهار زينة، والمقصود الثمرة.
فالدنيا جسد كبير، روحها الدين، وروح الدين هو الدعوة، وإذا قامت الدعوة؛ جاء الدين، وكبر الدين، واتسع الدين، وروح الدعوة التضحية، وروح التضحية البذل والترك، أبذل المحبوب مما أملك لما هو أحب، وأترك الأدنى لما هو أعلى، وأقدم محبوبات الرب على محبوبات النفس.
والترك: أترك كل شيء من أجل الله، أترك ما أحب لما يحب هو، فالأنصار بذلوا أموالهم لإخوانهم، والمهاجرون تركوا، المهاجرون تركوا الديار وضحوا بالأوقات، والأموال، والأنفس، والشهوات، والأهل، ضحوا بكل شيء، فالله يريد منا هذا وهذا، حتى نجد

طعم الإيمان، وندخل جنة المعرفة، ونتلذذ بأعظم نعمة في هذا الكون وهي نعمة الدين، فلا يمكن أن يتلذذ الإنسان بهذه النعمة إلا بالجهد والتضحية: فالمهاجرون تركوا، والأنصار بذلوا، فوعدهم الله جميعاً بالرضوان والجنة:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة: ١٠٠].

هذا النور الذي نراه في الكهرباء نتيجة محركات قوية، ويقف عليها رجال حتى تُخرج هذا النور؛ فهذا الدين العظيم طعمه، وحلاوته، وحقيقته بالتضحية، أن أضحي وأذبح كل شيء من أجل الدين، وبهذه التضحية، وذبح الشهوات، يتحصل الإنسان على الهداية:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩].

فإذا عرفت ربي القوي بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ ضحيت بكل شيء من أجله، فالأنس بالخالق أعظم من الأنس بالمخلوق، المخلوق أستأنس به مؤقتاً مسموعًا ومرئيًّا، ومأكولًا ومشروبًا، كغيري من الحيوانات والكفار، أما الأنس بالخالق فهو بمعرفته، ومعرفة أسمائه وصفاته، ودوام ذكره وشكره:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾[الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

فهذه المعارف هي جنة المعرفة، الموصلة إلى جنة الآخرة، فالمحروم من حُرم هذه الجنة، ولا قيمة للدنيا بغير هذه المعرفة، وهذه الدار نتزود فيها للآخرة بالإيمان والأعمال والأخلاق، حتى نكون يوم القيامة:﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر/ ٥٥].

والله جل جلاله بين لنا أنه هو القوي؛ حتى نستعين به، ونتوكل عليه، بين لنا أنه القوي القادر على إهلاك من أراد إهلاكه من الكفار والطغاة؛ فلا يستطيع أحد مدافعته جل جلاله، فهو العزيز الغالب الذي لا يفتقر إلى نصرة أحد من خلقه، العزيز القادر على إعزاز من أراد إعزازه من أنبيائه وأوليائه:﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾[المجادلة/ ٢١].

هو سبحانه القوي العزيز الذي يرزق من يشاء، كما شاء، على سبيل السعة، أو الضيق، أو التوسط، لا مانع يمنعه من فعل ما يشاء؛ لأنه القوي، الذي لا يضيق عطاؤه عن

أحد، لأن عطاءه كلام: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ [يس: ٨٢ – ٨٣].

وعطاؤه لا ينقص مما في خزائنه مثقال ذرة أبدًا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤﴾ [ص/ ٥٤].

هو العزيز فلا يقدر أحد أن يمنعه عن شيء: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ [الشورى/ ١٩].

تذكر أصناف الأرزاق المختلفة، وتذكر أصناف المرزوقين، وتذكر أوقات الرزق المتكررة، ولا يتسع المجال لذكر هذه الأرزاق، وذكر المرزوقين، وذكر تكرار هذه الأرزاق على مدى الدهور والأزمان، فالله ﷻ غني يعطي هذا العطاء من رزقه، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة، لو نقص مثقال ذرة ما استحق أن يُعبد؛ لأن كل من تنقص خزائنه فقير، محتاج أن يسأل حتى تزيد خزائنه، لكن الله غني ولا تنقص خزائنه أبدًا، رزقه لا ينقص أبدًا مهما أعطى من خلقه.

هو سبحانه القوي القادر على نصر من آمن به وعظمه وأطاعه، القادر على إهلاك وتدمير من لم يؤمن به، ولم يعظمه حق تعظيمه، قوي عزيز لا ينتفع بتعظيم من عظمه، ولا بتحميد من حمده، ولا بتكبير من كبره؛ لأنه كبير قبل أن نكبره، وعظيم قبل أن نعظمه، ومحمود قبل أن نحمده، وقوي قبل أن نعرف قوته، وناصر قبل أن ينصرنا، هو القوي العزيز الذي لا ينتفع بتعظيم من عظمه، ولا يتضرر بكفر من كفره: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤﴾ [الحج/ ٧٤].

الله ﷻ هو سبحانه القوي العزيز، الفعال لما يريد: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ [البروج: ١٣ – ١٦].

وهو سبحانه مع أنه فعال لما يريد، فهو لا يريد إلا ما تقضيه حكمته، ورحمته، وإحسانه؛ لأن جميع أفعاله مقرونة بحكمته وعدله وإحسانه ورحمته.

- **والله ﷻ موصوف ومحمود من جهتين:**

الأولى: من جهة كمال قدرته، ونفوذ إرادته.

الثانية: من جهة كمال حكمته، فهو الحكيم في كل ما يصدر عنه من قولٍ أو فعل: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

ومن جلال القوي جل جلاله أنه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

فالله ﷻ له صفات الجلال، وصفات الجمال:

صفات الجلال: التي تدل على عظمته، وكبريائه، وجبروته، وقوته، وقدرته، وقهره.

وصفات الجمال: التي تدل على عظمة نعمه، ورزقه، وكرمه، ولطفه، وإحسانه، ورحمته بعباده.

فمن جلال القوي جل جلاله أنه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وإمساك السموات والأرض أن تزولا، وإمساك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١].

ومن جلاله خلق العرش العظيم، وحمل العرش العظيم، والاستواء على هذا العرش العظيم استواءً يليق بجلاله بصفة الرحمة: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه/ ٥].

فالله ﷻ ينادينا ويقول: ربكم الرحمن، مهما أسرف الإنسان في المعاصي والذنوب، فليتب إلى الله؛ لأنه الرحمن الرحيم: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

فهو على عرشه جل جلاله مستو عليه، وينزل إكرامًا لعباده كل ليلة، حين يبقى ثلث الليل الآخر، ويقول: «**هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟**» متفق عليه[1].

فمن جلاله: خلقه لهذا العرش العظيم، ومن جلاله: خلق حملة العرش العظيم، فالنبي ﷺ أخبر عن أحد حملة العرش، أن ما بين شحمة أذنه إلى منكبه مسيرة سبعمائة عام، فكم تكون المسافة بين رأسه وقدميه؟ هذا واحد من حملة العرش، فكم عظمة العرش؟! وكم عظمة وقوة من فوق العرش جل جلاله؟! ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

ليس له شبيهٌ ولا مثيل، تنزه عن صفات النقص والعيب، والمثيل والشبيه، وعن مشابهة

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

المخلوقين مهما اتصفوا بالصفات؛ لأن صفاتهم موهوبة كخلقهم، كانوا معدومين فأوجدهم الله، وهو الذي أعطاهم الصفات: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات/ ٩٦].

ومن جلاله: نصر أوليائه المؤمنين، وإهلاك الظالمين، وانتقامه من المجرمين: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال/ ٥٢].

البحار بيده، والنيران بيده، والجبال بيده، والسماء بيده، والأرض بيده، بيده ملكوت كل شيء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج: ١٤].

يُنجي بأسباب الهلاك كما أنجى إبراهيم من النار، ويُهلك بأسباب النجاة كما أهلك فرعون مع ملكه، ويُعز بأسباب الذلة كما أعز أنبياءه ورسله مع أنه ليس معهم من أسباب الدنيا شيء، ويُذل بأسباب العزة كما أذل فرعون مع ملكه، وأذل قارون وخسف به مع ماله، ويربي أولياءه في قصور أعدائه كما ربى موسى في قصر فرعون: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦].

فسبحان القوي العزيز الذي يفعل ما يريد؛ لأنه قوي لا يُعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء.

هذا الرب هو الذي يستحق أن يُعبد لذاته وكمال أسمائه وصفاته.

فمن أعظم النعم أن منّ الله علينا بمعرفته، وحبب إلينا عبادته؛ حتى نسعد في الدنيا بهذه الجنة، ونسعد بها في القبر، حيث يكون روضة من رياض الجنة، ونسعد بها في يوم القيامة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

التعبد لله ﷻ باسمه القوي

إذا علمنا أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلا، وله الأفعال الكبرى وأن القوة جميعًا له؛ فيجب علينا أن نتعزز بقوة العزيز الجبار، في الصدع بالحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، ولا نخاف في الله لومة لائم.

وعلى قدر قوة العبد في طاعة الله؛ امتثالًا للأوامر، واجتنابًا للنواهي، وعلى قدر قوة عبادته ودعوته إلى الله تكون محبة الله له أكثر.

قال النبي ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**» أخرجه مسلم[1].

فالتعبد لله ﷻ بموجب هذه المعرفة يجعل العبد قويًا في أقواله، وفي أعماله، وفي أخلاقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤]، هؤلاء لمعرفتهم بالرب القوي القادر الناصر جاهدوا في سبيل الله متوكلين على الله وحده، فنصرهم الله: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

فإذا عرفت القوي فلا تلتفت للضعيف، وإذا عرفت الغني فلا تقف بباب الفقير، وإذا عرفت الكبير فلا تقف بباب الصغير، فالأمر كله بيد الملك العلي الأعلى الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

وحظ المؤمن من هذا الاسم العظيم، اسم القوي جل جلاله أن يأخذ هذا الدين بقوة، فيسارع إلى كل عمل صالح، مستعينًا بربه القوي: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف/ ١٧١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

وأن يتقوى العبد على طاعة الله بالإكثار من قول: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ**» متفق عليه(١).

وأعظم ما يتقوى به العبد المؤمن معرفة القوي، والإيمان به، ودوام ذكره، وكثرة تكبيره، وحمده واستغفاره، ثم القيام بالعمل، والصبر وحسن الخلق.

قال النبي ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**» أخرجه البخاري(٢).

فهو جل جلاله القوي الذي عنده خزائن القوة، الواهب لكل قوة، القوي الذي خلق القوة في كل قوي من الجبال، والبحار، والأنهار، والرياح وجميع المخلوقات.

فهو القوي الذي خلق القوة في كل قوي، ولو رفعها عنه لعاد ضعيفًا، فقوته سبحانه ذاتية مطلقة، لا بداية لها ولا نهاية، وقوة المخلوق موهوبة من الخالق؛ فلها بداية ونهاية، وقوة وضعف: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم: ٥٤].

هو سبحانه القوي الذي له معاني القوة كلها، هو القوي الذي له أنواع القوة كلها، له قوة الذات، فهو القوي، له القوة المطلقة التي لا يماثلها قوة، فليس فوق قوته قوة، ودون قوته كل قوة، فالله ﷻ ليس فوق قوته قوة، هو الواحد القهار الذي قهر الخلائق بقوته وبملكه وبعظمته، ودون قوته كل قوة، وكل قوة في الكون من آثار قوته: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١- ٤].

هو القوي الذي ليس كمثله أحدٌ في القوة، هو السميع الذي ليس كمثله أحدٌ في السمع، وهو جل جلاله القوي التام القوة؛ فلا يرد قضاءه راد، ولا يمنعه مانع، ولا يغلبه غالب؛ سبحانه هو الواحد القهار: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦١١٤).

هو القوي دائم القوة، فلا يعتري قوته نقصٌ ولا عيبٌ ولا تعبٌ أبدًا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق/ ٣٨].

هو القوي القادر على إتمام ما يريد كيف يريد، وهو القوي المتين في عطائه ورزقه، ولطفه ورحمته، إذا أعطى أعطى حيث لا فقر، وإذا رزق رزق، وإذا لطف لطف، وإذا رحم رحم حيث لا شقاء؛ لأنه هو الرحمن الرحيم، ورحمته وسعت كل شيء، ورزقه وسع جميع مخلوقاته، وعطاؤه عم جميع ملكه؛ فهو القوي الذي خلق الأرزاق كلها، وأوصلها إلى كل مخلوق بقدرته وبقوته: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى/ ١٩].

الحوت وزنه مائة وخمسين طناً، وجبته اليومية أربعة أطنان من السمك، هذا حوت واحد، كم من حوت ملأ الله به البحر؟! كم سمكة في البحر؟! كم حشرة؟! كم ذرة في الكون؟! كم حيوان؟! كم طير؟! مخلوقات عظيمة؛ الله خلقها، وخلق أرزاقها، وساق أرزاقها بقدرته وقوته: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى/ ١٩].

فسبحان من خلق الأرزاق، وأوصلها إلى كل مخلوق: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

وهو جل جلاله القوي المتين في بطشه إذا بطش: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان/ ١٦].

هو القوي الذي إذا أخذ الظالم أوجعه ودمره: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

الله ﷻ هو الملك الحق، الذي بيده ملكوت كل شيء، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض.

هو القوي، الذي كل قوة في السموات والأرض، وكل قوة في الجبال والبحار، وكل قوة في الكواكب والرياح، وكل قوة في الملائكة والروح، وكل قوة في الإنس والجن، والحيوان والنبات، والجماد؛ خلقها القوي العزيز، وأودعها في هذه المخلوقات: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

وجميع قوة هذه المخلوقات العظيمة لا تساوي ذرة بالنسبة لقوة الله ﷻ، بل قوة جميع تلك المخلوقات لو اجتمعت لواحد منهم، ثم كان جميعهم على قوة ذلك الواحد؛ فإن قوة أولئك كلهم لا تساوي شيئًا بالنسبة لقوة الملك القوي العزيز الجبار الذي لا بداية ولا نهاية لقوته وعظمته وعزته، بل شأن الله أعظم وأجل وأكبر: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج/ ٧٤].

فسبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وله القوة والعزة، وله الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فالله ﷻ هو القوي الذي لا أقوى منه، هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي من المخلوقات، هو القوي الذي عنده خزائن القوة كلها؛ فلا إله غيره، ولا رب سواه، ولننظر إلى عظمة القوي في مخلوقاته العظيمة، عظمة القوي في خلق أكبر المخلوقات.

وفي خلق أصغر المخلوقات، فأعظم المخلوقات هو العرش العظيم، الذي استوى عليه الرحمن، وأصغر المخلوقات هو الهباءات الطائرة في الفضاء، ولا يخلق هذا العظيم في خلقه، وهذا العظيم في صغره، وهذا العظيم في عدده؛ إلا قويٌّ قادرٌ ملكٌ غنيٌّ قاهر: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

الله ﷻ خلق أعظم المخلوقات، وأكبرها، وأوسعها، وأعظمها، وأنورها، وأعلاها؛ وهو العرش العظيم، فهذه السموات والأرض من مخلوقات الله العظيمة، الله ﷻ خلق سبع أراضين، وأحاط كل أرض بالأخرى، ثم أحاط هذه الأراضين جميعًا بهذا الفضاء العظيم، ثم أحاط هذا الفضاء وهذه الأراضين بالسماء الأولى، ثم أحاط السماء الأولى بالثانية، وهكذا إلى الثالثة، الرابعة، الخامسة، السادسة، السابعة، ثم أحاط كرسيه بالسموات والأرض ومن فيها، ثم أحاط عرشه العظيم بجميع المخلوقات.

فالكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والسموات والأرض بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة، فهذا العرش العظيم لا يخلقه إلا ملك قادرٌ قويٌّ

قاهرٌ غنيٌ جبار، هذا العرش العظيم هو أكمل المخلوقات وأعظمها وأوسعها وأنورها، والله ﷻ خلق هذا المخلوق الكامل، فوصفه بأنه عظيم، وأنه كريم، وأنه مجيد، واستوى عليه برحمته جل جلاله، فهذه عظمة القوي في خلق أعظم المخلوقات:﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ ﴾[المؤمنون: ١١٦].

فالله ﷻ قوي خالق كل شيء من هذه المخلوقات العظيمة، هذا أعظم المخلوقات، فكيف بعظمة الخالق جل جلاله الذي استوى عليه، كم تكون عظمته؟!

وخلق الله ﷻ أصغر المخلوقات، وهو هذه الهباءات الطائرة، هذا الهباء الذي نراه إذا كنا في غرفة مظلمة، ودخل نور الشمس إلى هذه الغرفة المظلمة فنرى هذا الخط من النور مملوء بالهباءات، وكل هباءة من هذه الهباءات الطائرة لا يحركها إلا الله، والله ﷻ جعلها مظهراً لقدرته، مظهراً للجلال، ومظهراً للجمال، فالله أظهر جلاله وجماله في خلق العظيم، وفي خلق الصغير:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦ ﴾[الحجر: ٨٦].

هذه المخلوقات التي نراها؛ هذه الهباءات الطائرة في الفضاء لا يحصيها ولا يحيط بها إلا الله ﷻ، فلو افترضنا نحن الآن في هذه الغرفة أو في هذه الصالة كم الهباءات الموجودة، في هذه الغرفة أو في هذه الصالة؟ وكم الهباءات الموجودة في هذه الدار التي نحن فيها، وفي هذا السكن الذي نحن فيه، وكم الهباءات التي خلقها الله ﷻ في هذه المدينة؟.

وكم عدد الهباءات الموجودة في قارة أسيا مثلاً؟ وكم الهباءات الموجودة في القارات كلها؟ القارات الخمس هذه القارات العظيمة كم فيها من الهباءات؟ وكم عدد الهباءات الموجودة في الفضاء الموجود بين السماء والأرض؟ وكم الهباءات الموجودة في العالم العلوي:﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١ ﴾[لقمان: ١١].

هذه الهباءات وغيرها من المخلوقات كلها شاهدة بواحدانية الله ﷻ، ومسبحةٌ بحمده، وخاضعةٌ لمشيئته، ومسرعةٌ إلى إرادته:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤ ﴾[الإسراء/ ٤٤].

فالقوي جل جلاله هو العظيم الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة التي لا يعلمها، ولا

يُحيط بها، ولا يُحصيها إلا الله ﷻ، هو القوي جل جلاله الذي خلق هذه المخلوقات العجيبة، فلابد للقلب أن يعرف من هو القوي القادر على كل شيء، القوي الذي بيده ملكوت كل شيء، القوي الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

لابد للقلب أن يعرف هذه المسائل العظيمة؛ ليعرف أن الله ﷻ قوي قادر قاهر، محيط بكل شيء، فالله ﷻ هو القوي، وكل قوة في العالم العلوي والعالم السفلي من قوته جل جلاله.

والله ﷻ خلق المخلوقات، وهو الذي خلق فيها القوة، خلق في الإنسان قوة السمع والبصروالكلام، والمخلوقات التي خلقها الله ﷻ في العالم العلوي والسفلي كلها من جنود الله يستعملها فيما شاء بنصرة أوليائه، وإقامة دينه، وتدمير أعدائه: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾[الفتح: ٧].

- **فأشد جنود الله عشرة:**

أولًا: الجبال، هذه الجبال العظيمة التي خلقها القوي، ولا يخلق هذه الجبال العظيمة إلا قوي وغني وقادر وقاهر وعليم، خلقها وأودع فيها المنافع، وأودع فيها المعادن، وتصمد للرياح العاصفة.

ثانيًا:الحديد، هذه الجبال خلق الله ما هو أقوى منها، وهو الحديد، فالحديد يكسِّرها، فهو أقوى.

ثالثًا:النار،فالحديد تذيبه النار فهي أقوى منه.

رابعًا:الماء،فالنار يطفئها الماء فهو أقوى منها.

خامسًا:السحاب، والسحاب يحمل الماء فهو أقوى.

سادسًا: الرياح، والريح تصرف السحاب حيث شاء الله فهي أقوى منه.

سابعًا: والإنسان يقف للريح، ويركبها حاجته فهو أقوى.

ثامنًا: والنوم يغلب الإنسان، فهو أقوى منه.

تاسعًا: والهم يطرد النوم فهو أقوى، فالمهموم لا ينام أبدًا.

عاشرًا: قلب المؤمن، فالهموم هذه التي تصيب الإنسان، لا يحول هذا الهم إلى أمن إلا الإيمان بالله ﷻ.

فسبحان القوي القاهر لكل قوي، الذي يملك خزائن القوة كلها، وله الخلق والأمر كله.

مر إبراهيم بن أدهم برجل مهموم، فقال له: أيجري في هذا الكون شيءٌ لا يريده الله؟ فقال: لا؛ قال له: أينقص من رزقك شيء قدره الله؟ فقال: لا، قال: أينقص من أجلك شيء كتبه الله؟ فقال: لا؛ فقال له: فعلام الهم إذًا؟ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة/ ٥١].

فنتوكل على القوي وحده، ولا نتوكل على ما أعطانا الله ﷻ من القدرات، والأموال، والقوة، بل نتوكل على الله، نفعل الأسباب بجوارحنا امتثالًا، ونتوكل على الله ﷻ بقلوبنا اعتماداً.

فالله ﷻ عرفنا بأنه القوي، حتى نتعلق بالقوي، ولا نلتفت للضعيف، فالله ﷻ خلق الإنسان، وأعطاه أنواع القوة من فضله، فأعطاه قوة العلم، وقوة البدن، وقوة الفكر.

فالإنسان مجموعة طاقات، مجموعة طاقات هذه الطاقات الموجودة في الإنسان، الله ﷻ أراد من العبد أن يستعملها في طاعة الله ﷻ، والدعوة إليه: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[النحل: ٧٨].

فالله ﷻ هو الكريم، وهو العظيم، وهو القادر، وهو القوي، عرفنا بهذه الأسماء من أجل أن لا نلتفت إلى غيره بل نتوكل عليه وحده لا شريك له: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾[التغابن: ١٣].

ومن عرف القوي، واتصل بالقوي فهو آمن، آمنٌ من كل قوي، آمن من كل قوي في السموات والأرض، الذي في قلبه لا إله إلا الله لو كادته السموات والأرض وما فيهن ما فعلت به شيئاً؛ لأنه في حماية الرب الحفيظ جل جلاله، القوي القادر القاهر لكل

قاهرسبحانه هو الواحد القهار جل جلاله: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

والله ﷻ قد فطر الإنسان على حب المحسن، وعلى حب القوي، وعلى تعظيم القوي، وعلى التعلق بالقوي، وعلى الاعتماد على القوي، فإذا ضل الإنسان عن معرفة القوي الحق؛ لجأ إلى ما يتوهم أنه قوي وهو ضعيف، كأي مخلوق من المخلوقات.

ومن هنا جاء الشرك والتعلق بالضعيف من دون الله القوي العزيز: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [العنكبوت/ ٤١-٤٢].

فالله ﷻ بين أنه القوي، وأن القوة له جميعًا، حتى لا يتعلق العبد بها سواه، ومن كان في معية القوي فهو قوي، فالله ﷻ هو القوي الذي له القوة التامة، والقدرة التامة، هو القوي المتين، شديد القوة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٨].

هو القوي الذي لا حد لقوته، ولا بداية ولا نهاية لقوته، القوي الذي تتصاغر كل قوة أمام قوته، ويتضاءل كل عظيم عند ذكر عظمته: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ... وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح/ ١٣-٢٠].

هو سبحانه القوي الذي خلق القوة في كل قوي، فكل قوة في العالم من آثار قوته من العرش العظيم، إلى أصغر ذرة في ملكه العظيم.

هو القوي الذي بيده الملك والملكوت والمماليك، وهو على كل شيء قدير، قويٌّ قادرٌ أظهر قدرته في جميع مخلوقاته: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١].

حليم يمسك السماء أن تقع على العصاة وعلى المجرمين، وعلى من يعصي الله بنعم الله، ويسكن في أرض الله، ويبارزه بالمعاصي، حليم يمنعها أن تسقط عليه، وغفورٌ فتح لنا أبواب التوبة، وبين لنا أنه الغفور، وبين ذلك ورغبنا فيه، بقوله: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ

أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[الزمر/ ٥٣].

فاستغفروه يغفر لكم ذنوبكم الظاهرة والباطنة، والكبيرة والصغيرة.

فسبحان القوي القاهر الذي بيده الملك والتدبير والتصريف، ما أعظم شأنه! وما أعز سلطانه! وما أجزل عطاءه! له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله العالم العلوي، وله العالم السفلي، وله الدنيا بكمالها، والآخرة بكمالها ودوامها: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾[الملك/ ١-٤].

وكلما خلق الله خلقاً، وكلما أعطى عطاءاً، زاد ملكه؛ لأنه بخلق الأشياء، بخلق الأرزاق، بخلق النعم، يزيد من مخلوقاته مخاليق، هؤلاء المخاليق هم عبيده، هؤلاء العبيد يسبحون بحمده؛ لأنهم شيء من الأشياء المخلوقة: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء: ٤٤].

فكلما زاد خلقه، زاد تسبيحه وحمده جل جلاله، أما المخلوق فكلما أعطى نقص ما ملك، أما الخالق فكلما أعطى زاد ملكه، زاد ملكه من عالم الجماد، وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الملائكة، وعالم الإنس فكلما خلق زاد ملكه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢].

فالله غني قوي، لا يحتاج إلى مواد حينما يريد أن يخلق شيئًا: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس/ ٨٢].

بيده كل شيء، لا يُعجزه شيء: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[يس/ ٨٣].

كل شيء بيده، الرياح بيده، والمياه بيده، والجبال بيده، والسماء بيده، والعرش بيده، والكرسي بيده؛ وجميع المخلوقات بيده، جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي

بيده جل جلاله: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٦].

والله ﷻ أظهر أسماءه وصفاته في أفعاله، والله ﷻ بين أسماءه وصفاته في القرآن وهو ما نحن بصدد شرحه ولله الحمد، أن من علينا بالكلام عنه؛ فالكلام عن العظيم عظيم، والكلام عن الكبير كبير، والكلام عن العظيم لا يُمل لأنه مدحٌ وثناءٌ، وتمجيدٌ وتحميدٌ، للرب العظيم جل جلاله، ومن جاء بالعمل العظيم، نال يوم القيامة الثواب العظيم من ربه العظيم جل جلاله: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

فالله من علينا أن عرفنا بأسمائه وصفاته في كتابه، ثم بين أسماءه وصفاته في كونه المنظور، فالله أودع الأسماء والصفات في كونه المنظور، فأنا إذا رأيت السماء علمت أن لها خالقاً، وأن هذا الخالق قوي يُمسكها، وأنه قادر خلقها بهذا الحجم العظيم، سمك كل سماء خمسمائة عام، وأعلم أنه عليم بأن وضعها بهذا الشكل الجميل، وأنه جميل زينها بهذه النجوم، وجعلها جميلة، وأنه عزيز لا تغلب، بل هو الغالب لكل غالب: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

- **وكل ما أرى في هذا الكون من مخلوقاته العظيمة، ومخلوقاته الصغيرة، فأنا أخرج من ذلك بأمرين:**

الأول: أعرف جلال الله في خلق الكبير، وخلق الصغير.

الثاني: أعرف جماله في خلق الحسن والجميل من مخلوقاته.

فالله خلق كل شيء، ولما خلق كل شيء أحسن خلقه؛ لأنه قوي لا يمتنع عليه شيء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢].

وجميع الأقوياء في العالم العلوي والعالم السفلي بيده، جميع الأقوياء، جبريل له ستمائة

جناح، بطرف جناحه رفع خمس قرى من قرى قوم لوط ثم قلبها عليهم، وأتبعها بحجارة من سجيل.

جبريل أحد أجنحته لو مدها سد الأفق، فصار الكون ظلامًا، له ستمائة جناح، لو استعمل كامل الجناح ماذا يفعل في الكون؟ لو استعمل ستمائة جناح من يقف له.

كم قوة هذا الملك العظيم، هذه قوة طرف جناحه، فكيف بقوة أجنحته! وكيف بقوة بدنه بالكامل! وكيف قوة القوي الذي خلق فيه هذه القوة!:﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ﴾[الحج: ٧٤].

وأحد حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى منكبه مسيرة سبعمائة عام، هذا أحد حملة العرش العظيم، كم قوة هذا الملك؟ وكم عظمة حجم هذا الملك! كم عظمة هذا الملك! الذي ما بين شحمة أذنه إلى منكبه مسيرة سبعمائة عام، نحن ما بين الأذن إلى المنكب أربع أصابع أو خمس أصابع، فكم تكون المسافة بين رأسه وقدميه؟ وكم عظمة الخالق الذي خلقه؟ وكم عظمة العرش الذي يحمله؟ وكم عظمة من استوى على هذا العرش العظيم؟ هذا هو القوي الذي نعبده لذاته وجلاله وجماله:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

لكن من كرمه ورحمةً بنا وترغيبًا لنا، بين لنا أنه يعطينا على العمل الصالح الجنة، ويعاقبنا إذا أسأنا السيئة بمثلها، لكن الله ﷻ أهلٌ أن يُعبد، وأهلٌ أن يكبر، وأن يعظم؛ لأنه القوي وحده، القادر وحده، الغني وحده، الجميل وحده، الملك وحده لا شريك له، العفو وحده، هو ذو الفضل العظيم الذي كل نعمة منه، فهو أهلٌ أن يُعبد ويُحمد ويُشكر ويُحب ويُطاع:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾ [يونس: ٣].

استضافنا في بطن الأم تسعة أشهر، واستضافنا في بطن الدنيا تسعين أو ثمانين أو مئة سنة، ويستضيفنا في الجنة، إما في قصر من قصور الجنة، وإلا في سجن من سجون جهنم، فمن آمن به فله القصور الملكية، ومن عصى فله السجون الجهنمية، نسأل الله السلامة، ونسأله من فضله المزيد:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢].

فالله ﷻ قوي، ويجب على الإنسان أن يعرف من القوي حتى لا يتعلق بالضعيف، ولا يلتفت إلى الضعيف، ولا يستعين بالضعيف، ولا يسأل الضعيف: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥].

فالله ﷻ أظهر أسماءه وصفاته في أفعاله، أفعاله كم من المخلوقات التي يخلقها الله ﷻ؟ مليارات المخلوقات يخلقها الله في كل ثانية، في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، وفي البر وفي البحر من الجمادات والنباتات والحيوانات، كم من المخلوقات في هذا الفضاء؟وكلها تشير إليه، تشهد بوحدانيته، وعظمة ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾[الحج: ٥ – ٧].

الله ﷻ ملكٌ قوي، وإذا عرفنا قوته؛ فيجب أن نهابه، وأن نخافه، وأن نتعلق به، ولا نلتفت لأحدٍ سواه؛ لأنه هو مالك القوة، ومالك كل شيء في هذا الكون، فكل شيء بيده، فأحيانًا الرياح بأمر الله تدمر كل شيء، وأحيانًا النار تُحرق كل شيء، وأحيانًا المياه تدمر كل شيء، فسبحان من قهر هذه القوى، وسخرها للإنسان، ليستفيد منها: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان: ٢٠].

لو أشعل الله الهواء الذي ملأ به هذا الفضاء العظيم نارًا فمن ذا يُطفئها؟ الله ﷻ عظيم وقوي ملأ هذا الفضاء العظيم بهذا النور العظيم، وملأ هذا الفضاء العظيم بمخلوقات لا يعلمها ولا يحصيها إلا هو من الهباءات والذرات، والمجرات والمخلوقات وغيرها، وملأ هذا الكون بنعمه؛ فلنملأه بحمده وتسبيحه وتقديسه وذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

فرحمته وسعت كل شيء، وعلمه وسع كل شيء، ورزقه بلغ كل شيء؛ لأنه قوي قادر لا

يمتنع عليه شيء: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ٦٦﴾ [هود/ ٦٦].

هذا هو القوي الذي يجب أن أتعرف عليه، وأن أتصل به، وأن أطيعه، وأن أعبده، فالعبادة هي طاعة المعبود فيما أمر به؛ مع كمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

وطاعتنا له لا تزيد في عظمته وكبريائه وملكه شيئاً؛ إنما نحن الذين نستفيد: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء/ ٧].

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت/ ٦].

لكن من كمال رحمته بخلقه؛ أن احتفى بهذا المخلوق وأكرم هذا الإنسان، فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وجعله خليفة في الأرض، وأنزل عليه هذا الدين بواسطة الأنبياء والرسل، ليسعد في دنياه وفي أخراه؛ ففي الدنيا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢].

ويوم القيامة يكرم الله المؤمن بما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ من رؤية ربنا ﷻ، ومن سماع كلامه، والقرب منه، ودخول الجنة، والخلود فيها، والتنعم بألوان النعيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٣ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٤﴾ [الأحقاف: ١٣ – ١٤].

فلله الحمد وله الشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، حمداً يليق بجلال، ويكافئ مزيده.

فالله ﷻ بيده جميع المخلوقات، وهو القوي القهار الذي قهرها، قهر الماء وقهر الرياح، وقهر السحب، وقهر النجوم، وقهر كل مخلوق من مخلوقاته.

فسبحان من قهر هذه المخلوقات العظيمة، وسخرها للإنسان، ليستفيد منها، وإذا شاء الله أطلق قدرتها فدمرت هذه القوى كل شيء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤١﴾ [فاطر: ٤١].

ولا ريب أن من عرف ربه القوي المتين، العزيز الكريم؛ تعلق به وحده، وكبره وحده، وعبده وحده، وقطع الرجاء من غيره: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد/ ١٩].

هذه القلوب لا تسعد إلا بمعرفة الله، لا تسعد إلا بتمجيد الله، وتحميد الله، وتكبير الله، وتعظيم الله، والتعلق بالله، والوقوف بين يديه في الصلاة مكبرًا معظمًا حامدًا له مستغفرًا له، سائلًا إياه، طالبًا منه الهداية، مقدمًا التحية له، أسعد الخلق من فُتح له هذا الباب، فاتصل بالكبير، وانقطع عن الصغير، وتعلق بالقوي، ولم يلتفت إلى الضعيف، واتصل بالغني ولم يقف بباب الفقير؛ فهو مع ربه مكبرًا له، حامدًا له، معظمًا له، مستغفرًا له: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق: ١٢].

فهذه من أعظم النعم أن يحبب الله ﷻ إلينا هذا الدين، ويسهل علينا معرفته من خلال النظر في كتابه، ومن خلال النظر في ملكه وملكوته هذه أعظم جنة، ومن دخل جنة المعرفة أدخله الله جنة الآخرة: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾[الرحمن: ٤٦].

فالله ﷻ من علينا بهذا العلم العظيم، وهو معرفته جل جلاله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾[المائدة/ ٩٨].

فهذا العلم من أوجب الواجبات أن أعرف ربي بأسمائه وصفاته وأفعاله، ولا يأتي النقص في النواحي العملية، إلا بالنقص في المعارف العلمية، وأعلى النواحي العلمية هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده، أن يعرف القلب سبعة أمور؛ فيأتي فيه تعظيم الله وحب الله؛ فيقف بين يديه في أي أمرٍ أمر به من أنواع العبادات خاشعًا له، معظمًا له، محبًا له، متذللًا بين يديه؛ بسبب هذه المعارف الإلهية العظيمة.

- **وهذه المعارف السبعة:**

أن أعرف الله .. وأسماءه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعده .. ووعيده.

ولهذا الأنبياء والرسل هم أعظم الناس علمًا، وهم أعرف الناس بالله؛ فهم أعظمهم عبادة وهم أحسنهم أقوالًا، وأجملهم أفعالًا، وأحسنهم أخلاقًا، فهم بين يدي الخالق

عبّاداً وبين يدي خلقه إما دعاة وإما معلمين وإما محسنين، ولا فلاح لنا إلا بأن نسير خلف الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فمن سار وراء الأنبياء؛ وصل إلى ربه:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام: ٩٠].

ومن سار وراء الدنيا وشهواتها، ووراء المخلوق أيًا كان عظيمًا، أو كبيرًا، أو غنياً، فقد خسر دنياه وأخراه، ومن يكن الغراب له دليلًا يمر به على جيف الكلاب.

فمن سار وراء الحكام تعلق بالحكم، ومن سار وراء الأغنياء تعلق بالمال، ومن سار وراء الأنبياء تعلق بالله.

- **فالحمد لله أن أجلسنا على مثل هذه الموائد الإيمانية، التي نستفيد منها خمس كرامات من ربنا:**

نتعلم الدين .. ونعمل بالدين .. ونثبت على الدين .. ونترقى في الدين .. وننشر الدين.

لأني إذا عرفت العظيم وعرفت القوي؛ فلابد أن أتحدث به أمام الناس:﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ ﴾[الضحى/ ١١].

أحدث بالكلام عن ربي، وعن دينه، وعن شرعه، وعن أسمائه، وعن صفاته؛ فنحن إذا أُعجبنا بشيء تحدثنا به بمجالسنا، فلا أعظم من الله ولا أقوى من الله ولا أكبر من الله، ولهذا الله ﷻ الوقت له والمكان له، هذا الوقت يجب أن نملأه بحمده وتمجيده والثناء عليه، فكما ملأ الله الكون بنعمه ورحمته؛ يجب أن نملأه بحمده وتسبيحه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب/ ٤١-٤٢].

وإذا ذكرتموه عظمتموه وكبرتموه فلن تعصوه؛ بل تطيعوه، وإذا ذكرتم نعمه على خلقه أحببتموه، وإذا عظمتموه، وكبرتموه، وأحببتموه، أطعتموه، وهذه هي العبادة أن نطيع الله في كل وقت، ليست العبادة أن أصلي وأصوم وأزكي فقط، هذه شعائر دينية، تولد الطاقة الإيمانية للعمل في بقية الأوقات، لكن العبادة هي طاعة العبد لعابده فيما أمر به أمرًا ونهيًا؛ فأمتثل أوامر الله ﷻ في جميع الأحوال، في جميع الأوقات، في جميع الأماكن.

الوقت لله، والمكان له، والعبد له، وليس للعبد أن يشتغل بغير أوامر الملك الذي هو سيده وربه، الذي خلقه، ورزقه، وهداه:﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

وهذا العبد سيكون ملكًابالقرب من ربه يوم القيامة:﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[القمر: ٥٤ – ٥٥].

لماذا؟ لأنه ملك جوارحه وشهواته في الدنيا وسخرها في طاعة الله، ومنعها من معصية الله، هذا هو الملك حقًا، هذا الملك يكون يوم القيامة في ملك عظيم:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾[الإنسان: ٢٠ – ٢٢].

بجوار ملك عظيم ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[القمر/ ٥٥].

فكم تكون عظمة مُلك هذا المؤمن؟ الذي له مثل هذه الدنيا عشر مرات، هذه الدنيا سبع أراضين وسبع سموات بجبالها وبحارها وذهبها وفضتها وجميع ما فيها، إذا جُمعت بعضها مع بعض لهذا الإنسان مثلها عشر مرات، سبحان الله! كم يُعطى المؤمن من العمر، وكم يُعطى من النعيم، وكم يُعطى من اللذات وكم يُعطى من الأنس بقرب مولاه، وسماع كلامه؟! كم نحن في السجن الآن؟ فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

سترى غدًا ربك العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله، سترى ربك القوي القادر على كل شيء، سترى الكريم، سترى الرازق الذي تنعمت برزقه ستصل إليه يوم القيامة وتأكل من رزقه، وتنعم برؤيته جل جلاله:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

وسترى الأنبياء والرسل الذين اقتديت بهم:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[النساء: ٦٩ – ٧٠].

والله أمرنا أن نتعرف على الأنبياء لنقتدي بهم:﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾[مريم/ ٤١].

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ﴾[مريم/ ٥٤].

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾[مريم/ ٥١].

اذكر حياتهم، طريقة عملهم، أخلاقهم، عباداتهم، حتى تقتدي بهم:﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى

ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[الأنعام/ ٩٠].

فقدوتي الأنبياء والرسل: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[الأحزاب: ٣٩].

الذين يدلون المخلوق على الخالق، الذين يعرفون الخلق بالخالق، ويبينون لهم الطريق الموصل إليه وهو الدين، ويبينون لهم ما لهم بعد القدوم عليه من الثواب والعقاب، من الجنة لمن أطاعه، والنار لمن عصاه.

فهذه المعارف العظيمة تثمر علماً عظيماً، وتورث عملاً عظيماً، وتثمر ثواباً عظيماً من الرب العظيم، فلنكن من هؤلاء، ونتعلق بالقوي، ونتعبد له بأسمائه وصفاته جل جلاله.

فالله ﷻ هو خالق كل شيء، وليس للعبد في هذه الحياة إلا أن يعظم هذا العظيم جل جلاله، ويكبر الكبير، ويشكر المنعم.

والعبد إذا افتقر إلى الله القوي الغني؛ قواه وأغناه من فضله العظيم؛ فإذا قال: يا رب أنا ضعيف فقوني، أنا فقير فأغنني قواه الله ﷻ وأغناه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِى وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة/ ١٨٦].

ليس المقصود من الدعاء الإجابة فقط؛ بل المقصود من الدعاء إظهار العجز والافتقار إلى من يملك خزائن كل شيء، إظهار الافتقار للرب الكبير، العظيم، القوي، القادر، أن نظهر لربنا الافتقار، نُظهر له الخضوع والذلة، ونطلب حاجاتنا منه، فالله ﷻ غني وخزائنه لا تنقص أبدًا: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**» أخرجه مسلم(١).

وهذا للتقريب، وإلا الله ﷻ لا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة، لو نقص لكان مثل المخلوق، والمخلوق كلما أعطى نقص ملكه، لكن الله لا بداية ولا نهاية لعظمته ورزقه

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

وخلقه وقدرته وقوته، فقوته لا بداية لها ولا نهاية، وخزائنه لا بداية لها ولا نهاية: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص/ ٥٤].

وكلما زاد عطاؤه زاد ملكه؛ ووجد مسبح بحمده، فالله من عظمته أنه يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات، لتسبح بحمده، ولتشهد بوحدانيته، وتشير إلى كمال جلاله وجماله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

فأعظم اللذات، وأعظم الأنس، هو معرفة الخالق بأسمائه وصفاته، لا الأكل والشرب والتلذذ بذلك، ولا التعرف على المخلوق، إنما معرفة الله هي التي تثمر عبادة الله، وحب الله، وتعظيم الله ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وكلما افتقرت إلى الله في حاجاتك أعطاك الله القوي الغني من خزائنه؛ فقل: يا رب أنا جاهل فعلمني؛ يعلمك الله، وقل: يا رب لست حكيمًا فألهمني الحكمة، يُلهمك الله ﷻ الحكمة، وقل: يا رب أنا ضال فأهدني، يهديك الله عز جل، إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فالله ﷻ أمر بالسؤال، ووعد بالإجابة، فمقصود السؤال إظهار الافتقار لله، وعدم الالتفات إلى غيره، متى ما التفت العبد إلى غيره؛ لم ينظر الله إليه؛ لأنه يقول جل جلاله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

والله ﷻ كلما افتقرت إليه في حاجاتك؛ أعطاك الله القوي الغني من خزائنه ما يُسعدك في دنياك وأخراك، فتوجه أيها العبد الضعيف الفقير العاجز المحتاج إلى ربك القوي الغني، وافتقر إليه، واستعن به، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لا يحول الأحوال من حال إلى حال إلا هو، لا يبدل الخوف بالأمن إلا هو، ولا يبدل الأمن بالخوف إلا هو، ولا يبدل العزة بالذلة إلا هو، ولا يبدل العافية بالمرض إلا هو، ولا يبدل المرض بالعافية إلا هو وحده لا شريك له، هو الشافي وحده لا شريك له، فهو

الذي بيده الأحوال، وهو الذي خلق المخلوقات، وهو الذي خلق الأحوال التي في المخلوقات، وهو الذي يزيد الأحوال، وهو الذي ينقص الأحوال، وهو الذي يرفع الأحوال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام: ١٠٢].

خلق الله الإنسان، وبيده تدبيره، إن شاء جعله فرحًا أو مسرورًا، إن شاء جعله آمنًا أو خائفًا، إن شاء جعله حيًّا أو ميتًا.

هو الذي خلق المخلوقات، وخلق أحوال المخلوقات، وهو الذي يزيد الأحوال، يزيد الأمن وهو الذي ينقصه فيأتي بالخوف، وهو الذي يرفع الأمن فيأتي بالخوف العظيم، وهو الذي يأتي بالعافية، وهو الذي يزيدها، هو الذي ينقصها، هو الذي يرفعها، بيده ملكوت كل شيء، لابد للقلب أن يعرف هذا كله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

وهذه فائدة التعلم، ليست الفائدة أن نسمع بأذاننا، ثم نفرغ ما سمعناه في أوراق الإجابة، ونجعل الحياة خالية من هذا التعبد، وهذه المعرفة، بل نحن نتعلم الدين، لنعمل بالدين، ونُعلم الدين، ونتخلق بالأخلاق التي يحبها الله ﷻ.

فلنتوجه إلى الرب القوي، ولنفتقر إليه، ونستعين به، فلا حول ولا قوة إلا به: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾[الفاتحة/ ٢-٧].

وكل طاعة لله تُكسب العبد قوة، وطمأنينة وتوفيقاً، وفلاحًا وفرحًا وسرورًا، هكذا الإنسان يرى نفسه بعد الصلاة عنده قوة؛ لأنه اتصل بالقوي، وعنده طمأنينة، وعنده انشراح، وعنده فرح وسرور؛ لأنه أطاع القوي المستحق للطاعة، الذي يملك كل شيء: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨].

وكل معصية لله تسبب ضعف الإنسان، واضطرابه، وشقاءه، وخسارته، ووحشته، هذه المعاصي تسبب هذه الأمور العظيمة من الضيق والنكد والتعب والشقاء: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا

﴿مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾[طه/ ١٢٣-١٢٦].

فلا إله إلا الله، كم عظمة ربنا العظيم! وكم عظمة أسمائه وصفاته! فمن أراد القوة والنصر والفلاح فليطع الله ورسوله، ويتوكل على الله القوي الذي بيده كل شيء: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾[الملك/ ١].

القوي سبحانه بيده كل شيء جل جلاله، فالعبد يزداد مع كل طاعة نعمةً وثوابًا، ويزداد مع كل معصية عقوبةً وهمًا وعذابًا: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾[النساء/ ١٢٣].

فكل مصيبة إنما تأتي بعد المعصية، المصائب دائمًا تعقب المعاصي: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾[الشورى/ ٣٠].

فكل مصيبة نراها إنما تأتي بعد المعصية، فإذا أصبت أيها العبد بمصيبة فاتهم نفسك، واستغفر من ذنبك، وتب إلى ربك، الذي يسمعك إن تكلمت، ويراك إن فعلت، ويعلم بما في قلبك إن أضمرت، فهذه المصائب هي إنذارات من ربك الرحيم العزيز الكريم، هذه المصائب إنذارات من ربك لك رحمةً بك؛ لتعود إليه، ومن لم تُحدث له المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر، وأكبر مصيبة ألا تتعظ بالمصيبة والبلاء: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦﴾[المؤمنون/ ٧٦].

﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣﴾[الأنعام/ ٤٣].

فهذه المصائب إنما تأتي بعد المعاصي إنذارات للإنسان؛ حتى يعود الإنسان إلى ربه، ويدعو ربه، ليرفعها جل جلاله: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾[الأعراف: ٩٦].

- **وإذا جاءت المصيبة على العبد، أكرمه الله ﷻ بعد هذه المصيبة بسبع كرامات:**

لأنها تحدث له توبة جديدة، وإيمان جديد .. وعمل جديد .. وحب جديد للرب ..

وشكر جديد للرب.. وتعظيم جديد للرب.. وطاعات جديدة: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة: ٥١].

فكم من الطاعات، وكم من الإيمان الذي زاد في قلب المسلم، بعد ما عصى الله، ثم تاب، والله ﷻ أكرمه بهذه الكرامات: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ [الحشر: ٢٢].

واعلم أن ربك عزيزٌ كريم، إن رآك في طاعة أحبك، وأمدك بالأمن والهداية والطمأنينة، وأمدك بالقوة على الطاعات، والقوة التي تزجرك عن المعاصي، وأمدك بالهيبة.

فللمؤمن هيبة:

قال النبي ﷺ: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**» أخرجه البخاري[1].

وأمدك بالحفظ والنصر؛ فالتوحيد هو سبب قوة المؤمن، والشرك والمعاصي سبب ضعف الإنسان، ومن كان معه القوي فهو قوي، ومن كان معه الضعيف فهو ضعيف: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾ [المزمل/ ١٩].

معك القوي يقويك، ومعك الكريم يعطيك، ومعك الحفيظ يحفظك، ومعك الرزاق يُنعم عليك، ومعك الوهاب يهبك كل ما يُسعدك في دنياك وأخراك، معك من له الأسماء الحسنى، والصفات العلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل/ ١٢٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة/ ١٥٣].

فالله مع المؤمنين؛ والله مع المحسنين؛ فالله ﷻ معهم بأسمائه وصفاته، ونصره وعونه وتوفيقه.

والإنسان ضعيف، لم يكن شيئًا حتى يفعل شيئًا، لم يكن شيئًا حتى يقدر على أي شيء، فضلًا عن كل شيء؛ فهو محتاج أبدًا إلى الاستعانة بربه القوي في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، كما حكى الله عن إبراهيم ﷺ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم/ ٣٥].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٥).

فلولا هداية الله ما اهتدينا، ولولا توفيقه ما أطعناه، ولولا رحمته ما أحببنا دينه، ولا عملنا بطاعته: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال يوسف فيما حكى الله عنه: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف/ ٣٣].

وحكى الله عن نوح ﷺ أنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٧].

فالضعيف ليس بيده شيء، ولكنه يملك الدعاء لمن بيده خزائن كل شيء: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر/ ٦٠].

فأعظم شيء، وأفضل شيء، وأحسن شيء، هو التعبد لله، والأنس به، والسماع عن أسمائه وصفاته وأفعاله، فهذا الكلام يملأ القلب إيمانًا وتوحيدًا، وتعظيمًا وحبًا، لربنا العظيم جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

فيجب علينا أن نستفيد من خزائن القوي، بأن نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فهي كنز من كنوز الجنة، وأن نُكثر من الاستغفار؛ لنزداد خيرًا وقوة كما قال هود ﷺ لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود/ ٥٢].

فسبحان القوي كامل القوة، المتين شديد القوة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٨].

هو سبحانه القوي الذي خلق المخلوقات كلها، القوي الذي يرزق المخلوقات كلها، القوي الذي خلق البحار كلها، القوي الذي يحيي ويميت ما لا يعلمه إلا هو من النبات

والحيوان والإنسان: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ [غافر: ٦٨].

فهو جل جلاله القوي الذي له مقاليد السموات والأرض، وله الخلق والأمر كله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣].

والعبد إذا عرف ربه القوي تعلق به، وتوكل عليه، ولجأ إليه؛ لأن الله هو الملك الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، وبيده ملكوت كل شيء، قادر على كل شيء، محيط بكل شيء، كما قال هود ﷺ: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦].

ومن عرف الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا؛ تعلق به ولم يلتفت إلى أحدٍ سواه، هو القوي الذي بيده ملكوت السموات والأرض؛ فتوكل عليه وحده، ولا تخف أحدًا سواه؛ فالخلق خلقه، والملك ملكه، والأمر أمره، فلا تخاف إلا هو،ولا تتوكل إلا عليه، ولا تعبد إلا إياه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

من هو رب العالمين؟: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فليس للأبصار أن تراه في هذه الدنيا، ولا يجوز أن تراه في هذه الدنيا؛ لأنه هو المحيط بكل محيط، ولا يحيط به أحد، ولا يجوز أن تراه؛ لأنه لو رأته لما عصته؛ لأنها إذا رأته عرفت عظمته وجلاله وكبرياءه، فتهابه وتخافه؛ فيبطل التكليف، ويبطل الأمر والنهي، فمن رحمة الله أننا لا نراه، فهذه العيون التي تعبدت له وبكت من خشيته، وهذه البصائر، وهذه القلوب التي آمنت به، فخشعت له، وبكت وخرت ساجدةً له يوم القيامة حيث لا تكليف تراه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

فهو سبحانه هو القوي وحده، وكل ما سواه ضعيف مقهور لقوة القوي سبحانه: ﴿فَأَمَّا

عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ [فصلت: ١٥].

فالقوة كلها بيد القوي سبحانه، والعزة بيد العزيز، والهداية بيد الهادي، والأمن بيد المؤمن، ولا يؤمن الناس إلا المؤمن الذي يملك الأمن: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي من آثار أسماء الله الحسنى، وجميع الأحكام من آثار أسماء الله الحسنى، جميع الأحوال التي يتقلب بها الخلق، وتجري في الكون، من آثار أسماء الله الحُسنى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

ومن أصابته محنة أو بلية أو مكروه أو أذى؛ فليفزع إلى ربه القوي، فنعم المولى، ونعم النصير: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر/ ٩٧-٩٩].

فسبحان الله ما أعظم قدره، وما أعظم قدرته، وما أعظم قوته: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

هو القوي الذي له القوة المطلقة، قوته لا بداية لها ولا نهاية، كل قوة في العالم من آثار قوته: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود/ ٦٦].

هو الله القوي في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وملكه وسلطانه: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج/ ٧٤].

هو القوي القاهر لكل قوي: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨].

هو القوي الذي لا أقوى منه، المالك لكل قوي، المهيمن على كل قوي، المحيط بكل قوي: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ

ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر/ ٢٢-٢٤].

هو القوي الذي يملك خزائن القوة، وأنواع القوة، ويهب منها من يشاء بأي قدر شاء: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[الحجر/ ٢١].

هو القوي الذي أعطى القوة لكل قوي من المخلوقات من العرش العظيم، إلى السموات والأرضين، وما فيهن، وما بينهن، وما عليهن، من الكائنات من العرش العظيم، إلى أصغر ذرة في ملكه العظيم: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[الملك/ ١].

هو القوي في علمه، الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام/ ٥٩].

هو العالم بكل شيء ظاهراً وباطن: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾[السجدة/ ٦-٧].

فقوة الله لا حد لها، وهي غير متناهية، فهي مطلقة دائمة، أما قوة المخلوقات فهي محدودة موهوبة ناقصة، ولما كانت قوة الله غير متناهية وعزته غير متناهية، كانت قوة أعدائه متناهية، وذلتهم غير متناهية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾[المجادلة/ ٢٠-٢١].

فالله ﷻ قوته غير متناهية، أما قوة المخلوق فهي متناهية، وكلما تناهت زادت الذلة؛ فسبحان القوي العزيز الذي أظهر قدرته في خلق المخلوقات العظيمة، في خلق المخلوقات الكبيرة، في خلق المخلوقات الصغيرة، من العرش، والكرسي، والسموات والأرض، والجبال، والبحار وغيرها: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[غافر/ ٥٧].

وأظهر قدرته في خلق المخلوقات الصغيرة كالذرات التي هي أجزاء الأجسام، والهباءات التي تملأ الفضاء العظيم، وخلق الجميع من الكبير والصغير إظهارًا لقدرته،

وبيانًا لعظمته، وجعلها مظهرًا لجلاله وجماله، والجميع في ملكه العظيم يُسبح بحمد ربه العظيم، ويشهد بوحدانيته ويخضع لأوامره: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء: ٤٣ – ٤٤].

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾[الأعلى/ ١].

﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[الواقعة/ ٧٤].

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾[النصر/ ٣].

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

المتين

موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

اسم الله المتين

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض:﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وأسماء الله ﷻ أسماء جلال ، وأسماء جمال، والله ﷻ من أسمائه الحسنى المتين .

فالله سبحانه هو القوي المتين ، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، الغني المتين الذي عنده خزائن كل شيء، الذي بيده ملكوت كل شيء، الذي لا يحتاج في إمضاء حكمه إلى جند أو مدد، ولا إلى معين أو عضد، ولا إلى جامع أو شاهد : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

وهو سبحانه القوي المتين الذي يمد المخلوقات بالقوت والقوة، ويسوق إليها أرزاقها في كل مكان ، وفي كل زمان، ويعينها على مصالحها:﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات/ ٥٨].

فخلق الأرزاق يدل على عظمة الله، وسوقها إلى أماكنها وإلى من يحتاجها في البر والجو والبحر يدل على كمال قدرته وقوته جل جلاله .

فسبحان القوي المتين الذي خلقنا، وأعطانا المتانة في أجسامنا؛ لنصبر بها على الطاعات والمصائب، وأعطانا متانةً في قلوبنا؛ لنقوى بها على طاعته وعبادته، وأعطانا مددًا من قوته نهزم بها النفس والشيطان والكفار:﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾[الإنسان/ ٢٨- ٢٩].

فالله ﷻ هو القوي المتين، الذي له ملك كل شيء، ولا يقف لقوته شيء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء:﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾[الفرقان/ ١ – ٢].

هو المتين الذي يتصرف في ملكوت السموات والأرض ، وفي عالم الغيب والشهادة كيف شاء، هو القوي المتين الذي يتصرف في الملك والملكوت، وفي الظواهر والبواطن، القوي المتين الذي نفذت مشيئته في جميع البريات، وما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

ولابد للإنسان أن يتعرف على ربه؛ حتى تأتي عظمة الله في قلب هذا العبد، فإذا امتلأ القلب بالإيمان تحركت الجوارح بالطاعات، فمعرفة الله من أوجب الواجبات؛ ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد/ ١٩].

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هي غذاء القلوب؛ فهذه القلوب لها غذاء؛ حتى تُقْبِل على الخير، وتنفر من الشر، وتعمل الطاعات، وتجتنب المعاصي، وتفعل ما يحب الله ويرضيه، وتجتنب ما يكرهه الله ويسخطه، لابد لهذه القلوب من الإيمان الذي يحملها على طاعة الله، ويبعدها عن معصية الله، لابد لها من الإيمان الذي به تقوى على الأعمال، وتحسن الأعمال، وتؤدى الأعمال ، بكمال الحب لله، وكمال التعظيم له، وكمال الذل له : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

ولهذا من أوجب الواجبات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، أن نعرف المعبود من هو؟ وما هي أسماؤه؟ وما هي صفاته؟ لأننا محتاجون إليه .

فلابد أن نعرف القوي حتى نفزع إليه في كل حال، ونعرف القادر حتى نستعين به على الأعمال، ونعرف الغني حتى نسأله ، ولا نقف بباب الفقير، ونعرف الكبير حتى نحتمي به ؛ فالله ﷻ هو الكبير وحده، وكل ما سواه من المخلوقات صغير، ونعرف الملك حتى نعبده : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] .

وليس في مكة قبل الهجرة إلا الدعوة إلى الإيمان والتوحيد وبيان فضل مكارم الأخلاق

وأحوال اليوم الآخر، كان النبي ﷺ يعلم الصحابة الإيمان والتوحيد؛ فيعرفهم بالله وأسمائه وصفاته، وماذا يريد الله ﷻ من خلقه، وماذا سيعطيهم يوم القيامة .

- **ولذلك كانت حلقة التعليم في دار الأرقم في مكة تشتمل على ثلاث مسائل:**

الأولى: التعريف بالله، وأسمائه ، وصفاته، وأفعاله ، وخزائنه، ووعده ، ووعيده.

الثانية: معرفة أحوال الرسل، وماذا جرى عليهم مع أممهم، وكيف أن الله ﷻ نصر أولياءه ودمر أعداءه كقوم نوح، وهود، وقوم صالح، وقوم ثمود، وقوم لوط، وقوم شعيب، وقوم فرعون، الله ﷻ أرسل إليهم الرسل، ودعوهم إلى الله، فلما لم يستجيبوا أنجى الله المؤمنين، وأهلك الكافرين : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦] .

ولهذا جاءت سورة إبراهيم، سورة يونس، سورة هود، هذه السورة التي تُعَرِّف بالله، وتكشف لنا أحوال الأنبياء والرسل الذين قاموا بالدعوة إلى الله.

الثالثة: التعريف باليوم الآخر، وماذا للناس بعد القدوم على الله ، من التكريم بالجنة لمن أطاعه، ومن العذاب والإهانة في النار لمن عصاه.

هذا العلم الذي كان في دار الأرقم، فلما قوي الإيمان نزلت أول فريضة؛ فريضة الصلاة، ليس في مكة فريضة بعد الإيمان بالله ﷻ إلا فريضة الدعوة إلى الله، وكيف ندعو إلى الله، وكيف نتعرف على أحوال الرسل في الدعوة إلى الله .

ثم جاءت أول فريضة بعد ذلك قبل الهجرة بسنة؛ فريضة الصلاة، ونزلت أحكامها وما يقال فيها بعد ذلك في المدينة، ثم جاءت فريضة الزكاة، والصوم، والحج، وغير ذلك، واكتمل الحج في السنة التاسعة من الهجرة .

ثم حج النبي ﷺ في السنة العاشرة ، ثم توفى في المدينة بعدها حين أكمل الدين : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة: ٣] .

فهذه المعارف لابد منها للعبد، والذي لا يعرف ذلك جاهل سفيه؛ لأنه سوف يعصي الله؛ لأنه لم يعرف قدر الله، ولم يبالِ بمعصية الله، ولم يعرف قدر الثواب الذي أضاع، ولم يعرف قدر الآخرة الآجلة التي فيها الثواب والعقاب الدائم ، ولم يعرف هذه الدنيا

الزائلة التي يسكن فيها مدةً قليلة : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩] .

فلابد للعبد أن يتعرف على معبوده بأسمائه وصفاته؛ حتى يعبده، وحتى يستعين به، ولا يلتفت لأحد سواه .

فلابد أن أعرف الخالق من هو؟ من هو القوي المتين؟ من هو الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض، وله جميع الخلائق في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض ، وله ميراث السموات والأرض : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

هو الملك العظيم جل جلاله ، هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذا ملكه، و إذا عرف العبد ذلك لم يلتفت لأحد سواه، وأقبل على طاعته، وابتعد عن معصيته : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

هو سبحانه القوي المتين الذي لابداية لقوته ولا نهاية، عظيم القوة، عظيم القدرة؛ فلا تنقص قوته، ولا تضعف قدرته؛ لأنه المتين شديد القوة، الذي لا تنقطع قوته أبدًا، ولا تلحقه في أفعاله مشقة، ولا يمسه لغوب؛ ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨ ﴾[ق/٣٨].

ومن عرف القوي المتين عظمه وكبره، وحمده وشكره، وأقبل على طاعته، وابتعد عن معصيته، وسأله وحده، ولم يلتفت لأحد سواه؛ لأنه عرف ربه بأسمائه وصفاته فاتقاه، وخشيه، وأحبه، وعظمه : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

ومقصود العلم ليس العمل فقط؛ فإن المنافقين يعملون ، بل العمل المقرون بالخشية، خشية الله أن أعرف الرب العظيم، الكبير المتين ، الغني القوي، القادر القاهر، الذي عنده خزائن كل شيء، وبيده ملكوت كل شيء، فأتوجه إليه ، أطيعه ولا أعصيه :﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ

﴿لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر/ ٩] .

ومن عرف القوي المتين اتقاه، وخشيه، وخاف منه، وابتعد عما يغضبه، وسارع إلى ما يرضيه، مهما اشتد البلاء، ومهما تعدد الابتلاء، ومهما تقلبت الأحوال بين السراء والضراء؛ لأنه عرف ربه ، فهو يعبده لذاته وجلاله وجماله، ويسرع إلى مرضاته؛ لأنه عرفه بأسمائه وصفاته : ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

والمؤمن قوي في إيمانه وأعماله، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير؛ فالمؤمن قوي في إيمانه وأعماله؛ لأنه اتصل بربه القوي فاستفاد منه القوة، اتصل بربه المؤمن فاستفاد منه الأمن، فأصبح آمنًا على نفسه، اتصل بربه العزيز فاستفاد منه العزة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

فالله ﷻ هو القوي المتين الذي قوى عبده على كل ما ينفعه .

والمؤمن متين في إيمانه وأعماله؛ لأنه اتصل بربه المتين، وسأله من فضله، فجعله متينًا في إيمانه، فلا شك عنده أبدًا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾ [الحجرات/ ١٥].

وأصبح متينًا في أعماله؛ يؤديها لربه باليقين المتين، والتعظيم الكامل، والحب الكامل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال/ ٢- ٤].

والمؤمن عزيز؛ لأنه اتصل بالعزيز، فصار عزيزًا بالانتساب إلى ربه العزيز: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون/ ٨].

والله ﷻ هو القوي المتين في قوته وقدرته، المتين في قهره وجبروته، المتين في كرمه ولطفه، إذا أكرم أكرم، وإذا لطف لطف، وإذا قهر قهر .

هو وحده المتين في حكمه، المتين في حلمه، المتين في رحمته، المتين في عفوه، إذا عفا عفا؛

حتى لا يبقى ذنب، وإذا غفر غفر؛ حتى لا تبقى معصية، هو المتين في إحسانه ومغفرته وفي جميع صفاته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات/ ٥٨].

فهو سبحانه القوي المتين الذي بلغ نهاية الكمال في ذاته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، وملكه وسلطانه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

هو سبحانه المتين الذي كيده وبطشه بأعدائه متين، لا يمكن لأحد رده أو صده أو الانفلات منه: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٤ – ٤٥].

والله عَجَّلَ لا يوصف بالكائد؛ إنما هذا من باب المقابلة؛ لأن هناك من يكيد بشر، كمن يكيد لغيره لينهب ما في يده، وقد يكيد مشاكلة وما إلى ذلك، فالله عَجَّلَ من كاد لأوليائه كاده: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١٥ – ١٧].

واعلم أن الله متين، ودينه متين؛ فكن متينًا في التوحيد والإيمان واليقين، متينًا في التمسك بحبل الله المتين، كن متينًا في العلم بـ (لا إله إلا الله)، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته؛ حتى تخرج من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، ومن عالَم الغيب إلى عالِم الغيب: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢].

بقوة الإيمان، وقوة اليقين، يخرج الإنسان من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فينظر بماذا أمر؟ وعن ماذا نهى؟ ويتعرف على أسمائه وصفاته؛ فيستأنس به، ويستوحش من غيره؛ فلا تراه إلا ذاكرًا شاكرًا، حامدًا عابدًا، داعيًا معلمًا، محسنًا مسبحًا بحمد ربه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وإذا امتلأ قلبه بالإيمان، وصار متينًا في الإيمان واليقين، صار الغيب عنده شهادة، فأصبح في درجة عالية من درجات الدين، وهي درجة الإحسان.

والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، أن تعبد الله كأنك تراه، إن تكلمت سمعك، وإن تحركت أبصرك، وأن أضمرت فهو عليم بما في قلبك، فأنت بين

يديه، بل جميع المخلوقات، بل جميع الذرات في العالم العلوي والعالم السفلي، في الظلمات والنور، كلها الله ﷻ ينظر إليها جميعًا، ويسمعها جميعًا، ويدبرها جميعًا: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

هو جل جلاله له الأسماء الحسنى والصفات العلى؛ وإذا عرف القلب ذلك تجاوز المخلوقَ إلى الخالق، وطلب رضاه، وسارع في طاعته، وسابق إلى كل خير، وتخلق بالأخلاق العالية، وعمل الأعمال الصالحة، وقال الأقوال الحسنة، وصار قلبه مملوءًا بحب الله، وحب رسله وكتبه وملائكته، وحب أوليائه.

فالله متين، ودينه متين، فكن متينًا في التوحيد والإيمان واليقين، متينًا في التمسك بحبل الله المتين: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان/ ٢٢].

فكن متينًا بالتمسك بحبل الله المتين، وخذ أوامر الله بقوة، افعل الأوامر، واجتنب النواهي، وجاهد في الله حق جهاده: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

اعمل الأعمال الانفرادية بينك وبين ربك بالتسبيح، والذكر، وتلاوة القرآن، وفعل النوافل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

واعمل الأعمال الاجتماعية بينك وبين الخلق، بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، والنصيحة للمسلمين: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

وكن متينًا في حسن الخلق مع ربك القوي المتين الذي خلقك فسواك فعدلك، الذي أسكنك في أرضه، وأطعمك من رزقه، وكساك من فضله، ومَنَّ عليك بإنزال هذا الكتاب العظيم، وبعثة هذا الرسول الكريم، وهداك لهذا الدين القويم؛ فكن متينًا في

حسن الخلق مع ربك القوي المتين الذي كل نعمة منه ومن فضله، اعبده، وتوكل عليه، واستعن به، واخشع له، واخضع بجوارحك له: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١٢٣].

وكن كذلك قويًّا متينًا في أخلاقك مع الناس أجمعين: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

وخالق الناس بخلق حسن.

قال رسول الله ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» أخرجه الترمذي(١).

كيف تكون متينًا تؤدي هذه الأعمال بقوة؟ وتؤديها بالحب والتعظيم لربك العظيم؟ بالعلم الإلهي، والعلم الإلهي هو أعظم شيء، وأول شيء، وأكبر شيء؛ لأنه يقودك إلى كل ما يحبه الله ويرضاه.

هذا العلم الإلهي يصلك بالله، ويصلك بما يحب الله، ويصلك بما تحب غدًا أن تلقاه من رضوان الله، ومن النعيم المقيم في جنة عرضها السموات والأرض: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢].

وبهذا العلم تكون متينًا في أقوالك، متينًا في أعمالك، متينًا في أخلاقك.

فهذا الدين عظيم، وحمله يحتاج إلى إناء متين، هذا الإناء هو هذا الإنسان الذي تخلَّق بالأخلاق العالية، وجعله وسيلة لحب الله ورسوله ودينه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٧).

والأخلاق التي يحبها الله ، والتي اشترى أهلها هي: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢].

وقد وعد الله أهل الصفات بالمغفرة والأجور العظيمة فقال : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

فالله ﷻ يريد أن نحمل هذا الدين بالأخلاق العالية، ونترك كل شيء من أجله، ونتنازل عن كل شيء من أجله، ونبذل كل محبوب من أجله، فالمؤمن من أجل أن ينتشر الدين، من أجل أن يُعبد الله؛ يصل من قطعه، ويعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويحسن إلى من أساء إليه : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٣ – ٣٦] .

فلابد أن نتخلق بالأخلاق العالية ، بالصفات التي دعانا الله للإتصاف بها بقوله : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

أولًا نحصيها، ثم نحفظها، ثم نتخلق بها، ثم ندعو الله ﷻ بها، ثم نجمل الناس بها، فاللباس الحسي الذي يستر العورات نشترك فيه نحن والكفار، لكن لباس التقوى إيمان بالقلب، وتوكل على الرب، وحب للرب، وعمل بالجوارح، هذا لباس التقوى .

فمن لبس لباس التقوى في الدنيا ألبسه الله يوم القيامة لباس الحرير والحلي يوم القيامة : ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ

ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ [الأعراف: ٢٦] .

هذا الدين عظيم، هذا الدين متين فيه أخبار عظيمة ، وأحكام عادلة ، وأخلاق حسنة : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣] .

والله ﷻ هو القوي المتين، الذي كل متانة في الخلق من فضله وجوده جل جلاله؛ فهو الذي قوَّانا على الطاعات، وهو الذي قوانا على اجتناب المعاصي، وهو الذي قوانا على الإيمان، وهو الذي قوانا على طلب العلم : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣] .

فالله ﷻ منه كل فضل وكل خير، وكل شر وكل سوء من الإنسان؛ ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩] .

هو سبحانه المتين الواسع في علمه ، وقوته ، وقدرته ، وغناه، وكرمه وحلمه ، ومغفرته .

هو المتين الواسع في ملكه ، كل هذا الملك العظيم الذي نراه له، السموات والأرض له، وما فيهن له، عالم الغيب له، عالم الشهادة له، عالم الدنيا له، عالم الآخرة له، كل شيء له: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾﴾[المائدة/ ١٢٠].

هو المتين الواسع في علمه ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام/ ٥٩].

هو يعلم ما كان ، وما يكون ، وما سيكون: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: ٦ – ٧] .

هو الواسع في رحمته : ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧] .

هو جل جلاله واسع في علمه، واسع في رحمته، واسع في قدرته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢].

هو الواسع في مغفرته لذنوب عباده : ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم

﴿ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾
[النجم: ٣٢].

فهو القادر على كل أحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، الغني الذي كل شيء له: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس/ ٦٨].

هو سبحانه القوي المتين الذي كل شيء في ملكه في قبضته لا يغيب عنه، ولا يفلت منه، ولا يمتنع عليه؛ ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦].

فسبحان ربنا المتين الذي دينه متين، وكيده متين، وتدبيره حكيم، وعطاؤه جميل، وفضله كبير: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

فكيد الله ﷻ تدبير حكيم لمصلحة خلقه، وسمِّي هذا التدبير كيدًا من باب المشاكلة والمقابلة: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق/ ١٥ – ١٦].

والله ﷻ هو القوي المتين، قوي في قدرته، متين في قوته، فلا أقوى منه، بل هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي، وعنده خزائن القوة، وبيده القوة جميعًا، لو رفعها عن السماء لوقعت، ولو رفعها عن الأرض لزالت .

ولو رفعها عن الإنسان لهلك، وهكذا .

هو القوي المتين الذي خلق القوة، ومَنَّ بها على خلقه، وعنده خزائن القوة، فهو القوي في قدرته ، متين في قوته فلا أقوى منه، يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه :
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

هو القوي المتين الذي لا أقوى منه، وضع اسمه على السماء فاستقلت، ووضعه على الأرض فاستقرت، ووضعه على الجبال فرَسَتْ، ووضعه على المياه فسالت، ووضعه على الأشجار فأثمرت ، ووضعه على الصخور فقَسَتْ، ووضعه على الأذن فسمعت، ووضعه على اللسان فتكلم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

الله ﷻ قوي متين، وبقوته خلق العالم العلوي والعالم السفلي، والعالم العلوي عالم عظيم، فيه الملائكة العظام، فيه جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل، وفوقه حملة العرش الذي

الواحد منهم ما بين شحمة أذنه إلى منكبه مسيرة سبعمائة عام، وجبريل له ستمائة جناح، لو مد منها واحدًا لأظلم الأفق ، وبطرف جناحه، رفع خمس قرى من قرى قوم لوط ، ثم قلبها عليهم، فكم عدد الملائكة في السموات والأرض؟ وكم السموات السبع مملوءة بالملائكة؟ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم ، أو راكع ، أو ساجد لله ﷻ : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

والملائكة عباد مكرمون: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[التحريم/ ٦].

فكلامهم نور، وتسبيحهم نور، وأعمالهم كلها نور، فالعالم العلوي كله نوراني، مملوء بالملائكة المخلوقين من نور، وبما فيه من نور العرش، ونور الكرسي، ونور السموات والله النور فوق عرشه .

قال ﷺ عن ربه : « **نُورٌ، أَنَّى أَرَاهُ؟ حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهَا لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»أخرجه مسلم[1].

فسبحان من له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، المتين الذي خلق جميع العوالم بقدرته؛ لأنه القوي المتين ، القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء، القوي المتين الذي خلق كل قوي ومتين من الجبال الراسيات، والبحار الواسعات ، والجمادات ، والنباتات ، والحيوانات : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل: ٨٨].

هو القوي المتين الذي خلق كل شيء في العالم العلوي والسفلي: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر/ ٦٢– ٦٦].

فإذا عرفنا القوي استعنا به، وإذا عرفنا الكبير لم نقف بباب الصغير ، وإذا عرفنا الكريم سألناه، وإذا عرفنا المتين علمنا أن خزائنه لا تنقص، وأن قوته لا يقف لها أحد : ﴿ فَٱعْلَمْ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

فمن عرف الله بأسماء جلاله عَظَّمه، ومن عرف الله بأسماء جماله أَحَبَّه، ومن عظمه وأحبه أطاعه فيما أمر به: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢].

فلابد للسان أن يذكر ربه كثيراً ، ويثني عليه ويمجده؛ حتى يمتلئ القلب بالإيمان، فإذا جاء الإيمان جاءت الطاعات، وقلَّت المعاصي، وكل نقص في الطاعة ، أو زيادة في المعصية سببه نقص في العلم بالله وأسمائه وصفاته، وكل زيادة في الطاعات ، ونقص في المعاصي سببه زيادة العلم بالله وأسمائه وصفاته : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩] .

- **والعلم ثلاثة أقسام:**

علم بالله .. وعلم بأوامر الله .. وعلم بأيام الله.

فالعلم بالله: هو العلم بالله، وأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده .

فعلينا أن نتعرف على هذا العلم؛ حتى يمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

ثم علمٌ بأيام الله: فننظر في حياة الأنبياء السابقين، بماذا أَمَروا وعن ماذا نَهوا؟ كيف كان مآلهم؟ وكيف كان مآل أعدائهم؟ كيف الله ﷻ نصرهم؟ وكيف خذل أعداءهم؟ : ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود: ١٢٠].

ثم ننتقل إلى العلم بأوامر الله: ماذا يريد الله؟ ماذا يحب الله؟ ماذا يسخط الله؟ بماذا أمر الله؟ عمَّ نهى الله ؟ : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧].

فهذه العلوم تملأ القلب إيمانًا بالرب جل جلاله، فنتعلم هذا العلم كله، ونأخذ من عشرة دروس تسعةً في التوحيد والإيمان، وواحداً في معرفة الأحكام، ومعرفة سيرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في العمل بهذا الدين ، والدعوة إليه.

فالله سبحانه دعانا إلى معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة/ ٩٨].

والله يمجد نفسه، ويحمد نفسه، ويبين أنه له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، فعظموه وتوجهوا إليه ، واعبدوه وأطيعوه، ولا تلتفتوا لأحد سواه، فكل مخلوق مفعول، كان معدومًا فأوجده الله، ولما أوجده ملكه، وبقاؤه وفناؤه بيد الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

فسبحان الله! ما أحلى الكلام عن الرب العظيم، والكلام عن الرب العظيم يجب أن يكون عظيمًا، والكلام عن الكبير لابد أن يكون كبيرًا، فنحن نكبره ونمجده ، ونحمده، ونشكره ونتوب إليه ونستغفره؛ لأننا ما قدرناه حق قدره ؛ لقلة معرفتنا به: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤﴾ [الحج/ ٧٤].

الله سبحانه هو القوي المتين الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن، وله جنود السموات والأرض من الملائكة والأرواح، والجن والإنس، والحيوان والنبات والجماد، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا العليم الخبير: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

في كل ثانية مليارات المخلوقات توجد بأمر الله، وفي كل ثانية مليارات المخلوقات تموت بأمر الله .

الله قوي متين، قهر المعدوم فأوجده، وقهر الموجود فأعدمه؛ لأنه هو الذي يحيي ويميت، وهو الباقي وحده، وكل ما سواه فانٍ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠﴾ [المؤمنون: ٨٠].

فسبحان الرب العظيم، الملك الحق، العلي الحميد، القوي المتين، الذي كل شيء ملكه، وكل شيء في قبضته، وكل شيء خاضع لعظمته ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[يونس/ ٦٨].

كل شيء ملكه من السموات ، والأرض ، والجبال، والبحار، والأنهار، والملائكة،

والإنس، والجن، والأرواح، والحيوان والنبات، والجماد، وغير ذلك من المخلوقات التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا هو: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣] .

والعبد إذا عرف ذلك عن ربه ﷻ اطمأن قلبه، وتوجه إلى ربه، ولم يلتفت لأحد سواه، لابد للسان أن يتكلم عن القوي المتين، ويخاطب القلب بذلك، ويقول له: الله ﷻ هو القوي المتين، فنحن نتكلم بذلك؛ لنسمع الله ﷻ؛ لأن الله يحب من يمدحه ويثني عليه، ويمجده، ونسمع الملائكة الذين طعامهم التسبيح والتحميد والتهليل، ونسمع أنفسنا ، ونسمع المؤمنين، ونسمع المخلوقات، فاللسان يذكِّر القلب بربه ، ويتكلم عن ربه فيقول: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢ – ٢٤].

فالله محيط بكل محيط، السموات السبع محيطة بالأرضين السبع، والكرسي محيط بالسموات والأرضين، والعرش محيط بالكل، والله فوق العرش محيط بكل محيط، ولا يحيط به محيط : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾ [فصلت: ٥٤] .

هو المتين بذاته، والمتين بسمعه، وسمعه محيط بكل شيء : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١] .

يسمع جميع الأصوات ، على اختلاف اللغات ، في كل مكان ، وفي كل زمان؛ فهذا حامد، وهذا سائل، وهذا مستغفر، فيقضي الحاجات جميعًا، ويسمعهم جميعًا، ويجيب دعاءهم جميعًا؛ لأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، وليس كمثله شيء : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

هو القوي المتين في سمعه جل جلاله، سمعه محيط بجميع المخلوقات، بكل شيء

متحرك أو ساكن، ناطق أو صامت، وبصره محيط بكل شيء في ملكه، ورحمته وسعت كل شيء، فحيثما سِرْت وجدت رحمته، وحيثما كان خلقه كانت رحمته، وحيثما كانت رحمته كان علمه: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

هو المتين الذي رزقه وصل إلى كل حي، ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، في العالم العلوي، وفي الفضاء، وفي العالم السفلي، وفي الصحاري، وفي البر والجو والبحر: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[هود/ ٦].

وإيصال الأرزاق إلى هذه الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي يحتاج إلى قوة، وإلى علم، وإلى حكمة، وإلى رحمة، والله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، خلق الأرزاق كلها، وأوصلها بقوته إلى جميع خلقه، وعلمه محيط بكل شيء فلا ينسى أحدًا، وقوته وقدرته أحاطت بكل شيء ، فلا يعجزه شيء : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ لماذا؟ ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق/ ١٢].

هو المتين الذين يعمل ما يشاء ، ويحكم ما يريد : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى/ ١١].

يعز بأسباب الذلة، ويذل بأسباب العزة، وينجي بأسباب الهلاك، كما أنجى إبراهيم ﷺ من النار، ويهلك بأسباب النجاة، كما أهلك فرعون مع ملكه، ويربي أولياءه في قصور أعدائه كما ربى موسى ﷺ في قصر فرعون، ويهلك بأسباب النجاة كما أهلك قارون مع ماله، وخسف به وبداره الأرض، فهو فعال لما يريد، فعال لما يشاء، ليس كمثله شيء في أسمائه وصفاته وأفعاله ، هو الواحد الأحد رب كل كل أحد ، وإله كل أحد : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص/ ١- ٤].

هو جل جلاله القوي المتين الذي إذا رحم رحم، حيث لا شقاء ولا عذاب، وهو القوي المتين الذي إذا بطش بطش، حيث لا حياة ولا نجاة : ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ

ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠].

فهو القوي المتين الذي إذا رحم رحم حيث لا شقاء ولا عذاب: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

هو المتين الذي بيده مفاتيح كل شيء: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

هو القوي المتين الذي لا أقوى منه، هو القوي المتين الذي إذا بطش بطش، حيث لا حياة ولا نجاة؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود/ ١٠٢].

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر/ ٦ – ١٤].

بالمرصاد لكل من عصاه، وخالف أمره، وآذى أولياءه، في كل زمان ومكان.

ماذا فعل القوي المتين بالأمم التي عصته، وكذبت رسله، وكفرت به؟: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

ماذا فعل القوي المتين بأصحاب الفيل: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ﴿٢﴾ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١ – ٥].

هو سبحانه القوي المتين، الذي إذا خلق شيئًا أتقنه وأحكمه وأحسنه: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح/ ١٣ – ٢٠].

فهو جل جلاله إذا خلق شيئًا أحكمه وأتقن صنعته: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل/ ٨٨].

وخلقه متين لا تفاوت فيه : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾ [الملك: ٢ – ٤].

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ [الأعلى/ ١ – ٣].

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ [التين/ ٤].

هو القوي المتين الذي خلقنا ، وأحسن صورنا، وأحسن صور جميع المخلوقات، وليس في فعله قبيح، إنما هو نهاية الحُسْن : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾ [السجدة: ٦ – ٧].

فالله هو جل جلاله هو المحسن الذي خلق كل شيءٍ حسن، وأحسن كل شيءٍ خلقه : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾ [المؤمنون/ ١٤].

هو القوي المتين الذي كل شيء في خزائنه، وكل شيء إنما يوهب من خزائنه : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١ ﴾ [الحجر: ٢١].

هو سبحانه القوي المتين الملك الحق الذي يملك كل شيء، والملك كله بيده .

عالم الغيب والشهادة بيده، السموات والأرض بيده ، وما فيهن وما عليهن من الملائكة، والإنس ، والجن ، والجماد ، والنبات ، والحيوان بيده وحده لا شريك له؛ ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ۝١٢٠ ﴾ [المائدة/ ١٢٠].

هو القوي المتين الذي له الملك كله، وله الحمد كله، ومنه الفضل كله، وإليه يرجع الأمر كله : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو جل جلاله الخلاق العليم، خالق كل شيء، يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات التي تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته ، وتخضع لأمره فيزيد ملكه خلائق، ويزيد في ملكه من يكبره ويسبحه ، ويقدسه وينزهه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨٦ ﴾ [الحجر/ ٨٦].

هو القوي المتين الذي كلما خلق زاد ملكه، وكبر ملكه ، فكل ما يخلق من المخلوقات تسبح بحمده، فيزداد الثناء عليه، والشكر له، والتقديس له؛ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج/ ١٨].

فهو جل جلاله يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات؛ لأن خزائنه ملأى بكل شيء، وقدرته لا يقف لها شيء : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر: ٤٩ – ٥٠].

فيخلق المتين هذه المخلوقات العظيمة إظهارًا لقدرته ، وعظمته وجلاله، وإظهار لعلمه الواسع ، وقدرته الشاملة ، في ملكه العظيم؛ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق/ ١٢].

هو القوي المتين الذي يهب ويعطي ويرزق في أقل من ثانية مليارات الخلائق من العطايا والهبات والأرزاق والنعم لمن شاء من خلقه، ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة؛ لأنه القوي المتين الغني الكريم، الذي لا تنقص خزائنه أبدًا مهما أنفق؛ لأن غناه مطلق لا حد له ، والمحدود إذا أُخذ من المحدود نقص، أما أرزاق الله فليس لها حد ولا بداية ولا نهاية، علمه ليس له بداية ولا نهاية، رزقه ليس له بداية ولا نهاية؛ ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص/ ٥٤].

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨] .

فالله ﷻ هو الحي القيوم المتين، الذي كل شيء خلقه، وكل شيء ملكه، وكل نعمة من إحسانه، وكل عقوبة من عدله، وكل عطاء من خزائنه، وكل خير منه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣] .

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

وإذا نقصت خزائن الله مثقال ذرة لكان فقيراً إلى ما نقص ، والله منزه عن ذلك : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يونس: ٦٨] .

فالله ﷻ هو الغني الكريم الذي لا تنقص خزائنه، وعنده وبيده خزائن كل شيء، فما

يجري في هذا الكون كله من فضله وجوده، وقد من على عباده بالهداية بعد الضلالة، وبالنعم المادية من الطعام والشراب والهواء والماء، وبنعمة الدين، فمنه كل خير وكل نعمة، والله ذو الفضل العظيم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فلا تظالموا**» أخرجه مسلم(١).

وأعظم الظلم هو الشرك، الظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه، أو التصرف في ملك الغير بغير إذنه، فأعظم الظلم وأقبح القبيح الشرك بالله الذي يخلق ويرزق، الواحد الأحد، الصمد، الذي لا إله غيره، ولا رب سواه.

ولهذا فهذا الذنب لا يغفره الله لمن مات عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦].

فالله فطر الناس على التوحيد، ولكن جاءت الشياطين فاجتالتهم عن دينهم؛ فكل أحد ضال إلا من هداه الله عز وجل، فالهداية من الهادي، والزرق من الرزاق، والعلم من العليم، والحكمة من الحكيم، والكرم من الكريم، فكل شيء منه فليطلبه منه: «**يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**» أخرجه مسلم(٢).

ولهذا نقول في كل صلاة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٧]..

فأعظم شيء نسأله الهداية ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

الذين عرفوا الحق وعملوا به: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، الذين عرفوا الحق وتركوه، وفي مقدمتهم اليهود: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ الذين ضلوا عن الحق، فعبدوا الله بجهل، وهم النصارى ومن ضل مثلهم.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

ومن رحمة الله أن جعلنا ضعفاء فقراء إليه؛ حتى نتوجه إليه، ولا نلتفت لأحد سواه، ولم يجعلنا أغنياء وأقوياء وأشداء؛ حتى لا نستغني عنه، بل نقف بابه، إن مرضنا سألناه الشفاء، وإن عجزنا سألناه القوة والقدرة، وإن ضعفنا سألناه القوة، وإن خفنا سألناه الأمن، «**يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**»أخرجه مسلم[1].

والكسوة كسوتان:

كسوة القلوب .. وكسوة الأبدان.

فكسوة القلوب هي التقوى، وكسوة الأبدان ما من الله علينا به من اللباس في الصيف والشتاء؛ ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦**﴾[الأعراف/ ٢٦].

ولا ينزع هذا اللباس من الإنسان إلا الشيطان ؛ لأنه يريده عاريًا أمام ربه:﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧**﴾ [الأعراف/ ٢٧].

ثم ينادي ربنا عباده : « **يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»أخرجه مسلم[2].

وقال النبي ﷺ : «**لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»أخرجه مسلم[3].

لأن العبودية باسمه الغفار، باسمه الغفور، باسمه الرحيم؛ لا تتم إلا بأن يبتلى هذا الإنسان بالشهوات، فيقع في المعصية، فيتوب إلى الله، فيكون بعد توبته أعظم مما كان قبل توبته، ولهذا الله ﷻ يحب التوابين، ولا توبة إلا من ذنب، والله ﷻ:﴿**يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢**﴾[البقرة/ ٢٢٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).

ثم ينادي بقوله : «**يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي**»أخرجه مسلم(١).

ليس بأيديكم شيء، بل كل مخلوق في هذا الكون كان معدومًا فأوجده الله:﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾[الإنسان/ ١].

ولما كان الإنسان شيئًا مذكورًا، وأعطاه الله ﷻ من النعم، ومَنَّ عليه بالهداية، والعقل، والسمع، والبصر؛ هل يليق به أن يعصي ربه ، ويطيع عدوه؟ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾ [الانفطار: ٦ – ٨] .

فالله ﷻ هو القوي القادر القاهر، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو الغني عن كل أحد ، والذي لا يحتاج إلى أحد، والذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦ ﴾ [لقمان: ٢٦] .

فالله سبحانه لا يزيد مجداً بتمجيدنا إياه، ولا يزيد كبرياء بتكبيرنا له، إنما نحن نُسمِع قلوبنا أن الله كبير، وأن الله قوي، وأن الله رحمن رحيم؛ حتى نتوجه إليه، ونحبه ، ونعظمه ونطيعه، ليكرمنا الله ﷻ بالأمن والهداية والخلافة في هذه الدنيا، والجنة يوم القيامة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

وقال ﷻ في الحديث القدسي:«**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ؛ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا**»أخرجه مسلم(٢).

فالله كبير قبل أن نكبره ، ومحمود قبل أن نحمده، وشهد لنفسه بالوحدانية قبل أن نشهد

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

له: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[آل عمران/ ١٨].

وسبح نفسه قبل أن نسبحه:﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠].

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

وكل مخلوقاته تسبحه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

وأنت أيها الإنسان يجب عليك أن تسبح باسم ربك الأعلى:﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى/ ١].

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[الواقعة/ ٧٤].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾[النصر/ ٣].

سبحه عن المثيل والشبيه، وعن صفات النقص والعيب، وأن يماثله أحد من مخلوقاته مهما كان قويًّا، ومهما كان عالمًا؛ ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى/ ١١].

ثم ينادي الرب عباده: «**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ**»أخرجه مسلم[1].

فالغني هو الذي لا تنقص خزائنه أبدًا؛ ولهذا فأغنى الأغنياء يسمى فقيرًا؛ لأنه فقير إلى الله في حياته، فقير إلى الله في طعامه وشرابه، فقير إلى الله ﷻ في تنفسه ؟ فقير إلى الهواء، فقير إلى العافية، فقير إلى ربه في كل شيء :﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[فاطر/ ١٥].

ثم ينادي عباده: « **يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الـمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»أخرجه مسلم(١).

وهذا للتقريب؛ لأن الله لا تنقص خزائنه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٥٤].

«**يَدُ اللهِ مَلأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ**»أخرجه البخاري(٢).

لا تنقصها نفقة أبدًا، لا تنقص خزائنه أبدًا، ومع كثرة إنفاقه لا تنقص خزائنه أبداً: «**يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ**»أخرجه مسلم(٣).

فليحمد العبد ربه أن خلقه وهداه، ومَنَّ عليه بالدين، وحببه إليه، وزين الإيمان في قلبه، وضاعف له الأجر، واستضافه في بطن الأم، واستضافه في بطن الدنيا، واستضافه في القبر، ثم يستضيفه في جنة عرضها السموات والأرض إن كان مؤمنا: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٤١١).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

التعبد لله ﷻ باسمه المتين

الله ﷻ هو القوي المتين الذي بيده ملكوت كل شيء، وإذا عرفنا أنه القوي المتين، فكيف نتعبد لله ﷻ باسمه المتين؟ فالتعبد لله باسمه المتين هو ثمرة معرفة الله أسمائه الحسنى، وصفاته العلى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وحظ العبد من هذا الاسم العظيم أن يكون متينًا في علمه، ويقينه، وإيمانه، وتوحيده، وأقواله، وأعماله، وأخلاقه، فعليك يا عبد المتين أن تقوم بأفضل الأقوال، وأحسن الأعمال، وتتجمل بأحسن الأخلاق؛ لتنال بذلك الأمن والعزة في الدنيا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام/ ٨٢].

وتنال الجنة والرضوان في الآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨].

فحظ العبد من معرفة اسم الله المتين أن يتعرف على الله بأسمائه وصفاته؛ ليمتلئ قلبه بالإيمان بالله، وتعظيمه، وحبه.

ومن امتلأ قلبه بالإيمان بالله لم ينطق لسانه إلا بذكره وحمده وشكره، ولم تتحرك جوارحه إلا بطاعته: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢- ٤].

فإذا عرفنا اسم الله المتين فعلينا أن نعبد الله بموجب هذا الاسم، فنحمده ونشكره، ونكبره ونعظمه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

هو القوي المتين الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيءٍ عددًا، وكل مخلوق خاضع لأمره، مصرف في طاعته، شاهد بتوحيده، مسبح بحمده: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾[النور/ ٤١].

هو القوي المتين، ما شاء من الخلق والأمر كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا؛ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[يس/ ٨٢- ٨٣].

الله ﷻ بيده الملك والملكوت، فجميع الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي كلها شاهدة بوحدانيته، ودالة على جلاله وجماله، ومسبحة بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[الإسراء/ ٤٤].

فهذه المخلوقات العظيمة في العالم العلوي والعالم السفلي دالة على عظمته وجلاله وجماله، العرش والكرسي، والسموات والأرض، والجنة والنار ، وجميع المخلوقات، والعوالم، والأوامر، والآجال، والأرزاق، والمقادير، والتصريف، والتدبير، وغير ذلك مما خطه القلم مما لا يعلمه إلا عالم الغيب والشهادة ، كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، وكل ذلك بيد القوي المتين وحده لا شريك له؛ ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾[يس/ ١٢].

وذلك كله دليل قاطع وبرهان ساطع ، على عظمة أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى من جهة، ومنقسم على سبيل الترغيب والترهيب من جهة أخرى .

إذا رأيت هذه المخلوقات وعظمتها وجلالها وكبرها؛ أثمر ذلك الرهبة في القلب لخالقها، فتخشع له ، وتخضع له، وتمتثل أمره، وما تراه من الجمال والأرزاق، وهذه الأنوار، وهذه السحب، وهذه النباتات، وهذه الأرزاق والنعم أثمر ذلك الرغبة في قلب المسلم فيقبل على طاعة الله ومحبة الله ﷻ.

- **فهذه المخلوقات التي خلقها الله تنقسم إلى قسمين:**

قسم يثمر الترغيب في حب الله وطاعته ، وقسم يثمر الترهيب من الكفر والمعاصي.

هي دالة على جمال الله من جهة، وعلى عظمته وجلاله من جهة أخرى، منقسمة إلى سبيل الترغيب في طاعته والترهيب من معصيته من جهة أخرى، فإذا رأيتُ النار جاءت في قلبي الهيبة والخوف منها؛ فأخاف مَن خالقها أعظم من خوفها، فالله ﷻ جعلها وسيلةً للتذكير بالنار الكبرى يوم القيامة : ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ٧١ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ

﴿نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ٧٢ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ٧٣﴾ [الواقعة: ٧١ – ٧٣].

فمن عرفها وعرف خالقها؛ علم أن معصيته عظيمة؛ فأقبل على طاعته، وابتعد عن معصيته: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء/ ١٤].

إذا كان الله يعلم ما في السماء وما في الأرض؛ فيجب علي أن أتيقن أنه يعلم أقوالي وأعمالي، يعلم ما أسمعه، ما أبصره، ما أتحرك به، ما أفعله، يعلم ما أفكر به : ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٣ – ١٤].

وهذه المعارف الإلهية تورث العبد توحيد الرب، وتجديد التوحيد له، فلا يخاف أحدًا إلا الله، ولا يرجو سواه، ولا يتوكل إلا عليه وحده، ولا يلتفت إلى غيره: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣﴾ [الزمر/ ١١ – ١٣].

واعلم أن الله وإن كان سبحانه قد خوَّف من النار، ورغَّب في الجنة، وحذَّر من الشرور، ورغَّب في الخير ، رحمةً بك، وتسهيلًا لوصولك إليه؛ فإن المقصود الأعظم من ذلك كله ، والمقصود من الخلق والأمر كله ، هو معرفة الله جل جلاله، وتوحيده بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبادته وطاعته، وفعل ما يحبه ويرضاه، مما شرعه في كتابه، وأرسل به رسوله محمدًا ﷺ : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

اعبده بالحب الكامل، والتعظيم الكامل، والذل له؛ فأنت عبده، وأنت تسكن في ملكه، وتأكل من رزقه، وما عليك إلا أن تطيعه، بل يجب عليك أن تطيعه، لأنه هو ربك، وهو الذي خلقك ورزقك وهداك: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٦ – ٥٨].

فأعظم ما يشغل الخلق هو حفاظة حياتهم، وحفاظة حياتهم بالأكل والشرب، والهواء والنور، وهذه كلها نعم من الله ﷻ، فالله ﷻ خلق الإنس والجن ليعبدوه: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات/ ٥٦].

أي: ليوحدوني ويعبدوني وحدي، نطيع الله ﷻ وحده لا شريك له، والله لا يريد من العباد شيئاً؛ لأنه هو الرزاق الذي خلق الأرزاق، وأوصلها إلى كل مرزوق؛ لأنه القوي المتين: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

فلا تشتغلوا بتحصيل الأرزاق عن عبادة الله ؛ فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ولكن المطلوب هو الأعمال التي تقرب إلى الله، وطلب الأرزاق مربوط بالأحكام؛ فمَن طلب الرزق ممتثلًا أمر ربه؛ فهو في عبادة ربه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ٩ – ١٠].

فالله ﷻ تكفل بالأرزاق؛ لأنه وكيل على هذا الإنسان في حياته ، وبقائه، ورزقه من طعام وشراب، وغير ذلك مما يحتاجه : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦] .

وعليه أن يعمل لنفسه لا لربه ، لأن الله غني عن العالمين : ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت/ ٦].

فيعبد الله ﷻ لذاته وجلاله وجماله؛ لأنه هو الذي يستحق أن يعبد ، ويكبر ، وأن يعظم .

ثم عند القوي المتين الكريم ثواب لمن أطاعه بالجنة، وعقاب لمن عصاه بالنار، لكن الأصل هو عبادة الله وحده لذاته وجلاله وجماله؛ لأنه لا يستحق ذلك إلا هو، لا يستحق ذلك إلا من له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والمثل الأعلى، والأفعال الحميدة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

فالثواب لأهل التوحيد والطاعات، والعقاب لأهل الشرك والمعاصي: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ

لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾[السجدة/ ١٨ - ٢٠].

واعلم يا عبد المتين أن الله وحده هو القوي المتين، وأنت عبد القوي، وعبد المتين، وعبد الرحيم، وعبد العزيز، وعبد الرحمن، وعبد الكريم، فليكن لك من معاني هذه الأسماء العظيمة الكريمة حظ تعبد ربك بمقتضاه:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف/ ١٨٠].

فاذكر الرزاق واطلب منه الرزق، فقل: يا رزاق ارزقني، يا عليم علمني، ويا شافي اشفني، ويا تواب تب علي، فتثني على ربك وتسأله .

وتخلَق بأسمائه وصفاته ، كن كريمًا بأقوالك وأعمالك وأخلاقك، كن متينًا في أقوالك وأعمالك وأخلاقك، واعلم أن المؤمن عزيز، لا يذل نفسه إلا لربه، أما أمام الناس فنظهر العزة والرحمة، والغنى والشجاعة، إظهارًا لعزة الدين، ورحمةً للناس أجمعين:﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

فقوة الأعمال نتيجة لقوة الإيمان، فلابد من الجهد أولًا على تحصيل الإيمان، ثم الجهد على العمل بموجب هذه المعرفة، والتخلق بالأخلاق بموجب تلك المعرفة .

وإذا ضعف إيمان العبد بربه، ونقص توحيده؛ تذلل للناس، وعلق آماله بهم، وتمسكن أمامهم، فسقط من أعينهم، فأذلوه وازدروه؛ لأنه سقط من عين الله قبل أن يسقط من عيونهم : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

فجرِّد رحمك الله نفسك لتوحيده وطاعته وعبادته وحده لا شريك له؛ لأنه وحده الملك، وأنت العبد، وهو الخالق وأنت المخلوق، وهو الغني وأنت الفقير، وهو الرزاق الذي أنت تأكل من رزقه، وتسكن في أرضه، وهو وحده المستحق للعبادة دون سواه، فأطعه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧] .

فهذه المعارف الإلهية العظيمة تسكب الإيمان في القلب، وتملؤه توحيدًا وإيمانًا ويقينًا،

وحبًّا وتعظيمًا لربنا العظيم جل جلاله؛ ولهذا الله ﷻ أمر المؤمنين أن يجددوا إيمانهم في كل لحظة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء/ ١٣٦].

ومن امتلأ قلبه بالإيمان؛ لم ينطق لسانه إلا بذكر الله وشكره وتكبيره، ولم تتحرك جوارحه إلا بطاعته وعبادته أقوالًا وأعمالًا وأخلاقًا.

فثمرة هذه المعارف العظيمة التوحيد والإيمان الذي هو مقصود الله ﷻ من خلقه: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

- **والإيمان الكامل له ستة أركان:**

أن تؤمن بالله .. وملائكته .. وكتبه .. ورسله .. واليوم الآخر .. والقدر خيره وشره.

- **وإيمان الناس على ثلاث درجات:**

إيمان موجود .. وإيمان مطلوب .. وإيمان مفقود.

فلابد من الجهد بالنظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية؛ حتى نترقى من الإيمان الموجود إلى الإيمان المفقود، ثم نترقى بهذه المعارف إلى الإيمان المطلوب.

فالإيمان المطلوب هو الذي تحصل معه النصرة: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [الروم/ ٤٧].

وتحصل به العزة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون: ٨].

- **فالإيمان ثلاثة أقسام:**

إيمان موجود؛ وهذا الإيمان الموجود يجعل الإنسان حسن العلاقة بربه، يذكره ويشكره، ويطيعه، لكن لا يزجره عن معصية الله ﷻ.

فلابد من الجهد عليه؛ حتى نرقِّيه، بالإيمان المفقود لنضمه إلى الإيمان الموجود؛ ليترقى إلى الإيمان المطلوب، الذي يحبه الله ﷻ، ولهذا سمانا الله بالمسلمين، وسمانا بالمؤمنين:

﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحجرات: ١٤].

وأمرنا سبحانه بتقوية الإيمان وزيادته فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء: ١٣٦].

والله ﷻ من حبه لعبده أنه يريد له كمال الإيمان والتقوى، والسعادة في الدنيا، والفوز بالجنة والرضوان ورؤيته يوم القيامة، فإذا عصاه أدَّبه وأنذره بمصيبة؛ لأنه يحبه ويغار عليه، وإذا تعلق العبد بغير ربه شدد عليه؛ ليعود إلى ربه : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧] .

فلنرجع إليه بالإيمان والتقوى، نرجع إليه بالأقوال الحسنة، والأعمال الحسنة، والأخلاق العالية : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

فمن حب الله لعبده أنه يريده له؛ ولهذا الله أتَمَّ عليه النعم، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، وحبَّب إليه الإيمان، وأعانه عليه ، وقبِله منه، فالله يريد من هذا العبد أن يكون له، والشيطان يريده أن يكون له : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

فالله يريد هذا العبد له، فيغار عليه من المعاصي، وإذا تعلق بغيره فيشدد عليه الأمور، ويأتي عليه بالابتلاءات؛ ليعود إليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [غافر: ٦١] .

فالله ﷻ كريم ورحمن رحيم، يغار عليك إذا تعلقت بغيره، فيُلْهِم هذا الغير أن يسيء

إليك لتكرهه ، وتعود إلى ربك سبحانه؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

ومن عرف ربه لم يعبد إلا إياه، ولم يتوكل على أحد سواه؛ لأنه الملك القوي المتين، الذي بيده الملك والملكوت، وبيده عالم الغيب والشهادة، فتوكل عليه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

والله هو القوي المتين، إذا وهبك القوة فاستعملها في طاعته، ونفع عباده، وجهاد أعدائه، واقرنها بالرحمة مع أوليائه : ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

واقرن القوة بالشدة على أعداء الله ورسوله والمؤمنين : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾ [التوبة: ٧٣] .

والله ﷻ قوي متين، أعطى عباده ما شاء من أنواع القوة البدنية، القوة الروحية، والقوة الفكرية، والقوة العقلية، والقوة الكسبية ، والقوة المالية، قوة الجاه والرئاسة، فيجب على العبد أن يشكر هذه النعم من ربه المتين، ويستعمل ما آتاه الله من قوة في طاعة الله، ونفع خلقه، كما فعل النبي ﷺ وأصحابه : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وقال ﷻ : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

فمن أراد أن يكون قويًا متينًا فليعتصم بالحق، وليقبل بالحق، ولا يخاف في الله لومة لائم، وليجاهد في سبيل الله، ونشر دينه: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾ [آل عمران/ ١٠١].

هو سبحانه القوي المتين في بطشه وانتقامه، فلا يقف لقوته أحد من خلقه، فتوكل عليه؛ فإنه قوي متين شديد العقاب : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق: ٢ – ٣] .

فهذه من ثمرات هذا الاسم العظيم، إذا عرفنا أن ربنا قوي متين، تعبدنا لله بخشيته، والخوف منه، والخشوع له، والخضوع له، وعبادته، وكثرة حمده وتمجيده، والثناء عليه.

لأنه قوي متين آمنا به وبملائكته ، وكتبه ، ورسله واليوم الآخر، ونعمل بالأعمال الانفرادية، والأعمال الاجتماعية، ونجاهد في الله حق جهاده؛ لأننا ورثة النبي ﷺ في أمته إلى يوم القيامة : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

فلنكن أقوياء في جميع أعمالنا، ونؤدِّي هذه الأعمال بقوة، وننشر هذا الخير الذي أعطانا الله ﷻ في العالم، فكما أمر الله الشمس بالإنارة في العالم كله، فنحن كذلك علينا نشر الهداية في العالم كله؛ فربنا حق، وديننا متين، فعلينا أن ننشر هذه الأوامر في العالم؛ ليتزين العالم كله بهذه الأوامر الملكية من ربنا ﷻ : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران/ ٨].

اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك .

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

القهار.. القاهر

اسم الله القهار.. القاهر

الله جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض، وقد أمرنا بتعلم أسمائه،وصفاته وأفعاله؛ لنصل بذلك إلى حبه، وتكبيره، وتعظيمه، وتوحيده:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد: ١٩].

والله ﷻ أظهر أسماءه وصفاته في كونه العظيم، وفي كتابه الكريم.

الله ﷻ أظهر أسماءه وصفاته في كونه العظيم المنظور، وفي كتابه الكريم، وأثنى على نفسه بهذه الأسماء؛ لهذا لا بد من معرفة المعبود قبل العبادة، ومعرفة الآمر قبل معرفة أمره؛ ومعرفة الحكيم قبل معرفة أحكامه حتى يتم التعبد له بأسمائه وصفاته، وفهم معانيها، وحفظها، وإحصاؤها، والتعبد لله بموجبها:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق: ١٢].

فهذا القلب أحوج ما يكون إلى معرفة ربه الذي خلقه، ومعرفة الهادي الذي هداه، ومعرفة الذي خلق السموات والأرض، ومعرفة من له ملك السموات والأرض، معرفة الملك الحق المبين، الذي أنا أسكن في ملكه، وآكل من رزقه:﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨ ﴾[المائدة: ٩٨].

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأسماء الله الحسنى هي أسماء جلال، وأسماء جمال، ولا بد لنا لتسهيل معرفة الأسماء الحسنى أن نعرف معانيها، ثم نتعبد لله ﷻ بها.

- **فأسماء الله ﷻ من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام:**

الأول: الأسماء الحسنى الدالة على ذات الله ووحدانيته.

مثل: الله، الإله، الواحد الأحد، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، وأمثالها من الأسماء الحسنى.

فهذه الأسماء تدل على أن الله واحد لا شريك له في ملكه، وخلقه، وأمره، وشرعه جل جلاله؛ فهو الواحد الأحد الذي بيده أمر كل أحد، ولا يحيط به أحد، وهو القادر على كل أحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، فلا بد أن أعرف الواحد الأحد؛ حتى لا ألتفت إلى أحد سواه: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤)﴾ [الزمر: ٤].

هذا القسم الأول، وهو يملأ القلب توحيدًا وتعظيمًا وإجلالًا للرب الواحد الأحد، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى.

الثاني: الأسماء الدالة على الملك، والقدرة، والقوة، والقهر.

مثل: الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القاهر، القادر، القوي، المقدم والمؤخر وأمثالها: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣)﴾[الحشر: ٢٣].

فهذه الأسماء تدل على أن الله ﷻ ملك له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠)﴾[المائدة: ١٢٠].

هذا القلب يجب أن يعرف أن الله ﷻ جبار قهر كل قاهر، قوي عزيز في ملكه، مهيمن على كل ما سواه، قاهر لما سواه، هو القاهر لكل قاهر، وكل ما سواه مقهور: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨)﴾[الأنعام: ١٨].

فهذه الأسماء تملأ القلب إيمانًا وتوحيدًا، وإجلالًا وهيبةً، لربنا ﷻ؛ حتى نذوق طعم الإيمان، ثم نذوق حلاوة الإيمان، ثم نصل إلى حقيقة الإيمان؛ فالإيمان الحقيقي يثمر العمل الحقيقي، الذي يثمرالثوابُ الحقيقي أمن وهداية في الدنيا، وخلافة في الأرض، وجنة عرضها السموات والأرض، ورضوان الرب ﷻ يوم القيامة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

الثالث: الأسماء الدالة على الخلق، والإيجاد، والإمداد.

لا بد للإنسان أن يعرف أن ربه الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، البر، المقيت، وأمثالها من الأسماء التي تدل على أن الله ﷻ ملك غني، يخلق ما يشاء، ويصور ما يشاء، ويرزق من يشاء، ويهب من يشاء: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر: ٢٤].

الرابع: الأسماء الدالة على العلم، والإحاطة، والحفظ والرقابة.

فلا بد أن أعلم أن ربي سميع بصير، عليم خبير، رقيب شهيد، حفيظ محيط؛ وأمثالها، فهذه الأسماء: السميع، البصير، العليم، الخبير، الرقيب، الشهيد، الحفيظ، المحيط، وأمثالها؛ معرفة هذه الأسماء تجعل التعبد لله ﷻ كأن العبد يشاهد ربه، ويراه ربه.

فالله سميع لي إن تكلمت، بصير بي إن تحركت، عليم بما في قلبي إن أسررت، خبير بما في ضميري إن سكت، رقيب علي على حركاتي وسكناتي، شهيد على قلبي وعلى جوارحي، حفيظ لي من كل عدو، محيط بأقوالي وأعمالي وأخلاقي.

فالقلب إذا عرف هذه الأمور؛ ازداد حبًا لله، وتعظيمًا له، وهيبةً له، وإجلالًا له، وخوفاً منه، وحياء منه: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك: ١٣ – ١٤].

الخامس: الأسماء الدالة على الرفق، والرحمة، والمغفرة، والعفو، والقرب.

مثل: الرحمن، الرحيم، الرب، الرؤوف، الحليم، الحميد، الشكور، الودود، الولي، النصير، القريب، المجيب، العفو، الغفور، والتواب، وأمثالها: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[البقرة: ١٦٣].

فهذه الأسماء التي تدل على الرفق والرحمة والمغفرة تجذب العبد إلى الانكسار بين يدي ربه وإلى رجاء رحمته وعفوه ومغفرته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[البقرة/ ١٤٣].

وهو الحليم على من عصاه، يمهله حتى يتوب، وهو الحميد المحمود في العالم العلوي والعالم السفلي بكثرة إنعامه، وهو الشكور الذي يشكر العبد، ويشكر عمله، ويعطيه على الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وأضعاف كثيرة، وهو الودود الذي يعطي عباده ويتودد إلى عباده بالنعم؛ ليحبوه، فيطيعوه، فيسعدوا في الدنيا والآخرة، وهو الولي الذي يتولاهم، والنصير الذي ينصرهم: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[الحجر: ٤٩ – ٥٠].

السادس: الأسماء الدالة على الهداية والبيان.

مثل: الهادي؛ فلا هداية إلا من الهادي، ولا رزق إلا من الرازق، ولا بيان إلا من المبين، فالهداية بيد الهادي، ونحن نبين الهدى، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور: ٤٦].

هو الوكيل على هداية الخلق، الوكيل على أرزاقهم، الوكيل على حفظهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [هود: ١٢].

فنحمد الله ﷻ أن صار هو الوكيل علينا، والكفيل لنا، والهادي لنا، وهو المبين لنا، فهو الهادي، وهو المبين، الذي ظهر لخلقه حتى كان أَبْيَن من كل بَيِّن، وهو المبين الذي أظهر الحق من الباطل، وأظهر الخير من الشر، وأظهر الأخلاق العالية من الأخلاق السافلة.

وهو الوكيل الذي يتوكل عليه خلقه، فيجب أن نعتمد على الوكيل في جميع حوائجنا.

وهو الكفيل بأرزاقنا، وبكل ما نحتاج إليه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن: ١٣].

فهذه الأسماء الحسنى يجب علينا أن نفهمها بهذه الصورة، بهذه الأقسام الستة، حتى يسهل علينا التعبد لله ﷻ بها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وأسماء الله الحسنى كلها أسماء جلال، وأسماء الجمال، والقلب يحتاج إلى معرفة أسماء الجلال وأسماء الجمال.

فأسماء الجلال تولد الهيبة من الله، والخوف منه، والخشية له، والكبر له، وأسماء الجمال تثمر الحب له، والتضرع إليه، والتقرب إليه بما يحبه ويرضاه؛ لعظيم نعمه، وإحسانه وأفضاله.

فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، ومن أسمائه الحسنى: القاهر والقهار ،وهي من أسماء الجلال، فهو القاهر فوق عباده، العالي فوق مخلوقاته، القاهر القوي الغالب لكل ما سواه، القاهر لكل قاهر: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾ [ص/ ٦٥].

وهو سبحانه الواحد القهار الذي قهر جميع الكائنات، وذلت لقهره وسلطانه وحكمه جميع المخلوقات، فكل مخلوق في العالم العلوي والعالم السفلي مقهور مزموم بزمام

الملك،الواحد القهار، خارج عن مراده إلى مراد الخالق له، القاهر له جل جلاله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾[هود: ٥٦].

قهر العالم العلوي والعالم السفلي على ما أراد، قهر السموات والأرض أن تزولا، وقهر السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وقهر الجماد بأنواعه على ما أراد، وقهر النبات بأنواعه على ما أراد، شكلًا، وحجمًا، ولونًا، وقدرة، وقهر الحيوان بأنواعه على ما أراد، وقهر الكواكب والنجوم على ما أراد وقهر الليل بالنهار، وقهر النهار بالليل، وقهر الشمس والقمر: ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾[الزمر/ ٤-٥].

هو سبحانه القهار الذي قهر هذا التراب فجعل منه إنسانًا يفكر ويعقل، ويسمع ويبصر، ويطيع ويعصي، ويضحك ويبكي، ويتحرك ويسكن، ويتكلم ويسكت، ويأكل ويشرب: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾[المؤمنون/ ١٢-١٦].

فلا إله إلا الله مع أعظمه! وما أعظم خلقه؛ خلق هذا الإنسان من تراب، فصار كما نرى وكما نعيش، هو القهار الذي لا يقهر، القهار القاهر لكل ما سواه.

هو القهار الذي جعل المعدوم موجودًا؛ فجميع هذه المخلوقات كانت معدومة؛ فأوجدها الله، هو بديع السموات والأرض، هو القهار الذي جعل المعدوم موجودًا، وجعل الموجود باقيًا، وجعل الحي ميتًا، وجعل الميت حيًا: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾﴾[آل عمران: ٢٦ – ٢٧].

فسبحانه لا إله غيره ولا رب سواه، كم من الأرزاق التي خلقها، والنعم التي أوجدها، وكم قوته وقدرته في إيصال هذه الأرزاق إلى المرزوقين في العالم العلوي وفي العالم السفلي

في البر وفي البحر: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾[هود: ٦].

هو الواحد القهار الذي خلق جميع المخلوقات، وقهرها على ما أراد، وقهر بعضها ببعض، وقهر الرياح بالجبال التي تصدها، وقهر الجبال بالحديد الذي يكسرها، وقهر الحديد بالنار التي تذيبه، وقهر النار بالماء الذي يطفئها، وقهر الماء بالهواء الذي يصرفه، وقهر الهواء بأقطار السماء والأرض التي تحيط به، ثم قهر الكل لأنه وحده هو القاهر لكل قاهر.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾[الزمر/ ٤].

هو وحده القاهر العلي فوق مخلوقاته: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٨﴾[الأنعام/ ١٨].

الله ﷻ هو القاهر وحده لا شريك له، وقد ورد هذا الاسم في القرآن مرتين في سورة الأنعام في قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٨﴾[الأنعام/ ١٨].

وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾[الأنعام/ ٦١].

أما اسم القهار فقد ورد في القرآن ست مرات، اقترن في جميعها باسم الواحد كما قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ۝١٦﴾[الرعد/ ١٦].

هو سبحانه القاهر القهار الذي قهر خلقه، بسلطانه وقدرته على ما أراد، القاهر الغالب لما سواه، القادر القاهر الذي يمنع غيره عن بلوغ مراده: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾[الزمر: ٤].

فهو سبحانه القهار شديد القهر،قوي القهر، عظيم القهر، الذي قهر كل شيء على ما أراد، وقهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر كل شيء على ما أراد جل جلاله شكلاً ولوناً، وقوة وضعفاً، وحركة وسكوناً، ومنفعة ومضرة.

خلق السماء وقهرها على هذا الحجم، وهذا اللون، وقهر النجوم، وقهر الشمس والقمر، على الثبات والسير والإنارة هو الله الواحد القهار، قهر كل شيء على ما أراد، وقهر الجبابرة والطغاة بأنواع العقوبات: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥﴾[الفيل/ ١-٥].

هو القهار الذي قهر الخلق كلهم بالموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فلا إله إلا الله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٤﴾ [الزمر/ ٤].

هو سبحانه القهار الذي لا يستطيع أحد رد تدبيره، ولا الخروج عن تقديره، القاهر الذي لا يُقهر، القاهر الذي له علو القهر فوق جميع عباده، الذي كل شيءٍ تحت قهره وسلطانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣﴾ [الحشر/ ٢٣].

هو سبحانه القهار الغالب لكل ما سواه، له علو القهر باعتبار الكثرة، وباعتبار نوع المقهور، فجميع المخلوقات مقهورة بأمر القاهر الواحد الأحد جل جلاله.

فهو القهار لجميع الطغاة والظلمة مهما كثروا، القهار لكل قوي، مهما بلغت قوته وعظمت، كثير القهر للظلمة والطغاة على مر العصور: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود: ١٠٢].

فسبحان من لا يقف لقوته وقهره أحد: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ٥٨﴾ [القصص/ ٥٨].

هو سبحانه القاهر لكل طاغ ومجرم مهما كانت قوته، ومهما كثر عدده، ومهما كثر ماله، كما قال الله ﷻ عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ٧٨﴾ [القصص/ ٧٨].

فسبحان العزيز الجبار العظيم بقوة الاقتدار، القهار الغالب لمن ناوأه بمعصيته إياه، فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف/ ٣٩].

فحظ العبد من هذا الاسم أن يخاف من ربه، فيقدم على طاعته، ويجتنب معصيته وأن يحبه؛ لأنه هو الذي ساق إليه النعم، وهو الذي هداه إلى الصراط مستقيم، وأن يتعلق به وحده دون سواه؛ لأنه القوي القاهر، وما سواه ضعيف عاجز، وأن يتوكل عليه وحده

مع تمام الثقة في كفايته وعونه؛ لأنه وحده الملك المتفرد بالخلق والأمر، وتصريف أمور الخلق: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾[التغابن/ ١٣].

فمن عرف الواحد القهار حقًا تواضع له بقبول حكمه، وما أنزله من الحق: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾[الزمر/ ٦٢-٦٦].

ومن عرف ربه القاهر، ذل له، وانكسر بين يديه، وتواضع للخلق، ولم يتكبر عليهم، فمعرفته بالقاهر أن يعرف أن فوقه رب قوي قاهر، فيتواضع له ويتواضع لخلقه.

لهذا لا بد من العلم بالله وأسمائه وصفاته؛ حتى يأتي الخضوع والخشوع لله، والحب له، والانكسار بين يديه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد/ ١٩].

ومن عرف القاهر القهار سبحانه؛ استعان به، وامتثل أمره، وأعد القوة التي يستطيع لقتال أعداء الله ورسوله ودينه وأوليائه، وتوكل على القاهر وحده الذي بيده مقاليد الأمور: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾[التغابن/ ١٣].

وأنت أيها المسلم حظك من هذا الاسم العظيم، أن تقهر نفسك، وتحملها على طاعة الله ،والبعد عن معصية الله؛ وأن تقهر عدوك؛ بلزوم طاعة القاهر لكل قاهر: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾[الحجر/ ٩٧-٩٩].

فتتوكل على الله، وتتقيه، وتمتثل أمره، فبيده مقاليد الأمور: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾[الطلاق/ ٢-٣].

وجاهد نفسك بالعمل فيما يرضي مولاك، تفوز بالهداية إلى سبل رضاه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[العنكبوت/ ٦٩].

فهذه النفس تريد تكميل محبوباتها من الشهوات، والله ﷻ يريد تكميل محبوباته من الأوامر الشرعية امتثالًا للأوامر، واجتنابًا للنواهي؛ فلا بد من مجاهدة النفس، وبذل

الجهد، حتى تأتي العبودية الواسعة، وتأتي الأقوال الحسنة، وتأتي الأعمال الصالحة، وتأتي الأخلاق العالية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وتوكل في جميع أمورك على ربك الواحد القهار، الأعلى على كل الخلائق بعلو الذات، وعلو السلطان، وعلو القهر، وعلو القدر، وعلو الشأن: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٨].

فمن عرف القادر لم يلتفت إلى العاجز، ومن عرف القوي لم يستعن بالضعيف، ومن عرف القهار احتمى بحماه، ومن عرف الغني لم يقف بباب الفقير، ومن عرف الكبير لم يبالي بالصغير: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

وحظ العبد من هذا الاسم العظيم، أن يخاف من ربه القهار، وأن يحبه، لأنه هو الذي يقهر عنه كل ما يؤذيه وما يضره؛ هو القاهر لأعدائه، ومن يريد الإيقاع به: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [الحج: ٣٨].

فسبحان من له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وله الحمد أن عرفنا بأسمائه وصفاته، وأعطانا العقول والأسماع والأبصار؛ لنتعرف على ربنا من خلال النظر في الملك والملكوت؛ حتى يأتي التعظيم له، والحب له، والتقدير له ويأتي التعبد له بالمحبة والتعظيم والذل: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

فسبحان القاهر الذي قهر جميع خلقه بقدرته وسلطانه فعنت له الوجوه جميعًا، وخضعت له الرقاب جميعًا، ودانت له الخلائق جميعًا: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾ [الزمر: ٤].

هو القهار الذي قهر جميع الخلائق على ما أراد بقوة قهره في الدنيا من جماد، ونبات، وحيوان، وإنس، وجان، وملائكة، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

فنستغفر الله من جهلنا بربنا وأسمائه وصفاته، ومن جهلنا بدينه وشرعه، ومن جهلنا بوعده ووعيده، ومن تقصيرنا في عبادته، وتسبيحه وتقديسه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ

وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر: ٦٧].

فهو القاهر لجميع مخلوقاته، قهرهم جميعًا على ما أراد بقوة قهره في الدنيا، وقهرهم بالبعث، والحشر، والنشر؛ والحساب ليحكم بينهم بالعدل:﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[الغاشية/ ٢٥-٢٦].

ولكل مقهور موعد مع القهار:﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾[إبراهيم: ٤٨ – ٥١].

فسبحان من قهر جميع خلقه بالموت، وقهر الجبابرة بعز سلطانه:﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[غافر/ ١٦].

هو سبحانه الواحد القهار فلا شريك له، ولا مثيل له، ولا معين له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته، فاعبده وحده لا شريك له، ولا تلتفت لما سواه، فكل ما سواه مربوب مقهور، فلا تتعلق إلا بربك الواحد القهار، امتثل أوامره، واجتنب نواهيه، واستغفره من ذنبك، واحمده على نعمته، ولا تتعلق بأحد سواه:﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾[يوسف/ ٣٩].

فمن أقر لربه بأنه الواحد القهار وحده لا شريك له، أفرده بالعبادة وحده لا شريك له، والعبادة هي طاعة المعبود فيما أمر، ليست العبادة فقط الصلاة والصيام والزكاة والحج والأذكار، وتلاوة القرآن؛ بل هي طاعة المعبود فيما أمر، امتثالًا واجتنابًا، امتثال أحكامه الشرعية، أمرًا ونهيًا، فعل الأوامر، واجتناب النواهي، فالله لا يأمر إلا بكل خير، ولا ينهى إلا عن كل شر، فالأوامر أغذية، واجتناب النواهي حماية وأدوية:﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر/ ٧].

فمن أقر لربه بأنه الواحد القهار وحده لا شريك له، لم يلتفت لأحد سواه، وأفرد ربه بالعبادة وحده لا شريك له:﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر/ ٢٢-٢٣].

وإذا عرفت هذا فلا بد أن يتأثر قلبك، وإذا تأثر القلب؛ استنار بنور الإيمان، وانشرح الصدر لجميع الطاعات، وأنواع العبادات؛ فأقبل على ربه متعبدًا خاشعًا بين يدي ربه الواحد القهار؛ بالمحبة والتعظيم والذل له جل جلاله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

ربنا حي قيوم، قوي قادر، قاهر قهار، ملك، عظيم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يسمع من يتكلم، ويرى من يتحرك، ويعلم ما في السموات وما في الأرض، ولا يعذب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

إذا عرف القلب ذلك؛ أحب الله وكبره وأطاعه، فتحركت الجوارح بأنواع العبودية، وتحرك اللسان بالذكر والاستغفار، والتحميد والتمجيد لله ﷻ، وتحرك اللسان بالتعريف بالخالق، ودعوة الناس إليه وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٠].

ما هو القول السديد؟ ما هو أعلاه؟ ما هو أعظمه؟: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

هذا أعظم قول يقوله الإنسان، أن أُعرف الخلق بالخالق، وأقرب الخلق إلى الخالق، وأعرفهم بأسمائه وصفاته، وعظمة ملكه وسلطانه؛ ليكبروه ويعظموه ويخافوه، وأعرفهم بنعمه وإحسانه، ليحبوه وإذا عظموه وأحبوه أطاعوه وإذا أطاعوه فقد وعدهم على هذه الطاعة بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

فلا يليق بالعاقل أن يسوي بين المخلوق المقهور، وبين الله الواحد القهار، ولا يسوي بين التراب وما على التراب، وبين رب الأرباب: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩٠ - ١٩٢].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ - ١٠٣].

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨﴾[الأنعام/ ١٨].

وقهر القهار جل جلاله مقرون بالحكمة التي تتضمن فعل الصواب في الأفعال والأحكام، وفعل الأحسن والأصلح لعباده، وقهره سبحانه مقرون بالخبرة التي تتضمن العلم المطلق ببواطن الأمور:﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨ ﴾ [الأنعام: ١٨].

فالقاهر لا يتسلط عليهم، ولا يظلمهم؛ بل يرحمهم، ويكرمهم، ويسوق إليهم ما يصلحهم، ويدفع عنهم ما يضرهم:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وحتى نثني على ربنا، ونمجده، ونكبره، ونعظمه، ونحبه، ونحمده، ونطيعه، لا بد أن نعرف هذه الأسماء الحسنى، وهذه الصفات العلى، التي تجعل العبد يقف بين يدي ربه معظمًا له، مكبرًا له، حامدًا له، مستغفرًا إياه، متوكلًا عليه.

وإذا علم العبد أن قهر القهار مقرون بالحكمة والخبرة والرحمة سكنت نفسه لما قدره ربه من محبوب ومكروه، وانشرح قلبه للتسليم لأمر ربه الحكيم، الذي لا يضع الشيء إلا في موضعه المناسب:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ٢٩﴾[الرعد/ ٢٨-٢٩].

وهو سبحانه الواحد القهار لما سواه؛ فلا يخرج شيءٌ عن تدبيره، هو القاهر الذي قهر الماء على السيولة، وقهر الحجارة على الصلابة، وقهر السماء بهذا الحجم واللون، وقهر الأرض بهذا الشكل، وقهر الرياح بقوته وقدرته، وكل شيء خاضع لأمره في ملكه وملكوته، ومسرع إلى إرادته في حياته وموته وفي حركته وسكونه، وفي نفعه وضره:﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧﴾[الزمر/ ٦٧].

فغذاء الأبدان بالطعام والشراب، وغذاء العقول بالعلم، وغذاء القلوب بالإيمان، بالتعرف على الله، والتعرف على أسمائه وصفاته وأفعاله في ملكه وملكوته، والتعرف على خزائنه، والتعرف على سلطانه العظيم، والتعرف على شرعه الحكيم، والتعرف على وعده ووعيده.

بهذا يتغذى القلب ويطمئن، فلا يطيع إلا واحدًا ولا يعبد إلا واحدًا، سبحانه هو الله

الواحد القهار: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام: ١٠٢].

سبحانه تنزيهًا له عما لا يليق بجلاله من صفات النقص والعيب، ومن صفات المخلوق، ومن أن يكون له مثيل من مخلوقاته؛ فهو منزه عن صفات النقص والعيب، وعن المثيل والشبيه والمثيل، وعن صفات المخلوق مهما عظمت: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى/ ١١].

هو الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد، ولم يكن له كفوًا أحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾[المائدة/ ١٢٠].

فنحن في هذه الدنيا من الله علينا بالهداية، وأدخلنا جنة المعرفة، لندخل يوم القيامة جنة الآخرة، وجنة المعرفة هي: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد/ ١٩].

جنة المعرفة: هي العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده؛ ومعرفة أحكامه الشرعية، معرفة سلطانه العظيم جل جلاله؛ وعبادة الله بموجب هذه المعرفة.

هذه جنة المعرفة، وهذا هو العلم العالي، وما سوى ذلك كله من العلم السافل.

- **فالعلم علمان:**

علم عال .. وعلم سافل.

١ –العلم العالي هو الذي جاء به الأنبياء، وهو معرفة الله بأسمائه وصفاته، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة ما للناس بعد القدوم عليه من الوعد بالجنة والوعيد بالنار.

٢ –علم سافل، العلوم السافلة ألوان مختلفة، وهي كل ما سوى العلم الإلهي، لأنها علوم أدني، لأنها تربط المخلوق بالمخلوق فقط، أما العلم الإلهي فهو يربط المخلوق بالخالق.

هو جل جلاله القاهر وحده لا شريك له، وكل ما سواه مقهور مربوب له،وكل ما سوى الله ﷻ مربوب.

• **ففي الكون اثنان:**

رب ومربوب .. ملك وعبيد .. قاهر ومقهور، خالق ومخلوق.

فكل ما سوى الله له ضد ومشارك، والله هو الواحد القهار، خلق الرياح وسلط بعضها على بعض، ريح الشمال، وريح الجنوب، والصبا، والدبور، هذه الرياح سلط بعضها على بعض، وخلق المياه وسلط بعضها على بعض، وخلق الحيوانات وسلط بعضها على بعض، فالقوي يقهر الضعيف، والكبير يقهر الصغير.

وخلق الحجارة وسلط عليها الحديد الذي يكسرها، وخلق الحديد وسلط عليه النار التي تذيبه، وخلق النار وسلط عليها الماء الذي يطفئها، وخلق آدم وذريته وسلط عليهم إبليس وذريته، امتحاناً وابتلاءً لهم: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴿٣٥﴾﴾[الأنبياء: ٣٥].

وخلق إبليس وذريته وسلط عليهم الملائكة الذين يشردونهم كل مشرد، وخلق سبحانه الحر والبرد، والصيف والشتاء، والليل والنهار، وسلط كلًا منهما على الآخر؛ يذهبه ويقهره، فهو القاهر لكل قاهر في العالم العلوي والعالم السفلي، فالله قاهر وما سواه مقهور، سبحانه هو الله الواحد القهار: ﴿**ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴿٣﴾﴾[يونس: ٣].

وإذا عرف المسلم ربه القاهر القهار؛ أورثه ذلك الذل له، والخضوع لأمره، والإكبار له وحده لا شريك له، وأورثه العزة والقوة على الكفار والمشركين باللسان والسنان: ﴿**۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** ﴿٣٨﴾﴾[الحج/ ٣٨].

وقال النبي ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ الله قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**» أخرجه مسلم(١).

فمن اتصل بالعزيز فهو عزيز، ومن اتصل بالكبير فهو كبير، ومن اتصل بالغني فهو غني، وإذا عرفت القاهر فلا تقهر شيخًا ولا ضعيفًا ولا يتيمًا، وتذكر أن القاهر فوق كل قاهر، فلا تقهر اليتيم: ﴿**فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ** ﴿٩﴾﴾[الضحى/ ٩].

ولا تقهر السائل: ﴿**وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ** ﴿١٠﴾﴾[الضحى/ ١٠].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٥٦).

بل كن شفيقًا رحيمًا بخلق الله، يرحمك الله ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

واعلم أيها العبد أن جميع المضار قليلها وكثيرها لا يندفع منها شيء إلا بأمر الله القوي القاهر، وجميع المنافع والخيرات لا يحصل قليلها وكثيرها إلا بأمر الله وحده.

وإذا كانت هذه عظمته وقدرته فتجب عبادته، لجلاله وجماله وإحسانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٧].

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر/ ٦٢].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

- **وصفات الكمال محصورة في أمرين:**

كمال القدرة .. وكمال العلم.

ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك؛ عظمتم الله، لكمال قدرته، وكمال علمه، وأحببتموه، لأن ربكم له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فاعبدوه وأطيعوه.

فصفات الكمال مجموعة في أمرين: القدرة والعلم.

فقوله جل جلاله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام/ ١٨].

إشارة إلى كمال القدرة، فهو القاهر جل جلاله فوق عباده بذاته، وعلو شأنه.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨].

إشارة إلى كمال العلم؛ فلا يضع الشيء إلا في موضعه، فهو موصوف بكمال القدرة والعلم جل جلاله، فلا موصوف بكمال القدرة والعلم إلا الله الواحد القهار؛ فتجب عبادته وطاعته وحده لا شريك له؛ لأن كل ما سواه محدث ناقص مربوب، ليس بيده شيء، ولم يكن شيئًا حتى يفعل شيئًا، فكل ما سوى الله مخلوق مربوب مملوك لله الواحد القهار: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف/ ٣٩].

والرب قد يكون الهوى، وقد يكون الشهوة، وقد يكون الصنم من حجر، من جماد أو نبات أو شمس أو قمر أو غيرها: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت/ ٣٧].

وإذا عرف ذلك؛ توجه إلى القوي، وإلى الملك، وإلى العظيم، وإلى الكريم؛ لأن طبيعة النفوس تحب الأقوياء، وتحب الأغنياء، وتحب أهل الجمال، فالله هو الجميل، والله هو القوي، والله هو الكريم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

والله سبحانه هو الواحد القهار؛ فكل ما في ملكه خاضع له، من العرش العظيم إلى أدنى ذرة، من المجرة إلى الذرة، ومن الثرى إلى الثريا، وجميع العوالم ما نعلمه وما لا نعلمه، في العالم العلوي والعالم السفلي، خاضع لأمره، مستجيب لمشيئته، مسرعٌ إلى إرادته؛ لأنه هو القاهر لكل قاهر، وهو الخالق، وهو القاهر فوق كل قاهر: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨].

فسبحان الواحد القهار: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران/ ٨٣].

وقهره سبحانه لمخلوقاته ليس قهر ظلم وجور؛ بل قهر حكمة وخبرة ورحمة وإحسان: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

هو القهار الذي قهر جميع مخلوقاته على عبادته، فهي تسبح بحمده في العالم العلوي، والعالم السفلي، هي مسخرة لطاعته، تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته، وتخضع لأمره: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٣ - ٤٤].

فسبحان الواحد القهار الذي تسجد له جميع مخلوقاته، لكمال عظمته وقوته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾[الحج/ ١٨].

وخلق الله من مخلوقاته ما خيره أن يفعل ما يريد، أو ما يريد ربه، خير هذا الخلق من الإنس والجن، أن يفعل ما يريد هو أو ما يريد ربه؛ كما قال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾[الكهف: ٢٩].

جميع المخلوقات مسخرة، جاءت إلى ربها مسخرة لطاعته، اختارت أن تكون مسخرة، تسبح بحمده، وتؤدي الوظيفة، التي أمرت بها، فالشمس تسبح بحمد ربها، وهي تقوم على الوظيفة من الإنارة والحرارة وهي خاضعة لربها ﷻ، فهي محبوبة لنا؛ لأنها مطيعة لربها، مسبحة بحمده، تخرج منها المنافع لغيرها، ونحب السحب لأنها تنزل منها المياه.

وكذلك الأرض تسبح بحمد ربها،ويصب عليها الماء فتنبت من كل زوج بهيج؛ فهي تسبح بحمد ربها، وتخضع لأمره؛ سواءً بذر البذرة مؤمنٌ أو كافر، وكل من تخرج منه المنافع لغيره محبوب؛ لأنه تخرج منه المنافع، فنحن نحب الأنبياء والرسل؛ لأنهم تخرج منهم المنافع، ونكره الشياطين، لأنهم تخرج منهم المضار والشرور.

فالله ﷻ خلق من مخلوقاته ما خيره أن يفعل ما يريد هو، أو ما يريد ربه، وهو الجن والإنس.

فالذي يأتي بالطاعة يأخذ أجرها، والذي يأتي بالمعصية يأخذ عقوبتها، والله ﷻ لا يتعزز بقوة القوي، ولا يستغني بطاعة المطيع، ولا يتضرر بمعصية العاصي؛ فالله غني حميد.

فالله ﷻ بين الحق، وأعطى الأسماع والعقول والأبصار، وبعد ذلك قال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩﴾[الإنسان/ ٢٩].

فالله ﷻ هو الواحد القهار: ﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤﴾[الحج/ ٣٤].

نسلم قلوبنا وجوارحنا لربنا، نسلم القلب لله، ونسلم الجوارح لله؛ ليسلمنا يوم القيامة جنة عرضها السموات والأرض، ونكون بالقرب منه: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢﴾[البقرة/ ١١٢].

وهو سبحانه الواحد الأحد، القاهر القهار، الملك الحق، الذي أسلم له جميع من في ملكه وملكوته، أسلم له أطاعه، وخضع لأمره: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[آل عمران/ ٨٣].

أسلم له خلقاً، وتدبيراً، وحياة، وموتاً، وإذعاناً، وقهراً.

فنحن خاضعون لأمره جل جلاله، إيجادًا وشكلًا ولونًا وحجمًا، فالرزق منه جل جلاله، والحياة منه، فبيده خلقنا، وحياتنا، وأرزاقنا، وبقاؤنا وفناؤنا، لأنه هو الواحد القهار الذي يفعل ما يشاء، ولا يمتنع عليه شيء في ملكه، فله جل جلاله أسماء الجلال، وأسماء الجمال، واسم القهار من أسماء الجلال، ومعرفة القهار تورث الخشية لله، والهيبة منه، والحياء منه، والتعظيم له، وكمال الطاعة له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فنتعرف على ربنا، ونتعرف على أسمائه وصفاته؛ لتأتي الخشية في قلوبنا، وتنقاد جوارحنا لعبادته، وتنطق ألسنتنا بذكره؛ فالعلم قبل العمل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

وهذا يدلنا على أن ثمرة العلم ليس العمل فقط إنما الخشية، فالعمل غير المقرون بالخشية لا قيمة له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر: ٢٨].

المنافقون يعملون، بل يصلون ست صلوات، الصلوات الخمس مع صلاة الوتر؛ ولكن لا قيمة لأعمالهم؛ لأنها غير مقرونة بالخشية، غير مقرونة بالإيمان: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾[المؤمنون/ ١-٢].

فلا إله إلا الله، ما أعظم غذاء القلوب، وما أعظم تمجيد ربنا ﷻ، وذكر أسمائه، وصفاته، وأفعاله فالقلب إذا عرف ذلك؛ توجه إلى ربه مستغفرًا له، حامدًا له، مكبرًا له، معظمًا له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

والله ﷻ هو القهار الذي أسكن الروح الطيبة في الجسم الكثيف، القاهر الذي قهر جميع الأحياء بالموت: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[الجمعة/ ٨].

هو القهار الذي أذل الجبابرة والأكاسرة بالخوف، والرعب، والأمراض، والمصائب، والتدمير: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾[الرعد/ ٣١].

هو القهار الذي يدمر من أصر على كفره، وأفسد في أرضه، ولكن بعد إنذاره.

كم دمر الله من الأقوام التي كذبت الرسل، وكفرت بالله ﷻ، من قوم نوح، وقوم عاد، وقوم صالح، وقوم لوط، وفرعون وقومه، وغير ذلك من الأمم التي كذبت الرسل وأصرت على الكفر: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

هذا فعل الواحد القهار؛ إذا أطيع أكرم، وإذا عصي انتقم، يمهل ولكنه لا يهمل: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

الله ﷻ هو القهار، الذي قهر جميع الأحياء بالموت، ثم قهرهم مرة أخرى بالبعث بعد الموت، والحساب والثواب والعقاب: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر/ ٣١].

فسبحان من قهر خلقه بالرجوع بعد الموت إليه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

هو سبحانه القاهر القهار، الذي قهر العقول عن الوصول إلى كنه ذاته؛ وقهر الأبصار أن تدركه، وقهر النفوس أن تحيط بكمال ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وحقائق مخلوقاته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

والتوحيد والقهر متلازمان، وهما واجبان لله وحده لا شريك له؛ فالواحد لا يكون إلا قهارًا، والقهار لا يكون إلا واحدًا: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/ ٤].

والله ﷻ خلق فوق كل مخلوق مخلوقًا آخر، أعلى منه، يقهره ويتحكم به حتى ينتهي القهر الكامل لله الواحد القهار القاهر لكل قاهر: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/ ٤].

فالذي قهر جميع المخلوقات على ما أراد هو الله الواحد القهار، قهر جميع الثمار على شكل معين، بحجم ملين، بطعم معين، قهر السماء، قهر الأرض، قهر الجبال، قهر البحار أن

تفيض على الأرض، فالذي يقهر جميع المخلوقات على ما أراد هو الله الواحد القهار لا شريك له، وهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، كما كان قاهرًا وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص/ ٦٥-٦٦].

فإذا عرفتم ذلك فاعبدوه، وأطيعوه؛ لأن هو الرب الواحد القهار: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر: ٦].

واعلم وفقك الله لحسن معرفته أن كل فعل من الأفعال إنما يكون عن قدرة، وكل قدرة إنما تكون عن قوة، وكل قوة إنما تكون عن قهر، وبقدر قوة القهر تكون سرعة استجابة وطاعة المقهور له: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

هو سبحانه الواحد القهار، القادر على كل شيء، ينجي بأسباب الهلاك، كما أنجى إبراهيم ﷺ من النار، ويهلك بأسباب النجاة، كما أهلك فرعون مع ملكه، وقارون مع ماله، ويعز بأسباب الذلة، ويذل بأسباب العزة، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لماذا؟ لأنه هو الله الواحد القهار الذي لا يعجزه شيء، ولكن قهره عن حكمة ورحمة وإحسان، لا عن ظلم وجور: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠].

والله وحده هو القوي القادر، القاهر القهار، ذو الملكوت والجبروت، وذو العلو والعظمة، وذو العزة والكبرياء، الذي قهر جميع المخلوقات، وقهر كل شيء في ملكه العظيم، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا إله غيره: ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

الله وحده هو القهار الذي قهر كل من في الكون بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الكبرى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وإذا عرفتم ذلك فكبروه، وعظموه، واعبدوه، وأطيعوا رسله، تنالوا ثوابه، لأنه هو الرب الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٧].

فسبحانه ما أعظم ملكه، وما أعظم سلطانه، وما أعظم خلقه.

وسبحان القاهر الذي جميع ما في العالم العلوي والعالم السفلي تحت قهره، والكل عبيده والكل يسبح بحمده، والكل يشهد بتوحيده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

ومقصودنا من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ هو معرفة الحق جل جلاله، ومعرفة الخير الذي نزل من عنده، للعمل به، ونشره في العالم: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وإذا عرَّف الناس بسلعهم، ومصنوعاتهم؛ فعلينا أن نُعرِّف بربنا في المشارق والمغارب، وفي كل بقعة في الأرض، وفي كل زمان، وفي كل مكان: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

قل لكل الناس: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١- ٤].

هو سبحانه الملك الحق القاهر لكل قاهر، القاصم لكل جبار، الذي بيده مقاليد الأمور، وتدبير الأنفس والدهور: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦].

هو جل جلاله الملك الواحد القهار، الذي قهر جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي على ما أراد، القهار الذي خضعت لعظمته الرقاب، وذلت لعزته الجبابرة، وقهربقوته كل مخلوق، وعنت له الوجوه، وأذعنت جميع الخلائق لعظمة جلاله، وعز كبريائه، وخضعت لقهره وحكمه وسلطانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾

[النحل/ ٤٩-٥٠].

فسبحان الإله الحق القاهر لكل ما سواه، وكل ما سواه عبد مخلوق مملوك له، مقهور

بحكمه وإرادته: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد/ ١٣].

هو الله الواحد القهار الذي له الملك كله، وله الدين كله، ومنه الإحسان كله، وبيده الخير كله: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥١-٥٣].

هو القهار الذي قهر بقوته كل ما سواه على ما أراد، في أي وقت شاء جل جلاله.

خلق المخلوقات، وقدر الآجال، وقسم الأرزاق، وقدر الأحجام، والأشكال، والألوان، وقدر الأوقات والأنفاس، وقدر الأقوال والأعمال، وقدر الزمان، وقدر المكان، وقدر الثواب، وقدر العقاب، وقدر كل شيء: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فسبحان من قهر الليل بالنهار، وقهر النهار بالليل، وقهر الأعلى بالأسفل، وقهر الأسفل بالأعلى، وقهر المرض بالعافية، وقهر الصحة بالمرض، وقهر الحر بالبرد، وقهر البرد بالحر، وقهر الحي بالموت، وقهر أعداءه بأوليائه، وقهر كل مخلوق عن إرادته، إلى إتمام مراده هو جل جلاله؛ لأنه هو الواحد القهار: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

ولا إله إلا الله، الواحد القهار القاهر فوق عباده، الذي قهر جميع من في ملكه وملكوته، الظاهر والباطن، والشاهد والغائب، والكبير والصغير، والأول، والآخر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣].

وسبحان الواحد القهار الذي جميع مخلوقاته مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره، وشاهدة بوحدانيته: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

وسبحان القاهر، الذي قهر نفوس أوليائه، وحبسها على طاعته، القهار الذي قهر أولياءه

بجلاله، وقهرهم بجماله وإحسانه؛ فعظموه وكبروه وعبدوه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

هو سبحانه الملك القادر القاهر، الذي يرفع كل مؤمن، ويعزه ويكرمه، ويخفض كل جبار، ويهينه ويضعه: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾ [القارعة/ ٦-١١].

هو العليم بمن يستحق الرفع فيرفعه، العليم بمن يستحق الخفض فيخفضه، يرفع المؤمن بطاعة الله، ويخفض الكافر بمعصية الله: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة/ ١١].

هو القاهر الذي يخفض بالإذلال والصغار كل من تعاظم، وتكبر، وطغى وتجبر، وشمخ بأنفه واستكبر: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام/ ١٨].

فسبحان القادر القاهر الذي لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء، فرفع من أطاعه، وخفض من عصاه، ورفع أهل الحق، وخفض أهل الباطل: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧].

هو جل جلاله القاهر الذي أذل من عصاه، القهار الذي يخفض الكفار بالصَغار، ويخفض أعداءه بالإبعاد والهم والغم، ويخفض الطغاة بالسقوط، ويخفض كل خارج عن شريعته مهما كان غنيًّا بالمال أو عزيزًا بين الرجال: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٣١﴾ [الرعد/ ٣١].

هو القوي القادر القاهر، الذي رفع السماء بلا عمد، ورفع الغمام فوق الهواء، ورفع الطيور في الفضاء، ورفع الجبال فوق الأرض، ورفع مقام أوليائه في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠- ٣٢].

والله ﷻ يريد من عباده أن يعرفوه أولًا، ثم يعرفوا أمره ثانيًا؛ ثم يعملوا بموجب ذلك ثالثاً: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[محمد/ ١٩].

فمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده، هذا هو الفقه الأكبر، وقال النبي ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»متفق عليه(١).

فلا بد أن أعرف من أعبد، وأعرف أسماءه، وأعرف صفاته؛ حتى أعبده بما يليق بجلاله، وأسأله حاجاتي؛ لأنه هو مالك الحاجات، وهو قاضي الحاجات جميعًا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة: ١٨٦].

والله ﷻ هو الملك الحق، وأسماؤه كلها حسنى، وهي بالغة في الحسن والجمال كماله ومنتهاه، فلا أحسن من أسمائه وصفاته بوجه من الوجوه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه/ ٨].

فأسماء الله ﷻ أحسن الأسماء، وصفاته أحسن الصفات، وأقواله أحسن الأقوال، وأفعاله أحسن الأفعال، ومخلوقاته أحسن المخلوقات، وأحكامه أحسن الأحكام، وشرائعه أحسن الشرائع، وكتبه أحسن الكتب، ورسله أحسن الرسل، وأوامره أحسن الأوامر، وثوابه أحسن الثواب: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢].

وأسماء الله ﷻ كلها حسنى؛ لأنها تدل على صفات الكمال والجلال والجمال لله ﷻ؛ فهي أسماء مدح وحمد وثناء، وأسماء تمجيد وتعظيم، وتكبير وإجلال، وأسماء رحمة ولطف وإحسان: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ١١٠﴾[الإسراء/ ١١٠].

والله جل جلاله لجلاله وجماله، وعظمته وكبريائه، وإحسانه وإنعامه لا يسمى إلا بأحسن الأسماء، ولا يوصف إلا بأحسن الصفات، ولا يحمد إلا بأحسن المحامد، ولا يعبد إلا بأحسن العبادات التي شرعها على لسان رسوله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر: ٦٥].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣١٢) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣٧).

وأسماء الله الحسنى من حيث معانيها تنقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: الأسماء الدالة على صفة ذاتية للرب جل جلاله، وهي الصفات الذاتية الدالة على وحدانية الله، والصفة الذاتية هي كل صفة لا تنفك عن الذات، ولا تعلق لها بالمشيئة، فهي ذاتية لله ﷻ لا تنفك عنه أبدًا.

ومن هذه الأسماء: الواحد، الأحد، القهار، الحي القيوم، السميع البصير، العليم الخبير، القوي العزيز، العلي الكبير وغيرها من الأسماء الحسنى، هذه أسماء ذاتية لا تنفك عن الرب أبداً: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر: ٢٣].

الثاني: الأسماء الدالة على صفة فعلية للرب جل جلاله، والصفة الفعلية هي كل صفة تتعلق بالمشيئة والإرادة، إن شاء الله فعلها، إن أراد فعلها، وإن لم يشأ لم يفعلها.

ومن هذه الأسماء: الخالق، والرزاق، والتواب، والعفو، والغفور، والرحيم، فالخالق يخلق إذا شاء، ويكرم إذا شاء، ويرزق من يشاء، ويتوب على من يشاء، ويرحم من يشاء، ويغفر لمن يشاء: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾[الفتح/ ١٤].

الثالث: الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب عما لا يليق بجلاله وعظمته وكبريائه.

ومن هذه الأسماء: القدوس، السلام، السبوح، وأمثالها.

فهذه الأسماء أسماء تنزيه وتقديس للرب جل جلاله عما لا يليق بجلاله من صفات النقص والعيب، وعن صفات المثيل والشريك، وعن صفات المخلوقين، فهو سبحانه السلام من كل نقص وعيب وآفة، القدوس السبوح المنزه عن جميع النقائص والعيوب، المنزه عن كل ما ينافي صفات كماله وجلاله وجماله، المنزه عن الضد والند والكفؤ والمثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى/ ١١].

الرابع: الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة للرب جل جلاله.

ومن هذه الأسماء: العظيم، الحميد، المجيد، الملك، الصمد، وأمثالها.

فالعظيم من له كمال العظمة في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه.

والحميد يدل على كثرة الحامدين له، وكثرة حمده، وكثرة النعم التي يحمد عليها.

والمجيد يدل على عظمة صفاته، وكثرتها، وسعتها، وعلى عظمة ملكه وسلطانه، وتفرده بالجلال والجمال والملك وهكذا: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلى، وله الأفعال الحميدة، وهذا القلب لا بد أن يعرف هذه الأسماء، ويفهم معانيها، كي يعبد الله ﷻ بمقتضاها، ويتزين بها، فهذه أسماء حسنى، وصفات علا، والله يريد من عباده أن يتصفوا بهذه الصفات، فهو مؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وتواب يحب التوابين: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالله ﷻ هو الواحد القهار، خلق جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي.

ومن هذه المخلوقات ما هو مسخر ولا خيار له، وهم عالم الجماد، والنبات، والحيوان، والملائكة، هؤلاء مسخرون اختاروا أن يكونوا مسخرين، يسبحون بحمد ربهم، ويشهدون بوحدانيته: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩ - ٥٠].

ومن مخلوقاته ما هو مختار يفعل ما يشاء، وهم الثقلان: الإنس، والجن، هؤلاء اختاروا أن يكونوا مخيرين، يطيعون أو يعصون، يؤمنون أو يكفرون، وهؤلاء الذين أرسل الله إليهم رسله بالحق من عنده، وسوف يحاسبون على اختيارهم: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠].

فمن اختار الحق، وآمن بالله، وعمل بشرعه؛ دخل الجنة، ومن اختار الباطل، وعمل به؛ دخل النار: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٨ - ٣٩].

والله جل جلاله سخر جميع ما في الكون للإنسان، جعله خاضعًا لهذا الإنسان: ﴿أَلَمْ تَرَوْا

أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

وإذا تأملنا في الكون وجدنا فيه الجماد، والنبات، والحيوان،والإنس، والجن،والملائكة.

فالجماد الذي هو هذا التراب وهذا الماء، وكل ما سوى الحيوان والإنسان والملائكة والجن فهم من عالم الجماد، فالجماد مخلوق عظيم، وهو أوسع دائرة تسبح بحمد ربها، وتشهد بوحدانيته، فهو أوسع دائرة تسبح الله، فكل ذرة في الكون تسبح بحمد ربها الواحد القهار جل جلاله، ولهذا من أسرار تقبيل الحجر الأسود أنه نائب عن عالم الجماد، فنحن نقبله؛ لأننا نحب كل من يعبد الله، كل من يشهد بوحدانية الله، كل من يسبح بحمد الله ﷻ، وهو يشهد لمن قبله بالتوحيد.

فالجماد بأنواعه المختلفة في العالم العلوي والعالم السفلي، هذا الجماد، وهذا العالم الكبير مقهور وخاضع وخادم لمن فوقه من النبات والحيوان والإنسان، فمثلًا عالم الجماد الذي هو هذا التراب الذي نسير عليه خاضع وخادم لمن فوقه من النبات والحيوان والإنسان، فهو في خدمتها، لا يمتنع على مسلم ولا على كافر، مطيع للنبات، مطيع للحيوان، مطيع للإنسان.

والنبات خاضع وخادم لمن فوقه من الحيوان والإنسان، فالنبات يأكل منه الإنسان، ويأكل منه الحيوان، فهو خاضع وخادم لمن فوقه وأعلى منه درجة وهم عالم الأحياء من الحيوان والإنسان، والحيوان أمم وقبائل مختلفة لا يحصيها إلا الله ﷻ.

والخلائق كلها شاهدة بوحدانية الله، ودالة على جلاله وجماله، ومسبحة بحمده، وخاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤].

ثم فوق النبات الحيوان خاضع وخادم لما فوقه، وهو الإنسان، مسلمًا أو كافرًا، فكل مخلوق من هذه المخلوقات يخضع ويطيع من هو أعلى منه، وكذلك الإنسان يجب أن يخضع لربه، الله أخضع له عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وهو لمن يخضع؟.

هذا الإنسان يجب أن يخضع لربه، الذي خلقه، وصوره، ورزقه، وهداه، واجتباه،

وكرمه، واصطفاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ
(٢١) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ
رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٢٢)﴾[البقرة/ ٢١-٢٢].

وإذا كان خلق اليد والرجل والسمع والبصر وكل عضو في الإنسان له حكمة؛ فكذلك خلق كامل البدن له حكمة وغاية، وهي عبادة الله ﷻ بالخضوع له، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والإنسان إما أن يكون عابدًا لله أو عابدًا لعبد الله: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ (٣٩)﴾[يوسف: ٣٩].

وعبادة الواحد الأحد تغنيك عن عبادة كل أحد: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ
(٥٦) مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ (٥٧) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ
ٱلۡمَتِينُ (٥٨)﴾[الذاريات/ ٥٦- ٥٨].

التعبد لله عز وجل باسمه القهار.. القاهر

الله عز وجل هو القاهر فوق عباده، وهو القاهر لكل قاهر، وهو القاهر وحده لا شريك له، وهو القاهر لكل ما سواه في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

هو سبحانه القاهر القهار الذي لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء.

هو القهار الذي يؤلف بين المتنافرات، ويخرج منها ضدها، فالماء مثلًا مركب من هيدروجين مادة شديدة الاشتعال، ومركب من أوكسجين وهي مادة تساعد على الاشتعال، ثم يخرج الله من هذين العنصرين ضدهما وهو الماء، ويجعله الله سببًا للحياة، بينما النار سبب للإهلاك: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

ثم الواحد القهار يقهر الماء، ويعيده إلى ما تركب منه، عند قيام الساعة، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ [الطور/ ٦].

يشتعل نارًا؛ لأنه مركب من نار، من هيدروجين وأكسجين.

وهو سبحانه القاهر القهار الذي أخرج من الماء وما تولد منه، وما تولد فيه، نارًا تشتعل، هو الذي أخرج من الماء وما تولد منه من الأشجار نارًا تشتعل بالنار: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس/ ٨٠].

فسبحان من يقهر الأجسام على ما أراد حجمًا ولونًا، وحركةً وسكونًا، جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي مقهورة على حجم معين، ولون معين، وحركة معينة، وعمل معين.

هو القهار الذي قهر خواص الأشياء من الحرارة والبرودة، واللين والشدة، والرطوبة واليبوسة.

هو القهار الذي قهر الماء؛ فجعله سائلًا، وقهر الحجارة فجعلها قاسية، وقهر السماء فاستقلت، وقهر الأرض فاستقرت، وقهر الجبال فرست، وقهر اللسان فتكلم، وقهر الأذن فسمعت، هو الواحد القهار، الذي يخلق الشيء ويخلق الأثر فيه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم

مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١ – ٣٢].

فالله خلق العين، وخلق فيها الأثر وهو النور، وخلق الأذن، وخلق فيها الأثر وهو السمع، وخلق اللسان، وخلق فيه الأثر وهو الكلام، فهو خالق الشيء، وخالق أثره؛ ليؤدي وظيفته على الوجه الذي أراده الله ﷻ منه، فأطاعت جميع المخلوقات ربها جل جلاله، وسجدت لعظمته،وأذعنت لكبريائه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

ولهذا جميع المخلوقات المسخرة بأمر الله ﷻ كلها محبوبة؛ لأنها أطاعت الله ﷻ، ولهذا كل من أطاع الله تحبه الفطرة، يحبه المؤمن، تحبه الملائكة، يحبه الله ﷻ، فالمؤمن يحب الملائكة؛ لأنهم يطيعون الله، يحب الرسل، يحب الشمس؛ لأنها تعطي الإنارة، يحب السحب لأنها تنزل المياه، يحب الأرض؛ لأنها تنبت من كل زوج بهيج، فكل مخلوق يسبح بحمد ربه، وتخرج منه المنافع لغيره محبوب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦].

والله ﷻ هو الواحد القهار، وكل قهره جميل في جميع مخلوقاته، كل قهر رب العالمين جميل في جميع مخلوقاته؛ فالله خلق الشمس وقهرها على هذا الشكل، وخلق السماء وقهرها على هذا الشكل، وخلق النباتات بأزهارها وثمارها وقهرها على هذه الأشكال المختلفة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩].

فما أعظم قدرة القهار التي أظهرها في مخلوقاته: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٤].

فقهر الله ﷻ جميل، ولهذا هو من صفات الجلال من جهة، ومن صفات الجمال من جهة أخرى: ﴿سُبْحَانَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾[الزمر: ٤].

فكل قهر القهار جميل في جميع مخلوقاته، هو الذي قهر الأسنان أن تزيد، ولو تركها لارتفعت أمتارًا، هو الذي قهر الأشجار إلى هذا العلو، ولو تركها لاستمرت، هو الذي قهر السمع، ولو تركه لأصبح الإنسان يسمع هضم المعدة في بطنه، هو الذي قهر البصر، ولو تركه لرأى الماء الذي هو مركب من حيوانات تتحرك فيه فلم يشربه.

هو القهار الذي قهر الأيدي والأرجل والأصابع على هذا الطول، ولو تركها لطالت، واتعبت صاحبها: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ۝١٦﴾[الرعد: ١٦].

فالله ﷻ من صفات جماله أنه هو الواحد القهار، وقهره جميل في جميع مخلوقاته؛ فقهره لجميع مخلوقاته العظيمة والكبيرة والصغيرة يولد الخشوع والتعظيم لله، ليس قهراً عن انتقام ولا ظلم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾[طه/ ٨].

وهو القهار الذي قهر بقوته الطغاة والجبابرة، ورد كيدهم في نحورهم.

هو القهار القادر على كل شيء، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾[النساء/ ٤٠].

يعطي على العمل القليل الأجر الكبير، ومن عرف القهار الجبار بكت عينه من خشية الله، لما يعرفه من عظمته وكبريائه، وحلمه ولطفه، ورأفته ورحمته بالناس.

من عرف القهار الذي قهر الجبال أن تتحرك، وقهر الماء أن يفيض على الناس، وقهر السماء أن تقع على الأرض، وقهر الأرض أن تميد، وقهر النجوم أن تسقط على الأرض، من عرف القهار الجبار بكت عينه من خشية الله؛ لما يراه من عظمته وجلاله وقوته، ولما يراه من رحمته ولطفه: ﴿سُبْحَانَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾[الزمر: ٤].

فسبحان ذي الملك والملكوت، وذي العزة والجبروت، كيف يعصى؟! وكم حلمه على من عصاه؟! وكم عطاؤه لمن عصاه؟! لأنه قوي قادر قاهر وكذا هو رحيم حليم، وأنزل هذا الدين، وجعل أجلًا مسمى، ينتهي فيه الخلق إلى دار الحساب، ودار الجزاء، ويحكم الله ﷻ فيه، وهو أحكم الحاكمين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾[البقرة: ١٤٣].

فنحن ذرة في مخلوقاته، لنا أوامر كما للشمس أوامر، وللنجوم أوامر وللأرض أوامر،

فكذلك نحن لنا أوامر شرعية من ربنا، نتقرب بها إلى الله، ونكسب بها الأجور، وننال بها المنزلة عند ربنا ﷻ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر: ١ – ٣].

فهذه المعاني إذا عرفها العبد، نشط في طاعة الله، وخشع قلبه لربه، وخضعت جوارحه بين يديه، فأدى العبادة بالتعظيم لربه، والحب له، والذل له، ووقف بين يديه مكبراً له، حامدًا له، مستغفرًا من ذنبه، قانتاً في عبادته: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر/ ٩].

فالله ﷻ خلق الجن والإنس لعبادته، ولا عبادة إلا بعلم، علم إلهي نتعرف فيه على ربنا بأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا هو العلم الأول، ثم علم بأوامره، علم بالأوامر وعلم بالنواهي؛ حتى نتقرب إليه بما يحب، ونجتنب ما يبغض، وعلم بوعده ووعيده؛ حتى نعرف ما لنا على الإيمان والطاعات، وبماذا يعاقبنا الله ﷻ به، إذا جاء فينا الكفر والمعاصي.

ولهذا لا بد من العلم، فالعلم يرفع الإنسان: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة/ ١١].

العلم يميز الإنسان عن غيره، العلم الإلهي يثمر التعلق بالله، والأنس به، والوحشة من غيره، بالعلم الإلهي أقف بين يدي ربي مكبرًا له، مستغفرًا من ذنوبي، حامدًا له، داعيًا إلى دينه، معلمًا لشرعه، محسنًا إلى خلقه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

فمن عرف القهار الجبار بكت عينه من خشية الله، وخشع قلبه من جلاله وعظمته، وأثمرت هذه المعرفة التوبة من جميع المعاصي والذنوب: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

وقال النبي ﷺ: «**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ**» أخرجه الترمذي (١).

فالعين تبكي من خشية الله، ومن عظمته، ومما تراه من حلمه ولطفه بعباده، ومما تراه من قوته وعظمته وعظمة مخلوقاته.

فسبحان الواحد القهار الذي قهر عباده جميعًا بالموت: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن/ ٢٦- ٢٧].

والله خلق الموت؛ ليتبين الحي الذي لا يموت من الحي الذي يموت، فالله هو الحي الذي لا يموت، هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم؛ وكل ما سواه من مخلوقاته يموت ويفنى، ثم يعيده الله مرةً ثانية: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٧].

فهذا الغذاء غذاء القلوب، غذاء معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، هذا هو أحسن غذاء، وأفضل غذاء، ولا للقلوب إلا هذا الغذاء الإلهي الذي منَّ الله ﷻ به علينا، لتمتلئ قلوبنا بالإيمان، ثم تنطق ألسنتنا بذكره وحمده، ثم تتحرك جوارحنا بطاعته وعبادته، ولهذا الله ﷻ أمرنا بذكره كثيرًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١- ٤٢].

وإذا ذكرتموه بجلاله وجماله ازددتم إيمانًا، وازددتم طاعة، واجتنبتم معصيته، وهذا مقصود الله ﷻ من خلقه، أن يعظم، وأن يكبر، وأن يوحد، وإن يعبد وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١ – ١٢].

فننوي هداية البشرية؛ ليكونوا مسلمين، وإذا نوينا هذه النية الكبيرة؛ الله ﷻ يعطينا على قدر النية، ولكن نستمر، بالدعوة إلى الله، فالداعي كالشمس؛ يمشي في العالم، ويحمل النور للبشرية، فالله ﷻ خلقنا ورزقنا وهدانا واشترانا، ثم استعملنا في طاعته فيما يعود علينا بالنفع، في خاصة أنفسنا بالعبادة، وبدعوة غيرنا، هذا باب آخر للتزود، من الخير،

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (١٦٣٩).

بدعوة غيرنا، وبتعليم غيرنا، وبالإحسان إلى غيرنا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فأهل الكفر والجهل والفقر، هؤلاء محل دعوتنا، لو لم يوجد كافر ما استطعنا أن نقوم بالدعوة، لو لم يوجد جاهل ما استطعنا أن نعلم الناس، لو لم يوجد فقير ما استطعنا أن نتصدق. فالله ﷻ من علينا وجعلنا خير أمة في الدعوة في العبادة، في التعليم، في الأقوال الحسنة، في الأعمال الصالحة، في الأخلاق العالية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

هذه النعمة التي تركها أهل الكتاب شرفنا الله بها، فنحن خير أمة.

الله ﷻ من علينا بهذا الدين، أن نعرف ربنا بأسمائه وصفاته، ونعرف الناس به، نعرفهم بكبريائه، بعظمته؛ ليعظموه ويكبروه جل جلاله، ونعرفهم بنعمه وإحسانه، ليحبوه، ويشكروه وإذا أحبوه، أطاعوه وعبدوه وتقربوا إليه، وإذا عبدوه أكرمهم في الدنيا بالخلافة والأمن والهداية، وأكرمهم يوم القيامة بجنة عرضها السموات والأرض، وبرضوان رب العالمين: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

هذه الخلائق إذا ماتت تبعث مرة أخرى، فإذا لم يبق أحد من الخلق إلا مات قال القاهر سبحانه للخلائق بعد البعث: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؛ فلا يجيب أحد، فيقول سبحانه ويجيب نفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر/ ١٦].

فيا أيها المسلم ويا أيتها المسلمة ويا من عرفت ربك القهار، ألم يأن لك أن تخشاه، وتقلع عن معصيته، وتجتهد في طاعته؟ أما آن لك أن تستغفره، وتتوب إليه من معاصيك الظاهرة والباطنة؟ أما آن لك أن تكف عن قهر غيرك؟ وقهر الضعيف واليتيم؟.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد/ ١٦].

فاقهر نفسك عما يغضب ربك، واقهر شيطانك فلا تطعه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر/ ٦].

والتعبد لله ﷻ باسمه القهار أن تقهر نفسك عن الظلم، وتقهر شهواتك، فلا ترتكب ما حرم الله، وتقهر شيطانك وعدوك في قلبك وبدنك ومالك، وتقهر جوارحك عن تجاوز حدود الله سمعًا وبصرًا وأكلًا وشرباً: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾[الزمر/ ١٧ – ١٨].

فهذه المعرفة بأسماء الله بأسماء، الجلال والجمال تزيد الإيمان، وتثمر اليقين، وتولد حسن التعبد، وحسن القول، وحسن العمل، وحسن الأخلاق، هذه المعرفة هي التي تثمر هذه الثمرات، كالأرض التي تستقبل الماء فتنبت من كل زوج بهيج، كذلك هذه القلوب تستقبل الوحي، تستقبل العلم عن الله ﷻ، فتثمر الإيمان والتقوى والتوكل، وحب الله، وتعظيم الله، وتكبير الله، ثم يأتي عمل الجوارح؛ فينقاد البدن كله لله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال: ٢ – ٤].

والله ﷻ هو القوي القاهر لكل من أراد محاربة دينه وأوليائه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢﴾[الحشر: ٢].

هو جل جلاله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، القاهر القهار القوي الجبار، له علو القهر مقترنًا بعلو الشأن والفوقية، وكمال الرحمة والإحسان؛ فهو ملك قادر قوي قاهر، لكن قوته وقهره مقترنة برحمته وإحسانه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾[الجاثية/ ٣٦- ٣٧].

من يمنع الجبار أن يفعل ما يريد؟ من يمنعه أن يهلك الناس جميعًا؟ لكن حلمه وحكمته ورحمته سبقت غضبه، كم معصية في الأرض؟ كم يعصى الله في العالم؟ كم الخلائق التي تسكن في أرضه، وتأكل من رزقه، وتتنعم بنعمه وتعصيه في ملكه بنعمه؟ ولكنه رؤوف رحيم يمهلهم؛ لعلهم يتوبون: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ

﴿لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾[الأنعام/ ٤٣].
وعادة الإنسان أنه يحب القوي، لكن إذا كان هذا القوي ظالمًا فلا يحبه، فإن كان قويًّا قاهرًا ذا أخلاق حسنة؛ أحببناه، هو قوي وقادر، ولكنه يحسن إلى الناس، فهذا محبوب من الخلق، لماذا؟ لأنه جمع بين الجلال وهو القوة، والجمال وهو الإحسان.
فالله ﷻ وله المثل الأعلى قوي قاهر، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فتهابه النفوس لعظمته وجلاله، وعزته وقهره، وتحبه لجمال صفاته؛ ولهذا لا بد أن نعرف صفات الجلال، وصفات الجمال؛ حتى نخاف الله ﷻ ونحب الله ﷻ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩٨﴾[المائدة/ ٩٨].
فإذا عرفنا صفات جلاله؛ هبناه، وخفناه، وإذا عرفنا صفات جماله؛ أقبلنا عليه، وأطعناه، وأحببناه.
ومن نظر في أحوال العالم، وتأمل سير الأمم السابقة؛ علم أن في الأرض أقوياء وأنبياء، فالأنبياء ملكوا القلوب، والأقوياء ملكوا الرقاب.
والأنبياء أعطوا وأكرموا، والأقوياء أخذوا وأهانوا، والأنبياء عاشوا للناس، والأقوياء استعبدوا الناس، والأنبياء يمدحون في غيبتهم، والأقوياء يلعنون بسبب ظلمهم: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٦٢ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٦٣﴾[آل عمران: ١٦٢ – ١٦٣].
فإرسال الرسل من صفات جماله وإحسانه إلى خلقه، وبطشه بالطغاة والمجرمين من صفات جلاله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٦٧﴾[الأعراف/ ١٦٧].
هو سريع العقاب لمن طغى وتجبر، كما فعل بالأمم السابقة، عاد أشد أمم الأرض، ماذا فعل الله ﷻ بعاد؟ فعاد أشد أمم الأرض؛ تفوقت عسكريًّا: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝١٣٠﴾[الشعراء/ ١٣٠].
وتفوقت عمرانيًّا: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨﴾[الشعراء/ ١٢٨].
وتفوقت علميًّا: ﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨﴾[العنكبوت/ ٣٨].
وتفوقت صناعيًّا: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝١٢٩﴾[الشعراء/ ١٢٩].
فماذا فعل بهم الواحد القهار لما كفروا وكذبوا رسوله هودًا واستكبروا في الأرض؟.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: ١٥ – ١٦].

وماذا فعل القهار سبحانه بكل طاغ ومستكبر؟.

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ [الفجر/ ٦-١٣].

والله ﷻ هو القهار الذي يأخذ من طغى وتجبر جل جلاله: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ [الحاقة: ١ – ١٠].

فالأنبياء يدعون إلى الإيمان والخير والصلاح؛ لأن هذا سبيل السعادة وحده في الدنيا والآخرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة/ ٢].

والطغاة والجبابرة يدعون إلى الفساد بأنواعه، وإلى أنواع الإباحية، لماذا يدعون إلى هذه الأمور؟ لأن الفساد بطبيعته يضعف الناس عن أخذ حقوقهم؛ لأنهم راكعون لشهواتهم؛ فلا يمكنهم مقاومة عدوهم وقد ركعوا لشهواتهم، وإذا جاء الفساد؛ جاء العقاب: ﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ [الفجر/ ١٠ – ١٣].

بقوته وقدرته وقهره يفعل بأعدائه هكذا، ولا يعجزه شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢].

الله جل جلاله هو القاهر فوق عباده، وهو القاهر لجميع مخلوقاته، فما شاء كان، وما لم

يشأ لا يكون أبدًا، إذا أراد موت أحد مات مهما توفرت له أسباب الحياة:﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴿٧٨﴾﴾[النساء/ ٧٨].

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾[المنافقون/ ١١].

فنراقب ربنا، ونعلم أنه شهيد علينا، وأنه يسمع ما نقول، وأنه يقضي لنا بكل خير، وأنه يمهلنا جل جلاله حتى نتوب إليه، ولا نقول على الله إلا الحق، ولا نستغني بقوتنا؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله، والأرض لله،والحكم لله؛ فيجب علينا أن نسير في الأرض، وأن نعبد الله في الأرض، ونقيم أمر الله في كل مكان في الأرض.

والأرض مظهر لقهره لجميع مخلوقاته في العالم السفلي، والسماء مظهر لقهره لجميع مخلوقاته في العالم العلوي:﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[الأنعام: ١٨].

من الذي يسير هذه الشمس الملتهبة؟ هذه النار المتوهجة، من الذي خلقها؟ ومن الذي يملؤها بهذا النور، وبهذه الحرارة؟ هو الواحد القهار:﴿سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾[الزمر/ ٤].

فنستحيي من ربنا، ونعلم أنه يسمعنا ويرانا، ونذكر نعمه علينا، أعطانا السمع والبصر والعقل، وأمدنا بالنعم وأنزل علينا الكتب، وحبب إلينا الطاعات، وأعاننا عليها، وقبلها منا، وأعطانا على العمل القليل الأجر الكثير، وأعطانا على الحياة القليلة حياةً أبدية في جنة عرضها السموات والأرض:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل: ٥٣].

فجميع الخلائق بيده، يحيي من يشاء، ويميت من يشاء، فالله ﷻ جعل آجالًا محدودة وأرزاقًا مقسومة، لجميع مخلوقاته، أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة؛ من الأقوال، والأعمال، والحركات، والصفات، والأرزاق، والعقوبات، وغير ذلك.

فالله ﷻ سميع بصير، يرى كل ذرة في ملكه، يرى حجمها ولونها وحركتها، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فإذا أمهل القادر القوي القهار ظالمًا من الناس، وأذن له أن يظلم؛ فإنما ينتقم به من ظالم دونه، ويربي به من عصاه من عباده، يرفع به درجاتهم، ويكفر به سيئاتهم، ثم ينتقم منه، فالله يمهل الظالم، وينتقم بالظالم، ثم ينتقم

منه، فهؤلاء الجبابرة والطغاة في الماضي والحاضر؛ الله ﷻ يمهلهم ولا يهملهم، وينتقم بهم، فإنما هم عصي بيد الله، ينتقم بهم، ثم ينتقم منهم، كما انتقم من بني اسرائيل لما تركوا الدين، فسلط عليهم فرعون، ثم انتقم فرعون وجنوده:﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[القصص: ٤].

ثم أخذ الله فرعون وجنوده أخذ عزيز مقتدر: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الزخرف: ٥٥].

فكل مصيبة تقع سبقتها معصية من البشر:﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى/ ٣٠].

فالمصائب من النعم الباطنة التي يرد الله بها عباده إليه إذا أعرضوا عنه:﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة: ٥١].

فسبحان الواحد القهار الذي يربي عباده بالسراء والضراء، ليردهم إليه مؤمنين أتقياء:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فهذه المصائب تسبقها معاصي، فلا بد بعد كل معصية من توبة نصوح إلى ربنا ﷻ؛ لأن الله رؤوف بالعباد؛ إذا خرج الناس عن الصراط المستقيم؛ أرسل إليهم عقوبة ومصيبة تَرُدُّهم إليه؛ فلا يجدون حلها عند المخلوقات، فيتوجهون إلى خالق السماء الذي خلقها، فهو الذي خلق النعم والمصائب، وهو وحده الذي يزيدها أو ينقصها أو يرفعها:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢].

فالمرض يأتي بأمر الله، ويزيد بأمر الله، وينقص بأمر الله، ويرتفع بأمر الله، ولا دخل لأحد في ذلك، لا الطب، ولا الدواء، ولا غيره، ولكننا في دار الأسباب، نفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا:﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا

يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

فنأكل الطعام، ونشرب الماء، ونتداوى؛ لأننا في دار الأسباب، وأمرنا بفعل الأسباب، ومن أمرنا بفعل الأسباب هو الله ﷻ، ولكن على طريقة رسوله ﷺ، فلرفع البلاء دواء، هذا الدواء جاء في سنة النبي ﷺ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

فنحن نفعل هذه الأمور تعبدًا لله، وطاعةً له، وإلا الله ﷻ هو الواحد الأحد الذي لا يشاركه أحد في الخلق والأمر والملك، هو الشافي وحده لا شريك له، هو الغني وحده لا شريك له، أحيانًا يعطي بالأسباب، وأحيانًا يعطي بضد الأسباب، وأحيانًا يعطي بدون الأسباب، يعطي بدون الأسباب، لأنه قادر على كل شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢].

ويعطي بدون الأسباب، كما رزق مريم طعامًا بلا شجر، وابنًا بلا ذكر.

ويعطي بضد الأسباب، كما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ﷺ.

هو فعال لما يريد، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره، ونحن لنا الشرف أن نكون من عبيده ومماليكه؛ لأنه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، المستحق للعبادة وحده لا شريك له: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

أهذا خير، أم عبادة صنم من شجر، أو حجر، أو إنسان، أو مال أو غيرها؟ إن لم تعبد إلهاً واحدًا؛ فسيجرك الشيطان لتعبد ألف معبود من الهوى، والشهوات، والحجارة، والأصنام، وغيرها مما هو منتشر وموجود في العالم؛ هذه المخلوقات التي خلقها الله كيف يعبدها الإنسان؟!: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف/ ١٩١].

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٦].

الحمد لله رب العالمين أن مَنَّ علينا بجنة المعرفة، ويَسَّر لنا مثل هذه المجالس؛ فهذا فضل

منه على المتكلم والسامع، أن نعرف العظيم؛ لنعظمه، ونعظم أوامره، ونتمثل أوامره؛ ثم ننال ثوابه العظيم جل جلاله.

هو سبحانه يريد منا أن نتعرف عليه، فيقول: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

ويقول جل جلاله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وإذا عرفتم ذلك عظمتموه، وأحببتموه، ثم عبدتموه وأطعتموه، ثم نلتم رضاه في الدنيا والآخرة؛ فلكم السعادة في الدنيا والأمن والخلافة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

ولكم الجنة في الآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف/ ١٠٧ – ١٠٨].

فلا إله إلا الله، كم عظمة أسمائه وصفاته! هو سبحانه القاهر لما سواه؛ كل ما سواه مقهور، هو القاهر لجميع من في ملكه؛ من الملائكة، والجن، والإنس، والحيوانات، والنباتات، والجمادات، والسماوات، والأرض، والعرش، والكرسي: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

هم جميعًا في ملكه وملكوته، مقهورون بأمره، وهو الله الواحد القهار: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

كم عظمة ملكه! كم عظمة ملكه في العالم العلوي، والعالم السفلي؟ وكم عظمة ملكه

وكرمه يوم القيامة؟ إذا كان يتكرم على كل مؤمن جاء بمثقال ذرة من إيمان مثل هذه الدنيا عشر مرات، يعطي أدنى مسلم في الجنة وما فيهم دنيء، كم عظمة ملكه؟ وكم عظمة قدرته؟: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس/ ٨٢].

فسبحان الله ما أعظم خلقه وملكه، هو الذي خلق السموات والأرض، هو الذي خلق ما بين السموات والأرض، هو الذي له ملك السموات والأرض، هو الذي له ما في السموات والأرض، هو الذي له خزائن السموات والأرض، هو الذي له غيب السموات والأرض، هو الذي له جنود السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض.

وأنا عبد من عبيده، ومملوك من مماليكه، أكرمني بهذه الأوامر الشرعية؛ لأتقرب إليه، فأكون في الدنيا خليفة في أعلى مقام، وأكون في الآخرة جليسه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾ [القمر/ ٥٤- ٥٥].

والسكن في ملك عند الملك: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ٢٠﴾ [الإنسان/ ٢٠].

كم عظمة هذا الملك! وكم عظمة النعم التي يعيش فيها هذا الإنسان في هذا الملك العظيم! فنحن محبوسون عن هذا، ولكننا في دار العمل، وأعلى العمل هو الدعوة إلى الله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣].

أفضل الأعمال الدعوة أم الأعمال؟ فيجب علينا أن نكون في الصف الأول، هو جل جلاله الأول الذي يريدني أن أكون الأول في العبادة، في الدعوة، في التعليم، في الأقوال الحسنة، في الأعمال الصالحة، في الأخلاق العالية: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومن عرف القهار بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ قهره جماله، وقهره جلاله، وقهرته قوته وعزته، وقهره كرمه ولطفه، وقهرته رحمته، وقهره علمه، فالله يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، فخشع لربه الواحد القهار بقلبه، وخضع له بجوارحه؛ لأنه عرف عظمة أسمائه وصفاته، وقهرته أفعاله الجميلة، وأفعاله الكبيرة؛ فعرف أن ربه هو ذو الجلال

والإكرام، له صفات الجلال والجمال والكمال:﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه: ٨].

ومن عرف الله حقاً عبده حقاً:﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾[فاطر/ ٢٨].

- **وقهر الله لعباده نوعان:**

قهر أداء..وقهر منع.

فقهر المنع كما قال سبحانه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾[فاطر: ٤١].

هو يمسكها أن تزول، هذا قهر منع، يمنعها أن تزول: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾[الحج/ ٦٥].

من الذي قهرها؟ هو الله ﷻ، من الذي منعها؟ هو الله ﷻ، هو الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، وهو الذي يمسك الطير الصافات في جو السماء:﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩﴾[الملك: ١٩].

فالله القهار قاهر لكل شيء على ما يريد منه، فلا يتعداه، ولا يتأخر عنه.

هو قاهر لكل شيء لما يريده منه، قهر الأرض على الإنبات؛ لأنه يريد منها أن تنبت، وقهر الشمس على الإنارة، وقهر الإنسان على هذا الحجم واللون، فهو قهار لكل شيء على ما يريد منه، فلا يتعداه، ولا يتأخر عنه:﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾[يس/ ٣٧- ٤٠].

هم يسبحون إظهارًا لقدرة الله وعظمته، وهم يسبحون .. بل كل ذرة في هذه المخلوقات العظيمة تسبح بحمد ربها﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[الإسراء: ٤٣ – ٤٤].

أما قهر الأداء؛ فالله ﷻ أمد كل مخلوق بطاقة، إذا منعها عنه هلك؛ لأنه القاهر الذي

وهب القوة لكل مخلوق، ودبره بأمره القهري: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

فالله ﷻ يعطي القوة لمن يشاء من خلقه كالجبال والرياح والحديد وغيرها، فقهره يسري في جميع مخلوقاته؛ لتؤدي وظيفتها في الكون: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فالله ﷻ هو القاهر لجميع المخلوقات شكلًا ولونًا وحجمًا وأداءً؛ فكل ما في الكون مسير؛ إلا الإنس والجن فهم مخيرون في العمل، إن شاءوا آمنوا، وإن شاءوا كفروا، وما سواهم مسير مسخر بأمر ربه القهري؛ ليؤدي وظيفته، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج/ ١٨].

فجاء التقسيم بالنسبة للناس: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۩﴾ [الحج/ ١٨]؛ لأنهم مخيرون؛ إن شاؤوا آمنوا، وإن شاؤوا كفروا: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وكل ما وقع في الكون من مكروه ومحبوب متعلق بإرادة الله ومشيئته، فكل شيء أراده الله وقع، وكل شيء وقع أراده الله وسمح به، وكل ما أراده الله من محبوب أو مكروه فهو مقرون بحكمة الله المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق، فالله ﷻ لا يفعل إلا ما فيه خير لعباده: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

والله سبحانه وتعالى من فضله علينا أن دعانا لمعرفته بأسمائه وصفاته، وإذا عرفناه أحببناه، وكبرناه، وعبدناه، فهذه المعرفة لا بد أن يعقبه التعبد لله ﷻ بموجب هذه المعرفة.

فإذا عرفت ربك الواحد القهار جل جلاله، وعرفت عظمة سلطانه، وعظمة قهره، وقوة جبروته، وعلمت عظمة غناه، وحسن إكرامه، وسعة رحمته، فماذا يجب عليك؟

يجب عليك طاعته، وعبادته وحده، ودوام ذكره وشكره، والذل له، وطلب مرضاته،

وابتغاء محابه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء/ ١٢٥].

وإذا علمت أن ربك جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى؛ عظمته، وأحببته، وأقبلت على طاعته، فاحرص على ما ينفعك من الطاعات، وإياك والتسويف! فإنه حجر الشيطان الذي يقتل به الإنسان: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء/ ١١٩ – ١٢١].

واعلم أن الله ﷻ رحيم بعباده؛ لم يكلفهم إلا وسعهم، وما هو دون طاقتهم: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [الطلاق/ ٧].

وإذا أردت أيها المسلم العزة والقوة فاستعمل قوتك في طاعة الله وفيما يحبه ويرضاه، وتبرأ من الحول والقوة إلى مالكها، واطلب منه المعونة في كل عمل، واسأله الهداية إلى الحق، وفوض أمورك إليه قائلًا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٢ – ٧].

- **وكن في كل عمل لربك على ثلاثة عقود:**

اعلم أن الله ﷻ يسمعك إن تكلمت، ويراك إن تحركت، ويعلم بما في قلبك إن أضمرت، وأنه يحب أن يقضي حاجتك، وأنه قادر على قضاء حاجتك.

إذا أردت أن تعمل أي عمل من دعوة، أو من عبادة، أو من دعاء، أو من غيرها، فكن في كل عمل لربك على ثلاثة عقود:

الأول: العزم والجزم عند إرادة تنفيذ المأمور به، وأنه سبيل السعادة والفلاح فقط متبركًا باسم ربك جل جلاله قائلًا: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آلعمران/ ١٥٩].

الثاني: طلب المعونة والتوفيق من ربك القوي عند النهوض للعمل، قائلًا بقلبك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة/ ٥].

﴿إِيَّاكَ﴾ توحيد: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توكل؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله، لا تحول من حال إلى حال إلا بالله ﷻ.

لا يحول الإنسان من حال الأمن إلى حال الخوف، من حال المرض إلى حال العافية، من حال الضعف إلى حال القوة، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا قوة إلا من القوي، ولا رزق إلا من الرازق، ولا علم إلا من العليم، ولا أمن إلا من المؤمن.

فتطلب المعونة والتوفيق من الله عند النهوض للعمل قائلًا بقلبك بعد الثناء على ربك العظيم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة/ ٥].

الثالث: التبرؤ من الحول والقوة، وترك الدعاوى والدعوى، وأنك تستطيع أن تعمله بنفسك.

لا نقول كما قال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۝٧٨﴾ [القصص/ ٧٨].

ولا نعتد بقوتنا، ولا نقول كما قالت عاد: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

فكل خير ونعمة من الله ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل/ ٥٣].

فنتبرأ من الحول والقوة، وترك الدعوى، وننسب الفضل كله للرب القوي الغني المالك لجميع مخلوقاته، ونقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٢-٦].

الفضل منه أن خلقني، وأطعمني، وهداني؛ فله الحمد جل جلاله؛ لأنه الرحمن الرحيم، الذي رحمته وسعت كل شيء، والمالك ليوم الدين حيث لا ملك لأحد: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦﴾ [الفرقان: ٢٦].

وإذا أنعم الله عليك بالعلم والحكمة، والقوة والقدرة، والجاه والمال؛ فاستعمل كل ذلك في طاعته، وعبادته، والدعوة إليه: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٦١ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام/ ١٦١- ١٦٣].

فنستعمل هذه القدرات والطاقات التي أكرمنا الله بها في طاعته وعبادته والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

وإياك أن تعصي الله بنعمه، أو تذل غيرك بما وهبه الله لك من نعمه، وفضله، وقوته، فقد كنت قبل ضالًّا بلا هدى، وجاهلًا بلا علم، وفقيرًا بلا مال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى/ ٦- ١١].

حدث بنعم الله المادية، بنعم الله الروحية، اذكر الله ﷻ في المجالس، ادع إلى الله ﷻ كما كان النبي ﷺ يغشى الناس في مجالسهم وأسواقهم يدعو إلى ربه، ويقرأ عليهم القرآن، وجاهد نفسك على القيام بعبادة الله، والدعوة إليه، والإحسان إلى خلقه.

واقهر نفسك عن الانهماك في الشهوات، واقهر عدوك من شياطين الإنس والجن بلزوم ذكر الله وعبادته، ومدافعة الشيطان والاستعاذة بالله من شره: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت/ ٣٣- ٣٦].

واعلم أن حظ المؤمن من هذا الاسم الكريم أن يقهر نفسه عن الشهوات المحرمة، ويقهر هواه عن كل ما يضره، ويقهر لسانه عن الغيبة والنميمة، والقيل والقال، والسخرية بالناس ويقهر نفسه عن أكل الحرام، ويقهر جوارحه عن كل ما يغضب الله من المعاصي، والكبائر، والآثام وسوء الظن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات/ ١١-١٢].

فاستقم رحمك الله كما أمرك الله؛ يرفعك الله، ولا تفعل شيئًا تستحي منه، ولا شيئًا تضطر أن تعتذر منه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ

مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه/ ٧٤-٧٦].

وتواضع لربك العظيم القادر القهار، يرفع الله ﷻ مقامك في الدنيا والآخرة: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة/ ١١].

وما تواضع أحد لله إلا رفعه، رفعه في أقواله، وفي أعماله، وفي أخلاقه وفي درجته.

واعلم أنك بكل طاعة لله ﷻ تعز وتعلو، وبكل معصية تذل وتسفل: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ١ - ٤].

ولكل مؤمن نصيب من هذه الرفعة التي خص بها الله نبيه ﷺ بقدر إيمانه وإخلاصه وطاعته، واعلم أن الله إذا أحب عبدًا أحبه أهل السماء، وأودع في قلوب أهل الأرض محبته، ورفع ذكره في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/ ٩٦].

فما من أحد من المؤمنين يطيع الله كما أراد، ويخلص له كما يحب، إلا رفع ذكره وأعزه بين خلقه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون/ ٨].

ومن رفعه الله فيجب عليه أن يشكر ربه على هذه الرفعة، ويستعملها في طاعته بعبادة الحق، والإحسان إلى الخلق: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٦٥].

فإذا عرفنا اسم الرب جل جلاله، وعرفنا أسماء جلاله وجماله وعرفنا أنه الواحد القهار، فلنقهر أنفسنا وشهواتنا وجوارحنا إذا تعارضت مع ما يحبه الله، ومع منهج الله: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

هذا الإنسان خلقه الله ﷻ، وهداه واشتراه؛ فلا يحل له أن يصرف ثانيةً واحدة على الهوى؛ بل يجب أن يسير على الهدى، فإن سار على الهوى، فليستغفر الله، وليتب إلى ربه؛

فإنه هو الغفار جل جلاله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١].

فالواجب أن أسير على الهدى لا على الهوى، وأقدم الوحي على العقل، وأقدم محبوبات ربي على شهوات نفسي، وأقدم الآخرة على الدنيا، وأقدم الإيمان والأعمال والأخلاق العالية على الأعمال والتقاليد البشرية.

اقهر أيها المسلم ما تراه مصلحةً لك إذا كان يضر غيرك، أو لا يرضي ربك، واقهر طموحك إذا كان يؤدي إلى معصية الله أو ظلم الناس: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود/ ١١٢- ١١٣].

الله جل جلاله هو الواحد القهار الذي خلق السموات السبع، وخلق الأرضين السبع، وقهر الكل على ما أراد، خلق السماء ورفعها فلا تسقط على الأرض إلا بإذنه، كم هذه العظمة! هذه السموات العظيمة نرفع أبصارنا إلى السماء وننظر: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

خلق السماء آية، ورفعها آية، وإمساكها آية، وإنارتها آية، فانظر إلى الرب الذي خلق السماء ورفعها فلا تسقط على الأرض إلا بإذنه.

وإذا عرفت أنه هو الواحد القهار، فأطعه وكبره، وامتثل أمره؛ فجميع مخلوقاته الكبير والصغير والعالي والسافل مقهورة مذعنة لعز جلاله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦].

هو القهار الذي خلق الأرض والسماء وأمسكهما أن تزولا وأمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وخلق الأرض وثبتها وأرساها بالجبال، فلا تهتز ولا تميد إلا بإذنه.

هو القهار الذي خلق الجبال وقهرها بالحديد، وما من مخلوق إلا وهو مقهور للواحد القهار.

فسبحان من قهر خلقه بكمال قوته، وقهر الأصحاء بالمرض، وقهر الأحياء بالموت، وقهر الظلام بالنور، وقهر الليل بالنهار: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

واعلم أيها الإنسان أنك إما أن تكون فقيرًا لواحد، أو تكون فقيرًا لكل واحد «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**» أخرجه البخاري[1].

فافتقر إلى الله، يغنيك بفضله عما سواه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر/ ١٥].

وقال النبي ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» أخرجه أحمد والنسائي[2].

فلا إله إلا الله، كم عظمة أسمائه الحسنى! واسم الله القهار صفة مدح لله ﷻ؛ لأنه يتضمن جميع صفات الجلال والجمال: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: ١٦].

والقاهر اسم فاعل، فهو القاهر لجميع المخلوقات كلها، القاهر فوق جميع خلقه: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٨].

هو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، الخبير بما يصلح أحوال خلقه، وما يصلح به ملكه.

هو سبحانه القهار الذي يقهر كل ظالم وطاغ ومستكبر، مهما طغى وتجبر، ومهما اجتمع الطغاة؛ فلا قاهر لهم إلا قاهر واحد، سبحانه هو الله الواحد القهار: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر: ١٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٦).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩)، وأخرجه النسائي برقم (٤٢٥) وهذا لفظه.

فالله الواحد القهار حي قيوم، سميع بصير، يرى ويعلم، فإن لم يهلك الظالمين الطغاة؛ سَيُفْتَن الناس إذا أطاعوهم، فلا بد للملك الحق من إهلاكهم، لئلا يفسد الخلق، ويمهل جل جلاله الظالم، لكن لا يتركه.

ففرعون قال الله عنه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص/ ٤].

وافترى على الله: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات/ ٢٤].

وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص/ ٣٨].

فلا بد من عقابه وإهلاكه؛ لفساده وإفساده، وكفره وطغيانه: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف: ٥٥].

ففرعون جريمته اجتماعية؛ لأنه ادعى الألوهية، والربوبية، فكانت العقوبة عليه، وعلى من اتبعه، بأمر واحد في بحر واحد، في وقت واحد، وقف موسى وقومه، بأمر واحد ضرب موسى البحر فانفتح، فدخل موسى وقومه، ثم تبعهم بعد ذلك فرعون وقومه، فأنجى الله هؤلاء، وأغرق أولئك.

فالله ﷻ هو الواحد القهار الذي خضعت له جميع المخلوقات، واستجابت لمشيئته، وهي مطيعة له فورًا.

فالله أخرج هؤلاء، لإظهار قدرته في نصر أوليائه، وإهلاك أعدائه: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: ٦١-٦٨].

فقال الله لموسى ﷺ اضرب بعصاك البحر؛ فلما ضربه انفتح اثني عشر طريقاً يبساً، فدخلوا، دخل موسى وقومه، فلما استكملوا خارجين، ودخل فرعون وقومه واستكملوا داخلين؛ أطبق الله البحر، فموسى لما خرج أراد أن يضرب البحر بالعصا، ولكن الله ﷻ قال له: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الدخان/ ٢٤].

فالعصا ليس بيدها شيء، والبحر ليس بيده شيء، الأمر كله لله، فأنت لا تضرب البحر إلا إذا أُمرت، فلما ضربه بعد أمر الله له انفتح الطريق، وإلا الله قادر أن يفتح البحر بدون ضرب العصا، فببحر واحد، وبأمر واحد، وفي وقت واحد، أنجى الله موسى وقومه، وأهلك فرعون وقومه، هذه لا إله إلا الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾[التغابن: ١٣].

ثم لما خرج موسى وقومه، أنجاهم الله من عدوهم، الواحد القهار، الذي يقهر الحجارة على ما يريد، ويقهر المياه على ما يريد، ويقهر المخلوقات على ما يريد، استسقى موسى لقومه، حيث هلكوا من العطش في صحراء سيناء، فطلب السقيا من ربه: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠﴾[البقرة: ٦٠].

في هذا الحجر خمس معجزات، أنه إذا ضُرب بالعصا انفتح، وأنه يخرج منه الماء، والماء أنواع مختلفة لكل سبط من السبط الاثني عشر نوع من الماء لا يشربه غيرهم، ولا يمكن لهم شربه، وله رائحة معينة، وأن هذا الماء ينقفل إذا انتهوا من شرب الماء.

- **في ضرب البحر بالعصا، وضرب الحجر بالعصا، آيتان عظيمتان:**

الأولى: اضرب البحر بالعصا يخرج حجراً.

والثانية: اضرب الحجر بالعصا يخرج بحراً، انفجر منه اثنتا عشرة عينًا؛ وهذا الحجر ينقل معهم حيثما عطشوا ويضرب ثم تنفتح منه هذه العيون؛ فخروج الماء من الحجر، هذه آية، وكمية الماء آية، ورائحة الماء آية، وأنه يخرج وقت الحاجة، وينقفل عند الاستغناء عنه، هذه آيات الله ﷻ، أراد أن يظهرها لنا حتى نتيقن عليه، وعلى أسمائه، وصفاته، وأفعاله: ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾[الملك/ ١].

فالله ﷻ له وحده القهر الكلي العام.

واسم الله القهار له معنيان:

أحدها: القهر العام لجميع المخلوقات، قهرها إيجادًا، ونوعاً، وحجماً، ولونًا، وبقاءً وحياةً وموتًا، ونفعاً وضراً

الثاني: القهر الخاص فالله يمدح نفسه بأنه الواحد القهار، الغالب لمن كفر به وطغى وتجبر، مهما كانت قوته، ومهما كثر عدده؛ كما أهلك قوم نوح بالماء، وقوم عاد بالريح، وقوم لوط بالحجارة، وقوم شعيب بالنار التي أحرقتهم، وهكذا؛ فهذا قهر خاص.

وقهره العام متعلق بجميع مخلوقاته؛ لأنهم مماليكه يخلقهم على ما يشاء، ويصورهم على ما يشاء، ويقهرهم لونًا وحجمًا وكبرًا وصغرًا على ما يريد: ﴿سُبۡحَـٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾[الزمر: ٤].

والله سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده بقوته وكمال قهره، فهو القهار الذي قهر العدم بالإيجاد والتكوين، وقهر الموجود بالعدم والإفناء، فهو الذي ينقل ما شاء من العدم إلى الوجود، ومن الوجود إلى العدم، ومن الحياة إلى الموت، ومن الموت إلى الحياة: ﴿سُبۡحَـٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾[الزمر: ٤].

وهو سبحانه القهار الذي قهر كل مخلوق بضده، فقهر النور بالظلام، وقهر الظلام بالنور، وقهر الليل بالنهار، وقهر النهار بالليل، وقهر الضعيف بالقوي، وقهر العاجز بالقادر، وقهر الأسفل بالأعلى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٢٧﴾[آل عمران/ ٢٦ – ٢٧].

وحصول القهر من بعض المخلوقات ضد بعض يدل على أن لها ربًّا مدبرًا قادرًا قاهرًا، ويدل كذلك على عجزها ونقصها، وحاجتها إلى قوي قاهر يهبها القوة والقهر: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّـٰرُ ۝١٦﴾[الرعد/ ١٦].

هو سبحانه القاهر الذي ألف بين الجسد والروح مع ما بينهما من المنافرة والتضاد؛ فالجسد كثيف، لحم وعظم، فالجسد كثيف ظلماني سفلي مخلوق من الأرض.

أما الروح فهي لطيفة نورانية علوية؛ لأنها من أمر الله، ثم إن الله ﷻ القاهر جمع بينهما على سبيل القهر والقدرة، وجعل كل واحد منهما مستكملًا بصاحبه، منتفعًا بالآخر، فلا بقاء لأحدهما بدون الآخر.

فإذا مات الإنسان خرجت الروح، والروح لا تسكن إلا في بدن.

ومجموع الإنسان هو الروح والبدن، فما دام الجسد موجودًا بلا روح، فلا يتحرك لشهوة، فإذا نُفِخَت الروح في الجسد؛ تحركت الشهوة، فطَلَبَ الطعام والشراب وغير ذلك من الحاجات.

فلا غنى لا بقاء لأحدهما بدون الآخر، فالروح تصون البدن عن العفونة، ما دامت الروح في البدن يصبح حيًّا فلا يتعفن، فإذا خرجت تعفن الجسد.

والبدن آلة الروح، وسيارة الروح، هو آلة الروح في تحصيل السعادات الدنيوية والأخرويةمن الصلاة، والذكر، والدعاء، والدعوة، والجهاد في سبيل الله وغيرها من الحاجات: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾[الزمر: ٤].

فسبحان الواحد القهار، القاهر فوق عباده، القاهر لجميع مخلوقاته، فكل مخلوقاته عاليها وسافلها، وكبيرها وصغيرها، مقهورة بقهر الواحد القهار، خاضعة لأمره، مستجيبة لمشيئته، مسرعة إلى إرادته، مسبحة بحمده، شاهدة بوحدانيته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء/ ٤٤].

هو سبحانه الواحد القهار الذي قهر عنك الهم والغم، وقهر عنك الأعداء والأشرار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾[الحج/ ٣٨].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[الفتح/ ٢٤].

فلا إله إلا الله الملك الحق المبين، وسبحان الله عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته، هو الله الواحد القهار، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾[التوبة/ ١٢٩].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[البقرة/ ٢٨٦].

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأكرمنا ولا تهنا.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ.

اللهم لك الحمد أنت الواحد القهار، ولك الحمد أنت العزيز الجبار، ولك الحمد أنت الغني الحميد، ولك الحمد أنت الحليم الكريم، لا إله إلا أنت، ولا رب سواك.

اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك يا قوي يا عزيز.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك:﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

[الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

البـاب السابع

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٣١- اسم الله العليم.

التعبد لله عز وجل باسمه الله العليم.

٣٢- اسم الله القدوس.

التعبد لله عز وجل باسمه القدوس.

٣٣- اسم الله السلام.

التعبد لله عز وجل باسمه السلام.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســــم الله

العليم

اسم الله العليم

الله جل جلاله، هو الملك الحق، الفعال لما يشاء، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى والأفعال الحميدة والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

وله جل جلاله ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

هو عالم الغيب والشهادة، هو العليم بكل شيء، كم ورقةً تسقط؟ كم خلق الله من ورقة؟ مختلفة الشكل واللون والطول والعرض؟ من خلق هذه الأوراق؟ وقدر حجمها؟ وأبقاها؟ هو الله جل جلاله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ – ١٠٣].

كل شيء مكتوب، كتبه العليم الذي يعلم بما كان، وما يكون، وما سيكون جل جلاله؛ لأنه هو العليم الخبير: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٧٨﴾[التوبة/ ٧٨].

هو وحده العليم الذي أراد منا أن نتعلم ونعرف أسماءه وصفاته، ونعلم أنه العليم وحده، الذي له العلم المطلق، علم العالم العلوي، والعالم السفلي، علم الدنيا، وعلم الآخرة، علم الظاهر، وعلم الباطن.

هو وحده العليم الذي يعلم مثاقيل الجبال، كم جبل في الدنيا؟ وكم فيها من الذرات؟: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٤].

هو العليم الخبير الذي يعلم مثاقيل الجبال، ويعلم مكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، ويعلم عدد ذرات الرمال، ويعلم عدد ورق الأشجار، ويعلم عدد الحبوب والثمار، وما أظلم عليه الليل من المخلوقات، وما أشرق عليه النهار من المخلوقات، ويعلم جميع ما

في السموات وما في الأرض: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

لا تواري منه سماء سماءً، ولا أرض أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، هو العليم بكل شيء في السموات والأرض: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج/ ٧٠].

وهو سبحانه العليم الذي يعلم كل شيء علمًا مطلقًا شاملًا محيطًا كاملًا، يعلم الظاهر والباطن، ويعلم السر وأخفى، ويعلم الغيب والشهادة، ويعلم كل متحرك وساكن، ويعلم كل ناطق وصامت، ويعلم كل رطب ويابس، ويعلم ما كان وما يكون وما سيكون: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة/ ٦-٧].

وإذا عرفت أنه عالم الغيب والشهادة؛ فاعلم أنك مكشوف أمامه، وأنه يراك؛ فلا تفعل إلا ما يحبه، واحذر أن تفعل ما يسخطه، بصره محيط بكل شيء، وسمعه محيط بكل شيء، وعلمه محيط بكل شيء.

فسبحان العليم بكل شيء، العالم بكل خلق وأمر، علام الغيوب الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

يعلم عدد أهل السماء والأرض جميعًا ، السموات ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد لله ﷻ، والأرض كم فيها من المخلوقات! ومنهم البشر، ومنهم عالم النبات، وعالم الجماد، وعالم الحيوان، وعالم الجن، وعالم الملائكة، يعلم عدد أهل السماء والأرض، ويعلم عدد الذرات والمجرات، ويعلم عدد الجن.

فسبحانه ما أوسع علمه ورحمته!: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر/ ٧].

هو العليم الذي يعلم عدد الجن والإنس، ويعلم عدد الطير والحيوان، ويعلم عدد ذرات التراب، ويعلم عدد الأقوال الحسنة والسيئة، وعدد الأفعال الحسنة والسيئة، وكلٌّ سيأتي بقوله وعمله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

هو العليم الذي يعلم عدد الأنفاس والآثار، كل يوم يتنفس الإنسان أكثر من أربعة وعشرين ألف نفس، هذا النفس يحتاج إلى حمد؛ لأنه من فضل الله على الإنسان، فلا بد أن يشكره على النعمة، ويستغفره من الذنب: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

هو الذي يعلم عدد الأنفاس والآثار، كم خطوة خطاها الطير والحيوان والإنسان، ويعلم عدد الأحياء والأموات، يموت من البشر أكثر من نصف مليون إنسان يوميًّا ويولد مثلهم، كم يموت من الحيوان؟ كم يموت من النبات؟ كم يموت من الطير؟ لا يعلم ذلك إلا الله؛ فسبحان من وسع علمه هذه المخلوقات جميعًا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

وجميعها أمام الله ﷻ كمخلوق واحد، العالم العلوي، والعالم السفلي، أمام الله ﷻ كمخلوق واحد، فهو العليم بكل شيء، الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾[الرعد/ ٩-١٠].

هو سبحانه العليم الذي يعلم عدد المؤمنين، ويعلم عدد الكافرين، ويعلم من يطيعه، ويعلم من يعصيه، ويعلم المؤمن من المنافق، ويعلم البر من الفاجر، ويعلم الصادق من الكاذب: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [العنكبوت: ٦٢].

وهو سبحانه العليم الخبير الذي يعلم المفسد من المصلح، ولو كان في صورة مصلح، ويعلم من يستحق الهداية فيهديه، ويعلم من يستحق الضلالة فيضله، ويعلم من يستحق الإكرام فيكرمه، ويعلم من يستحق الإهانة فيهينه، ويعلم أهل الحق من أهل الباطل، ويعلم أهل الجنة من أهل النار: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾[المجادلة/ ٧].

فسبحان الملك الحق الذي له مع الخلق العظيم، والأمر النافذ، والقهر العام؛ له العلم المطلق الشامل المحيط بكل شيء: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾[الحديد/ ٤].

يا حسرة على العباد! إنَّ أنفسهم تَقِف عريانة أمام بارئها الذي يعلم سرها وجهرها،

وظاهرها وباطنها، ويعلم ما بين يديها وما خلفها، ويعلم أقوالها وأفعالها، ويعلم فجورها وتقواها: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الأحزاب/ ٥٤].

فسبحان الله وبحمده على عظمته وجلاله وكبريائه، وسعة علمه ورحمته ومغفرته، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته، ما أعظم ملكه! وما أوسع علمه! وما أوسع رحمته! وما أوسع مغفرته!: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر/ ٧]. هذا دعاء الملائكة.

فحيثما كان خلقه كان علمه، وحيثما كان خلقه كانت رحمته، وحيثما كان خلقه كانت مغفرته، وحيثما كان خلقه كان ملكه؛ فهو الواسع العليم جل جلاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

فجنس المعرفة هي العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فوا أسفاه على الجهل بالله وأسمائه وصفاته، والجهل بدينه وشرعه، والجهل بأنبيائه ورسله، والجهل بثوابه وعقابه!: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يس/ ٣٠].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة: ١٠٧].

يا حسرةً على جهل العباد بربهم، وجهلهم بأسمائه وصفاته، وجهلهم بأوامره: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يس: ٣١ - ٣٢].

قوم نوح، قوم هود، قوم صالح قوم لوط، أقوام مضت: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يس/ ٣١-٣٢].

محضرون للحساب والجزاء: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾[يس/ ٣٣-٣٥].

هذا كله ضرب للأمثال، الله أنزل الماء من السماء على الأرض، فأنبتت من كل زوج بهيج، كذلك أنزل الوحي على القلوب؛ فأنبتت: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب: ٣٥].

وأنبتت: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[التوبة/ ١١٢].

فهذا الوحي ينبت هذه الصفات التي يحبها الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال/ ٢-٤].

هذه الشمس تحتاج إلى قوي وإلى عليم يجعل لها مسارًا معينًا، وحرارةً معينة، وإنارةً معينة: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس/ ٣٨-٤٠].

فالعلم والقدرة والحكمة هذه متلازمة، فالله ﷻ لا يضع الشيء إلا في موضعه، وهو قادر على فعل ما يشاء، وهو عليم بكل شيء.

متى تؤوب هذه الأنفس الشاردة إلى ربها؟ ومتى تفر إليه؟ ومتى تستحيي منه؟ ومتى توقره وتعظمه؟: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾[نوح/ ١٣-٢٠].

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [يونس/ ١٠١].

لأن النظر والتدبر يثمر الإيمان، النظر يعرف به الإنسان أن لهذا الخلق خالقاً، ولهذه الصور مصوراً، ولهذه النعم منعماً: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ ﴾[ق/ ٦-٨].

فإذا عرفت الخالق أنه خلق هذه المخلوقات العظيمة، وأحكمها صنعًا، وأمسكها بقدرته جل جلاله؛ فاعلم أنك من عبيده جعلك خليفه في الأرض، وأمرك بأوامر، هذه الأوامر هي دينه، الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، ليسعدك به في الدنيا والآخرة: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فما بال هذا الإنسان لجهله يكفر بربه، ويعصي من خلقه، وتثقل عليه الطاعة، وتخف عليه المعصية، ويستحي من الخلق، ولا يستحي من الرب الذي يسمعه ويراه ويبصره؟: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤ ﴾ [العلق: ١٤].

واعلم أن الله وحده لا شريك له هو عالم الغيب والشهادة، والغيب كل ما غاب عن الحواس، فكل ما غاب عن علم الإنسان أو بصره أو سمعه فهو غيب عنا، فإذا وصلناه صار شهادة: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ ﴾ [الحشر: ٢٢].

- **والغيب أنواع:**

الأول:نوع من الغيب استأثر الله بعلمه؛ كعلم الساعة، وأجل الإنسان، وعلم الروح وغير ذلك، فهذا لا يعلمه إلا الله وحده.

الثاني:نوعٌ أطلع الله عليه بعض أنبيائه؛ كأشراط الساعة، وأحوال اليوم الآخر التي بينها النبي ﷺ في السنة.

- **وهذا الغيب الذي أظهره الله لنبيه ﷺ ثلاثة أنواع:**

أحدها:غيب الماضي؛ كأحوال الأمم السابقة التي قصها الله علينا في سورة الأعراف، وفي سورة الأنبياء، وفي سورة هود، ويونس، والشعراء، وغيرها.

الثاني: غيب الحاضر؛ مما أخبر به ووقع في زمن النبي ﷺ من النصر على الأعداء والخلافة في الأرض، وغير ذلك من الأمور التي أخبر بها.

الثالث: غيب المستقبل؛ كأحوال اليوم الآخر، وما سيقع قبله من الأمور، هذه الغيوب كلها الله ﷻ بينها للرسول ﷺ فأَخبَر بها.

قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ۝٢٨﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٨].

واعلم أنه كلما ارتقى الإنسان بفكره خاف بعقله، وكلما هبط إلى مستوى البهائم خاف بعينه، فيخاف من الأسد، ويخاف من الثعبان، ويخاف من العقرب أكثر مما يخاف من الله، إذا ارتقى الإنسان بفكره، وتأمل في ملكوت السموات والأرض، في عالم الغيب، وعالم الشهادة، في العالم المنظور، خاف بعقله وعلم أن الذي خلق السموات والأرض ملك عظيم قادر قاهر قوي، فيخاف بعقله، وكلما هبط إلى مستوى البهائم خاف بعينه، فيخاف من المخلوق ولا يخاف من الخالق: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

من نظر بفكره، وارتقى بفكره، خاف بعقله، وخاف ربه، وكلما هبط إلى مستوى البهائم خاف بعينه، فلا تجده يخاف إلا من النار، وإلا من الأسد، وإلا من الثعبان، وإلا من العقرب، وإلا من السم؛ وهذا خوف طبيعي، لكن المطلوب الخوف من الله: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩ – ٥٠].

وإذا عرفت صفات الجلال لله، وعرفت أن هو الملك القادر، القاهر، القوي، العزيز ذو العزة، والجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة؛ هذه تثمر الخوف من الله، وإذا جاء الخوف خاف الإنسان ربه، فامتثل أوامره؛ رغبةً في طاعته، واجتنب نواهيه؛ هربًا من ناره وجحيمه: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٩٨﴾ [المائدة: ٩٨].

• **واعلم أن الناس صنفان لا ثالث لهما:**

فمنهم من يعبد عالم الغيب والشهادة وحده لا شريك له، فهذا الصنف لا خوف عليه؛ لأن الله يسوقه إلى ما ينفعه مما يجهله، ويدفع عنه ما يضره مما يجهله.

ومنهم من يعبد هواه، ومن عبد هواه اقترن به الشيطان: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء/ ٣٨].

وتخلى عنه الرحمن: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾ [التوبة: ٦٧].

وإذا نسيك الله فكيف تكون حالك؟ إذا نسيك في الدنيا كم تفسد وتفسد؟ وإذا نسيك في الآخرة، فكيف تكون حالك؟: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢﴾ [الإسراء/ ٧٢].

فإذا فكر هذا الإنسان الذي يمشي على هواه في أمر من الأمور؛ جعل الله تدميره في تدبيره، كما فعل الله بفرعون حين جمع السحرة لرد رسالة موسى، وكما فعل الله به حين تبع موسى وقومه فأغرقه الله وجنوده في البحر؛ فهو جمع السحرة ليعلو، فسقط من أعين الناس، وجمع جنده ليستأصل موسى ومن معه فالله ﷻ أغرقه: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥﴾ [الزخرف: ٥٥].

فالله عليم بخلقه، عليم بمن يطيعه، ومن يعصيه، فلا نجعل القلوب محل نظر الله محلًا للصفات السيئة، محلًا للحسد والرياء والنفاق والكبر، ولا نجعل ألسنتنا محلًا للغيبة والنميمة، ولا نجعل جوارحنا تركض وراء الشهوات، لأن الله ﷻ يسمع ويرى، وعليم بالأقوال والأفعال والأعمال: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

فسبحان العليم الحكيم الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦﴾ [السجدة/ ٦].

وقد ورد اسم الله العليم في القرآن مائة واثنتين وخمسين مرة منها قوله سبحانه: ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة/ ١٣٧].

ومنها: ﴿قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣﴾ [التحريم/ ٣].

وأما اسم الله العالم فقد ورد في القرآن خمس عشرة مرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَكُنَّا

بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ [الأنبياء/ ٨١].

وأضيف في عشر منها إلى الغيب والشهادة كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ [السجدة/ ٦].

وأما اسم الله العلام فقد ورد أربع مرات مضافًا إلى الغيوب: ﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة/ ١٠٩].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة/ ٧٨].

وكذا اسم الأعلم: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام/ ١٢٤].

﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت/ ١٠].

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

هو سبحانه العليم العالم بكل شيء، ولكمال علمه يعلم دبيب الخواطر في القلوب، حيث لا يطلع عليها الملَك، يعلم ما يدب في القلوب من الخواطر حيث لا يطلع عليها الملَك، ويعلم ما سيكون منها، حيث لا يطلع عليها القلب، العليم بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، العليم بالممكنات والمستحيلات، العليم بما في النور والظلام، العليم بالماضي والحاضر والمستقبل، العليم بعالم الغيب والشهادة، العليم بالعالم العلوي، والعالم السفلي، العليم الذي لا يخفى عليه شيء أبدًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة/ ٧].

هو سبحانه العالم بما كان كله، العليم بما سيكون كله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان/ ٣٤].

هو سبحانه العليم الخبير، العليم وحده بظواهر الأشياء؛ العليم وحده ببواطن الأشياء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/ ١٣].

والعلم والحكمة متضمنان لجميع صفات الكمال؛ فعلم الله يتضمن الحياة ولوازمها، فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الحي، وحياته متضمنة لجميع صفات الكمال، من السمع والبصر والقوة والقدرة والجلال والجمال والعظمة والكبرياء: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ

﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥].
فالله ﷻ علمه متضمن لحياته، ولوازم كمالها من القوة، والقدرة، والسمع، والبصر، والغنى والحكمة، والحكمة تتضمن كمال الإرادة، الحكمة هي التدبير، الحكمة تتضمن كمال الإرادة، والعدل، والرحمة، والإحسان، ووضع الأشياء في مواضعها على أحسن الوجوه: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠].
هو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه كميةً ونوعيةً ومكانًا وزمانًا، فالحكمة وضع الشيء في موضعه على أحسن الوجوه: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف/ ١٠٠].
والإنسان قد يحكم عن جهل فيخطئ، ويعفو عن عجز، لكن الله سبحانه عليم حكيم، يحكم على من عصاه مع كمال علمه جل جلاله، ويحلم على من عصاه مع كمال علمه، ويعفو عنه مع كمال قدرته عليه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ٥١﴾ [الأحزاب/ ٥١].
فاقترن علمه بحلمه؛ لأن رحمته سبقت غضبه، فحلمه وسع جميع مخلوقاته، ولولا حلمه ما عشنا، إذا كثرت المعاصي فاللائق بنا أن تزيد الحرارة، أو يكون الماء غورًا، أو الله ﷻ يصيبنا بعذاب عام، لكنه حليم، جعل أجلاً مسمى، فإذا بلغت هذه الخلائق وأجل المسمى أقام الله ﷻ الساعة؛ ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ٤٥﴾ [فاطر: ٤٥].
فالله ﷻ محيط بجميع مخلوقاته خلقًا، ورعايةً، وعنايةً وحفظًا.

- **الله ﷻ محيط بجميع مخلوقاته من أربعة أوجه:**

١-الخلق، فهو الذي خلقها وحده.
٢-الرعاية، فهو الذي يرعاها، ولولا رعايته لها لفنيت وذهبت.
٣-العناية، يحتفي الله بها، يسوق إليها الخير، ويبعد عنها كل شر.
٤-الحفظ، فهو الحفيظ الذي حفظ جميع مخلوقاته، حفظنا من الأمراض، ومن السباع، ومن كل شيء يؤذي، وحفظ كل شيء في ملكه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣].

فالله ﷻ أظهر كمال قدرته وأظهر كمال علمه؛ حتى نعرف أنه كامل العلم، وكامل القدرة، فنؤمن به ونحبه ونخافه ونعبده بما شرع: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

خلقه وأمره مفتوح أبد الآباد، يفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء، ويأمر بما يشاء، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧﴾ [هود/١٠٧].

وعلم الله ﷻ صفة ذاتية له، لا ينفك عنه أبداً، فهو العليم أبدًا، وعلمه سبحانه لا بداية له ولا نهاية، ولا أول له ولا آخر، لكن علم المخلوق له أول وآخر، وله بداية ونهاية، وعلمه سبحانه غير مسبوق بجهل، ولا ملحوق بنسيان: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

أما علم الخلق فهو موهوب من الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [النساء: ١١٣].

هو سبحانه العزيز العليم الذي خلق كل شيء، وخضع له كل شيء في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، هو العليم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿۞قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ [فصلت/ ٩-١٢].

هو القوي القادر العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؛ هذا هو الذي يستحق العبادة، وعبادة واحد تغنيك عن عبادة ألف واحد: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ولكن سوء الظن بالله، وسوء الجهل، يؤدي بالإنسان إلى أن يتخذ إلهًا في السفر، وإلهًا في الحضر، وإلهًا للمال، وإلهًا يدفع الأمراض: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢﴾ [النحل: ٥١ – ٥٢].

والله عزيز عليم حكيم، إنما يكون فعله وتدبيره عن علم وحكمة ورحمة وإحسان، أما عزة المخلوق فغالبًا يصحبها الهوى والظلم والجهل: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦﴾ [الأنعام/ ٩٦].

وقال سبحانه عن عزة المخلوق: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢﴾ [ص: ٢].

هو سبحانه العزيز العليم وحده لا شريك له، والعزة لله مقرونة بالعلم في حقه سبحانه، لأن العزة بدون علم جهل وسفه، والعلم بدون عزة ضعف وعجز، والله سبحانه هو العزيز العليم، العزيز الذي لا يُغلَب، العليم الذي لا يخفى عليه شيء، العليم الذي يضع الشيء في موضعه، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [الزمر/ ١].

هو سبحانه العليم الحليم، فهو الحليم بمن عصاه؛ يمهله ولا يهمله، وحلمه عن علم، فهو الحليم مع كمال علمه، العفو مع كمال قدرته: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦﴾ [السجدة/ ٦].

عزيز لا يغلبه غالب، رحيم ورؤوف بالعباد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

وعلم الرب جل جلاله موجب للخوف منه، وحلمه موجب للاستحياء منه؛ فأنا أسكن في أرضه، وآكل من رزقه، وأعصيه بنعمه، وأترك طاعته؛ فيجب على الإنسان أن يستحيي من ربه الذي يسكن في أرضه، ويأكل من رزقه، فعليه أن يستعمل بدنه في طاعته، ولسانه في ذكره وشكره وتسبيحه وتحميده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

إنه عليم حليم، لو أبدى ما في القلوب وأظهره للناس؛ ما جلس أحد بجنب أحد: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وهو سبحانه السميع العليم، السميع لكل صوت، العليم بكل فعل، الخبير بكل سر، ولما كان الشيطان يرانا ولا نراه، وهو يكيد لنا في كل وقت؛ ناسب أن نستعيذ بالله السميع لكل صوت، العليم بكل خفي، من ذلك الشيطان: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت/ ٣٦].

السميع لأقوالك، العليم بأفعالك، ظاهرها وباطنها.

والله سبحانه واسع عليم، واسع الفضل، والعلم، والرحمة، والمغفرة، كما ورد في القرآن.

فبذاته أحاط بكل شيء: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾﴾ [النساء/ ١٢٦].

وبعلمه أحاط بكل شيء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وحيثما وجه المصلي وجهه فثم وجه الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة/ ١١٥].

هو سبحانه الملك الحق، الملك كله بيده، والخلق كلهم عبيده، والفضل والنعم كلها منه، هو واسع الفضل والعطاء، العليم بمن يستحق فضله الديني، ومن يستحق فضله الدنيوي ممن لا يستحقه، فلا يبذل فضله إلا لمن يستحق، ولا يعطي منه إلا على قدر المصلحة، لعلمه بما ينفع العبد أو يضره: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣].

ولهذا الحسد من أعظم الذنوب؛ لأن بعض الناس يحسد بعضًا على ما أعطاهم الله من نعمه، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وحيث يعطي فضله، والله واسع، واسع العطاء، وواسع الفضل.

هو سبحانه العليم الحكيم؛ فكل خلقه وأمره وشرعه صادر عن علمه وحكمته وقدرته ورحمته، فليس الأمر لعباً، وليس الأمر عبثاً: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون/ ١١٥].

فكل خلقه سبحانه، وكل أمره وشرعه، صادر عن علمه وحكمته وقدرته ورحمته؛ فهو العليم بمن يستحق، وبقدر ما يستحق، الحكيم في وضع الحق في أهله كمًّا وكيفًا.

فالله عليم، لا يفعل ولا يأمر إلا بما يكون بالغ الحسن، مصلحًا للدين والدنيا، وهو الحكيم الذي يتقن ما يصنع: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل: ٨٨].

أتقن خلق السماء، وخلق الأرض، وخلق الإنسان: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو البصير بأحوال خلقه؛ فجميع من في العالم العلوي والعالم السفلي من الذرات والأجسام والمخلوقات كلها كمخلوق واحد أمام بصره سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

والكون كله مُبصَر ومبصِر، وغيب وشهادة: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحاقة/ ٣٨-٣٩].

فالله هو البصير، والمبصرات هي مخلوقاته، والله بصير بأحوال خلقه، عليم بما يصلحهم فمن علم منه خيرًا رقاه في درج الإيمان والعلم والعمل والأخلاق، ومن علم منه شرًا؛ نكس مبدأه ومعاده: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣].

هو سبحانه الشاكر العليم، فهو الشاكر لكل من أطاعه بأنواع الطاعات التي يتقرب بها إلى ربه، يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

ويعطي فوق ذلك: ﴿وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾ [النساء/ ٦٧].

هذا أجر خاص من لدنه بلا عمل، ويعطي، لأنه كريم، هو لا يبخس الناس شيئًا، ويعطي على الحسنة عشر أمثالها، لكن عنده عطاء خاص من لدنه بدون عمل أحد؛ لأنه ذو الفضل العظيم، وفضله وما أعطاه لأهل السموات والأرض، وما أعطاه في الجنة لأهل النعيم، لا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة؛ لأن الغني هو الذي لا تنقص خزائنه أبداً: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤].

ويد الله ملأى سحاء الليل والنهار، لا تفيضها نفقة.

إنما الفقير المخلوق الذي يملك المليارات إذا أنفق درهمًا واحدًا لا يستحق أن يسمى غنيًّا؛ لأن الغني هو الذي لا تنقص خزائنه أبدًا مع كثرة الإنفاق: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان: ٢٦].

هو العظيم الذي لا يعطي إلا العظيم؛ يعطي على قدر شأنه لا على قدر عمل العبد، إذا أعطى أعطى، وإذا منع منع، لكن العطاء أحب إليه من المنع، ولا يمنع إلا لحكمة، ولا يعطي إلا لحكمة: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء: ٣٠].

فهو سبحانه الشاكر العليم، الشاكر لكل من أطاعه بأنواع الطاعات التي يتقرب بها إليه، العليم بما في القلوب من الإخلاص أو عدمه؛ فيجازي كل أحد بحسب نيته وعمله: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة/ ١٥٨].

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ومن جلال علم الله سبحانه أنه كتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ [النبأ/ ٢٩].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩ - ٥٠].

وقال النبي ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» أخرجه مسلم[1].

- **واسم الله العليم يدل على صفات الله الثبوتية بنوعيها:**

صفات الذات.. وصفات الأفعال.

فالله عليم موصوف بالعلم الذي لا ينفك عن ذاته أبدًا، وهو العليم الذي يُعلِّم أنبياءه وخلقه ما شاء، يعلمهم لأنه العليم، وعنده خزائن العلم، ويعلم من علمه ما شاء من خلقه، عنده علم الدنيا، وعلم الآخرة، عنده علم كل شيء: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

وهو العليم الذي يعلم أنبياءه وخلقه متى شاء، بأي قدر شاء، لمن شاء من خلقه، وهذا التعليم من الله يتعلق بمشيئته وإرادته، كما قال سبحانه مثنيًا وممتنًّا على الرسول ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾[النساء/ ١١٣].

وقال العليم سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾[الرحمن/ ١-٤].

هو العليم الذي علم القرآن، والقرآن من كلامه، علمه للرسول ﷺ، والنبي ﷺ علم القرآن لهذه الأمة، ونحن نتعلم ونعلم القرآن.

قال النبي ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» أخرجه البخاري(١).

فأول صفة يتميز بها الإنسان بعد خلقه هي علم البيان.

- **والبيان يكون بثلاثة أشياء:**

الأول: البيان النطقي: باللسان: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾[الإخلاص/ ١-٤].

الثاني: البيان الرسمي: بالكتابة، يكتب الإنسان ما يريده بيده.

الثالث: البيان الإشاري: أشير إلى السماء، أشير إلى كذا، أشير كذا، أشير بأصبعي أو يدي أو رأسي.

والعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله من أجل مقامات العبودية؛ لأنه يورث التعظيم لله، والخوف منه، والحب له، والحمد له، والتوكل عليه، وحسن عبادته: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

وعلم العبد بربه وأسمائه وصفاته وأفعاله يدعوه إلى حسن عبادته وحده لا شريك له، وهذا هو مقصود الرب من خلقه وأمره، فأنا محتاج إلى عبادة الله؛ لأنه القوي وأنا الضعيف، وأنا الجاهل وهو العالم، وهو الغني وأنا الفقير، وهو الكبير وأنا الصغير، استضافني في بطن الأم، واستضافني في بطن الدنيا، وسوف يستضيفني في بطن القبر،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

وفي بطن الجنة أو النار، الجنة إن أطعته، والنار إن عصيته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)﴾ [فاطر: ١٥].

فالله بيده مقاليد الأمور جل جلاله، فأنا محتاج إليه، وأحمده على أن علمني ما أعبده به من أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ومن أوامره الشرعية، فمقصود الرب من خلقه أن يعبدوه بموجب تلك المعارف العظيمة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)﴾ [الطلاق: ١٢].

فتطيعوه وتحبوه وتعظموه؛ لأنكم عرفتم أن الله على كل شيء قدير، وعادةً النفوس تتعلق بالكبير والعظيم والقادر وصاحب الكمال والجلال والجمال: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وعلم الله كامل لم يسبقه جهل، ولا يلحقه نسيان، أما الناس فعلم الإنسان يسبقه جهل، كل يوم يزداد علم الإنسان من أنواع العلوم، كلما تعلم الإنسان علمًا ترقى، فعلم الإنسان يسبقه جهل، علم الصناعة، التجارة، الزراعة، علمي بالأحكام الشرعية علم يسبقه جهل، فإذا جاء العلم طرد الجهل، وإذا علم الإنسان فإنه ينسى بعض ما علم، لكن الله علمه لا أول له ولا آخر، ولا ينسى منه شيئًا: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢)﴾ [طه/ ٥٢].

وعلم الله واسع يشمل أربعة أمور:

علم كل ما كان في الماضي .. وعلم كل ما سيكون في المستقبل .. وعلم كل ما يكون في الحاضر الآن .. وعلم كل ما لم يكن لو كان كيف يكون.

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨)﴾ [طه/ ٩٨].

ومن أعظم أسماء الله الحسنى المؤثرة في حياة الإنسان وإيمانه وعمله اسم الله العليم والقدير: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)﴾ [الطلاق: ١٢].

فمن عرف سعة علم الله وعظمة قدرته؛ أقبل على طاعته وعبادته، وخشع قلبه لربه،

ونطق لسانه بذكره وحمده، وخشعت جوارحه لربه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر/ ٢٨].

وعلم الله ذاتي لا ينفك عنه، أما علم البشر فهو موهوب من الله ومكتسب، كلٌ يطلب من العلم ما شاء، علم الطيران، علم الصناعة، علم أنواع المصنوعات كلها مكتسبة مما هو موجود، فعلم البشر لاحق للوجود، وهو كسبي، أما علم الله فهو سابق للوجود، فهو الذي خلق كل شيء بعلمه، وهو الذي علمك من علمه ما شاء: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

فالرزق من الرزاق، والعلم من العليم، والشفاء من الشافي، والرحمة من الرحمن، واللطف من اللطيف، وهكذا كل شيء يعود إلى الله، وكل شيء يخرج من خزائن الله، وكل نعمة موهوبة من الله ﷻ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

وأسماء الله وصفاته توقيفية؛ فلا يسمى الله ولا يوصف إلا بما ورد في القرآن والسنة من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فالله عليم كما هو مذكور في القرآن: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

والفرق بين علم الله وعلم البشر أن علم الله بالأشياء سابق على الأشياء، وعلم البشر مستفاد من الأشياء، فأنا أعرف صناعة الكمبيوتر أو صناعة الثلاجات أو السيارات من شيء موجود، ومن عالم سبقني، واكتشف ذلك، علم البشر مستفاد من الأشياء، أما علم الله فغير مستفاد من الأشياء، بل هو سابق على الأشياء، والأشياء مستفادة من علم الله.

وعلم الله ذاتي لا ينفك عنه، وعلم المخلوق موهوب ومكتسب، وعلم الله مطلق غير محدود، وعلم الإنسان مقيد محدود، فهذا علمه في الصناعة، وهذا في الفلك، وهذا في الذرة، وهذا في علم النبات، وهذا في الصناعة، وهكذا العلوم تختلف.

والعلوم أنواع، وأشرف العلوم: العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده، ودينه وشرعه؛ لأن العلم يكون شريفًا بحسب المعلوم به وهو الله

ﷻ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

فشرف العلم دائمًا بشرف المعلوم؛ فالعلم بالله وأسمائه وصفاته ليس كعلم النبات أو علم الجلود أو غيرها.

وقد ورد اسم الله العليم مفردًا في قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النور/ ٣٥].

وورد مقترنًا بغيره من الأسماء، وهي: السميع، العزيز، الحكيم، الحليم، الخلاق، القدير، الفتاح، الخبير، الشاكر، الواسع: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣﴾ [آل عمران/ ٧٣].

فالله واسع صفة كمال، وعليم صفة كمال، والسميع مع العليم كمال فوق ذلك، وهذا الاقتران يكون كمالًا فوق ذلك.

فالله سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، إن تكلمت بأي كلام، في أي وقت، وفي أي مكان؛ فهو سميع، فلا تتكلم إلا بما يحبه الله ويرضاه، وإن تحركت فهو بصير، فلا تتحرك إلا بطاعة، وإن أضمرت فهو خبير عليم بكل سر، وإن فعلت شيئًا فهو جل جلاله عليم به قبل أن تعمله.

والله إن فعل هو فهو حكيم، إن فعل من العطاء والمنع، والإحياء والإماتة، والذلة والعزلة؛ إن فعل فهو حكيم.

وإن ضاقت عليك الأمور فهو فتاح؛ فاسأل الفتاح العليم الذي بيده مقاليد الأمور.

وإن أحسنت فهو شكور، فالله ﷻ شكور، إن أتيت بحسنة أعطاك عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

والله شكور كريم، فما من مسلم يتقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه، ويخطب وده، ويتقرب إلى ربه بصلاة، أو صيام، أو صدقة، أو تعليم جاهل، أو إعانة محتاج، أو إكرام ضيف، ونحو ذلك من القربات التي أكرمه العليم الخبير بها؛ إلا أكرمه الله مقابل ذلك بكرامة أعظم منها غير الكرامات يوم القيامة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس: ٢٦].

كل من فعل طاعة أكرمه الله بأكثر من ثلاثين كرامة في الدنيا، وبأكثر من ثلاثين كرامة

في الآخرة، وكل ذلك موجود في القرآن، فما من طاعة إلا وتعقبها كرامة، وما من معصية إلا وتعقبها مصيبة في النفس أو المال، وكل ذلك في القرآن، لو اتسع الوقت لشرح ذلك لبيَّنَّاه، ولكن حسبنا أنكم من أهل القرآن وتقرؤون القرآن؛ فلنقرأ القرآن بالتدبر والتفكر ونية العمل والتعليم له في كل مكان: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

فما من عبد جاء بطاعة إلا والله ﷻ شكور كريم يكرمه بكرامة، إما تيسير أمور، أو تأييده، أو توفيقه، أو نصره، أو يشرح صدره، أو سرور يحصل له، أو أمن، فسبحان الكريم الذي يعطي على كل طاعة أكثر من ثلاثين كرامة في الدنيا، وأكثر من ثلاثين كرامة في الآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل/ ٩٧].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وأعظم كرامة يكرم الله بها المؤمن كرامة العلم، فإذا علمك ربك من أنت، ومن ربك، وما هي أسماؤه وصفاته، وعلمك ما يحب، وعلمك ما يكره، وعلمك دينه وشرعه، وعلمك سر وجودك، وماذا يريد الله منك، وماذا تريد منه، وماذا سيعطيك إن أطعته، وعلمك حقيقة الدنيا؛ فقد خصك بأعظم الكرامات: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[الحديد/ ٢١].

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[النساء/ ١١٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: ٦٠].

هو سبحانه العزيز العليم الحكيم، أعطى الملك لمن يحب ومن لا يحب، أعطى الملك لفرعون، وهو لا يحبه لحكمة، وأعطى الملك لمن يحبه وهو سليمان ﷺ، وأعطى المال لمن لا يحبه وهو قارون، وأعطى المال لمن يحبه كعثمان وعبد الرحمن بن عوف: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢٠ – ٢١].

فسبحان العليم الذي يعطي ويمنع بعلمه وحكمته: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

فهذا الرب العظيم الذي إذا ذكرناه لا بد أن يوجل القلب، وتدمع العين، وتخضع الجوارح ركوعًا وسجودًا، وتسبيحًا وتحميدًا، وتكبيرًا وتعظيمًا لربنا جل جلاله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦ – ١٧].

أما الأنبياء والرسل فقد أعطاهم الله شيئًا واحدًا حصرًا عليهم وعلى أتباعهم، هذا الشيء هو العلم والحكمة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران: ٧٣].

وقال عن يوسف ﷺ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف/ ٢٢].

الله أكبر! ما أعظم نعمة العلم التي يعطيها العليم! والله يحب من عباده أن يكونوا علماء حتى يعبدوا ربهم على بصيره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

ومن رحمة الله أن بعث رسوله محمداً ﷺ إلى أمة تعيش في ظلمات الجاهلية، حيث كان فيهم:

الشرك بدل التوحيد..والجهل بدل العلم..والفرقة بدل الاجتماع..والظلم والطغيان بدل العدل والإحسان.

فاجتهد عليهم النبي ﷺ؛ حتى جاءت فيهم أربع صفات، مقابلة لصفات الجاهلية

- **فجاء عندهم بعد الإسلام:**

التوحيد بدل الشرك.

والعلم بدل الجهل.

والعدل والإحسان بدل الظلم والطغيان.

والاجتماع بدل الفرقة: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ

﴿ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فما أعظم منة الله على هذه الأمة: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وبذلك تحول شر القرون إلى خير القرون، وتحولت شر أمة إلى خير أمة: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].

فلله الحمد والشكر على بعثه سيد الرسل إلى خير الأمم: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩﴾ [الصف/ ٩].

﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾ [الجمعة/ ٢].

فنحن خير أمة الله ﷻ اختار لنا أحسن الكتب، وأفضل الرسل، وأحسن الشرائع، وأحسن الأخلاق ودعانا إليها، والله يريد أن تتحول حياة الأمة من الجاهلية إلى البيت الإيماني، إلى القبيلة الكبرى، قبيلة المسلمين، قبيلة المؤمنين، لا عصبية، ولا جاهلية، ولا حمية جاهلية، ولا حكم جاهلية.

- **ففي الجاهلية ذم الله ﷻ أربع صفات هي أصول الجاهلية:**

١ -حكم الجاهلية: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

٢ -تبرج الجاهلية: ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ ٣٣﴾ [الأحزاب/ ٣٣].

٣ -ظن الجاهلية: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ١٥٤﴾ [آل عمران/ ١٥٤].

٤ -حمية الجاهلية: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٢٦﴾ [الفتح: ٢٦].

حمية التعصب لشيخ أو قبيلة أو بلد أو قوم، فلا تعصب إلا للدين، كيف نعمل به؟ وكيف نوصله إلى البشرية؟ كيف يعبد أهل الصين ربهم؟ وكيف يعبد أهل أمريكا

ربهم؟ وكيف يعبد أهل أوروبا ربهم؟ كيف ندخل إلى قلوبهم لا إله إلا الله؟ وكيف نزين جوارحهم بأعمال رسول الله؟ وكيف نحسن أبدانهم بأخلاق رسول الله ﷺ؟ هذا هو عمل المسلم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فلتعلم الصناعة لابد من بيئة الصناعة، ولأتعلم الإيمان لابد من بيئة الإيمان.

- **فأنا في الجو الإيماني أستفيد خمسة أمور:**

أتعلم الدين .. وأعمل بالدين .. وأثبت على الدين .. وأترقى في الدين .. وأنشر الدين.

خمس كرامات لمن جلس مجالس الموائد الإيمانية التي نتعلم فيها الدين، ونعرف ربنا بأسمائه وصفاته، ونعرف دينه وشرعه، وكيف نتقرب إليه، ونتواصى بالحق، ونتواصى بالصبر، ونتعاون على البر والتقوى، ولا نتعاون على الإثم والعدوان: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

فمجالس الدنيا كلها غالباً لغو؛ إلا مثل هذه المجالس التي يمجد فيها الله، ويحمد ويثنى عليه، ويعلم دينه وشرعه، وما سوى ذلك فكله لغو.

ولكن اللغو من طبيعة البشر، ولكن: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان/ ٧٢].

يمر به المؤمن مرور الكرام، ولا يجرح مشاعر أحد.

هو سبحانه العزيز العليم الحكيم، أعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولكنه ما أعطى الدين وما أعطى العلم، وما أعطى الحكمة إلا لمن يحب جل جلاله، قال سبحانه عن موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص/ ١٤].

وقال الله لمحمد ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء/ ١١٣].

فانظر يا أخي المسلم ماذا أعطاك الله من أنواع الكرامات؟

نصيبك من العطاء هل هو من نوع نصيب الأغنياء، أم من نصيب الأقوياء؟ أم من نصيب الأنبياء؟.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء/ ١٨-٢٢].

وإذا تيقنت أن علم الله محيط بظاهرك وباطنك، وقدرته محيطة بك؛ فاستقم على أوامره: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

استقم كما أمرت، لا كما اشتهيت، واخرج من الهوى إلى الهدى، وقدم الوحي على العقل، وقدم الآخرة على الدنيا، وقدم المحبوب الأعلى على المحبوب الأدنى، المحبوب الأدنى هو شهوات النفس، والمحبوب الأعلى هو محبوبات الرب: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٢-١٣].

وأكمل محبوبات الرب في الدنيا؛ يكمل محبوباتك في الآخرة ويرضى عنك: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وإذا علمت أن الله غني كريم؛ أحببته، وأطعته، وأحسنت إلى خلقه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فبمعرفة العليم والقدير تستقيم، وبمعرفة العليم والشكور تحسن إلى الخلق، وتحب ربك؛ لأنه هو الذي يعطيك، وهو الذي ينعم عليك في بطن الأم، وفي بطن الدنيا، ويوم القيامة يكرمك بجنة عرضها السموات والأرض، فإذا استقمت وأحسنت؛ حققت مراد الله منك، وهذا ثوابك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

ثم جاء بعدها مباشرة أن أفضل شيء بعد الإيمان: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣].

فالداعي إلى الله مليح يذهب إلى مليح، فيزداد ملاحة، كما نذهب لمثل هذه الدروس، أو نذهب للمسجد أو نذهب للعمرة، أو نذهب لصلة الرحم؛ الداعي مليح، يذهب إلى مليح، فيزداد ملاحة.

ويذهب إلى قبيح فينشر الملاحة، يدعو كافرًا للإسلام، فيدخل في الدين، ويكون سببًا لدخول مليح جديد في الدين؛ فالدعوة إلى الله، وعبادة الله، أحسن الأقوال والأعمال.

﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾ في العلم، في الدعوة، في العبادة، في الأخلاق في كل شيء، عملكم: ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران/ ١١٠].

وأخر الإيمان؛ لأن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله محركات للإيمان في القلب: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وأمة محمد ﷺ كلها مخاطبة بالدعوة إلى الله، فالدعوة فرض عين على كل مسلم ومسلمة: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف/ ١٠٨].

وقال سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

فلا يحق لأحد أن يصرف ثانية واحدة على هواه، أو يترك عبادة ربه، أو تعليم شرعه، أو الدعوة إلى دينه، أو الإحسان إلى خلقه؛ لأنه الله ﷻ قد هداه واشتراه، والله لا يشتري إلا السلع الغالية، يشتري المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة/ ١١١].

وصفات من اشتراهم الله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].

فكل الوقت لله، وكل العمل له، وكل شيء له جل جلاله: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ

﴿وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

وإذا عرفت أن الله الأول فكن الأول في العبادة، في الدعوة، في التعليم، في الأخلاق الحسنة، في الأقوال الطيبة، في الأعمال الصالحة: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد: ٣].

﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: ٢١].

فالله ﷻ يريد مني أن أتصف بالصفات التي يحبها؛ فالله عفو يحب العافين عن الناس، وهو ﷻ تواب يحب التوابين، ومحسن يحب المحسنين، مؤمن يحب المؤمنين، يحب المتقين، يحب الصابرين على العبادة، على الدعوة، وهكذا في كل عمل، فماذا أعطينا؟ هل أعطينا من نصيب الأغنياء؟ أم من نصيب الأقوياء؟ أم من نصيب الأنبياء؟ ننظر أنفسنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٨ – ١٩].

والكون كله أثر من آثار اسم الله العليم جل جلاله، وأثر من آثار أسماء الله الحسنى؛ لأنك إذا تدبرت في الكون علمت أن خالق هذا الكون عليم، وأنه قادر يفعل ما يشاء من خلق السماء والأرض، والجبال والبحار، وأنه عزيز لا يُغلب، يفعل ما يشاء، لا يمتنع عليه شيء، وأنه غني؛ لأن عنده خزائن هذه الأشياء، وأنه حكيم يضع الشيء في موضعه، فهذا الكون كله مظهر لعلم الله وقدرته، وأسمائه وصفاته: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٢].

فالرزق في السماء، وقسمته في الأرض؛ على أهل الأرض، لو كان في الأرض لتقاتل الناس عليه: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

ولا يقضى أمر في الأرض حتى يقضى في السماء، فالله ﷻ عليم بملكه، يدبر وفق حكمته ورحمته، وإحسانه إلى خلقه.

فسبحان العليم بكل شيء، العليم الذي عنده مفاتح الغيب: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩].

وبيّن الرسول ﷺ أن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان/ ٣٤].

فالله وحده هو عالم الغيب والشهادة، وكل ما سواه لا يعلم إلا ما أعلمه الله.

ومن عرف النقص في المخلوق؛ أوصله ذلك إلى معرفة الكمال في الخالق، فإبراهيم خليل الله ونبي الله ﷺ جاءته الملائكة، فقدم لهم الطعام؛ لأنه لم يعرف أنهم ملائكة؛ فإبراهيم ﷺ لا يعلم إلا ما علمه الله ﷻ، يظن أنهم رجال، ولكن الله ﷻ يعلم، ولهذا جاء بالطعام، وقربه إليهم يحسبهم رجالاً من البشر.

قال ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات/ ٢٤-٢٨].

وسليمان نبي ملك سخر الله له الريح: ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص/ ٣٦].

ومع ذلك خفي عليه مملكة بأكملها، حتى أخبره الهدهد: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٤﴾﴾.

ثم قال: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النمل: ٢٠ – ٢٥].

وقد من الله علينا فوصلنا إلى تلك الديار ورأينا مملكة سبأ، ورأينا مكان العرش، والأعمدة موجودة، ولكن العرش قد أُخذ ونُقل إلى الشام كما هو معلوم، ورأينا معبد

الشمس معبد كبير، فيه تقريبًا ثلاثمائة وستون مخرجًا للشمس على عدد أيام السنة، ورأينا التماثيل، وكلها قد طمرتها الرمال، وأخذهم الله ﷻ بكفرهم أخذ عزيز مقتدر: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧)﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

وسيد الخلق محمد ﷺ معه وحوله المنافقون، ومع ذلك لم يعلمهم: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١)﴾ [التوبة: ١٠١].

فالخلق كلهم مهما كانوا لا يعلمون شيئًا ولو كانوا أنبياء إلا ما علمهم الله العليم بكل شيء: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨)﴾ [طه/ ٩٨].

ولهذا ما أُمِر النبي ﷺ بطلب الزيادة من شيء إلا من العلم: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤)﴾ [طه: ١١٤].

وهذه العلوم التي عند الخلائق كلها، كلها قليل بالنسبة لعلم الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)﴾ [الإسراء: ٨٥].

علم الملائكة وعلم الأنبياء، وعلم الإنس، والجن، وعلم جميع المخلوقات؛ لا يساوي ذرة من العلم الإلهي، والعلم الإلهي لما جاء في مكة ابتلع العلم الإنساني الذي عند فارس والروم، فخضعت فارس والروم الذين عندهم علم الدنيا، إلى العلم الإلهي الذي نزل في مكة، فاللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤)﴾ [طه/ ١١٤].

واعلم أيها المسلم أن كل ما هو واقع أو مشاهد فهو من عالم الشهادة، وكل ما غاب أو لم يقع فهو من عالم الغيب، والله وحده هو عالم الغيب والشهادة، هو العليم بكل شيء، العليم بالعالم العلوي والسفلي، العليم بالظاهر والباطن، العليم بالنيات والأفكار، العليم بالأقوال والأفعال، العليم بالأرقام والحروف، العليم بما جرى ويجري وما لم يجر في كل زمان ومكان: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢)﴾ [الحشر: ٢٢].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن كل ما خلق الله من العوالم، خلقه الله ليدل به على كمال عظمة أسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ ليوحده العباد بها، ويعبدوه بمقتضاها: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

والمطلوب من الخلق ليسعدوا في الدنيا والآخرة؛ العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بما يحبه ويرضاه، والعلم بما يجب له، وما يختص به، وما يليق به، وعبادته بما شرع وحده لا شريك له: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

واعلم أن جميع المخلوقات تشهد لخالقها بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وتشهد له بالوحدانية، وتشهد له بكمال الحياة، والعلم، والقدرة، والعظمة، والكبرياء، والرحمة.

فهو سبحانه الحي القيوم العليم الذي يطلب العباد منه العلم، العليم بكل ذرة في ملكه العظيم، وفي ملكه الكبير: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض، ومن أسمائه الحسنى الدالة على إحاطته وعلمه بكل شيء اسم الله العليم، فالله ﷻ هو العليم الذي يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؛ لأن علمه محيط بكل شيء: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ومن عرف ربه جل جلاله باسمه العليم خافه وأجله، وأحسن الأدب معه، وأكثر من ذكره وحمده والثناء عليه، إن أعطاه ربه شكره، وإن أذنب استغفره، وإن ابتلاه صبر على بلائه، وأن أمره أطاعه، وإن نهاه انزجر عن معصيته: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ

﴿رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وقال ﷻ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[الزمر/ ٩].

والله ﷻ هو عالم الغيب والشهادة، والغيب ما غاب عن الإنسان، والشهادة ما يراه الإنسان ويعلمه الإنسان من هذه الأشياء المادية، والغيب المطلق كله لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له:﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾[النمل/ ٦٥].

فهو سبحانه العليم الذي أحاط علمه بكل ذرة في ملكه العظيم:﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾[المجادلة/ ٧].

بكل شيء عليم، عليم بكل ذرة في العالم العلوي، والعالم السفلي، في كل زمان ومكان، في الليل والنهار، هو بكل شيء عليم: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩﴾ [آل عمران: ٢٩].

فالله ﷻ عليم، ومن علم أن الله يراه ويسمعه فإنه لا يعصيه.

قال النبي ﷺ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**» متفقٌ عليه[1].

واعلم أن الله عليم بكل شيء، وقد كتب كل شيء، وشاء كل شيء، وخلق كل شيء، فهذه أربعة أمور.

الله ﷻ عليم بكل شيء، قد كتب كل شيء، وشاء كل شيء، وخلق كل شيء:﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ [الحج/ ٧٠].

وهو سبحانه لا يجري في ملكه إلا ما يريد وما يشاء:﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾[التكوير/ ٢٩].

---

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٥٧٨)، ومسلم برقم (٥٧)، واللفظ له.

وكل موجود في الكون فالله ﷻ هو خالقه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر/ ٦٢].

- **فمراتب القدر هذه الأمور الأربعة:**

الأولى: أن الله ﷻ علم مقادير الخلائق قبل أن يخلقها، وأخفاها في علمه عن الخلائق أجمعين، فلم يطلع على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، ولكن على العباد أن يفعلوا الأسباب التي أمرهم الله بها من فعل أوامره، واجتناب نواهيه، فكل ميسر لما خلق له.

فالله ﷻ قد علم أهل الجنة من أهل النار، ومن يطيعه ومن يعصيه، ومن يؤمن به ومن يكفر به، لكن علينا فعل الأسباب؛ لأننا مأمورون بالأوامر الشرعية من ربنا، ومنهيون عما يضرنا في الدنيا والآخرة.

الثانية: أن الله ﷻ كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾ [يس/ ١٢].

فالله ﷻ كتب مقادير الخلائق كلها جل جلاله، وكل شيء أحصاه كتابة؛ فالله ﷻ لما علم مقادير الخلائق بأحجامها، وألوانها، وأنواعها، وأماكنها، وأزمنتها، هو علم ما سيخلق جل جلاله، وأخفاه في علمه جل جلاله، من المخلوقات، ومن حركات هذه المخلوقات وأعمال هذه المخلوقات، ثم الله ﷻ كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ، والمخلوقات في اللوح المحفوظ كلمات، ثم يظهرها الله مخلوقات حسب مشيئته وإرادته في كل زمان ومكان: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

الثالثة: مشيئة الله في خلق الأشياء التي قدرها وكتبها، فلا يقع في ملكه ما لا يريده، فطاعة الطائع بمشيئته وإرادته، ومعصية العاصي بمشيئته وإرادته؛ لأن هذا الملك ملكه، ولا يتصرف في ملكه إلا هو جل جلاله، لكن من آمن وأطاع دخل الجنة، ومن عصا وكفر بالله ﷻ شقي في الدنيا ودخل النار يوم القيامة: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾ [ص: ٨٧].

الرابعة: خلق الله للأشياء، وإظهارها بعد تقديرها، وكتابتها، وإرادة خلقها، فالله ﷻ علم مقادير الخلائق، وكتبها في اللوح المحفوظ، وشاء وقوعها فوجدت.

فالرابعة خلق الله ﷻ لهذه الأشياء، وأظهرها بعد تقديرها، وكتابتها، وإرادة خلقها،

أظهرها الله ﷻ من غيبه إلى أن تظهر مخلوقات، وأعمال صالحة أو غير صالحة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فالإنسان إذا أصابته مصيبة؛ فإنما وقعت هذه المصيبة بسبب معصيته، عقوبةً له، أو تكفيرًا لذنوبه، أو رفعةً في درجاته: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى/ ٣٠].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ [الحديد/ ٢٢].

كل شيء مكتوب، كل شيء قد كتبه الله: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ٥٣﴾ [القمر: ٥٢ – ٥٣].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن: ١١].

فاعلم أن كل ما يجري في هذا الكون بإذنه وأمره جل جلاله؛ فليسلم العبد الذي عرف ذلك لله في كل ما قدره وقضاه، وليصبر على البلاء؛ فإن العليم الحكيم أرحم به من نفسه: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، ولا بد أن نتعرف على أسمائه ﷻ؛ حتى نعبده بمقتضاها.

فإذا علمنا أنه سميع لا نتكلم إلا بما يحبه ويرضاه، من الأذكار والأدعية، والدعوة والدعاء، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وإذ علمنا أن الله بصير لم نفعل شيئًا يسخطه، بل نري الله ﷻ من أنفسنا خيرًا في وقت العبادة، في وقت الصلاة، في وقت الصيام، في وقت الزكاة، في وقت الحج، في أي أمر من الأمور.

وإذا علمنا أن الله عليم يعلم بما في الصدور جل جلاله، لم نضمر في قلوبنا إلا خيرًا: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٣ – ١٤].

وأسماء الله ﷻ كلها حسنى، منها ما هو مطلق كالسميع، والعليم، والبصير وأمثالها، هذه أسماء مطلقة يسمى الله بها.

ومنها ما هو مقيد ومضاف، كالعالم، والعلام، والأعلم، فهذه أسماء لله ﷻ، لكنها مقيدة كعالم الغيب والشهادة؛ نطلقه على الله، نسمي الله ﷻ به في هذا القيد: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وفي الآية الأخرى: ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٧٨﴾ [التوبة/ ٧٨].

وفي الآية الأخرى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام/ ١٢٤].

فيسمى الله ﷻ به بهذا القيد؛ لأن حسن هذه الأسماء بما قيدها الله به؛ فنسمي الله بها مقيدة وندعوه بها، فما أطلقه الله نطلقه؛ كالسميع والبصير والرزاق، وما قيده نقيده؛ كخير الفاتحين، خير الرازقين مثلًا، علام الغيوب وهكذا كما ورد في الكتاب والسنة.

والله ﷻ عليم قدير، وعليم حكيم، الله ﷻ قرن العليم بالقدير، وقرن العليم بالحكيم، فقدرته جل جلاله باهرة، وحكمته بالغة، فلا يضع الشيء إلا في موضعه، ولا يخلق الشيء إلا لحكمة؛ فإذا اقترن العليم بالقدير أو الخالق؛ فهذا في علم التقدير، وشاهد لله بالربوبية، وإظهار ما جرت به المقادير: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾ [البقرة/ ٢٩].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ [فاطر/ ٤٤].

هذا في الخلق، ما كان الله ﷻ ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض؛ إنه كان عليمًا محيطًا بكل شيء، قادرًا على كل شيء.

وإذا اقترن العليم بالحكيم؛ فهذا علم الإحاطة، والتدبير، والحساب، والتشريع، فهذا توحيد العبادة، فالله ﷻ يقول عن الملائكة: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ [البقرة/ ٣٢].

وقال في الفرائض: ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾ [النساء/ ١١].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠﴾ [الإنسان/ ٣٠].

وقال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٤﴾ [الزخرف/ ٨٤].

فَقَرَن العليم بالحكيم؛ لأن هذا فيه أمر الإحاطة والتدبير والتشريع، أما في القدرة فيَقْرِن العليم بالقدير كما مر معنا، فإذا اقترن اسم العليم بالحكيم، أو الخبير، أو الشكور؛ فإنما هو لبيان حكمه وحكمته في عبوديته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[الحجرات/ ١٣].

فقرن العليم بالخبير؛ لأنه هو الذي يعلم ما في القلوب.

والعليم اسم ذاتي لله لا ينفك عنه أبدًا، والعلم صفة ذاتية لله ﷻ لا تنفك عنه أبدًا، والتعليم صفة فعلية لله ﷻ؛ لأن العليم هو الذي يعلم خلقه: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾[العلق/ ٣-٥].

فلا علم إلا من عليم، ولا زرق إلا من رزاق، ولا أمن إلا من مؤمن، وهكذا في سائر الأسماء والصفات، والتعليم يتعلق بمشيئة الله ﷻ، فالله يعلم من شاء من خلقه ما شاء من العلوم؛ لأن العلم خزائنه عند الله ﷻ؛ فندعو الله ﷻ باسمه العليم دعاء حمد وثناء، ودعاء طلب ومسألة، كما قال الله ﷻ عن إبراهيم: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾[البقرة/ ١٢٧].

أنت السميع لأقوالنا، العليم بما في قلوبنا، العليم بالظواهر والبواطن.

وقال ﷻ: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥﴾[آل عمران/ ٣٥].

وقال عز وجل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف/ ٢٠٠].

فهذا كله دعاء مسألة يتضمن دعاء الثناء والحمد لربنا ﷻ.

ومن دعاء العبادة باسم العليم: أن يخضع العبد لربه؛ لأنه يعلم أنه يراه، ويعلم بسره وعلانيته، أن يخضع العبد لربه، ويحكم بشرعه: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾[طه/ ١١٠].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾[البقرة/ ٢٨٢].

فالله ﷻ هو العليم بكل شيء، البصير بكل شيء، السميع لكل شيء، الذي لا يشغله علم عن علم، ولا قريب عن بعيد، ولا كبير عن صغير، ولا ظاهر عن باطن: ﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾[الأنعام/ ١٣].

هو السميع للأقوال، العليم بما في القلوب والسرائر، علِم كل أحد من خلقه في جميع أحواله، وعلَّم من شاء من خلقه ما شاء من العلوم، وأقدرهم على ما شاء من العلم والعمل، فهم في العلم، والإيمان، والعمل، درجات: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٣].

وقال سبحانه: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف/ ٧٦].

فالله ﷻ عليم بما في القلوب، وهو سبحانه العليم الذي لا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عن علمه قاصية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران/ ٥-٦].

وإذا عرف العبد أن ربه العليم عليم بحاله؛ شكره على عطيته، وصبر على بليته، واستغفره من خطيئته: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

واسم العليم من أسماء الله الحسنى التي يجب علينا أن نتعرف على معانيها، فنتعرف على هذا الاسم العظيم وعلى معانيه العظيمة؛ ليدخل في حياتنا، ونرى أثره في حياتنا؛ حتى نتعبد الله ﷻ به على بصيرة، فالله ﷻ هو عالم الغيب والشهادة، الله ﷻ خلق عالم الشهادة؛ ليدل به على عالم الغيب، فلنحضر الآن بقلوبنا ونتوجه إلى الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا جل جلاله، فالأعمال كلها ثمرة العلم، وأعظم العلم العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه، فلنتعرف على المعبود، ونأخذ صفة من صفاته وهي صفة العلم، لنتعرف على هذه الصفة العظيمة وعلى هذا الاسم العظيم.

- **فالله ﷻ هو الذي:**

خلق عالم الشهادة؛ ليدل به على عالم الغيب.

خلق الدنيا؛ ليدل بها على الآخرة.

وخلق المخلوقات؛ لتدل على خالقها سبحانه.

وخلق الصور؛ لتدل على المصور الذي يصور كيف يشاء.

خلق الأرزاق؛ لتدل على الرزاق سبحانه.

ذلكم الله ربكم الذي من عليكم بعطاء الربوبية خلقًا وتدبيراً وإنعامًا؛ ومن عليكم بعطاء الألوهية؛ فجعلكم أهلًا للعبودية، واختاركم من بين بني آدم لتكونوا عباده:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[الأنعام/ ١٠٢].

ما دام هو خالق كل شيء فيجب أن نعبده، لو علمنا غيره يخلق شيئًا؛ لعبدناه، لكن الخالق هو الله وحده لا شريك له، الخالق الذي يخلق من عدم هو الله ﷻ.

أما الذي يخلق أو يصنع هذه المصنوعات فإنما يصنعها أو يخلقها من المادة التي خلقها الله، بالفكر الذي خلقه الله، بالعقل الذي خلقه الله ﷻ، بالقدرة التي أعطاها الله، بالعلم الذي وهبه الله له، فالله خالق كل شيء:﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾[النحل/ ١٧].

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر: ٦٢].

خلق المخلوقات وهو وكيل عليها، وكيل على الشمس بالإنارة، وكيل على الأرض بالإنبات، لا يمتنع عليه شيء.

فسبحان الخلاق العليم الذي يخلق ما يشاء ويختار، لا إله غيره، ولا رب سواه جل جلاله؛ خلق الخلق كلهم كيف شاء، ومما شاء، ومتى شاء، على أي وجه شاء، وأبقى ما شاء، وأفنى ما شاء، من كبير وصغير، وطويل وقصير، وحيوان وإنسان، ومؤمن وكافر:﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨﴾[القصص/ ٦٨].

هو سبحانه العليم القدير الفعال لما يشاء، وكل فعال سواه فبإذنه وعلمه، وكل فعال سواه محتاج إلى معونته ومشيئته، وكل فعال سواه في قبضته، الكبير والصغير، والقليل والكثير، والقوي والضعيف، والغني والفقير﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

فسبحان الرب الحكيم العليم الذي خلق المخلوقات العظيمة، والمخلوقات الكبيرة، والمخلوقات الصغيرة، والمخلوقات العلوية، والمخلوقات السفلية!.

هو الخلاق العليم الذي خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الدنيا والآخرة، وخلق الملائكة والروح، وخلق الجن والإنس، وخلق الأقوال والأفعال، وخلق المحبوب والمكروه، وخلق الماء والنار، وخلق الجبال والبحار: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس/ ٣].

وهذه المخلوقات العظيمة في العالم العلوي والعالم السفلي من الذرة إلى العرش، صغيرها وكبيرها؛ هذه المخلوقات الكل يوحد ربه، والكل يسبح بحمده، والكل خاضع لخالقه، والكل شاهد بعظمته ووحدانيته، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته، لا إله إلا هو، بيده الملك وهو على كل شيء قدير: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

فهو سبحانه العليم الخبير الذي خلقهم وعلمهم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور/ ٤١].

سبحان الله وبحمده! ما أوسع علمه! وما أوسع رحمته!، وما أعظم إحاطته.

والعقل لا يبصر إلا بنور الوحي؛ لأن العقل لا يخبرنا بالآخرة، ولا يخبرنا بالغيب، العقل لا يبصر ولا يدرك الأشياء على حقيقتها إلا بنور الوحي والنبوة، فإذا اجتمع هذا وهذا أشرق القلب بنور التوحيد والإيمان، ثم جاءت أعمال التوحيد سهلة ميسرة محبوبة في القلب، سهلة على الجوارح: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨].

إطمأننت إليه، لأني أعلم أنه هو القوي، وأنه الرزاق، وأنه الغني، وأنه العليم، وأنه السميع، وأنه البصير؛ فأطمئن إليه، لأنه ربي، وهو الذي يتولاني: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

فلله الحمد والشكر الذي أكرم عباده بالسمع والبصر والعقل، ثم أكرمهم بعلم الوحي والنبوة، بالنور المبين والمعتصم المنيع: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

والواجب على الإنسان أن يتعلم هذه العلوم العالية، علوم النبيين، ودعوة المرسلين، ومعارف الصديقين، وآيات الموقنين، ومشاهدات المتقين، فإذا الإنسان تعلم هذه الأمور؛ وعمل بموجبها، أبصر بجميع حواسه الصراط المستقيم، وسعد بنور العلم والإيمان واليقين: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٢٨٢﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وتفكر وتدبر أيها المسلم واقرأ باسم ربك العليم الذي علم الإنسان ما لم يعلم، فأقرأ مستعينًا باسم الله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾ [العلق/ ١-٥].

وأعظم مفاتيح العلم الإلهي هي القراءة، والقراءة المطلوبة ثلاثة أنواع:

الأولى: قراءة البحث والإيمان: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ٨﴾ [ق: ٦-٨].

الثانية: قراءة الشكر والعرفان: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

الثالثة: قراءة التسليم والاذعان: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥].

ومن قرأ القرآن بتلك الصفات آمن بالله، وكبره وعظمه، وأحبه وأطاعه، وحمده وشكره، وامتثل أوامره، واجتنب نواهيه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١].

ومن أصغى بقلبه لعلم الوحي، وأقبل بوجهه على ربه، وأنصت بسمعه لكلامه؛ أقبل الله عليه، وشرح صدره، وأنار قلبه بنور العلم والإيمان، ومكاشفات اليقين، وفتوحات الإلهام من رب العالمين، وفجر له ينابيع الحكمة من أنهار المعرفة؛ فعبد الله كأنه

يراه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر/ ٩].

فافتح رحمك الله أبواب السمع والبصر والعقل لنور الوحي؛ يضيء قلبك بنور التوحيد والتقوى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق/ ٣٧].

ونعلم أن الله ﷻ يرانا ، ويسمع كلامنا، ويبصر حركاتنا، ويعلم بما في قلوبنا؛ فلنجلس في هذه المجالس العظيمة بالتعظيم الكامل لله ﷻ، والتعظيم والحب لكلامه وكلام رسوله ﷺ، والتواضع لله ﷻ، والاقتداء برسوله ﷺ، ونجلس مجلس جاهل لا يعرف شيئاً، وفقير ليس عنده شيء، وضعيف لا يقدر على شيء إلا بعونه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

والفقه في أسماء الله وصفاته وأفعاله هو رأس كل علم، وإمام كل هدى، وجامع كل خير، ومفتاح كل معرفة: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

وإذا أردت أيها المسلم معرفة الفقه الجامع اليقين المتين؛ فاعلم أن الله الحكيم سبحانه خلق المخلوقات كلها بقدرته جل جلاله، ولها حكمة، فلنقبل الآن بوجوهنا وقلوبنا؛ لنصغي إلى هذه الحكمة العظيمة التي بينها الله ﷻ في كتابه، وإذا عرفناها حقًّا عبدنا الله حقًّا: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

- **فلنتدبر وننظر أن الله ﷻ خلق عوالم العظيمة:**

عالم الجماد .. وعالم النبات .. وعالم الحيوان .. وعالم الإنسان .. وعالم الملائكة .. وعالم الجن.

هذه العوالم الكبرى الستة خلقها الله، وكل له وظيفة، والكل سامع مطيع لمن خلقه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

١ -فالله ﷻ خلق عالم الجماد بأنواعه من هذه الأرض الواسعة، وهذه الجبال الشاهقة، وهذه البحار العظيمة والسموات وغيرها من عالم الجماد، وهذه هي أكبر المخلوقات

وأوسعها.

وهذا العالم من العالم بمنزلة العَظْم من الإنسان؛ هذه المخلوقات العظيمة تشبه الإنسان، فالإنسان له أساس يبنى عليه، أساس الإنسان هو هذه العظام، هذا الهيكل العظمي، هذه المخلوقات التي هي عالم الجماد، هذا العالم الكبير، هو من العالم بمنزلة العظام من الإنسان: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١١].

وبث سبحانه في عالم الجماد أكثر الصفات التي خلقها في الإنسان؛ فخلق من الجماد الكريم واللئيم، والشريف والوضيع، والعالي والسافل، والطيب والخبيث، والحلو والمر، والحسن والقبيح، والسهل والحزن، وهكذا، وجعل له منافع ومضار، ولينًا وقسوة، وحبًّا وبغضًا: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة/ ٧٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لما بدا له أحد: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**» متفق عليه[1].

وهذا جماد، لكن فيه صفات، فهو حي يحب ويبغض، ويسبح ويسجد: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور: ٤١].

وكل ذرة من الجماد في العالم العلوي والعالم السفلي تسبح بحمد ربها، وتشهد بتوحيده، وتخشع لعظمته، وتسرع إلى إرادته، وتخضع لأمره: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٣ – ٤٤].

٢ –وخلق الله سبحانه فوق هذا العالم الكبير عالمًا آخر، هو عالم النبات وهو أقل من عالم الجماد، ونسبة عالم النبات إلى عالم الجماد كالذرة إلى الجبل؛ فلا إله إلا الله! ما أعظم ملكه! وما أكبر العوالم التي في ملكه! وما أكثر الخلائق التي تسبح بحمده! فكلما خلق مخلوقًا

---

(١)متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣٣٣)، ومسلم برقم (١٣٦٥)، واللفظ له.

زاد ملكه، وزاد من يسبحه، فالله ﷻ خلاق يخلق في أقل من ثانية مليارات المخلوقات التي لا يحصيها إلا هو من النباتات والحيوانات وغيرها من المخلوقات: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨٦﴾ [الحجر: ٨٦].

وميز الله سبحانه عالم النبات عن عالم الجماد بالنمو والتكاثر، فعالم الجماد له صفة الوجود واللون والحجم، لكن النبات يزيد عليه بأنه ينمو ويتكاثر، فالشجرة تنمو وتتكاثر.

وفي كليهما في عالم ا لجماد والنبات طيب وخبيث، وحلو ومر، وطويل وقصير، ولين وقاسي، وحار وبارد، وصغير وكبير، ومحمود ومذموم، ونافع وضار: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٩٩﴾ [الأنعام: ٩٩].

والنبات من العالم بمنزلة اللحم من جسم الإنسان؛ فالنبات يشبه اللحم الذي كسا الله به عظم الإنسان؛ فالنبات على الجماد كاللحم على جسد الإنسان؛ فلا بد للنبات أن ينبت على شيء، كذلك اللحم ينبت على عظم الإنسان.

فمنزلة عالم النبات من عالم الجماد بمنزلة اللحم من جسم الإنسان.

وما في الجماد من العطيات، والهبات، والأخلاق، والأنفس، والأرواح هي في النبات أبسط وأشرح وأظهر وأبين من الجماد: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الجمعة: ١].

لا بد أن نعلم هذه الأمور، لا بد أن نعلم أننا لسنا وحدنا في عبادة الله، بل كل المخلوقات تعبد الله بعلم وفقه، وتسبح بحمد ربها، وهي أمم وقبائل، ولها صفات، ولكنها تظهر تدريجيًّا في عالم الجماد، ثم تزيد في عالم النبات.

عن أبي موسى الأشعري ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ،**

وَطَعْمُهَا مُرٌّ» متفق عليه(١).

وكل ذرة، وكل شجرة، وكل ورقة، وكل ثمرة في عالم النبات تسبح بحمد ربها، وتشهد بوحدانيته وعظمة أسمائه وصفاته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۢ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور/ ٤١].

فكل شيء في الكون يسبح بحمد ربه، لأن التسبيح فرع للحي الذي يسمع ويبصر.

٣-ثم انشرحت هذه الصفات واتسعت أكثر في عالم الحيوان، فالله ﷻ خلق بعد عالم النبات عالم الحيوان، ونسبة عالم الحيوان إلى عالم النبات كالذرة بالنسبة للجبل؛ فعالم النبات أكثر من أربعين مليون صنف، منها ما نعلمه، ومنها ما لا نعلمه: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍۢ مُّبِينٍۢ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١١].

وعالم الحيوان يقال في الأرض، أكثر من مليون مخلوق من الحيوانات في البر، وأكثر من مليون حيوان في البحر، فنسبة عالم الحيوان إلى عالم النبات كالذرة بالنسبة للجبل، وكالقطرة بالنسبة للبحر، وكلها تسبح بحمد ربها، وكلها تشهد بجلاله وجماله، جلاله في خلق الكبير، وخلق الصغير، وجماله بأن الله ﷻ سخر لنا التراب لنمشي عليه، وسخر لنا النبات لنأكل منه، وسخر لنا الحيوان كذلك نركبه، ونأكل من لحمه، ونشرب من لبنه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍۢ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍۢ مُّنِيرٍۢ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

فعالم الحيوان، فوق عالم النبات، وعالم النبات فوق عالم الجماد، فهذه الصفات التي في الإنسان؛ انشرحت أكثر في عالم الحيوان الذي يتميز عن النبات بالحركة والحواس، وبث فيه العليم الخبير مكارم الأخلاق وسيئها: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍۢ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۢ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍۢ لِّقَوْمٍۢ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

ويصعد الحيوان في التفاضل إلى أدنى النوع الإنساني، بعض الحيوان نافع، وبعضه ضار،

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٤٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٩٧).

بعضه لئيم، وبعضه كريم، يقال: أكرم من ديك، وأروغ من ثعلب، وأجمع من ذرة، وأحقد من جمل، فهذه الحيوانات لها صفات حسنة وسيئة كالإنسان.

والحيوان من العالم بمنزلة الأعضاء من جسم الإنسان، مكانة الحيوان من العالم بمنزلة أعضاء الإنسان من جسم الإنسان، الأعضاء الموجودة فيه الداخلية والخارجية كالقلب والمعدة واليدين والرجلين والسمع والبصر.

ثم انشرحت هذه الصفات في الحيوان، واتسعت أكثر من الجماد والنبات، فظهرت في الحيوان أفعاله وحركاته من العداوة والبغضاء، والخديعة والمكر، والحب والبغض، والرحمة والقسوة، والحرص والطمع، والحركة والسكون، ففي الحيوانات المسالم والمفترس، والكريم واللئيم، والنافع والضار، والشديد والرحيم: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور/ ٤٥].

وكل حيوان، وكل جماد، وكل نبات، وكل طائر وكل حشرة، وكل ذرة من هذه المخلوقات تشهد لبارئها بالتوحيد وتسبح بحمده: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

وهذه الصفات تترقى من عالم الجماد، إلى عالم النبات، إلى عالم الحيوان.

٤ -ثم خلق الله ﷻ العليم الخبير آدم ﷺ بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وفضله على كثير من خلقه، وكرمه وجعله خليفة في الأرض، وميزه عن الحيوان بالعقل، ثم جعل نسله وذريته من ماء مهين: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

ثم العالم الإنساني أوسع وأشرح وأكثر صفات من الجماد، والنبات، والحيوان، هذا الإنسان خُلق وله مصرفان: مصرف للإيمان، ومصرف للكفر، مصرف للطاعة، ومصرف للمعصية، مصرف للعفو، ومصرف للانتقام، الله جعله قابلًا لهذا وهذا: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا

شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ٢ – ٣].
جمع الله في هذا الإنسان ما في العوالم قبله، وهي عالم الجماد، والنبات، والحيوان.
فالإنسان له حجم وطول وعرض ولون، والإنسان من هذه الناحية يشبه الجماد، والإنسان ينمو ويكبر ويتكاثر بالتناسل، فهو من هذه الناحية يشبه النبات.
والإنسان كذلك يمشي ويقف، ويحس ويتحرك، فهو من هذه الناحية يشبه الحيوان، ولكن يتميز عن هذه المخلوقات كلها بالعقل.
والإنسان من العالم بمنزلة القلب من الجسد، عالم الجماد بمنزلة العظم من الإنسان، والنبات بمنزلة اللحم الذي يكسو العظم، والحيوان بمنزلة الأعضاء، والإنسان منزلته من العالم بمنزلة القلب من الجسد، فجسد لا قلب فيه لا يسمى إنسانًا؛ يسمى جثة، فالإنسان من العالم بمنزلة القلب من الجسد؛ فالأعلى ينزل إليه، ويعطف عليه، كالملائكة والمطر إلى جانب الوحي، والأسفل من المخلوقات مسخر له، وخادم له، هذا الإنسان ما فوقه ينزل عليه ويعطف عليه، كالملائكة الذين ينزلون عليه بالرحمة، والغيث الذي ينزل عليه بالماء، إلى جانب الوحي الذي ينزل من ربنا ﷻ، والأسفل من المخلوقات مسخر له وخادم له: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان: ٢٠].
عالم الجماد، عالم النبات، عالم الحيوان؛ كله في خدمة الإنسان، الملائكة يدعون له ويستغفرون له، والمطر ينزل عليه، والوحي ينزل عليه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية: ١٣].
هذا الإنسان إناء قابل للهداية، وقابل للضلالة، قابل للإيمان، وقابل للكفر، فإن جاءه مذكر؛ آمن واستقام إن أراد الله له الهداية، وإن لم يرد له الهداية؛ يظل على ظلمته، ويطبع الله على قلبه؛ لأنه يعلم أنه لا يصلح للجنة، وليس أهلًا لهذه النعمة، فيطبع على قلبه، لا الكفر يخرج، ولا الإيمان يدخل، وذلك بعد إقامة الحجة عليه: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر/ ٣٥].
فمن هذا النوع الإنساني من جمد على موضع اللب من صفة العقل، فقط يعقل الأمور العقلية، يعقل الدنيا وما فيها، ويزينها ويزخرفها، ويعمى عن موضع نور الإيمان من

العلم الإلهي الذي مكانه القلب، فهذا الإنسان جهل نفسه، ولم يعقل قدر منزلته؛ فكفر بربه، وكابر بنفسه، وجحد فطرته، واتبع هواه؛ فخان أمانته، ونقض عهده، وبطر نعمة ربه، واستكبر عن عبادة فاطره: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فهذا الإنسان لم تنفعه صفاته، وأربى بجهله على جهل البهائم، هذا الإنسان الذي جمد على موضع اللب من صفة العقل، واستعجل الدنيا، واستمتع بها وعمرها؛ أعرض عن الإيمان بربه الذي خلقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

ومنهم من تجاوز بعقله الخلق إلى الخالق، والصور إلى المصور، وتجاوز الدنيا إلى الآخرة، وقدم ما يحب الرب على ما تحب النفس، فآمن بربه وأحبه وعبده وحده، فهذا أعقل الناس: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

- **والعلم علمان:**

علم عالي .. وعلم سافل.

العلم العالي: هو الذي يعرفك بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده ووعيده، ويعرفك بشرعه ودينه، ويحملك على عبادة الله وحده: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

والعلم السافل: هو كل ما سوى ذلك ومنه ما هو محمود ومذموم.

فالعلم علم أعلى، وعلم أدنى، والعلم الأدنى جزء من العلم الأعلى، فالعلم الإلهي الذي نزل في مكة ابتلع جميع العلوم؛ علم فارس، وعلم الروم، وأخضعها للعلم الإلهي، والعلم الإنساني كله ذرة بالنسبة للعلم الإلهي: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

﴿ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾
[الروم: ٦ – ٧].

استعملوا عقولهم في عمارة الدنيا، واستعجال الشهوات، وتزيين المطعومات، والمشروبات، والمركوبات، والمنكوحات، والملبوسات وغيرها؛ فهذا الصنف الضال من البشر مأواه جهنم؛ بسبب خبثه، وفساده، وضلاله، وكفره واتباع هواه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس: ٧ – ٨].

لكن الله لا يعذب أحدًا حتى يرسل إليه رسولًا: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء/ ١٥].

فهذا النوع وإن اخترع الطائرات، والسيارات، والقطارات، وصنع القنابل الذرية، وعلم كل شيء؛ فهو عرف كل شيء، ولكن لم يعرف ربه الذي خلق كل شيء، الذي له ملك كل شيء، رب كل شيء، إله كل شيء، فهذا في غاية الجهل، لأن العلم الإنساني كله يربط المخلوق بالمخلوق، والعلم الإلهي يربط المخلوق بخالقه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾
[محمد: ١٩].

فلا قيمة للعلم الإنساني بالنسبة للعلم الإلهي، ونسبته إليه كالذرة بالنسبة للجبل، لماذا؟ لأن العلم الإلهي يربط المخلوق بخالقه؛ فيكبره ويوحده ويعبده ويطيعه، فالله ﷻ يثيب على ذلك الأمن والسعادة في الدنيا، والجنة والرضوان يوم القيامة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

- **أما العلم الإنساني فهو يربط المخلوق بالمخلوق، وهو على قسمين:**

محمود .. مذموم.

المحمود كالصناعات المختلفة التي نفعت البشرية، لكن هذه لا تنفع إذا لهت الإنسان عن العلم الإلهي: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

والعلم المذموم في صناعة الخمور والمخدرات والسحر، وتعليم الشرك، وصناعة القنابل لقتل الأبرياء، واستعبادهم، وأخذ أموالهم، وإفساد حياتهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا

﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٦].

١ – ودرجة الإنسان في الدنيا والآخرة بحسب إيمانه أو كفره، فإما أن يصعد به الإيمان إلى ما علاه خلقًا ورتبة وهم الملائكة، الذين مزاجهم سمعنا وأطعنا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وإما أن يَسْفُلَ به الكفر إلى ما تحته من الحيوان فما دونه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان/ ٤٤].

لأن الأنعام تأكل وتشرب، وتعطي الحليب والسمن، أما الكافر فيأكل ويشرب، ويكفر بنعم الله ﷻ، فالكافر ممسوخ الباطن إلى ما قارب طبعه من البهائم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد/ ١٢].

ومن كان من هؤلاء الكفار بعض أفعاله حسنة، وأخلاقه كريمة، وسجاياه محمودة؛ فهو مثل الشجر الذي فيه شوك وهو مر، أطلع زهرًا، وأثمر ثمرًا ينتفع به غيره، ولا ينتفع به هو، وفي هؤلاء يقول الحكيم العليم: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان/ ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩].

فهؤلاء عملهم باطل، لأنه لم يقم على التوحيد؛ فليس له أساس، فهم عملوه للدنيا؛ فالله أعطاهم في الدنيا نعيماً، وتمتعوا بهذا النعيم، لكن يوم القيامة ليس لهم من خلاق: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨].

ويوم القيامة يندم كل واحد منهم على كفره واتباع هواه، ولكن لا ينفع الندم: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان/ ٢٦-٢٩].

وهؤلاء أكثر الناس في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣].

٢-أما الصنف الثاني من النوع الإنساني فهم القليل: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

والصنف الثاني من النوع الإنساني هو المسلم الذي قبل الهدى، والذي أبصر الطريق بالعقل والوحي، وحقت له كلمة السعادة، وارتفع إلى عالم أرفع من عالمه، فزكى باطنه بالإيمان، وحسن ظاهره بالأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠].

فهذا هو السعيد الذي أسلم لله وجهه، واستن بما جاء به نبيه ﷺ واقتدى به في نيته وتوحيده وإيمانه وأقواله وأعماله وأخلاقه، هذا هو السعيد الذي أسلم لله وجهه: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢].

فهذا قد أحسن عمله، واستن بما جاء به النبي ﷺ حتى ورد عليه حوضه فأسقاه منه، وشفع له: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾، على هذا القول: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

الله أكبر! ما أعظم هذه النزل لهذا الإنسان الكريم الذي عرف ربه وجاهد في الله حق جهاده، واجتهد في حياته بعبادة ربه، ودعوة خلقه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه، فهذا له نزل عظيم يوم القيامة: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ

رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

ويختلف النعيم بحسب تنوع الأعمال وإخلاصها، يتنوع النعيم للمؤمن في الجنة بحسب تنوع الأعمال القلبية، والأعمال البدنية، وهؤلاء هم الصفوة المختارة، هم عباد الله الموحدون المهتدون: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

وهؤلاء المسلمون درجات في الفهم والهمم، والعلم والعمل، وحسن السيرة والسريرة، لا بد أن نعرف أن المسلمين على درجات في الفهم، وحسب الفهم يكون العمل، يكون الحب لله، والتعظيم لله، والتعبد لله بأنواع العبادات فرضها ونفلها، وسرها وجهرها.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم في الصف الأول من هؤلاء؛ حتى نعبد الله كأننا نراه: ﴿سَابِقُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

ومن هؤلاء من جمع إلى إسلامه حسن المعرفة بمن أسلم وجهه إليه، فعرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وحسن الاقتداء بمن أرسله الله إليه، وهو محمد ﷺ؛ فأضاء قلبه بنور الإيمان، وقام على ظاهره وباطنه شاهدًا بالحق وللحق: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد/ ١٩].

فهذا عرف ربه فأحبه، وعظمه، وعبده، فهذا مع التدبر والتفكر في كل يوم صار يقينه صافيًا قويًا، وتعلق قلبه بربه وحده، وذاق طعم الإيمان وحلاوته، وعبد ربه كأنه يراه، فوقعت منه العبادات صافيةً من الكدر، حلوة الطعم، فارتفع ذكره، وعُرف في السماء اسمه: ﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف/ ١٦].

أما الصنف الثاني: وهو أعلى من هؤلاء، هؤلاء هم من سما بهمته صعودًا إلى المعالي، ليصل إلى الحياة العظمى، والمقام الأكرم، فقطع العلائق القاطعة له عن بغيته، وصعد على المعارج الموصلة إلى ربه، فعرف ربه بأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده، وعرف دينه وشرعه، واستقام على ذلك حتى لقي ربه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فهذا تعبد لربه على مقتضى الأسماء الحسنى، غير مفارق للاقتداء بالمصطفى، ولا متبع سبل الهوى، له في كل بلد دار، وفي كل واد منار، مُؤدٍّ لكل فريضة، سابق إلى كل فضيلة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٤﴾ [الواقعة/ ١٠-١٤].

فنكون مع السابقين؛ لأن الله أخبرنا أنه الأول، فيجب علينا أن نكون نحن الأوائل، في العبادة، في الدعوة، في التعليم، في الاستقامة، في الذكر، في الدعاء، في الأخلاق، في التوحيد، في اليقين، وهذا كله يأتي بالمجاهدة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فالله يريد مني أن أكون الأول إخلاصاً وأعمالاً وأخلاقاً: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١﴾ [النمل: ٩١].

فهذا الصنف من الناس، وهم السابقون المقربون من ورثة الأنبياء والرسل، تراه مع الركع السجود عابدًا، ومع الذاكرين ذاكرًا، ومع الدعاة داعيًا، ومع العلماء معلمًا، ومع المجاهدين مجاهدًا، ومع المحسنين محسنًا، ومع الصابرين صابرًا، ومع القانتين قانتًا؛ فأحبه ربه، واجتباه، وتولاه، وأغناه، وأكرم مثواه، وذكره في نفسه، وأثنى عليه في الملأ الأعلى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة/ ١٠٠].

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٨٩﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وعلمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، واجعلنا للمتقين إمامًا، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك من جهلي بأسمائك وصفاتك، ودينك وشرعك، وخطئي في معصيتي بعد معرفتي، وظلمي في تأخير العمل ونقص العمل، يا غفور يا رحيم: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ

مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

واعلم أخي المسلم وأختي المسلمة أن العزيز العليم جل جلاله خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأفقره إليه في جميع أحواله، ليقف بباب الغني وحده، ولا يذل نفسه لغير ربه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

فسبحان الخلاق العليم القادر على كل شيء! يخلق بيده إذا شاء، ويخلق بكلماته إذا شاء، ويخلق بإرادته إذا شاء: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨١-٨٣].

هو العلي العظيم الذي يعلم كل شيء، والأحكام والأقدار واقعة منه على خلقه في كل حين، والحجب والأستار تحجبه عن خلقه، وهو لا يحجبه شيء، ولا يعجزه شيء: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج/ ٧٠].

هو العليم الخبير السميع البصير بكل شيء: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» أخرجه مسلم(١).

والله هو العليم بكل شيء، وحده لا شريك له، خلق الإنسان وعلمه أشياء، وحجب عنه أشياء؛ ليعرف ربه بكمال العلم والقدرة والغنى، وليعرف نفسه بالجهل والضعف والنقص والفقر: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء/ ٨٥].

فأذن الخلاق العليم للإنسان بشيء من العلم كشفه له، وزوى عنه أبوابًا من العلم لا حاجة له بها في خلافة الأرض؛ فزوى عنه علم سر الحياة، وسر الموت، وسر العقل،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

وسر الروح، وسر الخلق، وسر الساعة، والزمن المستقبل، وكل ذلك غيب لا يعلمه إلا عالم الغيب والشهادة وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان/ ٣٤].

وكل ما يعلمه الخلق من العلوم هبة من العليم القدير، ونسبة ما يعلمونه إلى ما يعلمونه كالذرة بالنسبة للجبل، وكالقطرة بالنسبة للبحر، ونسبة ما يعلمونه وما لا يعلمونه إلى علم الله أقل من الذرة بالنسبة للجبل، بل لا نسبة بينهما البتة: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فسبحان الخلاق العليم، العالم بالكون كله، الناظر إلى ما علمه كله، لا حجاب بينه وبين معلومه: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه/ ٩٨].

ثم أظهر سبحانه الخلق كله بحكمته عالمًا بعد عالم، وقتًا بعد وقت، فجاء الخلق كلهم على بصره وسمعه وعلمه وكلامه كما كانوا أزلًا، وكما كانوا أولًا في علمه وقدرته ومشيئته، بلا زيادة ذرة، ولا نقصان خردلة، لأنه العليم القادر على كل شيء: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

اللهم ربنا ارزقنا شهادة الموقنين، وإيمان المقربين، وعمل المتقين، يا عزيز يا عليم يا كريم.

التعبد لله عز وجل باسمه العليم

الله ﷻ هو العليم بالماضي والحاضر والمستقبل، وما كان وما يكون وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر/ ٧].

هو سبحانه العليم الذي يملك خزائن العلوم كلها: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

هو سبحانه العليم الذي وهب كل مخلوق من علمه: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق/ ٣-٥].

هو سبحانه العليم الذي بيده مفاتيح العلوم والغيوب كلها: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

فإذا عرفنا الله ﷻ باسمه العليم، والأعلم، والعلام، والعالم، إذا عرفناه بهذا الاسم العظيم؛ فكيف نعبده بموجب هذا الاسم العظيم؟ فالله عليم يريد منا أن نكون علماء في الدين، معلمين للدين: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

ومن علم أن الله عليم بكل شيء، أحاط علمه بكل ظاهر وباطن؛ أفاده ذلك أمورًا عظيمة، من الخوف من الله، وخشيته، وتعظيمه، وإجلاله، ومراقبته في السر والعلن، ودفعه ذلك إلى الاستقامة على أوامر الله ﷻ، فزكت أعمال قلبه وجوارحه، ووصل إلى مرتبة الإحسان، فعبد ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه سبحانه يراه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

وقام بين يدي ربه خائفاً منه، راجياً له: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

وأفاده كذلك التسليم لأحكام الله القدرية والشرعية، فيطمئن قلبه، ويسكن بما قضاه الله وقدره من المصائب والمكروهات، ويعلم أنها لم تقع إلا بعلم الله الحكيم الخبير بما

يصلح عباده، وأنها ليست تشفيًا ولا عبثًا وإنما هي مصلحة ورحمة وتربية: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد/ ٢٢-٢٣].

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة: ٥١].

ويسلم قلبه كذلك لأحكام الله الشرعية، ويرضى ويفرح بها؛ لأنها من عليم حكيم، يعلم ما يصلح عباده، ويسعدهم في الدنيا والآخرة، فيأمرهم به، ويعلم ما يجلب لهم الشر والشقاء فينهاهم عنه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

وأفاده كذلك الثبات في ميادين الخوف وقتال الأعداء؛ لأنه يعلم أن ربه عليم بحاله، يسمع ويرى كيد الأعداء، وأنه محيط بالكافرين: ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٦﴾ [يس/ ٧٦].

﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٦ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾ [يس: ٧٦ - ٧٩].

وإذا كنت تعلم ذلك فلا تخاف؛ لأن ربك هو الوكيل عليك، وهو الذي بيده ناصية كل مخلوق: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

وأفاده العلم بأن الله بكل شيء عليم، الأنس بربه، والتقرب إليه بما يحبه ويرضاه، وسؤاله حاجته؛ لأنه عليم بجميع أحوال خلقه؛ فيتضرع إليه، وينكسر بين يديه، ويوجه شكواه إليه، ويلقي بحاجته عند بابه، فإذا وافق هذا التضرع حسن ظن بالله، وقوة اضطرار، وصدق توجه إلى ربه؛ لم تتخلف إجابة الكريم العليم الرحيم له: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

والعبد المسلم إذا عرف أن ربه هو العليم بكل شيء، العليم الذي عنده خزائن العلوم؛

أفاده ذلك الحرص على طلب العلم الشرعي، وسؤال ربه الزيادة منه، والعمل به، وتعليمه للخلق، والتواضع لله الذي علَّمه، وعدم التكبر والفخر به على الخلق﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يمجد ربه باسمه العليم، ويدعوه به، ويتوسل إليه به في جميع حاجاته، في طلب العلم، فيقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾[البقرة/ ٣٢].

ويتوسل إليه به في طلب قبول العمل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[البقرة/ ١٢٧].

وقوله سبحانه عن دعاء يعقوب ﷺ: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾[يوسف/ ٨٣].

وقوله سبحانه عن استجابته لدعاء يوسف ﷺ: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾[يوسف/ ٣٤].

ويتأكد الدعاء والثناء على الله ﷻ بهذا الاسم عند سؤال الله العلم والفهم والحكمة؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ**» أخرجه البخاري[1].

وكذلك يتأكد عند الاستخارة.

قال النبي ﷺ: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَخِيرُكَ بِقُدْرَتِكَ؛ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** » أخرجه البخاري[2].

هو سبحانه العزيز العليم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وإذا عرف العبد ذلك توجه إلى ربه، وعمل بصدق وإخلاص، وعدم الالتفات إلى ما سوى ربه ﷻ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

والعليم جل جلاله يحب أسماءه وصفاته، ويحب من عباده أن يتصفوا بها، ويعبدوه

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٧٥٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٢).

بموجبها.

فاعرفوها، وأحصوها، واعلموا معانيها، وتعبدوا لله بها، فالله مؤمن يحب المؤمنين، والله محسن يحب المحسنين: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف/ ١٨٠].

وإذا عرفت ذلك؛ فاعلم أن أول الواجبات عليك طلب العلم من العليم سبحانه؛ لأنه لا يمكن عبادة الله ﷻ بما شرعه إلا بعد معرفته، ومعرفة دينه، ومعرفة ما يحبه ويرضاه، ومعرفة ما يكرهه ويسخطه: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران/ ٧٩].

فاطلب العلم من العليم، واستكثر منه، تتقي الله وتخشاه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

فإذا كنتُ عالمًا؛ أعمل بعلمي، وأعلِّم غيري، فأنا لا أستطيع أن أعبد الله حتى أعرف الله بأسمائه وصفاته، ولا أستطيع أن أعبده بما يحبه ويرضاه حتى أتعرف على شرعه ودينه، وذلك لا يتم إلا بالعلم، ولا أعرف الحلال من الحرام إلا بالعلم، ولا أعرف الطيب من الخبيث إلا بالعلم، ولا أعرف قيمة الدنيا ولا قيمة الآخرة إلا بالعلم، ولا أعرف عدوي الوحيد إلا بالعلم: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

فالعلم الإلهي هو أساس كل شيء: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

وطلب العلم من أعظم العبادات، وكلما زاد علم المسلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ودينه وشرعه؛ زاد نور الإيمان في القلب، وخلص التوحيد مما يكدر صفاءه، فتلذذت النفوس بالعبادة، وانقادت الجوارح للطاعة، ولهجت الألسن بالذكر والتسبيح، والتكبير والتحميد، وارتفعت درجة العبد عند ربه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[المجادلة/ ١١].

فكن عالمًا، ومعلمًا، ومتعلمًا، وعابدًا، وداعياً، ومحسنا، هذه دائرة العلم، درجة عالية في الدين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟

بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٢ – ١٤].

هذا العمل جسد، وروحه الإخلاص، والإخلاص أن يكون صافيًا مما يكدره من شوائب الرياء، أو الكبر، أو النفاق: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

فسل ربك العليم بكل شيء أن يعلمك ما ينفعك، وأن ينفعك بما علمك، وأن يرزقك من فضله وعلمه ما يقربك إليه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾﴾ [طه/ ١١٤].

وسل ربك العليم الخبير كل خير، وتعوذ بالله من كل شر، قائلًا ما قاله رسوله ﷺ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»** أخرجه مسلم[1].

وعليك بالتفرغ لطلب العلم؛ لتسير إلى ربك بنور ودليل: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦].

وإذا عرفت فالزم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

وعليك بصدق الإخلاص، ودوام النظر في آيات الله الكونية التي تملأ القلب إيمانًا وتوحيدًا وتمجيدًا للرب ﷻ، وحمدًا له، وحسن التدبر والتفكر في آيات الله الشرعية، فذلك طريق الوصول إلى علم اليقين، وتوحيد رب العالمين: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

ماذا في السموات والأرض من العوالم المختلفة؟.

ما هي عظمة السموات والأرض؟ وماذا في السموات والأرض؟ وكم سعة السموات

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٦).

والأرض؟ وما فيهما من المخلوقات المختلفة من الملائكة والجن، والإنس، والحيوانات، والنباتات، والجمادات، والذرات، والكبير، والصغير، والنور والظلام، والجبال والبحار، والشمس والقمر والنجوم: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [ق: ٦ -٨].

والقرآن مفتاح العلم كله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [الجاثية: ٦].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

الحمد لله؛ الذي فطرنا على التوحيد والإيمان، وأعطانا الأسماع والأبصار والعقول التي نعقل بها، فنرى المخلوقات ونتجاوزها إلى الخالق، ونرى الصور ونتجاوزها إلى المصور، ونرى الدنيا ونتجاوزها إلى الآخرة، ومَنَّ علينا بإرسال الرسول الذي بَيَّن لنا ما يحب الله، وما يسخط الله، وما أمر الله به، ما نهى الله عنه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر/ ٧].

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

فلله الحمد والشكر أن خلقنا، ورزقنا، وهدانا، ومَنَّ علينا بأن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فلا سعادة ولا فوز ولا نجاة في الدنيا والآخرة إلا بالإيمان والعمل الصالح، ولا إيمان إلا بعلم بالله ودينه.

فمن أراد النجاة والفوز والفلاح فعليه بالتفرغ لطلب العلم؛ ليسير إلى ربه بنور ودليل، ويعبد ربه بما عرفه من أسمائه وصفاته، ودينه وشرعه، فعلم أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، جماع علوم الدين، ومفتاح أبواب التوحيد والإيمان: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾ [محمد: ١٩].

حتى تعبد الله كأنك تراه اعلم أنه ليس في الكون إلا إله واحد: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ

﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

فمن عرف أن له ربًّا كريمًا يكرم المطيعين له، وأن طاعتهم له تكون بعد توفيق الله على قدر معرفتهم به؛ فجدير بهذا العبد ألا يزهد في القرب من ربه الكريم؛ حتى يصل إلى حقيقة التوكل عليه، وصدق التوجه إليه، ودوام الانقطاع إليه، ولزوم طاعته، والاستغناء به عمن سواه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [الشورى/ ١٠].

فأنا بين يديه عابدًا، وأنا لا أقدر على العبادة إلا بقدرة وإعانة منه، ولا أستطيع أن آتي بالعبادة التي يحبها الله إلا بعون منه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

فمن علم ذلك فليحمد الله، ويشمر لطاعة مولاه، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣﴾ [فاطر/ ٣].

وإذا لم يكن فيه خالق إلا الله؛ فهو المستحق للعبادة، وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والعبادة نفعها عائد علينا، والله ﷻ لا ينتفع بها، بل هو الغني عن كل ما سواه، وغني عن كل ما في الكون، وإن كان لا يعرف ربه فبكاؤه على نفسه آكد الأشياء عليه، فليبادر هذا العبد إلى التوبة، وسلوك الصراط المستقيم، والتواب الرحيم ﷻ يقول له: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ [طه/ ٨٢].

ويقول له: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء: ١١٠].

واعلم وفقك الله لمعرفته، وحسن عبادته، أن فضائل النفوس إنما تزكو وتعلو بالعلم والإيمان بالله: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

فلا بد للإنسان من المجاهدة، فإنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، فلا بد للإنسان من بذل الجهد، حتى يتعلم؛ لأننا في دار الأسباب، فلا بد من فعل الأسباب، فالدنيا لها

أسباب، والآخرة لها الأسباب، أسباب الآخرة أن تأتي بالأسباب من الإيمان والأعمال الصالحة، وأسباب الدنيا أن تبذل الجهد في طلب المعاش، فلا يقعد الإنسان، بل لا بد أن يعمل الإنسان، لكن يعمل بسُنَّة، ويأكل بسُنَّة، ويمشي بسُنَّة، وينظر بسُنَّة، ويسمع بسُنَّة، ويلبس بسُنَّة، ويركب بسُنَّة، فسنن الدين قد ملأت حياة الإنسان من مولده إلى وفاته: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٨].

فالعلم درجة عالية ترفع الإنسان من المقام الأدنى إلى المقام الأعلى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

وبقدر تفرغ طالب العلم للنظر والتفكر والتدبر في آيات الله ومخلوقاته، يصغي إليه قلبه بسمعه، ويبصره بسبل هدايته، فتتفجر ينابيع الحكمة والعلم والعمل من قلبه ولسانه وجوارحه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

إذا المسلم تفرغ للنظر والتدبر والتفكر في آيات الله ﷻ؛ امتلأ قلبه بالإيمان، ثم تطلع إلى العمل، فأصبح يذكر الله ويخشاه، ويفتقر إليه، وينكسر بين يديه، وصارت الجوارح تعمل بطاعته، واللسان ينطق بذكره، وشكره، وحمده، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ومن عرف الله حقاً سارع إلى طاعته في كل أمر: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

إذا امتلأ القلب بنور الإيمان؛ أبصر الإنسان الطريق إلى الله، وتفجرت ينابيع الحكمة والعلم من قلبه ولسانه وجوارحه، كالماء النازل على الأرض من السماء، إذا نزل أنبتت الأرض من كل زوج بهيج؛ فهذا الوحي إذا نزل على القلوب أنبت: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأنبت: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْأَـٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١١٢].

ينبت الأخلاق العالية، وينبت الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، كالماء النازل من السماء على الأرض اليابسة المغبرة: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج/ ٥].

أنبتت من كل زوج بهيج يسر الناظرين، نباتات مزهرة، ونباتات مثمرة، ونباتات مورقة، ثم رتب على ذلك خمسة أمور، ليس القصد النبات فقط، إنما القصد أن يتذكر الإنسان، ويأخذ عبرة من الماء النازل على الأرض، فتأتي هذه النباتات الطيبة.

وبالمقابل ينبت نباتات أخرى سامة، كما أنه ليس كل الناس يقبل هدي القرآن، منهم من يؤمن، ومنهم من لا يؤمن، فرتب الله ﷻ على نزول الماء من السماء على الأرض وإنباتها هذه النباتات التي تسر الناظرين خمسة أمور، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج/ ٦-٧].

فبقدر سعة معرفة العبد بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة أقداره العظيمة، وأوامره النافذة، وأحكامه العادلة، ونعمه السابغة؛ يستبين للعاقل عظمة الخطر، وجلال الخطب، ومقدار الجهل، وحجم التقصير، ونقض العهد، وإضاعة الأمانة؛ فالله لعن بني إسرائيل لما أضاعوا الأمانة: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة/ ٧٨].

فمن أدى الأمانة أفلح، ومن خانها خسر: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٢-٧٣].

فلا بد من التذكير بالعهد الأول، ولأمانة العظمى التي هي الدين، ولا بد من نقل الناس بالعلم الصحيح وبالإيمان من الجاهلية إلى العلم الشرعي، من العلم بالإله، والعلم بأوامره، والعلم بوعده ووعيده: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ

ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ [إبراهيم: ١].

حكم الجاهلية، وظن الجاهلية، وحمية الجاهلية، وتبرج الجاهلية، زالت هذه الأمور بالعلم الإلهي: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة/ ٢].

ونقض العهد، وعدم الوفاء به، وقطع ما أمر الله به أن يوصل من نشر التوحيد والإيمان والأعمال الصالحة؛ من أعظم الذنوب الموجبة للعنة الله وعقابه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد: ٢٥].

فنستمر على الوفاء بعهد الله، ونعبد هذا الرب العظيم الذي ربانا بنعمه المادية والروحية، نقوم بوظيفة الأنبياء والرسل، فكما الله ﷻ أمر الرسول ﷺ بالدعوة بقوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥].

كذلك أمرنا بالدعوة بقوله: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

وكما أمر الله رسوله ﷺ بتعليم الأمة بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢].

فكذلك أمر أمته بقوله: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وهذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، تعبد الله، وتدعو إليه في الدنيا، وترافق الأنبياء في الجنة في الآخرة، لأنها تقوم بجهد الأنبياء في الدنيا، وهو الدعوة إلى الله، وعبادة الله وتعليم شرع الله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

وكلما زاد العلم بالله وأسمائه وصفاته زاد نور الإيمان في القلب، وزاد الانتفاع به، وزاد القلب رقةً وخضوعًا لربه العظيم، وزاد هيبةً وخوفًا وإشفاقاً، وكان الخشوع بقدر

الخوف، وكان النشاط بقدر الرغبة، وكان الحياء بقدر المعرفة، وكان الحذر بقدر الهيبة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون/ ٥٧-٦٢].

فكل شيء مكتوب أقوالًا وأعمالًا وأخلاقًا، وكل عمل مسجل، وكل سوف يَرى ويسمع ما عمله واحدةً بواحدة، تأتي لقطة الإنسان وهو يعمل العمل الصالح أو العمل السيئ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

ولا سعادة للإنسان إلا أن يسير على هدي النبي ﷺ الذي حياته أجمل حياة، وأخلاقه أجمل أخلاق، وأعماله أزكى الأعمال، وأقواله أحسن الأقوال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

وإياك وطلب الأمور بغير أسبابها، فمن ابتغاها في غير سبلها فقد ضل سعيه، وأخطأ بغيته، وفاته ما يطلبه، واستوجب عقوبته.

فالإنسان إذا عرف الله آمن به وعبده وحده فليسأل الله ﷻ أن يعلمه الحق وأن يرزقه اتباعه، وأن يعرف الباطل، ويرزقه اجتنابه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/ ١١٥].

فلا إكراه في الدين: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإنسان/ ٢٩].

وليس للخير والسعادة إلا باب واحد؛ باب فتحه الله ﷻ لعباده بهذا الدين الحق، الذي فيه سعادة العبد في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر/ ٧-٨].

والله أعطى الأسماع والعقول والأبصار، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأقام الحجة: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس/ ١٠٨].

فالله ﷻ جعل للإنسان الاختيار، والله ﷻ رؤوف بالعباد؛ فطر جميع المخلوقات على

معرفة ربها وفاطرها، فهي قانتة لعظمته، عابدة له، خاشعة لجلاله، خاضعة لكبريائه، شاهدة بتوحيده، مسبحة بحمده، منقادة لطاعته؛ لأن الله ﷻ ألزمها من معرفته ما لا تستطيع إنكاره ولا جحده: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد/ ١٥].

هم عرفوا الله ﷻ حق المعرفة، وفطرهم الله على ذلك، فجميع المخلوقات قانتة لربها، سامعة مطيعة، لكن الإنسان له اختيار، فمن رحمة الله أن منعه من رؤية ربه في الدنيا، لو رأينا الله عيانًا، لبطل التكليف، وبطلت الشريعة؛ لأنا إذا رأيناه؛ رأينا ملكًا قادرًا قاهرًا قويًّا عزيزًا جبارًا عظيمًا كريمًا، فلا بد أن نعبده ونطيعه؛ لأن النفوس تحب العظيم، وتحب الكريم، فلا بد أن نعبده ونطيعه ولا نعصيه، لأنه لا أعظم منه، ولا أكرم منه.

- **والناس فطرة يتعلقون باثنين:**

إما عظيم .. وإما كريم .. فالعظيم يحتمون به، والكريم يستفيدون منه.

فنحن ولله المثل الأعلى لو أن الله ﷻ ظهر لنا عيانًا لبطل التكليف، وبطل الأمر والنهي، وبطل الوعد والوعيد، وانتفت العبادة؛ لأننا سوف نطيعه تمامًا، لكن الله جعلنا أمة مختارة، جعل من خلقه من يأتي إليه اختيارًا لا إجبارًا، والله يحب أكثر من يأتي إليه اختيارًا، وهو قادر ألا يأتي إليه.

فسبحان الرب العظيم الحكيم العليم الذي عَرَّف خلقه بنفسه، وعرَّفهم بأنفسهم، وألهمهم معرفة ربوبيته، وسخرهم لعبوديته، حين ابتدأ خلقهم، وخص آدم ﷺ وذريته بمزيد من المعرفة والإكرام: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٢-١٧٣].

فلا بد للإنسان أن يعرف أنه قد حضر هذا العهد، وأقر لربه بالتوحيد: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الله ﷻ أخرج من صلب آدم ذريته، ثم أشهدهم على أنفسهم، وأقروا له بالربوبية، ثم ردهم إلى صلب أبيهم آدم ﷺ.

فنحن قد حضرنا هذا اللقاء، فلما أقررنا له بالربوبية؛ ردنا الله في صلب آدم، ثم أخرجنا جيلًا بعد جيل، وقرنًا بعد قرن، فالله قادر أن يجمع البشرية كلها في صلب آدم وقد فعل، ثم يخرجها أجيالًا وأممًا، ثم يعيدها إلى الأرض، ثم يعيدها ويحييها مرةً أخرى للحساب والجزاء: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦].

نحن قد حضرنا هذا المشهد، وأقررنا لله ﷻ بالربوبية، أقررنا أنه هو ربنا، هو الذي خلقنا، وهو الذي يربينا بنعمه المادية، فنحن نسكن في ملكه، ونأكل من رزقه، ونعيش بنعمه، والله ﷻ كل نعمة منه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل/ ٥٣].

فكلٌّ حضر هذا العهد، وكلٌّ أجاب وأقر بأن الله ﷻ ربه، وهذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فعرف الخالق العليم خلقه يومئذٍ بأنه هو ربهم، فالخلق حينذاك جميعًا ونحن منهم عرفنا يومئذٍ ربنا معرفة لا ينبغي لنا بعدها أن ننكرها أبدًا، وذل الخلق له يومئذ ذلًّا لا ينبغي لهم أن يعتزوا بعده بغيره أبدًا، وخافه الخلق يومئذ خوفًا لا يمكن أن يخرجوا منه أبدًا، خافوا من ربهم، وأقر الخلق له بالملك إقرارًا لا يجوز أن يستنكفوا بعده عن عبادته أبدًا.

ولهذا الله ﷻ يقول للنبي ﷺ: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الغاشية/ ٢١].

فذكر بماذا؟ فذكر بالعهد الأول: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

واعلم أن نفيس العلم لا ينال بالأماني وراحة الجسم، فشمر رحمك الله في طلبه، واعلم أن العلم أبوابه كثيرة، وأوسع أبوابه وأنفعها باب الإيمان والتقوى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

وكل علم لا يورث التقوى والخشية لا خير فيه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر/ ٢٨].

وكل علم لا يورث التقوى والخشية لا خير فيه؛ لأنه يولِّد الكبر، والعجب بالنفس، ويورث الجدل، ويشغل المخلوق عن خالقه، ويرغبه في الدنيا، ويزهده في الآخرة: ﴿ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم/ ٦-٨].

يا حسرة على العباد، لقد أطاع أكثرهم الشيطان، وعصوا الرحمن: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠ – ٦٢].

واعلم أن العلم بحر لا ساحل له، وعزيز لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، وهو مع الإيمان أعلى درجات الفضائل، فاطلبه واعمل بموجبه، وزين به روحك وقلبك ولسانك وجوارحك: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة/ ٤].

وأعظم العبوديات لله هو العلم الإلهي، لأنه أصل كل عمل، ولهذا أمر الله رسوله ﷺ بطلب الزيادة منه بقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

فتعلم العلم، واعمل لله بموجبه، وانشره بين الناس في كل مكان، وكن كالشمس في الإنارة، وكالسحب في نزول الغيث، كالأرض في الإنبات، يحبك الله، ويحبك أهل السماء والأرض، ويزيد أجرك، وترتفع درجتك: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وإذا علمك العزيز العليم ما لم تكن تعلم؛ فتواضع للذي علمك، وعلم المسلمين ما ينفعهم في دينهم ودنياهم؛ يرضى عنك ربك، ويحمد فعلك: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

واعلم أن العليم جل جلاله عنده خزائن العلم، وأنزل منها لعباده من العلوم ما يسعدهم في دينهم ودنياهم، ورغبهم فيما يقربهم إليه منه؛ فاختر النفيس على ما دونه، وتعلم واعمل وعلم تغنم وتؤجر: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

فما أعظم العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ودينه وشرعه! وما أقبح الجهل بالله ودينه والاستكبار والعناد والظلم والفساد!: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ

﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٦٢ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٦٣﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣].

فاعرف رحمك الله ربك، واعرف دار السرور، ودار الغرور: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد/ ٢٠].

والناس في معرفة ربهم متفاوتون في العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعلى حسب كمال معرفتهم بربهم يكون كمال إيمانهم، وكمال عبادتهم، وكمال خشيتهم لربهم.

ومثلهم في درجات العلم كمثل إنسان عرف النطفة، ولم يعرف العلقة، وآخر عرف النطفة والعلقة ولم يعرف المضغة، وآخر عرف الثلاث ولم يعرف الروح والجسد، وآخر عرف ذلك ولم يعرف بقية العوالم، عالم السموات، وعالم الأرض، وعالم الملائكة، عالم الجن؛ فهؤلاء متفاوتون في العلم، وكل يتكلم ويعمل حسب معرفته، ومن ذاق عرف، ومن عرف غرف: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ١٤﴾ [الواقعة: ١٠-١٤].

فهؤلاء ما سبقوا إلا لأنهم علموا وعملوا، فلما عرفوا الله ﷻ بأسمائه وصفاته؛ سابقوا في مرضاته للفوز برضوانه وجنته: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

وأول ما يجب على العبد معرفته من العلم معرفة الرب ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ لأني عبده، وأسكن في ملكه، وآكل من رزقه، فعلي أن أمتثل أمره، واجتنب نهيه، لأني أعبده: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ [آل عمران: ٣٢].

فتعلَّم العلم الإلهي، فالعلم بحر لا ساحل له، ثم اصعد في درجات العلم والمعرفة؛

لتزداد إيمانًا ويقينًا، وعلمًا وعملًا، ودعاءً وذكرًا، وخوفًا وطمعًا وحبًا وذلًا: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة/ ٩٨].

﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

فاعرف ربك الرحمن الرحيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى؛ والأفعال الكبرى لتكبره وتحبه وتحمده: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٥-٨].

اعرف ربك العليم؛ لتتعبد له جل جلاله بأسمائه وصفاته، اعرف ربك العليم العلي العظيم؛ لتعظمه وتمجده: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

اعرف ربك الرزاق الذي ملأ الكون بنعمه؛ لتشكره وتحمده وتستغفره: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

اعرف ربك الخلاق العليم الذي بيده الخلق والأمر؛ لتطيعه وتعبده، وتعرف عظمة ملكه وسلطانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وإذا عرفت ذلك آمنت به، وأحببته، وعبدته وحده، ونلت ثوابه.

اعرف ربك الكبير؛ لتعرف أن كل ما سواه صغير: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

اعرف ربك الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء في ملكه؛ لتشكره، وتطيع أمره، وترحم خلقه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

اعرف ربك الحق؛ لتعرف أن كل ما سواه باطل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج/ ٦٢].

اعرف ربك الملك الحق الإله الحق؛ لتعلم أن كل ما سواه عبد: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٣-٢٤].

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية/ ٦].

وإياك رحمك الله والإلحاد في أسماء ربك وصفاته بالتشبيه أو التعطيل، فربنا عظيم له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

هو السميع الذي ليس كمثله شيء في السمع؛ هو العليم الذي ليس كمثله شيء في البصر، وهكذا في بقية الأسماء.

فصف ربك بما يليق به، ونزهه عما لا يليق به، ولا تلحد في أسمائه وصفاته، ووحده، وتقرب إليه بدعائه بها، وعبادته بموجبها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فإذا لم يعرف قلبك هذه المعارف الإلهية العظيمة، ولم يرق لنفسك هذا الحديث؛ فاعلم أنك مصاب أو مجروح أو مطرود أو ميت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد/ ١٦].

فلا تيأس، اجلس على موائد الإيمان، على موائد العلم، فتتعلم وتفيق وتصحوا: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد/ ١٧].

فبادر إلى سلوك الصراط المستقيم؛ لتصل إلى ربك العظيم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وأكثر من ذكر الله ليحيا قلبك: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

لا تكن من الغافلين فتساق إلى جهنم مع الكافرين.

فاعرف ربك العظيم، واعبده حتى يأتيك اليقين: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنفال: ٦١].

ولا تكن من الغافلين فتساق إلى نارالجحيم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف/ ١٧٩].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف/ ٢٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران/ ٨].

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾[الشعراء/ ٨٣-٨٥].

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا، إنك أنت السميع العليم.

اللهم أنت العليم بسرائرنا فأصلحها، وأنت العليم بحوائجنا فاقضها، وأنت العليم بذنوبنا فاغفرها، وأنت العليم بعيوبنا فاسترها.

اللهم املأ قلوبنا بالإيمان واليقين، والعلم والهدى، يا رب العالمين: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨١].

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســــم الله

القدوس

اسم الله القدوس

أول علم يجب على العبد أن يتعلمه هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

والعلم بلا إله إلا الله هو أن أعرف الله، وأسماءه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعده، ووعيده، وأعرف أحكامه القدرية، وأعرف أحكامه الشرعية، وبهذا يمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان، فينشرح الصدر للتعبد للرب ﷻ؛ حباً له، وتعظيماً له، وذلًّا له جل جلاله، وبهذا نجد طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان، وحقيقة الإيمان.

والناس في هذا وهذا درجات، بحسب العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بأحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى؛ فلابد للقلب أن يعرف هذا عن ربه ﷻ؛ فمعرفة المعبود قبل معرفة أوامره.

فالله ﷻ هو الملك القدوس المنزه عن كل ما ينافي كماله في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو سبحانه المقدس عن كل عيب، السالم من كل نقص.

وهو سبحانه القدوس الطيب الذي له كل قدس وطهارة وتعظيم.

القدوس الموصوف بأكمل الصفات، الممدوح بأحسن المحامد والفضائل: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [الجمعة/ ١].

وهو سبحانه الملك القدوس الطاهر من كل عيب، المنزه عما لا يليق بجلاله من صفات النقص والعيب، الذي لا يماثله أحدٌ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو الموصوف بصفات الكمال، المنزه عن صفات النقص، والعيب، ومماثلة الخلق: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ

﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

وهو سبحانه القدوس الذي تباركت أسماؤه، الذي كثرت وعمت خيراته في السموات والأرض في كل حين، فما ترى من نعمة إلا وهي منه، وكل ذرة في الكون من نعمه ومن فضله العظيم: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل/ ٥٣].

وجميع النعم الظاهرة والباطنة منه وحده لا شريك له: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان/ ٢٠].

فطهور الحق سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم من نور الشمس، بل أضعافاً مضاعفة، فالحق من قوة ظهوره لا يُرى من قوة ظهوره، كما أن الإنسان الذي في عينيه مرض لا يبصر في نور الشمس الأشياء إلا بشدة، لكن ظهور الحق؛ أبين من كل بين، وبين للناس نفسه، المبين الذي بَيَّن الدين، ووضح الأحكام، وبين كل شيء: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩].

فهو سبحانه الملك القدوس الذي كثرت وعمت خيراته في السموات والأرض، في كل حين، فتباركت ذاته؛ هو الذي يرحم، هو الذي يغفر، هو الذي يعفو، هو الذي يرزق، هو الذي يعطي العافية، هو الذي يدافع عن الذين آمنوا، هو الذي يسقينا، هو الذي يُطعمنا؛ فتباركت ذاته، وتباركت أسماؤه وصفاته.

فهو الرزاق ولا رازق مثله، الرحمن ولا راحم مثله، الشكور ولا شاكر مثله، تباركت ذاته، وتباركت أسماؤه وصفاته: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾[الرحمن/ ٧٨].

والقدوس المبارك، ومنه الأرض المقدسة؛ أي: المباركة، كما قال سبحانه: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ﴾[المائدة/ ٢١].

وهو سبحانه الملك القدوس العظيم الذي لكماله تنزه عن أن يماثله أحد من خلقه، أو يكون له ندٌ أو مثيلٌ أو شبيهٌ أو كفوًا أو سمي بوجه من الوجوه: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم: ٦٥].

فهو الواحد الأحد، وليس كمثله أحد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

هو القوي الذي ليس كمثله شيء في القوة، لا السماء، والأرض، ولا الجبال، ولا الشمس، ولا البحار، ولا الرياح، هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي، هو القوي الذي عنده خزائن القوة، هو القوي وحده، وكل ما سواه من خلقه فهو لا يحمل من القوة ما تحمله ذرة أو هباءة طائرة؛ لأنه القوي الذي وهب القوة لكل قوي فصار قويًّا: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

وهو سبحانه الملك الذي له الملك والعزة والجبروت، والأمر والنهي، القدوس الطاهر في ذاته وأسمائه وصفاته، المنزه عن صفات النقص، الطاهر في نفسه، المطهر لغيره، الذي يُطهر من شاء من خلقه من الشرك والرجس، ويحليهم بما يرضيه من الإيمان والتقوى وحُسن العبادة، من الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين، والمسلمين والمؤمنين: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٣].

وهو سبحانه القدوس المنزه أن يكون له شريك في ألوهيته، أو ظهيرٌ أو معينٌ في ربوبيته، ليس له شريك يستحق العبادة معه، وليس له شريك أو ظهير أو معين أو ولي من الذل في ربوبيته: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١١].

والله جل جلاله هو القدوس المستحق للتقديس، والتنزيه، والإجلال.

القدوس في خلقه، وفعله، وأحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، والجزائية؛ لاشتمالها على كل خير، ونزاهتها عما ينافي الحكمة، والهدى، والإحسان، والعدل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فهو سبحانه القدوس الطاهر الذي كل بركة منه، وكل خير منه، وكل نعمة منه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

والله سبحانه هو القدوس السبوح، ومعناه: تبعيد الله وتنزيهه عن السوء والنقص والعيب على وجه التعظيم له جل جلاله، فالتسبيح تنزيه للرب عما لا يليق بجلاله،

متضمن للتعظيم، تنزيه الله عن النقص والعيب، وتنزيه الله عن الشبيه والمثيل، وتنزيه الله عن صفات الكمال في البشر، وذلك متضمن للتعظيم لله جل جلاله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء: ٤٣].

فالله قوته ذاتيه، مطلقة تامة، وأنا وكل مخلوق قوتي محدودة، وقوتي مخلوقة وقوتي موهوبة.

- **فالله منزه عن ثلاثة أشياء:**

أولًا: عن صفات النقص والعيب.

ثانيًا: منزه عن الشبيه والمثيل.

ثالثًا: منزه عن صفات الكمال في البشر.

يقال: فلان عالم أو علامة، والله عليم وعلام، لكن ليس علمي كعلم الله؛ لأن علم الله مطلق، وعلمي محدود، علم الله ذاتي وعلمي مكتسب.

فهو ﷻ سبوح قدوس، فالسبوح تصريح بالتنزيه لله عما لا يليق بجلاله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠].

والقدوس تصريحٌ بالعظمة، والقدوس هو الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا؛ فالقدوس تصريح بالعظمة، متضمن للتنزيه؛ فقولنا: هو كذا ظاهره التقديس، وقولنا: ليس بكذا ظاهره التسبيح، وقد جمع الله بينهما في سورة الإخلاص، فقوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٢]؛ هذا تقديس وتعظيم للرب ﷻ بإثبات صفات الكمال له.

وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤]؛ هذا تسبيح وتنزيه لله عما لا يليق بجلاله.

فالتسبيح تنزيه لله ﷻ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق به، وفي نفس الوقت إثبات للمحاسن والمحامد والصفات الكاملة لله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء/ ٤٣].

فالتقديس، إثبات صفات الكمال لله ﷻ، كقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

هذا تقديس، إثبات صفة الحياة والقيومية، والتنزيه: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

ودائماً في القرآن يرد هذا وهذا، فالتسبيح: تنزيه الله ﷻ في ذاته وأسمائه وصفاته عن كل ما لا يليق به، وفي نفس الوقت إثبات المحاسن والمحامد والصفات الكاملة له، والتقديس: إثبات الصفات الكاملة لله ﷻ، مع تنزيهه عما لا يليق بجلاله:﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء/ ٤٣-٤٤].

وهو سبحانه الملك القدوس السلام؛ فهو القدوس المتصف بصفات الكمال، المنزه عن كل عيب ونقص، السلام الذي سلم من كل آفة وعيبٍ ونقص، المنزه عن الظلم والجهل والجور، الذي أفعاله سالمة ومنزهة عن الشر فالخير كله بيديه، والشر كله ليس إليه:﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه/ ٨].

فصفاته ﷻ كاملة مقدسة عن النقص والعيب، وأفعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها أصلًا، جميع أفعال ربنا ﷻ من المحبوب والمكروه، كل أقضيته خيرات محضة لا شر فيها أصلًا:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[آل عمران/ ٢٦].

فكل ما يقضيه الله ﷻ فهو خير، عذابه وانتقامه، وشدة بطشه، وسرعة عقابه، سلام من أن يكون ظلمًا أو تشفيًا أو غلظةً أو قسوة:﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر/ ٢٢-٢٣].

- **والله ﷻ ذكر اسمه القدوس في سورتين من كتابه:**

الأولى: في سورة الجمعة في قوله سبحانه:﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾[الجمعة/ ١].

الثانية: في سورة الحشر:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر/ ٢٣].

فإذا قرأنا:﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة: ١].

فننظر للسموات والأرض، كم عظمة السموات والأرض؟ وماذا في السموات

والأرض من الخزائن؟ وماذا فيها من الجنود، وماذا فيها من المخلوقات؟ فكل ذرة في السموات والأرض تسبح بحمد ربها؛ إجلالًا له، وتمجيدًا له، وحبًّا له، وتعظيمًا له: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣].

فإن هؤلاء الخلق العظيم في السموات والأرض يسبحون الله ﷻ، وينزهونه عما لا يليق بجلاله، ويصفونه بصفات الكمال.

وقد اقترن اسم الله القدوس مع أسماء الله الآتية: الملك، العزيز، السلام، السبوح.

فالله ﷻ قرن اسمه القدوس مع اسمه الملك مرتين كما مر معنا، والملك هو الحاكم بأمره ونهيه، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، والملك اسم من أسماء الجلال، فالملك من صفاته أنه يحكم بما يريد، ويحكم بأمره ونهيه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

فالله ذكر أنه الملك، فناسب ذكر القدوس بعد اسم الملك؛ لطمأنة الخلق بعناية ربهم بهم، وهدايتهم لما فيه صلاحهم، ونزاهة قدرته وحكمه عن الظلم والجور، فقرن اسم القدوس باسم الملك؛ لأن الملك قد يوهم أنه بقدرته وملكه يتسلط على الناس، كما هي حال أغلب حكام البشر.

لكن الله ﷻ أخبر أنه هو الملك، والملك يأمر وينهى، والملك له الكبرياء، وله العزة والجبروت، وهو القاهر القادر القوي العزيز، هذه هي صفات الملك، لكن قرن باسمه الملك اسمه القدوس؛ ليطمئن الخلق على أن هذا الملك العظيم مع قدرته وعظمة ملكه، وأنه لا يمتنع عليه شيء؛ إلا أنه حليم لطيف يعتني بعباده، ويهديهم إلى ما فيه صلاحهم، وينزه قدرته وحكمه عن الظلم والجور: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة: ١].

لا تخافه فهو ملك قدوس، مالك للكون كله، وكل ما سواه مملوك، هو القدوس المنزه عن النقائص والعيوب، الموصوف بصفات الجلال والجمال، فهو قدوس رحيم لطيف عفو كريم: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ – ٥٠].

واقترن اسمه القدوس مع اسمه السلام مرةً واحدةً؛ للدلالة على نزاهة ذاته وصفاته عن الجور والظلم، وأنها قائمة على العدل والإحسان، ونزاهة أحكامه عن الجور

والظلم: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣].

واقترن اسم القدوس كذلك مع اسمه السبوح مرةً واحدةً في قوله ﷺ: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْـمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**» أخرجه مسلم[١].

فهو سبوح منزه عن جميع صفات النقص والعيب ومشابهة الخلق، وقدوس طيب طاهر منزه عن العيوب، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

فالتقديس إثبات لصفات الكمال لله، والتسبيح تنزيه عن صفات النقص، وكل واحد من التسبيح والتقديس متضمن للآخر؛ فالله قدوس موصوفٌ بصفات الكمال، منزه عن صفات النقص والعيب، وهو سبوح منزه عن صفات النقص والعيب، موصوف بصفات الكمال.

فأسماء الله ﷻ كلها حسنى لا عيب فيها، وصفاته كلها عليا لا نقص فيها، وأفعاله كلها حكمة ورحمة لا خلل فيها ولا شر.

فهو سبحانه السبوح القدوس السلام المؤمن المهيمن المتكبر، المنزه عن كل النقائص والعيوب، المبرأ عن كل الآفات، المتكبر عن كل شر، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

هو الحي القيوم الذي يسمع لجميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، ويُبصر جميع مخلوقاته بل كل ذرة من مخلوقاته، في النور أو في الظلمات، في العالم العلوي والعالم السفلي؛ فهو يراها جميعًا بحجمها ولونها في مكانها، في كل وقت.

هو السميع ليس كمثله شيء في السمع، وهو البصير الذي ليس كمثله شيءٌ في البصر، يسمع كل شيء، ويبصر كل شيء؛ سواء كان الإنسان في طاعة أو في معصية، في سر أو علانية، في نور أو ظلام: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣ – ١٤].

كانت إحدى النساء تطوف بالكعبة، وهي تطوف كانت لابسة لثياب تكشف بعض بدنها، وثياب ليست محتشمة، فأحد الإخوة في الحرم من رجال الهيئة، قال لها: يا أمة الله،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٧).

استري نفسك؛ فإنك تطوفين ببيت ربك، وهذا المكان له وقاره، أما تخافين من الله أن يراكِ؟ أما تخافين من ملك الموت؟ فقالت: إليك عني! قال لها: أما تخافين من ملك الموت؟ قالت: قل له ينتظرني عند البوابة تسعة من أبواب الحرم، فلما فرغت من الطواف خرجت.

يقول الرجل: فذهبت إلى عملي، ولما أردت أن أخرج خرجت مع الباب التاسع، فإذا الناس مجتمعون، وينظر وإذا هم مجتمعون على امرأة عند البوابة تسعة، قبل أن تخرج وقف لها ملك الموت، وقف لها هناك، وإذا هي قد سقطت على البلاط، وينظر وإذا هذه المرأة وهذا ثوبها الذي رآه عليها في المطاف، فقبضها ملك الموت، وانتظرها عند البوابة تسعة، فالله ﷻ سميعٌ بصير، عليمٌ بما في الصدور، هو الذي يقلب الليل والنهار، ويقلب القلوب: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

امرأة كافرة كانت في إحدى البلاد تتجول على دراجة نارية، فرآها بعض الإخوة، وأشفق عليها ورحمها، وقال: هي صحيح متكشفة، لكن لابد من رحمة هذه المرأة، بنت متكشفة كاشفة لوجهها وشعرها وبدنها، وتقضي حوائجها على هذه الدراجة، فتكلم معها باللغة الإنجليزية، فدعاها إلى منزله، وأخبرها أن الأخوات مجتمعات في البيت للذكر، والله ﷻ يسمع ويرى لما في قلبه وقلبها.

فالله علم منها الصلاحية، وعلم من هذا الإنسان أنه أهل لرحمة الله ﷻ، فساق هذا لهذا ليتم أمره، هذه جاءت من الغرب، وهذا جاء من الشرق، وهي على دين وهو على دين، فأدخلها الله في البيت، وأوقفت الدراجة عند الباب، ودخلت على النساء، وإذا هم مجتمعون على القهوة والشاي والحلويات والفواكه، ويتكلمون عن ربنا ﷻ وعن الجنة وعن النار في مجلس إيماني.

فسبحان الله، الله ﷻ قذف في قلبها الهداية، فبكت، ثم بكت، ثم بكت، ثم قالت: هل لي حق أن أكون مثلكم؟ قالوا: نعم، قالت: ماذا أفعل؟ قالوا: قولي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وأنطقوها الشهادة، ثم اغتسلت ولبست اللباس، ثم علموها الوضوء الصلاة، فصلت ركعتين، وسجدت وظلت ساجدة تبكي، فانشرحت، وقضت اليوم مع هؤلاء النسوة الذين اجتمعوا في بيت من بيوت إحداهن، يتذاكرون فيما بينهم، هذه الحلقات التعليم تنزل فيها هدايات ونحن لا نعلم؛ لأننا أغلقناها على أنفسنا.

وقال النبي ﷺ: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْـمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**» أخرجه مسلم(١).

فبقيت في هذا البيت ثلاثة أيام، وغيرت ملابسها، ولبست كالنساء واحتجبت، ولكنها بقيت مقطوعة عن أهلها، جاءت مع صديق لها، فتركته، فما شاء الله الإخوة أشفقوا عليها، وذكروا لها الكعبة بيت الله الحرام، فرغبت أن تذهب إلى هناك، فالله ﷻ يسر لها وتزوجها أحد الإخوة، ثم جاء بها إلى مكة، وفي مكة لما جاءت، وطافت بالبيت، ثم صلت ركعتي الطواف، وأثناء سجودها قبض الله روحها وهي ساجدة أمام البيت، وخلف مقام إبراهيم.

كان عمرها كله عمر حيواني، وعمر إبليسي، كله في المعاصي والشهوات، فهي جاءت مع صديق لها للسياحة، فالله ﷻ سميعٌ بصير، يرى من في مُلكه، ويغار على خلقه أن يأخذهم الشيطان، وأن يُغريهم بالمعاصي.

والله فعال لما يشاء، هو الهادي يهدي من يشاء، وهو العليم الذي يعلم من يشاء، وهو الرزاق الذي يرزق من يشاء حسب علمه وحكمته جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

فأسماء الله ﷻ كلها حسنى لا عيب فيها، وصفاته كلها عُليا لا نقص فيها، فلا إله إلا الله! كم عظمة أسمائه وصفاته وأفعاله!

الله ﷻ يحب من عباده أن يعرفوه بأسمائه وصفاته؛ فإذا عرفوه توجهوا إليه وعبدوه، إذا عرفوا أنه لا إله إلا هو، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلا؛ عبدوه ولم يلتفتوا لأحدٍ سواه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

فإذا عرفوا أن جميع هذه المخلوقات هو الذي خلقها، وهو الذي يصرفها ويدبرها، هو الذي يدبر الشمس والقمر، والليل والنهار؛ عبدوا ربهم يقيناً بقلوبهم وجوارحهم وألسنتهم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

خلق الشمس وهو وكيل عليها، وجعل لها مشارق ومغارب: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل/ ٩].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

هذه الشمس تحتاج إلى أوامر، لها مشرق في الصيف ومشرق في الشتاء، ومغرب في الصيف، ومغرب في الشتاء، ورب المشرقين: مشرق الصيف ومشرق الشتاء، ورب المغربين: مغرب الصيف، ومغرب الشتاء، ورب المشارق، ورب المغارب.

فالمشارق ثلاثمائة وستون يومًا، السنة ثلاثمائة وستون يومًا، كل يوم له مشرق، وله مغرب، عدد الأيام ثلاثمائة وستون؛ فهو رب المشارق والمغارب: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١﴾ [المعارج: ٤٠ – ٤١].

هذه حركة هذا المخلوق الواحد الذي هو الشمس، كم من مليارات المخلوقات التي يدبرها الله؟ كم من نبتة تحتاج إلى أوامر ملكية بأن ينزل أسفلها ليكون من العروق، وأن يظهر أعلاها فوق الأرض ليكون الأغصان والأوراق والأزهار والثمار؟ كم مخلوق من الحيوانات؟ كم من حشرة؟ كم من طيور الفضاء؟ كم أسماك البحار؟ كل هذه الله خلقها، وهو الذي يدبر أمرها: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وهذا من معاني القدوس أنه المبارك، فالله سبحانه هو الملك القدوس المنزه عن جميع النقائص والعيوب والآفات، البريء من كل عيب ونقص، القريب من كل خير، البعيد من كل شر، هو القدوس الموصوف بصفات الكمال، الممدوح بالفضائل والمحاسن، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الملك العلي العظيم القدوس، المنزه عن النقائص في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، المنزه عن جميع الآفات والعيوب، المنزه عن السِنة والنوم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

المنزه عن الخطأ والنسيان: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ۝٦٤﴾ [مريم/ ٦٤].

المنزه عن الظلم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٤٤﴾ [يونس/ ٤٤].

هو المنزه عن جميع الصفات المذمومة، الممدوح بصفات الكمال والجلال والجمال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا

﴿بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

علمه مطلق، يعلم ما كان وما يكون ما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

فسبحان ربنا الملك القدوس الذي كل شيء ملكه، وجميع الخلق عبيده.

هو سبحانه الملك القدوس الممدوح بالفضائل والمحاسن، المنزه عن العيوب والنقائص، هذا يجب أن أفتح معه علاقة، وهذه العلاقة هي العبادة، والعبادة هي الطاعة، فالعبادة طاعة العابد لمعبوده فيما أمر به، أو نهى عنه: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١].

هو القدوس المنزه عن العيوب والنقائص، الذي لجلاله وجماله وكماله تسبح بحمده جميع مخلوقاته في السماء والأرض: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [الجمعة/ ١].

فاحمد مولاك على كمال أسمائه وصفاته، وكبره تكبيرًا: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء/ ١١١].

هو سبحانه الملك القدوس المنزه عن كل صفة من صفات الكمال البشري؛ لأن الله ليس كمثله شيء، ومن باب أولى منزه عن جميع العيوب والنقائص والآفات البشرية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه/ ٨].

هو القدوس المنزه عن جميع صفات الخلق كلهم، الكامل منهم والناقص: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى/ ١١].

والله ﷻ خص صفة السمع والبصر في هذه الآية، لأن السمع والبصر مشترك بين الإنسان وبين الحيوان، بل بين المسلمين والكافرين والحيوانات: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢﴾ [الشورى/ ١٢].

وبحسب علمه يعطي من شاء، ويمنع من شاء، وفعله مقرونٌ بعلمه، وهو أحكم الحاكمين، وحكمه مقرونٌ بالخير المطلق، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر: ١٣].

علم الملك القدوس ليس كعلم الخلق؛ بل علم جميع الخلق من علمه، وقدرته جل جلاله ليست كقدرة الخلق؛ بل قدرة جميع الخلق من قدرته؛ فالله هو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المنزه عن كل عيب ونقص، وهو القدوس المنزه عن كل وصف يُدركه الحس، وعن كل تصور يتصوره العقل، أو يسبق إليه الوهم، أو يختلج في الذهن، أو يُفضي إليه التفكير: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾[الزمر/ ٦٧].

الله وعد المتقين بالجنة التي يقول الله عنها: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾[السجدة/ ١٧].

فإذا كنا لا نعلم الآن عن الجنة وما فيها من النعيم، ولا يمكن أن يتخيله متخيل، أو يعقله عاقل بعقله، لو جمعنا جميع خطباء العالم، وقلنا: تكلموا عن صفات الجنة ما قدروا، لو أتينا بجميع العالم، وقلنا: اسمعوا لأفضل خطيب عن صفة الجنة؛ ما سمعوا عن عظمة الجنة كما يجب.

لو جئنا بجميع العالم وقلنا: تخيلوا نعيم الجنة؛ لكان كل تخيلهم لا يساوي ذرة بالنسبة لنعيم الجنة، فهذا بالنسبة للمخلوق وهي الجنة، فكيف بالله ﷻ؟ الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الكبرى، الذي تنزه عن كل وصف يدركه الحس، وعن كل تصور يتصوره العقل، أو يسبق إليه الوهم أو التخيل، أو يختلج في الذهن: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾[الزمر: ٦٧].

فالله أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأكبر مما عرفنا، وأكبر مما لم نعرف.

هو الملك القدوس الذي تعالى عن صفات الخلق كلهم، ولولا أن الله أذن للمسلم أن يصفه بصفات كمالات البشر؛ لكان وصفه بذلك ذنبًا من الذنوب؛ لأن الله ليس كمثله شيء، ولا يُحصي أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾[الإخلاص/ ١].

هو أحد في القوة، في العلم، في القدرة، في الحلم، في الرحمة، في اللطف، في العفو، في كل

شيء، هو الملك القدوس الذي تقدست عن الحاجات ذاته، تقدست وتنزهت وتطهرت عن الحاجات ذاته، الله لا يحتاج إلى شيء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥].

والله ﷻ واحدٌ أحد تقدست عن الحاجات ذاته، هو القدوس الذي تنزهت عن النقص والآفات صفاته، هو القدوس الذي تقدس عن كل مكان يُحيط به، وتقدس عن كل زمان يبليه: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد/ ٣].

هو القدوس الذي قدس نفوس الأبرار عن المعاصي، وطهر قلوب أوليائه عن كل ما سواه.

فسبحان الملك القدوس الذي قدس نفوس أوليائه عن السكون إلى المألوفات والشهوات، واصطفاها واختارها لتسبحه وتحمده، وتكبره وتمجده، وطهر نفوس العابدين عن حب الدنيا، وطهر قلوب العارفين عن كل ما سواه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾ [الجمعة/ ٢].

فسبحانه هو الملك القدوس الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة.

هو سبحانه الملك القدوس، والقدس هو الطهر، ومنه قيل للجنة: حظيرة القدس؛ لأنها مقدسة ومطهرة؛ فهي طاهرة طيبة في كل شيء.

وروح القدس هو جبريل ﷺ؛ لأنه مقدس في ذاته، أمينٌ على الوحي، ومقدسٌ لمن اتصل به بما يفيده من الوحي والطهارة، فجبريل يسمى روح القدس؛ لأنه مقدس في ذاته؛ فهو طاهر أمين على الوحي، ومُقَدِّس؛ لمن اتصل به كالنبي ﷺ بما يفيده إليه من الوحي، يقدسه بالوحي والطهارة من الشرك.

والتقديس هو التطهير، وتقدس أي تطهر، والأرض المقدسة كما مر معنا هي الأرض المباركة، كما قال ﷻ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة/ ٢١].

والجبال العظيمة تقدس ربها، وتنزهه عما لا يليق بجلاله من اتخاذ الله للولد كما يزعم المشركون، كما قال سبحانه: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠﴾ [مريم/ ٩٠].

فهي تقدس ربها، وتنزهه عما لا يليق بجلاله لماذا؟: ﴿أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [مريم/ ٩١-٩٤].

فالله سبحانه هو العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فعلينا أن نمدحه ونقدسه، ونعظمه ونكبره.

ومن تقديس النبي ﷺ لربه أخبر ﷺ أنه لا يبلغ حمد الله ﷻ أحدٌ مهما مدحه؛ فهو أعظم من ذلك، كما قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» أخرجه مسلم [(١)].

والله سبحانه هو القدوس المحمود بصفات الكمال، المقدس عن صفات النقص، والقرآن تارةً يستفتح السور بحمد الله بالثناء عليه وتمجيده؛ كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة/ ٢].

وقد افتتح الله خمس سور من سور القرآن بالحمد لله، إشارة إلى حمده على ذاته وأسمائه وصفاته، ونعمه المادية والمعنوية؛ فقال الله ﷻ في مجموع النعم المادية والروحية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢].

لماذا؟ لأنه ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾؛ الذي يربيهم، خلقهم، وخلق أرزاقهم، وأمدهم بالنعم المادية التي لا تعد ولا تحصى.

وكذلك أنعم عليهم بنعمة الهداية فالحمد لله رب العالمين؛ شكرًا لله وحمدًا له على نعمة العطاء المادي ونعمة العطاء الإلهي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام/ ١].

هذا حمد لله على عظمة خلقه للماديات: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام/ ١].

يعني يجعلون له شريكًا مثله، إما في الخلق والإيجاد، وإما في العبادة.

وقال ﷻ في حمده على نعمه الروحية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف/ ١-٢].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).

فتارةً الله ﷻ يستفتح السور بالحمد لله؛ إشارة إلى كمال ذاته وأسمائه وصفاته، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، فلنحمده على ذلك.
والحمد من أعظم العبادات، وتارةً يستفتح الله ﷻ السور بتنزيه الله وتقديسه عن صفات النقص والعيب، كما قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[الإسراء/ ١].
فالله سبح نفسه قبل أن نسبحه، وقبل أن يخلقنا، وقبل أن يسبحه أحد: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الصافات/ ١٨٠].
وتسبيح الخلق لا يزيد في ملكه شيئاً، إنما تسبيح الخلق؛ حتى يعرفوا من يعبدون؛ وأنه منزه عن صفات النقص والعيب، موصوف بصفات الكمال والجلال والجمال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾[الحشر: ١].
وقال ﷻ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾[الجمعة/ ١].
فماذا بقي؟ بقي أنا وأنت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾[الحاقة/ ٥٢].
﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾[النصر: ٣].
﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾[الأعلى/ ١].
نزهه عما لا يليق بجلاله من صفات النقص والعيب، ومماثلة المخلوق، وصِفْه بصفات الجمال والجلال والكمال، فالتسبيح تنزيه، والتقديس وصفٌ له بصفات الكمال متضمنٌ للتنزيه، وهذا المدح والتنزيه كله تقديس، وصف الله بصفات الكمال، وتنزيهه عن صفات النقص، كله تقديس لله بإثبات صفات الكمال، ونفي صفات النقص.
وأعظم ما ينزه الله عنه اتخاذ الصاحبة والولد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص/ ١-٤].
هذه السورة فيها إثبات صفات الكمال لله ﷻ، ونفي صفات النقص.
وكان النبي ﷺ إذا فرغ من وتره وسلم قال: «**سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ**» أخرجه أبو داود [1].
يرفع بها صوته، إشارةً إلى عظمة ربه، وأن العباد مهما عبدوه فلن يؤدوا حق الله تعظيمًا، وحمدًا، وتقديسًا، بل هم في فلك التقصير باقون، ولا يُحصي أحدٌ الثناء على الله إلا الله

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤٣٠).

وحده لا شريك له، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

فسبحان الملك القدوس الطاهر من العيوب والنقص، المنزه عن الشبيه والمثيل والند: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

هو الملك القدوس الطاهر من كل عيب؛ المنزه عما لا يليق بجلاله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وقالت الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة/ ٣٠]؛ أي: ننزهك ونبرئك مما وصفك به أهل الشرك.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة/ ٣٠]؛ أي: ننسب لك كل صفات الكمال، وننفي عنك كل صفات النقص.

وهو سبحانه القدوس المنزه عن كل وصف يدركه الحس، أو يتصوره الخيال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

فسبحان الملك القدوس الذي تقدس وتنزه عن العيب والنقص والشريك والمثيل، والزوجة والولد، وعن كل ما سواه: ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يونس/ ٦٨].

هو سبحانه الذي تقدس عن السنة والنوم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وتقدس عن الموت: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨].

وتقدس سبحانه عن الظلم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠].

وتقدس وتنزه عن النسيان: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم/ ٦٤].

وتقدس سبحانه عن الكذب: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء/ ١٢٢].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء/ ٨٧].

وتقدس سبحانه عن الفقر والبخل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة/ ٦٤].

وقال ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾[فاطر/ ١٥].

ويقول النبي ﷺ: «**يَدُ الله مَلأَى لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَار، وَقَالَ: أَرَأَيْتُم مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**» أخرجه البخاري[١].

وتقدس سبحانه عن الفناء؛ فكل ما سواه فانٍ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ٨٨﴾ [القصص/ ٨٨].

﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾[الرحمن/ ٢٦-٢٧].

وتقدس سبحانه عن الشبيه والمثيل، فليس كمثله شيء: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى/ ١١].

وتقدس سبحانه عن العجز: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾[فاطر/ ٤٤].

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾ [ق/ ٣٨].

وتقدس سبحانه عن الجهل: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾[الحج/ ٧٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[الحجرات/ ١٨].

هو القدوس الذي ليس كمثله شيء في قدسيته، وطهارته، وجلاله، وجماله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى/ ١١].

هو القدوس في وجوده، فهو الأول قبل كل شيء، الآخر بعد كل شيء، الظاهر فوق كل شيء، الباطن دون كل شيء، هو الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾[الحديد/ ٣].

هو سبحانه القدوس الحي الباقي، الأول قبل كل شيء، وكل ما سواه سبقه عدم، ويلحقه الموت والفناء، فلكل مخلوق بداية ونهاية، والله قدوس لابداية له ولا نهاية: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾[غافر/ ٦٥].

هو الحي بجميع صفات الكمال من القوة والقدرة والرحمة والغنى واللطف والكرم

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤).

والعزة؛ هو الحي بجميع صفات الكمال والجلال والجمال: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

فسبحان القدوس الي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، وكل نعمة منه، وكل فضل منه.

أما المخلوق فهو ناقص، كان معدومًا فأوجده الله، ولما أوجده ملكه، وحياته وبقاؤه بأمر ربه، فهو ضيف؛ والضيف يوشك أن يرتحل: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ١ – ٣].

هو الذيبدأ الخلف، وهو الذي يرجع إليه الخلق: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة/ ٢٨].

هو سبحانه الملك: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣].

التعبد لله ﷻ باسمه القدوس

كيف نعبد الله باسمه القدوس جل جلاله؟

الله ﷻ هو الملك القدوس الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا جل جلاله.

فإذا عرفنا الله ﷻ بأسمائه وصفاته، فكيف نقدس أنفسنا، ونقدس ربنا ﷻ؟

الله ﷻ هو الملك، القدوس، السلام، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

فإذا عرفنا ذلك فماذا علينا أن نفعل؟ من كان هذا وصفه؛ فإن النفوس مجبولة على حبه وتعظيمه وإجلاله وعبادته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فمن عرف ربه العظيم جل جلاله كبره وأحبه ونزهه في أسمائه وصفاته، وفي أقواله وأفعاله، عن كل نقص وعيب، ونزهه عن الشريك والمثيل، وعن الصاحبة والولد: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد/ ١٩].

فنتيجة المعرفة بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا تأتي قوة التعبد لله بموجب هذه الصفات، ومقصود الله من خلقه أن يتصفوا بهذه الصفات، وبهذه الأسماء، لكن على شاكلة العبودية.

فمن عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا؛ عظمه وكبره وأحبه، ونزهه في أسمائه وصفاته، وفي أقواله وأفعاله، عن كل نقص وعيب، وعن الشريك والمثيل، وعن الصاحبة والولد، ونزهه كذلك في حكمه وشرعه عن النقص والعيب، والجور والظلم، واتصف بصفاته التي يحبها: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن عرف ربه بالعظمة والإحسان سبحه مع المسبحين، وحمده مع الحامدين، آناء الليل والنهار: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

ومن عرف ربه بصفات الجمال والجلال والكمال؛ أحسن الظن به، فأعظم العبادة أن

تُحسن الظن بربك، وتثق بوعده، وتُقبل على طاعته، فأقبل على طاعة مولاك، وابتعد عن ظن السوء بالله ﷻ، ، فمن وصف الله ﷻ بما لا يليق بجلاله، أو ظن به ما لا يليق بجلاله؛ فقد ظن بالله ظن السوء المورد للهلاك، كما قال سبحانه: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ (٦)﴾ [الفتح/ ٦].

ومن عرف ربه بصفات الجلال والجمال؛ تواضع لعظمته، وخضع لكبريائه، وانقاد للحق الذي أنزله، وتواضع لعباده، وأحسن إليهم بقوله وفعله: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٧)﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يطهر نفسه من أدران الشرك والرياء والآثام، وأن يلازم الطهارة الحسية والمعنوية في كل وقت، فيقدس نفسه عن الشهوات، يرفع نفسه عن الشهوات الحيوانية، يأخذ منها بقدر الحاجة، ويستعين بها على طاعة الله، فيقدس نفسه، ويطهرها عن الغرق في الشهوات، ويطهر ماله من الشبهات، ويقدس قلبه عن الغفلات، ويطهر جوارحه عن المخالفات، وذلك بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، ولزوم تقواه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

ثم على قدر طهارته من كل ذلك يستنير قلبه بالتوحيد والإيمان، وينشرح صدره لطاعة مولاه، وعلى قدر طهارته يطهر غيره مما لا ينبغي؛ فيدعو إلى الله، ويعلم شرع الله، ويُحسن إلى خلق الله.

يدعو إلى الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٣٣)﴾ [فصلت/ ٣٣].

ليكون سببًا في خروج الناس من الشرك إلى التوحيد، ومن الظلمات إلى النور.

ويعلم شرع الله: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾
[آل عمران/ ٧٩].

اتصفوا بصفات الرب؛ فالرب يربي الخلق بنعمه المادية والروحية، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، والله أمرنا أن نتصف بتلك الصفات.

فنستقيم على أوامر الله، ونقيم الناس عليها: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾[التوبة/ ٧١].

المؤمنون والمؤمنات هذا عملهم إلى قيام الساعة، الله حدده بهذه الأمور الخمسة: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾[التوبة/ ٧١].

ثم ذكر وعده لأولئك ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّـٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

فهذا هو تقديس الإنسان لربه ﷻ باسمه القدوس، وهذا هو تقديس الرب لأوليائه.

والله ﷻ بين أنه هو الملك القدوس، ودعانا إلى تقديسه، وأعظم ما يقدس به العباد ربهم هو التوحيد، أعظم شيء أن نطهر البشرية من كل سوء، ونطهر قلوبها من الشرك، وألسنتها من الكذب، وجوارحها من الأعمال والأخلاق السيئة، أعظم ما يقدس به العباد ربهم هو التوحيد، وأعظم ما يقدس به الناس بعضهم بعضاً هو الإحسان: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَـٰنٗا﴾[النساء/ ٣٦].

- **فالدين ركنان:**

عبادة الحق .. والإحسان إلى الخلق.

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]. ، هذه عبادة الحق.

﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَـٰنٗا﴾[النساء/ ٣٦]، هذا الإحسان إلى الخلق.

فأعظم ما يقدس به العباد ربهم هو التوحيد، علينا مسؤولية العالم، العالم الآن سبعة آلاف مليون، منهم مليون ونصف تقريباً مسلمون، والبقية كلهم كفار، لابد أن نطهر

قلوبهم من الكفر والشرك والظلم، ونزينها بالتوحيد والإيمان، ونخلصها من التعلق بغير الله، ونحمل أجسادهم بما يحبه الله ورسوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

مرة من المرات في إحدى الرحلات كنت في اليابان، ودخلت شارعاً أنا وبعض الإخوة، هذا الشارع طوله عشرون كيلو مترًا داخل مدينة طوكيو، وعرضه ما يقارب مائة متر، وللناس يوم في الأسبوع يأتون إلى هذا الشارع، ولا تكون فيه السيارات، هذا تُعرض فيه جميع الأعمال، من عبادات، من أخلاق، من صناعات، من كل شيء، كل ينشر سلعته ويعرضها في هذا السوق، ويسوقها بين الناس، منهم من يسوق السحر، وعبادة الأصنام، ومنهم من يسوق سلعته من صناعة وابتكار وأفلام، وأنواع العري والفساد كل شيء موجود في هذا الشارع، لكن الدعوة إلى الله غير موجودة، فكيف نقدس قلوب هذه البشرية، ونطهرها من هذه الأدناس، ونجملها بالإيمان والتقوى.

كيف نجتهد على هذه الأمة التي اجتهدت على المخلوق، وصنعت جميع الصناعات المتقنة؟ إلا أنها سقطت في الأخلاق هي وغيرها،كيف تدخل "لا إله إلا الله" في قلوبهم، لتقول ألسنتهم الأقوال الحسنة، وتتحرك جوارحهم بالأعمال الصالحة، وتلبس أبدانهم الأخلاق التي يحبها الله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة/ ١٣٨].

فمن دعا غير الله، أو طاف بضريح، أو أشرك مع الله غيره؛ فما قدس الله.

وأعظم الذنوب أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء/ ١١٦].

من يشرك بالله في الخلق، أو في العبادة، أو في الأسماء والصفات؛ هذا ضل ضلالًا بعيدًا؛ لأنه قرن المخلوق بالخالق، قرن الفقير بالغني، وسوى العاجز بالقادر: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩١ – ١٩٢].

وأعظم الأعمال عند الله هي الإيمان بالله؛ فقد سئل الرسول ﷺ عن أفضل الأعمال، فقال: «**إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ**» أخرجه البخاري(١).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦).

فقدس رحمك الله نفسك بالإيمان بالله وتوحيده، وقدس نفسك بالعبادات والطاعات والأخلاق العالية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وقدس نفسك بالإحسان إلى الخلق ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وقدس نفسك بالدعوة إلى ربك الذي خلقك ورزقك وهداك، يزيد أجرك، ويفرح ربك: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾ [النحل/ ١٢٥].

وقدس نفسك بتعليم شرع الله للناس: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وقال النبي ﷺ «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» أخرجه البخاري(١).

وقدس نفسك وطهرها من النجاسات بالتوبة إلى ربك من جميع الذنوب: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

وقدس نفسك بالصلاة التي يمحو الله بها الخطايا: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤)﴾ [هود: ١١٤].

وقال النبي ﷺ: «**مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قالوا: لا يا رسول الله، لا يبقى من درنه شيء، قَال: كَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ؛ يُكَفِّرُ اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا**» أخرجه مسلم(٢).

فقدس نفسك بهذه الأعمال الصالحة، وقدس نفسك بالصدقة وإخراج الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة/ ١٠٣].

وقدس نفسك بالأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشمس: ٧ – ١٠].

وقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)﴾ [الأعلى/ ١٤-١٥].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٦٦٧).

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، يا رب العالمين.

والله ﷻ ملك ومُملِّك، وقدوس، ومقدِّس، ومقدَّس.

والمسلم يجب أن يتعلم العلم الإلهي أولًا، يتعلم العلم المناسب، في الوقت المناسب، وأعظم ما يجب أن يعرفه العبد هو معرفة الله ﷻ، معرفة من خلقه، ورزقه، وهداه، واصطفاه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد/ ١٩].

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة/ ٩٨].

وإذا علمنا ذلك؛ آمنا به، وإذا آمنا به؛ تعرفنا على ماذا يحب؟ وماذا يكره؟ وماذا يبغض؟ وماذا يُرضيه؟ وماذا يُسخطه؟ والمعرفة بالله لابد أن تنعكس انضباطًا في السلوك، وخشوعًا للرب في القلب، وخضوعًا له بالجوارح، وتكبيرًا وتحميدًا له باللسان: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر/ ٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

الله سبحانه هو الملك القدوس المنزه عن صفات الكمال والنقص في البشر والمنزه عن صفات العيب والنقص والشر على الإطلاق.

والله ﷻ لا يقبل أحدًا إلا إذا كان طاهرًا من الذنوب والعيوب، طاهرًا من الشرك بالتوحيد: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة/ ٢٧].

طاهراً من الشرك، طاهراً من البدعة: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف/ ١١٠].

والتقديس هو التوحيد، بأن توحد الله بأسمائه وصفاته، وتوحده بالعبادة، والتقديس نفي وإثبات، بأن ننفي عن الله صفات العيب والنقص، ونثبت له صفات الكمال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥]؛ إثبات صفات الكمال.

﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾[البقرة/ ٢٥٥]، نفي صفات النقص.
فإذا أثبتنا له صفات الكمال، ونفينا عنه صفات النقص، فهذا هو الكمال.
والقدوس من أسماء الذات لله ﷻ، ومن الصفات، ومن أسماء الأفعال، فالله ﷻ مقدسٌ في ذاته، منزه ومقدسٌ عن كل نقص وعيب، ومقدس في ذاته، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].
فالله مقدس في ذاته، معظم في ذاته، في جلاله وجماله، ومقدس عن كل نقص وعيب.
وهو جل جلاله القدوس الذي يقدس ويطهر من شاء من خلقه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩﴾[النساء/ ٤٩].
فسبحان الملك القدوس الذي تقدست عن الحاجات ذاته، وتنزهت عن الآفات صفاته، القدوس الذي تقدس عن مكان يحويه، وعن زمان يبليه: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾[الحديد/ ٣].
هو الواحد القهار الذي لا يقع في ملكه إلا ما يريد، وإرادة الله ﷻ في خلق كل شيء، وتدبير كل شيء، مقرونة بالحكمة؛ لأنه هو الحكيم الذي يضع الشيء في وقته المناسب، بالقدر المناسب؛ فلا يقع في مُلكه العظيم إلا ما يريد، وإرادة الله ومشيئته مقرونة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾[الجمعة/ ١].
هو القدوس الذي قدس نفوس أوليائه عن المعاصي، وقدس قلوبهم بالإيمان والتقوى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾[الحجرات/ ٧-٨].
فطهر نفسك أيها المسلم من كل دنس، وطهر سرك عما سوى الله، وطهر وقتك عن الغفلات، وطهر جوارحك عن معصية الله، وزكها بالطاعات: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾[الحشر/ ٧].
وطهر لسانك عن اللغو، والرفث، والفسوق، وشهادة الزور: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾[الإسراء/ ٣٦].
وطهر حياتك عن كل شيء يلهيك عن الله ﷻ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا

﴿تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾[الذاريات/ ٥٠-٥١].

ومن عرف ربه القدوس تعلق قلبه به، ولم يلتفت إلى أحد سواه، واستأنس به، واستوحش من غيره؛ فظل بين يديه عابدًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢﴾ [المزمل/ ١-٢].

وصار بين يدي خلقه داعيًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤﴾ [المدثر: ١ – ٤].

فهو بين يدي ربه يناجيه، ولا يلتفت لأحد سواه؛ ليس عنده عمل إلا امتثال أوامر ربه: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾[الأنعام/ ٧٩].

فالمؤمن إذا عرف هذه المعاني قدس نفسه بالإيمان والتوحيد والأعمال الصالحة، فيجب على كل عبد أن يقدس ربه، فيصفه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ مما لا يليق بجلاله على حد قوله جل جلاله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى/ ١١].

فقدس عبادتك لله أيها اللبيب، وأخلصها لربك الواحد الأحد، ونَقِّها مما يُفسدها أو يُنقصها، وطهرها أيها الحبيب من كل دنس، وطهر قلبك من النجاسات من الشرك، والنفاق، والرياء، وطهر لسانك من الكذب، وقول السوء، وطهر بصرك من الخيانة، وطهر أعمالك مما يُفسدها من البدع والرياء: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾[الكهف/ ١١٠].

وقدس نفسك بالتوحيد والإيمان واليقين والإحسان، وطَيِّبها بالذكر والحمد والشكر لربك العظيم، وزَكِّها بالأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة؛ تكن كالملائكة بالتسبيح والتقديس: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾[البقرة/ ٣٠].

وتعبد لربك بصفة الطهارة علمًا وعملًا؛ فتطهر من المعاصي باجتنابها؛ فهو أطهر لك عند الله، وأيسر مؤنةً من طهور التوبة، لا تفعل المعصية، ثم تتوب، بل اجتنبها مطلقًا: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ

مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ [المؤمنون/ ١-٣].

وطهر نفسك من الذنوب والعيوب ومتابعة الشهوات؛ فأنت قدوة للبشرية، فلابد أن تتخلق بأخلاق القرآن، وتتأدب بآدابه؛ لأن الناس ينظرون إلى كلامك إن تكلمت، وإلى أعمالك إن عملت، وإلى أخلاقك إن تخلقت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

وطهر لسانك عن الغيبة والنميمة، وفاحش القول، وما لا يعنيك، فمن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وطهر قلبك من الرياء والالتفات لما سواه، فكل أحد دونه لا تتعلق به: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم/ ٤٢].

وطهر جوارحك عن المعاصي؛ فالمعاصي من النجاسات، فالثياب إذا أصابتها النجاسة تُغسل بالماء والصابون، كذلك القلوب إذا أصابتها الأمراض، والآفات تزول بالتوبة والإستغفار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

- **فالأوساخ تأتي إلى البدن من جهتين:**

الأولى: من جهة الغبار الخارجي.

الثانية: من جهة العرق الداخلي.

فهذا يكون طهارته بالماء والصابون، كذلك الذنوب تأتي إلى الإنسان من الجوارح الخارجية؛ العين ترى ما حرم الله، والأذن تسمع ما حرم الله، واللسان يتكلم بما حرم الله، هذه ذنوب خارجية، وهناك ذنوب داخلية من النفاق والرياء والكبر والعُجب والحقد والحسد وهكذا؛ فطهارة الذنوب الخارجية والداخلية بالتوبة: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور/ ٣١].

وطهر أوقاتك عن المخالفات، الوقت من ليل أو نهار خزانة من خزائن الله؛ فطهر هذه الأوقات، لا تملأها بالمعاصي، بل أملأها بالطاعات؛ وكل عملك سيعرض عليك: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ – ١٤].

تجد فيه أقوالاً حسنة، وأعمالاً صالحة، وأخلاقاً عالية.

وطهر مالك عن الحرام والشبهات:﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾[فاطر/ ١٨].

الله أراد منا أن نزكي أنفسنا بالإيمان، والتوحيد، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية، ومن قدس نفسه بمعرفة الله؛ لم يُذل نفسه لغير الله.

فطهر نفسك من كل ما يسخط ربك عليك، وزكِّها بكل ما يرضيه عنك؛ يأذن لك أن تكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ في الدنيا والآخرة:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/ ٦٩-٧٠].

ولكن إذا ابتُليت بمواقعة شيء من المعاصي فبادر إلى التوبة منها:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾[البقرة/ ٢٢٢].

ومتى عملت عملًا صالحًا فأخلصه لله، وطهره من الشوائب؛ لتستوجب موعوده، وتفوز بقبوله:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل/ ٩٧].

وطهر رحمك الله قلبك من كل ما يدنسه بالتوبة النصوح، وطهر جسدك من الدرن والوسخ وما يُستقذر، وطهر ثيابك من الرجس والقذر، وطيب بدنك بالطيب والمسك، وطهره بالوضوء والغسل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ [المدثر: ١ – ٥].

إن فائدة التكبير عائدة على المسلم، فكلما كبرت الله ﷻ عظم في قلبك، وعظم في نفوس من حولك، وتعظم أنت في عين الله:﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾[المدثر/ ٣-٧].

اصبر على جميع هذه الأعمال، هذه أعمال عظيمة؛ أن تقوم بالدعوة، وأن تداوم على ذكر ربك، وأن تجتهد على طهارة بدنك، وطهارة قلوب البشرية من الأصنام والرجز وغيرها:﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾[المدثر/ ٦].

لا تحبس مالك تستكثر منه، بل أنفقه تجده أمامك؛ وما أنفقت من خير فالله ﷻ يعلمه ويرده عليك أضعافًا مضاعفة.

وطهر لسانك عن الآثام، وطهر قلبك عن الأصنام: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى: ١٤ – ١٥].

وطهر بطنك من الحرام: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة/ ١٧٢].

وطهر لسانك عن الآثام؛ فاللسان خلق لحكمة، حكمته أن يذكر الله ذكرًا كثيرًا، ويكبر الله، ويمجد الله، ويحمد الله، ويقوم بالدعوة إلى الله ويعلم شرع الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت/ ٣٣].

ويقول القول السديد: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب/ ٧٠].

ويجتنب الغيبة والنميمة وشهادة الزور، وغيرها من مساوئ الأخلاق: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

فطهر بطنك من الحرام، فالمال الحرام يطمس عين القلب: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين/ ١٤].

فبسبب أكل الحرام لا يستجاب الدعاء، وطهر لسانك عن الآثام بترك الكلام عن المعاصي وعن التوسع في أمور الدنيا، وغير ذلك من الأعمال التي لا يحل للعبد أن يستعمل اللسان في الكلام عليها.

وعبودية اللسان في أمرين، أن تتكلم مع الله بالذكر والدعاء، وتتكلم عنه بين الناس بالدعوة إليه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وطهر قلبك عن الأصنام؛ فالطواف حول القبور ممنوع، وكذلك الطواف حول القصور ممنوع، الطواف حول القبور على الأموات، والأموات ليس بأيديهم شيء، كذلك الطواف على الدنيا ممنوع، الطواف على القبور، والطواف على القصور، سواءٌ بسواء، فمن عبد الدنيا، أو عبد القبور، أو عبد الهوى؛ فهذه كلها عبادات لا تجوز، ويحرم على الإنسان أن يشتغل بذلك: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦١ – ١٦٣].

الله وضع على الدنيا علامة، هذه اللوحة مكتوب عليها: ﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ

وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ [العنكبوت: ٦٤].

حتى نبتعد عن الدنيا، ونقدس أنفسنا عن التعلق بالفانية، ونزكيها بالتعلق بالباقية: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى/ ٤-٥].

الله أكبر! كم عظمة الله! وكم عظمة نعمه! وكم سعة علمه وفضله! والمستفيد من ذلك كله هو الإنسان الذي يريده الله أن يكون في الدنيا خليفه، وفي الآخرة جليسه.

والله خلق الدنيا لنا، وخلقنا له من أجل أن نقوم بعبادته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات/ ٥٦].

والطهارة تنقسم إلى ما انقسم إليه المتطهَّر منه وهو الرجس.

- **والرجس ضربان:**

الأول: رجس باطن في القلب: كالشرك، والنفاق، والرياء، والشح، والبخل، والعجب، والكبر، والحسد، والجبن، والكذب، والظلم، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق والذنوب الخفية، فهذه لابد من تطهير القلب منها: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

فهذه جاهد نفسك على التخلص منها، واضرع إلى ربك ليخلصك منها، وبادر إلى التطهر منها بالتوبة النصوح، والله يتوب عليك: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾

[الزمر: ٥٣].

ما في قلب الإنسان من الشرك الأكبر والأصغر يعرض للإنسان أحياناً ويزينه الشيطان له فتختلط المعصية بالطاعة، من الشرك، والنفاق، والشح، والبخل، والحسد، وغيرها: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

فهذا له غُسل وله تطهر، فمطلوب أن تطهر نفسك وتقدسها بالتوبة إلى الله من هذه الذنوب التي هي الرجس: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء/ ١٧].

الثاني: رجس ظاهر: وهو ضربان، فالمعاصي عمل ظاهر يصدر من الجوارح بعلم القلب، وإرادة الإنسان باختياره، كالمعاصي، والمحرمات القاصرة والمتعدية، القولية والفعلية، هذا الرجس لابد من تقديس النفس وتطهيرها وتنزيهها منه؛ حتى لا يكون الإنسان نجساً قذراً، بل يتطهر ويتزكى بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾** ﴾ [الشمس: ٧ – ١٠].

- **فالرجس الظاهر ينقسم إلى قسمين:**

الأول:عمل ظاهر يصدر من الجوارح بعلم القلب وإرادة الإنسان، كالمعاصي والمحرمات القاصرة والمتعدية، القولية والفعلية، من أكل الربا، والزنا، وشرب الخمور، وقول الفحش، وشهادة الزور، والغيبة، والنميمة، والسرقة، والغصب، وغير ذلك من الأعمال المحرمة: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾** ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فهذا طهوره من جهة القلب بالتوبة منه، والعزم على تركه، وإتْباع السيئة بالحسنة التي تمحوها، وإشغال الجوارح بالطاعات بدل المعاصي، فذلك أبلغ في الطهارة:﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾[هود/ ١١٤-١١٥].

الثاني: ما يفعله العبد مكرهًا من المعاصي التي تتعلق به وحده، ولا تتعدى إلى غيره.

كمن أكره على الكفر بالسجود لغير الله، أو سب الله ورسوله ونحو ذلك.

فهذا طهوره لزوم كراهته في القلب، والتخلص منه متى زال الإكراه، مع الاستغفار، كما قال سبحانه:﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

[النحل/ ١٠٦].

فإذا أُكره المسلم على أن يقول كلمة الكفر؛ فيقولها بلسانه وهو غير مطمئن لذلك بقلبه، مع الاستغفار، وإن كان ليس بذنبه، لأنه مُغلق ومكره، ولا تكليف على مكره، لكن يحسن منه الاستغفار؛ لأن الإنسان مقصر في الاعتقادات، وفي الأقوال، والأعمال، والأخلاق، فالاستغفار غسيل للذنوب والمعاصي؛ حتى يلقى المسلم ربه نقيًّا من

الذنوب، مطيبًا بالطيب، فالطيِّب: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وجميع الطاعات.

والتنظيف بالاستغفار والتوبة إلى الله ﷻ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣].

واعلم أن كل طاعة لله ورسوله طُهرة وزكاة، وبركة، يُحس المؤمن بطعمها وحلاوتها في الدنيا والآخرة، وكل معصية لله ورسوله نجاسة وخسارة وحسرة، يُحس الإنسان بمرارتها في الدنيا والآخرة: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٦].

واعلم أن الماء طاهرٌ في نفسه، مطهر لغيره من الأحداث والأنجاس، والماء في إزالة النجاسة كالنور في إزالة الظلام، وكالحق في إزالة الباطل، وكالتوبة في إزالة درن الذنب، هذا طهور التوبة، وهذا طهور الماء، والله يحب أهل هذا وهذا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

فاحمد الله أيها المسلم والمسلمة على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، واحمد الله أن جعلك من المؤمنين، واسأله أن يطهر قلبك وبدنك من كل دنس، ويزكيك بالإيمان والتقوى، وصلِ وسلم على من بعثه الله رحمةً للعالمين: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة/ ٢].

فلابد لكل إنسان من التخلية ثم التزكية، فالتحلية تأتي بعد التزكية؛ بعد التطهير، بعد أن تطهر نفسك من الأنجاس والشرك والنفاق، والصفات المذمومة، تزكيها بالإيمان والتوحيد والتقوى، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى/ ١٤-١٥].

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة/ ٤].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وطهر أعمالنا من الرياء، وطهر ألسنتنا من الكذب، وطهر جوارحنا من الفواحش والآثام، وطهر أعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨١].

أسماء الله الحسنى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اســـــم الله

السلام

اسم الله السلام

الله ﷻ هو الملك القدوس السلام، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، هو الملك القدوس السلام الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل نقص، الذي له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: ٨].

وهو سبحانه السلام بكل اعتبار، فهو سلام في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله من جميع العيوب والنقائص والآفات: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾[الحشر/ ٢٣-٢٤].

فالله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، وهو الملك الذي له أوامر كونية على جميع مخلوقاته، وله أوامر شرعية على العقلاء من خلقه من الجن والإنس والملائكة.

فالله ﷻ أنزل علينا الدين الحق، وأمرنا أن نعمل بهذا الدين؛ لنسعد في الدنيا والآخرة، وأمرنا بذكره كثيرًا، لئلا نغفل عنه، فنقع في معصيته، ونطيع عدوه وهو الشيطان: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وبسبب الغفلة، والتمتع والانهماك في الشهوات، وحب الدنيا، واتباع الهوى توالت علينا المصائب والكوارث، وهذه سنة الله في كل زمان ومكان: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١١٣﴾[النحل/ ١١٢-١١٣].

هذه سنة الله جارية، من آمن فله الأمن والهدى، ومن كفر بالله ﷻ وعصاه فله الشقاء والتعب: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾[طه/ ١٢٣-١٢٤].

فالحقيقة أن الشيطان احتل قلوبنا؛ فجاء الكفار فاحتلوا ديارنا، ثم أفسدوا ما بقي من ديننا، وتحكموا في أنفسنا وأموالنا وديارنا؛ بسبب إعراضنا عن دين الله، واتباع الهوى، والشيطان، وحب الدنيا، ولن تزال البلاد محتلة ما دامت القلوب محتلة، ولن يخرج العدو الخارجي من ديارنا وهم الكفار واليهود والنصارى؛ حتى يخرج العدو الداخلي من قلوبنا، وهو الشيطان، وستبقى الأمور مختلة، والبلاد محتلة، ما دامت القلوب معتلة بالإعراض عن الدين، والإقبال على الدنيا وشهواتها: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة/ ٣٨-٣٩].

فالسلام كله والأمن كله في الإسلام وحده: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران/ ٨٥].

فالحمد لله رب العالمين، لربنا الملك الحق الذي من علينا بنعمة الإسلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة/ ٣].

والحمد لله كثيرًا الذي أخرجنا من ظلمات الجهل والجاهلية، ظلمات الجاهلية الكبرى، أخرجنا من ظلمات الجاهلية الأربع إلى نور الإسلام، والإيمان، والإحسان واليقين: ﴿قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤ – ١٧٥].

والجاهليات الأربع التي كانت موجودة في الجاهلية، وكلها ضد الإسلام هي: ما ذكره الله في القرآن من حكم الجاهلية، وظن الجاهلية، وحمية الجاهلية، وتبرج الجاهلية: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

والله ﷻ خلق الكون وما فيه، وأصلحه، وسخره للإنسان؛ تذكيرًا له بعظمة من يعبده، وكرم من خلقه؛ وليكون عونًا له على طاعة ربه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[لقمان/ ٢٠].

وخلق الله ﷻ جميع المخلوقات على التمام والكمال والحسن، وسخرها للإنسان الذي اصطفاه واختاره ليقوم بعبادة ربه، وأعطاه الخيار؛ إن شاء آمن، وإن شاء كفر، إن شاء أطاع، وإن شاء عصى، فلهذا الاختيار الله ﷻ سخر له ما في السموات وما في الأرض، وأوجد هذه المخلوقات على التمام والكمال والحسن، وسخرها للإنسان، وما يحصل في الكون من الفساد فهو بسبب الإنسان الذي فسد وأفسد: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[الروم/ ٤١].

فالله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، دعانا للتخلق بهذه الأسماء، وعبادة الله ﷻ بهذه الأسماء، ليكون الإنسان أعلى المخلوقات؛ فإن الله ﷻ جعل المخلوقات درجات.

فأصح المخلوقات مزاجًا هم بنو آدم، وأصح بني آدم مزاجًا هم المؤمنون، وأصح المؤمنين مزاجًا هم الأنبياء والرسل، وأصح الأنبياء والرسل مزاجًا وأفضلهم أولو العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

وأصح أولي العزم مزاجًا هما الخليلان: إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وأصحهما مزاجًا هو محمد ﷺ الذي هو سيد الأنبياء والرسل، وسيد الأولين والآخرين، والذي جمع الله فيه جميع أخلاق وصفات الأنبياء من قبله، كما قال الله عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم/ ٤].

وكان خلقه القرآن، فالتعرف على الله بأسمائه وصفاته ينقل الإنسان من درجة إلى درجة فوقها، بأن يتخلق بأخلاق الملائكة، أخلاق الأنبياء، يتخلق ويتصف بصفات الله ﷻ، ولكن على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠].

واسم الله السلام اسم عظيم من أسماء الله الحسنى؛ فالله ﷻ هو الملك القدوس السلام: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر: ٢٣].

• **واسم الله السلام له ثلاث معاني:**

الأول: بمعنى السلام: والبراءة من كل عيب ونقص، وأن الله ﷻ هو السلام الذي سلم وبرئ من كل نقص وعيب في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

الثاني: أن الله جل جلاله هو السلام المسَلِّم لعباده؛ لأن السلام والأمن بيده، كما أن الرزق بيده، فكذلك الأمن بيده، والسلام بيده، فكل سلامة في الكون صادرة منه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام/ ٨٢].

لهم الأمن من المؤمن، ولهم الرزق من الرازق، ولهم العلم من العليم، ولهم السلامة والسلام.

الثالث: أن السلام معناه الذي يسلِّم على أنبيائه وأوليائه في الدنيا والآخرة.

كما قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل/ ٥٩].

وقوله ﷻ يوم القيامة عن أهل الجنة: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب/ ٤٤].

فالله سبحانه هو السلام المنزه عن صفات النقص والعيب، وعن الشبيه والمثيل، المتصف بصفات الكمال والجلال والجمال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

فكل صفات ربنا ﷻ حسنى، وكلها سلام مما يضادها، فحياته جل جلاله سلام من الموت والفناء، والسنة والنوم، وقوته وقدرته سلام من الضعف والعجز، وعلمه سلام من النسيان وعزوب شيء عنه، وغناه سلام من الحاجة إلى غيره، وكلماته سلام من الكذب والظلم، وعذابه وانتقامه سلام من أن يكون ظلمًا أو جورًا، وملكه سلام من الشريك والمثيل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فسبحان ربنا السلام السالم من النقائص والعيوب، المنزه عن الشريك والند والمثيل،

الموصوف بصفات الكمال، السلام الذي يسلم على عباده في الدنيا والآخرة، ويسلم من شاء، ويعاقب من شاء، على مقتضى حكمته، وحكمته مقرونة بالخير المطلق: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)﴾[آل عمران/ ٢٦].

فالشر ليس إليه، إنما بيده وحده الخير كله، ومنه الفضل كله.

وهو سبحانه الملك القدوس السلام، المنزه عن كل عيب ونقص، الذي تنزه عن الظلم والجور، الملِك الذي بيده الخلق والأمر، وإليه يرجع الأمر كله، الذي تنزهت ذاته عما لا يليق بجلاله، وتنزهت أفعاله عن الظلم والتشفي من خلقه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣)﴾[الحشر/ ٢٣].

وقد ورد اسم السلام في القرآن مرةً واحدة في سورة الحشر كما قال سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣)﴾[الحشر/ ٢٣].

وفي السنة ورد في مواطن منها: الدعاء بعد السلام، من صلاة الفريضة: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**» أخرجه مسلم(١).

وعطاؤه جل جلاله سلام من المعاوضة، ما يعطي ليُعطى، ولا يَرزُق ليُرزَق، عطاؤه جل جلاله سلام من المعاوضة، أو الحاجة إلى المعطي، ومنعه سلام من البخل والشح والحرص، وإنما عطاؤه إحسان محض، ومنعه حكمة وعدل محض: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧)﴾[سبأ/ ٣٦-٣٧].

الله أكبر! كم أنواع عطائه! كم عطاء الله لخلقه من هذه الشمس، وهذا الهواء، وهذه الأرزاق المتنوعة المختلفة في الجو وفي البر وفي البحر؟ كم من الأرزاق تساق إلى هذه الأسماك في البحار؟ ولهذه الطيور والحشرات التي تسبح في الجو؟ ولهذه الدواب التي تدب على وجه الأرض من سائر الحيوانات؟ كل يوم له رزقه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٩١).

﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾ [هود: ٦].

وكل الأرزاق قسمها الله بقدر: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

- **والله ﷻ فرغ إلى كل إنسان من خمسة أشياء:**

من رزقه .. وأجله .. وعمله .. وشقي .. أو سعيد.

وكل مخلوق قد قدر الله له رزقه مكانًا وزمانًا، وكميةً ونوعية، كل مخلوق من أصغر مخلوق إلى أكبر مخلوق، من عالم الحيوان، أو من عالم الطير، ومن الجن، والملائكة، أو الإنس، جميع المخلوقات الله ﷻ قدر أرزاقها المادية والمعنوية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

فالله ﷻ فرغ إلى جميع هذه المخلوقات من جميع أرزاقها، وقسمها على وفق الحكمة والعلم بأحوال عباده، فجميع أرزاق الخلق، بل كل مخلوق، بل كل ذرة تدب على وجه الأرض؛ فرغ الله من رزقها، وقدره في مكانها؛ في مكان كذا، في الزمان؛ بعد العصر أو الصباح، كمية؛ مائة كيلو مثلاً، ونوعية؛ من القمح، أو من التمر، أو من غيرها.

خَلْق الأرزاق يحتاج إلى قوة، وإلى غنى، وإلى قدرة تخلق هذه الأرزاق المختلفة، وتحتاج إلى قوة لنقلها إلى هذه المخلوقات في البحار، وفي الجو، وفي البر.

فالذي خلق الأرزاق، والذي أوصل الأرزاق، هو الله، الذي يسوق الأرزاق إلى كافة المخلوقات: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾ [هود/ ٦].

وهو سبحانه السلام الذي سلم الخلق من ظلمه؛ فلا يظلم ربك أحدًا؛ فالله ﷻ نزه نفسه عن الظلم، وليس بحاجة للظلم؛ لأنه هو الغني عن كل ما سواه، والظلم من صفات النقص: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٤٤﴾ [يونس/ ٤٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: ٤٦].

فسبحان الملك القدوس السلام، الذي من محبته للسلام سمى من أطاعه واتبع هداه بالمسلمين: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٨].

والإسلام دين الله، ودين ملائكته، ودين أهل السماء والأرض، ومن دخل فيه سلم من العذاب، وفاز بالنعيم: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٩].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

واسم السلام من أعظم أسماء الله الحسنى؛ فهو السلام وحده لا شريك له، وكل ما سواه مستسلم له، خاضع لجبروته، منقاد لأمره، شاهد بوحدانيته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

وفعله مقرون بالحكمة المطلقة، والحكمة وضع الشيء في موضعه، فالله يفعل ما يشاء، ولكن فعله مقرون بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق؛ لأنه جل جلاله بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

فالله ﷻ هو الملك القدوس السلام الذي فطر جميع المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، على الإسلام والاستسلام لربها السلام؛ فكل مخلوق، وكل جماد، وكل نبات، وكل حيوان، وكل إنسان، وكل ملك، وكل جان، وكل كبير، وكل صغير، وكل ساكن، وكل متحرك؛ الكل صغير أمام ربه الكبير، ضعيف أمام ربه القوي، عاجز أمام ربه القادر، الكل فقير إلى ربه الغني، الكل ذليل أمام ربه العزيز، والكل مستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣].

الكل عبيد لله، والكل يسبح بحمد ربه، والكل يشهد بتوحيده، والكل مطيع لربه، والكل ينفق ويعطي مما آتاه الله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ

﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾[البقرة/ ١٦٤].

وجميع هذه المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، وما بين السماء والأرض، الكل ينفق بوسعه بإذن ربه، لا يمنع ماعونه أبدًا، فالشمس مخلوقة تعطي النور بإذن ربها، والسحب تعطي المياه، والماء يعطي الحياة:﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾[الأنبياء/ ٣٠].

والأرض تعطي النبات:﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾[الحج/ ٥].

والأشجار تعطي الثمار، وعالم النبات أكثر من أربعين مليون نوع، ولكل نوع ثمرات، فهذه الثمار مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والأحجام، الله هو الذي ﷻ خلقها؛ فهي تعطي هذه المنافع، الأشجار تعطي الثمار.

والحيوان مسخر للإنسان، يعطيه الحليب والسمن والصوف وغيرها، واللسان يعطي الكلام، والعين تعطي الرؤية، والأذن تعطي السمع، والكل يعطي من ماعونه كل حين، فهذا الماعون تصب منه المنافع، والكل يعطي من ماعونه، ويشهد بتوحيد ربه، ويسبح بحمد ربه القدوس السلام:﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[الإسراء/ ٤٤].

فسبحان ربنا الملك القدوس السلام الذي سلمت ذاته من كل عيب، وسلمت صفاته من كل نقص، وسلمت أفعاله من كل شر:﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾[طه/ ٨].

هو السلام ومنه السلام، تنزه أن يوقع الشر لذاته؛ وإنما يوقعه لمصلحة العبد، يطهره به، أو يطهره منه، أو يرده إلى ربه من مرض أو مصيبة أو خسارة؛ يوقعه بعبده إذا انحرف عنه، وشرد منه، لماذا؟ ليتوب إليه؛ لأن الله خلقه ليسعده، ولن يسعد إلا باتباع شرعه جل جلاله، والصبر على ما قدره الله:﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٦].

فإذا وجدت المصيبة؛ فعلاجها بهذا القول:﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾[البقرة/ ١٥٦-١٥٧].

فالله ﷻ هو وحده السلام الذي يسلم عباده مما يضرهم؛ فليس في الوجود سلامة إلا منه وحده لا شريك له، هو السلام الذي خلق جميع وسائل السلامة في جسم الإنسان؛ جعل الدماغ في الجمجمة، وجعل القلب في الصدر، وجعل العين في المحجر، وجعل الرحم في الحوض، وجعل الشرايين داخل جسم الإنسان، وجعل معامل كريات الدم الحمراء في نقي العظام: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٤].

البشر إذا أرادوا أن يصنعوا سيارة أو طائرة؛ أو أبرة، لا بد أن يصنعوها في وسط النور، لكن هذا الإنسان الله يخلقه في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة.

فسبحان الملك الحق الذي ظهرت بدائع صنعه في عالم الجماد والنبات والحيوان والإنسان: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فهو سبحانه الملك الحق الذي سمى نفسه السلام، وسمى عباده بالمسلمين، هو السلام الذي إذا ذكرته شعرت بالسلام والأمن والطمأنينة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)﴾ [الرعد/ ٢٨].

وذكر الله والاتصال به يطهر النفوس من العيوب، ومساوئ الأخلاق من الكذب والكفر، ومن النفاق والرياء، ومن الكبر والعجب، ومن الحقد والحسد، ومن الحرص والطمع: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)﴾ [العنكبوت/ ٤٥].

فسبحان العزيز الكريم الملك القدوس السلام الذي إذا اتصلت به أعطاك ما ينفعك، ورفع عنك ما يضرك، وطهرك من العيوب والآثام: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا

إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الأنبياء/ ٨٧-٨٨].

هو جل جلاله السلام الهادي الذي في حياتك يهديك سبل السلام، في أقوالك وأعمالك يهديك سبل السلام، فلا تقول إلا الحق، ولا تعمل إلا بالحق، في عباداتك ومعاملاتك يهديك سبل السلام، في سفرك وإقامتك يهديك سبل السلام، في أخلاقك يهديك سبل السلام، في تجارتك يهديك سبل السلام، فمن أراد السلامة في الدنيا والآخرة فليطع ربه السلام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾﴾[البقرة/ ٢٠٨].

ومن طبق شرع ربه السلام هداه سبل السلام في جميع أموره: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾[المائدة/ ١٥-١٦].

واعلم أن السلامة كلها في الدنيا والآخرة أن تؤمن بالله، أن تعبد الله، أن تطيع الله: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران/ ٨٥].

﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[الأنعام: ١٢٧].

فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

الله ﷻ هو الملك الحق جل جلاله، فلا بد للعبد أن يتعرف على ربه، ويعلم أنه لا إله غيره، ولا رب سواه.

والله ﷻ فطر العباد على معرفته، وعلى التوجه إليه، ومن خالف فطرته؛ فليس في سلام، بل في شقاء، كل من خالف الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ فسيعيش في شقاء لا في سلام: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾[الشعراء: ٢١٣].

فالمسلم في سلام مع ربه، وسلام مع نفسه، وسلام مع من حوله.

فهو في سلام مع ربه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ

ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت/ ٣٠-٣٢].

وهو في سلام مع نفسه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد/ ٢٨-٢٩].

وهو في سلام مع من حوله، المؤمن في سلام مع ربه بأن حمل نفسه على طاعة الله؛ فله في الدنيا الأمن والهداية، وله في يوم القيامة الرضوان والجنة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

وهو في سلام مع نفسه؛ بحيث أنه انقاد لأمر ربه، وأخضع جوارحه لطاعة ربه؛ فسلم من العقوبات، وسلم من الخسران، ويوم القيامة الله ﷻ يدخله ربه دار السلام: ﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[الأنعام/ ١٢٧].

وكذلك المسلم في سلام مع من حوله من المخلوقات، خاصةً مع إخوانه المؤمنين: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة/ ٧١].

والله ﷻ هو السلام الذي خلق السلام في جميع المخلوقات، فكل سلامة في الكون فمن سلامه جل جلاله، والسلامة لمن اتبع منهج الله، فمن اتبع منهج الله ﷻ؛ فهو في سلام مع نفسه، وسلام مع ربه، وسلام مع الناس.

والسلامة هي الأمن والطمأنينة، ولا يحصل السلام إلا لمن اتبع شرع الله، أما من خالف منهج الله في عباداته ومعاملاته وأخلاقه؛ فسيعيش في شقاء، فمن بنى غناه على إفقار الناس، وبنى مجده على رقاب الناس، وبنى عزه على إذلال الناس، وبنى حياته على موت الناس، وبنى أمنه على تخويف الناس؛ فهذا الإنسان يتعذب عذابًا شديدًا في نفسه، ويشقى في حياته: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[طه/ ١٢٣-١٢٤].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[الانفطار/ ١٣-١٤].

الأبرار في نعيم في الدنيا، وفي القبر، وفي الجنة، والفجار في جحيم في الدنيا، وفي القبر وفي عذاب جهنم.

والله سبحانه يدعو إلى سبل السلام، ويدعو إلى دار السلام «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»متفق عليه[1].

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة/ ١٧].

فسبحان الملك القدوس السلام الذي سلم عباده من المؤذيات والمكروهات، وسلم دينه من الشبهات والبدع.

قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي**»أخرجه مسلم[2].

فالله ﷻ هو السلام الذي يسلم عباده من المكروهات في دينهم ودنياهم.

والسلامة في الدين تكون في ثلاثة مقامات:

في مقام الشريعة .. ومقام الطريقة .. ومقام الحقيقة.

ففي مقام الشريعة: يسلم الله عقل المسلم من البدع والشبهات، ويسلم قلبه وأعماله من الهوى والشبهات.

وفي مقام الطريقة يقدم العقل على الهوى؛ فعقله أمير على شهواته ، وليس أسيرًا لها، ينقاد هواه لعقله، ولا ينقاد عقله لهواه؛ بل هو مسلم مستسلم لربه السلام، يقدم الوحي على العقل في جميع أحواله، ويقدم الآخرة على الدنيا، ويقدم محبوبات الرب على محبوبات النفس.

وفي مقام الحقيقة فسلامة المسلم ألا يلتفت إلا إلى الله، ويفر إلى الله، ويعبد الله كأنه يراه، ولا يلتفت لأحد سواه، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛

فالسلام أين؟ ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾[النجم/ ٤٢].

والسلامة أين؟ ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات/ ٥٠-٥١].

والخسارة أين؟ ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾[الإسراء/ ٢٢].

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤)واللفظ له،ومسلم برقم (٢٨٢٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

والعذاب أين؟ ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾[الشعراء/٢١٣] .
فسبحان الملك القدوس السلام الذي سلم من كل آفة وعيب ونقص؛ وسلَّم عباده من كل شر، وسلم على رسله وأوليائه في الدنيا والآخرة: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾[النمل/ ٥٩].
هو سبحانه السلام الذي سلم علمه من الجهل، فلا يخفى عليه شيء، أحاط بكل شيء علمًا، وسلم غناه من الفقر؛ فالله ﷻ غني لا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة، مع أنه ينفق في كل ثانية مليارات الأرزاق على خلقه، ويده ملأى، سحاء الليل والنهار، لا تغيضها نفقة، ولا ينقص من ملكه مثقال ذرة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤﴾[ص/ ٥٤].
والغني هو الذي لا تنقص خزائنه، ومن نقصت خزائنه هللة واحدة فهو فقير، أما الله ﷻ فهو الغني الذي أعطى الغني ما يغتني به، ولو سلب عنه الغنى لعاد فقيرًا.
«يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»أخرجه مسلم(١).
والمحدود إذا أَخَذَ من المحدود نقص، من المائة ريال أنفقت عشرة تنقص، هذا شأن المخلوق؛ أما الخالق فغناه مطلق لا أول له ولا آخر، غناه لازم لذاته جل جلاله، والمحدود إذا أخذ من المحدود نقص، والمحدود إذا أخذ من غير المحدود فإنه لا ينقص أبدًا؛ لأن خزائنه كلام: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤﴾[ص/ ٥٤].
﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعۡلُومٍ ٢١﴾[الحجر: ٢١].
هو الله الملك القدوس السلام الذي سلم علمه من الجهل، وسلم غناه من الفقر، وسلم حكمه من العبث، فهو يضع الشيء في موضعه، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وحيث يجعل هدايته في خلقه، هو أعلم بمن يصلح للجنة فيهديه، ومن لا يصلح للجنة فيضله، ولكنه لا يضل إلا من ضل، لا يزيغ إلا من زاغ، فمن أقبل على الله هداه، ومن أعرض عنه نسيه وتركه وما يختار: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾
[الشورى: ١٣].
﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرۡشِدًا ١٧﴾[الكهف: ١٧].

---
(١)أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

هو السلام الذي سلمت قوته من الضعف، وسلم ملكه من الشريك، وسلمت حياته من الموت: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وكل سلام في الكون فهو أثر من آثار اسمه السلام جل جلاله الذي خلق كل شيء، وأحكم كل شيء: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل/ ٨٨].

فالسموات والأرض، والشمس والقمر، والنجوم والرياح، والجبال والبحار، والجماد والنبات، والحيوان والإنسان، والجن والملائكة؛ كلها خلقًا وتدبيرًا، ونفعًا وضرًّا، وبقاءً وفناءً؛ كلها خاضعة لربها السلام، محكومة بأمره، مسبحة بحمده، مستجيبة لمشيئته، شاهدة بوحدانيته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

الله عَزَّ وَجَلَّ هو السلام في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، خلق الجن والإنس لعبادته بما شرعه على ألسنة رسله، وأنزله في كتبه، لتخرج من هؤلاء أنواع العبادات والطاعات التي يحبها الله من صلاة، وصيام، وزكاة، وذكر، ودعاء، وتسبيح، وإنفاق، ودعوة، وتعليم، وأخلاق، كما تخرج الثمار الطيبة والحلوة من الأشجار الطيبة؛ فإذا نزل الماء على الأرض؛ أنبتت من كل زوج بهيج، وإذا نزل الإيمان في القلب أنبت: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأنبت: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

فالعلم بالله ينبت الإيمان في القلب، وينبت الصادقين والصادقات، والخاشعين والخاشعات، ممن يحبهم الله عَزَّ وَجَلَّ لأجل هذه الصفات.

فالله عَزَّ وَجَلَّ خلق الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له، هذه المخلوقات العظيمة الكل منهم مطيع لربه، ينفق مما أتاه الله، ويعمل بقدر طاقته، ولا يمنع ماعونه أبدًا: ﴿أَلَمْ تَرَ

كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم/ ٢٤-٢٥].

ومانع الماعون من البشر ملعون، الشمس ماعون للإنارة، وهي مستجيبة لله ﷻ لا تعصيه أبدًا، تخرج النور إلى أن ينهي الله ﷻ هذا الكون، والسحب ماعون مستجيبة لأمر الله تنزل المطر على الخلق، والأرض مستجيبة لأمر الله، فالأرض ماعون للنباتات، فتعطي هذه النباتات والمواليد الكثيرة المختلفة، لكن مانع الماعون من البشر ملعون، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة/ ١٥٩].

مانع الماعون، ماعون الدعوة، ماعون التعليم، ماعون الأخلاق العالية، هذه مانع الماعون ملعون: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ وإذا لعن الله؛ لعن الكونُ جميعه هذا المخلوق؛ لأن الله لعنه: ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾؛ حتى ذرات جسم الإنسان تلعنه، ثيابه تلعنه، وكل ذرة في الكون تلعنه؛ لأنه عصى الله ﷻ، وكفر بالله ﷻ.

والعذاب ليس على البدن، البدن موصل للألم، والألم يذهب إلى الروح، فتتعذب هذه الروح، فمانع الماعون من البشر ملعون، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠].

هذا اللسان ماعون للكلام، يجب أن يكون كلامي بالحمد والذكر والتسبيح ودعاء ربي ﷻ، والدعوة إلى دينه، وتعليم شرعه، والقول الحسن، هذا اللسان ماعون لهذه الأشياء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من بعد ما ظلموا ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ ما أفسدوا ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ ما كتموا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة/ ١٥٩-١٦٠].

واعلم أن مانع الماعون ملعون؛ فاسق بلسان الشرع ومعهود العقل؛ لتركه الفعل المكلف به، وخروجه عن العمل المَرضي إلى العمل المسخوط لربه السلام: ﴿فَوَيۡلٞ

لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾[الماعون/ ٤-٧].

ومانع الماعون من البشر خارج عن طاعة ربه إلى طاعة إبليس الذي لعنه الله وطرده لما فسق عن أمر ربه:﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾[الحجر/ ٣٤-٣٥].

واعلم أيها المسلم أن إسلام ما دون المؤمن كون وفطرة، فجميع المخلوقات أسلمت لربها، وخضعت لمشيئته؛ لأنها عرفت ربها ﷻ؛ ولذلك تسبح بحمده:﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[الإسراء: ٤٤].

- **فإسلام المؤمن يحصل له من ثلاث أبواب:**

باب الكون..وباب الفطرة ..وباب الشريعة.

فأنا مستسلم لله، لما أنزله من آياته الكونية، الدالة على وحدانيته، وكمال قدرته.

ومستسلم لربي فطرة، إذا مس الإنسان الألم؛ توجه إلى جميع الجهات لم يجد شيئًا، فيرفع بصره إلى السماء، لأنه مفطور على معرفة ربه:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الروم: ٣٠].

هذه الفطرة توجه العبد إلى ربه، وهو مستسلم لربه عن طريق شرعه، وكتابه الذي بين فيه أسماءه وصفاته.

- **فالمؤمن هداه الله من ثلاثة أبواب:**

من جهة الكون..ومن جهة الفطرة..ومن جهة الشريعة.

وكل منهما إسلام لربنا السلام جل جلاله؛ فالمؤمن إسلامه كون وفطرة وشرعة، فهو مسلم، ومستسلم لربه ﷻ، فلله الحمد والمنة على كثرة وسائل الهداية.

فسبحان الملك القدوس السلام الذي شهدت له جميع مخلوقاته بالملك، والعزة، والجبروت، والكبرياء، وشهدت بوحدانيته، وسبحت بحمده في كل وقت، كيف يعبد الناس غيره؟:﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[آل عمران/ ٨٣].

وسبحان الرب السلام الذي سلم على أنبيائه ورسله فقال:﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨١].

ويسلم على عباده المؤمنين به في الدنيا: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل/ ٥٩].

ويسلم على عباده المؤمنين في الجنة يوم يلقونه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب/ ٤٤].

سلام مقرون بالرحمة: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس/ ٥٨].

ولمحبة السلام جل جلاله للسلام جعل السلام شعار ختم الصلاة، وأمر المصلي بذكر السلام، وإفشاء السلام بعد السلام لحاجة العبد إلى السلام، فنقول بعد السلام من الفريضة: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**» (١).

وهو سبحانه السلام الذي يدعو إلى دار السلام: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس/ ٢٥].

ووعد عباده المؤمنين بدخول دار السلام؛ فقال عنهم: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

وهو سبحانه السلام الذي جعل اسمه السلام بشارةً يبشر بها المسلمون بعضهم بعضًا بالسلامة والرحمة والبركة منه؛ لدخولهم في الإسلام، وإيمانهم بربهم السلام.

ولهذا أمرنا السلام بإفشاء السلام بيننا، وجُعِل السلام سببًا للمحبة والإيمان، ودخول دار السلام: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء/ ٨٦].

ويقول النبي ﷺ مرغباً في السلام: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**» أخرجه مسلم (٢).

فأعظم المسلمين أجراً، وأحسنهم بشراً، أكثرهم تحية بالسلام، وأكملُه: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وفي هذا ثلاثون حسنة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٩١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٤).

فسبحان الملك القدوس السلام الذي سلم من جميع الآفات والنقائص والعيوب، الذي أمنه عباده أن يظلمهم، والذي أصلح خلقه بما فطرهم عليه من التوحيد، وبما شرع لهم من الدين الحنيف ، وسلم عباده المؤمنين من الشرور: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

والله ﷻ هو السلام الذي يريد أن يسلم خلقه من الشرور في الدنيا والآخرة، ولهذا دعا جميع خلقه إلى الدخول في الإسلام، ودخول دار السلام: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم/ ٣٠].

هو السلام الذي يدعوا إلى دار السلام: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥].

ولهذا فطر الله خلقه على التوحيد، ويسر للناس معرفته بأسمائه وصفاته، فنقل المؤمن من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، وأنار له بإيمانه موضع الغفلة منه، وكشف له بالعلم ما غطت عليه الشهادة، وبصَّره بالآيات الكونية، والآيات القرآنية؛ فأحبَّه وآمن به وأطاعه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

وبصر الإنسان بأصله، ليعرف من خلقه: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق/ ٥-٨].

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ [عبس/ ٢٤-٣٠].

فالنظر والتفكر من أعظم أبواب زيادة الإيمان، التفكر في الآيات الكونية، والتفكر في الآيات القرآنية، فهذا المؤمن الذي تفكر رأى فعل الله وتدبيره في ملكه ومخلوقاته، ووجد ما سواه من العوالم العلوية والسفلية عبيدًا له، تكبر ربها وتعظمه، وتسبح بحمده، وتطيع أمره، وتشهد بوحدانيته جل جلاله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

واعلم رحمك الله بأن العلم بالله عليه مدار الإيمان؛ فاعلم أنه لا إله إلا الله، هذا العلم عليه مدار الإيمان الذي في القلب، والإسلام الذي في الجوارح؛ حتى تستسلم لربها، ومن سلم قلبه وجوارحه لربه؛ أسعده في الدنيا، وسلمه يوم القيامة القصور الملكية: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾[البقرة/ ١١٢].

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله زاد إيمانه، وحسن إسلامه، وكمل توحيده؛ وقويت عبادته، أفمن يعلم كمن لا يعلم؟ أفلا تذكرون!: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر/ ٩].

وإذا وقر العلم بالله في القلب تنوَّر بالإيمان، ثم توجه إلى ربه بالعمل الصالح، فالذي وقر منه في قلبه هو الإيمان، والخارج من الجوارح هو الإسلام، وهذه أول مراتب العلم وأعلاها وأشرفها؛ لأن ثمرته التوحيد والإيمان؛ ولهذا أمر الله بها، وأكد عليها في كتابه فقال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[محمد/ ١٩].

- **والعلم ثلاث درجات:**

علم بالله.. وعلم بأوامر الله.. وعلم بأيام الله ﷻ.

هذا العلم الإلهي، علم بالله، وعلم بأوامر الله، وعلم بوعد الله ﷻ، وما يجريه من أقداره من نصر أوليائه ورسله، وخذلان أعدائه المشركين به: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

فأول ثمرات هذا العلم الإيمان بالله، وخشيته، وتقواه.

فالعلم الإلهي ثمرته الإيمان بالله، وإذا استقر في القلب؛ امتلأ القلب بنور الإيمان، فانشرح الصدر للطاعات، فأقبل المسلم على طاعة ربه بالحب والتعظيم والذل له؛ ثم

نوَّع الطاعات، واجباتها ومستحباتها، الصلاة فرض ونفل، والصوم فرض ونفل، والزكاة فرض ونفل، والحج فرض ونفل، وهكذا في سائر الطاعات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

إذا امتلأ القلب بالإيمان اشتاق لطاعة الرحمن؛ فتحرك القلب بالإيمان، والقلب يحرك الجوارح للأعمال، يحرك اللسان لذكر الله وحمده، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، ويحرك الجوارح للصلاة والصوم، والزكاة والحج، والجهاد، والدعوة، والتعليم وغير ذلك من الأعمال الصالحة، وأبواب الخير: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

فأعظم روافد هذا العلم الذي هو العلم بـلا إله إلا الله.

وأقوى روافده أركان الإسلام الخمسة، فالشهادتان شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، إعلان للتوحيد، وإظهار للطاعة لله ولرسوله، والصلاة صلة بين العبد وربه.

- **فيقف العبد في الصلاة بين يدي ربه بستة أمور:**

الأول: يكبر ربه، كما نقول: الله أكبر في الأذان، والإقامة، وكذلك في الصلاة، وفي ركعات الصلاة، يكبر ربه.

الثاني: ثم يحمد ربه فيقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة/٢].

ثم نقول بعد الرفع من الركوع: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ملء السماء وملء الأرض. إلى آخره.

الثالث: ثم يسأل ربه الهداية: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة/ ٦].

الرابع: ثم الاستغفار بين السجدتين: اللهم اغفر لي، اللهم اغفر لي.

الخامس: ثم تقديم التحية لله في النهاية: التحيات لله، والصلوات والطيبات.

السادس: ثم الصلاة والسلام على من كان سببًا في وصول هذا الخير إلينا، وتسهيل هذا العلم لنا؛ وهو محمد ﷺ، نصلي ونسلم عليه كما نصلي ونسلم على إبراهيم الذي هو أبو البشرية الثالث، فنقول في آخر الصلاة: «اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد كما

صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

فالصلاة صلة بين العبد وربه، يكبره، ويحمده، ويسأله، ويستغفره، ويقدم التحية له، ثم يصلي ويسلم على من كان سببًا في وصول هذا الخير إليه.

والصلاة أصل الخشوع لله، وهي إعلام بترتيب الذكر والفكر، والتوجه والطاعة، وكيفية الوقوف بين يدي الجبار بأحسن مراتب الخضوع: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وثمرة الصلاة الانقياد لأوامر الله داخل الصلاة وخارجها، مع المحبة والتعظيم لله ﷻ؛ فالعبد لا يكون عبدًا حتى يكون عبدًا لله داخل الصلاة وخارج الصلاة، مطيعٌ لربه في الصلاة بقيامه، وركوعه، وسجوده، وأقواله، وأفعاله، في داخل الصلاة، فهو عبد يطبق أكثر من مائتي سنة عن النبي ﷺ داخل الصلاة.

فكذلك لا يكون العبد عبدًا حقيقة حتى يكون داخل الصلاة عبدًا لله، وخارج الصلاة عبدًا لله ﷻ، مزاجه سمعنا وأطعنا في داخل الصلاة وفي خارج الصلاة، هذا هو العبد الذي سلم قلبه وجوارحه لله ﷻ، ويوم القيامة هذا الإنسان يستلم القصور الملكية، ويدخل جنة عرضها السموات والأرض، وله في الآخرة مثل هذه الدنيا عشر مرات.

فهذه الصلاة هي الركن الأول بعد الشهادتين.

- **أما الركن الثاني فهي الزكاة.**

وهي من ثمرات العلم الإلهي، فهي تدريب على إنفاق المال في وجوهه المشروعة من زكاة، وصدقة، وهدية؛ هربًا من تبعات المال وعبادته، وتقربًا إلى الله بإنفاق المحبوب الأدني؛ لنيل ما هو أحب، فالزكاة تخرج الإنسان من الشح والبخل، وتنفع الفقير، وفيها قربة إلى الله ﷻ بإنفاق المحبوب، لنيل ما هو أحب، وهو رضوان الله والجنة: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤].

- **والصوم أصل في الإمساك كله:**

بالكف عن المحبوب من أجل ما هو أحب، وهو الله، والزهد في المباح، وتضييق مجاري

الشيطان في الدم، والتدرب على الكف عن كل ما حرم الله ﷻ.

فالصوم الأصغر هو الصوم الذي نحن نصومه، أما الصوم الأكبر فهو الصوم عن كل ما يسخط الله ﷻ من جميع المحرمات والمكروهات، يصوم هذا اللسان عن الغيبة والنميمة، والقيل والقال، وتصوم الجوارح عن المعاصي، وعن الذنوب، وعن كل قبيح.

هذا الصوم الأصغر وسيلة إلى الصوم الأكبر، فالصوم الأصغر وقته محدود من الفجر حتى أذان المغرب، وبعد ذلك نأكل ما أحببنا من الطعام والشراب، لكن الصوم الأكبر يبدأ من إسلام الإنسان وإيمانه بربه ﷻ حتى يموت، والفطر يوم القيامة على نهر الكوثر، وزيادة كبد الحوت يوم القيامة، فمن صام عن شهواته استعد لامتثال أوامر ربه.

ثم الحج الذي هو من ثمرات العلم الإلهي الذي يستقر في القلب، ويورث الإيمان والتقوى لله ﷻ، الحج في الأصل هو القصد ، فالحج أصل في القصد إلى الله، وإعلان الطاعة له في بيته ومشاعره بين خلقه، والسعي إليه بالنفس والمال، ولزوم المسكنة والبذاذة في الهيئة أمام الملك الجبار ذلًّا له.

وإذا أعلنت الجوارح هذه الأعمال بعد إقرار القلوب بالتوحيد والإيمان؛ اتفق ظاهر الإنسان وباطنه على سلوك السبيل الموصل إلى ربه، ففاز وسلم من العذاب: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

والسلام سبحانه يحب أن يسلم عباده من الشرور، والعذاب، والآلام؛ ولهذا أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ رحمةً بعباده، وحمايةً لهم مما يضرهم؛ ليعيشوا في أمن وسلام في الدنيا والآخرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام/ ٨٢].

هذا في الدنيا، ويوم القيامة: ﴿۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

ولو ترك الله الناس بلا رسل، ولا كتب، ولا دين؛ لعاشوا كالبهائم، بل أضل من البهائم، وعاشوا على الهوى لا على الهدى؛ فهلكوا وفسدت أمورهم، وضلوا وأضلوا: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾ [الجمعة/ ٢].

فالحمد لله على نعمة الإسلام، وأول كلمة تكلم بها آدم ﷺ هي السلام، حين أمره ربه أن يسلم على الملائكة لما أتم خلقه؛ لأن الله ﷻ أمره بقوله: «**اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ، النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ**»، متفق عليه(١).

فأول كلمة تكلم بها آدم ﷺ هي السلام، حين أمره ربه أن يسلم على الملائكة؛ لأن السلام أمان الله لعباده، ولمحبته لاسمه السلام سمى دينه الإسلام، وسمى أهله بالمسلمين، وأمر بإفشاء السلام، وهو الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران/ ١٩].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران/ ١٠٢]. وأمرنا الله ﷻ إذا دخلنا البيوت أن نسلم على أهلها؛ لإشعارهم بالأمن والسلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النور/ ٢٧].

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةً مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦١﴾ [النور/ ٦١].

ومن حق المسلم على المسلم أن يرد السلام، كما قال النبي ﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ -وفي رواية- سِتٌّ وذكر منها: رَدُّ السَّلَامِ**» متفق عليه(٢).

وإفشاء السلام من أعظم شعائر الإسلام والمسلمين، مع تطبيق أركانه وأحكامه.

سئل النبي ﷺ: «**أي الإسلام خير؟ فقال: أَنْ تُلْقِيَ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**» متفق عليه(٣).

واسم السلام يجعل المسلم في سلام مع ربه، ومع نفسه، ومع غيره، واعلم أن كل شر إنما يأتي من سوء الاختيار؛ فالعاصي استعمل هواه في تحريك جوارحه؛ فوقع في الشر، لكن الله وظف هذا الشر النسبي للخير المطلق: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن/ ١١].

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٤١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٢٤٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٦٢).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٢٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٣٩).

تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

- **فالله ﷻ يهدي خلقه من أربعة أبواب:**

الأول:الهدى البياني، بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بالقول الحسن، بالدرس، بالموعظة، بالمحاضرة: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

الثاني:التأديب التربوي، فإذا لم يستجب العبد للهدى، فالله يرد هذا الإنسان إليه بأمر آخر، هذا الأمر هو أن يصيبه بمصيبة؛ إنذارًا له، حتى تذكره ربه فيتوب إلى الله، فالأمراض والمصائب إنذارات من الله بأن هذا الإنسان خرج عن الصراط المستقيم؛ فلا بد أن يعود إلى ربه؛ فهذه المصائب والآلام منذرات ومذكرات بالله ﷻ؛ فيتوجه الإنسان إلى ربه، إن لم يفد به القول الحسن؛ انتفع بهذا الإنذار من ربه ﷻ.

الثالث:الإكرام الاستدراجي، فإن لم يفده القول الحسن، ولا الإنذار بالمصيبة، فالله ﷻ عنده باب ثالث، وهو الإكرام الاستدراجي:﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾[التوبة/ ٥٥].

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾[الأنعام/ ٤٤].

الرابع:القصم الرباني، فإذا لم يستجيبوا وقد جاءهم الهدى، ولم يتوبوا بعد البلاء، ولم يشكروا بعد النعماء، فلم يبق إلا القصم الرباني بالإهلاك والتدمير، وبحسب الذنب تكون قوة العقوبة:﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾[الزخرف/ ٥٥].

﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فالله حكيم في أقداره؛ في المحبوب والمكروه، في المنع والعطاء، فهو منع إلا ليعطي، وما ابتلى إلا ليعافي، وما أمرض إلا ليشفي جل جلاله:﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾[التوبة/ ٥١].

فالمصيبة إنذار من الرب، ترد العبد العاصي إلى مولاه، ولكننا لضعفنا إذا أُصِبنا فورًا نذهب إلى الأسباب ونتعالج، ولا نعلم ما سبب وقوع هذه المصيبة، ومن الذي أنزلها،

الذي أنزلها وجاء بها هو الله ﷻ؛ عقوبةً وإنذارًا لهذا العبد حتى يعود إلى ربه، ليس إيلام العبد أمر مقصود، فالإيلام ليعود إلى ربه.

فالمصائب إنذارات من الرب ترد العبد العاصي إلى مولاه؛ فيتوب إليه، ويسلم من عقوبة ذنبه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة/ ٥١].

وقال النبي ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**» متفق عليه(١).

والمسلم إذا آذى مسلمًا من إخوانه؛ قال هذا الذي أوذي: فلان قد آذاني، وإذا آذى غير مسلم؛ قال: المسلمون فعلوا معي كذا، فينسب التهمة للإسلام لا للمسلم.

لكن المسلم الحقيقي من سلم المسلمون من لسانه ويده، وسلمت سمعة الإسلام من لسانه ويده، وكان قدوةً حسنةً لغيره؛ فهو سفير الإسلام بين الخلق في أقواله وأعماله وأخلاقه؛ فلا ينسب للإسلام أي أمر مشين: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فالمسلم حقق حسن الخُلق مع الخالق والمخلوق، وأصول الأخلاق مع الخلق أربعة: أن تعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك، وتصل من قطعك؛ فهذا سفير الإسلام بين الخلق في أقواله وأعماله وأخلاقه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فمن أساء بسوء في تصرفاته فقد أساء للإسلام، والمسلمين، والكفار، لأنه شوه صورة الإسلام، وأساء للمسلمين لأنه فعل هذا الفعل لأنه مسلم، وأساء للكفار؛ لأنه منعهم من الإسلام بسبب سوء تصرفاته، والإسلام اليوم محجوب عن الكفار، لماذا الإسلام اليوم محجوب عن الكفار؟.

المسلمون الآن أكثر من مليار ونصف، من بين أكثر من سبعة مليارات وبقية السبعة مليارات كلهم كفار، الإسلام محجوب عن هؤلاء؛ بسبب سوء أخلاق بعض المسلمين

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٠)، ومسلم برقم (٤٠).

مع الكفار، بالكذب، والفساد، والخيانة، والظلم وغيرها.
الإسلام محجوب عن الناس؛ لأن الإسلام هو الأخلاق قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية: «**صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» أخرجه أحمد والبيهقي[1].

- **والأخلاق تنقسم إلى قسمين:**

حسن الخلق مع الخالق.. وحسن الخلق مع المخلوق.
الأول: حسن الخلق مع الخالق: أن أعرف الكبير فأكبره، والعظيم فأعظمه، وأعرف الكريم فأشكره، وأعبده بما جاء به رسوله ﷺ، والنفع عائد إليَّ: ﴿**ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾**﴾ [الأنعام: ١٠٢].
الثاني: حسن الخلق مع المخلوق: أن أصل من قطعني، وأعفو عمن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأحسن إلى من أساء إلي، وأخالق الناس بخلق حسن: ﴿**خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾**﴾ [الأعراف: ١٩٩].
وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**» أخرجه أحمد وأبو داود[2].
فالدين كله هو الخلق، لأن هذا الدين عظيم لا بد له من إناء، وهذا الإناء هو إناء الأخلاق: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾**﴾ [القلم/ ٤].
وهذا الخلق ليس له حد، وليس له وقت، يتخلق به الإنسان، ويلبس هذا اللباس، يلبس لباس التقوى إلى أن يلقى ربه، والتقوى هي التي تحجزك عن معاصي الله ﷻ، التقوى ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾**﴾ [آل عمران: ١٠٢].
فالإسلام محجوب عن الكفار بسبب سوء تصرفات المسلمين مع الكفار بالكذب والفساد والخيانة، وهذا شيء مشاهَد، فمن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده؛ من باب أولى لن يسلم الكفار من لسانه ويده؛ فيؤذي المسلمين، وينفر الكافرين عن الدخول في الإسلام، والواجب أن يتصف بصفات النبي ﷺ، الذي كان أحسن الناس خَلقًا وخُلقًا.

- **وحتى يحصل الأثر والتأثير لابد أن يقتدي المسلم بالنبي ﷺ في خمسة أمور:**

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩)، وأخرجه البيهقي برقم (٢٠٧٨٢)، وهذا لفظه.

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٥٠١٣) وأخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٨) وهذا لفظه.

في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه.. وفي أقواله الحسنة.. وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه العظيمة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

فالمؤمن حقًّا من سلمت سمعة الإسلام والمسلمين من لسانه ويده.

قال النبي ﷺ: «**وَاللهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لا يُؤْمِنُ قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ**» أخرجه البخاري[1].

وبوائقه شروره وغوائله، فإذا آمنت بالله السلام؛ فكن مصدر سلام لمن حولك، وإذا وصل الإنسان إلى مرتبة يؤذي فيها غيره؛ فهذه قطعة من نار أقطعه إياها إبليس، وشر الناس من اتقاه الناس مخافة شره، والمسلم مصدر السلام والأمن؛ يجب أن يبث في العالم الأمن والسلام والطمأنينة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

لهذا يجب على المسلم أن يُحِس من حوله بالطمأنينة، وأنه لن يناله منه أذًى.

ومن آمن بالله السلام فعليه أن يتخلق بهذا الاسم العظيم؛ فيسلك في حياته اليومية سبل السلام بأقواله، وأعماله، وأخلاقه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ليسلم في نفسه، ويسلم من شره غيره، وينتفع بخيره غيره: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

فاصدق أيها المسلم في أقوالك، وأخلص في أعمالك، وتجمل بأخلاقك؛ تكن في سلام مع ربك، ومع نفسك، ومع غيرك من الأهل، والأولاد، والجيران، وسائر الخلق.

وأحب شيء إلى الله هو السلام، والإسلام، وسلامة الخلق في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠١٦).

والناس يحبون السلام؛ لما فيه من الطمأنينة، وسورة الفتح نزلت بعد صلح الحديبية: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح/ ١-٢].

لا لأنك حاربت؛ بل لأنك وقعت اتفاقية سلام مع كفار قريش؛ لعلهم يهتدون، وكان هذا الفتح أن دخل الناس في دين الله أفواجًا، من قريش وغيرهم: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر/ ٣].

فالفتح فتح القلوب؛ ليدخل الإيمان، إذا قامت الدعوة فتحت أبواب المداخل؛ فدخل الناس في دين الله أفواجًا، وإذا تركت الدعوة؛ فتحت أبواب المخارج، فخرج الناس منه أفواجًا، كما دخلوا فيه أفواجًا.

- **وأسماء الله ﷻ الحسنى أنواع:**

أسماء ذات..وأسماءصفات..وأسماء أفعال.

فذات الله سلام، ومن صفات الله أنه السلام، ويهب لعباده السلام.

فكل سلام في الدنيا والآخرة فهو من ربنا السلام، هو الذي سلم عباده بصفاته الفعلية.

فسبحان من يقلب الليل والنهار والأحوال؛ لنفع العباد وسلامتهم مما يضرهم: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٤﴾ [النور/ ٤٤].

الله ﷻ هو الملك القدوس السلام الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض.

والله ﷻ أمرنا بتعلم لا إله إلا الله فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد/ ١٩].

وعِلْم أسماء الله الحسنى هي مفتاح هذا الباب، وأصل هذا الباب بأن نعرف الملك، العظيم، القوي، القادر، القاهر، الرزاق، العليم، القدوس، السلام، نعرفه حتى نتوجه إليه؛ فإذا عرفنا الغني توجهنا إليه، وإذا عرفنا القوي استعنَّا به، وإذا عرفنا الرزاق سألناه الرزق: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فهذا الكون العظيم بما فيه من العرش والكرسي، والسموات والأرض، وما فيهن، وما عليهن، وما بينهن، من هذه العوالم العظيمة، عالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الإنس،

وعالم الحيوان، وعالم النبات، وعالم الجماد، هذه العوالم الكبرى كلها دالة على وحدانية الله، وعلى عظمته وكبريائه، وأسمائه الحسنى، وصفاته العلى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

وهذا الكون العظيم بما فيه من جميع المخلوقات كله مطيع لربه، وكل ذرة في هذا الكون العظيم تسبح بحمد ربها، وتشهد بوحدانيته، وتخضع لأمره، وتستجيب لمشيئته، وتسرع إلى إرادته، وتسر بطاعته، وتلعن من عصى الله وأعرض عنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة/ ١٦١-١٦٢].

فهذه المخلوقات العظيمة كلها تسبح بحمد ربها، وهي مفطورة على ذلك، والإنسان خلقه الله ﷻ مخيرًا، وجوارح الإنسان خاضعة لإرادة الإنسان، تفعل ما يريد هذا الإنسان؛ فإن أطاع الله بهذه الجوارح أطاعته جوارحه وحمدته، وإن عصى الله بها أطاعته ولعنته، فإذا كان يوم القيامة شهدت هذه الجوارح عند الملك الحق بما أمرها الإنسان أن تعمل به من خير أو شر: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس/ ٦٥].

والله ﷻ أمرنا أن ندخل جميعًا في الإسلام، ونبتعد عما سواه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨].

فالسلم والإسلام والسلام كلها أسماء للإسلام، الله ﷻ أمرنا أن ندخل جميعًا في الإسلام، وأن نأخذ بجميع أحكام الإسلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

وإذا فعلنا ذلك صلحت أحوالنا جميعًا؛ وإذا دخل بعضنا دون بعض في الإسلام شقي الذي دخل بالذي لم يدخل في الإسلام؛ لأن نفع المسلم يكون لنفسه ولغيره.

فالمسلم لا يظلم، ولا يسرق، ولا يؤذي أحدًا، فالذي دخل في الإسلام نفعه يكون لنفسه وغيره، ويشقى هذا المسلم بمن لم يُسْلِم؛ لأنه يكيد له، ويحسده، ويعانده، ويحاربه ومن أخذ جميع أحكام الإسلام؛ صلحت أحواله، ومن أخذ البعض وترك البعض؛ فإنه سيتعب ويتألم ويشقى؛ لأنه لَفَّق حياته من حق وباطل، ومن هوى وهدى، ومن فعل

ذلك فلن يفلح في الدنيا ولا في الآخرة: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة/ ٨٥].

فالله ﷻ أمرنا أن ندخل جميعًا في الإسلام؛ حتى نكون أسرةً واحدة مستسلمين لربنا ﷻ، مسالمين لإخواننا من بني آدم، فالله ﷻ أمرنا جميعاً أن ندخل في السلم جميعًا حتى لا تصطدم حياة بعضنا ببعض، وحتى تكون صبغتنا: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة/ ١٣٨].

فنسلم جميعنا لربنا ﷻ ونسلم قلوبنا وجوارحنا لربنا ﷻ؛ حتى الله ﷻ يسلمنا يوم القيامة: ﴿جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

فالله ﷻ، أمرنا أن ندخل في السلم كافة جميعًا؛ الأبيض والأسود، الرجال والنساء، العرب والعجم، الله أمرنا جميعًا أن ندخل في هذا الإسلام الذي كله سلم وسلام.

سلم مع النفس، وسلم مع الرب، وسلم مع الخلق.

وأمرنا كذلك جميعًا أن نأخذ بجميع أحكام الإسلام، في جميع الأحوال، فالمسلم مستسلم لربه بقلبه وجوارحه، يعمل بجميع أنواع الطاعات، فرضها ونفلها، ولا يعمل بشيء ويترك شيئًا؛ بل هو مسابق ومسارع إلى جميع أنواع الطاعات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

والذي لا يدخل في الإسلام، ولا يدخل في السلام؛ لا شك أنه سيتبع خطوات الشيطان الذي يزين للإنسان المعاصي، فيدخله في المباحات، ثم ينقله إلى الصغائر، ثم ينقله إلى المحرمات، ثم ينقله إلى الكبائر، ثم إلى الردة، هذا فكر الشيطان؛ يريد أن يجر الناس جميعًا إلى جهنم، فكيف الإنسان يسلم من شره؟ ولن يسلم من شره إلا فقط بشيء واحد: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران/ ١٩].

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان/ ٢٢].

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

فلا نجاة ولا سلامة من النار والشقاء والشيطان إلا بالإسلام، أما من اقترن بالشيطان فسيكون جنديًّا من جنود الشيطان: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [النساء/ ٣٨].

فمن لم يعبد الرحمن، فسيجره الشيطان إلى عبادته: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾ [يس: ٦٠ – ٦٢].

فالله ﷻ من أجل سلامة الإنسان في الدنيا والآخرة خلقه وساق قُوته وأوصله إليه، وهداه إليه، وأكرمه بالنعم من السمع والبصر والعقل؛ ليعمل بطاعة الله، ويدخل في الإسلام، ويعرف فضل الله عليه ﷻ في دخوله في هذا الدين: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [الحجرات/ ١٧].

ومن دخل في الإسلام في الدنيا دخل دار السلام في الآخرة: ﴿۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

فعلى الإنسان أن يسلم قلبه، وجوارحه، ووقته، وماله، لربه ﷻ؛ حتى يستعمل هذه الأمور في طاعة مولاه، ويفوز برضاه: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ [الحج: ٣٤ – ٣٥].

التعبد لله عز وجل باسمه السلام

الله ﷻ أمرنا بالتعرف عليه، والتعرف على أسمائه وصفاته، والتعرف على دينه وشرعه، والتعرف على وعده ووعيده؛ لنعبد الله على بصيرة، ونسارع إلى الطاعات ونجتنب المعاصي، ونسابق في الخيرات؛ استجابةً لأمر الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فكيف نتعبد لله ﷻ باسم الله السلام؟ إذا عرفنا أن ربنا هو السلام في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو السلام الذي يسلم على عباده، وهو السلام الذي كل سلامة في الكون منه جل جلاله؛ إذا عرفنا ذلك فعلينا أن نتعبد بهذا الاسم العظيم؛ فتكون حياة المسلم كلها سلامًا من اللغو، والعبث، والغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، والآثام.

كيف نتعبد لله ﷻ بهذا الاسم العظيم؟ فالله ﷻ مَنَّ علينا بأنواع السلامة في الدنيا والآخرة، فالله ﷻ يقلب الليل والنهار والأحوال لماذا؟ لنفع العباد وتذكيرهم بربهم وسلامتهم مما يضرهم: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور/ ٤٤].

فالإنسان إذا نام يتقلب مرارًا لماذا؟ ليسلم؛ لأن الله يقلبه، لئلا يقف الدم في العروق بالنوم على جهة واحدة؛ فمن أجل سلامة هذا الإنسان يقلبه ربه في فراشه مرات كثيرة لسلامته: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف/ ١٨].

ولولا تقليبه؛ لتفطر لحمه ووقف شريان دمه.

ومن أجل سلامتك يا عبد السلام تولى الله عنك إدارة أجهزة جسمك: من القلب، والرئتين، والكبد، والمعدة، والمرارة وغيرها من الأجهزة، وأنت مستيقظ أو نائم، فالله ﷻ يكلؤك ويرعاك؛ اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام/ ٦٠].

﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنبياء/ ٤٢].

ومن أجل سلامتك وضع جل جلاله دماغك في صندوق عظمي قوي يحميك به من الصدمات.

- **هذا الدماغ أقسام كثيرة منها:**

قسم للتفكر والتدبر..وقسم للاستذكار..وقسم للحفظ.

فالمخ يحفظ جميع المعلومات، ويضعها في ملفات، ويخرجها حسب المناسبات، وحسب طلب الإنسان؛ فالله ﷻ من أجل سلامة الإنسان تولى إدارة أجهزته؛ فوضع هذا الدماغ في صندوق عظمي قوي، ليحمي به الإنسان من الصدمات؛ ووضع سبحانه نخاعك الشوكي في العمود الفقري؛ في أسفل الظهر، وضعه في العمود الفقري حمايةً لهذا الإنسان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن أجل سلامة الإنسان وضع قلبه في القفص الصدري، فالقلب يدق بمعدل اثنين وسبعين مرة في الدقيقة، وفي الساعة أربعة آلاف مرة.

فهذه الدقات لسقي البدن بالدم وهذا الدم يضخ من القلب لمسافة مائتين وثمانين كيلو متر طولي، تسقي هذا البدن شعرًا وعظمًا ولحمًا وعصبًا، تسقي مساحة هذا الإنسان.

والإنسان لو فُرد لكان مائتي متر مربع، تسقيه هذه الدماء التي يضخها القلب.

فالله ﷻ جعل الدماغ في صندوق عظمي، وجعل هذا القلب في وسط الإنسان؛ في القفص الصدري، ووضع أمامه مروحتين هما الرئتان تهفان وتبردان هذا القلب الذي يضخ هذه الدماء التي يستقبلها من الكبد، ويدفعها إلى أجزاء البدن: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فمن أجل سلامتك وضع قلبك في القفص الصدري، ومن أجل سلامتك أيها الإنسان وضع معمل كريات الدم الحمراء في نقي العظام، كريات الدم الحمراء التي يحتاجها الإنسان، وتصنع بالملايين في كل يوم، وضعها الله ﷻ في نقي العظام، داخل العظام، في مخ العظام، وهو أكبر معمل في جسم الإنسان يخرج هذه الكريات التي تعمل في الجسم: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١].

ومن أجل سلامة الإنسان وضع العين في محجر من العظام، هذه العين التي نرى بها يوميًا أكثر من نصف مليون صورة ملونة ويحفظها المخ، المخ يحفظ المسموعات

والمرئيات والمعقولات، فالإنسان يستطيع أن يرى كل يوم نصف مليون صورة ملونة بالعين، ثم هذه العين توصلها إلى الدماغ، والدماغ يحفظها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

ومن أجل سلامة المرأة وضع الرحم في الحوض حمايةً للجنين؛ فلا إله إلا الله الملك القدوس السلام الذي كل سلامة منه، وكل وسائل السلامة بيده؛ فوضع الإنسان على أصول السلامة، ومَنَّ عليه بالدين الذي هو الإسلام: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فسبحان من جعل هذه الأعضاء الهامة في بيوت محصنة، وأماكن آمنة!: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر/ ٢٣].

ومن أجل سلامتك سخر لك ما في السموات وما في الأرض، كلها في خدمتك، عالم الجماد، عالم النبات، عالم الحيوان، عالم الجن، عالم الملائكة؛ كلهم في خدمتك، الشمس في خدمتك، والهواء في خدمتك، والتراب في خدمتك، وكل هذه المخلوقات الله سخرها لك، لتتفرغ لعبادة ربك: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

وهذا التسخير له وجهان، تسخير تعريف لتعرف، وتسخير تكريم لتشكر من سخرها لك.

ومن أجل سلامتك أيها الإنسان؛ خلق الله جهاز التوازن في الأذن، ولولا وجود هذا الجهاز؛ لما استطاع الإنسان أن يقف على قدميه، أو يمشي معتدلًا، جهاز التوازن موضوع في الأذن، لو اختل؛ لسقط الإنسان.

فسبحان ربنا الملك القدوس السلام الذي سلَّم خلقه من الشرور، وحفظهم من الآفات، فليتق العبد ربه، ليسلم من العقوبة، فما من مشكلة على وجه الأرض إلا بسبب الخروج عن منهج الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى/ ٣٠].

﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء/ ١٢٣].

وما من خروج عن منهج الله ، إلا بسبب الكبر أو الجهل؛ ولهذا يجب أن نتعلم ونعرف ربنا ﷻ بالكبرياء والعظمة؛ لنتواضع له: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ [الزمر: ٦٧].

ويجب أن نتعلم؛ حتى نخرج من الجهل إلى العلم: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد/ ١٩].

﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ ﴾ [الأحزاب/ ٧٢].

فلا بد للعبد أن يتعلم؛ ليعرف الله بذاته وأسمائه وصفاته، ويعرف دينه، ويعبد من يستحق العبادة، ويشكر من يستحق الشكر: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق: ١٢].

وهو ظلوم؛ لأنه يريد أن يأخذ كل شيء له؛ فيظلم نفسه بالإعراض عن دين الله، ويسيء إلى غيره بالسرقة أو القتل، ويشرك بربه ﷻ، والشرك بالله ظلم في حق الربوبية: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ [لقمان/ ١٣].

ولا يُخرج الإنسان من هذا الشرك إلى التوحيد، ومن هذا الجهل إلى العلم؛ إلا إيمان العبد بربه، وما من عطاء وإكرام إلهي أعظم من العلم، أعظم كرامة يعطيها الله ﷻ عبده هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾ [الحديد: ٢١].

- **والعلم الإلهي على ثلاثة أقسام:**

علم بالله..وعلم بأوامر الله..وعلم بخلق الله.

فالعلم بخلق الله أن تتعرف على هذه المخلوقات: الشمس، والقمر، والجبال، والنباتات، والحيوانات هذا علم بخلق الله يوصلك إلى الله، إذا عرفت المخلوقات؛ تجاوزتها إلى الخالق، وإذا عرفت الصور تجاوزتها إلى المصور، وإذا رأيت النعم والأرزاق تجاوزتها إلى المنعم؛ فتنظر ماذا يريد، وماذا يحب، فتفعله: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا

وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

والعلم بأوامر الله هي العلم بأوامر الشريعة، العلم بأوامر الحلال والحرام والأمر والنهي الشرعي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

والعلم بالله هو أساس هذه العلوم، والعلم بالله هو أصل أركان الإيمان كلها.

- **وأركان العلم بالله تقوم على سبعة أصول:**

العلم بالله.. والعلم بأسمائه، والعلم بصفاته.. وأفعاله.. وخزائنه.. ووعده.. ووعيده.

فأعظم شيء، وأعظم عطاء إلهي للعبد هو العلم بالله: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد/ ١٩].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء/ ١١٣].

ولهذا العلم لا حد له: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

وحظ الخلق منه قليل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

فأعظم شيء نسأله ربنا ﷻ العلم الذي يعرفنا بالخالق والمخلوق.

يعرفنا بالخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، وماذا يحب، وماذا يكره، يعرفنا بدين الإسلام أوامره ونواهيه، حلاله وحرامه، يعرفنا بهذا الكون من خلقه؟: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

يعرفنا بالإنسان من خلقه وصوره، وما هي وظيفته، وماذا يريد الله منه، وما سبل سعادته وشقاوته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

فالله ﷻ هو السلام الذي كل سلامة في الكون منشؤها منه، وتمامها عليه، ونسبتها إليه، يهدي عباده سبل السلام، ويوصلهم برحمته إلى جنته دار السلام: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

وأوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد الإنسان فيرى نفسه خارجًا مما كان فيه من بطن الأم دار السلام والأمن؛ لأن فيها الطعام والشراب والهواء مهيأً له.

ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عاينهم من قبل، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم.

ومن آمن بالسلام سلَّمه من شر هذه المواطن؛ ولهذا أكرم الله عيسى ويحيى عليهما السلام، وخصهما بالسلامة، كما قال عيسى ﷺ:

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم/ ٣٣].

وقال عن يحيى ﷺ: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم/ ١٥].

والصواب من القول يسمى سلامًا؛ لسلامته من الخطأ والعيب والإثم والأذى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان/ ٦٣].

قالوا: كلامًا جميلًا لطيفاً يجر هذا الجاهل إلى السكوت والرضا: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان/ ٦٣].

قالوا: كلامًا جميلًا سليمًا من السب والشتم والسخرية.

فسبحان ربنا الملك القدوس السلام الذي برئ من جميع العيوب، المنزه عن صفات النقص، وعن أفعال النقص، الذي أعطى السلامة للخلق: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك/ ٣-٤].

هو سبحانه الملك القدوس السلام: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه/ ٥٠].

هو سبحانه الملك القدوس السلام الذي أكرم خلقه بالعدل والإحسان والرحمة، وسلم الخلق من ظلمه، الذي حرم الظلم على نفسه، وعلى خلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠].

وقال النبي ﷺ في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ**

بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا»أخرجه مسلم(١).

فالله جل جلاله بين لنا أسماءه الحسنى، لنعبد الله ﷻ بموجب هذه الأسماء العظيمة لربنا ﷻ، وهي أسماء جلال، وأسماء جمال، والمسلم لا بد أن يجمع بين صفات الجلال وصفات الجمال، من الناس من تظهر فيه صفات القوة، والشدة، والقدرة، هذا فيه صفات جلال، ومن الناس من تظهر فيه صفات الرحمة، واللطف، والإكرام، والطمأنينة، هذا تظهر فيه صفات جمال.

والمسلم يجمع بين هذا وهذا، كما أن لربنا صفات الجلال الدالة على عظمته وكبريائه وجلاله، وله صفات الجمال الدالة على إكرامه وإحسانه؛ مثل: الكريم، الرزاق، اللطيف، العفو، والحليم، الرحمن، فكذلك الإنسان يكون له حظ من هذه الأسماء.

فالمسلم إذا عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة؛ فهذه المعرفة تثمر له ثمرات، فيكبر الله ﷻ، ويعظمه، ويحبه، ويحمده، ويطيعه، ويعبده؛ متى؟.

إذا عرف ربه بالعظمة والكبرياء؛ عرف نفسه بالضعف والفقر والعجز والاحتياج، فيتوجه إلى ربه، فمن عرف ربه باسمه السلام؛ تواضع له، وتضرع إليه، وسأله السلامة من كل شر في الدنيا والآخرة.﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة/ ١٥-١٧].

فاسأل أيها المسلم ربك السلامة، أن يسلم يقينك من الشرك والشُّبَه والهوى والبدع، ويسلم جوارحك من الشرور والمعاصي، ويسلم قلبك من الصفات المذمومة؛ حتى تلقى الله بقلب سليم، وقول سليم، وعمل سليم، وخُلق سليم:﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

وأحسن الدعاء ما جمع بين الثناء والطلب كما دعا إبراهيم ﷺ، وهذا دعاء عظيم فيه الثناء على ربنا ﷻ، ثم سؤال ما نحتاجه، سؤال الملك الغني القدوس السلام، أولًا أثنى على ربه، ثم سأل ربه:﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾.

ثم وصفه بصفات الكمال فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء/ ٦٩-٨٢].

فلما أثنى هذا الثناء، ومجد هذا التمجيد، وأثنى على ربه بهذه الصفات؛ جاءت الأسئلة فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾؛ هذا السؤال الأول، والثاني: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾؛ وكان له ذلك: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٩].

هذا دعاء إبراهيم ﷺ، أثنى على ربه بأسمائه وصفاته أولًا، ثم سأله ثانيًا، ستة من أنواع الثناء، وستة من أنواع السؤال.

فعلى المسلم إذا عرف ربه السلام أن يكون سلاماً، وأن يكون سليمًا حافظًا للسانه وجوارحه من معصية الله، فيكُف لسانه وجوارحه عن أذية المؤمنين والمؤمنات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١].

وقال النبي ﷺ: «**الْـمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْـمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**» متفق عليه[1].

فعليك أيها المسلم بإفشاء السلام، وإلقائه على من عرفت ومن لم تعرف؛ لأن السلام سبب للسلم والأمان والطمأنينة والخير والبركة، فإذا رأيت إنسانًا فسلم عليه، سلم على من عرفت، وعلى من لم تعرف؛ ليعلم أنك لست عدوًّا؛ فالسلام كله خير، وكله بركة، قال النبي ﷺ: «**لا تَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ**» أخرجه مسلم[2].

فما أعظم بركات السلام على المسلم والمسلم عليه.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٠)، ومسلم برقم (٤٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٤).

والسلام كماله أن تقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
ذكر لي أحد الإخوة أنه كان في الحرم؛ فسلم على أحد الأفارقة، فلما سلم عليه دعاه لطعام الإفطار في الحرم في رمضان، ثم أفطر معه وجرى بينهما الحديث، وكان يظن أنه رجل بسيط من عموم الناس، فلما فرغ من الحديث معه، وأراد أن ينصرف إلى بيته وَدَّعه، ثم هذا الإفريقي أعطاه بطاقة فيه اسمه، وقال: إذا جئت إلى بلادنا هذا عنواني، وأنا أدعوك كما أكرمتني أن تزورني في بلادي لأقوم برد الجميل.
فقدر الله ﷻ، فذهب هذا الرجل مع مجموعة من الإخوة إلى بلد هذا الرجل في إفريقيا الوسطى، وهناك جزيرة فيها أكثر من مائة ألف من الأقزام، هؤلاء كلهم وثنيون لا يعرفون الله أبدًا، ولا يعبدون الله ﷻ، هؤلاء يعيشون في الغابات، يأكلون من النباتات، ويأكلون من لحوم الحيوانات والطيور، ولا يعرفون اللباس، أقزام رجال ونساء عراة.
فلما ذهب إلى تلك البلاد، وجد الرجل ليس في البلد، فسأل عنه فقالوا: هو في أمريكا، ذهب ليعقد صفقة تجارية في تجارة الألماس مع إحدى الشركات الكبرى، اتصلوا عليه، واتصل عليهم، وقال: أنتم تسكنون في قصري، قالوا: ما جئنا لهذا، إنما جئنا للسلام عليك، وما دمت لست موجودًا فنحن سوف نتجول على الناس، ونتعرف على البلاد، فجاءوا إلى هذه الغابة.
وهؤلاء كانوا أربعة، فذهبوا إلى هذه الغابة ووصلوا إليها في قصة طويلة، المهم أهل الغابة لهم سوق يجتمعون فيه يبيعون اللحوم، والفواكه الطبيعية، والأوروبيون يأتون إلى هذا المكان، ويأخذون الدماء الصافية النقية من أجسام هؤلاء وينقلونها إلى مستشفياتهم في العالم مقابل دولارات بسيطة، فهم يأخذون دماءهم وما دعوهم وما هدوهم إلى ربهم ﷻ.
لكن الله ﷻ بسبب هذا السلام الذي ألقاه على هذا المسلم في بلد الله الحرام، وفي بيت الله ﷻ الحرام، ننظر كيف جاءت النتيجة، فذهبوا إلى ذلك المكان ورأوا الناس، ولكن ماذا يرون؟ رجال ونساء عراة يبيعون ويشترون مقايضات، لا يعرفون النقود إلا شيئًا يسيرًا، فدعوهم إلى الإسلام، وتكلموا معهم حتى وصلت إلى قلوبهم لا إله إلا الله؛ بواسطة أربع لغات: اللغة العربية، ثم اللغة الفرنسية، ثم لغة البلد، ثم لغة هذه القبيلة.
فاجتمعوا تحت شجرة، ثم تكلم أحد الإخوة عن الله ﷻ، وعن عظمته، وعن نعمه

وإحسانه، وأن هذا الـمُلك مُلكه وأننا نحن عبيده، وهو مالك هذا الكون، وهو الذي يدبر الكون، وأنه خلقنا في بطن الأم، ثم أنزلنا إلى بطن الدنيا، ثم نموت، ثم ندخل القبر، ومن القبر نساق إلى دار القرار في الجنة أو النار.

فأسلم في تلك الجلسة خمسة وأربعون من الرجال والنساء، فأخذ هؤلاء الإخوة الدعاة بعض ألبستهم وستروا بها النساء وستروا بها الرجال، فعلموهم الوضوء والصلاة، ثم بعد ثلاثة أيام زاد العدد إلى مائتين وخمسين من الرجال والنساء.

وفي ذلك الوقت جاء رئيس القبيلة، وقال: ما هذا؟ وما هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء يدعوننا إلى الله، ويخبروننا أن لنا رباً، وأنه أرسل إلينا رسولاً، وأن فيه بيت يُعبَد لله ﷻ فيه في مكة، وأنه بعد الموت فيه بعث وجزاء، ثم دخول الجنة أو النار.

فقال: أنا عندي عملية داخل الغابة، وإذا عدت سوف أسلم، قالوا: لا؛ قد لا ترجع، فانطق الشهادة فنطق الشهادة، وأسلم مجموعة من الناس، حتى بلغ العدد عدداً كبيرًا يفوق الخمسمائة من هؤلاء.

وبعد أسبوع أو عشرة أيام عاد هؤلاء إلى المملكة، ثم في أيام الحج رأى هذا الذي قام بدعوتهم إلى الله ﷻ؛ رأى منهم مجموعة في منًى يمشون، فقال: لَعَلِّي أسلم عليهم، فسلم عليهم، قال: من أنتم؟ قالوا: نحن من إفريقيا الوسطى، جاءنا مجموعة من الإخوان ودعونا إلى الله، ونحن جئنا سبعون رجلًا للحج، ودخل الإسلام في الغابة التي نحن فيها أكثر من مائة ألف، وتطل هذه الغابة الكبيرة على خمس دول، قالوا: فبنيت المساجد هناك، وقامت حلق التعليم، وانتشرت حلق القرآن الكريم، وبدأ الصيام، والصلاة، والأذكار، والأدعية، وبدأ الإسلام يدخل في الناس، ونحن سبعون رجلًا جئنا هذه السنة للحج، قال: أين أنتم؟ قالوا: في المكان الفلاني.

فذهب إليهم، وعرفوا بعد ذلك أنه هو، فأخذهم إلى بيت الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وكذلك زار بهم أئمة الحرم، وأكرموهم واحتفوا بهم.

فهذه البركة، وهذا الخير العظيم الذي حصل بسبب السلام، وبإفشاء السلام.

فإفشاء السلام فيه بركات عظيمة، وفيه أمن وطمأنينة، فنفشي ذلك، ونتعبد باسم الله السلام، وننوي هذه النيات الكبيرة؛ لعل الله ﷻ يرزقنا كما رزق هؤلاء، الآن غابة فيها أكثر من مائة ألف كلها تؤذن، وتصوم، وتصلي، وتزكي، وتقرأ القرآن، كلها بصحيفة

هذا الرجل الذي ألقى السلام على من لم يعرف في بيت الله الحرام: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فهذا الدين كله سلام، وكله أمن، وكله خير؛ فهذه الكرامات، وهذه النعم، وهذه الخصال الحميد كلها من فضل الله، ومن وفقه الله ﷻ لهذه الخصال الحميدة من الدعوة، والعبادة، وحسن الخلق، وإكرام الناس؛ عاش في الدنيا في سلام، ونال السلامة المؤبدة في دار السلام: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

ففي الدنيا ثبات الأحوال محال، هنا في الدنيا أمن وخوف، ومرض وعافية، في الدنيا ثبات الأحوال محال؛ لأن الله ﷻ يتعبدنا في حال السراء والضراء، في حال الأمن وفي حال الخوف، في حال الإقامة وفي حال السفر، في حال الغنى وحال الفقر.

أما في الآخرة فثبات الأحوال قائم هناك، في الآخرة ثبات الأحوال، وفي الدنيا تغير الأحوال، في الآخرة: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، في الآخرة يقال لأهل الجنة: أما آن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً؟ وتنعموا فلا تبأسوا أبدًا؟ وتخلدوا فلا تموتوا أبدًا؟ وتشبوا فلا تهرموا أبدًا؟ .

هناك دار القرار، ودار السلام، ودار الأمن والطمأنينة، فمن دخل السلام والإسلام وعبد ربه السلام؛ أدخله جنة دار السلام.

فأسلم وجهك، ولسانك، وقلبك، وجوارحك لربك السلام؛ تسعد في دنياك وأخراك، وتسلم من العذاب في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان/ ٢٢-٢٤].

هو سبحانه الملك القدوس السلام المؤمن الذي إذا اتصلت به طهرك من العيوب والنقائص والآثام، وجملك بالمحاسن والمحامد وأدخلك الجنة دار السلام: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾

[الذاريات: ٥٠ – ٥١].

هو السلام الذي في جميع أعمالك، في عبادتك، في تجارتك، في حركتك، يهديك إذا آمنت

به سبل السلام: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾[المائدة/ ١٥-١٦].

هو السلام جل جلاله الذي يدعو إلى دار السلام من الموت، والمرض، والحسد، والجوع، والخوف: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس/ ٢٥].

فالله ﷻ يدعو إلى دار السلام، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فمن أقبل على الله، وعلم أنه صالح لسكنى الجنة ودار كرامته، هداه إلى دار السلام، ومن أعرض عن الله ﷻ أعرض عنه، ومن زاغ بقلبه فالله ﷻ يزيغ قلبه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف: ٥].

فذكر الله ﷻ بأسمائه وصفاته يثمر الحب لله، والتعظيم له، والتضرع والانكسار بين يديه.

هو سبحانه السلام الذي من أجل سلامتك وحياتك خلق الماء، وجعل منه كل شيء حي: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الأنبياء/ ٣٠].

آية وعبرة بل آيات وعبر في هذا الماء، وذكر الله يورث القلب الطمأنينة، والسكينة، والسلامة، والأمن، فإذا ذكرته زال عنك الخوف وزالت عنك الوحشة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد/ ٢٨].

ولهذا أمرنا الله ﷻ بكثرة ذكره؛ لأنك إذا ذكرت ربك وهبك السلام، إذا ذكرته سلمك من معصيته وعقابه، إذا ذكرت ربك سلمت من معصيته وعقابه، وسلمك من الآفات، إذا ذكرته أطعته ولم تعصه؛ لأنك تعرف أنه ملك عظيم قوي ملك قادر قاهر، ولهذا أمر الله ﷻ بكثرة ذكره ومن ذكره أطاعه ولم يعصه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ -٤٣].

إذا ذكرت ربك السلام؛ شعرت أيها المسلم أنك في سلام، وأن ربك السلام يدافع عنك، وأنه يحفظك مما يضرك، وأنه يرعاك ويكلؤك بالليل والنهار، والمؤمن حقًّا من سلم من المخالفات الظاهرة والباطنة، وسلم منه الناس، فلا يؤذي أحدًا.

فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وإذا جهل عليه أحد؛ رد عليه ردًّا سليمًا جميلًا، لا سب فيه ولا لعن ولا استهزاء، ولا قسوة ولا جهل ولا كذب.

ومن صفات أولياء الله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان/ ٦٣].

وحظ العبد من اسمه السلام جل جلاله أن يسلم نفسه لربه؛ فيعبده ويطيعه، ويقتدي برسوله ﷺ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة/ ١١٢].

ومن آمن بربه السلام؛ سلمه في الدنيا من المؤذيات، وأسعده بالطاعات، وسلمه في الآخرة من النار والعذاب الأليم، وسلمه في دينه من البدع والمعاصي والعقوبات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

خديجة رضي الله عنها هي أول من آمن بالرسول ﷺ، وأول أزواج النبي ﷺ، وأول من طمأن الرسول ﷺ بأن ما جاء به حق، حيث قالت للنبي ﷺ حين قال لها: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللهِ، لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ**» متفق عليه(١).

فالله ﷻ بسبب وقوف هذه المرأة مع رسوله الداعي إلى الله بشرها بالجنة، وهذه زوجة الداعي، دائمًا تواسيه وتسليه، وتفتح له الأبواب، وتعينه على عمله، فالله ﷻ أرسل جبريل بالسلام لخديجة أم المؤمنين، وبشرها بالجنة، فأخبرها به النبي ﷺ، فقال لخديجة: «**يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لاَ أَرَى تُرِيدُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**» أخرجه البخاري(٢).

فمن اتبع منهج الله؛ فهو في سلام، في سلام مع نفسه، وسلام مع ربه، وسلام مع

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٤٩٥٣)، ومسلم برقم (١٦٠)، وهذا لفظه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧٦٨).

الناس: فهو في سلام مع نفسه: يكون آمنًا مطمئنًا، يفعل الطاعات، ويجتنب المعاصي، ويستغفر من الذنوب، ويصبر على البلاء، ويحمد ربه على النعم.

وهو في سلام مع ربه: لأنه يطيعه ولا يعصيه؛ فينال رضا ربه في الدنيا والآخرة، ويفوز بجنته: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وهو في سلام مع الناس: لأن المؤمن لا يأخذ ما ليس له، ولا يؤذي أحدًا، فالمسلم يصل من قطعه، ويعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويحسن إلى من أساء إليه.

والسلامة هي الأمن والطمأنينة، ولا يحصل السلام ولا الأمن لمن خالف منهج الله في عبادته، ومعاملته وأخلاقه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

فمن بنى غناه على إفقار الناس، أو بنى مجده على رقاب الناس، أو بنى عزه على إذلال الناس، أو بنى حياته على موت الناس ، أو بنى أمنه على تخويف الناس؛ فهذا الإنسان يتعذب عذابًا شديدًا في نفسه، ويشقى في حياته: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣].

ومن استجاب لفطرته فهو في سلام،ومن خالف فطرته فليس في سلام؛ بل في شقاء: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

والشر النسبي موظف للخير المطلق، فالله بيده الخير، ليس بيده الشر، الشر ليس إليه، الشر النسبي موظف للخير المطلق، والخير المطلق مقرون بالحكمة المطلقة، والحكمة أن يوضع الشيء في موضعه، وأن يحاسب المسيء ويكرم المحسن، والشر المطلق لا وجود له في الكون: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

فسبحان الملك القدوس السلام الذي سلم عباده من المؤذيات، وسلم دينه من الشبهات والبدع.

قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي**» أخرجه مسلم(١).

فالسلام خزائنه عند ربنا ﷻ، فكل سلامة في الدنيا والآخرة فمن خزائنه جل جلاله.

والله ﷻ هو الملك القدوس السلام، ومن أراد الله والدار الآخرة فليسلم قلبه وجوارحه لمولاه جل جلاله، فمن أراد السعادة حقًّا، والفوز حقًّا؛ فليسلم قلبه وجوارحه إلى ربه السلام جل جلاله، وأن يشغلها بما يحبه الله ورسوله من الأقوال، والأعمال، والعبادات الظاهرة والخفية، وبذلك تحصل له السلامة والسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾**﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

والصحابة رضي الله عنهم لما سلموا قلوبهم وجوارحهم لربهم ﷻ؛ سلم الله لهم العالم؛ فأخضعوا للإسلام دولة الفرس، ودولة الروم، وأنحاء كثيرة من الأرض؛ لأنهم سلموا نفوسهم لربهم، فسلم الله لهم البلاد والعباد، ويوم القيامة يفوزون برضوانه والجنة دار السلام.

قال النبي ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» متفق عليه(٢).

- **وهذا القرن هو خير القرون، لأن فيه أربع صفات:**

الأولى: فيه العبادة: فكل الصحابة عابدون لله وحده، مطيعون لله ورسوله في كل أمر.

الثانية: فيه الدعوة إلى الله، فكل الصحابة قاموا بالدعوة إلى الله.

الثالثة: فيه تعليم شرع الله، فكل الصحابة علموا ما علموا من الدين كل بحسبه.

الرابعة: فيه حسن الخُلُق والإكرام للناس، فكل الصحابة بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله وأكرموا الناس من أجل الله.

فهذا القرن الذي بعث فيه النبي ﷺ كان في أسفل الدرجات، وأخطر الجاهليات، فالله ﷻ بسبب دعوة الرسول ﷺ نقلهم من الشرك والخوف والظلم إلى الإسلام، ونقلهم من شر القرون إلى خير القرون، ومن شر أمة إلى خير أمة: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٤٢٩)، ومسلم برقم (٢٥٣٣)، وهذا لفظه.

﴿مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢].

- **نقتدي بالنبي ﷺ في خمسة أمور:**

في نيته وفكره..وفي توحيده وإيمانه، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الحسنة: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

ليُرى الإسلام من خلال أقوالنا، وأعمالنا، وأخلاقنا، ومعاملاتنا مع الناس.

هو السلام الذي أرسل رسوله بالإسلام الذي من لم يقبله فهو أخر الناس: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾[آل عمران/ ٨٥].

طريق واحد، وهو الإسلام لربنا السلام؛ لنفوز بالجنة في دار السلام، ونعيش في الدنيا في سلام؛ بأن ندخل في السلم كافة: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم/ ٣٠].

- **والبر أبوابه كثيرة:**

وأعظم أبواب البر تقوى الله ﷻ، فادخل منه، واهجر ما سواه؛ تسلم وتغنم، وتؤجر وتسعد: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٦﴾[الأعراف/ ٩٦].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾[الطلاق/ ٢-٣].

والواجب على العبد عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق، فيقوم المسلم بعبادة ربه، وامتثال أوامره، والإحسان إلى خلقه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ۝٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

فاحرص أيها المسلم الذي اجتباك ربك من بين خلقه؛ فجعلك من قبيلة المسلمين، من قبيلة المؤمنين؛ فاشكر هذه النعمة، وأَفْشِ السلام في كل زمان ومكان وحال؛ لتنال

بركته، وتغنم أجره: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وتَحبَّبْ إلى ربك بحب عباده المؤمنين، وسلامة الصدر لهم، والنصيحة لهم، والتعاون معهم على البر والتقوى، والدعاء لهم، والإحسان إليهم بالقول والفعل؛ لتفوز برحمة الله الواسعة: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

فالله ﷻ خلق الإنسان، ثم دعاه للإيمان، وإذا اختار الإيمان؛ فقد حدد الله ﷻ وظيفته، ما هي وظيفة الرجل والمرأة؟ هي هذه الأمور الحسنة.

ومفتاح ذلك هو معرفة ربنا ﷻ، ومعرفة أوامره، ومعرفة وعده ووعيده، فالمسلم ليتخلق بهذا الاسم يتعرف على ربه؛ ليسلم من الجهل، ويرغب إلى الله؛ ليفتح عليه منه ما يحبه ويرضاه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

واعلم بأن العمر قصير، والعلم بحر لا ساحل له، فاطلب منه ما يسعدك في دنياك وأخراك، وهو العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والعلم بآياته وأحكامه، والعلم بوعده ووعيده، وحلاله وحرامه، وثوابه وعقابه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

والعلم بالله هو أعظم العلوم على الإطلاق، وهو العلم الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وخلق الخلق من أجله، وأهل هذا العلم هم ورثة الأنبياء: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾؛ من التوحيد والإيمان والأعمال الصالحة، والأقوال الحسنة: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ لأنهم عرفوا عظمته وجلاله، وعرفوا تقصيرهم في عبادته، سواء كان حمدًا وشكرًا، أو استغفارًا وتوبة: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد/ ٢١].

فكل شيء مكتوب: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٧-٨].

وكل عمل له جزاء: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦ – ١١].

فالعلم صفة عظيمة؛ بالعلم نعرف من نعبد، بالعلم نعرف كيف نتعبد، بالعلم نعرف الحلال من الحرام، بالعلم نعرف ربنا الرحمن الرحيم، بالعلم نعرف عدونا وهو الشيطان الرجيم، وبهذا العلم يسلم العبد من الجهل، ويسلم من الشك، ويسلم من النار.

وبهذا العلم يكون الإنسان من العلماء الربانيين، فليشمر العبد لذلك العلم وتحصيله؛ ليكون معلمًا عاملًا بعلمه، معلمًا لغيره: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وفي العمل بالعلم يأتي الفرقان والمعرفة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

تفرقون بين الخير والشر، بين الحق والباطل، بين النافع والضار، فليتزكَّ العبد بمعرفة الله ﷻ، ومعرفة أسمائه وصفاته، ووعده ووعيده ودينه وشرعه، ويطهر نفسه من الجهل والأنجاس ومساوئ الأخلاق، ويزكِّها بالفضائل والمحاسن والاستقامة كما أمره الله؛ ليسلم من عذاب الله، ويفوز برضوانه.

فإن لم تستقم على هذا فسوف تركن إلى اليهود أو النصارى أو الكفار: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود/ ١١٢-١١٣].

وتجنب الغضب، واترك الحسد، واصفح عن المسيء، وأعرض عن الجاهل، وارحم المسكين، وأقم الصلاة، واستر العورة، وابذل النصيحة، وتجنب القطيعة: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص/ ٧٧].

ولا تبغ على أحد، ولا تسخر من أحد، ولا تؤذِ أحدًا، ولا تَغْتَبْ أحدًا، وليكن حظ المؤمن منك إن لم تمدحه ألا تذُمَّه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا

يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾[الأعراف/ ٢٠٠].

سميعٌ لأقوالك، عليمٌ بأحوالك.

واعلم رحمك الله أن المؤمن حقًّا من سلم من المخالفات الشرعية سرًّا وعلنًا، سلم من المخالفات الشرعية في قلبه وجوارحه، وبرئ من العيوب ظاهرًا وباطنًا، هذا المؤمن حقًّا، ومن كان سليمًا من الذنوب، بريئًا من العيوب؛ فقد بلغ غاية السلامة والسلام، وفاز بدار السلام.

فجاهد نفسك لتكون ذلك، جاهد نفسك، واجتهد على نفسك، واجتهد على غيرك بكل ما يحبه الله ويرضاه.

- **اجتهد على نفسك بخمسة أمور:**

طاعات تؤديها .. معاصي تجتنبها .. نعم تشكر الله عليها .. ذنوب تستغفر الله منها .. ابتلاءات تصبر عليها: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

- **واجتهد على غيرك بثلاثة أمور:**

الأول: اجتهد على الكافر؛ لعله يهتدي بسببك: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [السجدة: ٣].

الثاني: واجتهد على الفاسد ليكون صالحًا، واجتهد على الغافل ليكون ذاكرًا، واجتهد على الجاهل ليكون عالمًا، واجتهد على المسيء ليكون محسناً: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

الثالث: اجتهد على الصالح ليكون مصلحًا، وعلى الذاكر ليكون مذكرًا، وعلى العالم ليكون معلمًا: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت/ ٦٩].

هذه المجاهدة خمس على النفس، وثلاثٌ على الغير كما مر معنا، ومن تدبرها وتأملها؛ وجد الدين كله فيها: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

واعلم أيها العبد أن السليم حقًّا من سلم قلبه من الشك والشرك، وسلم عقله من الشبهات، وسلمت نفسه من الشهوات والإسراف، وسلم هواه من اتباع غير شرع الله، وسلم فكره من كل ما يُشغِل عن الله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام/ ٧١].

فالإنسان إما أن يسلم قلبه وجوارحه لربه ومولاه الذي خلقه وهداه، أو يسلم ذلك لهواه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

فكل إنسان مفطور على الافتقار لغيره فالإنسان إما أن يكون عابدًا لله، أو عابدًا لعبد الله من شمس أو قمر أو حجر أو شجر أو غيرها، وعبادتك لله تغنيك عن كل معبود سواه؛ لأن الله بيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء؛ هو الواحد الأحد الذي يغنيك عن كل أحد، والذي بيده أمر كل أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

فإذا عرفت السلام؛ فليسلم الناس من شَرِّك، ومن السوء الذي يصدر منك.

وكن سليمًا بريئًا من العيوب والنقائص والآثام في أقوالك وأعمالك وأخلاقك، وتملأ المكان والزمان تسبيحًا، وحمدًا، وشكرًا، ودعوةً، وتعليمًا، وإحسانًا إلى الخلق؛ فالمكان ظرف الأشياء، والزمان ظرف الأعمال، والإنسان يعمل في ظرف الزمان من ليل ونهار، والمكان الذي يسير فيه في هذه الأرض، هذان ظرفان عظيمان للإنسان، والله خلق الإنسان ليكون خليفة في الأرض ينفذ أوامر من استخلفه.

والإنسان خُلق ليعمل، والعمل الصالح يوصله إلى الجنة، والعمل السيئ يوصله إلى النار، فلنكن صالحين مصلحين، عالمين معلمين، مسلمين مسالمين، ندعو إلى دار السلام، وندعو إلى ربنا السلام، وندعو إلى دين الله السلام: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فلنسلم القلب والجوارح لربنا السلام، ولندعُ إلى ربنا السلام؛ حتى الله ﷻ يوم القيامة يدخلنا دار السلام، وينجينا من دار العذاب والعقاب: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٨ – ٣٩].

فالمسلم حقًّا من سَلِم قلبه من الشك والشرك، وامتلأ قلبه بالإيمان، وسَلِم عقله من الشبهات، ويحصل له ذلك بجلوسه في الجو الإيماني والبيئة العلمية التي تزيل الشك، وتورث اليقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[التوبة/ ١١٩].

نكون في الجو الإيماني حتى نستفيد من إيماناً وعلماً وأخلاقاً وأعمالاً، ونتقرب إلى ربنا؛ ولا نخرج من هذا الجو الإيماني كالسمك إذا خرج من البحر مات، كذلك الإنسان إذا خرج من الجو الإيماني إلى الجو الغافل صار من الغافلين: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف/ ٢٨].

فهذا العبد السليم الذي سلم قلبه من الشك والشُّبَه، وسلَّم جوارحه لربه، وأطاع الله ﷻ؛ له حق على الله أن يسلِّمه في الدنيا من المؤذيات، وأن يَهَبه مما فيها من الخيرات؛ فيرزقه الاستقامة على الدين، ويجعله محمود السيرة، محبوبًا بين الناس، ويَسْلَم الناس من لسانه ويده، ويَسْلَم الإسلام كذلك من لسانه ويده، ويرزقه مالًا حلالًا: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾[الأعراف/ ٩٦].

فهذا الذي سلم قلبه لربه ﷻ؛ يرزقه الله ﷻ من الخير ما يعينه على طاعته، ويرزقه مالًا حلالًا، ويهبه زوجةً صالحة، وأولادًا أبرارًا، وعيشةً راضية، فهذه سلامة الدنيا.

أما سلامة الدين: فيسلم الله عقله من البدع والشبهات، ويسلم قلبه من الهوى، والشهوات، ويسلمه من كل ما سواه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾[النساء/ ١٢٥]. هذه سلامة الدنيا.

- **أما سلامة الدين فتكون في ثلاثة مقامات:**

في مقام الشريعة..وفي مقام الطريقة..وفي مقام الحقيقة.

الأول:في مقام الشريعة: يُسلِّم الله عقل هذا المسلم من البدع والشبهات؛ لأن الله هو السلام الذي يسلِّم من كل آفة، يسلِّم عقل هذا الذي أناب إلى ربه؛ يسلم عقله من البدع والشبهات، ويسلم قلبه من الشرك، وأعماله من الهوى والشهوات، فشهواته في طاعة ربه، وقلبه معلق بربه، يكبره، ويمجده، ويحمده، ويشكره، ويدعوه، ويدل الناس عليه.

فهو يستأنس به، ويستوحش من غيره، هو بين يدي ربه ذاكرًا، حامدًا، مستغفرًا، سائلًا، خاشعًا، وبين يدي خلقه داعيًا، ومعلمًا، ومحسنًا: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: ٣٤ – ٣٥].

الثاني: في مقام الطريقة: يعني طريقة حياته، فعقله أمير على شهواته وأعماله، وليس أسيرًا لهما، فينقاد هواه لعقله، ولا ينقاد عقله لهواه، ويقدم الوحي على العقل في جميع أحواله، ويقدم محبوبات الرب على محبوبات النفس، ويقدم الآخرة على الدنيا، فعقله دَلَّه على ربه فقاده إلى جميع الطاعات، فهواه مأسور بعقله، ولسانه مشغول بذكر الله، وجوارحه تعمل في مرضاة الله: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦١ – ١٦٣].

الثالث: وفي مقام الحقيقة: فسلامة هذا العبد أن يتوجه إلى الله وحده، ويعبد الله ﷻ كأنه يراه في مقام المشاهدة، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فالذي يعبد الله كأنه يراه لا يعصيه أبدًا، ويعكف على طاعته، ويشغل لسانه بذكره وحمده واستغفاره وتمجيده، ويشغل جوارحه بطاعته، هذا مقام المشاهدة؛ أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم يكن هذا؛ فاعبد الله ﷻ كأنه يراك، فتخافه وتخشاه، فللعبد بين يدي ربه مقامان:

الأول: مقام المشاهدة؛ أن تشاهد ربك السلام، أن تشاهد ربك الرزاق، أن تشاهد ربك ذي العزة والجبروت والكبرياء والعظمة، تعبد الله كأنك تراه، فتطيعه ولا تعصيه، وتحمده وتشكره، وهذا أعلى المقامات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ – ٤].

الثاني: مقام المراقبة، فإن لم تعبد الله كأنك تراه؛ فاعلم أنه يراك، وأنه يراقبك جل جلاله، فلتخافه وتخشاه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

فالأول مقام رغبة وأنس؛ لأنك تعبد الله وتراه، ترى فيه صفات الجلال، وترى فيه صفات الجمال، ترى القوي، القادر، القاهر، الملك، العزيز، الجبار، وترى الملك،

الرحمن، الرحيم، اللطيف، الكريم، فتعبد الله كأنك تراه، ولهذا لا بد من التوجه قبل الصلاة، بأن يستحضر المسلم ربه، ويستحضر نعمه، ويستحضر أسماءه وصفاته، فيوجه قلبه إلى ربه قبل أن يوجه بدنه إلى بيته؛ فيجتمع اتجاه البدن إلى الكعبة، واتجاه القلب إلى الرب؛ فهنا تصلح الصلاة، وتكون الصلاة قائمة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون/ ١-٢].

خاشعون لماذا؟ لأنهم يرون الله ﷻ، يرونه غفورًا يغفر لهم إن استغفروا، وكريماً يعطيهم إن سألوه، وقادرًا يستعينون به فيما يحتاجون إليه.

فمقام المراقبة يثمر خوف العبد من ربه، ومقام المشاهدة يثمر الأنس والحب للرب، فإن لم تكن في مقام المشاهدة، فكن في مقام المراقبة.

ومقام الحقيقة: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

فتوجه إلى ربك السلام بقلبك وبدنك، واعبده بمقتضى ذلك.

واعلم أنه هو السلام السالم من كل آفة وعيب، المسلِّم غيره من الشرور والآفات، هو السلام الذي كل سلام في العالم فمنه، هو السلام الذي دينه كله سلام، وهو جل جلاله يدعو إلى دار السلام، ووعد عباده بدار السلام: ﴿۞ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

والله ﷻ هو الملك القدوس السلام، هذه سلامة الدنيا، وهذه سلامة الدين.

أما سلامة الآخرة فالسلام جل جلاله يسلم عبده الذي أسلم له في الدنيا، يسلمه من عذاب النار، ويدخله الجنة دار السلام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

ولا شك أن خير الناس أنفعهم للناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، فكن كذلك أيها المسلم؛ تكن عبدًا ربانيًّا تظهر فيك صفات ربك السلام، ولكن على شاكلة العبودية، فالله عليم يعلِّم الخلق، والله رحمن يرحم الخلق، والله رزاق هو الذي

رزق الخلق: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

فتارةٌ تعلم الكتاب، وتارةً تتعلم الكتاب، تارةً تتعلم، وتارةً تدرس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وسلم الإسلام من لسانه ويده، فالمسلم لا يقول الأقوال السيئة، ولا يقول القول الفاحش، ولا يكذب، ولا يظلم، ولا يفجر، ولا يزني، ولا يشرب الخمر، ولا يسيء للخلق، حتى يتعبد لله بترك ذلك، وحتى لا يقال: الإسلام هكذا ، هذه صفات الإسلام ظهرت في فلان من الناس، وهو من المسلمين، فيكون سبباً لتنفير الناس من الإسلام.

فالله ﷻ أمرنا بمعرفة لا إله إلا الله؛ وركن هذه المعرفة هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة/ ٩٨].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك؛ عرفتم العظيم، وعرفتم الكريم، عرفتم العظيم فعظمتموه، وعرفتم الكبير فكبرتموه، وعرفتم الكريم؛ فأحببتموه، لإكرامه وإحسانه، ثم تقربتم إليه بما جاء به رسوله ﷺ، ثم دعوتم إلى ذلك: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ –٣].

وهذه الأمة لقيامها بالدعوة متوجة بأربعة تيجان:

تاج ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [الحج/ ٧٨].

وتاج ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران/ ١١٠].

وتاج ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة/ ١٤٣]

وتاج ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة/ ١٤٣].

لماذا؟ لأنها خير أمة أخرجت للناس؛ في العلم، في الدعوة، في العبادة، في الأخلاق.

فالبشرية كلها مسؤولية هذه الأمة، تدعوهم إلى الله، وتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر، وتعلمهم شرع الله ﷻ؛ لأنها مبعوثة الأنبياء.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**» أخرجه البخاري(1).

فهذه الأمة مبعوثة تخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، كما هو عمل نبيهم: ﴿**قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨**﴾ [يوسف/ ١٠٨].

فلنفرح أننا من المسلمين، وأننا نعبد ربنا السلام الذي كل سلامة في العالم منه، والذي هو السلام البريء من الآفات والنقائص والعيوب، البريء عن المثيل، المنزه عن الشبيه والمثيل: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١**﴾ [الشورى/ ١١].

فله الأسماء الحسنى، وله الصفات العلى، ومن حبه لاسمه السلام سمانا بالمسلمين، وسمى دينه بالإسلام، وسمى جنته دار السلام: ﴿**إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ**﴾ [آل عمران: ١٩].

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه: ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٨**﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

﴿**رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ٨٤ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥**﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت؛ فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت؛ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت.

اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، وعَظِّم لي نورًا.

رضينا بالله ربًّا وبمحمد رسولًا، وبالإسلام دينًا: ﴿**سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٨٢**﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨١].

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٢٨).

فهرس الموضوعات

الجزء الثاني

الموضوع | **الصفحة**

الباب الرابع: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية: ٧

١٥ - اسم الله الحق ٨

التعبد لله عز وجل باسمه الحق ٩٣

١٦ - اسم الله المبين ١٠٥

التعبد لله عز وجل باسمه المبين ١٣٢

١٧ - اسم الله الحي ١٣٧

التعبد لله عز وجل باسمه الحي ١٨٥

١٨ - اسم الله القيوم ٢٢٧

التعبد لله عز وجل باسمه القيوم ٢٧٨

الباب الخامس: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية ٣٢٧

١٩ - اسم الله السميع ٣٢٨

التعبد لله عز وجل باسمه السميع ٣٧١

٢٠ - اسم الله البصير ٤٠٩

التعبد لله عز وجل باسمه البصير ٤٥٦

٢١-٢٢-٢٣ - اسم الله العلي.. الأعلى.. المتعال ٤٩٥

التعبد لله عز وجل باسمه العلي.. الأعلى.. المتعال ٥٠٦

الموضوع	الصفحة

٢٤-٢٥- اسم الله الكبير.. المتكبر ٥٤١

التعبد لله عز وجل باسمه الكبير.. المتكبر ٥٨٦

الباب السادس: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية ٦٠٥

٢٦- اسم الله العظيم ٦٠٦

التعبد لله عز وجل باسمه العظيم ٦٧١

٢٧- اسم الله القوي ٧٠٧

التعبد لله عز وجل باسمه القوي ٧٢٩

٢٨- اسم الله المتين ٧٥٥

التعبد لله عز وجل باسمه المتين ٧٨٠

٢٩-٣٠- اسم الله القهار.. القاهر ٧٨٩

التعبد لله عز وجل باسمه القهار.. القاهر ٨١٨

الباب السابع: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية ٨٤٥

٣١- اسم الله العليم ٨٤٦

التعبد لله عز وجل باسمه العليم ٨٩٩

٣٢- اسم الله القدوس ٩١٧

التعبد لله عز وجل باسمه القدوس ٩٣٦

٣٣- اسم الله السلام ٩٥١

التعبد لله عز وجل باسمه السلام ٩٨٣

الفهـرس ١٠٠٩